الفريق سعد الدين الشاذلي

الحرب الصليبية الثامنة



الجزء الثاني

تدمير أكبر وأقوى جيش بناه المسلمون منذ ظهور الإسلام

دار الحكمة

الفريق سعد الدين الشاذلي

الحرب الصليبية الثامنة

الجزء الثاني

تدمير أكبر وأقوى جيش بناه المسلمون منذ ظهور الإسلام

دار الحكمة


فاتورة

№ 06601

التاريخ

المطلوب من

السعر الإجمالي		البيان	العدد	السعر الإفرادي	
فلس	دينار			فلس	دينار
ـ	٢٨	دولار			
		ثمن كتاب			
		الحروب الصليبية لتاريخ			
		جزئين			
		مستعمل			

المجموع

توقيع المستلم

«الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبّر بالضرورة عن إتجاهات تتبناها دار الحكمة»

- «إنتصار صدام حسين في الحرب، يعني ارتفاع سعر الطاقة، وما يتبعها من ركود اقتصادي وانخفاض مستوى المعيشة في أمريكا والدول الغربية... وسوف تجعل منه قوة تستطيع أن تهدد أمن وسلامة اسرائيل»

الرئيس الأمريكي بوش 11/18/ 90، 91/1/7

- «يجب تدمير الآلة الصناعية العسكرية العراقية، لارغام صدام حسين على الإستسلام، وليس مجرد الانسحاب من الكويت كما تنص قرارات الأمم المتحدة».

الرئيس الفرنسي ميتيران 91/1/20

- «أحد أهدافنا في تلك الحرب، هو ضرورة التدمير الكامل لكافة القدرات الاستراتيجية العراقية. وقد دمرنا حتى الآن جزءا هاما منها».

وزير الدفاع الأمريكي ديك تشيني91/12/17

- «ان بريطانيا تطالب بضرورة تدمير جميع أسلحة التدمير الشامل والصواريخ الباليستيكية التي يملكهاالعراق».

رئيس الوزراء البريطاني جون ميجور 91/2/28

- « ان الحرب التي خاضها رجالنا في منطقة الخليج كانت من أجل اسرائيل. وقد عمل الرجال على تحطيم العدو الرئيسي لكم في المنطقة».

الجنرال شوارتز كوبف في حديث للاذاعة الاسرائيلية 91/5/23

المسلمون ليسوا في عداء مع النصارى فالله يأمرهم بأن يكونوا بارين بهم وأن يقسطوا إليهم. ولكن الله يأمرهم بالتصدي فقط للذين يعتدون عليهم... والذين يعملون سرا وعلانية ليفتنوهم في دينهم... والذين يخرجونهم من ديارهم أو يظاهرون على إخراجهم منها... والذين يستولون أو ينهبون ثراوتهم. فقتال هؤلاء هو فريضة على كل مسلم. والصراع بين هذا الفريق من النصارى وبين المسلمين حول تلك الأهداف، هو ما اصطلح على تسميته بالحرب الصليبية.

وإنطلاق من هذا المفهوم فان بوش، والمسز ثاتشر، وجون ميجور، وميتيران، هم أكثر صليبية وتعصبا ضد الاسلام والمسلمين من جميع البابوات الذين تزعموا الحروب الصليبية السبعة التي امتدت من 1097 حتى 1291. فهؤلاء الصليبيون الجدد هم الذين دمروا أكبر جيش بناه المسلمون طوال تاريخهم. وهم الذين يؤيدون ويساندون إسرائيل التي أخرجتنا من ديارنا واحتلت مقدساتنا. وهم الذين يحلون لأنفسهم ولاسرائيل امتلاك أسلحة التدمير الشامل، بينما يحرمون ذلك على الدول الاسلامية. وهم الذين يعملون على ترشيح التجزئة التي فرضها أسلافهم على الوطن العربي والأمة الاسلامية. وهم الذين يعملون على تغريب المجتمع الاسلامي لكي يبعدوه عن عقيدته الدينية التي هي مصدر قوته. وهم الذين يشجعون ويساندون الحركات الانفصالية والعلمانية التي تطالب بها فئات الكومبرادور داخل الأمة الاسلامية. وهم الذين ينهبون من ثروات المسلمين النفطية ما يوازي 150 مليار دولار سنويا، تمثل الفرق بين السعر العادل لبرميل النفط وبين الثمن البخس الذي يشترونه به.

إهداء ووصية

إلى قادة وأبطال الحرب الصليبية التاسعة

قد يكون البعض منكم اليوم في مرحلة الطفولة. وقد يكون البعض منكم لم يولد بعد. ولكني كنت أراكم وأتحدث إليكم في كل كلمة أسجلها في هذا الكتاب. كنت حريصا على أن أوضح لكم الأخطاء التي ارتكبها آباؤكم وأجدادكم، حتى تتحاشوا الوقوع فيها. ولعل الخطأ الأكبر الذي وقع فيه جيلنا، هو عدم تطهير وتنظيم البيت الإسلامي قبل التصدي للقوى الخارجية المعادية للإسلام والمسلمين. إن التمسك بتعاليم الإسلام وإقامة مجتمع نزيه وحر، هو ضرورة حتمية يجب أن تسبق أي مواجهة كبرى ضد القوى الأجنبية التي تريد أن تفرض هيمنتها على الدول. وإن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم.

فريق سعد الدين الشاذلي
30 أكتوبر 1991

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

عزيزي القارىء

ذكرت في الجزء الأول أن دول التحالف ليس من المنتظر أن تكون جاهزة لشن هجومها ضد العراق قبل شهر نوفمبر 1990 . . . وذلك على أساس أن هذه العملية الهجومية تحتاج إلى 12 فرقة على الأقل . . تقوم أمريكا وبريطانيا وفرنسا ومصر وسوريا بحشد 6 فرق منها، وتقوم اسرائيل بحشد الست فرق الأخرى . . . وعلى أساس أن امكانيات وسائل النقل البحرية والجوية تحتاج إلى ثلاثة أشهر على الأقل، لنقل القوات البرية والجوية وما تتطلبه من وحدات وخدمات ادارية، من أماكن تجمعها في امريكا وأوروبا والشرق الاوسط الى مناطق حشدها في المملكة العربية السعودية والدول الخليجية الأخرى.

ونظرا لما كان يمكن أن يسببه اشتراك اسرائيل العلني في الحرب ضد العراق من إثارة في نفوس الشعب العربي والأمة الاسلامية . . . وما كان يمكن أن يسببه من إحراج للدول العربية التي تشترك مع امريكا في الحرب ضد العراق (دول مجلس التعاون الخليجي، مصر، سوريا)، فقد قرر الرئيس الأمريكي بوش في 8 نوفمبر 1990 مضاعفة القوات المحتشدة حتى يمكن لتلك القوات أن تقوم بتنفيذ المهمة الموكلة اليها دونما حاجة الى مساعدة من القوات الاسرائيلية. ويحلول منتصف شهر فبراير 1991، كان قد تم حشد 15 فرقة في منطقة الخليج (9 أمريكية، 1 بريطانية، 2 مصرية، 1 سورية، 1 فرقة خفيفة فرنسية، ما يعادل حوالي فرقة من دول مجلس التعاون الخليجي).

وبينما كانت عملية الحشد تتم على قدم وساق، كانت أمريكا تقود في نفس الوقت معركة سياسية ودبلوماسية تهدف إلى عزل العراق عن المجتمع الدولي، واعطائها الشرعية الدولية للهجوم عليه وتدمير قواته المسلحة. وفي خلال الفترة من 2 أغسطس 1990 وحتى 29 نوفمبر 1990، أصدر مجلس الأمن الدولي

12 قرارا تدين العراق هي 660 في 2 أغسطس، 661 في 6 أغسطس، 662 في 9 أغسطس، 664 في 18 أغسطس، 665 في 25 أغسطس، 666 في 13 سبتمبر، 667 في 16 سبتمبر، 669 في 24 سبتمبر، 670 في 25 سبتمبر، 674 في 29 اكتوبر، 677 في 28 نوفمبر، 678 في 29 نوفمبر. وكان القرار الأخير 678 يسمح لامريكا ودول التحالف باستخدام القوة إن لم تنسحب القوات العراقية من الكويت في مهلة أقصاها 15 يناير 1991 . ورفض العراق الامتثال لجميع تلك القرارات.

ولم ينتظر الرئيس الأمريكي استكمال حشد القوات البرية لكي يصدر أوامره ببدء الهجوم. . بل إنه أمر بأن تبدأ الحرب الجوية ضد العراق اعتبارا من الساعات الأولى ليوم 17 يناير 91 . . على أن تبدأ الحرب الشاملة التي تشترك فيها جميع القوات البرية والجوية والبحرية، بمجرد استكمال حشد القوات البرية. وقد أقر الرئيس الأمريكي يوم 10 فبراير، بأن تبدأ الحرب البرية بمعاونة القوات الجوية والبحرية، يوم 24 فبراير (أذاعت أمريكا هذه المعلومة يوم 25 فبراير، أي في اليوم التالي لبدء الهجوم).

ويدأ الهجوم البري لدول التحالف في الساعة الواحدة صباحا بتوقيت جرينيتش يوم الأحد 9 شعبان عام 1411 هجرية الموافق 24 فبراير 1991 . وفي الساعة 30 23 من يوم الاثنين 25 نوفمبر (أي بعد أقل من 46 ساعة من بدء الهجوم البري)، أذاع راديو العراق أن الرئيس صدام حسين أصدر أوامره بانسحاب القوات العراقية من الكويت. وان الانسحاب قد بدأ فعلا، وطالب بوقف اطلاق النار. . . ولكن دول التحالف تجاهلت هذا الطلب واستمرت في القتال. وفي صباح يوم الأربعاء 27 فبراير 91، أعلن العراق أنه قد أتم سحب جميع قواته من الكويت قبل فجر هذا اليوم وكرر طلبه بوقف اطلاق النار. . ولكن دول التحالف تجاهلت هذا الطلب مرة أخرى. واستمرت قواتها في التقدم داخل الحدود العراقية لكي تستكمل قطع جميع طرق انسحاب القوات العراقية في اتجاه الشمال حتى نهر الفرات. . . وأصرت دول التحالف، على ضرورة أن يعلن العراق اعترافه بجميع قرارات الأمم المتحدة. واستجاب صدام حسين لتلك الضغوط، وأعلن اعترافه بجميع قرارات الأمم المتحدة. وأخطر العراق بذلك كلا من الاتحاد السوفيتي والأمين العام للأمم المتحدة.

وبالرغم من كل ذلك استمرت القوات الأمريكية في التقدم بسرعة داخل التراب العراقي بهدف تدمير القوات العراقية التي كانت في الكويت وفي جنوب العراق. وبعد أن تحقق لها ذلك . . . وبعد أن وصلت القوات الأمريكية الى منطقة البصرة والناصرية والسماوة، أمر الرئيس الأمريكي بوقف اطلاق النار اعتبارا من الساعة 00 05 بتوقيت جرينيتش يوم الخميس 28 فبراير 1991 . ويشرط أن يلتزم الجانب العراقي بذلك. وبذلك توقفت العمليات العسكرية بعد 42 يوم من بدء الهجمات الجوية وبعد مرور 100 ساعة من القتال البري. واذا أضفنا الى ذلك الحصار البحري الذي فرضته الولايات المتحدة على العراق، والذي أصبح نافذا ومؤثرا اعتبارا من يوم 10 أغسطس 91، فان هذه الحملة الصليبية تكون قد استكملت 202 يوم منذ أن بدأ الحصار وحتى وقف اطلاق النار (160 حصار + 38 قصف جوي + 4 هجوم بري).

وفي يوم 91/3/2، أصدر مجلس الأمن القرار رقم 686. وهذا القرار يضع شروطا لاقرار وقف اطلاق النار بطريقة رسمية. ولم تكن هذه الشروط سوى اقرارا وتأكيدا لكل ما لم يتم تنفيذه من القرارت الاثنى عشر التي سبق لمجلس الأمن أن أصدرها ضد العراق. . بعد إضافة شروط جديدة تشمل الافراج الفوري عن الأسرى، وتقديم المعلومات والمساعدات للتعريف بالألغام البرية والبحرية التي بثها العراق في الأراضي الكويتية ومياه الخليج، والاقرار بالتنازل النهائي عن أي حقوق للعراق في الاراضي الكويتية، وإعادة الممتلكات الكويتية التي استولى عليها العراق خلال فترة احتلاله للكويت. . ولم يكن أمام العراق الا أن يقبل بهذه الشروط القاسية بعد أن تم تدمير الجزء الأكبر من قواته المسلحة. . . وبعد أن أصيبت منشآته الاقتصادية والخدماتية والمدنية بأضرار بالغة، قدرت بصفة مبدئية بحوالي 200 مليار دولار. .

كان من المفترض أن يكون توقيع العراق يوم 3 مارس 91، على الشروط الأمريكية التي فرضت عليه، هو النهاية الحزينة لهذه الحرب المأساوية. ولكن كما سنرى فيما بعد، فلم يكن وقف اطلاق النار سوى بداية لسلسلة من الاجراءات والضغوط الأمريكية التي كانت تهدف جميعها الى إذلال القيادة العراقية. . فمع أن القوات الأمريكية والقوات المتحالفة معها، كان في استطاعتها أن تتقدم إلى بغداد، وأن تسقط صدام حسين ونظامه. . . إلا أن

قرار بوش بتوقفها جنوب نهر الفرات، كان يرجع الى ثلاثة أسباب. السبب الأول هو الابقاء على ما تبقى من القوات المسلحة العراقية (حوالي 25 ـ 30 في المائة من قدراتها قبل أغسطس 90)، حتى لا يختل التوازن الاقليمي بين ايران والعراق، وتظهر ايران بعد الحرب كقوة عظمى اقليمية.. وهو ما يتعارض مع الاستراتيجية الأمريكية. السبب الثاني هو أن مقتل صدام حسين وسقوط نظامه وهو يتصدى لهذه الهجمة الصليبية سوف يخلق منه بطلا أسطوريا على المستوى العربي والاسلامي... وسوف يزيد من تعميق العداء بين الشعوب العربية والاسلامية، وبين أمريكا والدول الأوروبية.. وسوف يؤدي الى عدم الاستقرار في منطقة الشرق الأوسط بصفة عامة وفي الدول العربية والاسلامية التي ساندت هذه الحملة الصليبية بصفة خاصة. أما السبب الثالث، فهو تفادي الخسائر البشرية التي يمكن أن تقع بين صفوف القوات الامريكية والقوات الحليفة، نتيجة اضطرارها الى القتال في الأراضي الضيقة والمناطق المبنية. ولذلك فان استراتيجية بوش كانت وما زالت ترمي الى أن يقوم العراقيون أنفسهم باسقاط صدام حسين. وكما قال مسؤول أمريكي «اننا سوف نستمر في الضغط. ونأمل أن يقوم أحد الأفراد باغتياله» (مجلة TIME الامريكية في 91/10/7، صفحة رقم 38).

ومع أني كنت أتابع هذه الحرب منذ أن اندلعت في 2 أغسطس 90 يوما بيوم، وساعة بساعة... وكنت أقوم بتسجيل أحداثها أولا بأول... إلا أنني لم أشرع في كتابة السطور الأولى من هذا الكتاب إلا في يوم 3 مارس 91، بعد أن شاهدت مراسم توقيع الوفد العراقي على الشروط الامريكية في مدينة صفوان على شاشة التليفزيون. وبعد 35 أسبوع من العمل المتواصل بمعدل 80 ساعة في الأسبوع سطرت خلالها أكثر من 600 صفحة، فاني لم أكن قد انتهيت من كتابة كل ما أريد أن يتضمنه هذا الكتاب. كنت أعتقد أنني في حاجة إلى كتابة 300 ـ 400 صفحة أخرى. وكان أمامي ثلاثة خيارات. كان الخيار الأول هو الاستمرار في الكتابة. وهذا يعني أن أؤجل دفع الكتاب الى المطبعة مدة أربعة أشهر على الأقل. كما أنه يعني أن يصبح عدد صفحات الكتاب حوالي 1000 صفحة، وهو حجم غير مألوف وغير مناسب للكتب من هذا النوع. كان الخيار الثاني هو أن أحذف حوالي ثلث ما كتبت لكي أوفر

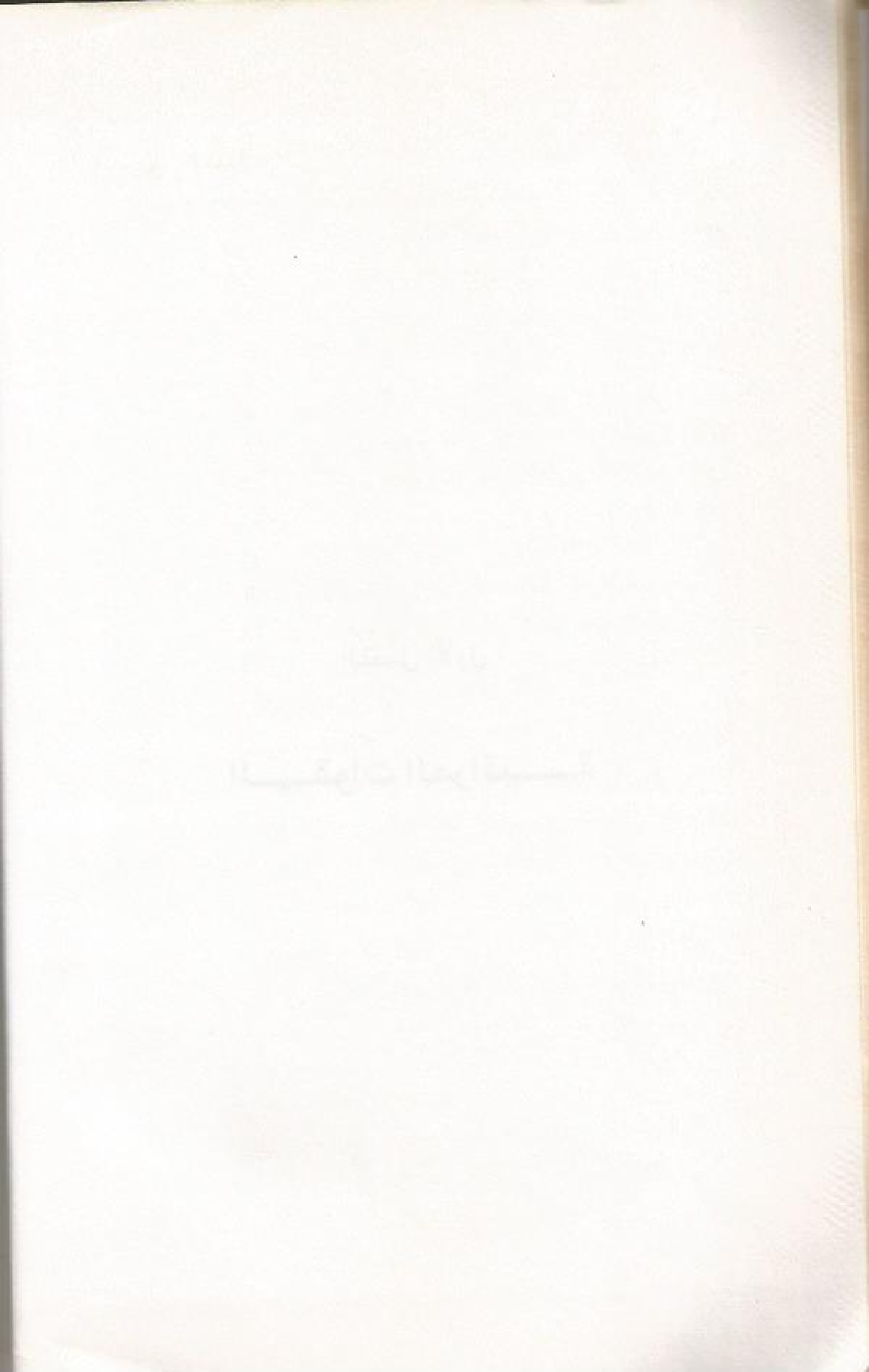
حوالي 200 صفحة أسجل فيها باختصار شديد ما أريد اضافته. وكان ذلك يعني حرمان القارىء العربي من كثير من المعلومات المفيدة التي أريد أن أوصلها اليه.. كما أنه كان سيؤدي أيضا الى التأخير في طبع الكتاب مدة خمسة أشهر على الأقل. أما الخيار الثالث فكان هو أن أنشر ما انتهيت من كتابته. ... وأن أنشر ما تبقى في كتاب آخر في وقت لاحق. واخترت هذا الخيار الأخير.

واني اذ أقدم للقراء هذا الكتاب الذي يمثل الجزء الثاني من سلسلة الكتب التي أنشرها عن الحرب الصليبية الثامنة، فاني أعدهم بأن الجزء الثالث سوف يصدر بإذن الله تعالى في خلال عام 1992. وسوف يعالج الجزء الثالث بصفة أساسية الآثار السياسية والاقتصادية والعسكرية لما بعد هذه الحرب على المستوى العالمي والاقليمي.

المؤلف
فريق سعد الدين الشاذلي
30 اكتوبر 1991

الفصل الأول

القوات العراقية



العراق والقنبلة النووية

إن نجاح احدى دول العالم الثالث في انتاج الأسلحة النووية يتطلب توفر عنصرين رئيسـيين. العنصر الاول هو الامكانيات العلمية والفنية. والعنصر الثـاني هو الارادة السياسية والتصميم على تحقيق ذلـك رغم كل المصـاعب والعـراقيل التي لابـد وأن تقيمهـا الـدول العـظمى والخصـوم لافشـال هذا المشروع. ومنـذ منتصف السبعينات كان العراق من بين دول العالم الثالث القلائل التي يتوفر لديها هذان العنصران الرئيسيان

بدأ العراق برنامجه النووي في منتصف الستينات، عندما استورد مفاعلا نوويا صغـيرا قوته 2 ميجاوات، حيث بدأ هذا المفاعل في العمل في اكتوبر 1968. ولم يكن للعـراق في ذلـك الـوقت اي طمـوحات لانتاج الأسلحة النووية. وفي اكتوبر 69 كان العراق من أوائل دول العالم الثالث التي وقعت على معاهدة منع انتشار الأسلحة النووية. ولكن موقف العراق بدأ يتغير بعد حرب اكتوبر 1973. كانت جميع وسائل الاعلام العالمية تتحدث عن امتلاك اسرائيل للأسلحة النووية، ولكن اسرائيل لم تكن تؤكد أو تنفي هذه التقارير. واستمر الحال على ذلك، الى ان أعلن إفرام كاتسر Ephraim Katzir رئيس دولة اسرائيل أمـام مجمـوعـة من الكتاب يوم أول ديسمبر 1974، ما يوحى بأن إسرائيل تمتلك أسلحة نووية دون أن يعترف صراحة بذلك. فقد صرح قائلا «لقد كان هدفنا دائما هو تطوير امكانياتنا النووية. والآن فاننا نملك هذه الامكانيات».

وحيث أن امتلاك اسرائيل للاسلحة النووية، دون دول المنطقة بصفة عامة ودون الدول العربية بصفة خاصة يهدد أمن ومصالح تلك الدول، فقد كان ذلك عاملا قويا في دفع العراق الى ضرورة امتلاك الامكانيات النووية. واتجه العراق الى فرنسا وطلب منها شراء مفاعل نووي قوته 600 ميجاوات (المفاعل النووي الذي قامت فرنسا ببنائه في ديمونة Dimona في اسرائيل اعتبارا من عام 1963، والـذي أصبـح جاهزا للانتاج اعتبارا من 1965، كانت قوته 24 ميجاوات فقط. وكان يستطيع أن ينتج 8.5 كيلوجرام سنويا من البلوتونيوم 239 الذي يستخدم في انتاج القنبلة النووية. وتحتاج القنبلة النووية التي قوتها 20 000 طن من المفـرقعـات التقليدية الى 8.5 كيلوجـرام من البلوتونيوم

239، وهـذه الكمية يمكن استخـراجهـا من 17 كيلوجـرام من اليورانيوم المخصب 235). وفي نوفمبر 1975. وبعد مفاوضات صعبة بين الجانبين، وقـع العـراق وفرنسا على اتفاق تقوم فرنسا بموجبه ببناء مفاعلين نوويين في العراق، أحدهما طراز ايزيس ISIS للابحاث وقوته 2 ميجاوات، والآخر طراز أوزيراك OSIRAK وقوته 70 ميجاوات. وأن تقوم فرنسا في وقت لاحق بامداد العـراق بمفاعل آخر قوته 900 ميجاوات لانتاج الماء الثقيل الذي هو احد العناصر الرئيسية لانتاج القنابل النووية.

ورغم أن العـراق كان يؤكد دائما بأنه يقوم ببناء هذه المفاعلات لأغراض سلمية، إلا أن فرنسا واسرائيل وأمريكا كانت تشك في نوايا العراق، وتتخذ كافة الاجراءات التي تضمن لها الرقابة الكاملة على سير العمل في بناء المفاعلين من طراز إيزيس ISIS، ومن طراز OSIRAK. أما المفاعل الخاص بانتاج الماء الثقيل، فان فرنسا تحللت من وعودها، ولم يشرع قط في بنائه. وقد تعرض مشروع المفاعل أوزيراك الى سلسلة من المحاولات والأعمال الغامضة، التي انتهت بتدميره تدميرا شاملا ويمكن اجمال هذه المحاولات فيما يلي:

1 ـ في 1979/4/6 تعرضت معدات المفاعل للتدمير، أثناء تخزينها في ميناء La Seyne sur Mer، في انتظار شحنها الى ميناء البصرة. وفي أعقاب ذلك سافـر رئيس الوزراء الفرنسي ريمون بار Raymond Barre الى بغداد في محاولة لاقناع العراق باجراء تعديل في تصميم المفاعل العراقي بحيث يستخدم وقود كارمل Carmel. ومن المعروف أن وقود كارمل هو من النوع الخفيف الذي لا يمكن تحويله الى استخـدامـات حربية، وذلـك بعكس اليورانيوم المخصب enriched Uranium الـذي يستخـدم كوقـود للمفـاعـل من طراز Osirak فيمكن تحويله بسهولة الى بلوتونيوم 239، الذي يستخدم في انتاج الأسلحة النووية. وقد رفض العراق هذا الاقتراح، وهدد بالغاء ما تبقى من اتفاقية 1975، والتي كانت تتضمن قيام العراق بامداد فرنسا بعشرة ملايين طن من النفط وشراء أسلحة من فرنسا بما قيمته 1600 مليون دولار. واضطر الجانب الفرنسي الى التراجع عن موقفه، في مقابل قبول العراق بان تقوم فرنسا بالامداد باليورانيوم المخصب على دفعـات تكـون كل دفعة 12 ـ 13 كيلوجرام... والا يتم تسلم أي دفعة الا بعد التأكد من استهلاك الدفعة السابقة وأن يتم تشغيل المفاعل تحت الاشراف الفرنسي حتى عام 1989.

2 ـ في 14 يونيو 1980، وجد الدكتور يحي المشد رئيس البرنامج النووي العراقي مقتولا في فندق الميريديان في باريس، بينما كان في زيارة قصيرة لها.

3 ـ وفي يوليو 1980 انفجرت قنبلة في مكاتب شركة SNIA Techint في روما. وكانت هذه الشركة الايطالية لديها تعامل مع مشروع البرنامج النووي العراقي في بغداد.

4 ـ وفي 27 سبتمبر 1980، أغارت طائرتان اسرائيليتان من طراز فانتوم على المفاعل، دون أن تعلن اسرائيل عن ذلك، حتى تتجه التهمة الى إيران التي كانت الحرب قد اندلعت بينها وبين العراق قبل ذلك بأيام.

5 ـ وفي ديسمبر 1980، قامت مجموعة فدائية مجهولة الهوية بمهاجمة المنطقة السكنية للعلماء والفنيين الفرنسيين الذين يعملون في المشروع في العراق. ثم تكررت نفس هذه المحاولة مرة أخرى في ابريل 1981 (المؤلف: لم تحدث أي خسائر بشرية بين العلماء الفرنسيين في هاتين العمليتين. ولكن المخابرات الاسرائيلية التي يطلق عليها اختصارا «الموساد»، قد قامت بها بهدف تضليل القيادة العراقية وايهامها بولاء العلماء الفرنسيين للمشروع الذي يقومون ببنائه، بينما كان أحدهم وهو Damien Chassepied قد جندته الموساد، كما سيتضح فيما بعد).

6 ـ وفي 7 يونيو 1981 قامت 8 طائرات اسرائيلية من طراز F-16 تحرسها 6 طائرات من طراز F-15، بالاغارة على المفاعل النووي العراقي وقامت بتدميره تدميرا شاملا، بعد أن أسقطت عليه 16 طن من القنابل (كانت كل طائرة F-16 تحمل 2 قنبلة وزن كل منها طن. وقام العميل الاسرائيلي دميان شاسبيد بارشاد الطائرات الى أهدافها، وقتل أثناء الغارة).

كانت كل الشواهد والملابسات تؤكد أن تدمير المفاعل النووي العراقي هي مؤامرة امبريالية صهيونية اشتركت فيها عناصر متعددة. فبالاضافة الى ان الطائرات الاسرائيلية التي قامت بتنفيذ الغارة على المفاعل هي طائرات أمريكية الصنع، فقد حرصت اسرائيل على أن تكشف بعد نجاح الغارة، بان الدور

الامريكي كان اكثر ايجابية من مجرد إمداد اسرائيل بالسلاح. ففي 18 يونيو 81، أعلنت اسرائيل أنها أرسلت اثنين من مهندسيها الى أمريكا في شهر اكتوبر 80 لدراسة التأثيرات المحتملة عن تدمير مفاعل نووي بقنابل زنة الواحدة منها 1 طن. كما وأن الرئيس الأمريكي ريجان صرح يوم 16 يونيو 81 بانه «يقدر مدى القلق الذي تشعر به اسرائيل تجاه هذا المفاعل النووي العراقي، وأن اسرائيل تصرفت هذا التصرف في اطار الدفاع عن النفس. وان امريكا ستستخدم حق الفيتو ضد أي قرار يطالب بتوقيع العقوبات على اسرائيل». [1]

أما الرئيس الفرنسي ميتران Mitterand، فقد أدلى بحديث للواشنطن بوست نشر بتاريخ 19 يونيو 81 قال فيه «إنني أحمل شعورا حارا وفياضا تجاه اسرائيل وثقافتها وما حققته من أعمال. إني أعرف حجم التضحيات التي تحملتها. إني معجب بقدرات شعبها. كان يجب على المستر بيجن (رئيس وزراء اسرائيل) أن يضع ثقته في رئيس جمهورية فرنسا الذي يعرف الجميع شعوره تجاه اسرائيل. لقد كان ولا يزال أمن إسرائيل والسلام في الشرق الأوسط هو من أولويات اهتماماتي. وان مقتل التقني الفرنسي شاسبيد Damien Chassepied في هذه الغارة، هو سبب كاف لاعتراضات فرنسا. ***ومع ذلك فان موقف فرنسا لن يتغير. لقد طلبت فرنسا من مجلس الأمن الدولي أن يدين الغارة وليس اسرائيل. إننا ننتقد تصرفات قادة اسرائيل. ولكننا لا نطالب بتوقيع العقوبة على شعب اسرائيل***». [2] اما اسرائيل فانها أعلنت في أعقاب هذه الغارة بأنها لن تسمح بقيام أي مفاعل نووي في أي بلد عربي أو إسلامي. وأنها سوف تقوم بتدميره كما قامت بتدمير المفاعل العراقي. هذا وقد ذكر فيكتور أوستروفسكي Victor Ostrovski (أوستروفسكي هو ضابط اسرائيلي من أصل كندي، أختير للخدمة في الموساد من اكتوبر 1982 برتبة عقيد، واستمر في الخدمة حتى مارس 86، اطلع خلالها على أدق الأسرار والجرائم التي ترتكبها الموساد. وهو يرى أن الموساد تمثل قوة كبيرة غير مسيطر عليها سيطرة كاملة من طرف الدولة. وفي أواخر مارس 86 هرب الى كندا، وقرر أن ينشر كتابا عن تنظيم وأسلوب عمل هذا الجهاز الرهيب وعن عدد من العمليات الهامة التي قام بتنفيذها. وقد نشر الكتاب لاول مرة في امريكا في أواخر عام 1990 بعد معركة قانونية حاولت

اسرائيل منـع نشره ولكنهـا لم تفلح في ذلك، وصدر قرار المحكمة العليا في نيويورك بتـاريخ 12 سبتمـبر 1990 لصالح الكاتب الذي نشر كتابه تحت عنوان : بواسطة الخديعة By Way of Deception) في كتابه في الصفحة رقم 27 ، أن الموساد قد جندت Damien Chassepied ، وزودته بجهاز بيكون Beacon داخل حافظة وطلب منه ان يضع هذه الحافظة داخل مبنى المفاعل . وأن هذا البيكون كان يصـدر النبضـات التي تقـود الـطائرات الاسـرائيلية، الى مكان المفاعل النـووي . وبعـد بضعة اسابيع من ظهور كتاب أوستروفسكي ، اعترف بول باريل ضابط المخابرات الفرنسي السابق بان المخابرات الفرنسية تعاونت مع الموساد الاسرائيلي في تدمير المفاعل النووي العراقي عام 1981 ، ولكنه لم يذكر Chassepied بالاسم . وسواء كان شاسبيد يعمل لحساب الموساد، أو كان يعمل لحساب المخابرات الفرنسية، فان ذلك لا يغير شيئا بالنسبة لنا نحن العرب . فكلا من فرنسا واسرائيل تعترفان ـ بل وتتفاخران ـ بدورهما في تدمير المفاعل النووي العراقي . وهذا يكفي لان يعرف كل عاقل عربي من هو عدوه . ومع أن أوسـتروفسكي لم يكن في خدمـة الموساد عندما تمت مؤامرة تدمير المفاعل النووي العراقي الا انه يحكي لنا هذه القصة كما درست له في مدرسة الموساد وكما سمعها من أبطالها .

حدث كل ذلـك في الوقت الذي كانت تعلم فيه كل من أمريكا وفرنسا وغيرها من الدول أن اسرائيل كانت تملك حينئذ 13 قنبلة نووية قوة كل منها 20 كيلو طن . . . أو ما هو أضعاف هذا العدد من القنابل بقوة تدميرية اجمالية قدرها 000 260 طن من المتفجرات . . . وانها مستمرة في إنتاج أعداد أخرى من القنـابل بقوة تدميرية تعادل 000 15 طن سنويا . وهذا يدل على مدى الحقـد والتآمر الصليبي الصهيوني ضد الدول الاسلامية . وكما كان متوقعا، صدر قرار مجلس الأمن الدولي يوم 19 يونيو 1981 ، بإدانة الغارة الاسرائيلية . ولكن القرار لم يتطرق الى توقيع عقوبات على الدولة الصهيونية، وذلك نتيجة التهديد الامريكي باستخدام حق الفيتو إذا ما شمل القرار ذلك . ***وقد طالب القرار بضرورة اخضاع المفاعل النووي الاسرائيلي للتفتيش بواسطة الهيئات الـدولية . ولكن بيجن رئيس الـوزراء الاسرائيلي اعلن في نفس اليوم بان اسرائيل ترفض هذا القرار ولن تسمح للهيئات الدولية بالتفتيش على مفاعلها***

النووي. وهكذا تجمد تنفيذ هذا القرار الدولي وأصبح مصيره كمصير عشرات القرارات الدولية الاخرى التي صدرت ضد إسرائيل ولم ينفذ أي منها. فاذا نحن قارنا بين موقف الأمم المتحدة تجاه العراق والذي ذهب الى حد استخدام القوة المسلحة ضده لارغامه على القبول بقرارات الأمم المتحدة، وبين موقف الأمم المتحدة السلبي تجاه اسرائيل، اتضح لنا مدى الازدواجية التي تتصف بها مواقف الأمم المتحدة.

لم يدفع تدمير المفاعل النووي العراقي في يونيو 81، القيادة السياسية العراقية الى اليأس، بل زاد من تصميمها على ضرورة إعادة بناء مفاعل نووي آخر اعتماداً على جهود ذاتية عراقية وعربية اسلامية. ولكن أخبار النشاط النووي العراقي الجديد بدأت تتسرب الى الغرب. وفي يوم 1990/3/28، أقامت بريطانيا ضجة إعلامية كبرى حول مصادرة 40 جهاز Krytron، امريكية الصنع كانت في طريقها الى العراق. وسبب هذه الضجة هو أن هذه الأجهزة تستخدم في توقيت تفجير القنابل النووية. وقد قامت الصحف ووسائل الاعلام الاجنبية بحملة ضد العراق على أساس أنه على وشك أن يمتلك أسلحة نووية... وأن ذلك يشكل خطورة على أمن اسرائيل. ونسيت هذه الصحف العاهرة ان اسرائيل تمتلك حينئذ حوالي 200 رأس نووي... وانها حصلت فيما مضى على 810 جهاز Krytron ووصلت جميعها الى اسرائيل في أوائل الثمانينات دون أن يصادرها أحد (مجلة نيوزويك الأمريكية بتاريخ 27 مايو 1985). فكيف يسكتون على من يعرفون *أنه يملك*، *ويثيرون ضجة ضد من يحاول أن يملك؟ إنه منطق القوة المعادية للعرب والمسلمين. انهم يحرمون علينا ما يحلّونه لأنفسهم ولاسرائيل. وما من شك في ان ما أحرزه العراق في مجال النشاط النووي. كان أحد الأسباب الرئيسية التي دفعت القوى الامبريالية والصهيونية الى ضرورة تدمير القوات المسلحة العراقية وفي مقدمتها قدراته النووية والكيماوية*. ولم يكن من قبيل الصدفة أن يعلن الجنرال شوارتزكوبف Schwartzkopf قائد قوات التحالف ضد العراق في المؤتمر الصحفي الذي عقده مساء 17 يناير 91 (اليوم الاول للقتال ضد العراق) بأن القوات الجوية الأمريكية قامت بتدمير المفاعل النووي العراقي الذي لم يكن قد استكمل بعد... وأنها قامت أيضا بتدمير جميع المصانع التي تنتج الأسلحة الكيماوية.

ورغبـة من فرنسـا في أن تتفـاخر هي الاخرى بدورها في خدمة المصالح الامبريالية والصهيونية، فقد ظهر ضابط المخابرات الفرنسي السابق بول باريل على شاشات التليفزيون يوم 91/1/19، ليعلن للعالم وللشعب الفرنسي «بأن الخبراء الفرنسين تعاونوا مع اسرائيل في تدمير المفاعل النووي العراقي في يونيو 1981 . . . وأنهم وضعـوا داخـل المفـاعـل أجهزة تساعد في توجيه الطيران الاسرائيلي والقنابل الاسرائيلية الى المناطق الحساسة داخل المفاعل حتى يمكن تدميره تدميرا كاملا». وعندما سمعت ذلك تذكرت قوله تعالى في الآية رقم 118 من سورة آل عمران «يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألـونكم خبـالا، ودُّوا ما عنتم، قد بدت البغضـاء من أفـواههم وما تخفي صدورهم أكبر. قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون». وتذكرت أيضا ما كتبته في مجلة الجبهة العدد الخامس الذي ظهر في شهر يوليو 1981، والذي قلت فيه بالحرف الواحد «ان اعلان بيجن يوم 11 يونيو بان إسرائيل دمرت هدفا عراقيا على عمق 39 مترا (130 قدما) هو تصريح يجب أن نتوقف عنده. إن أضخم قنبلة يمكن للطائرة أن تحملها لا يمكن أن تدمر هدفا مدفونا في الأرض وعلى مسـافـة 15 مترا، حتى لو كانت هذه الخمسة عشر مترا من الارض الطبيعية وبدون أي خرسانة. فكيف يمكن تدمير هدف على عمق 39 مترا؟ ان تدمير مثل هذا الهدف لابد وأن يتم بواسطة عملاء لاسرائيل قاموا بتفجير هذا الهدف أثناء هذه الغارة الاسرائيلية حتى يبدو وكأن التدمير قد حدث بفعل الطائرات الاسرائيلية». وبعد أن استمعت الى ما قاله الفرنسي بول باريل، فاني ازددت اقتناعا بما سبق ان نشرته في يوليو 1981. وأعتقد أن الضابط الفرنسي لم يقل الا جزءا من الحقيقة. لقد اعترف بانهم ساعدوا الاسرائيلين في تحديد مكان الهدف حتى لا تخطئه القنابل. . . ولكنه لم يعترف بان الفرنسـيين قامـوا بانفسهم بتفجير أجزاء المفاعل التي تقع على عمق 39 مترا، والتي لا يمكن لقنابل الطائرات أن تصل اليها. . . وأن هذا التفجير تم في نفس الوقت الذي تمت فيه الغارة الاسرائيلية حتى يبدو التدمير وكأنه نتيجة للغارة الاسرائيلية.

وفي اعقاب الحرب . . . وتنفيذا لقرار مجلس الأمن الدولي رقم 687 الذي يفرض على العراق بأن يتوقف عن انتاج أسلحة التدمير الشامل . . . وأن يقدم للأمين العام للأمم المتحدة بيانا بما يملك من تلك الأسلحة أو من مكوناتها . . . أعلن العراق يوم 9 يوليو 91 ، عن برنامجه النووي . وقد ظهر من هذه البيانات ان العراق قد حقق تقدما في المجال النووي أكثر بكثير من كل التوقعات السابقة . فقد ظهر أن العراق كان لديه ثلاثة برامج لتخصيب اليورانيوم enriching Uranium وانه أنتج 2 كيلوجرام من اليورانيوم المخصب .[3] (المؤلف: القنبلة النووية التي قدرتها التدميرية تعادل 000 20 طن من المتفجرات تحتاج الى 17 كيلوجرام من اليورانيوم المخصب [4]) . وفي يوم 91/8/8 ، صرح السيد ديفيد كاي الناطق الرسمي للوكالة الدولية للطاقة النووية الموجود حينئذ في العراق ، أن العراق سلم بعثة الخبراء النووية في العراق 8 كيلوجرام من اليورانيوم المخصب كان قد أخفاها قبل ذلك عن الوكالة الدولية للطاقة (وكالات الانباء العالمية ، صحيفة الشعب الجزائرية 91/8/10) .

العراق والاسلحة الكيماوية

منذ مطلع الثمانينات ، كانت هناك شكوك بأن العراق يقوم بانتاج الأسلحة الكيماوية . . . وأن خبراء من شركة كارل كولب Karl Kolb من ألمانيا الغربية قد قدموا للعراق المشورة الفنية التي مكنته من بناء مركب ضخم لانتاج الأسلحة الكيماوية ، وفي مقدمتها غاز التابون Tabun ، وغاز المسطرد Mustard ، وغازات الأعصاب . وقد ازدادت هذه الشكوك عندما أعلن القائم بالاعمال العراقي في كوبنهاجن يوم 1982/10/25 ، السيد صالح علي فتحي ، بأن بلاده مستعدة لاستخدام سلاح جديد ضد القوات الايرانية اذا كررت محاولة الهجوم على الاراضي العراقية . وأوضح أن في استطاعة هذا السلاح قتل ما يصل الى 000 100 شخص . وقال الديبلوماسي العراقي في حديث أجراه معه التليفزيون الدنماركي اننا سنطلب من العالم ان يغفر لنا استخدام هذا السلاح .[5] ومع أن السيد صالح علي فتحي ، قد نفى أمام الكاميرا بأن يكون هذا السلاح نوويا أو كيماويا أو بيولوجيا ، الا ان هذا التصريح كان بمثابة انذار شديد موجه الى ايران . فليس من المعقول أن يصدر مثل هذا التصريح الخطير

من ديبلوماسي عراقي، دون أن يكون مأذونا بذلك من حكومته. وحيث أن السلاح الذي يقتل 100 000 شخص لابد وأن يكون واحدا من أسلحة التدمير الشامل المعروفة وهي الأسلحة النووية والكيماوية والبيولوجية. فان ما صرح به الديبلوماسي العراقي يعتبر أول اعتراف ضمني على المستوى الرسمي، بأنه يمتلك واحدا أو أكثر من تلك الأسلحة.

وفي يوم 21 مارس 1986، أدان مجلس الأمن الدولي العراق لاستخدامه الأسلحة الكيماوية في حربه ضد إيران. وفي 1987/5/13 أعلن فريق من الخبراء الذين انتدبتهم الأمم المتحدة بعد قيامهم بزيارة كل من العراق وايران. . . أن العراق قد استخدم الأسلحة الكيماوية في حالات متعددة ضد القوات الايرانية وضد المدنيين في حرب الخليج. وأن ذلك كان يتم على شكل قنابل تلقيها الطائرات أو تقذف بواسطة الصواريخ. وأن الغازات المستخدمة هي غاز المسطرد، وفي بعض الأحيان غازات الاعصاب.[6] وفي يوم 88/3/16 استخدم العراق أسلحته الكيماوية بكثافة ضد القوات الايرانية التي نجحت في احتلال مدينة حلابجة في شمال العراق. وقد كان استخدام العراق للأسلحة الكيماوية في حلابجة وما تسبب عنها من خسائر بشرية قدرت بحوالي 4000 قتيل. . هو أحد الأسباب الرئيسية التي دفعت إيران الى القبول بوقف اطلاق النار طبقا للقرار 598 اعتبارا من 1988/8/20. (كان مجلس الأمن الدولي قد اصدر في 20 يوليو 87 القرار رقم 598 الذي يقضي بوقف اطلاق النار وانسحاب كل من القوات العراقية والايرانية الى الحدود الدولية. وكان العراق قد وافق على القرار بينما رفضته إيران على اساس أن القرار لم يحدد من هو المعتدي في الحرب التي اشتعلت بين الدولتين).

وقد ظهر فيما بعد، أن العراق كان يملك كميات كبيرة من الأسلحة الكيماوية التي يمكن استخدامها بواسطة المدفعية والصواريخ والطائرات. ففي الاقرار الذي قدمه العراق للامم المتحدة في 91/4/18، تنفيذا لقرار الأمم المتحدة 687، اعترف العراق بانه يملك 755 10 رأساً كيماوياً ما بين قنبلة أو قذيفة مدفعية أو رأس صاروخ. . وأنه يملك 1005 طناً من المواد الكيماوية في مخازنه. ولكن مسؤول من الأمم المتحدة أعلن يوم 91/7/31 ان العراق يمتلك حوالي 000 46 رأساً كيماوياً، ويقوم بتخزين حوالي 000 3 طن من المواد الكيماوية.

الصواريخ أرض أرض

قام العراق خلال الحرب العراقية الايرانية وما بعدها بتطوير وانتاج الصواريخ أرض أرض التالية :

صاروخ الحسين: مداه 650 كيلومتراً ويحمل رأسا حربيا Warhead يزن 500 كيلوجرام . وكان العراق قد أعلن يوم 4 أغسطس 87، عن حيازته لهذا الصاروخ. كما وأن العراق قد استخدم هذه الصواريخ في ضرب طهران خلال شهر مارس 88، وكانت تحمل رؤوسا حربية تقليدية (اي رؤوس حربية تحمل مواد متفجرة) ودائرة الخطأ في الاصابة CEP حوالي 1000 متر. [7]

صاروخ العباس: مداه 850 كيلومتراً. وكان صدام حسين قد أعلن لأول مرة عن امتلاك العراق لهذه الصواريخ في حديث له مع صحيفة مصرية في 17 مارس 1988 . وكما جاء في مجلة جينس (Janes) الاسبوعية في 2 مارس 91. ويزن الرأس الحربي لهذا الصاروخ 350 كيلوجرام، ودائرة الخطأ في الاصابة حوالي 1500 مترا.

صاروخ العابد/تموز: المعلومات عنه مازالت شحيحة. ففي يوم 89/12/7، أعلن السيد / حسين كامل وزير الصناعة والانتاج الحربي العراقي في برقية للرئيس صدام حسين بأن العراق أطلق صاروخا الى الفضاء يوم الثلاثاء 1989/12/5 . وأن هذا الصاروخ طوله 25 مترا ويزن 48 طنا وذو ثلاث مراحل، وأنه قد تم بناؤه بدون مساعدة أجنبية . . . ويستطيع هذا الصاروخ أن يحمل رأسا حربيا وزنها 750 كيلوجرام الى مسافة 2000 كيلومتر. واذا استخدم هذا الصاروخ في حمل قمر صناعي الى الفضاء فانه يسمى تموز. . . واذا استخدم في حمل رأس حربي ووجه الى هدف أرضي فانه يسمى العابد. (اسرائيل وضعت قمرا صناعيا في الفضاء أسمته أفق ـ 1 في يوم 19 سبتمبر 1988 مستخدمة في ذلك صاروخ شافيت Shavit . ويقدر الخبراء أن الصاروخ الاسرائيلي شافيت الذي نجح في وضع قمر صناعي وزنه 156 كيلوجرام في الفضاء، يمكن أن يصل مداه الى 2750 كيلومتر، وأن يحمل رأسا حربيا وزنها 1000 كيلوجرام الى هذه المسافة).

ولكن ما قيمة هذه الصواريخ أرض أرض التي يصل مداها الى 300 كيلومتر فأكثر اذا ما اقتصرت على حمل رؤوس حربية تقليدية، ولم يتوفر لها امكانيات فضائية لتوجيهها وتصحيح مسارها الى أن تصل الى أهدافها. فبالنسبة للمشكلة الاولى، يجب ان نعلم أن الصاروخ ليس سوى وسيلة نقل للرأس الحربي الذي يثبت في رأس الصاروخ لكي ينفجر في المكان الذي يحمله اليه الصاروخ. والصاروخ يختلف عن الطائرة من حيث أنه لا يستخدم الا مرة واحدة، اي انه يستهلك خلال رحلة طيرانه الاولى والاخيرة. وذلك بعكس الطائرة التي يمكن ان تقوم بعدة رحلات جوية تقوم خلال كل رحلة منها باسقاط ما تحمله من قنابل ورؤوس حربية قد تصل الى بضعة أطنان في كل مرة. وقد تنجح الطائرة في القيام بتنفيذ عشرات الغارات الجوية قبل أن يتمكن العدو من اسقاطها. ولذلك فان الطائرة تعتبر وسيلة رخيصة - اذا ما قورنت بالصواريخ أرض أرض - في اسقاط القنابل التقليدية على الأهداف المعادية، سيما اذا كانت دفاعات العدو المضادة للطائرات ليست على درجة عالية من القوة. أما اذا كان المطلوب هو اسقاط قنابل نووية، وكانت دفاعات العدو المضادة للطائرات على درجة عالية من القوة، فان استخدام الصواريخ في هذه الحالة يكون هو الافضل والأرخص. وباختصار شديد فانه يجب ان نضع في حسابنا ثمن التأثير Cost effectiveness عند المفاضلة بين استخدام الصواريخ أو استخدام الطائرات في قصف العدو. فليس من المنطق في شيء أن ندفع مثلا 100 مليون دولار من أجل أن نكلف العدو خسائر مادية تقدر بمليون واحد من الدولارات.

وحيث أن الصواريخ أرض أرض بصفة عامة، والتي يزيد مداها عن 100 كيلومتر بصفة خاصة، تعتبر غالية الثمن، على أساس أنها تستخدم مرة واحدة. . فإنها صممت أساسا لكي تحمل رؤوسا نووية. . . . وذلك نظرا لأن التدمير الذي تحدثه الرأس النووية يزيد مئات المرات عن ثمن الصواريخ. أما اذا استخدمنا هذه الصواريخ - ولا سيما الصواريخ المتوسطة - في حمل رؤوس تقليدية. . . فان ذلك يعتبر استخداما غير عقلاني. وعلى سبيل المثال فان ثمن صاروخ واحد من طراز DF-3 من تلك الصواريخ التي باعتها الصين للسعودية وأعلن عنها في 19 مارس 88، هو 40 مليون دولار للصاروخ الواحد، وذلك بالرغم من أن ثمن الأسلحة الصينية يعادل أقل من 50٪ من ثمن مثيلاتها في

الدول الغربية. وهذا الصاروخ مجهز أصلا لكي يحمل رأسا نوويا ذا قوة تدميرية 3 . 1 ميجاطن (أي ما يعادل 000 300 1 طنا من المتفجرات التقليدية) فاذا نحن استبدلنا هذه الرأس النووية برأس تقليدية تحمل 2 طن من المتفجرات، فان ذلك يعتبر اهدارا لطاقة هذا الصاروخ واسرافا لا معنى له. وبعملية حسابية بسيطة يتضح لنا أن نقل ما يعادل طنا من المتفجرات عندما تكون الرأس نووية، يكلفنا 30 دولار. أما نقل طن من المتفجرات عندما تكون الرأس تقليدية، فانه يكلفنا 20 مليون دولار. واذا افترضنا أن كل طن من المتفجرات يصل الى الهدف ويصيبه يحدث خسائر مادية وبشرية تقدر بحوالي مليون دولار. . . فان ذلك يعني أننا ندفع 20 مليون دولار لكي نكبد العدو خسائر مادية قيمتها مليون دولار، اذا كانت الرأس الحربية تقليدية. أما اذا كانت الرأس الحربية للصاروخ نووية، فانه يكون في استطاعتنا تحميل العدو خسائر قيمتها مليون دولار في مقابل تحملنا 50 دولار فقط (على أساس أن ثمن الصاروخ بما في ذلك الرأس النووية الأصلية التي قوتها 3 . 1 ميجاطن هو 65 مليون دولار).

والمشكلة الثانية في استخدام الصواريخ، هي تلك التي تتعلق بتوجيهها. فطبقا لما هو معروف حتى الآن، فان أي صاروخ يزيد مداه عن 300 كيلومتر، يكون في حاجة الى تصحيح مساره مرتين أو أكثر أثناء رحلة طيرانه. ويتم تصحيح هذا المسار بواسطة أوامر يتلقاها الصاروخ من محطات أرضية أو جوية تنتشر على طول مساره، اذا كان الجزء الاكبر من رحلة الصاروخ يمر فوق أرضنا أو فوق أراضي دول صديقة. [8] اما اذا كان الجزء الاكبر من مسار الصاروخ يمر فوق أرض معادية، فان هذه الوسيلة تكون غير ممكنة، وتصبح الوسيلة الوحيدة الممكنة لتصحيح المسار هي الاقمار الصناعية. وهنا يبرز السؤال «ما قيمة أن يكون لدينا صاروخ مداه 000 1 كيلومتر أو أكثر إذا لم نكن نملك قمرا صناعيا يقوم بتوجيهه. . . أو إذا لم نكن في تعاون تام مع دولة تملك أقمارا صناعية للتوجيه ؟».

واذا لم نقم بتوجيه صواريخنا خلال رحلة طيرانها، واعتمدنا على المعلومات الحسابية وقت الاطلاق، فان انحراف الصاروخ عن مساره يصبح أمرا مؤكدا. ويزداد انحراف الصاروخ عن هدفه كلما بعد هذا الهدف. فاذا افترضنا أن الانحراف في هذه الحالة يكون بمعدل كيلومتر واحد لكل 100 كيلومتر. . . فان هذا يعني انه اذا كان الهدف يقع على مسافة 1000 كيلومتر، فان الصاروخ

يمكن أن يقع بعيدا عنه بمسافة 10 كيلومتر. وتتضاعف هذه المسافة لتصبح 20 كيلومتر اذا كان الهدف على مسافة 2000 كيلومتر. ولذلك فان الصواريخ التي يزيد مداها عن 300 كيلومتر لا تستخدم عادة الا في ضرب الاهداف الكبيرة، وهو ما يطلق عليه في العلم العسكري بـ «هدف منطقة». وأنسب الأهداف لذلك هي المدن بصفة عامة، والمناطق الصناعية والعسكرية في تلك المدن بصفة خاصة. وهذا يقودنا مرة أخرى الى ضرورة أن يحمل الصاروخ رأسا حربيا من نوع أسلحة التدمير الشامل. فلو أن صاروخا يحمل رأسا نوويا وجه الى منتصف مدينة ما، ولكنه إنحرف عن هدفه وسقط في أرض فضاء تبعد 500 متر عن طرف المدينة، فبالرغم من هذا الخطأ فإن الانفجار سوف يسبب خسائر فادحة في مباني المدينة التي تقع على مسافة 5 كيلومتر من مركز انفجار الرأس النووي. أما اذا كان الصاروخ يحمل رأسا حربيا تقليديا، فانه لن يسبب أي تدمير في مباني المدينة.[9]

ولم يكن يعرف بالضبط عدد الصواريخ التي يملكها العراق من تلك الأنواع ولكن كان هناك تقدير مبدئي بأن العراق قد يكون لديه حوالي 400 ـ 1000 صاروخ ما بين الحسين والعباس والسكود.[10] ولكن بعد أن وضعت الحرب اوزارها اتضح أن العراق كان لديه عددا محدودا من تلك الصواريخ. ففي خلال الحرب أطلق العراق 80 صاروخ (40 ضد السعودية، 39 ضد اسرائيل، 1 ضد البحرين). وجاء في الخطاب الذي ارسله العراق الى الأمم المتحدة في 91/4/18، تنفيذا لقرار الأمم المتحدة 687 الذي يقضي بتدمير كل تلك الصواريخ أن ما بقي لدى العراق عند وقف اطلاق النار منها هو 54 صاروخ.

الصواريخ جو أرض

في معرض بغداد 1988، كشف العراق عن امتلاكه لصاروخ جو أرض اسمه أبابيل. وطبقا للمواصفات المعلنة، فان هذا الصاروخ يكون مداه 50 كيلومتر، ورأسه الحربي يزن 250 كيلوجرام، وانه يمكن توجيهه إما ذاتيا inertial، أو عن طريق اصدار أوامر له اثناء الطيران، كما وأن رأس الصاروخ يمكن أن يثبت بها باحث عن الحرارة بالاشعة تحت الحمراء. وطول الصاروخ 6 متر، ووزنه الاجمالي حوالي 1000 كيلوجرام.

المدفع العملاق Super Gun

فوجىء العالم يوم 1990/4/12 بخبر هام يتصدر الصفحات الأولى في جميع الصحف العالمية، يفيد بانه قد تم احباط محاولة العراق لانتاج أكبر مدفع في العالم. وتحت عنوان «الجمارك البريطانية تصادر اكبر مدفع في العالم وهو في طريقه الى العراق». كتبت صحيفة الديلي ميل البريطانية قصة هذا المدفع. ومما نشرته الصحيفة المذكورة في ذلك اليوم وفي الأيام التالية. . . ومما نشرته الصحف ووسائل الاعلام الأجنبية الغربية الأخرى حول هذا الموضوع، فانه يمكن الخروج منها بالقصة التالية:

هذا المدفع بعد تجميعه فانه يمكن أن يزن 140 طنا. وقد تم تجزئته الى ثمانية أجزاء وضع كل جزء منها في صندوق خشبي وعليها عنوان المرسل اليه، وهو وزارة الصناعة والمعادن، مشروع البتروكيماوي، بغداد. ويقول خبراء الدفاع أن ماسورة المدفع يبلغ طولها 40 متر وقطرها 1 متر، وانه بذلك يستطيع أن يقذف بقنبلة نووية أو تقليدية الى 1200 كيلومتر.[11] وقد تمت مصادرة هذا المدفع بعد 20 يوما فقط من مقتل الدكتور جيري بول Dr Gerry Bull الذي يعتقد انه مصمم هذا المدفع. ففي يوم 22 مارس 90، وجد الدكتور بول مقتولا في شقته وبه 5 طلقات في رأسه وظهره. وقد وجد في محفظة نقوده التي كانت في جيبه 20 000 دولار، مما يؤكد أن القتل لم يكن بدافع السرقة.

والدكتور بول هو الخبير الأول في العالم في مجال انتاج قطع المدفعية بعيدة المدى، ويعتقد انه هو الذي ساعد العراق في انتاج المدفع مجنون، والمدفع الفاو. وقد ولد بول في مدينة صغيرة في كندا عام 1928. ونتيجة موهبته الفريدة حصل على شهادة الدكتوراه في Aerophsysics من جامعة تورنتو عندما كان عمره لا يتجاوز 22 عاما. وبالتعاون مع كندا وأمريكا قام بول بالاشراف على مشروع HARP الذي قام بانتاج مدفع ضخم استطاع ان يضع قذيفة وزنها 84 كيلوجرام، في الفضاء على ارتفاع 180 كيلومتر.[11] وكان بول يرى أن مثل هذا المدفع هو وسيلة أقل تكلفة لاطلاق الأقمار الصناعية الى الفضاء بدلا من استخدام الصواريخ التقليدية. ولكن ذلك لم يلق قبولا من السلطات الكندية والامريكية. وفي عام 1976 أسس شركة European Subsidiary International

بالتعـاون مع مصـانـع بلجيكية لانتاج الذخيرة. ثم انتقل نهائيا للاقامة في بلجيكا عام 1981، حيث أخذ يقدم خدماته الى السوق الدولية. وعن هذا الطريق تم الاتصال بينه وبين السلطات العراقية. وطبقا لما نشره الدكتور بول عن المدفع HARP فان قذيفة المدفع اذا أضيف اليها محرك صاروخي، فان هذا المـدفـع يستطيع أن يضع في الفضاء قمرا صناعيا وزنه 272 كيلوجرام على ارتفاع 1852 كيلومتر، أو قمرا أصغر وزنه 90 كيلوجرام على ارتفاع 3200 كيلومتر.[12]

وهنـاك نقـطتـان تستوقفان النظر. النقطة الأولى هي أن صحيفة الشرق الأوسط السعودية نشرت في 5 فبراير 90 (قبل اغتيال الدكتور بول بـ 55 يوما) خبرا يقول أن العراق يسعى لتصنيع مدفع ضخم لاطلاق الأقمار طوله 172 قدما، وان العراق يبدي اهتماما باحياء مشروع HARP، الذي مضى عليه 20 عامـا، والـذي كان يتعلق بتصنيع مدفـع قوي يمكنه اطلاق أقمار صناعية وأسلحة الى المدار الأرضي المنخفض (أي لاصابة أهداف أرضية). وذكرت أن الدكتور بول هو صاحب مشروع HARP القديم، وأنه هو نفسه الذي يتعاون حاليا مع العراق لتصنيع هذا المدفع !!! أما الخبر الثاني فهو ان الجمارك البريطانية بدأت تراقب عملية شحن أجزاء المدفع قبل أسابيع من مصادرتها، مما يعني أن من قتلوا الدكتور بول قد حصلوا على وثائق ومعلومات كان الدكتور بول يحرص على اخفـائها عن الحكومة البريطانية. إذ أن الشركة البريطانية شيفيلد التي قامت بتصنيع الماسورة (الماسورة عبارة عن قطع متعددة طول كل منها 5 متر، ومن المفترض أن يتم تثبيتها ببعضها بعد وصولها الى العراق) كانت تقوم بعملية التصنيع على اساس أن هذه المواسير مطلوبة لشركة النفط العراقية !!

وبعد الضجة الاعلامية التي أثيرت في الصحف البريطانية اعتبارا من يوم 1990/4/12، أعلنت شركـة شيفيلد أنها وقعت عقـدا مع العراق يقضي بتسلـم 52 ماسورة، وأنه تم تسليم 44 منها قبل ذلك. وان الثمانية المتبقية هي تلك التي قامت الجمارك البريطانية بضبطها يوم الأربعاء 11 ابريل. ومنذ ذلك التاريخ بدأت ملاحقة كل شاحنة أو كل سفينة متجهة الى العراق للتأكد من عدم قيامها بحمل أي أصناف يحتمل أن تستخدم في انتاج هذا المدفع، أو في

انتاج أي مدفع آخر من المدافع الضخمة. فصودرت شاحنات متجهة الى العراق وهي تعبر تركيا واليونان. [13] وصودرت صناديق وهي تشحن من مطار فرانكفورت في المانيا. [14] وكانت المضبوطات في المانيا توحي بأن العراق يسعى الى تصنيع مدافع أخرى بعيار أقل (60 سنتيمتر)

وفي يوم 19 يوليو 91، اعترف العراق في الوثيقة التي سلمها الى رئيس اللجنة الأممية المكلفة بتدمير أسلحة التدمير الشامل العراقية، وولف جانج، بأنه جرب مدفعا عملاقا طوله 52.5 مترا وقطر ماسورته 350 ملليمتر. . . وأنه كان يسعى الى انتاج مدفع آخر قطر ماسورته 1000 ملليمترا. [15] وفي يوم 1991/8/12 أعلن وولف جانج رئيس البعثة الأممية أن اللجنة قامت بزيارة هذا المدفع وأخذت له العديد من الصور وجمعت عنه اكبر قدر من المعلومات تمهيدا لدراستها ومعالجتها في نيويورك (وكالة الانباء الفرنسية، صحيفة المساء الجزائرية 91/8/14).

الدفاع الجوي العراقي

ان أي دفاع جوي ايجابي يجب ان يتضمن خمسة عناصر رئيسية. العنصر الاول هو عنصر الانذار ويشمل الرادارات الأرضية والرادارات المحمولة جوا، وأقمار الاستطلاع اذا تيسر ذلك. وتقوم هذه الرادارات بتحديد مسار الطائرات المعادية وارتفاعها وسرعتها، وبالتالي الأهداف التي يحتمل أن تقوم بالاغارة عليها.

العنصر الثاني هو عنصر الدفاع المضاد للطائرات المحلي عن الأهداف الحيوية بالدولة. ويشمل ذلك المدافع المضادة للطائرات والصواريخ التي تطلق على الطائرات من منصات جوية أو بحرية أو أرضية. وهذا الدفاع المضاد للطائرات يجب ان يكون قادرا على التصدي للطائرات المغيرة، وهي على اي ارتفاع وعلى مسافة تزيد عن المسافة التي تستطيع منها الطائرة المغيرة ان تصيب أهدافها. فاذا كانت الطائرة المعادية تستطيع أن تصيب أهدافنا الأرضية بصواريخ جو أرض من مسافة 20 كيلومتر، فلا خير في أي دفاع جوي لا يستطيع اسقاط الطائرة المعادية قبل أن تدخل في المدى الذي تستطيع منه اصابة الهدف. ولذلك فاننا نقول أن الدفاع الجوي الكفء هو ذلك الدفاع

الجوي الذي يستطيع أن يصيب الهدف من الصفر الى ما لا نهاية. وارتفاع الصفـر هنا يعني الارتفاع الذي بمستوى ارتفاع الاشجار أو مستوى سطح البحـر. أما ما لا نهاية فانها تتغير باستمرار بتغير قدرات الطائرات المعادية. فكلما زادت الارتفـاعـات والمسافات التي تستطيع منها الطائرات المعادية أن تصيب أهدافنا، كلما وجب علينا تطوير دفاعنا الجوي لمقابلة هذا التهديد.

ويتكون العنصر الثالث من الطائرات المقاتلة. ان تغطية سماء الدولة بغابة كثيفة من صواريخ الدفاع الجوي يعتبر اسرافا كبيرا في الموارد والامكانيات. لذلك فان الدول تلجأ عادة الى الدفاع بالصواريخ والمدافع عن بعض المناطق والأهداف الحيوية، وتترك باقي المناطق للدفاع عنها بواسطة الطائرات المقاتلة. وهكـذا فان الـطائـرات المقـاتلة تنطلق من قواعدها بمجرد انذارها وتلقينها بالمعلومات المتيسرة ، وتعترض الطائرات المعادية وتشتبك معها في معارك جوية بقصد تدميرها قبل أن تصل الى الأماكن التي تستطيع منها أن تصيب الأهداف التي تريد أن تدمـرهـا. وهذه الطائرات يجب أن تكون ندا للطائرات المغيرة والطائرات المقاتلة التي تقوم بحراستها، سواء من ناحية نوعية الطائرة أو من ناحية التسليح والتجهيز. فليس من المعقول مثلا أن تتصدى طائرة مقاتلة طراز ميج 21 لطائـرة مغيرة من طراز F-16 ، F-15 ، لأن ذلك لن يعني فشلها في اعتراض الطائرات المغيرة فحسب، بل انه يعني أيضا احتمال اسقاطها بواسطة تلك الطائرات المعادية. ولذلك فان الطائرات المخصصة للدفاع الجوي يجب اعادة النظر باستمرار في نوعيتها وفي تسليحها وفي تجهيزاتها، للتأكد من كفاءتها ونديتها لطائرات العدو.

والعنصر الـرابع هو عنصر الحرب الالكترونية، والذي بدونه لن تستطيع العناصر الثلاثة السابقة أن تنجح في عملها. فرادارات الانذار تعمل بالاجهزة الالكـترونية، وتـوصيل المعلومـات الى الـطائرات المقاتلة يتم بواسطة أجهزة الكترونية. والصواريخ التي تطلق من الأرض أو من السطح أو من الجو ضد الطائرات المغيرة تعمل بأجهزة الكترونية. والطائرات المعادية تستخدم الاجهزة الالكترونية في الاتصال فيما بينها وبين قاعدتها، وفي اكتشاف الأهداف الارضية والبحـرية واصابتها. ومن هنا فان الحرب الالكترونية تعتبر ذات أهمية بالغة بالنسبة للطرفين. فمن ناحيتنا فاننا نريد أن نشوش على الاجهزة الالكترونية

المعادية ونخدعها، ونريد في نفس الوقت أن نمنعه من التشويش على اجهزتنا الالكترونية وخداعها. أما العدو فهو يحاول أن يفعل نفس الشيء ضد قواتنا. فاذا كنا لا نملك هذه الامكانيات الالكترونية والامكانيات الالكترونية المضادة، فان دفاعنا الجوي لن ينجح في تحقيق أهدافه.

ولكي تنجح هذه العناصر الأربعة في تحقيق اهدافها فانه يتحتم أن يكون هناك قيادة مدربة قادرة على التنسيق بين جميع هذه العناصر الأربعة. فهذه القيادة هي التي تتلقى المعلومات من الأقمار الصناعية وهي التي تقوم بابلاغ طائراتنا عن المعلومات المتيسرة عن العدو وتصدر لها الأوامر بالاعتراض. وهي التي تقوم بتقييد نيران المدافع والصواريخ المضادة للطائرات التابعة لنا عندما تطير طائراتنا فوق اجوائها. وهي التي تقوم بتوجيه طائراتنا وهي في الجو وامدادها بأحدث المعلومات. ويتم كل ذلك خلال دقائق. فاذا لم تتوفر هذه القيادة المدربة، اختلط الحابل بالنابل. فقد تشتبك طائراتنا مع بعضها البعض ظنا منها أنها طائرات معادية. وقد تشتبك صواريخنا ومدافعنا المضادة للطائرات مع طائراتنا وتسقط بعضها ظنا منها أنها طائرات معادية، وحيث أن عمل هذه القيادة يجب أن يتسم بالسرعة والدقة التي قد تعجز الامكانيات البشرية عن ملاحقتها، فان الاتجاه الحديث قد أخذ يتجه الى تكليف العقول الالكترونية بجزء كبير من عمل هذه القيادة. وفي أمريكا ودول المعسكر الغربي يستخدمون لذلك الطائرة الأواكس E-3A . وفي الاتحاد السوفيتي يستخدمون طائرة IL-76 مجهزة بالمعدات اللازمة للانذار والسيطرة الاسم الكودي لها Mainstay (16)

ان الدفاع الجوي هو عملية باهظة التكاليف، ولكنه لا يحتمل أنصاف الحلول. فاما ان يكون هناك دفاع جوي متكامل ودائم التطور، بحيث يستطيع أن يتمشى مع تطور القوات الجوية المعادية، واما أن توفر الدولة أموالها ومجهوداتها وتبني سياستها الخارجية وعلاقاتها الدولية على أساس أنه ليس لديها دفاع جوي. انه من الغباء والاسفاف أن تنفق مئات الملايين على دفاع جوي يستطيع العدو أن يدمره دون أن يخسر طائرة واحدة.. ودون أن تكون هناك فرصة لرجال الدفاع الجوي أن يطلقوا مقذوفا واحدا، أو ان يطلقوا ما شاء لهم أن يطلقوه دون أن يسقطوا طائرة معادية واحدة. (17)

وحيث أنه من المستحيل أن ينجح أي دفاع جوي جيد في اسقاط كل طائرة أو هدف جوي يخترق الفضاء الجوي للدولة بنسبة 100٪ . . . فانه من الضروري أن يستكمل هذا الدفاع الجوي الايجابي بدفاع جوي سلبي. ويشمل هذا الدفاع الجوي السلبي إنشاء ملاجىء واقية لحماية الطائرات وجميع الاهداف الحربية والصناعية والاستراتيجية، والتجمعات البشرية، بقدر ما تسمح به امكانيات الدولة من جهد ومال. . . حتى يمكن تلافي الخسائر التي يمكن أن تحدث نتيجة هجوم معادي مفاجىء، أو نتيجة نجاح أحد الأهداف الجوية المعادية في اختراق وسائل الدفاع الجوي للدولة.

والسؤال الذي يفرض نفسه على ضوء هذه المعطيات هو «هل الدفاع الجوي العراقي كان في المستوى الذي يسمح له بالتصدي لأي هجوم جوي تقوم به القوات الجوية الامريكية والدول المتحالفة معها؟». كانت البيانات العلمية والفنية المعلنة تؤكد عدم قدرة الدفاع الجوي العراقي للتصدي للهجوم الجوي. ولكن جميع التقارير التي كانت تصدر من بغداد ومن واشنطن قبل بدء العمليات كانت تؤكد أن ثمن انتصار القوات الجوية لدول التحالف سوف يكون باهظا.

الرادارات المحمولة جواً

لم يعرف أن العراق يملك أقمارا صناعية للتجسس والانذار، ولكن هذه الحقيقة لا تعني الكثير حيث انه لا يوجد في العالم سوى الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي اللتان تمتلكان تلك الاقمار. ولكن العراق كان يملك قبل اندلاع الحرب الرادارات الأرضية والرادارات المحمولة جوا. وقد كشف النقاب لأول مرة عن امتلاك العراق لطائرة انذار مبكر تم تصنيعها محليا، أثناء المعرض الدولي للتصنيع العسكري الذي أقيم في العراق في شهر مايو 1989. وفي تعليق له عن هذه الطائرة، قال اللواء حسين كامل حسن وزير الصناعة والتصنيع العسكري ما يلي «لقد طورنا هذه الطائرة التي تعتبر متقدمة جدا بالمقارنة مع الطائرات المماثلة المنتجة في بعض البلدان» وقد اطلق على هذه الطائرة اسم بغداد ـ 1 [18]

وتصف مجلة جينس الاسبوعية Janes Defence Weekly هذه الطائرة فتقول «انها هي نفس طائرة النقل السوفيتية IL-76، بعد تحويلها الى طائرة انذار مبكر

(طـائـرة AWACS الامريكية هي نفس طائرة النقل الامريكية Boeing 707 بعد تجهيزها بالاجهزة اللازمة). وقد جهز العراق هذه الطائرة بجهاز رادار فرنسي طراز Thomson-CSF Tiger ، يجري انتاجه محليا في العراق. . . وتستطيع هذه الطائرة اكتشاف الاهداف الجوية حتى 350 كيلومتر. ولكنها لا تستطيع كشف الاهداف التي تقع في حدود 360 درجة كما هو الحال بالنسبة للطائرة AWACS الامريكية، وكما هو الحال بالنسبة للطائرة Candid السوفيتية. . ويقول العراقيون أنها تستطيع كشف الاهداف في قطاع اكثر من 180 درجة. ويقوم بتشغيل هذا الرادار المحمول جوا 4 أفراد. وفي 2 يناير 1991 ، أعلن العراق أنه أنتج رادارا محمـولا جوا أكثر تطورا من طائرة الأواكس الامريكية، وانه تم اختبار هذا الرادار بنجاح في 15 ديسمبر 1990 . واعطى لهذا الرادار اسم عدنان ـ 2 .

الصواريخ المضادة للطائرات

ان اسقاط الطائرة المعادية بالصواريخ المضادة للطائرات هو عملية أسهل بكثـير من إسقـاط الصـواريخ التي تطلق من منصـات جوية أو بحـرية أو أرضية. . . حيث أن الصواريخ تكون عادة أصغر حجما من الطائرة وبالتالي يكـون اكتشـافهـا بالرادارات أصعب من اكتشاف الطائرات. كما أن سرعة الصواريخ تكون عادة اكثر من سرعة الطائرات وبالتالي فان اسقاطها يكون اكثر صعوبة من اسقاط الطائرات. وعلاوة على هذا وذاك فان الطائرة تحتاج الى مطار أو حاملة طائرات تنطلق منها، أما الصاروخ فانه يمكن ان ينطلق من فوق مركبـة متحـركـة، أو من فوق، قارب صغير سريع، أو من طائـرة هيليوكوبتر، وبالتالي فانه يستطيع أن يقترب كثيرا من الاهداف التي يوجه اليها لتدميرها، فلا يترك لوسائل الدفاع الجوي المعادية الا دقائق محدودة لاكتشافه والتصدي له وتدميره قبل أن يصل الى هدفه. ونتيجة لكل ذلك فان من يملك القدرات الفنية لاسقاط الصواريخ المعادية، يكون من السهل عليه قطعا أن يسقط الطائرات المعادية. وهذا هو ما أكدته وسائل الاعلام العراقية في نوفمبر 1988 .

في 1988/11/30 ، أذاعت وكالة الأنباء العراقية، أن العراق قد نجح في تصنيع صاروخ مضـاد للصـواريخ. وقـد نقل التليفزيون العراقي فيلما عن

التجربة التي قيل أنها أجريت يوم 88/11/19 . وكان الفيلم يوضح عملية اطلاق صاروخ أرض أرض، ثم عملية اطلاق صاروخ أرض جو، ثم عملية انفجار الصاروخين في الجو. وقد أطلق على الصاروخ المضاد للصواريخ اسم فاو ـ 1 . وإذاعة الخبر بهذه الصورة يمكن أن تفتن غير المتخصصين. الا انني كنت أتشكك في مصداقية هذا الخبر نظرا لعلمي بما يتطلبه ذلك من امكانيات فنية متقدمة جدا، فعلقت على هذا الخبر بما اعتقدت انه يمكن أن يكون نصيحة وتذكرة للقيادة السياسية والعسكرية في العراق، بما يجب ان يضعوه في الحسبان. وجاء في هذا التعليق ما يلي «ونحن اذ نهنىء العراق على هذا الانجاز الضخم، فاننا نتمنى ان يستكمل العراق بحوثه من أجل التوصل الى نظام متكامل يسمح للمسؤولين عن الدفاع الجوي بالعراق، باكتشاف الصواريخ المعادية فور اطلاقها، واصدار الأوامر بتدميرها وهي في الجو، واطلاق الصواريخ فاو ـ 1 ، وتدمير الصواريخ المعادية وهي في الجو وعلى مسافة 30 كيلومتر على الأقل من الاهداف العراقية التي كانت تتجه اليها. وأن يتم كل ذلك خلال فترة لا تزيد عن 10 دقائق ليلا أو نهارا. فالوقت هو المشكلة الرئيسية في هذه العملية. وقد يقودنا ذلك الى حتمية إطلاق قمر صناعي عراقي يكلف بمراقبة قواعد الصواريخ المعادية والتبليغ الفوري عن البيانات التي يحتاج اليها رجال الدفاع الجوي العراقي. وتشمل هذه البيانات وقت ومكان الاطلاق، وخط الطيران، والاهداف التي تتجه اليها. والى ان يتم ذلك، فان تدمير الصواريخ المعادية في الوقت المناسب ستبقى مشكلة يجب بذل الجهود لحلها» [19].

وكان العراق عند بداية الحرب يملك حوالي 700 صاروخ سام متوسط وبعيد المدى، بيانها كما يلي:

160	سام ـ 2 (سوفيتي الصنع ـ ثابت)
140	سام ـ 3 (سوفيتي الصنع ـ ثابت)
300	سام ـ 9/8/6 (سوفيتي الصنع ـ متحرك)
100	سام طراز Roland (دولي ـ متحرك ـ المدى 16 كيلومتر).

وبالاضافة للصواريخ المضادة للطائرات كان لدى العراق حوالي 4000 مدفع مضاد للطائرات متعددة الاعيرة تتراوح ما بين 23 ملليمتر ذو المواسير الأربعة، وحتى المدفع 130 ملليمتر.

القوات الجوية العراقية

اكتسبت القوات الجوية العراقية سمعة كبيرة خلال الحرب العراقية الايرانية التي امتدت من 1980/9/22 حتى 1988/8/19. ولكنْ الكثيرون من المحللين العسكريين كانوا يقللون من قدرة القوات الجوية العراقية على أساس أن إيران لم تكن تملك أي دفاع جوي بالمعنى الحديث. . . وبالتالي فان الحرب الجـوية بين العراق وايران كانت تكاد تكون من جانب واحد. ولكن نجاح القوات الجوية العراقية، في ضرب المدمرة الامريكية Stark دفع هؤلاء المحللين الى مراجعة أنفسهم في تقييمهم للقوات الجوية العراقية. ففي يوم 17 مايو 1987، قامت طائـرة عراقية بالهجوم على هذه المدمرة الأمريكية، وأطلقت عليها صاروخين من طراز اكسوسيت Exocet بينما كانت تحت الأفق وعلى مسافة تزيد عن 100 كيلومتر. وقد نتج عن هذا الهجوم قتل 37، وجرح 21 من البحـارة، كما أصيبت المـدمـرة بأضرار بليغة. وقد حدث كل ذلك دون أن تتمكن المدمرة الامريكية من اطلاق صواريخها سواء ضد الطائرة المهاجمة أو ضد الصـواريخ اكسـوسيت أثنـاء اقترابها من المدمرة الأمريكية. نعم لقد قامت الطائرة العراقية بمهاجمة المدمرة الأمريكية بطريق الخطأ [20] ولكن ما يهمنا هو أن الصـاروخ جو بحر العراقي نجح في اختراق الدفاع الجوي الامريكي، وأصاب الهدف الذي وجه اليه بدقة كبيرة.

وقـد أدخـل العـراق العـديد من التعديلات على الـطائـرات السوفيتية والفـرنسية، لكي يزيد من كفاءتها. وكان من أهم هذه التعديلات، تحويل بعض الطائرات IL-76، الى طائرات امداد بالوقود، وتجهيز طائرات الميج 23 بالمعدات التي تسمح لها بالتزود بالوقود من طائرات الامداد بالوقود في الجو، وبذلك ضاعف من مدى طائرات الميج 23. كما قام بتحويل بعض الطائرات IL-76 الى طائرات للانذار المبكر.

ومن بين الصـواريخ جو أرض التي تستخـدمها القوات الجوية العراقية، الصـواريخ AS-14 (الاسم الكودي Kedge) الذي يتم توجيهه بالليزر وتطلق

هذه الصواريخ من طائرات SU-24 ، SU-25 السوفيتية الصنع . وبالاضافة الى ذلـك فقد قام العراقيون بتجهيز طائراتهم من طراز F1EQ-5 الفرنسية الصنع بصواريخ Kedge . ومدى هذه الصواريخ هو 6 ـ 8 كيلومتر إذا استخدمت أجهـزة الاضـاءة السـوفيتية . أمـا إذا استخـدمت أجهـزة الاضاءة الفرنسية ATLAS ، فان المدى يصل إلى 12 ـ 15 كيلومتر. [21]

وبالاضافة الى صواريخ Kedge المستوردة من الاتحاد السوفيتي ، أعلن العراق بأنـه نجـح في انتـاج القنبلة صقـر التي تتجه الى الاهداف التي ينبعث منها اشعاعات تحت الحمراء Infrared radiation وأن هذه القنبلة مداها 000 8 متر بشرط ألا تزيد زاوية الاندفاع الى الهدف عن 25 درجة . كما أعلن في نفس الـوقت بأنـه يجري البحـوث لانتـاج قنابل يتم توجيهها بواسطة التليفزيون والليزر. [22]

عند بدء القتال كان قوام القوات الجوية العراقية 000 40 ضابط وجندي . وكان لديها 1050 طائرة منها 665 طائرة قتال، 48 طائرة نقل، 337 طائرة تدريب. وكانت تنتشر في 30 قاعدة عسكرية رئيسية، 30 مطار ثانوي . وكان بيان طائرات القتال كما يلي :

16 قاذفة : 8 طـراز TU-22 ، 4 طـراز TU-16 ، 4 طـراز Ch H-6D

360 طائرة هجوم أرضي : 30 طراز Ch J-6 ، 90 طراز MIG-23 ، 64 طراز 200 / Mirage EQ5 ، 30 طراز SU-7 ، 70 طراز SU-20 ، 16 طـراز SU-24 ، 60 طراز SU-25 .

275 طائرة مقاتلة للدفاع الجوي : 40 طراز Ch J-7 ، 150 طراز MIG-21 ، 25 طراز MIG-25 ، 30 طراز Mirage F-1EQ ، 30 طـراز MIG-29

12 طائرة استطلاع : 5 طراز ميج 21 ، 7 طراز MIG-25

2 طائرة انذار مبكر طراز عدنان .

ومـا يهمنـا هنا هو أن الطائرات المقاتلة يبلغ عددها الاجمالي 275 . واذا استبعـدنـا الـطائرات القديمة من طراز Ch J-7 ، طراز MIG-21 ، فان العدد يتقلص الى 85 طائرة. وهذه الطائرات الخمسة والثمانون هي طائرات الخط الأول التي من المفترض أن تتصدى لأي هجوم جوي يقوم به العدو. وتستخدم

هذه الطائرات الصواريخ جو جو السوفيتية AA-2 ، AA-6 ، AA-7 ، AA-8 ، والصواريخ جو جو الفرنسية R-530 ، R-550 .

والصاروخ AA-2 (الاسم الكودي ATOLL) يتم توجيهه بالأشعة تحت الحمراء، والمدى 15 كيلومتر، وهو يماثل الى حد كبير الصاروخ الامريكي Sidewinder . والصاروخ AA-6 (الاسم الكودي Acrid)، تستخدمه الطائرات MIG-25 ، ويتم توجيهه بالرادار وبالاشعة تحت الحمراء، والمدى 37 كيلومتر. والصاروخ AA-7 (الاسم الكودي Apex)، تستخدمه الطائرات ميج 25، ميج 23 المقاتلة Flogger ، الميج 21 ، ويتم توجيهه بالرادار والاشعة تحت الحمراء، والمدى 35 كيلومتر، ويتشابه الى حد ما مع الصاروخ الامريكي Sparrow . والصاروخ AA-8 (الاسم الكودي APHID) ويعمل بالرادار والأشعة تحت الحمراء، والمدى 8 كيلومتر. ويستخدم في القتال المتلاحم ويستخدم بواسطة معظم الطائرات السوفيتية، ويحل حاليا محل الصاروخ AA-2 .

والصاروخ الفرنسي R-530 ، يمكن توجيهه بالرادار السلبي Semi active ، أو بالاشعة تحت الحمراء، ومداه 8 كيلومتر. ويعمل في كل الأجواء. والصاروخ R-550 (Magic) ويستخدم في القتال المتلاحم مابين 500 متر وحتى 6000 متر، ويتم توجيهه بالاشعة تحت الحمراء، والمدى 10 كيلومتر.

القوات البحرية العراقية

العراق يطل على الخليج العربي الفارسي من خلال خط ساحلي قصير لا يتجاوز طوله 50 كيلومتر. وينحصر هذا الساحل بين إيران في الشرق والكويت في الغرب. وعلى هذا الساحل القصير يملك العراق ميناء بحريا صغيرا عند الفاو في مدخل شط العرب، أما الميناء الرئيسي العراقي، فيقع في أقصى الطرف الغربي لهذا الشريط الساحلي، وملاصقا للحدود الكويتية العراقية عند مدينة أم قصر. ولكي تصل السفن الى ميناء أم قصر، فانه يتحتم عليها أن تمر من خلال مضيق يفصل بين الأراضي العراقية في الشمال وجزيرة بوبيان الكويتية في الجنوب. وأقصى اتساع لهذا المضيق هو 25 كيلومتر عند مدخله في الناحية الشرقية، ثم يضيق شيئا فشيئا كلما اتجه غربا حتى يصل الى حوالي 3 كيلومتر فقط بعد 35 كيلومتر، ويستمر على هذا الحال من الضيق الى ان يصل الى ميناء

أم قصر بعد حوالي 15 كيلومتر أخرى. وهذا يعني أن الممر الملاحي عبر هذا المضيق يقع تحت نظر وسيطرة الأراضي الكويتية.[23]

وحتى لو افترضنا وجود علاقات طيبة دائمة بين العراق والكويت... وحتى لو افترضنا أن الكويت أصبحت جزءا من العراق سواء بالضم أو بالدخول في وحدة اندماجية، فان ميناء أم قصر، يبقى منعدم أو قليل الأهمية من الناحية الاستراتيجية. حيث أنه يطل على بحر مغلق وضيق، يمكن التحكم فيه واغلاقه في وجه الملاحة العراقية. ففي أقصى الجنوب وعلى مسافة 990 كيلومتر من الميناء العراقي يوجد مدخل الخليج عند مضيق هورمز الذي تتحكم فيه إيران من الشرق، وتتحكم فيه سلطنة عمان من الغرب. ورغم أن مضيق هورمز عرضه 56 كيلومتر، الا أنه غير صالح للملاحة بالنسبة للسفن المتوسطة والكبيرة إلا في قطاع لا يزيد عرضه عن 20 كيلومتر. وبالاضافة الى امكانية إغلاق المضيق عند خليج هورمز، فان ضيق الخليج (أقصى اتساع له هو 338 كيلومتر)، وضحالة مياهه (يتراوح عمقه على الساحل الغربي للخليج بين 15 ـ 50 متر) تفرض على الخطوط الملاحية أن تمر من خلال أماكن معينة ومعروفة، مما يجعل التعرض للسفن الملاحية التي تمر خلال الخليج أمرا سهلا وميسورا. وبالتالي فان من يسيطر على المناطق الساحلية لهذا الخليج، فانه يستطيع ان يبني القواعد الجوية والبحرية التي يمكن أن تنطلق منها الطائرات والقطع البحرية التي تعترض السفن التي تمر خلال هذا الخليج.

ولهذه الأسباب، فان القوات البحرية كانت في الأسبقية الرابعة من حيث اهتمام القيادة العراقية ببناء القوات المسلحة. وفي اغسطس 1990، كان قوام القوات البحرية العراقية 5000 رجل، وكان لديها 20 قطعة حربية صغيرة (6 كورفيت + 8 قارب صواريخ، 6 قارب طوربيد) بالاضافة الى 15 قطعة أخرى مساعدة (6 لبث الألغام، 2 لكسح الالغام، 6 للابرار البحري، 1 للتموين). ولذلك فان القوات البحرية العراقية كانت تعتبر أضعف الأسلحة الرئيسية. ولا تخرج عن كونها قوة دفاعية ساحلية متحركة، بالاضافة الى امكانية تكليفها ببعض المهام الخاصة في الجزء الشمالي من الخليج وعلى مسافات ليست بعيدة عن الساحل العراقي. وفي ظل كل هذه الظروف، فمن الطبيعي أن

يصبح الحصار البحري هو أمضى سلاح يمكن أن يوجه الى العراق في حالة اندلاع الحرب. ولكي يواجه هذا التهديد، فقد لجأ العراق الى استراتيجية الردع وذلك بامتلاكه قوات برية وجوية تتفوق تفوقا كبيرا على مثيلاتها في الدول المجاورة له. وبواسطة تلك القوات البرية والجوية، فان العراق يستطيع أن يحتل أراضي تلك الدول كليا أو جزئيا، اذا هي لجأت الى سلاح الحصار البحري ضده.

القوات البرية العراقية

العراق دولة برية بكل ما في الكلمة من معنى. فسواحله كما سبق أن قلنا لا يتجاوز طولها 50 كيلومتر تطل جميعها على مضايق تتحكم فيها دول اخرى. ولذلك كان من الطبيعي أن يعطي العراق أهمية كبرى لقواته البرية. وفي خلال الحرب العراقية الايرانية التي امتدت ثمان سنوات استطاع العراق أن يحقق تقدما كبيرا في بناء قواته البرية. وعندما تقرر وقف اطلاق النار بين العراق وايران في أغسطس 1988، كانت القوات البرية العراقية قد أصبحت رابع اكبر قوات برية في العالم من حيث الحجم، بعد الصين والاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة. هذا وأود ألا يقع القارىء في خطأ الخلط بين الترتيب من حيث الحجم والترتيب من حيث كفاءة المعدات والكفاءة القتالية. فعلى سبيل المثال فان القوات البرية الصينية تعدادها 000 300 2. وهي في الترتيب الأول من حيث الحجم. بينما القوات البرية الامريكية اذا أضفنا اليها قوات المارينز (مشاة الاسطول) فان حجمها يصل الى 000 974 فقط وتكون في الترتيب الثالث. ولكن اذا أجرينا الترتيب على أساس القدرات القتالية (التي يدخل في اطارها الأسلحة والمعدات الحديثة) فان الصين تتراجع كثيرا وتصبح بعد الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وكثير من الدول الاخرى.

اما اذا أجرينا الترتيب بين دول العالم الثالث، فمن المؤكد أن القوات البرية العراقية كانت تقف في الترتيب الأول بين جميع دول العالم الثالث من حيث الحجم ومن حيث حجم ونوعية الأسلحة والمعدات التي كانت تمتلكها حتى أغسطس 1990. فحتى هذا التاريخ كانت القوات البرية العراقية قوامها 000 955 رجل، مشكلة في 6 فرقة مدرعة، 7 فرقة ميكانيكية، 42 فرقة مشاة، 20 لواء من القوات الخاصة. وكان مع تلك القوات 5500 دبابة،

1500 مركبة قانصة للدبابات من طراز BMP ، 8600 عربة مدرعة، 3700 قطعة مدفعية ميدانية (3000 مدفع مجرور + 500 مدفع ذاتي الحركة + 200 راجمات الصواريخ)، 4000 مدفع مضاد للطائرات، 159 طائرة هيليوكوبتر مسلحة، بالاضافة الى المنصات المخصصة لاطلاق الصواريخ أرض أرض من طراز الحسين والعباس، 700 منصة لاطلاق الصواريخ أرض جو.

الحرب الالكترونية

لقد كان الانتاج الحربي الذي قام العراق بعرضه في المعرض الدولي الذي أقيم في العراق خلال مايو 1989 ، يشهد بمدى التقدم التكنولوجي الذي حققه العراق في مجال الحرب الالكترونية. فبالاضافة الى صواريخ الحسين والعباس والفاو، كانت هناك طائرة الانذار المبكر عدنان، طائرات الامداد بالوقود في الجو. ثم جاء بعد ذلك اطلاق الصاروخ العابد في 89/12/5 . وجميع هذه الأسلحة تعتمد في تشغيلها على أجهزة الكترونية متطورة، مما يوحي بأن العراق قد حقق تقدما كبيرا في مجال الحرب الالكترونية.

وفي 9 مايو 1990 ، خرج علينا صدام حسين بمفاجأة كبرى عندما أعلن بأن العراق قام بتصنيع أجهزة Krytron محليا. وأمام كاميرات التليفزيون التي كانت تنقل هذا المشهد الى جميع انحاء العالم أمسك صدام حسين بجهاز Krytron بيده اليمنى، وأمسك بيده اليسرى جهازا آخر يشبهه تماما. وقال هذا أمريكي الصنع وهذا عراقي الصنع. فمن يستطيع منكم أن يفرق بين الاثنين ؟ فاذا افترضنا صحة ما قاله صدام حسين، فان ذلك كان يعني أن التقدم التكنولوجي بصفة عامة، وفي الحرب الالكترونية بصفة خاصة قد بلغ شأنا كبيرا، وحقق في هذا المضمار أكثر مما كان يتصوره اكثر الناس تفاؤلا.

الانتاج الحربي العراقي

وبالاضافة الى ما احرزه العراق من تقدم في مجال انتاج الصواريخ أرض أرض التي يتروح مداها ما بين 300 ـ 2000 كيلومتر. والى ما حققه في مجال ادخال التحسينات والتعديلات على الطائرات التي استوردها من الشرق والغرب، فان العراق أظهر خلال المعرض الذي أقامه في مايو 1989 ، الأصناف الرئيسية التالية التي أنتجها محليا. [24]

1 ـ عرض الدبابة السوفيتية طراز T-55 ، بعد أن استبدل مدفعها الاصلي عيار 100 ملليمتر، بمدفع 125 ملليمتر، مع تجهيز الدبابة بوسائل تعمير أوتوماتيكية.

2 ـ المدفع مجنون وهو مدفع 155 ملليمتر ذاتي الحركة. ويزن 43 طن ومداه 38 كيلومتر. ووزن الدانة 45 كيلوجرام.

3 ـ المدفع الفاو وهو مدفع 210 ملليمتر ذاتي الحركة. ويزن 48 طن ومداه 57 كيلومتر. ووزن الدانة 45 كيلوجرام.[25]

4 ـ تحميل الهاون 120 ملليمتر على مركبة بحيث أصبح هذا الهاون ذاتي الحركة.

5 ـ انتاج الهاوتزر عيار 122 ملليمتر (الاسم صدام). وهو صورة طبق الاصل من المدفع السوفيتي D-30.

6 ـ زيادة تدريع المركبة السوفيتية BMP-1، بحيث لا يمكن اختراق درعها بواسطة طلقات الرشاشات الثقيلة من عيار 12.7 ملليمتر، عيار 14.5 ملليمتر.

7 ـ تعديل بعض الصواريخ السوفيتية من طراز SAM-3، الى صواريخ أرض أرض، واطلق عليها اسم البرق.

8 ـ تجهيز الصاروخ أرض أرض السوفيتي من طراز FROG-7، برأس حربي يحمل القنابل العنقودية Cluster bombs التي تم انتاجها محليا.

التوازن في القوات المسلحة العراقية

تعتمد الحرب التقليدية على أربعة عناصر رئيسية وهي: القوات البرية، القوات الجوية، الدفاع الجوي، القوات البحرية. والمعركة المشتركة هي تلك المعركة التي تشترك فيها جميع تلك العناصر. والنصر في أي حرب تقليدية لا يمكن أن يتحقق الا باشتراك جميع الأسلحة المشتركة، وان اختلفت نسبة الدور الذي يلعبه كل سلاح في تلك المعركة المشتركة... وذلك طبقا لمسرح العمليات، وطبقا لطبيعة تسليح كل طرف من الأطراف المتصارعة. ولذلك فان السؤال الأول الذي يتحتم على القيادة السياسية والقيادة العسكرية أن

تجيب عليه هو: كيف يمكن أن تحقق التوازن بين الأسلحة الرئيسية للقوات المسلحة. ولا توجد إجابة سهلة وجاهزة لهذا السؤال. . إذ أن الاجابة الصحيحة تختلف باختلاف الظروف في كل دولة. والعوامل الرئيسية التي يجب دراستها قبل اتخاذ القرار الخاص بهذه المشكلة هي:

العدو المحتمل وقدراته الحربية.
امكانيات الدولة الاقتصادية
الامكانيات الفنية والتكنولوجية
القوى البشرية.

العدو: من هو العدو المحتمل؟ هو السؤال الأول الذي يجب على القيادة السياسية ومخططي الاستراتيجية في الدولة أن يجيبوا عليه بوضوح تام. وبعد الاجابة على هذا السؤال يجب دراسة امكانيات هذا العدو الاقتصادية والبشرية والصناعية والاجتماعية وأهدافه السياسية والاستراتيجية، والتحالفات الاقليمية وغير الاقليمية التي يرتبط بها. وهذه الدراسة يجب أن توصلنا الى معرفة وتقييم القدرات الحربية لهذا العدو تقييما دقيقا. ويمكن أن يتحقق لنا ذلك إذا توصلنا الى اجابات صحيحة عن الأسئلة التالية:

أ - ما هي القدرات القتالية لقواته المسلحة اليوم؟ وما سوف تكون عليه في المستقبل المنظور (عشر سنوات على الأقل)

ب - ما هي الأهداف السياسية والاستراتيجية لهذا العدو؟ وما هي درجة قناعة شعبه واستعداده للتضحية من أجل تحقيق هذه الأهداف؟

جـ - ما هي القدرات القتالية للدول التي يتحالف معها هذا العدو؟ وما هو حجم الدعم الحالي الذي يتلقاه هذا العدو من حلفائه (سواء كان على شكل قواعد حربية، أو مساعدات مالية. الخ)؟ وما هو الحجم الذي ينتظر أن يصل اليه هذا الدعم اذا ما اندلعت الحرب.

قواتنا: وعلى ضوء المعلومات التي نتوصل اليها عن العدو، يبدأ التفكير في اعداد القوة التي تستطيع أن تتصدى لهذا العدو، عملا بقوله تعالى «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم. وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم

وأنتم لا تظلمــون»[26]. واذا كانت هذه الآية الكــريمــة قد أشــارت الى الخيل فلأن الخيل كانت هي المظهر الرئيسي للقوة وقت نزول القرآن، ولم يكن أحد من أهل هذا العصر يستطيع أن يتصور حربا تشترك فيها الطائرات والدبابات والأقمار الصنــاعية الــخ. وان عظمـة القــرآن تبدو في اختيار الألفاظ والكلمات التي تتنـاسب مع كل عصر وكـل مكــان. ولــذلك فقد استخدم القرآن تعبير ما استطعتم من قوة. وهذا يعني القوة بجميع عناصرها... ثم النص بعد ذلك على أن هذه القوة يجب أن تلقي الرعب والرهبة في نفوس العدو، يعني أن هذه القوة لابد وأن تتميز بالحجم والنوعية التي تكفل تحقيق هذا الهدف. وهذا لا يمكن أن يتحقق اليوم الا بالنوعيات الحديثة من الطائرات والدبابات والأقمار الصنـاعية والقنـابـل النـووية والصواريخ والأجهزة الالكترونية، وغيرها من الأسلحة الحديثة.

ميزانية الدفاع: كم من الأموال تستطيع الدولة أن تخصصها سنويا لشئون الــدفاع؟ ان ميزانية الدفاع في أي دولة هي أحد المؤشرات الهامة عن مدى اهتمام الدولة بقواتها المسلحة. وهناك وسائل متعددة لقياس ذلك. فمن الممكن أن يكون القياس على أساس نسبة الانفاق العسكري الى الدخل القومي. ومن لممكن أن يتم على أساس نسبة الانفاق العسكري الى جميع الموارد الاقتصادية للدولة (يدخل ضمن ذلك المساعدات العسكرية والاقتصادية والقروض التي تحصل عليها الدولة). ومن الممكن أن يتم على أساس نسبة الانفاق العسكري للانفـاق الحكـومي. ولا شك أن تقييم أعباء الدفاع على اساس نسبتها الى الـدخـل القـومي للدولة هو المؤشر الحقيقي لمدى التضحيات التي يتحملها الشعب في سبيل بناء قواته المسلحة ورفع كفاءتها القتالية.

ومع ذلك فيجب الا نقع فريسة تصور خاطىء، وهو أنه كلما زادت ميزانية القوات المسلحة ازدادت كفاءتها القتالية. حيث أن ميزانية الدفاع هي مجرد عامل من عوامل متعددة. كما وأن توفر المال شيء وترشيد الانفاق العسكري شيء آخـر. فهنـاك أبواب متعددة لانفاق ميزانية الدفاع يمكن أجمالها في: الأجور، المأكل والملبس والعلاج الطبي والخدمات، القواعد والتحصينات، الأسلحة والمعدات، صيانة الأسلحة والمعدات، الوقود. وحيث أن الأسلحة والمعـدات المتطورة هي أحد العناصر الرئيسية لرفع الكفاءة القتالية للقوات

المسلحة، فان زيادة ما يخصص لشراء أسلحة ومعدات جديدة، وما يخصص لصيانة وتطوير الأسلحة والمعدات القديمة، ونسبة ذلك الى اجمالي ميزانية الدفاع هو الخطوة الأولى نحو ترشيد الانفاق العسكري. [27]

ولكن مرة أخرى نقول أن تخصيص نسبة معقولة من ميزانية الدفاع لشراء أسلحة جديدة ومعدات جديدة شيء، وشراء السلاح المناسب شيء آخر. إن كشف الأسلحة والمعدات الحربية يشمل آلاف الأصناف. فهذا الكشف يشمل طائرات القتال الحديثة المجهزة بأحدث المعدات والأجهزة الالكترونية، كما يشمل طائرات النقل المجهزة كصالونات لتكون في خدمة الملوك والرؤساء وكبار الشخصيات [28] وهي تشمل الصواريخ الموجهة المجهزة برؤوس نووية، كما تشمل المدافع والدبابات القديمة التي لم تعد تصلح للقتال في المعارك الحديثة.

وعلى ضوء ما سبق، فلكي نعرف مدى الجهود التي تبذلها الدولة في بناء وتقوية قواتها المسلحة فانه يلزمنا أن نعرف أولا، ما هي ميزانية الدفاع ونسبة هذه الميزانية الى الدخل القومي. ثانيا، كيف يتم توزيع هذه الميزانية على الأبواب المختلفة بصفة عامة، وعلى شراء أو تصنيع أسلحة جديدة ومتطورة بصفة خاصة. ثالثا، هل يتم شراء الأسلحة المناسبة طبقا لمتطلبات الدفاع عن الوطن، أم أن السلاح يتم الحصول عليه بطريقة عشوائية؟ [29]

ولعل أوضح مثال لاظهار ترشيد الانفاق العسكري وعدم ترشيده هو بحث حالة كل من اسرائيل والمملكة العربية السعودية. ففي خلال الفترة من 1974 وحتى عام 1990، أنفقت اسرائيل على قواتها المسلحة 86 مليار دولار، في حين أنفقت السعودية خلال نفس الفترة 256 مليار دولار (لا يدخل ضمن هذه الأرقام الانفاق الاضافي نتيجة اندلاع الحرب ضد العراق اعتبارا من أغسطس 1990). [30] فمع أن السعودية تنفق ثلاثة أمثال ما تنفقه اسرائيل، فان القوات الاسرائيلية تتفوق على القوات السعودية تفوقا ساحقا في جميع المجالات. وفيما يلي نسبة التفوق الاسرائيلي.

في الافراد	1:10	في العـــدد
في الطائرات	1:4	في العدد، وتفوق ساحق في النوعيـــة
في الدبابات	1:8	في العدد، وتفوق ساحق في النوعيـــة

وإذا علمنـــا أن إجمالي القـوات المسلحـة حتى أغسـطس 1990، كان 645 000 في اسرائيل، مقـابل 65 000 في السعودية، فان ذلك يعني أن متوسط تكاليف الجندي الاسرائيلي السنوية هي 7843 دولار، بينما يصل هذا الـرقم في السعـودية الى 231 674 . وهذا يعني أن السعودية تنفق على كل جنـدي من جنـودهـا أكثـر من 29 مرة عما تنفقـه اسرائيل. . . وأن الجنود السعوديين بالرغم من ذلك هم أقل تسليحا وتدريبا وكفاءة قتالية عن جنود اسرائيل !!

الامكانيات الاقتصادية : تتراوح ميزانية الدفاع في الدول الغربية ما بين 2 ـ 6٪ من الدخل القومي. وفي حالات نادرة قد تنخفض الى أقل من 1٪ كما كان الحال في اليابان بعد نهاية الحرب العالمية الثانية وحتى نهاية الثمانينات. وقد ترتفـع الى 15٪ كما هو الحـال بالنسبـة لاسرائيل. وتتوقف نسبة مخصصات الدفاع للدخل القومي في كل دولة على عوامل كثيرة، منها درجة الثراء ممثلة في متوسط دخل الفرد السنوي per capita income ، والمستوى الاجتماعي، ودرجة التهديد بواسطة قوى أجنبية، والارتباط بأحلاف تضمن الحصول على دعم عسكري من دول صديقة اذا ما تعرضت الدولة لعدوان خارجي. وفيما يلي أثمان بعض الأسلحة الأمريكية الحديثة.[31]

الطائرة F-15	1 . 46 مليون دولار
الطائرة F-16	6 . 27 مليون دولار
الطائرة FA-18	9 . 31 مليون دولار
الطائرة (Stealth) F-117 A	0 . 106 مليون دولار
طائرة الاعاقة (Prowler) EA-6B	0 . 32 مليون دولار
الصاروخ توماهوك	0 . 1 مليون دولار
بطارية باتريوت (مكونة من 8 منصات) ومع كل منصة 4 صواريخ	0 . 350 مليون دولار
جهاز الرؤية الليلية للطيار	2 . 0 مليون دولار
الدبابة M1-A1	0 . 3 مليون دولار

ومع أن الأسلحة السوفيتية تعتبر أرخص بكثير من الأسلحة الامريكية، الا انها هي الأخـرى تعتبر غالية الثمن بالنسبة للغالبية العظمى من دول العالم الثالث وعلى سبيل المثال، فان الطائرة الميج 29، التي تعتبر في مستوى الطائرة الامريكية F-16، يبيعها الاتحاد السوفيتي بـ 11 مليون دولار الى كل من الهند والعراق الخ. وهذا بالرغم من أن المسؤولين الألمان أعلنوا أن الطائرة الميج 29 تفوقت على الطائرة F-16 اثناء المناورات التدريبية وحققت اصابة قاتلة ضد تلك الطائرة من مسافة 60 كيلومتر. [32] وقد أكد المحللون الهولنديون شهادة الألمان وزادوا عليها بأن الطائرة ميج 29 هي أفضل من الطائرة F-15C في المهام التي صممت أسـاسـا من أجلها وهي تدمير الصواريخ جو جو التي يتم توجيهها بالرادار عندما تكون تلك الصواريخ المعادية خارج مرمى النظر. [33]

وهذا يعني أن الدولة الفقيرة، لا تستطيع وحدها أن تتحمل تمويل حرب حديثـة ضد دولـة غنية اذا افـترضنـا التعـادل بين الـطرفين في عناصر القوة الأخرى. . . وهذا لابد وأن يؤدي بالدول الفقيرة الى التضامن والتحالف فيما بينها من أجل تعويض النقص في امكانياتها الاقتصادية.

الامكـانيات التكنولوجية : التقدم العلمي والتكنولوجي هو المشكلة الثـانية التي تواجـه المسؤولـين عن الدفاع في دول العالم الثالث. فالأسلحة الحديثة في تطور مستمر. وما يصلح اليوم من سلاح سيصبح عديم القيمة بعد 10 سنـوات أو أكثـر. وهذا يتطلب وجود جيش من العلماء والفنيين الذين يعكفون على دراسة وتطوير أسلحة الدفاع لكي تتماشى مع تطور الأسلحة في الدول الأخرى. ويزيد من حدة هذه المشكلة أن دول العالم الثالث التي هي اكثر فقرا في الموارد الاقتصادية، هي أيضا أكثر فقرا في مجال التقدم العلمي والفني. ولكن يمكن التغلب على هذه المشكلة أيضا اذا أمكن تجميع موضوع البحوث والتطورات على مستوى أقليمي أو عقائدي. كما هو الحال بالنسبة لتجميع الموارد الاقتصادية التي أشرنا اليها سابقا.

واذا كان تجميع الامكانيات التكنولوجية، يمكن أن يخفف من حدة المشاكل المتعلقة بانتاج وتطوير الأسلحة المتطورة، فانه لا يمكن أن يقدم الحل النهائي والفوري بالنسبة لمشكلة التصنيع الحربي في دول العالم الثالث. . . حيث توجد

فجوة كبيرة بين تلك الدول وبين الدول المتقدمة في مجال الصناعة والبحوث والتطورات. ومن هنا فسوف تجد هذه الدول نفسها مضطرة الى استيراد هذه التكنولوجيا والاعتماد على المزج بين استيراد السلاح المتطور مع القيام بتصنيع الجزء الأكبر من مكوناته محليا بعد الحصول على رخصة بذلك من الدولة المنتجة لفترة زمنية. وقد تمتد هذه الفترة الى حوالي 10 ـ 20 سنة قبل أن تصبح تلك الدول قادرة على تحقيق قدر معقول من الاكتفاء الذاتي في انتاج ما تحتاج اليه من سلاح متطور. ولكن من هي تلك الدول التي لديها الاستعداد والرغبة لتصدير السلاح المتطور والخبرة التكنولوجية الى من يطلبها من دول العالم الثالث ؟!

فالسلاح المتطور ليس مجرد سلعة عادية تخضع لقانون العرض والطلب، وتباع لمن يدفع الثمن الاكبر، بل هو سلعة استراتيجية نادرة تتحكم في حركتها قوانين أخرى غير تلك القوانين التي تحكم التجارة في السلع الأخرى. وأهم هذه القوانين هو عدم استخدام هذه الاسلحة ضد مصالح الدولة البائعة.[34] وحيث أن السلاح المتطور يحتاج الى تكنولوجيا متقدمة، وامكانيات اقتصادية ضخمة، فان الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي تحتكران بيع اكثر من ثلثي مشتروات دول العالم الثالث من السلاح. ويبلغ متوسط المبيعات السنوية لتلك الدول اكثر من 30 مليار دولار سنويا، بيانها التقريبي كما يلي:

الاتحاد السوفيتي	12 758	مليون دولار
الولايات المتحدة	8600	مليون دولار
فرنسا	3590	مليون دولار
بريطانيا	1760	مليون دولار
الصين	1586	مليون دولار
دول اخرى	2000	مليون دولار

ونظرا للارتباط الوثيق بين الولايات المتحدة واسرائيل... ونظرا للقيود الشديدة التي تفرضها الولايات المتحدة على الدول التي تشتري السلاح الأمريكي بصفة عامة، فانه يمكن الجزم بأن السلاح الامريكي المتطور الذي لدى الدول العربية لا يمكن أن يستخدم ضد اسرائيل.[35]

وإذا كانت الدول المنتجة للسلاح المتطور تفرض قيودا شديدة على الدول المشترية لهذا السلاح، فانها تفرض أيضا قيودا أشد على تصدير التكنولوجيا. وحتى عندما تسمح هذه الدول لبعض الدول الصديقة بانتاج بعض أجزاء السلاح محليا، فانها تحتفظ عادة باحتكار انتاج بعض الأجزاء الهامة حتى لا تنتقل أسرار التكنولوجيا المتعلقة بتلك الاجزاء الى الدول الصديقة المشترية. حدث ذلك عندما طلبت كوريا الجنوبية من الولايات المتحدة الترخيص لها بتصنيع 72 طائرة من طراز FA-18 (Hornet) . فاشترطت أمريكا أن تقوم كوريا أولا بشراء 48 طائرة (12 تسلم كاملة التصنيع + 36 يتم تجميعها في كوريا). ثم تحصل كوريا بعد ذلك على ترخيص بانتاج ما زاد عن ذلك. ولكن الولايات المتحدة رفضت أن يشمل الترخيص قيام كوريا بانتاج رادارات الانذار، وأجزاء أخرى هامة تدخل في مكونات الطائرة.[36]

القوى البشرية: بالرغم من أن الأسلحة الحديثة تتميز بقوة تدمير عالية، ولا يحتاج تشغيلها الا لعدد محدود من الافراد. فما زالت القوى البشرية تلعب دورا هاما في تحقيق النصر. فبالاضافة الى توفير الأعداد اللازمة للقوات المسلحة، فان القوة البشرية تعمل في مجال الانتاج الزراعي والصناعي حتى توفر للقوات المسلحة ما تحتاج اليه من سلاح وعتاد... كما تعمل في قطاع الخدمات حتى توفر للمقاتلين أحسن الظروف النفسية والمعنوية.

ان قوة أي دولة لا يمكن قياسها بعدد الدبابات والطائرات التي تملكها كل دولة فحسب. فالانسان هو الذي يستخدم تلك الأسلحة، وبدونه فانها تصبح مجرد أكوام من حديد الخردة. ولكي يستخدم الانسان هذه الأسلحة بكفاءة، ولكي يكون مستعدا للتضحية بحياته في القتال ضد العدو، فانه يجب أن يشعر بالانتماء الحقيقي لبلده، وأنه يستخدم هذه الاسلحة للدفاع عن مصالح شعبه وأمنه، وليس للدفاع عن الحاكم أو عن فئة أو طائفة أو طبقة معينة في بلده. ولكي يتحقق ذلك، فانه يجب أن يكون هناك عدالة اجتماعية، وان يحصل كل فرد على نصيب عادل من ثروة بلاده تتناسب مع طاقاته وما يبذله من جهد. وأن يشارك بحرية في اتخاذ القرارات السياسية التي تؤثر على مصيره ومستقبله وأن تحترم الدولة آدميته وحريته.[37]

هل حقق العراق التوازن ؟ : وعلى ضوء ما قدمناه، يبرز السؤال التالي: هل حقق العراق التوازن بين الأفرع الرئيسية للقوات المسلحة ؟ أعني التوازن بين القوات الجوية والدفاع الجوي والقوات البرية والقوات البحرية ؟ والاجابة على هذا السؤال يجب أن تكون ذات شقين تبعا لطبيعة العدو المنتظر. فاذا افترضنا أن العدو المنتظر هو اسرائيل، أو احدى الدول المجاورة للعراق، فان العراق يكون قد حقق هذا التوازن. . . بل انه يمكن القول ان العراق يقف في مقدمة دول العالم الثالث من حيث تحقيقه للتوازن بين أسلحة القتال الرئيسية. ولا يسبقه في هذا المضمار الا اسرائيل ربيبة أمريكا، والتي تحصل من أمريكا على كل ما تريد.

فبالرغم من القيود التي تفرضها الدول المتقدمة على نقل التكنولوجيا إلى دول العالم الثالث بصفة عامة والى الدول العربية والاسلامية بصفة خاصة، استطاع العراق أن يحقق نجاحا كبيرا في جميع المجالات. فقد كان قاب قوسين أو أدنى من انتاج القنبلة النووية. . . وانتج الأسلحة الكيماوية. . وانتج الصواريخ التي تستطيع أن تضع قمرا صناعيا في الفضاء. . وأنتج أكبر مدفع في العالم. . وحصل على طائرات متطورة من الشرق والغرب. . وطور وسائل دفاعه الجوي، بما يتناسب مع قدرات الدول المحيطة به. . وطور بعض طائرات النقل السوفيتية الى طائرات للانذار المبكر والى طائرات للامداد بالوقود. وهذه الانجازات الضخمة لم يسبقه اليها اي دولة من دول العالم الثالث.

اما اذا كانت الولايات المتحدة هي العدو، فان عدم التوازن يعتبر حقيقة واضحة لا تخفي على إنسان. فالولايات المتحدة دولة عظمى لديها حوالي 6000 طائرة قتال، حوالي 3000 طائرة هيليوكوبتر مسلحة. وهي اكثر دول العالم تقدما في مجال الحرب الالكترونية. فاذا هي حشدت فقط 20٪ من امكانياتها الجوية، واستخدمت تفوقها الساحق في الحرب الالكترونية فانها تستطيع أن تشل الدفاع الجوي العراقي وتدمره تدميرا كاملا في المراحل الأولى من المعركة، ثم تستخدم قواتها الجوية في هزيمة وتدمير القوات البرية والبحرية العراقية، دونها حاجة الى استخدام قواتها البرية.

وعندما كان العراق يصر على تحديه للولايات المتحدة، رغم علمه بالتفوق الجوي الساحق الذي تتمتع به أمريكا، كنا نعتقد أن العراق لابد وأنه يملك سلاحا سريا في الدفاع الجوي سوف يظهره في الوقت المناسب. . أو أن هناك اتفاقا سريا بين العراق والاتحاد السوفيتي لتوريط أمريكا في المنطقة كما تورطت قبل ذلك في فيتنام. أو أن صدام حسين سوف يستخدم أسلحة التدمير الشامل ليجعل تحقيق الانتصار الأمريكي هدفا باهظ التكاليف من حيث الخسائر البشرية. فقد كان معروفا أن الاتحاد السوفيتي لديه امكانيات متقدمة في استخدام أشعة الليزر في الدفاع الجوي. . وذلك بشهادة من الامريكيين أنفسهم. ففي اكتوبر 1987، أعلن الجنرال الأمريكي بيوتروفسكي Piotrowski، قائد الدفاع عن الفضاء في منطقة كولورادو الأمريكية، بأن السوفيت قد طوروا استخدام الليزر في الدفاع الجوي. وأصبح في امكانهم الآن توجيه أشعة الليزر من قواعد أرضية ضد الأقمار الصناعية. وفي استطاعة هذه الأشعة الآن أن تدمر أقمار التجسس التي تدور على ارتفاع 400 ميل (حوالي 650 كيلومتر)، وأن تعطل عمل الأقمار التي تدور على ارتفاع 750 ميل (حوالي 1200 كيلومتر). ويقول الخبير الأمريكي أن الأقمار المستخدمة للاتصالات اللاسلكية والتي تدور على ارتفاع 300 22 ميل (888 35 كيلومتر) مازالت في مأمن من تلك الأشعة المدمرة، ولكنه يتوقع أن هذا الأمان سوف يتعرض للخطر في خلال 5 سنوات (أي حوالي 1992). ويقول الجنرال بيوتروفسكي Piotrowski أنه عندما قام السوفيت مؤخرا (يوم 30 سبتمبر 87) باطلاق صاروخ باليستيكي يحمل رأسا هيكلية، وسقطت هذه الرأس، على مسافة 500 ميل من جزر هاواي، فان إحدى السفن السوفيتية في المنطقة وجهت شعاع ليزر الى طائرة استطلاع امريكية كانت في المنطقة، فأصابت الطيار بعمى مؤقت. [38] وهذه المعلومات، بالاضافة الى ما كان يذيعه الاعلام العراقي عن وجود أسلحة سرية لديه سوف يفاجىء بها العدو، هي التي دفعتنا الى الاعتقاد في عام 1990، بأن الدفاع الجوي العراقي، لابد وأن لديه القدرة على التصدي بكفاءة للهجمات الجوية الأمريكية.

الفصل الثاني

قوات دول التحالف

القـــوات الأمريكيـــة

الحشـود الامريكية في الخليج

في خلال مرحلة الحرب الباردة بين الشرق والغرب، كانت الاستراتيجية الأمريكية، تعتمد على أن تكون الولايات المتحدة لديها القدرة على التصدي للاتحاد السوفيتي، في نفس الوقت الذي تخوض فيه حربا ضد عدو آخر أقل قدرة من الاتحاد السوفيتي. أو بمعنى آخر قدرة الولايات المتحدة على القتال في جبهتين. . . جبهة رئيسية ضد الاتحاد السوفيتي. . . وجبهة ثانوية ضد دولة من دول العالم الثالث. وهو ماكان الاستراتيجيون في البنتاجون يطلقون عليه استراتيجية حرب ونصف حرب One and half war strategy. كان تخطيطهم يعتمد على أنه في حالة اندلاع الحرب مع الاتحاد السوفيتي، فإن أمريكا تقوم بدعم الجبهة الأوروبية بـ 6 فرق، دون أن يؤثر ذلك على قدراتها في خوض الحرب الصغيرة الأخرى. ولكن تصرفات أمريكا في حربها ضد العراق مابين 2 أغسطس 90، وحتى 28 فبراير 1991، أظهر بوضوح خطأ هذا المفهوم الاستراتيجي.

لقد حشدت أمريكا 527 000 ضابطاً وجندياً في منطقة الخليج. وكان هذا الحشد على حساب الجبهة الأوروبية التي استنزفت استنزافا خطيرا. فمن بين ال 6 فرق الأمريكية المتواجدة في الجبهة الأوروبية بصفة دائمة، سحبت أمريكا أكثر من نصفها إلى الخليج. [1] ومن بين ال 6 فرق الأخرى التي تحتفظ بها أمريكا في الولايات المتحدة لتبعث بها جوا وبحرا إلى الجبهة الأوروبية في حالة اندلاع الحرب مع الاتحاد السوفيتي، لم يبق منها سوى اثنتين بعد أن حشدت أمريكا أربعا منها في الخليج. ولم يكن هذا الموقف يخص القوات البرية وحدها، بل تعداه الى الأسلحة الرئيسية الأخرى. لقد حشدت أمريكا فرقتين من المارينز قوامها 90 000 فرداً وهي قوة تمثل ثلثى القوات العاملة في المارينز (لدى أمريكا 3 فرق مارينز عاملة، 1 فرقة في الاحتياط يتم استدعاؤها في حالة التعبئة). وفي مجال القوة الجوية حشدت أمريكا 1125 طائرة قتال تكتيكية، وهي تمثل حوالي خمس ما تملكه من تلك الطائرات[2]. . . بالاضافة الى إشراك ثلاثة أسراب من القاذفات الثقيلة من طراز B-52 G في قصف الأهداف العراقية

من قواعـد لها خارج منطقة الخليج. [3] ومن بين 13 حاملة طائرات صالحة للعمليات دفعت أمـريكا 7 منها الى منطقة الخليج. وكل ذلك يؤكد بشكل قاطع بأن أمريكا ماكانت لتستطيع أن تحشد كل هذه القوات.لو أن فترة الحرب الباردة كانت قائمة. . . أو لو أنها كانت تخشى ولو بنسبة ضئيلة جدا احتمال استغلال الاتحاد السوفيتي للموقف. [4] وهذا يقودنا الى استنتاج الحقائق التالية :

الحقيقة الأولى : هي أن الاتحاد السوفيتي هو السبب الرئيسي فيما أصاب العـراق من أضرار نتيجـة تلك الحـرب المـدمـرة التي شنتهـا ضده أمـريكا ودول حلف الأطلسي. . . بينما كان الاتحاد السوفيتي يقف موقف المتفرج رغم معـاهدة الصداقة والتعاون الموقعة بينه وبين العراق منذ عام 1972، والتي كانت مدتها 20 عاما.

الحقيقـة الثـانيـة : هي أن القيادة العـراقية أسـاءت اختيار الـوقت المناسب لتفجير الصراع بينها وبين أمريكا. . . حيث أن جو الوفاق السياسي بين الاتحاد السوفيتي وأمريكا كان واضحا جدا قبل اندلاع الحرب.

الحقيقـة الثـالثـة : هي أن القيادة السياسية العـراقية، لم تتراجـع عن موقفها المتشدد بعد أن تبين لها أبعاد المؤامرة السياسية، وبعد أن تبين لها أن الاتحاد السوفيتي لا يكتفي بالوقوف موقف الحياد من الصراع، بل إن موقفه كان أقرب إلى التأييد المطلق لأمريكا منه إلى موقف الحياد.

الحقيقـة الـرابعـة : هي ان القيادة العـراقية، بالغت في تقييم قدرات الدفاع الجوي العراقي في التصدي للهجمات الجوية. وحيث أنه من المؤكد أن القيادة العراقية لابد وأن تكون قد اكتشفت القدرات الحقيقية لقوات الدفاع الجوي منـذ اليوم الأول لبدء الهجوم الجوي لدول التحالف، فقد كان من الضروري أن تتصرف وتتخـذ القـرارات السياسية التي تتـماشى مع قدراتها العسكـرية. ولكنهـا بدلا من أن تعـترف بعجز دفاعها الجوي عن التصدي للهجمـات الجوية المعادية، وتتصرف في اطار ذلك، أخذت تصدر البيانات العسكرية التي ثبت فيما بعد أنها لم تكن تمثل الحقيقة للموقف.

أقمـار التجسس قبـل حرب الخليـج

لقد لعبت أقمار التجسس دورا هاما في مرحلة مابعد الحرب العالمية الثانية، سواء من ناحية مراقبة كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي لبعضهما البعض، أو من ناحية تزويد بعض الدول الصديقة لأي منهما بالمعلومات التي تفيدها في صراعها ضد الدول الأخرى المعادية. يقول المستر Casey مدير وكالة المخابرات الأمريكية CIA ، الأسبق «من الصور التي تلتقطها أقمارنا الصناعية، نستطيع أن نعد جميع الدبابات السوفيتية. وبتكرار التصوير على فترات، نستطيع أن نعرف إذا ما كانت هذه الدبابات صالحة للاستخدام من عدمه. وتستطيع وسائل الانذار المبكر أن تسجل أي تحركات تقوم بها القوات السوفيتية، أو أي مشروع دفاعي كبير يكون في مرحلة التطوير [5]»، ويقول المستر جون ليمان Mr John Lehman ، الذي كان يشغل منصب وزير الحربية في ادارة ريجان مابين 1981 ـ 1987 ، أن الولايات المتحدة زودت بريطانيا بمعلومات هامة خلال حرب الفولكلاند Falkland عام 1982 ، وأن هذه المعلومات كانت تقدم بطريقة سرية، وكانت خافية حتى على كثير من كبار المسؤولين في الادارة الأمريكية والحكومة البريطانية. وأنه بدون هذه المساعدة، ما كان باستطاعة بريطانيا أن تنتصر في هذه الحرب. بل إن بعضا من كبار المسؤولين البريطانيين الذين كانوا على علم بتلك المعلومات التي قدمتها إليهم أمريكا ـ ويشاركهم في ذلك Lehman نفسه ـ يعتقدون ان بريطانيا كانت ستهزم في تلك الحرب لو لم تحصل على تلك المعلومات. [6]

وعن القمر الصناعي KH - 11 يقول كيسي «أطلق أول قمر KH - 11 ، في ديسمبر 1976 ، فكان ذلك أهم انجازات السبعينات في هذا المجال. فقد كان في استطاعة هذا القمر أن يرسل الى الأرض ما يلتقطه من صور باشارات تليفزيونية فور تصويرها. . . وكان ذلك على عكس الجيل السابق من الأقمار الصناعية التي كانت تقوم بقذف الأفلام الى الأرض بعد استكمال التصوير، حيث كان التقاط هذه الأفلام وتفريغها ثم توزيعها على الجهات المعنية يحتاج الى الكثير من الوقت الذي قد تصبح فيه هذه المعلومات غير حديثة. أما بواسطة القمر KH - 11 ، فإنه يصبح باستطاعتنا في CIA ، والبنتاجون (والقادة الميدانيين) أن يشاهدوا حركة الدبابات السوفيتية فور حدوثها. ولكن للأسف الشديد فإن السر الخاص بهذا الانجاز الضخم لم يدم سوى عام واحد. فقد

قام وليام كامبيلس William Kampiles ، وهـو أحد صغار الموظفين في CIA ببيع الكتاب الفني الخاص بهذا القمر للسوفييت بمبلغ 3000 دولار» [7].

كان القمـر الصنـاعي Electro optical KH - 11 imaging Satellite يعتمـد على التصوير. وكان ذلك يعني عدم قدرته على إرسال الصور الواضحة في الليل، أو في الأيام الغـائمة. ثم ظهر بعد ذلك الجيل المتطور من هذه الأقمار التي تستطيع التصوير ليلا وذلك بتكثيف ضوء النجوم. ثم ظهر الجيل الثالث من الأقمار الصناعية، الذي يعتمد على التصوير الراداري، حيث أن الاشارات الـرادارية لا تتـأثر بالظلام أو السحب. وهكذا ظهر مشروع قمر لاكروس Lacrosse [8]. هذا وقد وضع أول قمر لاكروس في الفضاء يوم 3 ديسمبر 1988.

وعندما اسقط الاتحاد السوفيتي طائرة الركاب الكورية، التي انتهكت أجواء الاتحاد السوفيتي، أثناء رحلتها رقم 007 في ليلة 31 أغسطس / أول سبتمبر 1983. ظنـا منهم أنها كانت تقوم بعملية تجسسية لحساب أمريكا، سخر الخبراء الأمريكيون من هذا الادعاء السوفيتي، وقالوا أن الصور التي تلتقطها الأقمار الصناعية الأمريكية تمثل المصدر الرئيسي للاستطلاع المنظور. وقالوا أن صورة التقطتها أقمارهم من ارتفاع 160 كيلومتر، أظهرت أحد الأشخاص وهو يقرأ صحيفة برافدا في أحد شوارع مدينة في شمال الاتحاد السوفيتي. . . وقالوا أن عنوان الصحيفة كان ظاهرا ويمكن قراءته من الصورة [9] ***وفي لقاء مغلق مع عدد من طلاب الجامعات المصرية في افتتاح أسبوع أنشطة الجامعات في الاسماعلية، قال الرئيس المصري حسني مبارك «ان المناورات المشتركة مع أمريكا لا تضيف شيئا الى معلومات أمريكا عن الجيش المصري. ذلك أنهم يعلمون كل شيء عن الجيش المصري. فهم يبيعون لنا السلاح وقطع الغيار. كما أنهم يمتلكـون أجهزة دقيقة للتصوير والتجسس تمكنهم من معرفة أدق الأسرار. وقد أبلغوا الحكومة المصرية أن هناك 60 جنديا مصريا على الحدود مع إسرائيل زيادة عن عدد اتفاقيات كامب ديفيد.*** [10]

ويعتقد أن الولايات المتحدة كانت أكثر تقدما من الاتحاد السوفيتي في مجال الاستـطلاع بالأقمار الصناعية. ولكن الاتحاد السـوفيتي لحق بهم في منتصف الستينات. وقد علم الأمريكان بذلك عندما لفت السوفيت نظرهم بأنهم قاموا

بتمويه مرابض صواريخ مينتمان Minuteman في منطقة مونتانا، وان ذلك يتعارض مع معاهدة SALT - 1 . وقد أنكر الأمريكيون هذا الاتهام أول الأمر. ولكنهم اكتشفوا بعد ذلك أن الفنيين قد قاموا بتغطية هذه المرابض لحمايتها من الصقيع بعد أن هبطت الحرارة إلى درجة الصفر. وبعد أن علم الأمريكيون بذلك، أمروا برفع هذه الأغطية واعتذروا للسوفيت. ولكن هذا الحادث أكد لهم أن الاتحاد السوفيتي لابد وأن يكون قد أحرز تقدما كبيرا في مجال الاستطلاع بالأقمار الصناعية.[11]

وفي يوم 1987/4/23، قرر الجنرال جون بيوتروفسكي John Piotrowski، أمام الكونجرس، بان الأقمار السوفيتية لديها الآن القدرة على رصد تحركات السفن الأمريكية في جميع انحاء العالم، وارسالها فورا الى السفن الحربية السوفيتية، بعد أن كانت تصل قبل ذلك إلى جهاز استقبال مركزي ويتم منه توزيع هذه المعلومات على السفن. وأكد الجنرال بأن أمريكا لديها نفس تلك الامكانيات.[12]

وإذا كانت الأقمار الصناعية ترصد الأهداف والتحركات ووقت انطلاق الصواريخ ومسارها، فإنها لا تستطيع أن تكشف النوايا التي تسبق الأحداث. وللتغلب على ذلك أطلقت أمريكا يوم 24 يناير 1985، قمرا صناعيا اسمه Discovery . ويتجسس هذا القمر على جميع شبكات الاتصال اللاسلكي في الاتحاد السوفيتي من ارتفاع يصل إلى 300 22 ميلاً. ومن رصد كثافة الاتصالات التي تسبق اندلاع العمليات. . . ومن فك شفرة تلك الاتصالات يمكن التنبؤ ببدء العمليات قبل اندلاعها ببضعة أيام على الأقل.[13]

وبعد مرور 30 سنة على اطلاق أول قمر صناعي في العالم، وهو القمر الروسي Sputnik يوم 1957/10/4، كان يسبح في الفضاء 337 قمرا يملك منها الاتحاد السوفيتي 146، وتملك الولايات المتحدة 129، بينما يتقاسم الباقي 13 دولة أو هيئة دولية. ويوجه كل من الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة حوالي ثلثي أقمارهما للأغراض العسكرية والتي تشمل الاستطلاع، الملاحة، الرصد الالكتروني، الانذار بانطلاق الصواريخ، شبكات المواصلات. وتوضح لنا هذه الأرقام الامكانيات الضخمة التي تملكها كل من

الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي في مجال المعلومات المتاحة لكل منهما عن الآخر . . . بل وعن كل بلد آخر من بلاد العالم .

كانت فرنسا هي الدولة الثالثة التي تدخل مجال التصوير الفضائي ، ولكنها دخلته عن طريق الباب التجاري . ففي 22 فبراير 1986 ، أطلقت فرنسا قمرا صناعيا مزودا بكاميرات سبوت SPOT (Systeme Probatoire d'Observation de la Terre) واستطاع هذا القمر أن يلتقط صورا لمدينة نيس الفرنسية ظهرت فيها شوارع المدينة بكل تفاصيلها ، بحيث يمكن للفرد أن يحدد من الصورة المنزل الذي يسكن فيه والمساكن التي يسكن فيها الآخرون . ولكي تؤكد على قدرة قمرها SPOT على تصوير الأهداف العسكرية أيضا ، فقد نشرت وسائل الاعلام الفرنسية يوم 86/8/6 ، 5 صور فوتوغرافية ، كان القمر قد التقطها يوم 17 يونيو 86 عن مركز تجارب نووي سوفيتي بالقرب من مدينة سيميبالاتينسك Semipalatinsk في جمهورية كازاخستان التي تقع على مسافة 2900 كيلومتر جنوب شرق موسكو . وقد كانت هذه الصور واضحة جدا ، رغم انها التقطت من ارتفاع 514 ميل (حوالي 827 كيلومتر) وهو مدار القمر SPOT .[14]

وجدير بالذكر أن القمر الصناعي الفرنسي سبوت قد أنتجته شركة فرنسية لأغراض تجارية . وتقوم الشركة بتصوير الهدف المطلوب تصويره حسب طلب الزبون ، وتبيع الصورة الواحدة بمبلغ 000 10 دولار . وتستطيع الصورة أن تظهر أي هدف يكون قطره 10 متر فأكثر . هذا وقد نشرت صحيفة الفيجارو الفرنسية في أبريل 86 ، تقريرا حول نظام الأقمار الصناعية الفرنسية جاء فيه أنه سيكون لفرنسا في عام 1992 شبكة من الأقمار التجسسية التي ستسمح للعسكريين بمعرفة كل ما يجري على سطح الكرة الأرضية كما هو الحال بالنسبة لموسكو وواشنطن . والنظام الجديد يسمى HELIOS وهو أكثر تقدما من نظام SPOT . ويعلق مدير وكالة الفضاء الفرنسية هنري مارتر Marter على هذا النظام الجديد فيقول : «انه سيجعلنا قادرين على التمييز بين سيارة عادية وشاحنة ، وربما ، أيضا معرفة ماركة هذه العربة» .[15]

كانت هذه هي الامكانيات المعلنة والمعروفة عن كل من الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة وفرنسا قبل سنوات من اندلاع الحرب في منطقة الخليج .

ومن المؤكد أن القيادة السياسية والعسكرية العراقية كانت على علم تام بتلك الامكـانيات. وحيث أنـه كان معـروفـا أيضا أن العراق لا يملك أي أقمار صناعية، فقد تصور الكثير من المعلقين العسكريين والسياسيين، أنه لابد وأن يكون هناك اتفاق سري بين العراق والاتحاد السوفيتي، على أن يقوم هذا الأخير بتزويد العراق بالمعلومات التي تتحصل عليها أقماره عن قوات دول التحالف التي تواجه العراق. . . بل إن البعض منهم تصور أن الهدف الغير معلن للاتحاد السـوفيتي هو توريط أمـريكـا في الحرب، واستنزاف قواتها في منطقة الشرق الأوسط، وأنـه لتحقيق ذلك فإن الاتحاد السوفيتي لن يكتفي بامداد العراق بالمعلومات، بل إنه سيتخطى ذلك بأن يقوم بتقديم جميع المساعدات الفنية في مجال الحرب الالكترونية التي تمكن العراق من التصدي للهجوم الأمريكي . . . حيث أنـه من الصعب على أي انسـان أن يتصور كيف يستطيع العراق أن يتصدى للقوات الأمريكية دون أن يضمن تأييدا من الاتحاد السوفيتي في مجال الحرب الالكترونية، وفي مجال الحصول على المعلومات.

أقمار التجسـس أثناء حرب الخليج

كان لأمريكا خلال حرب الخليج 10 أقمار صناعية تراقب المنطقة مراقبة دقيقة. [16] وكان توزيعها كما يلي :

3 قمر KH - 11، وقـد سبق شـرح امكانيات هـذا القمـر بالتفصيـل. وكانت هذه الأقمـار تسبـح فـي الفضـاء على ارتفـاع 200 ـ 500 كيلومتر. وتقوم بالتصوير وارسال الصور نهارا فقط.

3 قمر KH - 11متطور، ويمتاز هذا النوع بقدرته على التصوير ليـلا عـن طريق تكثيف ضوء النجوم. وتسبح هـذه الأقمار على مسـافة حـوالي 200 كيلومتر فقط من سطح الأرض.

1 قمر Lacrosse، وهو الذي يقوم بالتصوير الـراداري ويعمل في جميـع الأجواء ليلا ونهـارا.

3 قمـر لمراقبـة الشبكـات والتـرددات. . . اثنان منهـا من نوع ماجنـم Magnum، والثـالث مـن نـوع فـورتكـس Vortex. ويـستطيـع القمـر ماجنم التقـاط الـذبـذبات التي تبعث من الراديو والصواريخ. أما

فـورتكس، فقـد قـال عنـه المستر Casey مـديـر وكالـة المخابـرات الأمريكيـة «ان قدرته على التصنت، تفوق قـدرة أجهـزة التصنـت الموجودة في جميع السفارات الأمريكية عبر العالم أجمع». [17]

القوات البرية الأمريكية [18]

كانت القوات البرية للولايات المتحدة تقدر بحوالي 000 350 وكانت هذه القوة موزعة على الوحدات التالية :

وحدات الرئاسة العامـة

- مدفعية الفيلق الثالث (MLRS, M - 110, M - 109)
- اللواء 11 دفاع جوي (باتريوت)
- القيادة رقم 7 خدمات طبية (تحت قيادتها طائرات هيليوكوبتر UH - IH للاخلاء)
- قيادة الامداد والتموين للفيلق رقم 18
- قيادة الامداد والتموين للفيلق رقم 7
- المجموعة الخامسة قوات خاصة .

الفيلـق 18

- مدفعية الفيلق
- اللواء الثالث فرسان مدرع 3d Armoured Cavalry Regiment

ومعـه مايلي : 130 دبـابـة M1 - A1 ، 110 عربـة قتـال مدرعـة طراز Bradly ، سرب فرسـان جوي به 80 طائـرة هيليوكـوبـتر [19] من طراز AH - 64 ، OH - 58 ، UH - 60 ، كتيبة مدفعية بها 24 مدفع M - 109 .

- الفرقـة 24 مشاة ميكانيكية : وتتكون من 5 كتائب مدرعة، 5 كتائب مشاة ميكانيكية، وقوامها 290 دبابة، 275 مركبة قتال مدرعة، ولديها مدفعية وطيران يعادل ماهو مخصص للفرقة المدرعة.
- الفرقـة رقم 101 اقتحام جوي : وتتكون من ثلاث ألوية مشاة، لواء طيران الجيش، وتتحـرك جوا ومعهـا 400 طائـرة هيليوكـوبـتر من

طراز AH - 64 ، OH - 58 ، UH - 60 ، CH - 47 ، 150 قاذف صاروخـــي مضاد للدبابات من طراز TOW ، 9 بطارية مدفعية بها 72 هاوتزر عيار 105 ملليمتر.

- الفرقة 82 جنود جو : وتتكون من 3 ألوية مظليين، لواء طيران الجيش، كتيبـة دبابات خفيفة ماركة M 551[20] . ولديها 100 طائرة هيليوكوبتر طراز AH - 64 ، OH - 58 ، UH - 60 ، 150 قاذف صاروخي للدبابات من طراز TOW ، 9 بطارية مدفـعـية بها 72 هاوتـــزر عيار 105 ملليمـــتر مجرور M - 101 .

الفيلق السابع

- اللواء الثاني فرسان (نفس تنظيم اللواء الثالث فرسان)
- الفـرقـة الأولى المـدرعة (تتكون الفرقة من 6 كتائب دبابات، 4 كتائب ميكـانيكية ، 3 كتائب مدفعية، لواء طيران الجيش، ومعها 350 دبابة M - 1A ، 220 عربـــة مدرعـة برادلي، 72 هاوتـــزر M - 109. عيار 155 ملليمـــتر، 12 هاوتـــزر M - 110 عيار 203 ملليمـــتر، 9 راجمـــات صواريخ MLRS ، 130 طائـــرة هيليوكـــوبـــتر طراز AH - 64 Apache ، UH - 60 Black Hawk ، OH - 58 .
- الفرقة الثالثة المدرعة (نفس تنظيم الفرقة الأولى المدرعة)
- الفرقة الأولى مشاة ميكانيكي (نفس تنظيم الفرقة 24)
- الفرقة الأولى فرسان
- الـلواء 11 طيران الجـيش 11th Combat Aviation Brigade ، ويضـــم 130 هيليوكوبتر طراز OH - 58 ، AH - 64 ، UH - 60 .

قـــوات المارينـــز

- تتكـــون قوات المـاريـنـز من 000 72 فرد على الأرض، 000 18 فوق السفن ومعهم المعدات التالية 60 دبابة M1 - A1 ، 300 دبابة M - 60 ، 200 عربـــة مدرعة LAV - 25 ، 600 عربة برمائية A AV - 7A1 ، 408 هاوتزر ومـدفـع . وتتجمـع هذه القوة في فرقتين مارينز : الفرقة الأولى مارينز، الفرقة الثانية مارينز ومع كل منها جناح طيران مارينز.

- تتكـون فرقـة المـارينـز من 180 دبـابة، 100 عربة مدرعة LAV - 25 ، 300 عربة مدرعة مختلفة، 36 هاوتزر M - 109 ، 24 هاوتزر M - 110 ، 72 هاوتزر مجرور طراز M - 198 عيار 155 ملليمتر، 72 هاوتزر مجرور طراز M - 101 عيار 105 ملليمتر).
- يتكـون جناح الطيران Marine Air Wing ، من 156 طائرة هيليوكوبتر من أنواع متعددة.

القـوات الجـوية الأمريكية [21]

في يناير 1991 ، كان للولايات المتحدة 1125 طائرة قتال، وكان توزيعها كما يلي :

90	طائرة التفوق الجوي (من طراز F - 15 C التابعة للقـوات الجوية + F - 14 التابعة للقوات البحرية)
335	طائرة هجوم أرضـي ، وتشمل طائرات من نوع : A - 10 ، A - 6 ، F - 111 ، F - 117 ، AV - 8B .
220	طائـرة ذات مهـام مـزدوجة، وتشمل طائرات من نوع : F - 16 ، F/A - 18 ، F - 15 E .
460	طائـرة معاونـة (انـذار، استطـلاع ، الكتـروني ، دراسة الأحـوال الجوية ، القيـام بأعمـال خاصـة ، انقـاذ SAR ، اخـلاء طـبي ، الاتصال ، مراقبة المـرور. وبعض هـذه الطائرات مجهزة بإمكانية إضاءة الأهداف بالليزر لمساعدة القاذفات المقاتلة في إصابة تلـك الأهـداف . وبعض هـذه الطائرات يستخدم فـي المـراقبة الجـوية Forward Air Control .

بالاضافة إلى ذلك كانت 24 قاذفة استراتيجية ثقيلة طراز B - 52 G تنطلق من قواعـدها في بريطانيا (Fairford) ، وإسبانيا (Moran AB) ، جزيرة دييجو جارسيا Diego Garcia الخاضعة للحكم البريطاني . [22]

القـوات البحريـة الأمريكية

تشمل قوات الخط الأول 7 حاملة طائرات، 2 سفينة حربية كبيرة Battleship [23] وفيما يلي أسماء تلك السفن وأماكن انتشارها.

حاملة الطائرات	Midway	في الخليج
حاملة الطائرات	Ranger	في الخليج
حاملة الطائرات	Saratoga	في البحر الأحمر
حاملة الطائرات	Kennedy	في البحر الأحمر
حاملة الطائرات	Roosevelt	في البحر الأحمر
حاملة الطائرات	America	في البحر الأحمر
حاملة الطائرات	Forrestal	في البحر الأبيض
البارجة الحربية	Battleship Wisconsin	في الخليج مقابل الكويت
البارجة الحربية	Battleship Missouri	في الخليج مقابل الكويت

وبالاضافة إلى ذلك تواجد في منطقة الخليج أكثر من 40 سفينة أخرى ذات مهام متعددة (بث ألغام، كاسحات ألغام، ابرار بحري، مستشفى عائم، إلخ).

قـوات الدفـاع الجـوي الأمريكي [24]

كانت وحدات الدفاع الجوي الأمريكية في الخليج كمايلي :

90 منصة اطلاق باتريوت Patriot تابعة للقوات البريـة [25]

46 منصة اطـلاق هـوك HAWK (21 تابعة للقـوات البرية + 25 تابعة للمارينز).

130 مدفع مضاد للطائرات 20 ملليمتر طراز فولكان Vulcan .

الحشــود الأطلسيــة الأخـــرى

عـــــــام

بالرغم من أن القوات الأمريكية كانت تمثل العمود الفقري للقوات التي كانت تحتشد في منطقة الخليج استعدادا للعدوان على العراق. . . وبالرغم من ان القوات الأمـريكية وصـل تعدادها إلى 527 000 فرد، 1125 طائرة، 2030 دبـابة، 2220 عربة قتال مدرعة، 65 دبابة خفيفة، 1077 قطعة مدفعية، 456 طائرة هيليوكوبتر مسلحة، 1326 هيليوكوبتر للنقل والخدمات الأخـرى، وأكثـر من 100 سفينـة حربية. . . إلا أن دول حلف الأطلسي بالاضافة إلى كل من أستراليا والأرجنتين شاركت هي الأخرى بالقوات التالية، وكما هو موضح بالتفصيل في الجدول رقم 2.

فـرد	235 400
دبابـة	1190
عربة قتال مدرعة	1366
قطعة مدفعيـة	730
طائرة هيليوكوبتر مسلحة	162
طائرة قتـال	409
منصات SAM	75
سفينة حربيـة	76

كانت تركيا هي الـدولة الوحيدة من بين دول حلف الأطلسي التي لديها حدود مشتركة مع العراق. وكان من الطبيعي أن تكون هي أكثر دول الحلف حشـوداً في مواجهـة العـراق. . . ومـع أن القـوات البحرية التركية والجوية المحتشدة على حدود العراق لم تشارك في العمليات بطريقة مباشرة، كما سنرى فيما بعد إلا أن وجود هذه الحشود على الحدود العراقية كان الهدف منها هو احتواء جزء من القوات المسلحة العراقية. وهذا ماحدث فعلا. إذ لم يكن من المعقول أن يتجاهل العراق تلك القوات التي تحتشد على حدوده الشمالية.

القــوات التركيــة

تحتفظ تركيا في الحالات العادية بقوات تقدر بحوالي 000 35 ضابط وجندي على طول حدودها مع العراق والتي تمتد 330 كيلومتر. ولكنها عززتهم بـ : 000 100 آخرين منذ الأيام الأولى لظهور أزمة الخليج في أغسطس 1990 وسمحت للولايات المتحدة بأن تحشد 113 طائرة في قاعدة انسيرليك Incirlik.[26] كان من بينها 82 طائرة قتال (22 طائرة F - 111E ، 30 طائرة F - 16C ، 24 طائرة F - 15C ، 6 طائرة F - 4G) ،وكانت طائرات المعاونة 31 طائرة (3 طائرة E - 3 أواكس، 6 طائرة استطلاع RF - 4C ، 3 طائرة إعاقة EC - 130E ، 15 طائرة امداد بالوقود جوا KC - 135 ، 4 طائرة إضاءة بالليزر F - 4E) . وتقع هذه القاعدة بالقرب من مدينة أدنة Adna . وتبعد عن الحدود العراقية حوالي 600 كيلومتر.

وسمحت لدول حلف الأطلسي بحشد قوات إضافية على أراضيها على مقربة من حدودها مع العراق [27] وتشمل هذه القوات مايلي :

1 ـ القوة الخفيفة المشتركة Allied Mobile Force وتشمل هذه القوة لواء مكون من 000 5 فرد شاركت في تشكيله دول الحلف، لاستخدامه كقوة انتشار لمواجهة المتطلبات العاجلة داخل دول الحلف.

2 ـ تعزيز الدفاع الجوي التركي بعدد 42 طائرة قتال، 45 منصة صواريخ سام متحركة، وبيانها كمايلي :

18	طائرة هجوم أرض طراز Alfa-Jet من ألمانيا
18	طائرة قاذفة مقاتلة طراز 5 - Mirage ، من بلجيكا
6	طائرة استطلاع تكتيكي طراز RF - 104 G ، من ايطاليا
16	منصة صواريخ سام طراز Patriot من هولندا
12	منصة صواريخ سام طراز Hawk من هولندا
8	منصة صواريخ سام طراز Roland من ألمانيا
9	منصة صواريخ سام طراز Hawk من ألمانيا

3 ـ وقد تم حشد القوات البلجيكية والايطالية في قاعدة ديار بكر على مسافة 200 كيلومتر من الحدود العراقية . أما القوات الألمانية فقد حشدت في قاعدة أرهاتش التي تبعد عن العراق بحوالي 400 كيلومتر.

وبدون احتساب قوات حلف الأطلسي التي فوق التراب التركي، فإن تركيا حشدت على حدودها مع العراق قوات برية تقدر بحوالي 000 135 فرد، 950 دبـابة، 850 عربة مدرعة، 570 قطعة مدفعية وعبأت من وحدات دفاعها الجوي 24 قطعة Nike Hercules ، 6 قطعة Rapier . كما وضعت 7 قواعد جوية بها حوالي 230 طائرة قتال، وحوالي 000 30 فرد في حالة تأهب قصوي لخدمة متطلبات الجبهة العراقية التركية. وبالاضافة إلى ذلك قامت تركيا بارسال 2 سفينة حربية الى منطقة الخليج. وعموما فإنه يمكن القول أن تركيا حشدت في مواجهة العراق حوالي 25٪ من قواتها البرية، وحوالي 50٪ من قواتها الجوية وقـوات الـدفـاع الجـوي، وان العدد الاجمالي لهذه القوات يصل إلى حوالي 000 165 . فإذا أضفنا إلى ذلك القوة الخفيفة التابعة لحلف الأطلسي والتي تم حشدها في تركيا، فإن القوات الأطلسية الموجهة ضد العراق من الأراضي التركية يصل إلى 000 170 فرد على الأقل.

القـوات البريطانية [28]

تأتي القوات البريطانية في الترتيب التالي بعد تركيا من حيث حجم القوات التي شاركت بها في حرب الخليج . . . ولكنهـا تتقدم تركيا وتتقدم جميع دول حلف الأطلسي باستثناء أمريكا من حيث المشاركة الايجابية القتالية في حرب الخليج. فقد شاركت بفرقة مدرعة، 6 سرب طائرات، 16 سفينة حربية . . . بالاضافة إلى وحدات صغرى أخرى. وتقدر مشاركتها بما يلي :

فرد	40 000
دبابة (Challenger)	200
عربة مدرعة	244
قطعة مدفعيـة	136
طائرة هيليوكوبتر مسلحة (تابعة للفرقة المدرعة)	42
طائرة قتال (قوات جوية)	72
سفينة حربية	16

وبـالاضـافـة إلى المشاركة البريطانية المباشرة، فقد كان هناك 8 طائرات أمريكية طراز B-52 تشن غاراتها على العراق والكويت، منطلقة من القاعدة الجـوية الـبريطانية في Fairford . وحسب ما أذيع في نهاية الحرب فإن تلك الطائرات قامت بـ 60 طلعة عمليات أسقطت خلالها 1158 طناً من القنابل على العراق والكويت. [29]

القــوات الفــرنسيــة [30]

شاركت القوات الفرنسية بفرقة مدرعة خفيفة، 39 طائرة قتال (5 طائرة استطلاع طراز F1 - CR ، 10 طائرة مقاتلة طراز Mirage 2000 ، 24 طائرة هجوم أرضي طراز Jagaur)، 18 سفينة حربية.

فرد	14 000
دبابة متوسطة AMX - 30 B2	40
عربة مدرعة	272
قطعة مدفعية	24
طائرة قتال مسلحة	120
طائرة قتـال	39
سفينة حربيـة	18

القــوات الايطاليــة

فــرد	2500
طائرة قتال (8 في الخليج + 6 في تركيا)	14
سفينة حربيـة	10

القــوات الألمانيــة

فــرد	1600
طائرة قتال (جميعها في تركيا)	18
قاذف صواريخ هوك (في تركيا)	9
قاذف صواريخ رولاند (في تركيا)	8
سفينـة كاسحـة ألغام	5

القــوات البلجيكيــة

فــرد	1500
طائرة قتال (جميعها في تركيا)	18
سفينة حربيـة	6

القــوات الكنــدية

فــرد	1500
طائرة قتــال	18
سفينة حربية	3

القــوات الهـولنديــة	
فـرد	1500
قاذف صواريخ باتريوت (في تركيا)	16
قاذف صواريخ هوك (في تركيا)	12
سفينة حربية	3
القــوات الاسبانيــة	
فـرد	600
سفينة حربيــة	4
القــوات الدنمــاركية	
فـرد	150
سفينة حربيــة	1
القــوات النرويجيــة	
فـرد	150
سفينة حربيــة	1
القــوات اليونانيــة	
فـرد	150
سفينة حربيــة	1
القــوات البــرتغالية	
فـرد	150
سفينة حربيــة	1
القــوات الأستراليــة [31]	
فـرد	600
سفينة حربيــة	3
القــوات الأرجنتينيــة [1]	
فـرد	1 000
سفينة حربيــة	2

الـدول الاسـلاميـة فـي التحـالـف

شاركت 14 دولة إسلامية في الحلف الصليبي الصهيوني ضد العراق (32). ولكن هذه المشـاركة لا يمكن أن تسقط صفة الصليبية الصهيونية عن تلك الحرب. بل إنها تظهـر مدى تآمـر بعض الأنـظمة العربية والاسلامية ضد شعـوبهم. فالقـرآن صريح في إدانـة مثل هذا العمل مهما حاولوا أن يخدعوا الناس. فقد قال تعالى: «يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض، ومن يتـولهم منكم فإنـه منهم ان الله لا يهدي القوم الظالمين» (33) وقد ناقشنا هذا الموضوع بالتفصيل في الجزء الأول من هذا الكتاب في الباب الرابع والباب الخامس (من صفحة 111 إلى صفحة 163). وتقدر مشاركة هذه الدول بما يلي، وكما هو موضح بالتفصيل في الجدول رقم 3.

فـرد	265 880
دبابـة	1764
قطعة مدرعـة	3 995
قطعة مدفعيـة	1 009
طائرة قتـال	394
طائرة هيليوكوبتر مسلحـة	51
طائرة هيليوكوبتر نـقل	116
قطعة بحرية صغيـرة	44

لقد شاركت دول مجلس التعاون الخليجي بكل ما تملك من قوات مسلحة بل قامت علاوة على ذلك بتعبئة وزيادة قواتها المسلحة. وقامت بوضع أراضيها وقواعدها العسكرية والجوية والبحرية في خدمة دول التحالف. وقامت علاوة على ذلك بتمويل الحرب ضد العراق. (سنناقش موضوع تمويل تلك الحرب في الفصول القادمة).

وبـالاضافة إلى الدول الخليجية، فقد شاركت 3 دول عربية أخرى هي مصر، سوريا، المغـرب. وبـالـرغم من أن مشاركة هذه الدول اقتصر على القوات البرية. . . واقتصر على نسبة ضئيلة من قواتهم البرية الهجومية (حوالي 20٪ بالنسبة لمصر، حوالي 12٪ بالنسبة لسوريا) إلا أن هذه المشاركة كانت

لا تقدر بثمن من حيث التأثير السياسي والاعلامي. فلو لم توافق مصر وسوريا على الاقتراح الأمريكي بارسال قوات أمريكية إلى السعودية، لما تجرأت السعودية والدول الخليجية الأخرى على إعطاء الاذن للقوات الأمريكية بالنزول على أراضيها يوم 8 أغسطس 1990. هذا القرار الخليجي المصري السوري المغربي هو الذي أعطى الشرعية الدولية لهذا الغزو. وهو الذي اتخذه الاعلام الغربي سندا لكي ينفي صفة التآمر الامبريالي الصليبي الصهيوني ضد الأمة الاسلامية كافة... واتخذه غطاء من أجل أن يدمر أكبر قوة عسكرية امتلكها المسلمون في أي وقت من الأوقات. (انظر الجدول رقم 3).

وليس هذا هو رأيي فحسب. بل قد شهد الصليبيون هم أنفسهم بذلك. فتحت عنوان «لا حاجة لنا بأن يقاتلوا» كتبت مجلة TIME الأمريكية في عددها الصادر بتاريخ 12 نوفمبر 1990، مايلي «ان القوات الاسلامية التي تنتشر الآن في الصحراء السعودية قد حققت المهمة المطلوبة منها حتى ولو لم تطلق طلقة واحدة... إن مشاركة قوات من الدول الخليجية ومصر وسوريا والمغرب وباكستان بطريقة علنية، قد حقق فعلا أهم ماهو مطلوب من هذه المشاركة... وهو أن المجابهة مع العراق هي ليست شكلا من أشكال الاستعمار الجديد ضد شعب عربي... إن وقوف سوريا الدولة التقدمية جنبا إلى جنب مع النظامين المحافظين في كل من السعودية والكويت، يعطي للمشاركة السورية أبعادا سياسية كبيرة. فحتى لو لم يقاتل السوريون، فإن مجرد تواجدهم يساوي وزنهم ذهبا». (34)

ولا شك أن الزعماء الخليجيين كانوا هم الأخرون يعلمون بهذه الحقيقة وان كانوا لا يعترفون بها. ومن أجل ذلك لجأوا إلى دعوة عدد آخر من الدول الاسلامية للمشاركة بقوات رمزية ليس لدى الكثير منها أي قيمة قتالية في الحرب الحديثة... فدعوا أو أغروا بعض الأنظمة للمشاركة بقوات رمزية في مقابل ما يدفعونه لها من مال وفير. واستجابت 5 دول إسلامية لهذه الدعوة (انظر الجدول رقم 3).

إســـرائيل والتحالــف

إسرائيل تدين بوجودها للدول الغربية . فما كان من الممكن أن يتحقق حلم اليهـود بانشـاء دولـة لهم في فلسـطين ما لم يتقـابل هذا الحلم مع الأهداف الاستراتيجية للدول الغربية بصفة عامة والدول العظمى منها بصفة خاصة . ففي 11 أغسـطس 1840 أرسـل اللورد بالمـرستـون وزير خارجية بريطانيا (أصبح رئيسا للوزارة البريطانية عام 1855) خطابا إلى السفير البريطاني لدى الباب العالي يقول فيه : «توجد هذه الأيام بين اليهود المبعثرين في أوروبا فكرة قومية فحواها أن الوقت قد أوشك أن يحل لكي تعود أمتهم إلى فلسطين . وإذا أتيح للشعب اليهودي أن يعود بموافقة وحماية السلطان العثماني ، فإنه سيشكل حاجزا يواجه أي مشروع شرير قد يقدم عليه محمد علي باشا (والي مصر حينئذ) أو خلفـه»[35] وبعد أسبوع واحد من إرسال هذه الرسالة ، كتبت صحيفة التايمز اللندنية تقول أن اقتراح تأسيس دولة للشعب اليهودي في أرض أجداده ، وتحت حماية الدول العظمى لم يعد اليوم موضوع تكهن ، وانما أصبح موضوع تفكير رسمي جـاد .[36]

وفي خلال فترة الاحتلال البريطاني لفلسطين الذي امتد من عام 1918 وحتى عام 1948 ، تم خلق جميع العناصر الضرورية لاقامة الدولة اليهودية . وعندما أعلن عن قيام دولة إسرائيل في 15 مايو 1948 ، عقب انهاء الانتداب البريطاني . كان قد تجمع في تلك الدولة الوليدة عدد كبير من أفراد الشعب اليهودي الذي هاجر إليها في ظل الاحتلال البريطاني . وكانت لديها الأجهزة الادارية التي ولدت وترعرعت في ظل الاحتلال البريطاني . وكان لديها جيش كبير يقدر بأكثر من 100 000 مقاتل استطاع ان يفرض قيام هذه الدولة بالقوة العسكرية عام 1948 .[37] وفي ظل الاحتلال البريطاني ارتفع عدد اليهود في فلسـطين من حوالي 50 000 عام 1918 يمثلون 7٪ من السكـان ، إلى 83 000 عام 1922 يمثلون 11٪ من السكان . ثم إلى حوالي 650 000 عام 48 في مقابل حوالي 1 250 000 عربي (يمثلون 34٪ من السكان) . ولكن بحلول صيف عام 1949 ، لم يبق في الأراضي المحتلة سوى 200 000 عربي ، بينما فر الباقون .

ومنذ عام 1948 وحتى الآن انفتح باب الهجرة اليهودية إلى إسرائيل على مصراعيه. ومارست أمريكا الضغط على الاتحاد السوفيتي للسماح لليهود السوفيت بالهجرة إلى إسرائيل. وفي عام 1990 ضربت الهجرة اليهودية إلى إسرائيل رقما قياسيا حيث بلغت 200 000 منهم 184 000 من الاتحاد السوفيتي [38] واستمرت الهجرة خلال عام 1991 بنفس القوة، فبلغت هجرة اليهود من الاتحاد السوفيتي وحده 87 051 خلال النصف الأول من عام 1991. وكما هو معلوم فالقوة البشرية تعني زيادة قدرة إسرائيل في استيعاب أسلحة جديدة وتعبئة قوات مسلحة أكبر. وتقدم أمريكا معونات مالية إلى إسرائيل تقدر بحوالي 3200 مليون دولار سنويا، علاوة على 820 مليون دولار أخرى عام 91/90، من أجل توطين المهاجرين اليهود السوفيت الجدد (400 من الحكومة + 420 تبرعات). وبالتالي خلق دولة عسكرية قوية في منطقة الشرق الأوسط، يمكن لأمريكا أن تستخدمها كقاعدة أمامية لها، وكعصى غليظة تضرب بها خصومها في المنطقة، في مقابل التغاضي عن الاطماع الاسرائيلية الاقليمية في الدول العربية المجاورة. [39]

وفي 29 نوفمبر 1983، توجت أمريكا وإسرائيل هذه العلاقة الخاصة جدا بتوقيعها على اتفاقية التعاون الاستراتيجي. [40] وفي مارس 1985 وجهت أمريكا الدعوة إلى إسرائيل للمشاركة في البحوث الخاصة بحرب النجوم. وقد علق الدكتور أهارون موشيه يوم 10 مايو 1986، بعد تعيينه رئيسا للهيئة المكلفة بالاشراف على أبحاث حرب النجوم في إسرائيل بما يلي «إن إشتراك إسرائيل في مشروع حرب النجوم سيمنحها فرصة الحصول على تكنولوجيا حديثه في زمن أقصر. كما سيسهل عليها تطوير أسلحة حديثه سنكون في حاجة لها في المستقبل». [41]

ونتيجة لهذا التأييد الأمريكي لاسرائيل في المجال السياسي والاقتصادي والعسكري والتكنولوجي، استطاعت اسرائيل أن تبني أقوى وأحدث قوات برية وجوية في العالم بعد أمريكا والاتحاد السوفيتي. وفي أغسطس 1990 كانت قواتها المسلحة تضم المعدات التالية :

فرد	645 000
دبابة	4 288

عربة مدرعة	6 300
قطعة مدفعية	1 395
هيلوكوبتر مسلحة	40
هيلوكوبتر للنقل	41
طائرة قتال	655
قاذف صاروخ مضاد للطائرات	252
سفينة حربية	26

وإذا كانت أمريكا لم تعلن رسميا بأن إسرائيل هي إحدى دول التحالف ضد العراق، فإن ذلك لا يمكن أن يغير من حقيقة الموقف. فالعلاقات التي تربط بين أمريكا وإسرائيل والمصالح المشتركة التي تربط بينهما هي أقوى من تلك التي تربط بين أمريكا وأي دولة أخرى من دول التحالف. وانه لمن السذاجة أن نتصور أن إسرائيل لم تكن من بين دول التحالف ضد العراق. وإنما أرادت أمريكا الا تعلن عضويتها ضمن دول التحالف حتى لا تحرج الدول الاسلامية التي تشارك بقواتها ضد العراق. نعم ان القوات الاسرائيلية إذا شاركت بطريقة علنية، فإن مساعدتها تفوق بكثير مساعدات الدول الاسلامية الأربعة عشر. ولكن إشتراك الدول الاسلامية كان الغرض منه هو تحقيق هدف سياسي أكثر منه عسكري. وكما علق أحد المحللين بأن اشتراكهم يساوي وزنهم ذهبا حتى لو لم يطلق أي منهم طلقة واحدة في اتجاه العراق. ومع ذلك فهناك إشاعات قوية تقول أن إسرائيل قد شاركت ببعض طياريها الذين كانوا ينطلقون من السعودية ومن تركيا لقصف الأهداف العراقية وهم يرتدون ملابس عسكرية أمريكية ويحملون وثائق مزورة تدل على أنهم أمريكيون. وقد ننتظر بضع سنوات قبل أن تعرف حقيقة المساهمات الاسرائيلية في ذلك التحالف. وعموما فقد كانت أمريكا تعتبر إسرائيل كأنها الاحتياطي الاستراتيجي في حملتها ضد العراق، وانه لا لزوم لاستخدام هذا الاحتياطي الاستراتيجي بشكل علني إلا إذا فشلت قوى التحالف في تحقيق أهدافها... وكان ذلك احتمالا ضعيفا جدا.

المشاركة بوحدات ادارية

وبالاضافة إلى المشاركة بقوات مقاتلة فقد سعت كثير من الدول إلى المساعدة بتقديم خدمات لدول التحالف، نذكر منها :

نيوزيلندا : أرسلت 2 طائرة نقل C-130 + فريق طبي

بولندا : أرسلت مستشفى بري ومستشفى عائم (على سفينة)

تشيكوسلوفاكيا : ارسلت 200 فرد متخصصين في العلاج ضد الملحة الكيماوية

رومانيا : ارسلت 360 فرد متخصصين في العلاج ضد الأسلحة الكيماوية

كوريا الجنوبية : أرسلت 5 طائرة نقل C-130 + فريق طبي يضم 200 فرد.

سنغافورة : أرسلت فريق طبي مكون من 30 فرد.

إسبانيا : خصصت 5 000 سرير في مستشفياتها لاستقبال الجرحى من الخليج.

ألمانيا : خصصت 5 000 سرير في مستشفياتها لاستقبال الجرحى من الخليج.

هولندا : أقامت مستشفى في السعودية.

الفصل الثالث

الأسلحة الأمريكية والغربية

الطائــرة E-3 (AWCS)

هي طائـرة للانذار والسيطرة الجوية. وكلمة أواكس هي الحروف الأولى لخمس كلمات هي نظام الانـذار والسـيطرة المحـمولـة جوا Airborne Warning and Control System. وتمتـاز هذه الـطائـرة بقدرة عالية على مقـاومـة عمليات الاعـاقـة المعـادية... وبما تحمله من رادار قوي يستطيع اكتشاف جميع الأهداف الجوية كبيرها وصغيرها سواء كانت بقيادة طيارين أو بدون. ويصل مدى الرادار بالنسبة للأهداف التي تطير على ارتفاع الأشجار (أقل ارتفاع ممكن) إلى 230 ميل (370 كيلومتر) وعلى مسافات أبعد من ذلك بالنسبة للأهداف العالية.

ولعـل أهم ما يميز هذه الطائرة هو نقطتان رئيسيتان. النقطة الأولى هي قدرتها الفائقة على توزيع المعلومات وتوجيه الطائرات الصديقة نحو الأهداف المعادية، وهو ما يسمى Datalink. ويتم توزيع هذه المعلومات من خلال جهاز يسمى Joint Tactical information system. والنقطة الثانية هي الأجهزة المضادة للاعـاقـة electronic counter-measure system. وجـدير بالـذكـر أن طائـرات الأواكس التي بيعت إلى السعودية عام 1981، قد جردت من هذه المعدات ومعدات الكترونية أخرى... وذلك بالاضافة إلى فرض رقابة أمريكية صارمة على أسلوب استخدامهـا.[1]

ويتكـون طاقم الـطائرة من 4 فرد، بالاضافة إلى 16 فردا آخرا لتشغيل الأجهـزة الفنية داخـل الطائرة. وأقصى سرعة للطائرة هي 853 كيلومتر في السـاعة. وأقصى وزن للاقلاع هو 147.4 طن. وتستطيع الطائرة البقاء في الجو لمدة 11 ساعة دون إعادة الملء في الجو. وتمتلك أمريكا 21 طائرة من هذا النوع حشدت نصفها في منطقة الخليج.

الطائــرة E-2C (HAWKEYE)

هي طائـرة أمـريكية للانـذار المبكر. تعمل في خدمة البحرية الأمريكية بمعدل 4 طائرة على كل حاملة طائرات... علاوة على وجود 30 طائرة أخرى تعمل من فوق الممرات الأرضية في القواعد البحرية. وتستطيع هذه الطائرة أن تكتشف أي هدف يتحرك بسرعة أكثر من 80 ميل في السـاعة. ومن ارتفاع

30 000 قدم (9150 متر) فإن هذه الطائرة تستطيع أن تكتشف الطائرات المعادية حتى مسافة 480 كيلومتر. كما تستطيع أن تكشف الصواريخ المعادية أثناء طيرانها، ولكن نظرا لصغر حجم الصواريخ فإنها تستطيع كشفها على مسافات أقل. ويعتقد أنها تستطيع اكتشاف الصواريخ المتوسطة الحجم من مسافة 260 كيلومتر.

ويتكون طاقم الطائرة من 5 أفراد (قائد الطائرة، مساعد طيار، ضابط المعلومات، ضابط المراقبة الجوية، ضابط الرادار). ويمكن للطاقم أن يتابع 600 هدف جوي، وأن يوجه الطيران الصديق إلى 40 اعتراض جوي في وقت واحد. ويمكن للطائرة أن تبقى في الجو لمدة 6 ساعات وبسرعة حوالي 500 كيلومتر في الساعة.

الطائــــرة E-8A (Joint-STARS)

يطلق عليهـا أيضـا اسـم رادار الـكـشـف والهـجـوم المشـترك J-STARS (Joint Surveillence Target Attack Radar System). وهي طائـرة بوينج 707، تم تجهيزها بالمعدات الخاصة التي تمكنها من تنفيذ المهام المنوطة بها. وتحمـل هذه الطائرة في أسفلها رادارا على شكل قارب الكانو الذي تصنعه القبائل الافريقية من جذع شجرة. وطول هذا الرادار 30 قدم (1 . 9 متر). ويستطيع أن يكتشف ويحدد الأهداف الأرضية الثابتة والمتحركة مثل الدبابات وقـطع المدفعية الخ . . ثم تقوم الطائرة بايصال هذه المعلومات إلى القيادات الـبرية والجـوية فورا عن طريق ما يسمى جهـاز توزيع المعلومات التكتيكية المشـتركـة Joint Tactical Information Distribution System. ولتحقيق ذلـك فإنـه يتواجد داخل الطائرة 17 اخصائي من القوات البرية والجوية. وذلك من أجل تحليل وتقييم تلك المعلومـات وارسـالها فورا الى المحطات الأرضية المختصة باستقبال هذه المعلومات. وقد تم انتاج أول طائرة من هذا النوع في أواخر عام 1988. ولا يوجد لدى القوات المسلحة الأمريكية حتى الآن سوى 2 طائرة فقط من هذا النوع.

وقد استخدمت الولايات المتحدة هاتين الطائرتين في حرب الخليج اعتبارا من 18 يناير 1991. وكـانت كل طائرة تطير بالتناوب لمدة 12 ساعة ليلا لتسجل كل التحركات التي تجري في مسرح العمليات تحت جنح الظلام، ثم

تقوم بارسالها فورا الى 7 محطات أرضية في الأراضي السعودية. وبالتالي فقد كانت القيادة الأمريكية على علم بأي تحركات عراقية فور حدوثها في ميدان المعركة. near real time battle field information. وكانت المحطات الأرضية Ground Station Modules (G.S.Ms) التي تستقبل تلك المعلومات الرادارية وتفسرها وتوزعها موزعة كالآتي: واحدة مع كل من القيادة العامة، قيادة القوات الجوية، قيادة المارينز، واثنان مع كل من قيادة الفيلق السابع، قيادة الفيلق الثامن عشر. وتؤكد التقارير التي نشرت بعد الحرب أن طائرات Joint STARS كانت تعمل بالتنسيق مع الطائرات F-15 E. فبينما كانت الطائرة Joint STARS تحاول تتبع تحركات صواريخ الحسين، كانت طائرات F-15 E تحلق في السماء على استعداد للانقضاض عليها بمجرد تحديد مكانها.[3] ولا نعرف على وجه التحديد مدى نجاح هذا الأسلوب، حيث أن العراق لم يعلن عن عدد صواريخ الحسين التي تم تدميرها ليلا... ولكن تدمير عدد كبير من لوارى فناطيس الوقود المدنية على طريق بغداد عمان يوحي باحتمال الخلط بين الصور الملتقطة لتلك اللوارى، والصور الملتقطة لصواريخ الحسين.

الطائرة الخفية F - 117 A (Stealth)

طائرة أمريكية قاذفة خفيفة تمتص الجزء الأكبر من الأشعة الرادارية التي توجه إليها. وبالتالي فإنه يصعب اكتشافها في الوقت المناسب الذي يسمح بتوجيه وسائل الدفاع الجوي اليها بفعالية. وبذلك تستطيع أن تخترق المناطق التي تزدحم بكثافة عالية من وسائل الدفاع الجوي، دون أن تتعرض لخطر كبير. وعن طريق التجهيزات الخاصة في الطائرة يستطيع الموجه الأرضي من غرفة العمليات أن يختار للطائرة أفضل المسالك التي تجنبها عناصر الدفاع الجوي المعادية. وتحمل الطائرة 2 قنبلة وزن كل منها 900 كيلوجرام. ويكون مدى الطائرة بهذه الحمولة 500 ميل بحري (926 كيلومتر).[4] ويستطيع الطيار إعادة الملء بالوقود جوا في حالات الظلام.[5]

وتعتمد الطائرة في اقترابها إلى الهدف على وسائل الملاحة الذاتية (Inertial Navigation System INS)، وعلى جهاز رؤية ليلية في مقدمة الطائرة (Forward Looking Infra Red FLIR)، وعلى جهاز رؤية ليلي آخر أسفل الطائرة (Downward Looking Infra Red DLIR). ويرتبط جهاز الرؤية الليلي هذا مع جهاز

إضاءة بواسطة الليزر مثبت في أسفل الطائرة. وعندما يصل الطيار إلى منطقة الهدف، فإنه يضيء الهدف بأشعة الليزر، ويسقط قنابلة ذات الرأس الباحث عن الليزر فتتجه القنبلة إلى الهدف المضاء، وتصيبه إصابة مباشرة. [4]

والأهداف المثالية لهذه الطائرة هي : مراكز القيادة والسيطرة، مواقع الصواريخ أرض جو، مواقع الصواريخ أرض أرض البالستيكية وأماكن تخزينها، مصانع انتاج الصواريخ وأسلحة التدمير الشامل... إلى غير ذلك من الأهداف الثمينة والصغيرة الحجم.

الطائــــرة B-52 G

الطائرة B-52 هي قاذفة ثقيلة استراتيجية لديها القدرة على حمل أسلحة نووية وتقليدية. ومع ان هذه الطائرة قد استخدمت في حرب فيتنام منذ 20 سنة... إلا أن التعديلات والمعدات التكميلية التي أضيفت عليها في الفترات الأخيرة، لم تترك أي شبه بين تلك الطائرة التي استخدمت في فيتنام وبين تلك التي استخدمت في الحرب ضد العراق الا هيكل الطائرة والمحركات. ونتيجة لتلك المعدات التكميلية أصبحت الطائرات B-52 G ، والطائرات B-52 H ، تتمتع بالمميزات التالية :

1 ـ القدرة على رؤية الأهداف وتصوريها تليفزيونيا حتى في حدود الرؤية الضعيفة.

2 ـ القدرة على رؤية الأهداف بواسطة الأشعة تحت الحمراء (Forward Looking Infra Red FLIR)

3 ـ استخدام وسائل الدفاع ضد الحرب الالكترونية AIQ - 172 Pave Mint ECM system . وهذه هي أفضل الأجهزة الالكترونية التي تستخدمها القوات المسلحة الأمريكية حتى اليوم في العمل ضد تدخلات العدو الالكترونية.

4 ـ وسائل حديثة للملاحة.

وتستطيع الطائرة B - 52 G ، أن تحمل 31 طنا من القنابل والمعدات. ولكن نظرا للمعدات الحديثة التي أضيفت اليها، فإنها لا تحمل عادة أكثر من 20 طنا من القنابل أو الصواريخ. وبالاضافة إلى إمكانية القصف بالقنابل، فإن

الطائرة يمكن أن تستخدم في حمل واطلاق 20 صاروخا جو أرض من طراز AGM - 142 A (الاسم الكودي لهذا الصاروخ هو Have Nap ، وهو صاروخ مداه 110 كيلومتر، ويحمل رأسا حربيا وزنه 320 كيلوجرام). [7] وبدون إعادة الملء في الجو تستطيع الطائرة B - 52 G قطع مسافة 12070 كيلومتر. . . أما B - 52 H فيصل مداها إلى 16 093 كيلومتر. ويتكون طاقم الطائرة من 6 فرد. وأقصى سرعة للطائرة هي 0.77 ماخ. (ماخ = سرعة الصوت = 1063 كيلومتر في الساعة).

وبالرغم من ان مدى الطائرة يسمح لها بأن تنطلق من قواعدها في بريطانيا لضرب أهداف داخل العراق ثم العودة إلى قواعدها دون إعادة الملء في الجو، إذا هي أقلعت بخزاناتها مملوءة بالوقود. . . . فإن هذه الطائرات كانت تقلع بأقل كمية من الوقود حتى تحمل أكبر قدر ممكن من قنابل وصواريخ. وكان يتم إعادة تموينها بالوقود في الجو بواسطة طائرات تنطلق من قاعدة Mount de Marsan في جنوب شرق فرنسا. [8] كما كان يتم تموينها بالوقود مرة أخرى فوق البحر الأبيض. وقد بلغ عدد طلعات B-52 التي انطلقت من بريطانيا خلال الحرب لضرب أهداف داخل العراق والكويت، 60 طلعة ألقت خلالها 1158 طنا من القنابل. [9]

الطائرة AH - 64 (Apache)

هي طائرة هيليوكوبتر، دخلت الخدمة لأول مرة في القوات البرية الأمريكية كطائرة هجومية ضد المدرعات. تستطيع العمل ليلا ونهارا وفي جميع الأجواء، وتحت نفس الظروف التي يعيشها جنود الخط الأول. وبالاضافة الى هذا الواجب الذي صممت من أجله، فقد استخدمت في حرب الخليج في ضرب وسائل الدفاع الجوي العراقية. فقد قام الجيش الأمريكي بعرض شريط فيديو مدته 9 دقيقة التقطته هذه الطائرات ليلة يوم 17 يناير 91، قامت خلالها 8 طائرات من هذا النوع بضرب الرادارات العراقية.

كانت الطائرات تحمل 114 صاروخ طراز Hellfire ، 70 صاروخ طراز Hydra ، وقد قام بعض أفراد من القوات الخاصة بإضاءة الأهداف المطلوب قصفها بوسائل إضاءة أرضية. واستطاعت الطائرات أن تميز الأهداف على مسافة 7 كيلومتر، وأن تشتبك معها وتدمرها على مسافات تتراوح بين

3 ـ 6 كيلومتر. وبتدمير هذه الرادارات استطاعت القاذفات المقاتلة أن تسلك الـطريق الى أهدافها دون أن تكتشف. وتشير التقارير الأمريكية أن الكتيبة الـرابعة من لواء الطيران 229، قد استطاعت أن تدمر 50 دبابة عراقية في معركة واحدة.[10]

ولكن بالرغم من النجاح الذي حققته هذه الطائرات في تلك الحرب، طبقا للتقـارير الأمـريكية، فهناك سؤالان بدون إجابة : السؤال الأول هو : هل الطائرة Apache أفضل من الطائرة هيليوكوبتر السوفيتية الصنع Mi - 24 (Hind) أم أن العكس هو الصحيح ؟ الجنرال السوفيتي فيتالي بافلوف Vitaly Pavlov قائد طيران الجيش في الاتحاد السوفيتي يشكك كثيرا في قدرات الطائرة Apache.[11]

الصـــاروخ جو أرض HARM (AGM - 88 A)

صاروخ أمـريكي يشتق اسمـه من الحـروف الأولى لأربـع كلمات هي High - spead anti Radar Missile . وقد دخل الخدمة لأول مرة في ديسمبر 1983 ليحل محل الصواريخ السابقة من طراز Shrike ، طراز Standard Arm . ويمتاز هذا الصاروخ عن الصاروخين السابقين بـ : السرعة في التشغيل، السرعة في الطيران، طول المدى، القوة التدميرية. والمهمة الرئيسية لهذا الصاروخ هي تدمير رادارات الدفاع الجوي للخصم. وفيما يلي المواصفات الرئيسية لهذا الصاروخ.

- الوزن الاجمالي للصاروخ عند الاطلاق 361.1 كليوجرام
- الرأس المدمرة للصاروخ 66.0 كيلوجرام
- المـدى 74.4 كيلوجرام
- يحمل الصاروخ جهازا حساسا يعمل بالليزر، من أجل تحديد ارتفاع الصاروخ عن سطح الأرض، حتى يمكن تفجير الصاروخ على الارتفاع المطلوب.

وهنـاك 3 حالات modes لاستخدام هذا الصاروخ.

الحـالـة الأولى : Self-protect mode : وهي الحـالة الأكثر استخداما. وفي هذه الحالة فإنه لا يتم تشغيل جهاز اكتشاف البث الراداري الذي يصدر عن رادارات العـدو. وتعتمـد الـطائرة على تشغيل الجهاز الخاص بها لاكتشاف رادارات العـدو. وبمجـرد أن يتم ذلـك فإن هذه المعلومـات تنقل فورا إلى

الحاسب الآلي Computer الخاص بالصواريخ الذي يجهز الصاروخ للانطلاق. ويتم ذلك بسرعة فائقة بحيث يستطيع أن يطلق الصاروخ فور اكتشافه للبث الراداري المعادي. وعند إطلاق الصاروخ فإن الصاروخ يعتمد على نفسه ويركب الشعاع الراداري الذي تم اكتشافه إلى أن يصل إلى الرادار ويدمره... ويتم ذلك حتى لو توقف الرادار المعادي عن البث.

الحالة الثانية : هدف الفرصة Target of opportunity mode : وفي هذه الحالة يتم تشغيل الجهاز الكاشف لرادارات العدو الموجود في الصاروخ، فيظهر للطيار على شاشة فيديو أماكن ونوعية جميع الرادارات التي تعمل في المنطقة. وعلى ضوء هذه المعلومات يقرر الطيار التعامل مع الرادار الذي يشكل خطورة أكبر.

الحالة الثالثة : وهي الحالة المبرمجة Pre - Briefed mode : وتستخدم هذه الحالة، عندما تكون هناك معلومات مسبقة عن وجود رادارات للعدو في منطقة ما، ولكن هذه الرادارات متوقفة عن البث حتى لا تكشف مواقعها. وفي هذه الحالة يمكن إطلاق الصاروخ HARM في اتجاه هذه المواقع. فإذا بدأت رادارات العدو في البث فإنه يركب أشعتها ويدمرها. وإذا لم يتم تشغيل رادارات العدو، فإن الصاروخ يدمر نفسه قبل أن يصل إلى الأرض.

وقد جهزت جميع الطائرات الأمريكية من طراز، F - 4G ، وبعض الطائرات F - 16 C بأجهزة APR - 47 التي تقوم باكتشاف الرادارات المعادية. وتعمل بالتنسيق مع صواريخ HARM . ويطلق على تلك الطائرات المجهزة بتلك المعدات والتي تستخدم الصواريخ HARM ، الاسم الكودي Wild Weasels. وقد تم تجهيز 50 طائرة بتلك المعدات. [12]

الصاروخ توماهوك Tomahawk

هو صاروخ كروز دخل الخدمة في القوات البحرية الأمريكية لأول مرة عام 1985. ويمكن إطلاقه من الغواصات وهي تحت الماء، كما يمكن إطلاقه من سفن السطح، ويمكن أن يحمل رأسا نووية أو رأسا تقليدية. ومداه حتى 1100 كيلومتر إذا استخدم ضد الأهداف الأرضية، 450 كيلومتر إذا استخدم ضد السفن. وسرعته أثناء الطيران في الجو هي 885 كيلومتر في الساعة. ويحمل رأسا حربية وزنها 450 كيلوجرام، منها 340 كيلوجرام من المتفجرات

HE . وهناك نوع آخر من هذه الصواريخ يحمل رأسه الحربي 166 قنبلة صغيرة تنفجر فوق الهدف.

وتستخدم هذه الصواريخ عادة ضد المطارات، والملاجىء الخاصة بالطائرات والصواريخ، ومراكز القيادة، ومواقع الدفاع الجوي. ويمكن أن يقوم الصاروخ بتنفيذ المهمة بأساليب ثلاثة طبقا للتعليمات التي توضع في ذاكرته. فإما أن يتجه مباشرة إلى الهدف ويدمره. وإما أن يطير فوق الهدف ثم ينفجر فوقه. وإما أن ينقض على الهدف من أعلى ويدمره.[13]

ويعتمد في توجيهه ضد الأهداف الأرضية على نظام TERCOM . وبموجب هذا النظام يتم الحصول مسبقا على صور دقيقة عن الهدف وعن الهيئات الأرضية التي سوف يمر فوقها الصاروخ أثناء رحلة طيرانه إلى الهدف. ثم يتم ادخال هذه المعلومات داخل الذاكرة الخاصة بالصاروخ، لكي يلتزم بها إلى أن يصل إلى الهدف المطلوب اصابته. وبناء على هذه المعلومات، وبالمقارنة بالصور التي يلتقطها الصاروخ أثناء رحلة طيرانه ومقارنتها بالصور التي في الذاكرة، يستطيع الصاروخ أن يصل إلى الهدف المطلوب. ويمتاز هذا الصاروخ بإمكانية الطيران على إرتفاع منخفض. . . وبذلك يتفادى إمكانية اكتشافه بواسطة رادارات العدو. ولدى الصاروخ القدرة على المحافظة على تغيير ارتفاع طيرانه حسب طبيعة الأرض. وبالتالي فإنه يستطيع أن يرتفع فوق التلال والجبال ثم ينخفض في الوديان حتى يبقى على ارتفاع ثابت بينه وبين أعلى سطح للأرض التي يمر فوقها. ويستطيع الصاروخ أن يطير على ارتفاع 30 مترا، وان يحافظ على هذا الارتفاع على مستوى سطح الأرض التي يمر فوقها طوال الرحلة.

الصاروخ جو أرض (AGM - 84 D) SLAM

هذا الصاروخ مازال في مرحلة التقييم والاختبار بواسطة القوات البحرية الأمريكية. ويشتق اسمه من أوائل الكلمات Stand-off Land Attack Missile . وقد قامت القوات البحرية باستخدامه أثناء حرب الخليج بواسطة الطائرات A - 6 E . والاسم الفني لهذا الصاروخ هو AGM - 84 D . وهو نموذج متطور للصاروخ AGM - 84 (هاربون Harpoon) . ويوجد في رأس الصاروخ كاميرا فيديو، كاميرا تصوير بالأشعة تحت الحمراء. ويسمح ذلك للطيار بإمكانية

انتخاب الهدف وتحديده للصاروخ بعد اطلاقه. وعن طريق جهاز استقبال GPS يمكن للصاروخ أن يتلقى توجيهات تصحح المسار من الطائرة الأم، إلى أن يصبح الهدف في مدى قدرة رأس الصاروخ على تصوير الهدف بالأشعة تحت الحمراء (يكون ذلك في حدود 60 ثانية قبل الوصول الى الهدف). وهنا يتولى هذا الرأس توجيه الصاروخ الى الهدف. والصاروخ مداه 50 ميل بحري nautical mile (93 كيلومتر). [14] ويطير على ارتفاع منخفض يسمح له بتفادي رادارات العدو. وتصل دقة الاصابة الى 16 متر. وهذا الصاروخ SLAM مازال في مرحلة التطوير. وقد تم انتاج 38 صاروخ فقط من هذا النوع لأغراض الاختبار. [15]

الصاروخ AGM/65 مافريك Maverick

هو صاروخ أمريكي جو أرض لضرب وتدمير الأهداف الصلبة (hard targets) مثل الدبابات والعربات المدرعة والمدفعية، والتحصينات، ومراكز القيادة والسيطرة الميدانية، والسفن، الخ. وهناك ثلاثة أنواع من هذه الصواريخ.

- نوع يحمل في رأسه كاميرا تليفزيونية ويسمى AGM - 65 A/B . وهذا النوع يعمل نهارا فقط وفي حالات الرؤية الجيدة. وبمجرد أن يطلق الطيار الصاروخ فإنه يستطيع أن يهرب بطائرته تاركا الصاروخ يشق طريقه نحو الهدف.

- نوع يحمل في رأسه كاميرا تعمل بالأشعة تحت الحمراء ويسمى AGM - 65 D/G . وهذا النوع يعمل ليلا ونهارا وفي حالات الرؤية الضعيفة. ويستطيع أن يخترق الدخان والغبار.

- نوع يحمل في رأسه باحثا عن الهدف المضاء بالليزر. . . سواء تمت إضاءة الهدف بواسطة الليزر من الجو أو من الأرض. ويسمى AGM - 65 C/E . وهذا النوع يعمل ليلا ونهارا. ولكنه لا يعمل بكفاءة في حالات الدخان والغبار.

ومدى الصاروخ حتى 24.2 كيلومتر. والرأس الحربي للصاروخ يزن 56.7 كيلوجرام بالنسبة للنوعين اللذين يعملان بالتليفزيون والأشعة تحت

الحمراء. أما النوع الذي يعمل بالليزر فتكون 1 . 136 كيلوجرام. وبذلك يصبح الوزن الاجمالي للصاروخ هو 210 كيلوجرام في النوعين الأولين، 289 كيلوجرام في النوع الثالث.

صـــاروخ Sea Skua

هو صاروخ جو سطح بريطاني الصناعة، يطلق من طائرات الهيليوكوبتر ضد السفن. وزنه الاجمالي 147 كيلوجرام، ووزن الرأس الحربي للصاروخ 20 كيلوجرام. ومدى الصاروخ 20 كيلومتر وسرعته 8 . 0 ماخ. وقد دخل الخدمة في البحرية البريطانية اعتبارا من عام 1982.

ويتم توجيه الصاروخ نحو الهدف بواسطة استقبال الأشعة الرادارية التي تنعكس من الهدف... حيث تقوم الطائرة الهيليوكوبتر بإضاءة الهدف المطلوب تدميره بالأشعة الرادارية قبل إطلاق الصاروخ، فيستقبل رأس الصاروخ هذه الأشعـة بجهـاز استقبـال يحدد له مكـان واتجـاه الهدف، فينطلق في اتجاهه Semi active radar homing . وتستطيع الطائرة أن تهرب من المنطقة بعد الاطلاق تاركة للصاروخ مهمة التوصل الى الهدف وتدميره. وعندما ينطلق الصاروخ نحو الهدف فإنه يطير على ارتفاع منخفض (الارتفاع الذي يحدده الطيار قبل اطلاقه) لكي يتلافى وسائل الدفاع المعادية.

وطبقـا للتقارير البريطانية فإن طائرات Lynx المسلحة بصواريخ Sea Skua كانت تقـوم بمهـام استطلاعية مقاتلة Search and destroy mission أمام سفن التحـالف بمسافة حوالي 350 كيلومتر... وأن 12 قطعة بحرية عراقية تم تدميرها نتيجة اطلاق 26 صاروخ Sea Skua . وأن كل طائرة Lynx كانت تطير بمعدل حوالي ساعتين ونصف يوميـا.[16]

الصــاروخ AGM - 114 (Hellfire)

هو صاروخ أمريكي جو أرض مضاد للدروع يعتمد على وسائل متعددة في التوجيه. فهناك أنواع منها يتم توجيهها بواسطة أشعة الليزر. وهناك أنواع يتم توجيهها بواسطة الأشعة تحت الحمراء. ويزن الصاروخ 43 كيلوجرام. وتحمل الطائرة الهيليوكوبتر AH - 64 ، 16 صاروخ مشكلة في أربع مجموعات في كل منها 4 صاروخ. والصاروخ Hellfire لايتطلب ضرورة رؤية الهدف عند لحظة الاطلاق. فهو يستطيع أن يتفادى المرتفعات والعوائق التي تعترض طريقه،

ويستمر في البحث عن الهدف إلى أن يكتشفه و يتجه إليه. وبذلك فإنه يوفر الوقاية الكاملة للطائرة التي تقوم باطلاقه من خلف تبة أو جبل، دون أن تتعرض لمراقبة العدو ووسائل نيرانه. ثم تنسحب بعد الاطلاق مباشرة تاركة للصاروخ نفسه مهمة البحث عن الهدف وتدميره.

القنبلة المنزلقة GBU - 15

في الماضي، كان يتحتم على الطيار أن يمر فوق الهدف ويسقط عليه القنابل، فتندفع القنابل إلى أسفل بفعل الجاذبية الأرضية. فإن كان تصويب الطيار جيدا سقطت القنابل فوق الهدف ودمرته. ومع تزايد سرعة الطائرات أصبح احتمال الخطأ كبيرا. . . ومع زيادة قدرات الدفاع الجوي أصبح اسقاط الطائرة بالمدفعية المضادة للطائرات المعادية عند اقترابها من الهدف أكثر احتمالا.
ومن هنا بدأ التفكير في طريقة تسمح للطائرة باسقاط قنابلها وهي بعيدة عن الهدف (أي تكون خارج مدى وسائل الدفاع الجوي عن الهدف)، تاركة القنابل لكي تسبح في الجو الى أن تصل الى الهدف المطلوب تدميره. وقد تم اجراء التعديلات وإضافة الأجهزة الالكترونية الحساسة إلى القنابل لكي تتمكن من تنفيذ ذلك. وهكذا سميت القنابل الذكية Smart Bombs . وقد استخدمت هذه القنابل لأول مرة في حرب فيتنام. ولكن تلك القنابل كانت أقل ذكاء بكثير من القنابل التي استخدمت ضد العراق عام 1991. وكان في مقدمة تلك القنابل الذكية، القنبلة GBU - 15 .

والقنبلة GBU - 15 هي قنبلة أمريكية وزنها 2000 رطل (حوالي 900 كيلوجرام). وإذا استخدمت ليلا فإنه يمكن أن يركب على رأسها كاميرا تقوم بالتصوير بالأشعة تحت الحمراء. وبهذه الامكانيات فإن الطيار أصبح في إستطاعته أن يطلق تلك القنابل من مسافات بعيدة ومن ارتفاعات منخفضة.
وبعد الاطلاق تستمر القنبلة في إرسال صور بالفيديو الى الطائرة، حيث يقوم الطيار بتصحيح مسارها نحو الهدف. ومدى القنبلة هو 15 كيلومتر على الارتفاعات المنخفضة، وحتى 80 كيلومتر في حالة الاطلاق من ارتفاع عال [17].

القنبلة المنزلقة AGM - 130

وهي نفس القنبلة المنزلقة GBU - 15 ، بعد أن تم تزويدها بمحرك. وهذا المحرك سوف يزيد من مدى هذه القنبلة ثلاث مرات سواء بالنسبة لحالات

الاطلاق من الارتفاعات المنخفضة، أو الارتفاعات العالية. ولا شك أن ذلك سوف يوفر للطائرة درجة أكبر من الوقاية ضد وسائل الدفاع الجوي المعادية. وقد دخلت هذه القنبلة الخدمة عام 1990.

القنبلة GBU - 10 E / B

القنابل الموجهة بالليزر وهو الجيل الأحدث للقنابل الذكية. ويطلق اسم Paveway على القنابل الموجهة بالليزر لتمييزها من القنابل الذكية. وقد تم انتاج قنابل Paveway - 1 ما بين عام 1967 ـ 1979. وبدأ انتاج قنابل Paveway - 2 اعتبارا من عام 1973. وتمتاز قنابل Paveway - 2 بزيادة المدى الذي تستطيع منه الطائرة أن تطلق تلك القنابل من ارتفاعات منخفضة. ويمكن اسقاط هذه القنابل من معظم الطائرات الأمريكية والغربية (F - 4، F - 111، F - 5، A - 6، A - 37، A - 7، A - 4، A - 10، F - 16، AV 8A هارير، B - 52، F - 14، F - 15، F - 18، الميراج، التورنادو، الجاجور الخ الخ . .) والجدير بالذكر، هو أنه بينما تمتلك إسرائيل تلك القنابل، فإنه لا توجد دولة عربية واحدة من بين الدول التي تمتلك طائرات غربية الصناعة قد حصلت على تلك القنابل. وتوجد هذه القنابل الموجهة بالليزر في ثلاثة عينات :

GBU - 12 D/B	ماركة 82	ووزنها 500 رطل
GBU - 16 B/B	ماركة 83	ووزنها 1000 رطل
GBU - 10 E/B	ماركة 84	ووزنها 2000 رطل

القنبلة GLU - 109 B

اما أحدث جيل من هذه القنابل فهو GLU - 109 B.[18] وهذه القنبلة أو هذا الصاروخ قد استخدمته أمريكا ضد العراق بصفة عامة، وضد ملجأ العامرية لوقاية المدنيين يوم 13 فبراير 91 بصفة خاصة. وقد صممت هذه القنبلة لتدمير الملاجىء الخرسانية. وتستطيع هذه القنبلة أن تخترق 9 متر من الخرسانة المسلحة قبل أن تنفجر. ووزن القنبلة الواحدة 2000 رطل (حوالي 900 كيلوجرام). وكانت الطائرة F - 117 التي قصفت ملجأ العامرية تحمل قنبلتين من هذا النوع. وقد أصابت الهدف بدقة كبيرة. فسقطت القنبلة الأولى على

مدخل الملجأ بحيث أصبح الهروب من الملجأ طلبا للنجاة غير ممكن، بينما أصابت القنبلة الثانية الملجأ إصابة مباشرة وانفجرت بداخله. وإذا كان لأمريكا أن تفخر بالدقة العالية في إصابة الهدف، فإن ذلك اليوم الأسود يجب أن يبقى إلى الأبد في ذاكرة الشعب العربي والأمة الاسلامية. . . ويجب أن تدفعنا تلك الذكرى الأليمة إلى ضرورة الأخذ بأسباب العلم والتقدم.

قنبلة BLU - 82 (Daisy Cutter)

هي قنبلة تحتوي على كمية كبيرة من الوقود والأكسوجين. ويتم تفجيرها في الهواء فتسبب انفجارا هائلا وحرارة عالية، وضغطا عاليا في منطقة الانفجار. وقد نفت أمريكا على لسان الجنرال Kelly أن تكون القوات الأمريكية قد استخدمت هذه القنابل ضد الأفراد، وأنها استخدمتها فقط ضد حقول الألغام العراقية لفتح ثغرات فيها. ولكن من المؤكد والثابت أن القوات الأمريكية قد استخدمت هذه القنابل ضد القوات التي تحتل الخطوط الأمامية في الكويت، بهدف التأثير المعنوي على من ينجو من القتل بعد سقوط هذه القنابل في المناطق القريبة منه، وارغامه على التسليم أو الفرار.

وتزن هذه القنبلة 15 000 رطل (6800 كيلوجرام) ويزن الرأس المدمرة 5700 كيلوجرام من مخلوط لزج من المواد التالية :

نترات الأمونيا	ammonium nitrale
مسحوق الألومنيوم	aluminium powder
صابون بوليسترين	polystyrene soap

ويتم تفجير القنبلة في الجو وأقرب ما يمكن من سطح الأرض. ونتيجة هذا الانفجار يتولد ضغط يصل إلى 1000 رطل على البوصة المربعة (يعادل 72 كيلوجرام على السنتيمتر المربع). [19] ونظرا لضخامة هذه القنبلة وثقل وزنها، فإن القوات الجوية الأمريكية تستخدم طائرات النقل طراز C - 130 لاسقاط هذه القنبلة. ويتم ذلك بنفس الأسلوب المستخدم في اسقاط المدافع والمركبات من الجو، وهو ما يعرف بالاسقاط الثقيل Heavy Drop Technique.

القنبلة العنقودية Cluster Bombs

الاسم الفني لها هو CEM ، Combined Effects Munition. والنوع الأمريكي من

هذه القنابل يسمى CBU - 87 B . وتزن القنبلة الواحدة 450 كيلوجرام. وتحتوي كل قنبلة على 202 قنيبلة صغيرة bomblet ، وزن كل منها 1.54 كيلوجرام. وتستخدم هذه القنابل في تدمير المدرعات والمركبات والطائرات الخ . وتستطيع القنيبلة أن تخترق درعا سمكه 118 ملليمتر إذا اصطدمت به مباشرة أما الشظايا فإنها تستطيع اختراق العربات الغير مدرعة . [20]

قنبلة الممرات JP 233

هي قنبلة بريطانية استخدمتها بريطانيا بكثافة في ضرب وتدمير الممرات في القواعد الجوية العراقية. وكانت الطائرة تورنادو طراز GR - 1 تحمل 2 قنبلة، وتقوم باسقاطها ليلا ومن ارتفاع منخفض على الممر. وكل قنبلة عبارة عن مستودع ويكمل كل منهما الآخر. فواحدة منها وزنها 1370 كيلوجرام وتحمل بداخلها 30 قنيبلة وزن كل منها 26 كيلوجرام، ومهمتها هو تدمير مسطح الممر. اما الثانية فوزنها 1150 كيلوجرام، وتحمل بداخلها 215 قنيبلة وزن كل منها حوالي 4.5 كيلوجرام، ومهمتها هي تصعيب عملية إعادة اصلاح الممر. . . حيث يتحتم أولا وقبل كل شيء تطهير الممر والمنطقة المحيطة به من تلك القنابل قبل البدء في عملية الاصلاح. وحيث أن عملية التطهير هذه لا يمكن ان تتم بوسائل ميكانيكية، فإن تنفيذها بالوسائل اليدوية تحتاج إلى مجهود ووقت طويل.

وبالرغم من النجاح الذي حققته هذه القنبلة في تدمير الممرات وتعطيل استخدام المطارات العراقية. . . الا أنه ثبت أنها ليست الأسلوب المثالي لتدمير المطارات. فنجاح هذا الأسلوب يتطلب ضرورة مهاجمة المطارات من ارتفاعات منخفضة جدا لضمان إصابة الممرات إصابة مباشرة. . . وهذا يتيح للقوات التي تدافع عن المطار استخدام الأسلحة الصغيرة (البنادق والرشاشات الخفيفة والمتوسطة) ضد الطائرات المغيرة. وقد نجح العراقيون في اسقاط 6 طائرات تورنادو بالأسلحة الصغيرة أثناء مهاجمتها للمطارات العراقية. وقد استخدم العراقيون أسلوب السد الناري في إسقاط هذه الطائرات.

الصاروخ MIM - 104 باتريوت Patriot

هو صاروخ أمريكي أرض جو، صمم أساسا لكي يحل محل الصواريخ الأمريكية من طراز Nike Hercules ، وبعض الأنواع من صواريخ HAWK . وفي

عام 1982 دخل الخدمة لأول مرة في القوات الامريكية. [21] وفي خلال الفترة 1984 ـ 1987، أدخلت عليه تحسينات جعلته قادرا على التصدي للقذائف البالستيكية التكتيكية Tactical Balistic Missiles . وهو يخدم مع الجيش الأمريكي على شكل كتائب. وتتكون الكتيبة من 6 بطارية. والبطارية هي وحدة النيران الصغرى، التي يمكنها أن تعمل مستقلة. ويكون من ضمن تنظيمها رادار + مركز قيادة وسيطرة + 8 منصة إطلاق مع كل 4 صاروخ... فيكون اجمالي البطارية هو 32 صاروخ. وقد كان لأمريكا في منطقة الخليج لواء باتريوت يتكون من كتيبتين (12 بطارية). ويقوم رادار البطارية بتنفيذ مهام متعددة. فهو يقوم بمهمة المراقبة Surveillence ، ويقوم بمهمة التحقق من الأهداف الصديقة من المعادية IFF ، ويقوم بمهمة متابعة الهدف Tracking ، ويقوم بمهمة توجيه الصاروخ إلى الهدف... في حين أن هذه المهام الأربعة يقوم بها 9 رادارات مختلفة في صواريخ HAWK وصواريخ Hecrcules .

ويجري تشغيل الباتريوت بطريقتين: الطريقة الأولى، هي الطريقة الأوتوماتيكية 100٪. وفي هذه الحالة فلا عمل للطاقم. فإن الصواريخ هي التي تتلقى المعلومات، وهي التي تنطلق بطريقة أوتوماتيكية. أما الطريقة الثانية فهي أن يستقبل الطاقم المعلومات ويقوم بتقييمها، ثم يعطي الأمر للصواريخ بالانطلاق. وفي حالة حرب الخليج، ونظرا لأن رحلة طيران صواريخ الحسين التي كان يوجهها العراق ضد السعودية وضد اسرائيل كانت تستغرق حوالي 7 دقائق، فإن صواريخ باتريوت كانت تعمل وهي في الوضع الأوتوماتيكي الكامل.

كانت الأقمار الصناعية الأمريكية تسجل وقت انطلاق الصواريخ العراقية وخط طيرانها، وتنقل هذه المعلومات إلى وحدات الباتريوت التي في المنطقة المهددة. وهذه تقوم باطلاق الصواريخ التي يمكنها أن تعترض الصواريخ العراقية... ويتم كل ذلك بطريقة أوتوماتيكية وبدون أي تدخل بشري [22] وقد ثبت أن هذه الطريقة الأوتوماتيكية يمكن أن تخطىء. ففي يوم 19 يناير أطلقت بطارية باتريوت صاروخين ضد ما اعتقدت أنه صاروخ عراقي... في حين أنه لم يكن سوى ظاهرة جوية. [23]

وقد تلقت إسرائيل من أمريكا 2 بطارية باتريوت قبل بدء العمليات. وفي

خلال فترة العمليات، واعتبارا من يوم 19 يناير 91 حصلت إسرائيل على 4 بطارية باتريوت إضافية.[24] ويعتقد أن إسرائيل لديها الآن كتيبة باتريوت مكونة من 6 بطاريات (48 مركبة إطلاق + 192 صاروخ).

صــــواريـخ MLRS

مركبة مجنزرة تحمل قاذف صاروخي عيار 227 ملليمتر. والاسم الفني هو Multiple Launch Rocket System . وتحمل المركبة 12 صاروخ. وتجر مقطورة بها 6 صواريخ أخرى. ويرافقها عربة ذخيرة تحمل 24 صاروخ. . . أي أن اجمالى الوحدة النارية للقاذف الصاروخي هي 42 صاروخ. ومن الممكن أن تطلق هذه الصواريخ بطريقة فردية، أي صاروخ واحد في كل مرة. . . ويمكن اطلاقها بأعداد محدودة في الدفعة الواحدة. . . كما يمكن اطلاقها جميعا دفعة واحدة. وقد تم تجهيز بعض كتائب الصواريخ MLRS بنظام Army Tactical Missile System (ATACMS) . وهي قذائف صاروخية أرض أرض موجهة semi-guided ballistic missile . والقاذف الصاروخي وملحقاته يمكن نقله جوا في طائرات النقل C - 130 ، C - 140 ، وفيما يلي أوزان القاذف وملحقاته.

عربة القاذف كاملة الحمولة	191 25 كيلوجرام
المقطـورة	270 2 كيلوجرام
عربة الذخيرة	273 27 كيلوجرام

ويزن الصاروخ الواحد 307 كيلوجرام. ويمكن أن يحمل ثلاثة أنواع من الرؤوس الحربية حسب طبيعة المهمة.

أ ـ رأس حربي ضد الأفراد والمعدات. وتزن 154 كيلوجرام وتحمل 644 قنبيلة صغيرة وزن كل منها 23 . 0 كيلوجرام. وتستطيع القنبيلة أن تخترق درع سمكه 100 ملليمتر اذا اصطدمت به مباشرة. ومدى الصاروخ بهذا الرأس هو 32 كيلومتر.

ب ـ رأس حربي يستخدم في نشر الألغام. وتزن 107 كيلوجرام وتحمل 28 لغم مضاد للدبابات طراز AT 2 . وتنفصل الألغام من الرأس عندما تصبح فوق الهدف بحوالي 1200 متر. وبقصفة واحدة من 12 صاروخ، فإنه يمكن نشر 336 لغم فوق مساحة 1000 متر × 400 متر خلال دقيقة واحدة. ويزن كل

لغم 2.2 كيلوجرام. ويمكن أن يخترق 140 ملليمتر من الدروع.

جـ - رأس حربي يحمل أسلحة كيماوية. ولا توجد أي معلومات معلنة عن هذه الرأس.

وقد حشدت أمريكا 117 قاذف صاروخي MILRS في منطقة الخليج قبل بدء العمليات البرية ضد العراق. وأطلقت خلال الحرب 10 000 قذيفة.[25]

قذيفة كوبرهد Copperhead

هي نوع من أنواع القذائف التي تستخدم بواسطة الهاوتزر 155 ملليمتر. ولكن هذه القذيفة صممت على أساس أنه يمكن التحكم بها وتوجيهها نحو الهدف بالوسائل الالكترونية، كما هو الحال بالنسبة للقذائف والقنابل الموجهة التي تطلقها الطائرات. ولذلك فإنه يطلق عليها تعريف القذائف الموجهة التي تطلقها المدفعية Cannon Launched Guided Projectile CLGP . أما إسم Copperhead ، فقد أعطى لها ليميزها عن غيرها من قذائف المدفعية. وقد دخلت الخدمة في الجيش الأمريكي عام 1982 بعد سلسلة من التجارب استغرقت 10 سنوات، وبعد أن نجحت في الاختبار وأصابت الأهداف المحددة إصابات مباشرة بنسبة 6 . 86٪، في حين أن نسبة النجاح تشترط 80٪ فقط.

وهذه القذيفة يمكن إطلاقها من أي هاوتزر 155 ملليمتر دون إجراء أي تعديلات في المدفع. فعلاوة على إمكانية استخدامها بواسطة الهاوتزر الأمريكي 155 ملليمتر المجرور والذاتي الحركة، فإن الهاوتزر الفرنسي والياباني وغيرهما يستخدمان نفس القذيفة.[26] ويتم إضاءة الأهداف التي تكلف قذيفة Copperhead باصابتها بواسطة أشعة الليزر، سواء تم ذلك بوسائل أرضية أو وسائل محمولة جوا. ويقوم الباحث عن الليزر المثبت في رأس القذيفة بالتوجه إلى الهدف وتدميره.

معدات الرؤية الالكترونية

لقد أصبحت معدات الرؤية الالكترونية Electro Optical Equipment عنصرا أساسيا من عناصر التسليح. وهي تستخدم حاليا في كافة الأسلحة البرية والجوية والبحرية. وهي تعتمد أساسا على الاضاءة بالأشعة تحت الحمراء، أو أشعة الليزر، أو تكبير إضاءة النجوم.

وتستخدم في المراقبة والسيطرة، وادارة النيران، وقياس المسافات، وقيادة السيارات والطائرات، وتوجيه الصواريخ والقنابل، إلخ . . . وقد استخدمت القوات الأمريكية هذه الأجهزة في حرب الخليج على نطاق واسع برا وبحرا وجوا. وسوف نذكر هنا بعضا من تلك الأجهزة التي استخدمتها القوات الجوية.

لانتيرن LANTIRN : هو جهاز يستخدم الأشعة تحت الحمراء في الملاحة وتحديد الأهداف ليلا على ارتفاعات Low Altitude Navigation and Targetting infra-red system for night منخفضة. وعن طريق هذا الجهاز يستطيع الطيار أن يكتشف الأهداف الأرضية ويتابعها، ثم يقوم بتدميرها سواء بالقنابل العادية أو بالقنابل الموجهة. وتستخدمه الطائرات F - 16 ، F - 15 E بصفة أساسية. كما يمكن أن تجهز به العديد من الطائرات الأخرى. ويشتمل الجهاز على قسمين رئيسيين. القسم الأول وهو الخاص بالملاحة Navigation Pod . والقسم الثاني وهو الخاص بالتصويب Targetting Pod . ويوفر القسم الخاص بالملاحة ميدان رؤية أمامي واسع بواسطة الأشعة تحت الحمراء FLIR Forward Looking infra-red . كما يشمل أيضا رادارا خاصا بمتابعة طوبوغرافية الأرض Terrain Following Radar . وبذلك يستطيع الطيار أن يطير على ارتفاعات منخفضة جدا بأمان تام. أما القسم الثاني، فهو يوفر ميدان رؤية ضيق ومركز نحو الهدف بالأشعة تحت الحمراء . . . كما يوفر أجهزة الليزر لتحديد أبعاد الهدف وإضاءته، ثم تدميره. ويتم التدمير في العادة بأسلحة يتم توجيهها بالليزر أو الأشعة تحت الحمراء، كما هو الحال بالنسبة لصاروخ المافريك. ونظرا لما تضيفه إمكانيات الرؤية والعمل الليلي من مميزات للسلاح، فإن الولايات المتحدة تقوم دائما بتجهيز الطائرات التي تبيعها إلى إسرائيل بتلك الأجهزة . . . بينما تقوم بتجريد أي طائرة متطورة تبيعها لأي دولة عربية من تلك الأجهزة.[27]

جهاز ATAFCS : وهو جهاز يستخدم في كشف الأهداف والسيطرة على النيران من الجو Airborne Target Acquisition and Fire Control System ، وعادة ما تجهز به الطائرات الهيليوكوبتر. ويشمل الجهاز كاميرا تليفزيونية للاستخدام في العمليات النهارية، كما يشمل معدات الرؤية التي تقوم ببث الأشعة

واستقبالها من الهدف. وطائرات الهيليوكوبتر المجهزة بهذا النظام، تستطيع أن تهاجم الدبابات وتدمرها ليلا ونهارا . . . كما انها تستطيع أيضا أن توجه نيران المدفعية التي تطلق قذائف موجهة، مثال ذلك القذائف التي يمكن أن تطلق بواسطة الهاوتزر 155 ملليمتر CLGP (Cannon Launched Guided Projectile) .

جـهـــاز AN/AVQ (Pave Tack) : هذا الجهاز يوفر للطائرات القدرة على العمـل 24 ساعـة في اليوم وفي جميع الأجـواء. ويضم الجهاز العناصر الرئيسية الثلاث للعمليات الليلية وهي :

الرؤية الالكترونية	Electro-optical acquisition
إضاءة الهدف بالليزر	Laser designator
توجيه السلاح نحو الهدف	Weapon Delivery System .

ويستخـدم الجهـاز ضد الأهـداف الثـابتـة والأهداف المتحركة من جميع الارتفاعات بما في ذلك الارتفاعات المنخفضة جدا. وتجهز معظم الطائرات F - 4 E ، F - 111 بهذا الجهاز.

جـهاز تكبير ضـوء النجـوم : منظار يستخدمه طياروا الطائرات F - 15 E . ويتصـل هذا المنظار بجهاز مثبت أسفل الطائرة يقوم بتكبير ضوء النجوم 25 000 مرة. وكلما يحرك الطيار رأسه يمينا أو يسارا يتحرك معه محور جهاز التكبير الموجود في أسفل الطائرة، حتى يتطابق ميدان الرؤية للطيار مع ميدان الرؤية لجهاز تكبير الضوء. ويستطيع الطيار بواسطة هذا الجهاز أن يميز الهدف المطلوب قصفه من مسافة 11 كيلومتر.[28]

أجـهـزة الحـرب الالكـترونيـة

أجهزة الحرب الالكترونية Electronic Wartare Equipment يدخل تحتها أجهزة التصنت وتحـديد الاتجـاه. . . وأجهـزة الاعاقة والشوشرة ضد أجهزة العدو الالكترونية. . . والأجهزة التي تستخدم لافشال عمليات الاعاقة التي يقوم بها العدو ضد أجهزتنا الالكترونية. وسوف نذكر بعضا من تلك الأجهزة، التي استخدمتها القوات الأمريكية في الحرب ضد العراق في البر والبحر والجو.

جـهـــاز Trailblazer : الاسـم الـفـني لهذا الجـهــاز AN/TSQ - 114 A ويستخدم هذا الجهاز في القوات البرية على مستوى الفرقة. ويوفر لقائد الفرقة

المعلومات عن العدو وعن شبكاته اللاسلكية وأماكن تواجدها. ويعمل الجهاز والطاقم من عربة مجنزرة، علاوة على وجود مقطورة توفر للجهاز مولد كهربائي قوته 30 كيلووات.

جهـــاز Chief : وهو عبارة عن جهاز له قدرات متعددة ومحمل في عربة 1.5 طن. والجهاز له القدرة على التقاط الشبكات اللاسلكية، وتحديد اتجاهها، وإعاقتها.

أجهـزة الاعاقـة الالكترونيـة المحمولة جـوا

هنـاك أجهـزة اعـاقـة هجـومية، يقصد بها إفشال وابطال جميع الأجهزة الالكترونية التي يملكها العدو أو الغالبية العظمى منها. وهذه الأجهزة تكون عادة ثقيلة وكبيرة الحجم ومتعددة المواصفات، مما يستدعي تخصيص طائرات خاصة لحملها يطلق عليها طائرات إعاقة. ومن هذه الطائرات مايلي :

(Wild Weasel) F - 4 G في القوات الجوية الأمريكية

(Raven) F - 111 A في القوات الجوية الأمريكية.

(Prowler) E A-6 B في القوات البحرية الأمريكية.

وهناك أجهزة الكترونية أخرى صغيرة الحجم وخفيفة الوزن نسبيا، يمكن أن توضع في جميع الطائرات، التي تكلف بمهام داخل منطقة يوجد بها دفاع جوي حديث ومتقدم. ونذكر منها الأجهزة التالية على سبيل المثال لا الحصر.

مـعـــدات AN/ALQ - 99 : هي مجموعة من الأجهزة الالكترونية التي تقـوم باجـراءات مضـادة ضد الأجـهـزة الالـكـترونـيـة المـعـادية Electronic Counter Measures ECM . وتجهز بها أعداد محدودة من الطائرات التي تكلف بالقيام بعملية الاعاقة التكتيكية. وتستخدم القوات البحرية الأمريكية الطائرة EA - 6 B في القيام بتلك المهمة. وتضم هذه المعدات 5 مستودعات يحمـل كل منها جهازين ذوي قدرة عالية جدا في عمليات الاعاقة. والجيل الأول من هذه الأجهـزة يستطيع إجراء الاعـاقة على 4 موجات فقط. أما الأجيال التالية والتي تسمى AN / ALQ - 99 B ، AN / ALQ - 99 C ، فإنها تستطيع إعاقة ضعف هذا العدد من الموجات.

جهـــاز AN / ALQ - 136 : هو جهاز إعاقة، تحمله طائرات الهيليوكوبتر

التي تكلف بمهام تكتيكية. ويقوم هذا الجهاز بتوفير الوقاية للطائرة ضد الصواريخ أرض جو التي توجه إليها. والجهاز يوفر عملية إعاقة لفترة قصيرة، تسمح للطائرة بأن تقوم بتنفيذ مهمتها من ارتفاع منخفض والعودة قبل أن يتمكن رادار العدو من اللجوء إلى الاجراءات المضادة للاعاقة. والجهاز يزن حوالي 18 كيلوجرام وتحمله جميع طائرات الهيليوكوبتر طراز Cobra ، طراز Apache .

جهاز AN / ALQ - 156 : هو جهاز يوفر للطائرة فرصة الهروب من الصواريخ المعادية التي يتم توجيهها بالأشعة تحت الحمراء. ويستخدم في طائرات الهيليوكوبتر CH - 47 ، وطائرات C - 130 ، وغيرها من الطائرات المخصصة للنقل. وبمجرد أن يكتشف الجهاز اقتراب الصواريخ المعادية من الطائرة، فإنه يقوم أوتوماتيكيا باطلاق أهداف هيكلية IR decoys لاجتذاب الصواريخ المعادية.

جهاز AN / ALQ - 172 : هو جهاز إعاقة متقدم جدا. وتحمله الطائرة B - 52 . ولا تعرف عنه معلومات تفصيلية حتى الآن. ولكن يعتقد أنه يوفر لهذه الطائرة الغالية الثمن، وقاية كاملة ضد كل الصواريخ التي يمكن أن توجه من الأرض أو من الجو.

جهاز AN / ALQ - 178 : ويتكون الجهاز من قسمين رئيسيين. قسم يختص بالبحث والكشف عن الاشعاعات الرادارية. والقسم الثاني يختص بإعاقة هذه الأجهزة الرادارية. وتستخدمه الطائرات F - 16 . وهو يوفر لها الوقاية إذا ما دخلت في منطقة ذات دفاع جوي. ووزن هذا الجهاز 188 كيلوجرام.[29]

الفصل الرابع

مقارنـــــة القـــــدرات

القدرات الطبيعية والعسكرية

القدرات الطبيعية

تعتمد قوة أي شعب على عنصرين رئيسيين. العنصر الأول هو الفرد. والعنصر الثاني هو الثروة الطبيعية. واذا كان الفرد هو العنصر الأول والأساسي من عناصر القوة، فان الكثرة في الأفراد لا تضيف للشعب قوة، الا اذا كانت مقرونة بالعلم والحرية. فالانسان لا يمكن ان تتفجر طاقاته الفكرية والانتاجية والقتالية الا اذا كان يعيش وسط مجتمع عادل... تحترم فيه الحقوق الانسانية، وتمارس فيه الحرية السياسية والعدالة الاجتماعية اللتان بدونهما لا يمكن رفع القيمة الانتاجية للفرد والمجتمع. واذا نظرنا الى الجدول رقم 5، يتضح لنا أن متوسط دخل الفرد يصل في امريكا الى 875 20 دولار سنويا، وفي ألمانيا الى 662 17 دولار سنويا. بينما متوسط الدخل السنوي للفرد في الدول الاسلامية هو 1004 دولار. واذا كان متوسط دخل الفرد في الدول الخليجية يتراوح بين 000 54 دولار في قطر، 000 6 دولار في سلطنة عُمان، فان ذلك لا يرجع الى ارتفاع انتاجية الفرد، بل يرجع أساسا الى النفط الذي ينفجر في أراضي تلك الدول. ولولا هذا البترول لانخفض مستوى انتاجية الفرد فيها الى اقل مما هو في باقي الدول الاسلامية المشاركة في دول التحالف ضد العراق.

والشعوب بعدد أفرادها وبطاقتها الانتاجية تستطيع أن تبني الجيوش، وتوفر لها ما تحتاج اليه من سلاح وعتاد. فالأكثر عددا ومالا تكون له فرصة أكبر في التغلب على خصمه، إذا افترضنا التساوي في عناصر القوة الأخرى والتي تأتي في مقدمتها القيم الروحية والدينية، والايمان بعدالة القضية التي يقاتل الانسان من أجلها. فاذا نظرنا الى الجدول رقم 5، فاننا نجد أن دول التحالف كانت تتفوق على العراق بنسبة 56 : 1 في القوة البشرية، وبنسبة 200 : 1 في الدخل القومي. ناهيك عن أن دولا أخرى كثيرة لم تكن من ضمن دول التحالف، ولكنها كانت تتعاطف مع دول التحالف وتقدم لها الكثير من المساعدات المادية والمعنوية. فاليابان تبرعت بـ 13 مليار دولار... والاتحاد السوفيتي كان يؤيد كل القرارات الظالمة التي كان يصدرها مجلس الأمن الدولي نتيجة الضغوط الأمريكية... ودول أوروبا الشرقية وغيرها من الدول قدمت بعض

المساعدات. ويوضح كل ذلك مدى الظروف القاسية التي كان يعيشها العراق، وهو يتحدى هذه الهجمة الصليبية الصهيونية التي يشارك فيها للأسف الشديد بعض المسلمين.

الطائفية في العراق

الشعب العراقي يضم طوائف متعددة. وأهم هذه الطوائف هي الشيعة وتمثل 55٪ من عدد السكان، والسنة العرب وتضم 20٪ من السكان، والسنة الأكراد ويمثلون 20٪ من السكان، والمسيحيون ويمثلون 5٪ من السكان. وقد كان هذا التقسيم الطائفي مدعاة لوجود صراعات مستمرة بين تلك الطوائف... بعضها كان يظهر للعيان، والبعض منها كان يختفي تحت السطح وفي القلوب في انتظار الوقت المناسب. وقد ساعد في تزكية النعرة الطائفية عاملان رئيسيان. العامل الأول هو التجمع الجغرافي لتلك الطوائف. فالأكراد يتجمعون في الشمال، والشيعة يتجمعون في الجنوب، بينما يتجمع السنة العرب في الوسط في منطقة بغداد وما حولها. اما العامل الثاني، فهو استغلال القوى الأجنبية المعادية للعراق، والقوى الأجنبية المعادية للاسلام لورقة الطائفية في خلق الاضطرابات والتشجيع على مقاومة السلطة المركزية.

واذا كانت تجزئة الوطن العربي وترسيخ هذه التجزئة هي أحد الأهداف الرئيسية الأمريكية تجاه منطقة الشرق الأوسط، فان هذا الهدف يتطابق تماما مع الأهداف الاسرائيلية. ففي 14 فبراير 1982، نشر الصحفي الاسرائيلي أوديد ينون Oded Yenon المعروف بارتباطه الوثيق بوزارة الخارجية الاسرائيلية، مقالا في صحيفة كيفوأونيم Kivounim الناطقة باسم الحركة الصهيونية العالمية World Zionist Organisation . كان عنوان المقال هو استراتيجية اسرائيل في الثمانينات. وقد جاء في هذا المقال أن الاستراتيجية الاسرائيلية تقوم على أساس تجزئة الوطن العربي الى دويلات صغيرة حتى تضمن اسرائيل السيطرة على تلك الدويلات. [1] وقد تضمن المقال كيف تتم التجزئة في كل من مصر وسوريا ولبنان والعراق والسعودية والسودان الخ... وفيما يتعلق بالعراق فقد جاء في المقال مايلي «إن العراق الغني بالبترول يعتبر ذا أهمية خاصة بالنسبة لاسرائيل. أهمية تزيد عن أهمية سوريا... حيث ان العراق هو الذي يمثل التحدي

الأكبر لاسرائيل في المستقبل المنظور. فاشعال الحرب بين العراق وسوريا يمكن أن يخدم مصالحنا. كذلك فان كل حرب تشتعل بين العرب وبعضهم البعض أو بين العرب ودول أخرى كالحرب الدائرة الآن بين العراق وايران يمكن توظيفها لخدمة أهدافنا. والعراق يجب تجزئته الى ثلاث دويلات على الأقل. واحدة شيعية في الجنوب، وأخرى سنية في بغداد، وثالثة كردية في الشمال». ولا شك أن هذه الطائفية كانت ومازالت تشكل أرضا خصبة للقوى المعادية للعراق التي تهدف الى تفتيته. وهذا ليس بمستغرب اذا صدر من أعداء الاسلام والمسلمين. ولكن ما يثير الأسى والحزن حقا هو أن بعضا من الأنظمة في دول عربية واسلامية شاركت في اللعب بورقة الطائفية كما سنرى فيما بعد.

القدرات العسكرية

الافراد والأسلحة الرئيسية	دول التحالف + اسرائيل	دول التحالف بدون اسرائيل وتركيا	العراق
عدد الأفراد	1 673 980	858 980	1 000 000
دبابة	9 272	4 034	5 500
عربة مدرعة	13 946	6 796	10 100
قطعة مدفعية	4 211	2 246	3 700
هيليوكوبتر مسلحة	709	669	159
هيليوكوبتر للنقل	1483	1 442	330
طائرة قتال	2 583	1 656	665
قاذف سام	463	181	700
سفينة حربية	246	220	35

من نظرة سريعة لهذا الجدول يتضح أن دول التحالف تتفوق تفوقا كبيرا على العراق في القوات الجوية والقوات البحرية. أما بالنسبة للقوات البرية، فالجدول يبين بعض التفوق في جانب العراق من حيث عدد الدبابات والعربات المدرعة وقطع المدفعية. ولكن الموضوع ليس بهذه البساطة. فالعدو الرئيسي للدبابة ليس هو الدبابة فحسب، بل أيضا الطائرة والصواريخ المضادة للدبابات التي تحملها بعض العربات

المدرعة، وبعض أفراد المشاة. . . وتبادل القصف المدفعي بين الأطراف المتصارعة لا يتم في معزل عن مشاركة القوات الجوية وطائرات الهيليوكوبتر المسلحة. . . والمعارك البحرية لا تقتصر على السفن الحربية فقط بل تشارك فيها القوات الجوية وطائرات الهيليوكوبتر المسلحة. كذلك فان القتال في الجو لا يقتصر على الطائرات المقاتلة، بل تشترك فيه الصواريخ أرض جو والمدافع المضادة للطائرات. وكل هذه الأسلحة التي تعمل في البر والبحر والجو، تعتمد في أداء وظائفها على أجهزة الكترونية. . . وإذا نجح العدو في ابطال مفعول هذه الأجهزة الالكترونية، فان جميع تلك الأسلحة تصبح عديمة القيمة. فالحرب الحديثة تعتمد في نجاحها على المعركة المشتركة التي تشارك فيها كل الأسلحة.

نوعية السلاح

لا شك أن مقارنة القوات المتصارعة على أساس النوعية، يمكن أن تؤدي الى نتائج أقرب ما تكون من الصحة. ولكن المقارنة على هذا الأساس هي عملية بالغة التعقيد لا يستطيع أن يقوم بها الا أهل العلم والخبرة. وعلى سبيل المثال فان العراق يمتلك دبابات سوفيتية الصنع من طراز T-54 ، T-55 ، T-62 ، T-72 . . . ودبابات صينية الصنع من طراز CH-59 ، CH-69 . بينما تمتلك دول التحالف دبابات أمريكية الصنع من طراز M-60 ، M-60A1 ، M-60A3 ، M-1 ، M1-A ، M-551 ، OF-40 ، ودبابات بريطانية الصنع من طراز Challenger ، طراز Chieftain ودبابات فرنسية الصنع من طراز AMX-30 . وكل دبابة من هذه الأنواع لها خصائص تختلف عن خصائص الدبابات الأخرى. فهناك دائما بعض الخلافات من حيث قوة المحرك، والسرعة في التحرك والمناورة، وعيار المدفع الرئيسي، والمدى الذي يستطيع أن يدمر عليه الدبابات المعادية (يختلف هذا المدى باختلاف سمك الدرع بالنسبة لكل دبابة من دبابات العدو)، وأنواع الذخيرة التي يستخدمها المدفع، والأجهزة التكميلية التي تحملها الدبابة من حيث الأجهزة اللاسلكية التي تتيح لها الاتصال برا وجوا، وأجهزة تقدير المسافة، وأجهزة الرؤية الليلية، وأجهزة إدارة النيران الخ الخ.

وكل ما يقال على الدبابة ينطبق على طائرات القتال وطائرات الهيليوكوبتر. بل أن الأمور تصبح أكثر تعقيدا بالنسبة للطائرات. فالطائرات يتم تقسيمها الى ثلاثة أقسام رئيسية: قاذفات، قاذفات مقاتلة، ومقاتلة. كما وأن الطائرات تستخدم بطريقة أوسع. فاذا كان عمل الدبابة يقتصر فقط على واجب الهجوم

أو الدفاع الأرضي، فان الطائرة تستخدم في الهجوم ضد الأهداف البرية والبحرية والجوية. وبالتالي فانها تحمل أسلحة وأجهزة تكميلية أكثر تنوعا. وحتى لو تطابقت نوعية طائرتين من حيث الطراز، فان ذلك لا يعني التعادل. وعلى سبيل المثال فان مصر تمتلك طائرات أمريكية الصنع من طراز F-16، كما تمتلك أمريكا واسرائيل نفس الطائرة. ولكن الأسلحة والأجهزة التكميلية التي تحملها الطائرات الأمريكية تختلف اختلافا جذريا عن تلك التي تحملها الطائرات المصرية. فهناك اختلاف في نوعية الرادار، ونوعية صواريخ جو جو، وصواريخ جو أرض، والأجهزة الالكترونية التي تمكن قائد الطائرة من اصابة الهدف بدقة ليلا ونهارا، والأجهزة الالكترونية التي تقوم بالتشويش وابطال مفعول الصواريخ المعادية التي توجه الى الطائرة من الأرض والجو. ونتيجة لذلك، فانه لو افترضنا أن طيارا مصريا يقود طائرة من طراز F-16 دخل في معركة جوية مع طيار اسرائيلي يقود طائرة من نفس الطراز. . . وافترضنا أن الطيار المصري في نفس كفاءة الطيار الاسرائيلي - أو حتى افضل منه - فان الطيار الاسرائيلي سوف ينجح في اسقاط الطائرة المصرية، بفضل الأجهزة التكميلية والأسلحة التي تحت تصرف الطيار الاسرائيلي دون الطيار المصري. فهذا الطيار الاسرائيلي سوف يكتشف الطائرة المصرية قبل أن يكتشف الطيار المصري الطائرة الاسرائيلية، لأن الطائرة الاسرائيلية مجهزة برادار اكثر تطورا من الرادار الذي في الطائرة المصرية. ولأن الطائرة الاسرائيلية مجهزة بصواريخ أبعد مدى من الصواريخ المجهزة بها الطائرة المصرية، فان الطيار الاسرائيلي يستطيع ان يطلق صواريخه ضد الطائرة المصرية عندما يكون هو خارج مرمى أسلحة الطائرة المصرية. وحتى لو استطاع الطيار المصري أن يقترب من الطائرة الاسرائيلية الى ان تصبح في مدى صواريخه. . . فان هذه الصواريخ اذا اطلقت على الطائرة الاسرائيلية، فانها لن تصل الى هدفها. وذلك نتيجة الأجهزة الالكترونية المجهزة بها الطائرة الاسرائيلية. . . في حين ان الطائرة المصرية لا تحمل تلك الأجهزة الالكترونية. . وإذا ما كلف طيار مصري وآخر اسرائيلي - يقود كل منهما نفس النوع من الطائرات الأمريكية الصنع - بمهمة تدمير هدف أرضي أو بحري محمي بدفاع جوي قوي، فان فرصة إصابة الهدف والعودة سالما بالنسبة للطيار الاسرائيلي، سوف تكون أفضل بكثير من الفرصة المتاحة للطيار المصري.[2]

ونتيجة لكل هذه التعقيدات، فان الفنين والمختصين يقومون بادخال كل هذه العوامل في حساباتهم، ثم يستخلصون منها أن الطائرة كذا تعادل الطائرة كذا أو تتفوق عليها. وعلى سبيل المثال، أعلن المختصون في ألمانيا الغربية، بأن الطائرة السوفيتية الصنع ميج 29 تتفوق على الطائرة F-16 الامريكية الصنع. . وأنها وجهت في معركة وهمية اصابة قاتلة للطائرة F-16 من مسافة 60 كيلومتر. فعندما دخلت المانيا الشرقية في وحدة مع المانيا الغربية في 1990/10/3، فانها أدخلت معها جميع قواتها المسلحة التي كان من بينها 20 طائرة من طراز ميج 29. وكان من البديهي أن تقوم السلطات المعنية في المانيا الموحدة بتقييم هذه الطائرة على أساس الواقع، وعلى اساس تجهيزاتها من أسلحة وأجهزة الكترونية. . . فأدخلت الطائرتين في معركة وهمية تفوقت فيها الطائرة ميج 29. ولا يعرف على وجه التحديد عدد المعارك الوهمية التي اجريت بين الطائرتين، اذ لا يمكن أن يكون الحكم سليما إذا اعتمد على معركة وهمية واحدة. . بل يجب أن يكون ذلك بعد سلسلة من التجارب التي يشترك فيها اكثر من طائرة وأكثر من طيار، وفي أوقات مختلفة ليلا ونهارا وفي أجواء متباينة.

قدرة الأداء الفردية

مما سبق يتضح أن المقارنة بين طائرتين أو سلاحين يجب ان تعتمد أولا وقبل كل شيء على قدرة أداء كل منهما. فهذه القدرة هي المحصلة النهائية لعوامل متعددة تشمل نوعية الكثير من مكونات هذا السلاح. وعلى سبيل المثال، فانه اذا أضيفت بعض الأجهزة الالكترونية الحديثة الى طائرة قديمة ومتخلفة فانها تستطيع أن تتفوق في الأداء على طائرة أحدث تصميما وصناعة اذا كانت تلك الاخيرة لا تحمل تلك الأسلحة الالكترونية الحديثة.[3] وان معرفة قدرة أداء كل سلاح على حدة هي الخطوة الأولى لاجراء تقييم حقيقي لقدرات القوات المسلحة.

قدرة الأداء الجماعية

ان معرفة قدرة أداء كل سلاح على حدة هي الخطوة الاولى لاجراء تقييم حقيقي لقدرات القوات المسلحة. اذ أن القدرات القتالية للقوات المسلحة هي مجموع القدرات القتالية للاسلحة الفردية. ولكن يبقى بعد ذلك أسلوب الاستخدام ووضع الأولويات. فكل فريق من الأطراف المتصارعة يكون لديه

عادة أسلحة تمثل ثلاثة أجيال أو أكثر، أو بلغة اكثر سهولة نوع حديث، ونوع متوسط الحداثة، ونوع قديم. وقد يكون لديه علاوة على ذلك ما هو حديث جدا لم يسبق استخدامه أبدا ولا يعرف الخصم عنه شيئا. . . ونوع آخر قديم جدا من المفترض أن يحال الى التقاعد ويسحب من الخدمة. وليس من الحكمة أن يدفع القائد بسلاح قديم أو متوسط الحداثة في مواجهة أسلحة معادية اكثر منه قدرة على الأداء. . . لأن ذلك يعني أنه يقدم لخصمه الفرصة لأن يحقق نصرا رخيصا. بل يجب على القائد أن يستغل كل ما لديه من امكانيات لاستغلال نقاط الضعف التي لدى خصمه، والتي تحرمه من استخدام أسلحته على الوجه الأكمل. وما دامت الحرب ليست طائرة ضد طائرة، وليست دبابة ضد دبابة أو سفينة ضد سفينة، فمن الأفضل أن تجري المقارنة بين القوات المسلحة على أساس القدرات التالية:

- امكانيات الحرب الجوية
- امكانيات الحرب البحرية
- امكانيات الحرب البرية في ظل ظروف تعادل جـــوي
- قوة الردع ممثلة في أسلحة التدمير الشامــــــل.

امكانيات الحرب الجوية

الحرب التقليدية التي لا تستخدم فيها أسلحة التدمير الشامل، تبدأ عادة باقتحام القوات الجوية. فالطرف الأقوى في الجو يسعى الى تحقيق السيطرة الجوية Air Superiority كمرحلة أولى، ثم الى تحقيق السيادة الجوية Air Supremacy في مرحلة لاحقة. [4] بينما يحاول الطرف الأضعف أن يحرم خصمه من تحقيق ذلك. واذا استبعدنا القوات الجوية الاسرائيلية والقوات الأطلسية التي توجد في تركيا - عدا الأمريكية التي تعتبر جزءا من القوات الامريكية في الخليج - فان القوات الجوية لدول التحالف التي كانت تحتشد ضد العراق في منطقة الخليج كانت تقدر بحوالي 1656 طائرة، يساندها 10 قمر صناعي. وكان توزيعها كما يلي:

10 قمر صناعي (6 منها للتصوير ليلا ونهارا، واحد للتصوير الراداري، اثنـــان لمراقبة الشبكات والترددات، واحد للتصنت)

15 طائرة انذار مبكر طراز E3 (AWACS) منها 5 سعودية

28 طائرة انذار مبكر طراز E-2C (خاصـة بالقـوات البحريـة الأمريكيـة)

218 طائرة تفوق جوي (90 منها أمريكية طراز F-15C، F-14 + 128 تابعة لدول التحالف).

715 طائـرة هجوم أرضي (355 أمريكيـة طـراز A-10، A-6، F-111، F-117، AV-8B + 360 باقي دول التحالـف).

220 طائرة ذات مهام مزدوجة. أي يمكن أن تستخدم في الهجوم الارضي والقتال الجوي (طـراز F-16، F/A-18، F-15E).

460 طائرة معاونة: ومع أن هذه الطائرات لا تشترك في القتال الجوي أو الهجـوم الأرضي.. الا أنها تلعب دورا مساعدا هاما لطائرات القتال. فهي التي تقوم بعمليات الاستطلاع وعمليات الاعاقة والشوشـرة على الـرادارات والشبكات اللاسلكية العراقية... وهي التي تقوم باضاءة الأهداف الارضية بالليزر.. وهي التي تقوم بانقاذ الطيارين الذين يسقطون في الاراضـي العراقيـة اذا كان سقوطهم في اماكن خالية من المواقع العسكرية الخ...

وفي مقابل هذه العناصر الهجومية لدول التحالف، كان العراق يمتلك الوسائل التالية للتصدي ضد تلك الهجمات الجوية:

2 طائرة انذار مبكر طـراز عدنان

12 طائرة استطلاع (5 طـراز ميج 21 + 7 طـراز ميج 25)

275 طائرة مقاتلة للدفاع الجوي (40 صيني طـراز J-7، 150 طـراز MIG-21، 25 طـراز MIG-25، F-1EQ 30، 30 طـراز MIG-29)

160 صـاروخ سام 2 (سوفيتي الصنع ـ في مواقع ثابتة)

140 صـاروخ سام 3 (سوفيتي الصنع ـ في مواقع ثابتة)

300 صـاروخ سام خفيف الحركة طراز 6، 8، 9

100 صـاروخ سام خفيف الحركة صناعة غربية طـراز Roland

4 000 مدفع مضاد للطائرات متعدد العيـارات.

فاذا نحن استبعدنا الطائرات التي لا تستطيع أن تكون نداً للطائرات المهاجمة، فانه لا يتبقى سوى 85 طائرة عراقية (25 طائرة MIG-25، 30 طائرة F-1EQ، 30 طائرة MIG-29) تستطيع التصدي للطائرات المغيرة. وذلك طبعا بالاضافة الى الصواريخ والمدافع المضادة للطائرات. ولكن حيث أن هذه

الصواريخ والمدافع المضادة للطائرات معروف أماكنها حتى آخر لحظة، نتيجة المعلومات التي تحصل عليها الأقمار الصناعية ووسائل الرصد والتصنت الأخرى، فان الطائرات المغيرة تستطيع أن تتفاداها وتسلك الى أهدافها طرقا بعيدة عنها. وفي الحالات التي يتحتم على الطائرات المغيرة أن تمر فوق تلك الصواريخ والمدافع، فانه يمكن ادخالها ضمن الأهداف المطلوب تدميرها أو إبطال مفعولها، في المراحل الاولى من المعركة.

ولو افترضنا جدلا ـ بالرغم من أن ذلك غير مقبول من ناحية أصول العلم العسكري ـ بأن الولايات المتحدة لم تستغل امكانياتها المتفوقة في امكانيات الحرب الالكترونية. . . ولم تقم بتعمية جميع رادارات الانذار العراقية. . ولم تقم بالشوشرة على الشبكات والترددات اللاسلكية قبل بدء الهجوم الجوي . . . فان الطائرات المغيرة كان سيكون لها بالرغم من ذلك التفوق الذي يسمح لها بتحقيق أهدافها دون أن تتحمل خسائر تذكر. فحرية المبادرة في انتخاب وقت الهجوم يسمح لها باستخدام كل قواتها في وقت واحد. . . وحرية انتخاب الأهداف تسمح لها في مراحل معينة باستبعاد الكثير من الطائرات العراقية من المعركة. وبالتالي فانه يتحقق لها التفوق العددي والنوعي بدرجة كبيرة في الوقت والمكان الذي تختاره للمعركة. فاذا أضفنا الى كل ذلك القدرات الكبيرة التي تتمتع بها القوات الأمريكية في مجال الحرب الالكترونية ـ والتي سبق الحديث عنها بالتفصيل في الفصل الثالث من هذا الكتاب ـ فاننا نستطيع أن نتصور مدى التفوق الساحق الذي كانت تتمتع به أمريكا ودول التحالف في مجال الحرب من أجل الحصول على السيطرة الجوية. وبالتالي فقد كانت كل الحسابات العسكرية العقلانية تؤكد أن القوات الجوية الأمريكية والحليفة لها سوف تحقق السيادة الجوية. وكان الخلاف بين المحللين العسكريين ينحصر حول نقطة واحدة هي : ما هو الوقت الذي ستحتاجه دول التحالف لكي تحقق تلك السيادة ؟.

كان البعض يرى أن دول التحالف سوف تحقق السيادة الجوية خلال بضع ساعات. . وكان البعض يرى أنها قد تستغرق بضعة أيام. ولكن بالرغم من ذلك، فقد كانت تصدر من بغداد بعض الاشارات المحيرة. . والتي توحي بأن العراق يمتلك امكانيات الكترونية غير معلن عنها. وأن الحصول على السيادة

الجوية بواسطة دول التحالف هو أمر مشكوك فيه. فقد نشرت وكالة الأنباء الفـرنسية يوم 90/9/13، تقـول ان الادارة الأمـريكية طلبت من فرنسا تزويدها بمعلومات عن أجهزة تشويش متطورة من صنع فرنسي، تستعملها القوات العراقية لاحداث اضطراب وفوضى في نشاط طائرات الانذار المبكر AWACS الأمريكة والسعودية [5] وقد علق اللواء منذر عبد الرحمن رئيس تحرير صحيفة القادسية الناطقة باسم الجيش العراقي على هذا الخبر في مقال له بتلك الصحيفة بتاريخ 90/9/22، فقال «ان التشويش الذي تعرضت له طائرات الأواكس الامريكية على الحدود بين العراق والسعودية، هو جزء من مفاجأة عراقية منتظرة إذا اندلعت الحرب في الخليج . . . وأن العراق سيضع الخبراء الأمريكيين إزاء مفاجآت عديدة هي أوسع نطاقا وأشد تأثيرا». [6] وفي 2 يناير 91، أعلنت بغـداد أنها صنعت رادارا جديدا يُحمـل جوا. وقـد جاء هذا الاعلان في الرسالة التي بعث بها وزير الصناعة والتصنيع العسكري السيد حسين كامل حسن الى الرئيس صدام حسين. وقال فيها أن هذا النوع من الرادار المتطور قد جرب بنجاح يوم 15 ديسمبر 1990. وأوضحت الرسالة التي قرئت في التليفزيون أن الرادار الجديد اكثر تطورا من الرادار عدنان ـ 1 (الرادار المحمول جوا عدنان ـ 1، ظهر لأول مرة في المعرض الدولي الذي أقيم في بغداد في مايو 1989). وقال الوزير في رسالته أن العراق هو أحد البلدان الثلاثة التي نجحت في صنع هذا الرادار الذي يسمح خاصة باكتشاف طائرات العدو التي تحلق على ارتفاع منخفض [7].

كان نجاح العراق في الشوشرة على أجهزة الأواكس المتقدمة . . وكان نجاحه في انتاج طائرة انذار مبكر. . . كان يوحي بأن العراق قد قطع شوطا كبيرا في مجال التقدم الالكتروني. . ولم يكن هناك ما يبرر عدم تصديق هذه الاشارات التي تصدر من بغداد. فقد سبق للعراق أن أذهل العالم بما شارك به في المعرض الدولي للصناعات الحربية الذي أقيم في العراق في مايو 89 . . . والذي كان من بينها طائرة الانذار المبكر عدنان ـ 1، طائرة الامداد بالوقود، ومدفع الفاو عيار 210 ملليمتر الذي يعتبر أكبر مدفع ذاتي الحركة في العالم. ولذلك فانه رغم التفوق العددي والنوعي الذي كان في صالح القوات الجوية الامريكية . . ورغم التقدم الأمريكي الهائل في مجال الحرب الالكترونية، فقد كانت هناك شكوك حول إمكانية حصول أمريكا ودول التحالف على السيادة الجوية فوق

الاراضي العراقية، دون أن تضطر الى دفع ثمن غال لتحقيق ذلك. وقد توقع الجنرال الأمريكي Bernard Trainor بان الحصول على السيطرة الجوية قد يكلف أمريكا 150 طائرة على الأقل. . بينما توقع آخرون أن خسائر الأمريكيين قد تصل الى 300 طائرة [8] أما البيت الأبيض الامريكي فقد وطن نفسه على أساس القبول بخسارة 100 طائرة امريكية خلال الأيام الأولى من القتال [9].

امكانيات الحرب البحرية

ليس هناك أي مجال للمقارنة بين القوات البحرية لدول التحالف والقوات البحرية العراقية. فقد شرعت القوات البحرية الامريكية في التحرك في اتجاه منطقة الخليج اعتبارا من يوم 3 اغسطس 90 (اليوم التالي للغزو العراقي للكويت). وبحلول منتصف يناير 91، كان حجم القوات البحرية الامريكية قد تجاوز 100 قطعة بحرية من النوع المتوسط والكبير، وكان بينها 7 حاملات طائرات (2 في الخليج + 4 في البحر الاحمر + 1 في البحر الأبيض) وفي نفس الوقت أخذت دول حلف الأطلسي ومعها كل من استراليا والأرجنتين في حشد قواتها البحرية حتى وصلت الى 76 قطعة بحرية من النوع المتوسط. فاذا أضيف الى كل ذلك ما كانت تملكه دول الخليج واسرائيل من قطع بحرية صغيرة، فانه يمكن القول أن قوات التحالف البحرية كانت تقدر بحوالي 246 قطعة بحرية توزيعها كما يلي:

171 قطعة بحرية كبيرة ومتوسطة من دول حلف الأطلسي
5 قطعة بحرية متوسطة من استراليا والارجنتين
44 قطعة بحرية صغيرة من الدول الخليجية
26 قطعة بحرية صغيرة من اسرائيل.

وكانت القوات البحرية العراقية في المقابل تتكون من 35 قطعة بحرية صغيرة توزيعها كما يلي:

6 كورفيت
8 قارب صواريخ
6 قارب طوربيد
6 قطعة لزرع الألغام
2 قطعة لكسح الألغام

6 قطعة للابرار البحري

1 سفينة تموين.

كانت أهداف القوات البحرية لدول التحالف هي:

- فرض الحصار البحري على العراق
- المشاركة في الحرب الجوية ضد العراق
- القيام بعمليات ابرار بحري على السواحل الكويتية ضمن المعركة المشتركة التي ينتظر أن تقوم بها كل من القوات البرية والجوية والبحرية ضد العراق.

فأما الهدف الأول فقد تحقق اعتبارا من يوم 10 أغسطس، بعد أن وصلت القطع البحرية الامريكية الى مدخل الخليج عند مضيق هورمز. . . وبعد أن وصلت قطع أخرى الى مدخل خليج العقبة. ومنذ هذا التاريخ، أصبح الحصار البحري ضد العراق نافذ المفعول. وعندما اندلعت الحرب الجوية ضد العراق، ساهمت القوات البحرية لدول التحالف مساهمة فعالة في الحرب الجوية كما سنبين فيما بعد. واذا كانت القوات البحرية لدول التحالف لم تقم بأي عملية ابرار بحري على السواحل العراقية أو الكويتية، فان ذلك يرجع الى ان قيادة دول التحالف لم تجد ضرورة تدفعها للقيام بمثل هذه العملية التي يمكن أن ينتج عنها خسائر كبيرة في الأرواح. ومع ذلك فان التهديد بالقيام بعمليات ابرار جوي. . وتخصيص القوات والسفن اللازمة لاجراء هذه العملية قد أرغم الجانب العراقي على تخصيص جزء من قواته لمقاومة هذه العمليات المنتظرة.

أما القوات البحرية العراقية فقد كانت جميعها من النوع الصغير، ولا تستطيع أن تبتعد عن السواحل العراقية والسواحل الكويتية المحتلة الا ببضع عشرات الكيلومترات، والا تعرضت للتدمير بواسطة القوات الجوية والبحرية لدول التحالف. ولذلك فلم يكن في استطاعة تلك القوات الا أن تركز على مهمتين أساسيتين. المهمة الأولى هي بث الألغام في مياه الخليج. والمهمة الثانية هي المشاركة في الدفاع الساحلي، لصد أي عمليات ابرار تقوم بها دول التحالف على الأراضي العراقية أو الكويتية. وكما سنرى فيما بعد، فقد قامت القوات البحرية العراقية بأقصى ما تستطيع أن تفعله في حدود امكانياتها من اجل تحقيق هذين الهدفين.

امكانيات الحرب البرية

يبين الجدول رقم 6 حجم القوات البرية لكل من دول التحالف والعراق، بعد استبعاد القوات الاسرائيلية والتركية من قوات دول التحالف. وبنظرة سريعة الى هذا الجدول، يتضح أن القوات البرية للطرفين تتعادل تقريبا من حيث العدد. ولكن قوات التحالف تتفوق من حيث خفة الحركة والقدرة على المناورة في مسرح العمليات. ويبدو ذلك في العربات المدرعة، وفي طائرات الهيليوكوبتر المسلحة، وطائرات الهيليوكوبتر المخصصة للنقل.

وعموما فانه لا يجوز اجراء مقارنة بين القوات البرية الا اذا افترضنا وجود تعادل جوي بين الطرفين. لأنه لا يوجد حرب برية لا تشترك فيها القوات الجوية. فاذا افترضنا أن دول التحالف يمكنها أن تحصل على السيطرة الجوية قبل بدء المعارك البرية، فان أي تفوق عددي أو نوعي في الأسلحة البرية للعراق يعتبر عديم القيمة، لأن هذه الأسلحة البرية يمكن تدميرها بواسطة القوات الجوية المعادية. وفي ظل التفوق الجوي، وخفة الحركة، فالاكثر احتمالا هو أن تقوم قوات التحالف بعملية تطويق واسعة حول الكويت عبر الحدود السعودية العراقية، للوصول الى مؤخرة القوات العراقية المحتشدة في منطقة الكويت. . . حيث يمكن قطع خطوط مواصلاتها، ويصبح من السهل تدميرها. لقد حشد العراق اكثر من 77٪ من دباباته واكثر من 84٪ من مدافعه في الكويت. وأعتقد أن ذلك كان خطأ من وجهة النظر العسكرية. فحتى لو استبعدنا احتمال حصول دول التحالف على السيطرة الجوية، فقد كان من الأفضل الا يزيد حجم القوات العراقية التي تحشد في الكويت من حيث العدد ومن حيث الأسلحة والمعدات الرئيسية عن 20٪ من اجمالي القوات المسلحة العراقية. . . وذلك لاغراء القوات المعادية على الهجوم على المواقع الدفاعية في الكويت حيث يتم استنزافها. ومن أجل الاحتفاظ بقوات كبيرة لمقابلة أي عملية تطويق واسعة يقوم بها العدو عبر الحدود العراقية السعودية. . ومن أجل تخفيف الأعباء الادارية التي تتطلبها اعاشة القوات في الكويت وامدادها باحتياجاتها الضرورية. [15] أما اذا افترضنا امكانية حصول دول التحالف على السيادة الجوية، فانه يصبح من الصعب جدا ـ بل يصبح خطأ عسكريا ـ الابقاء على أي قوات في الكويت.

قوة الردع العراقية

ثمن الانتصار

أسلحة الردع هي تلك الأسلحة التي تحدث خسائر فادحة في الأفراد والممتلكات. وإضافة صفة الردع لتلك الأسلحة تعني أن امتلاك اي طرف لها، سوف يقود الأطراف الأخرى الأكثر قوة الى التفكير ألف مرة قبل الاقدام على مهاجمة الطرف الذي يملك تلك الأسلحة، مهما كانت قوة الأطراف المهاجمة. . . وذلك خوفا من الانتقام باستخدام تلك الأسلحة ضد المعتدين. أي أن الطرف الأقوى يخشى مهاجمة الطرف الأضعف ـ رغم أنه من المؤكد أنه سوف ينتصر عليه ـ خوفا من أنه سيدفع ثمنا غاليا جدا لكي يحقق هذا الانتصار. وهذا الثمن الغالي قد يختلف باختلاف الدول. فمنها من يردعه كثرة الخسائر البشرية ولا يهتم كثيرا بالخسائر المادية. ومنها من يردعه احتمال تدمير الآبار البترولية، أو تدمير السدود المائية والمصانع . . . الخ. وقد جرى العرف بين الناس على أن أسلحة التدمير الشامل هي وحدها ودون غيرها التي ينطبق عليها وصف أسلحة الردع. . والمقصود بأسلحة التدمير الشامل: هو الأسلحة النووية، والأسلحة الكيماوية، والأسلحة البيولوجية. ولكن هذا المفهوم لابد وأنه قد بدأ يتغير الآن بعد أن أصبح لبعض الأسلحة التقليدية الحديثة قوة تدميرية هائلة، يمكن أن تودي بحياة آلاف الأشخاص خلال بضع ساعات.

وقوة الردع لا تتأثر كثيرا بالقوى النسبية بين الأطراف المتصارعة. فمن المعروف أن أمريكا تملك اليوم أكبر قوة عسكرية في العالم. وأنها تستطيع أن تقتل مئات الألوف من الشعب العراقي وأن تدمر بنيته الاقتصادية، وأن تفرض عليه إرادتها في نهاية المطاف. ولكن السؤال الذي كان مطروحا هو «هل يمكن لأمريكا أن تقدم على هذا العمل اذا كان يتحتم عليها أن تدفع ثمن ذلك خسارة 20 000 قتيل، 80 000 معوق من خيرة شبابها وشاباتها؟» كانت الاجابة بوضوح تام هي كلمة لا. حيث أن ثمن الانتصار على العراق في هذه الحالة يعتبر غير مقبول. وهذا ما يعبر عنه في علوم السياسة والحرب، العقاب الغير محتمل The unacceptable Punishment . وكانت ذكرى حرب فيتنام التي مات فيها 58 000 أمريكي مازالت عالقة في عقول ووجدان الشعب

الامريكي. كان الكل يعرف هذه الحقائق. كان الشعب الامريكي يقول لا لفيتنام أخرى، وكان الرئيس الامريكي يرد عليه بأن الحرب مع العراق لن تكون صورة أخرى لفيتنام. كانت نقطة الضعف الأمريكية هي الخوف من تحمل خسائر فادحة في الأرواح. وكان صدام حسين ومن ورائه الاعلام العراقي يعلم جيدا هذه الحقيقة، فكان يلعب بورقة الخسائر الأمريكية المحتملة بمهارة تامة.

ولكن الردع لا يمكن أن يتحقق بالاعلام وحده. فالردع لا يمكن أن يحقق أهدافه إلا إذا صدر من جهة يعلم الناس أن لديها القدرة على تنفيذ تهديداتها.[11] أما إذا صدر التهديد من جهة غير قادرة على تنفيذ تهديداتها، فانه يكون مثارا للسخرية والاستهزاء. وذلك كما قال الشاعر العربي وهو يهزأ من تهديدات الفرزدق.

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعًا أبشر بطول سلامة يا مربعُ

ولكن جميع الشواهد تدل على أن أمريكا كانت تأخذ التهديدات العراقية مأخذ الجد. وكانت تأخذ كافة الاجراءات والاحتياطات لكي تقلل من حجم الخسائر المحتملة. وقد بلغ الخوف الامريكي من كثرة الخسائر المحتملة الى الحد الذي دفع بعض الامريكيين الى المطالبة باستخدام السلاح النووي ضد العراق. ففي عملية سبر للآراء قامت بها مجلة TIME الأمريكية وافق من استطلعت آراؤهم على وجوب استخدام أمريكا للأسلحة النووية ضد العراق في الظروف التالية:[12]

٪60	اذا ما استخدم العراق أسلحة نووية
٪49	اذا ما استخدم العراق أسلحة كيماوية
٪48	اذا ما استخدم العراق أسلحة بيولوجية
٪24	اذا ما عجزت أمريكا عن تحقيق النصر بالاسلحة التقليدية

وقد ذهب بعض الامريكيين الى أبعد من ذلك فطالبوا باستخدام الأسلحة النووية ضد العراق حتى ولو لم يلجأ الى استخدام الأسلحة الكيماوية أو البيولوجية. وذلك من أجل تفادي الشروع في حرب برية بأسلحة تقليدية قد يذهب ضحيتها آلاف الجنود الامريكيين. وقد قال المستر دان بورتون نائب ولاية انديانا بأن إنهاء الحرب ضد العراق باستخدام القنابل النووية، هو أفضل

من عودة 20 000 أمريكي في نعوش الى الولايات المتحدة. كما صرح المستر توماس المعلق المحافظ المتشدد على صفحات الواشنطن تايمز، بأن استخدام الأسلحة النووية ضد العراق لا يتعارض مع مبادىء الأخلاق كما يتصور البعض. وعلق توماس على ذلك قائلا «لا يوجد أي فارق أخلاقي بين القاء قنبلة تزن طنا وتفتك بمئات من المقاتلين وبين قنبلة نووية تكتيكية يمكن أن تقتل أكثر من ألفين»[13].

الردع بأسلحة التدمير الشامل

الأسلحة النووية: الكل يعلم أن العراق كان مازال بعيدا عن التوصل لانتاج أسلحة نووية. ولكن الرئيس الأمريكي اتخذ من هذا الموضوع مادة للدعاية ضد صدام حسين، وتخويف المجتمع العالمي من الخطورة التي يمكن أن تواجه العالم اذا أصبح مثل هذا السلاح الفتاك في يد صدام حسين. وبالتالي كان بوش يستحث الدول للانضمام الى دول التحالف والقيام بضرب العراق وتدميره قبل أن ينتج القنبلة، التي قال بوش أن صدام حسين قد أصبح على وشك انتاجها. وكانت وكالة الطاقة النووية الدولية قد قامت بالتفتيش على المنشآت العراقية، وأكدت أن ليس لدى العراق أي أسلحة نووية، أو مواد من التي تدخل في صناعة الأسلحة النووية. وكانت وكالة المخابرات الامريكية هي الأخرى تؤكد هذه الحقيقة. ورغبة في اخراج بوش من المأزق الذي وضع نفسه فيه . وحتى لا يفقد الشعب الامريكي والرأي العام العالمي الثقة في مصداقية ما يقوله بوش، صرح Dick Cheney وزير الحربية الامريكي، بأن ما يقصده الرئيس الامريكي، هو قدرة العراق على انتاج صورة بدائية من صور التفجير النووي، الذي لا يرقى الى التوصيف بالقنبلة النووية أو السلاح النووي . . . ولكنها على أي حال يمكن أن تسبب بعض التدمير. [14] وكانت أجهزة المخابرات الغربية والشرقية تؤكد أن العراق لديه منشآت نووية في جبال Qarachoq جنوب شرق الموصل. وأن لديه منجم لليورانيوم يقع في جبال Gara التي تقع على مسافة 64 كيلومتر من الحدود التركية. وأن هناك اتصالا وثيقا بين المنشآت النووية في كل من جبال Qarachoq وجبال Gara.[15].

ولكن وعلى الرغم من وجود قناعة أمريكية بأن العراق لم يتوصل لانتاج القنبلة النووية، فقد كانت هناك شكوك حول احتمال ان يكون العراق قد

اشترى 3 قنابل نووية. فقد نشرت وكالة الاسوشيتد برس الأمريكية، أن قاضي ايطالي سابق يدعى كارلو باليرمو، قد نشر مقالا في مجلة اسبوعية ايطالية أفينيانتي، أوضح فيه بأنه وقعت بين يديه سنة 1983 وثائق سرية حول صفقة شراء ثلاث قنابل نووية تزن كل واحدة منها 90 كيلوجرام بمبلغ 924 مليون دولار. وهو يعتقد الآن بأنها كانت موجهة الى العراق الا انه لا يملك الدليل على ذلك، اذ لم يتم التعرف على البائعين [16].

الأسلحة الكيماوية: إمتلاك العراق للأسلحة الكيماوية، كان حقيقة يعرفها العامة والخاصة قبل اندلاع الحرب. والعراق نفسه لم ينكر امتلاكه لتلك الأسلحة، بل إنه هدد باستخدامها. فقد أعلن صدام حسين يوم 90/4/2 في برنامج تليفزيوني نقلته جميع وكالات الأنباء العالمية قائلا «كل من يهددنا بالقنبلة النووية سنقضي عليه بالكيماوي المزدوج.» [17] وقد كان توزيع مهمات الوقاية من آثار الأسلحة الكيماوية على القوات المسلحة لدول التحالف وعلى المدنيين في منطقة الخليج، هو اعتراف واضح بأن العراق لديه القدرة والتصميم على استخدام هذه الأسلحة. [18]

الأسلحة البيولوجية: هناك شكوك حول ملكية العراق لتلك الأسلحة. فالعراق لم يعترف قط بامتلاكه لتلك الأسلحة. ولكن وكالة المخابرات الامريكية كانت تقول أن العراق قد نجح في تحضير مكونات الحرب الجرثومية. وأنه يقوم الآن بمحاولة انتاج قنابل جرثومية يمكن اسقاطها بواسطة الطائرات، ورؤوس حربية جرثومية يمكن اطلاقها بواسطة الصواريخ... وأنه سوف يتوصل الى ذلك في أوائل عام 1991. وأن المصنع الخاص بانتاج الأسلحة الجرثومية يقع في بلدة سلمان باك Salman Pak التي تقع حوالي 30 كيلومتر جنوب شرق بغداد. [19] وقد بلغت قناعة الولايات باحتمال استخدام العراق لتلك الأسلحة الجرثومية الى الحد الذي دفعها الى تطعيم كافة جنودها بالأمصال المضادة لمرض الجمرة Anthrax والكوليرا والتيفويد. وهي الجراثيم التي اعتقدت أمريكا بأن استخدامها هو الأكثر احتمالا. كما زودت الجنود الامريكيين بالاقراص والحقن للاستخدام الشخصي في حالة الضرورة [20].

الردع باستخدام أسلحة متطورة

القنبلة العنقودية Cluster Bomb : قام العراق بشراء وتصنيع كميات كبيرة من تلك القنابل، بمساعدة فنية من شركة شيلية لانتاج السلاح تحمل اسم صاحبها وهو السنيور Cardoen . وهذه القنبلة هي عبارة عن قنبلة كبيرة يتم اسقاطها بواسطة الطائرات، وعند انفجارها على مقربة من سطح الأرض، فانه يخرج منها عدد كبير من القنيبلات الصغيرة التي توقع خسائر كبيرة في الأرواح. وقد شارك العراق بعينتين من هذه القنبلة في المعرض الدولي للاسلحة الحربية الذي أقيم في بغداد في مايو 1989 . كانت إحداها ذات وزن 500 رطل والأخرى ذات وزن 130 رطل. وكتب تحت كل منها «هي الأكثر تأثيرا والأقل ثمنا بالنسبة للقنابل المثيلة في جميع أنحاء العالم»[21].

القنبلة البترولية: هي نوع من القنابل التي تمتلىء بالوقود وتنفجر في الجو فينتج عنها سحابة هائلة من النيران، يترتب عليها ارتفاع الضغط بشكل كبير مما يؤدي بحياة الكثير من الأفراد القريبين من مكان الانفجار. وهي تشبه في خصائصها الى حد ما القنبلة الأمريكية التي تسمى Daisy Cutter ، وان كان يعتقد أنها ليست بنفس الحجم. ونظرا لثقل حجم الخسائر التي يمكن أن تحدثها هذه القنبلة، فانه يطلق عليها مجازا «القنبلة النووية للرجل الفقير Poor man's atomic bomb[22]» .

الردع بالانتقام الموجع

تدمير آبار النفط في السعودية : صرح وزير الاعلام العراقي لطيف نصيف جاسم في 90/9/20، بأن العراق سينسف كل الحقول البترولية في الخليج في حالة تعرضه للهجوم العسكري.[23] وصرح مصدر عراقي مسؤول لمجلة JDW ، بأن صدام حسين يحظى بتأييد كبير داخل السعودية، وأن أطقم من هؤلاء المؤيدين سيقومون بعمليات تخريب وتدمير لآبار البترول في السعودية، إذا وقع هجوم على العراق. وقد علق مسؤول سعودي بأنهم يشعرون بالقلق تجاه هذا التهديد.[24] وفي 25 نوفمبر 90 كررت صحيفة القادسية الناطقة باسم وزارة الدفاع العراقية تهديد العراق بضرب آبار البترول في السعودية. وقالت أن أي بلد ينطلق منه أي اعتداء على العراق سيصبح بلا

استثناء مسرحا للعمليات الحربية، وأن العراق سيطلق صواريخه باتجاه آبار البترول في تلك البلاد.[25] وفي المقال الافتتاحي لصحيفة الثورة العراقية يوم 9 ديسمبر 90 جاء ما يلي «اذا غزا الرئيس الامريكي بوش العراق، فانه لن يكون هناك بترول عربي رخيص. بل لن يكون هناك أصلا بترول في المنطقة، لأن جميع الآبار ستدمر».

ضرب المصالح الامريكية : هدد العراق بانه في حالة اندلاع الحرب، فانه سينقل الحرب الى أراضي أعدائه. وقد فسرت أمريكا والدول الغربية هذا التهديد على أن العراق والمتعاونين معه سيقومون بعمليات ارهابية ضد المصالح الغربية في أوروبا والشرق الاوسط بصفة عامة، وضد الامريكيين والمصالح الأمريكية بصفة خاصة.[26]

توقعات الخبراء

الخلاف حول ثمن الانتصار

كانت المقارنة بين قدرات دول التحالف وبين القدرات العراقية، تؤكد التفوق الساحق لدول التحالف في جميع المجالات. . في المجال العسكري، والمجال الاقتصادي، والقوى البشرية. . والى جانب كل ذلك في مجال التأييد السياسي الدولي. ففي المجال العسكري كان لدول التحالف التفوق الساحق في الجو والبحر. وهذا التفوق يلغي أي تفوق عراقي على الأرض حتى لو افترضنا وجوده. لأن الحصار البري والبحري لابد وأن يضعف قدرة الشعب العراقي على امداد قواته البرية بما تحتاج اليه من أسلحة ومعدات وذخيرة. . . وبالتالي عدم القدرة على الاستمرار في الحرب لمدة طويلة. كما وان التفوق الجوي، لابد وأن يؤدي الى تدمير وسائل الدفاع الجوي العراقي. وتدمير الدفاع الجوي العراقي لابد وأنه سيؤدي الى دخول القوات الجوية لدول التحالف في معركة غير متكافئة مع القوات البرية. . . معركة تقوم فيها القوات الجوية المتحالفة بتدمير القوات البرية العراقية. فعندما تكتسب القوات الجوية لدول التحالف السيادة الجوية، فانها تستطيع أن تدمر جميع وسائل القيادة والسيطرة العراقية. . وتستطيع أن تشل قدرة القوات العراقية على الحركة. . وتستطيع أن تمنع وصول الامدادات العسكرية والغذائية الى القوات التي تحتمي في الخنادق. . وتستطيع أن تقوم بتدمير تلك القوات ماديا ومعنويا. . . وبذلك يصبح من الممكن إرغامها على التسليم أمام قوات برية أقل عددا. وفي مجال القدرات الاقتصادية والبشرية، كانت قوى التحالف تتفوق على العراق، بنسبة 200 : 1، نسبة 56 : 1، على التوالي. وأمام كل هذه المعطيات، ***كان هناك إجماع بين الخبراء العسكرين بأن الحرب إذا ما بدأت، فان الحسم العسكري في النهاية لابد وان يكون لصالح دول التحالف. ولكن الخلاف بينهم كان يدور حول نقطتين هامتين هما. كم من الوقت يستطيع أن يصمد العراق؟ ما هي الخسائر التي ينتظر أن يحدثها العراق في القوات المعادية، لكي يجعل من هزيمته العسكرية نصرا سياسيا كبيرا؟.***

الخسائر المحتملة

اختلفت التقديرات حول هذه النقطة. ففي أوائل يناير 91، وقبل بدء الحرب الجوية ضد العراق، قدر مركز الاعلام للدفاع بواشنطن The Center for defence information، أن خسائر الأمريكيين وحدهم سوف تكون حوالي 000 10 قتيل، 000 35 جريح، خلال فترة ثلاثة شهور من القتال. بينما ذكر آخرون بأن أمريكا ستكون خسائرها حوالي 000 10 ـ 000 20 خلال العشرة أيام الأولى. [27] واذا كانت وزارة الدفاع الامريكية Pentagon، قد تحاشت الاعلان عن تقديراتها بالنسبة لخسائرها المحتملة، فان الحشد الهائل من مستشفيات الاخلاء ومستشفيات العلاج التي أرسلت الى منطقة الخليج، تعطي فكرة واضحة عن التوقعات الرسمية لتلك الخسائر. فقبل 15 يناير 91، كانت أمريكا قد فتحت مستشفيات ميدانية في منطقة الخليج، بها 000 14 سرير [28] وكان توزيعها كما يلي:

000 10 سرير في مستشفيات الخط الأول في المناطق الأمامية
000 4 سرير في مستشفيات الخط الثاني والثالث في المناطق الخلفية.

وبالاضافة الى ذلك فقد عبأت مستشفيات عسكرية ومدنية بها 000 18 سرير (000 6 منها في الدول الخليجية، 000 12 سرير في اسرائيل، وتركيا، واليونان، واسبانيا، والمانيا، وبريطانيا). وقد ساهمت السعودية وحدها بتعبئة 000 3 سرير، وقدمت البحرين 700 سرير، ولم يعلن عن عدد الأسرة التي قدمتها كل من دولة الامارات، وسلطنة عُمان وقطر، ولكن من المؤكد أنها لن تقل عما قدمته دولة البحرين.

وفي بريطانيا، قدر المختصون خسائر القوات البريطانية بحوالي 000 2 بين قتيل وجريح في الأيام القليلة الأولى من بدء المعارك البرية، والتي كان سيشارك فيها 000 25 ضابط وجندي. [29] وكان كل ذلك يؤكد أن أمريكا ودول التحالف كانت تتوقع أن تدفع ثمنا غاليا في مقابل تحقيق انتصارها على العراق. وكان يشاركهم في هذه الفرضية الغالبية العظمى من المحللين العسكرين. وكان ما يدفع الجميع الى هذا الاستنتاج، هو الاعتقاد الراسخ بأن العراق يملك وينوي أن يستخدم أسلحة التدمير الشامل. . وأن العراق يملك أسلحة تقليدية ذات قدرة تدميرية كبيرة. . وأن العراق فوق هذا وذاك يملك

امكانيات الكترونية متقدمة لا تستطيع الأجهزة الالكترونية الامريكية أن تبطل مفعولها بدرجة كاملة . . . حيث انه اذا لم نقبل بهذه الفرضيات، فانه يصبح من المستغرب أن يتحدى العراق تلك الأرمادا التي حشدتها ضده أمريكا ودول التحالف .

هذا وقد عرف مما نشر بعد الحرب، انه أثناء المؤتمر الذي عقد في قيادة التحالف خلال المدة 19 ـ 22 ديسمبر 1990 ، والذي حضره كل من وزير الدفاع الامريكي تشيني والجنرال باول رئيس الاركان، والجنرال شوارتزكويف ومساعدوه . . ان مدير الخدمات الطبية أعلن في هذا المؤتمر أن القيادة الامريكية بالسعودية تتوقع خسائر 000 20 من بينهم 000 7 قتيل (كتاب The Commanders للمؤلف Bob Woodward ، صفحة 349) .

وفي العراق كانت تقديراتهم للخسائر الأمريكية المحتملة اكثر من ذلك بكثير جدا . فقد كتبت صحيفة الثورة العراقية الناطقة بلسان حزب البعث في مقالها الافتتاحي يوم 9 ديسمبر «ان الرئيس الامريكي جورج بوش ووزير خارجيته جيمس بيكر يخطئان لو اعتقدا أن الحرب الهادفة الى حمل القوات العراقية على الانسحاب من الكويت ستكون خاطفة وحاسمة . إن الحرب ستكون مدمرة جدا واكثر تدميرا من حرب فيتنام . [30] وستدوم أطول مدة مما يعتقدانه . وحتى رقم 000 45 قتيل أمريكي هو دون الحقيقة . . . واذا غزا الرئيس بوش العراق، فانه لن يكون هناك بترولا عربيا رخيصا . . بل لن يكون هناك أصلا بترول في المنطقة، لأن جميع الآبار ستدمر» . [31]

وفيما يتعلق بالخسائر المحتملة في الطائرات الأمريكية، يقول المحلل العسكري الأمريكي George Church ، أنه بعد أن استطلع آراء الكثير من الخبراء حول الخسائر المحتملة في الطائرات الأمريكية قبل أن يتم تدمير الدفاع الجوي العراقي، وتتحقق السيطرة الجوية الامريكية، فان التقدير الأدنى كان 150 طائرة . . خمسون منها في قتال جوي، مائة أخرى يتم اسقاطها بوسائل الدفاع الجوي . أما التقدير الأعلى فيقول أنه كان يصل الى 300 طائرة . [32] وتقول مجلة TIME الأمريكية أن البيت الأبيض كان قد أعد نفسه لأن يتحمل خسائر 100 طائرة امريكية خلال الأيام الأولى من الحرب . ولذلك فان خسارة 15 طائرة امريكية بالاضافة الى 7 طائرات من القوات الحليفة خلال 17 يوم من الهجوم الجوي كان مفاجأة للجميع . [33]

وطبقا لما نشر بعد الحرب، ففي خلال المؤتمر الذي عقده الرئيس بوش مع القادة في كامب ديفيد، قال الجنرال ماك بيك Mc Peak قائد القوات الجوية «ان القوات الجوية الامريكية ستخسر حوالي 150 طائرة خلال 30 يوما. وانه خلال تلك المدة سيتم تدمير حوالي 50٪ من معدات القوات البرية الرئيسية (الدبابات، قطع المدفعية، العربات المدرعة). وانه من المنتظر أن يقتل 2 000 مدني بطريق الخطأ نتيجة القصف الجوي (كتاب The Commanders للمؤلف Bob Woodward الذي نشر في مايو 1991، ص 240، 241)

مدة الحرب

في حديث لصحيفة لميات التركية، أجراه الصحفي أجاويد (شغل أجاويد منصب رئيس الوزراء في تركيا، قبل أن يترك الوزارة ويعمل بالصحافة) ونشر بتاريخ 90/9/20، قال آلرئيس صدام حسين بأن بلاده مستعدة للحرب لمدة خمس أو ست سنوات. وقال أن الولايات المتحدة لن يكون بامكانها أبدا التغلب في مثل هذه الحرب وستقع في الفخ الذي نصبته.[34]

وفي حديث نسب الى الرئيس الفرنسي ميتران أنه قال «لقد التقيت بمسؤول مصري فقال ستدوم الحرب 6 ساعات فقط. والتقيت بمسؤول اسرائيلي فقال لن تدوم أكثر من يوم واحد. والتقيت بمسؤول بريطاني فقال أنها لن تذهب الى أكثر من شهرين. والتقيت بمختصين آخرين فقالوا كل شيء سينتهي خلال فصل واحد». ولما سأله الصحفيون عن وجهة نظر المختصين الفرنسين، أجاب ميتران قائلا بأنه لا يسمعهم.[35]

وفي أمريكا اختلفت التصريحات من بضعة أيام الى بضعة أسابيع، الى أن صدر تصريح من الجنرال شوارتزكوف قائد القوات الأمريكية حول هذا الموضوع في 17 ديسمبر 1990. فقد قال «انه اذا ما اندلعت الحرب في الخليج فاني أتوقع مقاومة كبيرة من القوات العراقية. وإن كنت لا أتصور أن الحرب ستكون طويلة إلا أنه من المحتمل أن نقع في مأزق. وقد تستمر الحرب 6 شهور.»[36]

توقعات الفريق الشاذلي

عندما سئلت عن رأيي حول هذا الموضوع قلت «ان امريكا دولة عظمى وتستطيع أن تحشد ضد العراق قوات متفوقة. وانه عندما يتم حشد 12 فرقة أمريكية وحليفة في منطقة الخليج - بالاضافة الى التفوق الجوي الكبير الذي تتمتع به القوات الأمريكية - فان فرص النجاح لديهم ستكون أكبر من احتمالات الفشل. ولكن ما يهم هو ثمن هذا الانتصار. فمن المتوقع أن يرفع العراق ثمن هذا الانتصار، من حيث الخسائر البشرية والمادية، ومن حيث مدة الحرب. اذ من المتوقع أن تصل الخسائر البشرية الأمريكية الى حوالي 20 000 قتيل، 80 000 جريح. . ومن المنتظر أن يتم الجيش العراقي تدمير جميع آبار النفط الموجودة في الكويت قبل انسحابه منها. . ومن المنتظر أن يتم تدمير آبار البترول العراقية ايضا اذا تقدمت القوات الامريكية داخل العراق. . علاوة على احتمال قيام العراق بضربة انتقامية ضد آبار البترول في السعودية والخليج وتدميرها. وبالاضافة الى الخسائر البشرية والخسائر الاقتصادية، فان الخسائر السياسية الأمريكية ستكون كبيرة جدا. إذ سوف ينكشف العداء السافر الذي تكنه أمريكا ضد العرب والمسلمين، لكل من كانت لديه شكوك حول هذا الموضوع. . كما انه سيفضح الأنظمة العربية والاسلامية التي تتعاون مع أمريكا ضد رغبة شعوبها ويعرضها للسقوط، مما يشكل خسارة أكبر بالنسبة لأمريكا». [37] ومنذ البداية وحتى النهاية كنت أعتقد أن العراق يستطيع أن يصمد حوالي 6 شهور. وكنت آمل أنه كلما ازدادت الخسائر في صفوف قوات التحالف، كلما خلق ذلك الظروف المناسبة لتحرك الشارع العربي والشارع الأمريكي ضد استمرار الحرب.

وإذا كانت هذه التوقعات لم تتحقق، فان ذلك يرجع الى ثلاثة أسباب رئيسية. السبب الأول هو تلك الأخطاء التي ارتكبتها القيادة العراقية في ادارة هذه الحرب. السبب الثاني هو ان حركة الشعوب العربية والاسلامية كانت دون المستوى المطلوب. اما السبب الثالث فهو تلك البيانات والمعلومات التي كان يذيعها المسؤولون العراقيون قبل وأثناء الحرب ثم ثبت بعد ذلك عدم صحتها. . وسوف نناقش كل ذلك بالتفصيل في الفصول التالية.

الفصل الخامس

الموقف الأمريكي

[illegible] المستقبل

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الاهداف الحقيقية والاهداف المعلنة

تحدثنا في الجزء الاول عن الاهداف الامريكية في الشرق الاوسط. [1] واوضحنا ان الاهداف الحقيقية للتدخل العسكري شيء، والاهداف المعلنة لتبرير هذا التدخل شيء آخر. [2] فقد جاء في الصفحة رقم 63 من الجزء الاول الذي صدر قبل بدء العمليات الحربية بثلاثة شهور، ما يلي:

وان الاهداف الحقيقية للتدخل الامريكي تختلف تماما عما اعلنه الرئيس الامريكي بوش يوم 8 اغسطس 90. وان هذه الاهداف يمكن تلخيصها فيما يلي:

1 - تدمير القوات المسلحة العراقية تدميرا شاملا، او تحجيمها بحيث لا تشكل خطرا ضد المصالح الامريكية في الخليج، او ضد امن وسلامة اسرائيل.
2 - السيطرة الفعلية على مصادر البترول، وذلك لضمان استمرار تدفقه بالكميات وبالاسعار التي تريدها امريكا وحلفاؤها. [3]
3 - تكريس التجزئة العربية.
4 - تطبيع العلاقات العربية الاسرائيلية، وجر دول المنطقة الى التوقيع على معاهدة كامب ديفيد مع اسرائيل. ***فلم يعد من المخجل لأي دولة من مجموعة الدول العربية الاثنى عشر ان تصادق اسرائيل، او ان توقع على معاهدة صلح معها.*** [4]

والآن، وقد مضى بضعة اشهر على توقف القتال، فقد حققت امريكا الاهداف الثلاثة الاولى، ولن يمر وقت طويل قبل ان تحقق الهدف الرابع. وسوف نناقش هذا الموضوع بالتفصيل في الفصل الخاص بالنظام الجديد الذي تريد امريكا ان تفرضه على منطقة الشرق الاوسط.

ويلاحظ ان التبريرات الامريكية للتدخل العسكري كانت تتطور مع تطور الوجود الامريكي في المنطقة. ففي 8/8/90، كانت الاهداف الامريكية المعلنة تتلخص فيما يلي:

1 ـ انسحاب العراق من الكويت بدون شروط.
2 ـ اعادة تنصيب حكومة الشيخ جابر الصباح.
3 ـ تحقيق أمن وسلامة منطقة الخليج.
4 ـ حماية ارواح الامريكيين بالمنطقة.

العراق واحتلال دول الخليج

وبينما كانت القوات الامريكية تتدفق على السعودية، كانت وسائل الاعلام الامريكية والغربية ـ بل ووسائل الاعلام السعودية والدول الغربية الضالعة معها ـ تقوم بترويج الأكذوبة الكبرى التي تدعي ان العراق ينوي غزو السعودية. . . وان القوات الامريكية انما وصلت الى منطقة الخليج بناء على طلب من السعودية للدفاع عنها ضد الغزو العراقي المحتمل.

نعم كان في استطاعة العراق ان يحتل السعودية، بل وان يحتل جميع الدول الخليجية في اعقاب احتلاله للكويت. ولم يكن هناك اية قوة عسكرية تستطيع ايقاف هذا الغزو. ولكن احتلال السعودية شيء والقدرة على الاحتفاظ بها شيء آخر. فاحتلال تلك الاراضي الواسعة سوف يرغم العراق على توزيع قواته وانتشارها انتشارا كبيرا لا تستطيع قواته الجوية ووسائل دفاعه الجوي ان توفر لها الحماية من الجو. وحيث ان من يفكر في احتلال السعودية يجب ان يفكر في نفس الوقت بأن امريكا سوف تسارع الى نجدتها، فان قيام القوات الامريكية بتدمير القوات العراقية كان سيصبح اكثر سهولة فيما لو استمر انتشارها في السعودية. فهذا الانتشار سوف يؤدي الى توزيع الدفاع الجوي وبالتالي إضعافه. . . وسوف يؤدي الى اطالة خطوط مواصلات قوات الاحتلال العراقية، وبالتالي يجعل من السهل قطعها وفرض الحصار عليها. وكل ما كان سيحققه هذا الخيار، هو تأجيل السيناريو الذي بدأ بنزول القوات الامريكية الى بضعة اسابيع او بضعة اشهر فقط. نعم قد تختلف اماكن نزول القوات الامريكية واماكن تمركزها واتجاهات هجومها. وقد تكون تركيا واسرائيل وعُمان هي قواعد انطلاق القوات العراقية وتدمير القوات المسلحة العراقية اتجاه بغداد. ولكن هزيمة القوات العراقية وتدمير القوات المسلحة العراقية كان سيصبح اكثر سهولة. [5] ولا شك ان هذه الحقائق العلمية يعلمها المسؤولون

العراقيون كما يعلمها المسؤولون الامريكيون والسعوديون. وبالتالي فان الادعاء بان العراق كان ينوي غزو السعودية، هو ادعاء باطل لا يمكن قبوله.

الذي كان يستطيع العراق ان يفعله ولكنه لم يفعله، هو توجيه ضربة انتقامية للسعودية بمجرد نزول القوات الامريكية في اراضيها. لقد كان في استطاعة العراق ان يدفع بقواته المدرعة في اتجاه قاعدة الظهران وكل القواعد الجوية والبحرية التي تستقبل القوات الامريكية. لقد كان في استطاعة العراق ان يدمر هذه القواعد، ويدمر اي قوات امريكية تكون قد نزلت بها، ويدمر جميع ابار النفط في المنطقة، ثم ينسحب بعد ان يحقق ذلك الى الاراضي العراقية. لقد كان في استطاعة العراق ان يقوم بتوجيه هذه الضربة خلال الفترة ما بين 9 اغسطس وحتى 20 اغسطس. وامريكا والدول الخليجية تعلم جيدا، انه ما كان بوسع القوات الخليجية او القوات الامريكية القدرة على التصدي لهذه الضربة الانتقامية. ومع ذلك فان العراق لم تلجأ لهذا الخيار، مما يؤكد انه لم يكن له نوايا عدوانية تجاه السعودية والدول الخليجية... واكثر من هذا فانه لم يكن يتصور قط ان يحدث له ما حدث. اذا لو تصور صدام حسين حجم التدمير الذي احدثته الغارات الجوية الامريكية في العراق والشروط القاسية التي فرضت عليه في اعقاب الحرب، لأقدم على هذا الخيار الانتقامي المسبق، على اساس المبدأ القائل «علي وعلى اعدائي». ولو اقدم صدام حسين على هذا الخيار، فما كان ذلك ليغير من نتيجة الحرب التي ستكون في النهاية لصالح امريكا وحلفائها. ولكنه كان سيجعل الانتصار العسكري الامريكي باهظ الثمن. وان عدم لجوء صدام حسين لهذا الخيار يجب ان يحسب له. وليس من العدل ان تفرض اليوم تلك الشروط القاسية والمهينة على العراق، بينما يعلم الجميع انه كان في استطاعته بالأمس ان يلحق بامريكا والدول الخليجية خسائر فادحة ولكنه لم يفعل.

الحشد الامريكي الأول

وبنهاية شهر اكتوبر 90، كانت امريكا قد اتمت حشد 250 000 فرد. كانت القوات البرية تضم 4 فرق (الفرقة 82 جنود جو، الفرقة 101 جنود جو، الفرقة 24 ميكانيكي، الفرقة الاولى فرسان)، وكان معها حوالي 750 دبابة، 600 مركبة مدرعة، 400 قطعة مدفعية عيارات مختلفة، وحوالي 1 000

هيليوكوبتر ما بين هيليوكوبتر هجومية وهيليوكوبتر مخصصة لنقل قوات الاقتحام الجوي والقيام بالخدمات الاخرى [6] . . . وكانت القوات البحرية تضم 50 قطعة بحرية من بينها 3 حاملات طائرات بها حوالي 225 طائرة [7] . . . وكانت القوات الجوية تضم حوالي 400 طائرة قتال . . . وكانت قوات المارينز قد أتمت حشد لوائين من المارينز. ولا شك ان حشد هذا الحجم من القوات في تلك الفترة القصيرة يعتبر عملا رائعا. ويرجع الفضل الاكبر في ذلك الى البنية التحتية Infrastructure التي كانت تمتلكها السعودية، من حيث القواعد الجوية والموانىء والطرق، والتي بدونها لم يكن من الممكن ابدا ان يتحقق الحشد بهذه السرعة. وفي هذا المجال يقول الأدميرال جيمس ويليامز Vice Admiral James Williams مدير عمليات القوات البحرية الامريكية، ان ما تمتلكه السعودية من مطارات وتسهيلات في الموانىء افضل بكثير عما هو متيسر في اوروبا [8] ويلاحظ ان حجم تلك القوات التي تم حشدها، يتطابق الى حد بعيد مع القوات التي توقعنا ان تقوم امريكا بحشدها في خلال تلك الفترة. [9]

وبينما كانت امريكا تقوم بحشد قواتها في منطقة الخليج تحت شعار مضلل هو الدفاع عن السعودية ضد غزو عراقي محتمل، كانت لهجة الرئيس الامريكي تتسم بالاعتدال وعدم التهديد. ففي الخطاب الذي القاه امام الجمعية العامة للأمم المتحدة ***يوم أول اكتوبر***، لم يستبعد بوش الحل الدبلوماسي السلمي حين قال ***واني مقتنع تماما انه اذا ما انسحب العراق من الكويت، فانه سوف يصبح من الممكن للعراق والكويت تسوية خلافاتها . . . ويمكن كذلك لدول المنطقة حل النزاع العربي الاسرائيلي . . .*** ولكن ينبغي على العالم ان يبرهن انه لا يمكنه ان يرضخ للعدوان. ان الولايات المتحدة تدعم العقوبات ضد العراق لكي ينسحب العراق فورا من الكويت وبدون شروط. ولا يوجد مانع في تزويده بالمواد الغذائية والأدوية لهدف انساني اذا كان الحال كذلك. فمعارضتنا ليست موجهة ضد الشعب العراقي الذي لا نريد ان نلحق به اي ضرر. بل اننا والعالم أجمع يعارض الرجل الدكتاتور العازم على الغزو». ***فهل كان الرئيس الامريكي بوش يعني حقا ما يقول، ام انه كان يقول ذلك لكي يضمن عدم قيام العراق بضربة انتقامية ضد القوات***

الامريكية قبل ان تستكمل حشدها ؟ قد يختلف الناس في الماضي حول تقييمهم لمصداقية بوش فيما اعلنه امام الأمم المتحدة في 90/10/1. اما اليوم، وبعد ان رأينا كيف قامت القوات الجوية الامريكية بتدمير البنية الاقتصادية للعراق. . . وكيف دمرت الأهداف المدنية بما في ذلك الملاجىء التي يحتمي بها المدنيون من الغارات الجوية. . . وبعد ان رأينا كيف يفرض بوش على العراق ـ بعد وقف اطلاق النار ـ ان يدمر ما لديه من اسلحة التدمير الشامل. . وكيف اقام بوش محمية كردية في شمال العراق، وحرم على العراق بان يحتفظ بأي قوات شمال خط عرض 36. . . وكيف يتشبث بوش رغم قبول العراق بجميع قرارات الأمم المتحدة ـ التي هي في الحقيقة قرارات أمريكية ـ باستمرار فرض الحصار والعقوبات الاقتصادية ضد العراق. . اليوم وقد عرفنا وعايشنا كل ذلك، فانه يتضح امامنا ان ما قاله بوش امام الجمعية العامة للأمم المتحدة يوم 90/10/1، لم يكن يعبر بتاتا عن النوايا الشريرة التي كان يخفيها الرئيس الامريكي في صدره تجاه العراق.

وفي نفس الوقت الذي كان الرئيس الامريكي يحاول فيه تهدئة المشاعر، فاذا بالجنرال مايكل دوجان Michel Dugan رئيس أركان القوات الجوية الامريكية يفضح النوايا العدوانية الامريكية تجاه العراق. فقد صرح الجنرال للصحفيين بعد رحلة قام بها الى السعودية في منتصف سبتمبر، ان امريكا ودول التحالف اصبح لها في المنطقة 1 000 طائرة (420 قتال، 580 طائرة مساعدة Combat support)، وانها تستطيع ان تشن هجوما مدمرا على الاهداف العراقية بما في ذلك مقر صدام حسين. وان هذه هي الطريقة المثلى لارغام العراق على الانسحاب من الكويت، وعلى ان يجثو على ركبتيه. وقال دوجان انه ناقش هذه الخطة مع الجنرال شوارتزكوف قائد القوات الامريكية في الخليج، وانه متفق معه في الرأي. وانه بهذه الطريقة يمكن تحقيق الهدف بأقل خسائر ممكنة في الأفراد. [10] ولكن هذه التصريحات أحرجت الادارة الامريكية، مما دفع الرئيس الامريكي الى عزله من منصبه في 90/9/17.

الحشد الامريكي الثاني

ولكن الموقف الأمريكي المعلن بدأ يتغير اعتبارا من أوائل شهر نوفمبر. فقد بدأت الادارة الامريكية تتحدث علنا عن احتمال استخدام القوة ضد صدام

حسين لارغامه على الانسحاب من الكويت. ففي يوم 4 نوفمبر كان جيمس بيكر وزير خارجية امريكا يستقل الطائرة متوجها الى منطقة الشرق الاوسط. وصرح وهو على متن الطائرة، بانه يزور المنطقة ليناقش مع الاطراف العربية الخيارات العسكرية المحتملة ضد العراق. وكانت رحلة بيكر تتضمن زيارة البحرين، ثم السعودية (ويقابل ايضا في السعودية الشيخ جابر الصباح امير الكويت)، ثم القاهرة، ثم أنقرة، ثم موسكو. ويبدو ان رحلة بيكر قد نجحت في اقناع تلك الدول بضرورة استخدام القوة العسكرية ضد العراق. ففي أعقاب زيارة بيكر كانت تتكثف اللقاءات بين زعماء الدول المعادية للعراق وتتكاثر التصريحات التي تندد به. ومع أنه لم يعلن اثناء رحلة بيكر انه ذهب الى دمشق، الا أن هناك شكوكا في انه قابل اثناء تواجده في احدى العواصم العربية، شخصية سورية رفيعة المستوى. ولم يكن من قبيل الصدفة ان يصرح وزير الخارجية السوري فاروق الشرع في يوم 8 نوفمبر قائلا «ان العراق مثل اسرائيل خطر على العرب. ولا رابط بين أزمة الخليج والقضية الفلسطينية».[11] ولم تقتصر محادثات بيكر على موضوع استخدام القوة ضد العراق فحسب، بل انها تعدت اكثر من ذلك مع السعودية، حيث تم الاتفاق على مسؤولية قيادة القوات. ففي يوم 6/11/90 وبعد محادثات استمرت 6 ساعات بين بيكر وبين الملك فهد، استقر الرأي على أن تكون قوات دول التحالف تحت قيادة امريكية سعودية مشتركة، طالما كانت القوات تقوم بعمليات دفاعية داخل الحدود السعودية. اما اذا قامت قوات دول التحالف بعمليات هجومية خارج الحدود السعودية، فان القيادة تكون امريكية.[12]

وفي 8 نوفمبر 90، اتخذت الادارة الامريكية قرارا بمضاعفة قواتها في المنطقة، وذلك بارسال 3 فرق من القوات البرية (الفرقة الاولى المدرعة، الفرقة الثالثة المدرعة، الفرقة الاولى مشاة ميكانيكي)، وارسال 5 ألوية اخرى من قوات المارينز. كما تقرر تعزيز الوجود البحري بثلاث حاملات طائرات Ranger ، America ، Roosevelt) وبارجة حربية ثانية هي Missouri (يرافق كل من هذه القطع البحرية الكبيرة مجموعة حماية تتكون من 7 سفن حربية). *وهكذا بدأت تتدفق التعزيزات الامريكية من كل من أوروبا والولايات المتحدة الى الخليج. وأصبح الأمريكيون يتحدثون بدون حرج، بانهم*

يحشـدون هذه القوات لا للدفاع عن السعودية كما كانوا يدعون فيما سبق، ولكن للهجوم على العراق. "[13] وعندما استكمل الحشد بعد حوالي 5 شهور ونصف من بدايتـه، كانت امـريكـا قد نقلت الى مسرح العمليات حوالي 527 700 فردا، وحوالي 000 500 طن من المعدات بطريق الجو، 6 مليون طن من المعدات بطريق البحر. "[14]

التعبئة السياسية لاستخدام القوة

ومـع تصـاعـد نغمات الحرب وتسليط وسائل الاعلام الامريكية والغربية الضوء على القرار الامريكي بارسال حشود جديدة الى المنطقة. . . وبناء على طلب تقدمت به مجلة نيوزويك قام الرئيس الامريكي بكتابة مقال يرد فيه على الانتقادات التي وجهت اليه حول موضوع الحشود الامريكية في الخليج. وتحت عنوان «على العالم ألا يكافىء العدوان»، كتب بوش يقول «اذا تحول العالم عن موقفه في هذه الأزمة، التي هي الاولى في مرحلة ما بعد الحرب الباردة، فان من يفكرون في ان يكونوا مثل صدام حسين سيكونون محقين ان هم استنتجوا ان العـدوان يفيد. وعلى العالم ألا يكافىء العدوان. . . *ان أمن امريكا معرض للخطر من جراء هذه الأزمة. وليس بمقدورنا السماح لطاغية منفرد بممارسة الابتزاز الاقتصادي. فالأمن في مجال الطاقة جزء من الأمن القومي. ويجب ان نكون على استعداد للتصرف على هذا الأساس».* "[15] ويلاحظ ان بوش اعترف في هذا المقـال ولأول مرة بطريقة علنية ان مصالح امريكا النفطية هي احد العوامل الرئيسية للتدخل الامريكي. . . بل انه ذهب الى ابعد من ذلك عندما ربط بين الطاقة والأمن القومي، وعندما قال ان أمن امريكا معرض للخطر نتيجة سيطرة صدام حسين على جزء هام من احتياطات النفط في العالم. وهذا يؤكد ما سبق ان قلناه مرارا، وهو ان المصالح الامريكية النفطية هي السبب الرئيسي للتدخل الامريكي.

وفي يوم 21 نوفمبر 90، كان بوش في السعودية حيث امضى عيد الشكر (عيد امريكي يسمى Thanks giving) مع القوات الامريكية. وفي خطابه الى الجنود قال بوش «انتم هنا للدفاع عن الحرية. . . انتم هنا للدفاع عن مستقبل أمريكا. . . انتم هنا للدفاع عن الارواح البريئة التي يحتفظ بها صدام حسين

كرهـائن». [16] ونـلاحظ هنا ايضا ان بوش اقحم مصلحة امريكا ومستقبل امريكا كعنصر اساسي للتواجد الامريكي، مع ان هذا الهدف لم يرد قط في الاهداف التي اعلنها يوم 8 اغسطس 90. وكان من الطبيعي ان يتقابل الرئيس الامـريكي مع زعماء عدد من الدول في منطقة الشرق الاوسط وفي اوروبا، وذلك للحصول على التأييد السياسي لمشروع قرار مجلس الامن، الذي كانت امريكا تنوي عرضه على مجلس الأمن للحصول على تفويض باستخدام القوة المسلحة ضد العراق. ففي يوم 21 تقابل بوش مع الملك فهد في السعودية، وفي يوم 22 تقابل مع الرئيس المصري حسني مبارك في القاهرة، وفي يوم 24 تقـابـل مع الـرئيس السـوري حافظ الاسد في جنيف. . . بينما ذهب وزير خارجيته بيكر الى اليمن (عضو مجلس الأمن). وفيما عدا اليمن الذي اعلن يوم 11/24 ـ عقب زيارة بيكـر لصنعـاء ـ بانـه يعـارض اتخـاذ قرار دولي باستخـدام القوة ضد العراق. . . فقد استطاع الامريكيون ان يحصلوا على تأييد باستخدام القوة ضد العراق من كل من السعودية ومصر وسوريا. . . بل وحصلوا على موافقتهم ايضا بالمشاركة في استخدام القوة ضد العراق. وبذلك اصبـح الـطريق ممهـدا لاصـدار قرار مجلس الأمن رقم 678 بتـاريخ 90/11/29. هذا القـرار الذي يسمح باستخدام القوة ضد العراق اذا لم ينسحب من الكـويت قبـل يوم 15 ينـاير 91. [17] ويلاحظ ان امريكا قد اختارت تاريخ 15 يناير، كتاريخ توفيقي. فالقيادة العسكرية الامريكية كانت ترى ان القوات الامريكية التي كان يجري حشدها في المنطقة، لن تكون جاهزة للقيام بالعمليات الهجومية قبل 15 فبراير 91. اما القيادة السياسية فانها كانت ترى ضرورة ان يحمل قرار مجلس الأمن صيغة الانذار. وهذا الانذار يفقد التأثير النفسي المطلوب اذا هو امتد الى حوالي شهرين ونصف. وبالتالي كان اختيار تاريخ 15 يناير هو الحل الوسط بين المطلبين. وسوف نرى فيما بعد، ان ذلك كان احد الاسباب الرئيسية في بدء الحرب الجوية ضد العراق يوم 17 يناير، بينما تأخر الهجوم البري حتى يوم 24 فبراير 91.

بعد صدور قرار مجلس الأمن، اخذت التصريحات الامريكية تزداد تشددا وتحديا. فقد صرح وزير الدفاع الأمريكي ريتشارد تشيني للصحفيين قائلا *«ان احتمالات الحرب تتزايد بسرعة. وحتى لو انسحب صدام حسين من الكويت*

فان العقوبات على العراق ستستمر. وستتخذ الاجراءات لمنعه من امتلاك الأسلحة النووية وغيرها من أسلحة التدمير الشامل. وان القوات الامريكية وقوات دول التحالف مستعدة للعمل، بمجرد انتهاء المدة الاخيرة للانسحاب العراقي وهي يوم 15 يناير (كانون الثاني) المقبل». [18] ويؤكد هذا التصريح مرة اخرى ما سبق ان اكدت عليه مرارا، وهو ان الهدف الرئيسي الاول للتدخل الامريكي، هو تدمير القوات المسلحة العراقية او تحجيمها بحيث لا تشكل خطرا ضد المصالح الأمريكية في الخليج، أو ضد أمن وسلامة اسرائيل. [19]

الرأي العام الأمريكي

المعارضون للحرب خوفا من الخسائر

في مقال اشترك في كتابته مجموعة من محرري مجلة TIME ، ونشر في المجلة في 90/12/10 ، جاء ما يلي «ان الذين شاركوا في حرب فيتنام هم اكثر الفئات معارضة للحرب. وانه يجب ان تبذل كل الجهود الممكنة لتلافي الحرب. . . والشعب الامريكي في مجمله قلق من ان الحرب اذا اندلعت فانها قد تؤدي الى فرض نظام التجنيد الاجباري. وحيث ان امريكا تأخذ بنظام التطوع، فقد كانت الغالبية العظمى من المتطوعين خلال السبعينات يأتون من الطبقات الفقيرة، ولكن الموقف قد بدأ يتغير خلال الثمانينات بعد ان بدأ اقبال الكثير من افراد الطبقة المتوسطة على التطوع في القوات المسلحة الامريكية. ولكن وبالرغم من ذلك فان السود ما زالوا يشكلون 30٪ من القوات المسلحة الامريكية، في حين انهم لا يشكلون سوى 12.4٪ من تعداد الشعب الأمريكي. وهذا يدل على ان العامل الاقتصادي والفقر ما زال يشكل احد العوامل الرئيسية للتطوع. ولذلك فان اكثر الفئات معارضة للحرب هي فئة الشباب في الشرائح العليا للمجتمع. فلو أن احد اثار موضوع الحرب واحتمال اللجوء الى فرض نظام التجنيد الاجباري ـ اذا طالت الحرب وازدادت الخسائر البشرية ـ بين الشباب في حرم جامعة Berkley ، او Mit ، أو Harvard ، فانه سوف يواجه بمعارضة عارمة وبتعليقات صاخبة. فهم يقولون فليذهبوا جميعا الى الجحيم. فاننا لن نذهب الى الحرب من اجل Texaco . وفي هذا المجال يقول هيرمان أيلتس Hermann Eilts مدير مركز العلاقات الدولية. بجامعة بوسطن: ***ان الامريكيين يتساءلون. لماذا نفعل ذلك من اجل العائلة المالكة الكويتية؟ او من اجل العائلة المالكة السعودية؟ فالأمريكي لا يمكن ان يشعر بالفخر او النقاء اذا هو ذهب للقتال من اجل ان يحمي هذا البترول الذي يستخدمونه في التهتك والخلاعة***» .[20]

وكان من ضمن المعارضين للحرب اثنان من رؤساء أركان حرب القوات المسلحة الامريكية السابقين. الأدميرال ويليام كرو Admiral William Crowe ، والجنرال ديفيد جونس David Jones . ففي يوم 1990/11/28 استدعى الاثنان للادلاء برأيهما امام لجنة من مجلس الشيوخ

رئاسة السناتور نون Nunn . وقد قال الادميرال Crowe الذي تولى منصب رئاسة الاركان خلال الفترة من 1985 ـ 1989 ما يلي ***«يجب على الادارة الامريكية ان تعطي فرصة للعقوبات لكي يظهر مفعولها . وهذه الفترة قد تمتد الى سنة . وحتى لو امتدت الى 18 شهرا حتى يجثو صدام حسين على ركبتيه ، فان ذلك سيكون افضل بكثير من اللجوء الى الحرب، بكل ما تحمله من مفاجآت وما تتطلبه من تضحيات ، وما سوف تسببه من اثارة الشعور المعادي لامريكا في جميع انحاء العالم العربي»***. اما الجنرال ديفيد جونس الذي تولى رئاسة الاركان خلال الفترة من 1978 ـ 1982 ، فقد قال «انني اشعر بالقلق تجاه القرار الذي اتخذه الرئيس بوش يوم 8 نوفمبر بارسال قوات اضافية لمنطقة الخليج . حيث ان ارسال تلك القوات قد يدفعنا الى الاستعجال في دخول حرب من الممكن ان نتفادى وقوعها. ***وانه من الصعب المقارنة بين الفوائد التي يمكن الحصول عليها نتيجة توجيه ضربة عقابية ضد العراق، وبين المخاطر التي يمكن ان نتعرض لها»*** .[21]

كذلك كان الرئيس الامريكي السابق جيمي كارتر Jimmy Carter ، والسناتور سام نون Sam Nunn رئيس لجنة القوات المسلحة بمجلس الشيوخ، من بين الشخصيات الامريكية الهامة التي كانت تعارض الحرب. فقد كان الاول يدعو الى التفاوض مع صدام حسين، بينما كان الثاني يرى ان العقوبات الاقتصادية هي الحل الامثل لارغام صدام حسين على الانسحاب من الكويت. اما وزير العدل الامريكي السابق رامزي كلارك Ramsey Clark ، فقد كان اكثر الجميع نشاطا وحركة في مناهضة الحرب والدعوة الى التفاهم. هذا وقد كشف Bob Woodward في كتابه The Commanders الذي نشر بعد الحرب، ان الجنرال شوارتزكوبف كان يؤيد هو الآخر سياسة الاستمرار في فرض العقوبات كبديل للحرب. فقد جاء في الكتاب المذكور في صفحة 342 ، نقلا عن السناتور نون Nunn ، ان شوارتزكوبف قال «اذا كان البديل لتلافي الخسائر البشرية هو البقاء في الشمس لمدة صيف آخر فان ذلك لا يعتبر بديلا سيئا» .

وفي مقال للمستر Strobe Talbot ، نشر في مجلة تايم الأمريكية، جاء ما يلي «لقد أقسم جورج بوش بان أزمة الخليج لن تكون فيتنام اخرى. ولكن شبح

فيتنام قد عاد فعلا في كل مكان. ففي أي اتجاه تنظر اليه تجدهم قد عادوا: الصقور والحمائم. فالجنرالات والمسؤولون السياسيون اصبحوا في الدفاع... بينما رجال الدين والاساتذة في الهجوم. انهم يقولون اقرأوا الشعارات التي وضعت امام البيت الابيض خلال الاسبوع الماضي والتي تقول «اعطوا الفرصة للعقوبات Give Sanctions a Chance [22]. ويستطرد الكاتب فيقول «مرة اخرى تجد الولايات المتحدة نفسها، مضطرة الى ان توضح ان سياستها الخارجية تنبثق من الايمان بالمثالية الدولية، وبما يحس به شعب انساني ديموقراطي من بغض شديد تجاه سفك الدماء. ففي كل الحروب التي خاضتها الولايات المتحدة خلال هذا القرن، كانت الأهداف التي تريد تحقيقها تتضمن الدفاع عن مبدأ اعظم وانبل من مجرد تحقيق مصالح ذاتية. لقد كانت ورقة التهديد الشيوعي، هي احسن الأوراق التي يمكن اللعب بها خلال الأربعين سنة الماضية لاقناع الشعب الأمريكي بالخروج عن العزلة التي يريدها. فعندما اراد هاري ترومان ان يرسل قوات الى كوريا، واراد ريجان ان يرسل قوات الى جرينادا، كان كل ما قالوه هو انهم يريدون ايقاف المد الشيوعي. وكان هناك اجماع سياسي حول طبيعة هذا التحدي وحول اخلاقية التدخل العسكري. وفي سبيل تحقيق هذا المبدأ استمر تأييد الشعب الأمريكي لحرب فيتنام مدة عشر سنوات قتل خلالها 58 000 امريكي، قبل ان يتحول الشعور العام الأمريكي ضد هذه الحرب.» [23] اما الآن فان الأزمة العراقية لم يمض عليها سوى اربعة اشهر ونصف، ولم يحدث خلالها حالة وفاة واحدة نتيجة العمليات... ومع ذلك فهناك قطاعات كبيرة من الجبهة الداخلية تناضل بقوة وبانفعال شديد ضد الحرب».

ولكن يجب ان نعلم ان المعارضة ضد الحرب، لم تكن تعني تأييدا لصدام حسين. ولكنها كانت تهدف اساسا الى ضرورة بذل كل الجهود الممكنة لارغام العراق على الانسحاب من الكويت بوسائل اخرى، سيما وان الكثير من الأمريكيين كانوا يرفضون ان تخسر أمريكا حياة شخص واحد من اجل الكويت، أو اي من الأنظمة الخليجية الأخرى التي كانوا يصفونها بالتخلف والتبذير والخلاعة. حتى ان الكثير من وسائل اعلامهم خاضت في الحياة الخاصة لأفراد العائلات الحاكمة في تلك الدول، بطريقة لم يسبق لها مثيل...

فهذا يصفونه بانه شاب ماجن Play Boy ، وهذا يصفونه بانه يتعاطى المخدرات، وآخر يقولون عنه ان ثروته تقدر بـ 20 مليار دولار ويملك عدة قصور في اوروبا يقضي بها أوقات لهوه ومجونه الخ . . . وقد عبرت عن هذا الاتجاه اللجنة التي أرسلها مجلس الشيوخ الأمريكي الى منطقة الخليج خلال الفترة من 31 أغسطس حتى 4 سبتمبر 90. فقد علق احدهم قائلا «عندما بدأ الغزو العراقي فان الكويتيين تركوا زوجاتهم . . وتركوا خدمهم وأخذوا أموالهم ليضيفوها في البنوك السويسرية» وعلق آخر مخاطبا الرئيس الأمريكي فقال باستهزاء «لقد زرنا الكويتيين وتأكدنا بعد لقائنا معهم انهم يريدون القتال حتى آخر جندي امريكي». (كتاب The Commanders صفحة 288، 289).

وفي استفتاء اجرته صحيفة وول ستريت جورنال، عبر 54٪ من 1200 استطلعت الصحيفة آراءهم، عن تأييدهم لشن حرب على العراق اذا لم ينسحب من الكويت قبل 15 يناير 91. ولكن في حالة انسحاب العراق فان أغلبية 51٪ مقابل 39٪ كانوا يؤيدون أن تقوم الكويت بتقديم تنازلات تسمح لصدام حسين بحفظ ماء وجهه.[24]

وفي يوم 6 يناير 91، اجرت الواشنطن بوست بالتعاون مع شبكة ABC، عملية سبر للآراء جاء فيها انه اذا قتل 1 000 جندي امريكي في الحرب، فان الرأي العام المؤيد للحرب سينخفض من 62 الى 32 في المائة (Data Center, May 91, P.5).

وفي 10 يناير 91 (اليوم التالي لفشل لقاء بيكر / عزيز في جنيف)، اجرت شبكة CNN بالتعاون مع مجلة TIME، عملية سبر للآراء. وفيما يلي الاجابات على الاسئلة التي طرحت على عينة قوامها 1 000 فرد امريكي، وذلك بعد استبعاد الاجابات التي تكون «لا أعرف أو غير متأكد».[25]

السؤال الاول: هل فعل بوش كل ما يمكن عمله من اجل تحقيق حل سلمي مع العراق ؟ ام انه متسرع في طلب اشعال الحرب ؟.

عمل كل ما يمكن عمله	51٪
متسرع من اجل اشعال الحرب	40٪

السؤال الثاني: هل يجب علينا ان نستمر في فرض العقوبات الاقتصادية ضد العراق ؟ أم ان نتخذ اجراءا عسكريا ضده ؟

الاستمرار في فرض العقوبات ٪45

نتخذ اجراءا عسكريا ضده ٪41

السؤال الثالث: اذا كانت الحرب ستقوم، فهل يجب ان نبدأ فور انتهاء المهلة المعطاة للعراق وهي 15 يناير؟ ام من الافضل لنا ان ننتظر بعض الوقت ؟.

فور انتهاء المهلة ٪54

ننتظر بعض الوقت ٪40

السؤال الرابع: العراق يقول انه على استعداد لبحث انسحاب قواته من الكويت، فقط اذا وافقت الولايات المتحدة على عقد مؤتمر دولي للسلام لبحث القضية الفلسطينية وقضايا الشرق الاوسط الاخرى. فهل يجب علينا ان نوافق على هذا الشرط المسبق ؟ أم يجب علينا ان نرفضه ؟.

نوافق ٪39

نرفض ٪51

السؤال الخامس: العراق له هدفان هما: السيطرة على حقول البترول التي تمتد على الحدود العراقية الكويتية. . والحصول على منفذ بحري على الخليج. فماذا لو انسحب العراق من كل الأراضي الكويتية فيما عدا هاتين المنطقتين. فهل يجب علينا في هذه الحالة ان نقبل بذلك ؟ ام ان نشن عليه الحرب ؟.

نقبل بذلك ٪34

نشن عليه الحرب ٪49

وبعد ايام من اندلاع الحرب الجوية يوم 91/1/17، قامت صحيفة Los Angles Times ، بعملية سبر للآراء، أظهرت بانه اذا قتل 000 1 امريكي في الحرب، فان الرأي العام الامريكي المؤيد للحرب سينخفض من 80 الى 40 في المائة (Data Center, May 91, P.5).

المعارضون للحرب على أسس أخلاقية

وبين الأصوات الامريكية التي كانت تنادي بتدمير صدام حسين بالحرب. . . والأصوات التي تنادي بتدميره بواسطة استمرار العقوبات

الاقتصادية، كانت هناك مجموعة من الأصوات تقول ان هذه حرب غير نظيفة، وتتعارض مع مَبادىء الأخلاق. وفي هذا المجال فان السناتور توم هاركن Tom Harkin قال ما يلي «ماذا يعني ان نقوم بالتصدي للعدوان العراقي السافر؟ هل يعني ذلك ان تصبح الولايات المتحدة رجل الشرطة في هذا العالم؟» أما السناتور جورج ميتشيل George Mitchell فقد كان أكثر توضيحا عندما قال «الطلبة يذبحون في الصين، والقسس يقتلون في امريكا الوسطى، والمتظاهرون يطلق عليهم الرصاص في ليتوانيا. . . وهذه الأفعال السيئة مثلها كمثل قيام الجنود العراقيين بقتل المدنيين. ***وليس من المقبول ان نتصدى لأعمال القهر في مكان ما ونغض الطرف عنه في مكان آخر***». [26] أما ماريو كيومو Mario Cuomo حاكم نيويورك فقد واجه الرئيس الأمريكي بحدة بهذا السؤال ***«اذا كان هدفك هو التصدي للعدوان. فلماذا لا تتصدى للعدوان في افغانستان أو التبت؟»*** وقال كثيرون غيرهم ***«لو كانت الكويت هي مجرد رمال فقط، ولا يوجد بها بترول، فهل كانت الولايات المتحدة ستسارع للدفاع عنها؟»***.

وامام هذه الانتقادات التي تعتمد على مبادىء الأخلاق، رد عليهم الذين يؤيدون الحرب ضد العراق، بأن المصالح الأمريكية هي التي تحكم ويجب ان تحكم السياسة الخارجية للدولة. وفي هذا يقول شارلز كراوتهامر Charles Krauthammer ***«نعم يجب ان تكون قرارات انتقائية. نعم لو كانت الكويت مجرد رمال دون بترول فما كان لنا ان ندخل الحرب من اجلها. وماذا في ذلك؟ فالسياسة الخارجية ليست مجرد عمل من اعمال البر والاحسان*** *Philanthropy*. فان اي تدخل عسكري يجب ان يتوفر فيه عنصران. واحد، انه عادل. إثنان، انه في مصلحتنا. فكل منهما غير كاف في حد ذاته. والا اصبحت سياستنا الخارجية اما مجرد مثالية لا معقولة في الحالة الاولى، واما سياسة واقعية ذاتية في الحالة الثانية. واذا كان التدخل العسكري يجب ان يكون من اجل قضية عادلة، فليس كل القضايا العادلة يجب ان نتدخل من أجلها. . والا استنفذت الولايات المتحدة كل امكانياتها في تصحيح كل خطأ في العالم. والى من يقولون ان الامريكيين لا يستطيعون ان يشعروا براحة الضمير، اذا هم دافعوا عن الحرية في مكان ما وغضوا الطرف عن اعمال القهر

في مكـان آخـر. فاننا نقول لهم نعم يجب ان يشعروا براحة الضمير. لأن امريكا ليست السلطة الوحيدة في هذا العالم America is not Omnipotent[27]».

المصالح الأمريكية فوق كل اعتبار

وهناك كلام كثير يمكن الرد به على ما جاء في مقال كراوتهامر. فهو يقول ان امريكـا لا تستطيع ان تتدخل عسكريا في كل القضايا العادلة لأنها ليست صاحبة السلطة الوحيدة في هذا العالم. وهو بذلك يرد على من يقولون لماذا لم تتدخل أمريكا عندما اجتاحت القوات السوفيتية المجر في 4 نوفمبر 1956، وتشيكوسلوفاكيا في 21 أغسطس 1968، وافغانستان في 25 ديسمبر 79. وعندما اجتاحت القوات الصينية دولة التبت في اكتوبر 1950. انه يرد عليهم بالقـول بان امـريكـا لم تكن تريد ان يتطور الموقف الى مواجهة مع الاتحاد السـوفيتي او الصـين. ولكنـه لم يفسر لنا لماذا لم تتدخل ضد اسرائيل عندما اجتاحت القوات الاسرائيلية سيناء والجولان والضفة الغربية لنهر الأردن عام 1967، عندما اجتاحت القوات الاسرائيلية لبنان في 6 يونيو 1982... علما بانه لا الاتحاد السوفيتي ولا الصين كان اي منهما يساند هذا الاحتلال. ولماذا كانت امريكا تغض الطرف عن الاعمال الوحشية التي كان يمارسها نظام جنوب افريقيا العنصري ضد السكان السود؟.

ثم ان عدالـة القضية هي مسألة نسبية. فما هو عدل بالنسبة لفريق من الناس قد يفسره آخرون على انه ظلم للآخرين. فمن هو القاضي الذي يحكم بأن هذه قضية عادلة وهذه قضية غير عادلة. وما هي القوانين أو المواثيق أو المبادىء الأخلاقية التي يحكم القاضي على اساسها. فليس من حق أمريكا ان تدعي بانها هي وحدها التي تملك حق الحكم بأن هذه القضية أو تلك هي قضية عادلة او غير عادلة. والممارسات التي نشاهدها في تاريخنا المعاصر تؤكد ان امريكا لا تنظر الي اي قضية دولية الا من منطلق المصالح الامريكية البحتة. انها عنـدمـا تتكلم عن دكتاتورية صدام حسين، فانها تتعامل وتتحالف مع انظمة دكتاتورية اخرى، البعض منها اكثر دكتاتورية من نظام صدام حسين. ***الحقيقة المخجلة هي ان امريكا تعادي الدكتاتور الوطني الذي يضع مصلحة بلاده قبل مصلحة امريكا. اما الدكتاتور الخائن أو العميل او المتعاون، الذي***

يضع مصالح امريكا قبل مصلحة بلاده وشعبه، فهذا الدكتاتور يمكنه ان يأمن غضب امريكا وتدخلها العسكري ضده . . . لقد تدخلت امريكا ضد الأنظمة الدكتاتورية التي ترفض الخضوع للسيطرة الأمريكية. حدث هذا في جرينادا في 25 أكتوبر 83، وضد بنما في 20 ديسمبر 89. ولكنه لم يحدث ضد نظام بينوشيه في الشيلي أو ضد عشرات من الأنظمة الدكتاتورية المثيلة في أمريكا وافريقيا وآسيا.

اعلن بيت الحرية Freedom House الذي مقره نيويورك، تقريرا عن موقف الديموقراطية في بلاد العالم حتى نهاية عام 1985. وجاء في التقرير ان الديموقراطية لا تمارس في 114 دولة (14 دولة شيوعية + 98 دولة من دول العالم الثالث). [28] وبمراجعة اسماء الدول ذات الانظمة الدكتاتورية في العالم الثالث، يتضح ان من بينها 24 دولة فقط ذات نظام يساري معاد للولايات المتحدة. اما الباقي وعدده 74 دولة فان نظام الحكم فيها كان يمينيا يرتبط ارتباطا وثيقا بالولايات المتحدة ويحظى بتأييدها. [29] وفي مايو 88، نشرت جمعية 19 ـ Article التي يوجد مركزها في بريطانيا، والتي اشتقت اسمها من المادة رقم 19 من الاعلان العالمي لحقوق الانسان الذي ينص على حق كل فرد في التعبير عن رأيه، تقريرا عن حرية التعبير في بلاد العالم، جاء فيه ان اكثر الدول قمعا لحرية التعبير هي الدول الافريقية ودول الشرق الاوسط. وجاء في المقال الذي نشرته مجلة Economist ، ان السعودية قد منعت دخول المجلة الى السعودية لمدة 6 شهور، لأن المجلة نشرت مقالا تقول فيه ان المملكة السعودية لم تحسن استثمار ملايير الدولارات التي حصلت عليها من عائدات البترول استثمارا جيدا. [30] ولسنا في حاجة الآن الى ان نؤكد ان سوء استثمار السعودية لعائداتها البترولية، والذي كان موجها لصالح امريكا وليس لصالح شعوب المنطقة، كان هو احد الأسباب الرئيسية لاندلاع حرب الخليج عام 1990. ولا اعتقد ان امريكيا واحدا يستطيع ان يدعي ان النظام السعودي او النظام الكويتي الذي تدعي امريكا انها تدافع عنهما باسم الحرية هما انظمة ديموقراطية.

وفي يوم 17 ابريل 1985، كان المستر Casey مدير وكالة المخابرات الامريكية CIA يلقي محاضرة في مدرسة الحقوق والدبلوماسية

Fletcher School of Law and Diplomacy في ماساشوتس، عن االارهاب وقال فيها «اننا لن نتردد في استخدام القوة لمنع او اجهاض الاعمال الارهابية، اذا دعت الضرورة لذلك». وفي نهاية المحاضرة، قام احد الطلبة وسأله ما يلي: «ما الفرق بين الكونتراس (التي تساعدهم امريكا ضد الحكومة الشرعية في نيكاراجوا) وبين منظمة التحرير الفلسطينية (التي تناضل لنفس الهدف وتناصبها امريكا العداء ؟» وتلعثم كيسي قبل ان يجيب «الكونتراس لهم وطن يناضلون من اجل استرجاعه. اما منظمة التحرير الفلسطينية فلا وطن لهم». [31] فهل هذه هي العدالة التي تتكلم عنها يا مستر كراوتهامر ؟.

وفي مقال للمستر راسل واطسون Russel Watson نشر في مجلة نيوزويك بتاريخ 15 فبراير 88، يقول واطسون «اذا تركنا العواطف جانبا، فان الولايات المتحدة لا تستطيع ان تقطع علاقاتها مع الأنظمة الدكتاتورية لمجرد انها انظمة غير محبوبة. ولكن يجب على امريكا ان تعرف كيف ترسم خطا بين المثالية وبين الواقعية، وتعرف الوقت المناسب لكي تتخلى فيه عن النظام الدكتاتوري الذي تقوم بمساندته». [32]

هذا قليل من كثير، نقدمه للمستر كراوتهامر، لنؤكد له أن المصالح الأمريكية الذاتية هي وحدها التي تحرك السياسة الخارجية للولايات المتحدة، وتدفعها احيانا الى التدخل العسكري لخدمة هذه المصالح. وان قيام السلطات الامريكية بالادعاء احيانا بعدالة قضية ما، من اجل خلق المبرر للتدخل العسكري الأمريكي، هو مجرد محاولة لتبرير هذه التصرفات امام اصحاب الضمائر الأمريكيين.

قرار الحرب

من الذي يملك اتخاذ قرار الحرب في واشنطن. هل هو الرئيس الأمريكي ؟ أم ان قرار الحرب يجب أن يصدر عن الكونجرس ؟ كان ذلك مثار جدل بين الطرفين منذ ان ظهرت في الأفق بوادر احتمال دخول امريكا الحرب ضد العراق. . . ويرجع ذلك الى ان كل طرف كان يعتمد على مادة من مواد الدستور الأمريكي التي تعطيه الحق في ذلك. فالمادة الاولى من الفصل الثامن من الدستور تقول «الكونجرس يكون لديه السلطة لاعلان الحرب». أما المادة

الثانية من الفصل الثاني فانها تقول «الرئيس هو القائد العام للجيش والبحرية في الولايات المتحدة». وقد انتقل الخلاف حول تفسير هاتين المادتين الى قاعة المحكمة، عندما قام 54 من أعضاء الكونجرس من الحزب الديموقراطي (الحزب المعارض) برفع دعوى ضد الرئيس الأمريكي امام المحكمة الفيدرالية، مطالبين بمنعه من اتخاذ اي قرار بالهجوم على العراق الا بعد ان يحصل مسبقا على موافقة الكونجرس.[33]

كان اعضاء الفريق الذين يؤيدون سلطة الرئيس في اتخاذ قرار الحرب، يقولون ان الرؤساء الأمريكيين السابقين قد أقحموا القوات الامريكية في الحروب 130 مرة، دون الحصول على موافقة الكونجرس ودون اعلان الحرب، وان الكونجرس لم يعلن الحرب الا في 5 حالات فقط منذ قيام الولايات المتحدة. ولكن اعضاء الفريق المعارض كانوا يقولون ان الرقم 130 هو مبالغ فيه، فالغالبية العظمى من هذه الحالات كانت محدودة جدا، من حيث طبيعة التدخل، وحجمه، والمدة التي استغرقتها. وان هذه التدخلات لا يمكن ان ترقى الى مستوى الحرب... مثال ذلك التدخل العسكري ضد ليبيا يوم 81/8/19، ويوم 86/3/22، ويوم 86/4/14. فمثل هذه التدخلات العسكرية لا يمكن ان ترقى الى مستوى التوصيف بانها حرب. ويستطرد هذا الفريق المؤيد لسلطة الكونجرس في الدفاع عن وجهة نظره فيقول «وعموما فان عدم مراعاة مواد الدستور في حالات ماضية، لا يمكن ان يكون مبررا للاستمرار في ذلك. وفوق هذا وذاك، فلم يحدث قط ان طلب الكونجرس من رئيس امريكي الا يدخل حربا، ثم تجاهل هذا الرئيس هذا الطلب».

لقد كان الرئيس الامريكي في مأزق كبير. فالحزب الديموقراطي (الحزب المعارض) يتمتع بالأغلبية في مجلس النواب وفي مجلس الشيوخ. وهم يصرون على ان قرار الحرب يجب ان يصدر من الكونجرس. ففي خلال الأسبوع الأول من ديسمبر، اتخذ الاعضاء الديموقراطيون في مجلس النواب قرارا حزبيا بأغلبية 177 صوتا ضد 37، يقضي بأنه لا يجوز للرئيس الأمريكي ان يقحم القوات الأمريكية في اي عملية هجومية في الخليج، الا اذا كانت حياة الأمريكيين في خطر داهم،[34] وكان ذلك يعني ان الرئيس الأمريكي لن يستطيع الحصول

على مصادقة الكونجرس على دخول الحرب اذا هو طلب منه ذلك . . . كما وانه لا يستطيع ان يتجاهل الكونجرس ويذهب الى الحرب، بعد ان تزايدت الصيحات ضد الحرب . وزاد الطين بلة ذلك التقرير الذي تقدم به وليام وبستر William Webster مدير CIA الى الكونجرس .

لقد جاء في تقرير وبستر «ان العراق يقاسي كثيرا من العقوبات الاقتصادية المفروضة عليه . لقد فقد 90٪ من وارداته . وفقد 97٪ من صادراته . ومع ان ذلك لم يؤثر كثيرا على الامداد بالمواد الغذائية، الا انه قد بدأ يعطي ثماره على الصناعة العراقية التي تعتمد اعتمادا كبيرا على قطع الغيار التي تستورد من الخارج . ويعتقد وبستر ان العراق يعتمد حاليا على ما كان يحتفظ به من قطع غيار في مخازنه قبل الحرب، ولكنه توقع ان ينفذ ذلك في خلال ربيع او صيف عام 91 . ويقول التقرير ان العراق قد يلجأ بحلول شهر مارس 91 الى التقليل من مستوى الطلعات الجوية الاستطلاعية والتدريبية، وانه بمضي المدة سوف تنهار الآلة العسكرية العراقية» . [35]

كان كل ما جاء في تقرير مدير CIA بصفة عامة يصب في صالح الفريق المعارض للحرب . ولكن وبستر - شأنه في ذلك شأن الغالبية العظمى من رجال المخابرات - احتاط لنفسه فاضاف الى تقريره جملة اخيرة تصب في صالح الذين ينادون بضرورة الاسراع في اشعال الحرب ضد صدام حسين . فقد اضاف قائلا انه يخشى ان ينفرط عقد دول التحالف اذا بقي الوضع على ما هو عليه الى ان تؤتي العقوبات الاقتصادية ثمارها .

وهكذا اشتد الجدل بين اعضاء الكونجرس خارج الاجتماعات الرسمية بين من يستعجلون الحرب قبل ان يتفكك الاتحاد، وبين من يفضلون الانتظار . وفي 13 يناير 91 وافق مجلس النواب الأمريكي بأغلبية 250 صوتا ضد 183 صوتا على قرار غامض، ولكن يفهم من الفاظه انه يعطي الرئيس الامريكي سلطة استخدام القوة ضد العراق ما لم ينسحب من الكويت قبل 15 يناير 91 . وكان مجلس الشيوخ قد اتخذ قبل ذلك بيوم واحد قرارا يعطي الرئيس الامريكي الضوء الاخضر، لزج القوات الامريكية في حرب الخليج اذا ما رأى ضرورة لذلك . . . وذلك عندما رفض بأغلبية 53 صوتا ضد 46، لائحة تطالب بمواصلة الجهود الدبلوماسية ومواصلة تطبيق العقوبات الاقتصادية ضد

العراق. وان الاغلبية الضئيلة التي حققها الفريق الذي يستعجل الحرب ضد العـراق ـ سواء في مجلس الشيوخ أو في مجلس النـواب ـ تبين بوضوح عمق الخلاف الذي كان يدور بين ممثلي الشعب الأمريكي حول تلك الحرب. ومع ان سياسة الحزب الديموقراطي كانت تعارض استعجال الحرب، بينما سياسة الحزب الجمهوري الذي ينتمي اليه الرئيس الأمريكي بوش كانت ضد تأجيل الحرب... ومع ان الحـزب الـديمـوقراطي كان يملك الأغلبية في مجلس الشيوخ... الا ان نجاح التصويت لصالح الحرب في مجلس الشيوخ بنسبة 53 ضد 46 يرجع الى ان 10 اعضاء ينتمون الى الحزب الديموقراطي صوتوا ضد قرار حزبهم، بينـما صوت عضو واحد من الحزب الجمهوري ضد قرار حزبه. ولو التزم كل عضو من اعضاء مجلس الشيوخ بقرار حزبه، لنجح القرار الذي يدعو الى تأجيل الحرب بتأييد 55 ضد 44 صوتا. وجدير بالذكر ان العشرة اعضـاء من الحـزب الـديموقراطي الذين صوتوا لصالح الحرب ضد سياسة حزبهم كانت غالبيتهم العظمى من الاعضاء الذين ينتمون الى اللوبي الـصـهيوني في المـجلس، وكـان على رأسـهـم روبـــــرت توريشيلي Robert Torricelli، ستيفن سولارز Stephen Solarz.[36]

وكان المعارضون للحرب يؤكدون ان قرار الحرب اذا صدر الآن فانه سوف يكون قرارا متسرعا. وان وقت اتخاذ هذا القرار لم يحن بعد. وقد جاء في خطاب السنـاتـور جيفاردت Gephardt أمام المجلس ما يلي ***«ان المعارضين للحرب ليـسوا اصـدقـاء العـراق. فالحوار هنا في المجلس هو حول ما اذا كان من الافضـل ان نختنق صدام حسـين ببطء بالعقوبات الاقتصادية التي نفرضها عليه، ام ان نلجأ الى الحـل العسكـري. فالخـلاف بيننـا هو فقط حول الوسيلة»***.[37]

لقاء بين بيكر وعزيز في جنيف

بعد مرور أقل من 18 ساعة من صدور قرار مجلس الأمن الدولي رقم 678 (صدر القرار في 29 نوفمبر 90)، الذي يبيح استخدام القوة ضد العراق اذا لم ينسحب قبل 15 يناير 91، فاذا بالرئيس الأمريكي بوش يفاجيء العالم بمؤتمر صحفي يعلن فيه أنه على استعداد لاستقبال وزير الخارجية العراقي طارق عزيز في البيت الأبيض خلال الأسبوع الذي يبدأ يوم 90/12/10، وان يقابل وزير الخارجية الأمريكي جيمس بيكر الرئيس صدام حسين في بغداد في وقت لاحق. وعندما سئل عما سوف يناقشه بيكر مع صدام حسين قال بوش «انه سيكون على استعداد لمناقشة كل جوانب أزمة الخليج. ولكن يجب ان يعلم الجميع ان رحلة بيكر لن تكون رحلة تنازلات. ولن يكون الغرض منها هو ايجاد مخرج لصدام حسين للابقاء على بعض ماء وجهه. ان مهمة بيكر هي افهام صدام حسين بان الولايات المتحدة مصممة على تنفيذ جميع قرارات الأمم المتحدة». وبهذا التفسير لرحلة بيكر فان الرئيس الامريكي قد افرغ ما سمي حينئذ بمبادرة بوش من اي قيمة. وفي تعليق انتقادي من مستشار الأمن القومي في ادارة الرئيس الامريكي السابق جيمي كارتر، قال بريجنسكي ***«اذا كان كل ما سيقوله بيكر لصدام حسين هو تقديم انذار له بالانسحاب من الكويت، فانه بذلك قد يدفع صدام حسين الى اعتقاله».***

وكان رد فعل القيادة العراقية تجاه قرار مجلس الأمن 678، سريعا وقاطعا. فبعد اجتماع مشترك لمجلس قيادة الثورة العراقية والقيادة القطرية لحزب البعث تحت رئاسة الرئيس صدام حسين يوم 30 نوفمبر، اصدر العراق بيانا يستنكر فيه بشدة قرار مجلس الأمن 678. ووصف البيان القرار بانه قرار غير شرعي وباطل، وانه قرار امريكي اولا واخيرا. ولم تشارك فيه مجموعة من الدول الا تحت الضغط الامريكي، في هذه المرحلة التي تمارس فيها الولايات المتحدة اعلى درجات الهيمنة والغطرسة على المجتمع الدولي، بعد التطورات الاخيرة في الوضع الدولي. وأكد البيان بأن العراق المؤمن بحقه الثابت، والمؤمن بحق شعب فلسطين وحقوق العرب في الحرية والعدالة والعزة والسلام.. يؤكد موقفه المبدئي الثابت في ان الحوار المتكافيء هو الطريق الى بحث الاوضاع في المنطقة. وان الدعوة الى احترام قرارات مجلس الأمن لكي تكون خالية الغرض

ومنصفة، ينبغي ان توجه الى كل المعنيين بها بنفس اللهجة، وان تطبق بروح واحدة من حيث اتجاهها العام، لا أن تكون انتقائية مغرضة.

وفي يوم أول ديسمبر، صدر عن مجلس قيادة الثورة العراقي بيانا يعلن فيه قبول العراق اجراء حوار مع امريكا. وجاء في البيان ما يلي: «ان سعي العراق في كل الاحوال سيكون كما كان دائما، هو اجراء جدي بعمق، وليس لقاءات شكلية كما يراها الرئيس الامريكي... ليتخذها ذريعة امام الرأي العام الامريكي والكونجرس الامريكي والرأي العام العالمي والمجتمع الدولي». وذكر البيان العراقي بضرورة الربط بين جميع مشاكل المنطقة من اجل ايجاد تسوية كاملة».

كان بوش يريد ان يشرب غضب الشارع الأمريكي المعادي للحرب، ولكنه لم يكن يرغب مطلقا أن تؤدي هذه اللقاءات الى تفادي الحرب التي كان يريدها من اجل ان يدمر القوات المسلحة العراقية. ولذلك فقد ربط هذه اللقاءات بشروط كان يعرف مسبقا ان صدام حسين لابد وان يرفضها، وبذلك يكون الرفض من جانب صدام حسين. فيستطيع بوش في هذه الحالة ان يقول امام العالم اجمع انه بذل كل ما يستطيع... وانه كما قال يقطع ميلا اضافيا من اجل السلام Go the extra mile for peace . اما صدام حسين فقد اراد ان يفوت على بوش هذه الفرصة، بان اعلن قبوله لهذه اللقاءات، ولكنه ربطها بشروط يعلم هو ايضا ان بوش سوف يرفضها. وامام هذه الظروف كان من الطبيعي ان يختلف الطرفان حول كل شيء يتعلق بتلك اللقاءات. فقد اعلنت امريكا ان مندوبين عن الكويت وحلفاء آخرين قد يتم اشراكهم في المحادثات المرتقبة في واشنطن. ورد العراق على ذلك بانه سوف يدعو ممثلين عن الفلسطينيين وعن أطراف اخرى لحضور المحادثات التي ستجرى في بغداد. واقترحت امريكا ان يتم لقاء واشنطن في 17 ديسمبر، واقترح العراق ان يتم لقاء بغداد في 12 يناير 91. ولكن أمريكا اعلنت يوم 9 ديسمبر رفضها لتاريخ 12 يناير واعتبرته تاريخا متأخرا جدا، ويوحي - كما قال سكوكروفت مستشار الرئيس الأمريكي لشئون الأمن القومي - بأن العراقيين لا يريدون الحديث عن السلام. واعلنت امريكا بان بيكر لن يذهب الى بغداد بعد 3 يناير. وتوالت الأيام دون التوصل الى اتفاق. *وفي تصريح للتليفزيون التركي يوم 18/12 قال صدام حسين «لا*

قائدة من محادثات مباشرة مع الولايات المتحدة اذا ما كان كل ما ستقوله لنا الولايات المتحدة هو الالحاح على ضرورة تنفيذ قرارات الأمم المتحدة . لقد قرأناها ورفضناها . يجب ان تحل اولا القضية الفلسطينية قبل الحديث عن اي تنازلات من جانبنا في موضوع الكويت . اما الذين يريدون احترام القانون الدولي وقرارات مجلس الأمن، فعليهم اولا حل مشكلة عمرها 23 عاما، وعليهم احترام قانون وقرارات المجلس جميعها بدلا من استعمال لغة مزدوجة» .

وأخيرا تم الاتفاق على ان يلتقي طارق عزيز مع جيمس بيكر في جنيف يوم 9 يناير. ورغم ان التصريحات الملتهبة التي كانت تصدر في كل من واشنطن ومن بغداد، كانت تؤكد تمسك كل طرف بوجهة نظره . . . العراق يريد الربط بين القضية الفلسطينية وقضايا عربية اخرى وبين قضية الكويت. وامريكا ترفض الربط وتعلن ان بيكر جاء الى جنيف ليبلغ العراق انسحب فورا والا ستحل بك كارثة . وكان ذلك بالنسبة لمن يتابعون الأحداث دليلا قاطعا على ان هذه المحادثات لن تؤدي الى شيء. ومع ذلك فقد احتشد في الفندق الذي يلتقي فيه بيكر وعزيز المئات من ممثلي وكالات الأنباء والاذاعة والتليفزيون والصحافة، لينقلوا للعالم ما يمكن ان يتمخض عنه هذا الاجتماع فور الانتهاء منه. ونقلت شاشات التليفزيون الى جميع انحاء العالم عبر الأقمار الصناعية صورا عن لقاء الوفدين. كان لقاءا فاترا، بل كان اقرب الى العداء والاشمئناط منه الى الفتور. وكان ذلك تأكيدا آخر بأن هذا اللقاء لن يؤدي الى شيء. ومع ذلك فقد كان العالم يكتم انفاسه وهو يلتف حول أجهزة التليفزيون في انتظار نتيجة هذا اللقاء. وامتد اللقاء بين الرجلين 7 ساعات ونصف لم يقطعها الا فترتان قصيرتان، اتصل خلالهما بيكر بالرئيس الأمريكي في واشنطن.

وفي النهاية دخل بيكر الى غرفة الصحافة ليعبر عن خيبة أمله، لأن العراق لم يقدم أي تنازلات عن موقفه. وذكر بيكر أن طارق عزيز رفض ان يستلم الرسالة الموجهة من الرئيس بوش الى الرئيس صدام حسين. اما طارق عزيز فقد قال انه رفض استلام الرسالة، لأنها صيغت بعبارات لا يجوز ان تستخدم بين رؤساء الدول. وفي اجابته على اسئلة الصحفيين كرر طارق عزيز موقف بلاده كما سبق ان اوضحناه. [38] وفيما يلي نص خطاب بوش الى صدام حسين كما نشرته الصحف الأمريكية بعد ان رفض طارق عزيز استلامه.

السيد الرئيس

تقف اليوم على شفا حرب بين العراق والعالم. وهذه الحرب بدأت بغزوكم الكويت. حرب يمكن ان تنتهي فقط بالتزام العراق الكامل غير المشروط بقرار مجلس الأمن 678. اكتب اليك الآن مباشرة، لأن ما هو معرض للخطر الآن يتطلب عدم اضاعة اي فرصة لتفادي ما سيكون كارثة مؤكدة للشعب العراقي. اكتب ايضا لأن البعض يقول انك لا تفهم مدى عزلة العراق، وبالتالي ما يواجه العراق نتيجة لذلك. ولست في وضع يمكنني من الحكم على صحة هذا الانطباع. ولكن كل ما استطيع ان افعله، هو ان احاول خلال تلك الرسالة ان أؤكد ما قام الوزير بيكر بابلاغه الى وزير خارجيتكم، وازيل اي شك او غموض قد يكون لديكم بشأن اين نقف، وما نحن مستعدون للقيام به.

لقد اتحد المجتمع الدولي في دعوته للعراق بالانسحاب من الكويت كلها دون شرط ودون اي تأخير. وهذه ليست مجرد سياسة الولايات المتحدة، بل هي موقف المجتمع الدولي الذي عبر عنه 12 قرارا لمجلس الأمن التابع للأمم المتحدة.

نحن نفضل نتيجة سلمية. ولكن اي شيء اقل من الالتزام الكامل بقرار مجلس الأمن 678 والقرارات التي سبقته امر غير مقبول. فلن يكون هناك مكافأة للعدوان. ولن تكون هناك مفاوضات. فالمبادىء لا يمكن ان يتم التوصل الى حلول وسط بشأنها. ولكن العراق بالتزامه الكامل سيكسب الفرصة للعودة الى المجتمع الدولي. كما ان الأكثر عجالة هو ان المؤسسة العسكرية العراقية ستفلت من التدمير. ولكن اذا لم تنسحب تماما من الكويت ودون شروط، فستخسر ما هو اكثر من الكويت. والمطروح للبت هنا ليس مستقبل الكويت. فهي ستتحرر وحكومتها ستعود. وانما المطروح هو مستقبل العراق. والخيار لك.

ان الولايات المتحدة لن تعزل عن شركائها في التحالف. فهناك 12 قرارا لمجلس الأمن، 28 دولة قدمت وحدات عسكرية لتطبيق تلك القرارات، وتلتزم ما يزيد عن 100 حكومة بالعقوبات. كل ذلك يؤكد الحقيقة القائلة بأن المسألة لم تعد العراق في مواجهة الولايات المتحدة، بل العراق في مواجهة

العالم. *ان احتشاد معظم الدول العربية والاسلامية ضدك يجب ان يؤيد ما اقول. فالعراق ليس بوسعه ولن يكون بوسعه التمسك بالكويت او انتزاع ثمن انسحابه.*

قد يغريك ان تجد عزاء في تنوع الآراء. وهذه هي الديموقراطية الأمريكية. ويجب ان تقاوم اي اغراء. اذ يجب عدم الخلط بين التنوع والانقسام. ويجب الا تسء كما فعل آخرون من قبلك تقدير ارادة امريكا.

ان العراق بدأ يحس بالفعل بآثار العقوبات التي فرضتها الأمم المتحدة. واذا اندلعت الحرب فستكون مأساة كبيرة لك ولبلدك. وانني لأؤكد لك ايضا، ان الولايات المتحدة لن تقبل استخدام اسلحة كيماوية او بيولوجية او تدمير حقول ومنشآت النفط الكويتية. وستكون مسؤولا مسؤولية مباشرة عن اي عمليات ارهابية ضد اي عضو في التحالف. فسيطالب الشعب الأمريكي بأقوى رد ممكن. وستدفع أنت وبلدك ثمنا رهيبا اذا امرت باعمال مفرطة في الفظاعة من هذا النوع.

اني اكتب الرسالة لا للتهديد وانما للابلاغ. ولكني افعل ذلك دون احساس بالرضى، فشعب الولايات المتحدة ليس في نزاع مع شعب العراق.

السيد الرئيس

ان قرار مجلس الأمن 678 يحدد مهلة قبل 15 يناير من العام الحالي، كلفتة للنوايا الطيبة حتى تنتهي هذه الأزمة دون مزيد من أعمال العنف. وسواء استخدمت هذه المهلة كما قصد منها، او تحولت لتصبح فقط مقدمة لمزيد من العنف، فان ذلك في يدك. ويدك وحدك. وآمل ان تفكر في قرارك بعناية، وأن يكون اختيارك بحكمة، لأن الكثير يتوقف على هذا الخيار.[39]

عجلة الحرب تدور بسرعة

لم تتوقف عجلة الحرب عن الدوران منذ نزول القوات الامريكية في الأراضي السعودية في 90/8/8. ولكنها زادت من سرعتها اعتبارا من 90/11/8 عندما قرر بوش مضاعفة القوات المحتشدة في الخليج. ثم زادت سرعتها مرة اخرى بعد صدور قرار مجلس الأمن 678 يوم 90/11/29. ثم

ازدادت بشكل اكبر بعد فشل لقاء جنيف بين طارق عزيز، وجيمس بيكر. وبالاضافة الى التصريحات الملتهبة التي كانت تصدر من كل طرف، فقد كانت هناك مؤشرات لا يمكن ان تخطئها العين تنبىء باقتراب الحرب.

كانت امريكا وبريطانيا قد بدأت اعتبارا من شهر ديسمبر 90، تنصح رعاياها بمغادرة البلاد العربية والاسلامية، ولا سيما تلك البلاد التي تتعاطف شعبا وحكومة مع العراق. وكان في مقدمة هذه الدول الأردن، والسودان، واليمن، والجزائر، وليبيا، وتونس، وموريتانيا.. ثم توسعت في نصيحتها بعد ذلك، لكي تشمل بلادا عربية تقف أنظمتها في الصف الأمريكي بعد ان اتضح تعاطف شعوبها مع العراق، فشمل ذلك مصر والمغرب وسوريا وباكستان. وبالاضافة الى ذلك أخذت كل من واشنطن ولندن في تقليص عدد دبلوماسيها وموظفيها في البلاد العربية والاسلامية الى الحد الأدنى. وقامتا في نفس الوقت بطرد الغالبية العظمى من الدبلوماسيين العراقيين. وتبعتهما في ذلك غالبية دول حلف الأطلسي. ثم جاء بعد ذلك قرار مجلس الشيوخ الأمريكي يوم 12 يناير، وقرار مجل النواب الأمريكي يوم 13 يناير، اللذان يعطيان للرئيس الأمريكي الحق في استخدام القوة، فكان بمثابة الصك النهائي لقيام الحرب.

التاثير الامريكي على القرار العربي

لقد لعبت امريكا الدور الرئيسي والحاسم في تلك الحرب الصليبية الثامنة ضد العراق. فهي التي كانت تتولى القيادة السياسية والقيادة العسكرية في تلك الحرب. وهي التي كانت تقود حملة اعلامية شرسة لتعبئة الشعور العالمي ضد العراق.. تلك الحملة الاعلامية التي كان ظاهرها هو الدفاع عن السعودية واعادة حكومة الشيخ جابر الصباح الى الحكم، في حين ان باطنها كان هو تدمير اكبر قوة مسلحة امتلكها العرب او المسلمون منذ فجر التاريخ. تلك الحملة التي كانت تهدف الى تدمير ما أحرزه العراق من تقدم في مجال انتاج اسلحة التدمير الشامل، في الوقت الذي تعلم فيه امريكا ان اسرائيل تحرز اسلحة التدمير الشامل وتسبق العراق في هذا المجال بأكثر من 10 سنوات على الاقل. وامريكا هي التي استخدمت الأراضي العربية كقواعد انطلاق لغزو العراق.. وهي التي استخدمت المال العربي لتدمير القدرات القتالية

العـربية. . . وهي التي كانت تدعي انها تتصـدى لنـظام صدام حسـين الـدكتـاتوري، في حين أن الأنظمة العربية التي كانت تشارك معها في تلك الحرب لم تكن اقل دكتاتورية من نظام صدام حسين. وهي التي كانت اكثر الـدول مسـاهمـة في الحشود العسكرية التي شنت هجومها الجوي والبحري والبري ضد العراق. فمن ناحية الحجم كانت القوات الأمريكية تمثل حوالي 61٪ من حجم القـوات لدول التحـالف في منـطقة الخليج. أما من ناحية القـدرات القتـالية، فقـد كانت امـريكـا تسـاهم، بأكثر من 90٪ من تلك القـدرات، وكـانت تساهم بنسبة 100٪ في مجال المعلومات المخابراتية التي تجمعها اقمارها الصناعية. وباختصار شديد فان الحرب كانت حربا امريكية عراقية في المقام الأول. أما المشاركون الآخرون فهم اما متآمرون او مخدوعون او انتهازيون يريدون ان يصيبوا جزءا من الغنائم. وفيما يلي الخطوات الرئيسية التي اتخـذهـا بوش من اجـل ضرب العـرب بالعـرب، وضرب المسلمـين بالمسلمين، وتدمير أموال العرب والمسلمين بأموالهم.

1 - في يوم 2 أغسطس 90 (أي في نفس اليوم الذي اجتاحت فيه القوات العراقية الكويت)، اعلن الرئيس الأمريكي بوش في مؤتمر صحفي في وادي كريك في ولاية كولورادو ـ وحضر هذا المؤتمر السيدة مارجريت ثاتشر رئيسة وزراء بريطانيا والتي كانت في زيارة رسمية لأمريكا ـ عن ضرورة تطبيق البند السابع من ميثاق الأمم المتحدة، الذي ينص على تدخل عسكري من قبل المنظمة الدولية. وأضاف بوش الى ذلك انه لا يستبعـد عمـلا عسكريا امريكيا. وفي نفس الوقت بدأت حاملة الطائرات اندبندانس وبعض القطع الحربية الأمريكية تتحرك في اتجاه منطقة الخليج. وفي نفس اليوم اصدر الرئيس الأمريكي امرا يحظر فيه اي استـيراد للمنتجـات والخـدمات من العراق، كما يحظر فيه جميع الصـادرات الأمـريكية اليه. كما أمـر بتجميد كل الـودائع الكويتية للحيلولـة دون حجـزها من طرف الحكومة العراقية. وهذا يعني ان امريكا قررت فرض الحصار البحري على العراق، وان قواتها البحرية المكلفـة بتنفيذ ذلـك بدأت تتحـرك الى المنـطقـة اعتبـارا من يوم 3 أغسطـس، اي قبل ان يقرر مجلس الأمن هذا الحصار بأكثر من ثلاثة

اسـابيع (قرار مجلس الأمن 665، الذي صدر يوم 25 أغسطس لم يفرض الحصار على العراق، بل استخدم الفاظا مطاطة وغامضة تبيح للقوة المتعددة الجنسيات ـ التي من المفترض انها ليست قوات دولية ـ بأن تستخدم القوة العسكرية المحدودة من أجل وقف السفن التجارية المتجهة من والى العراق لتفتيشها. وهذه الاجراءات هي في الحقيقة موافقة صامتة على الحصار الذي تفرضه امريكا وحلفاؤها على العراق).

2 ـ في يوم 2 أغسطس 90 أيضا، يقول بوش انه اتصل بالملك فهد وقال له «أنت في خطر. العراق يحشد قواته لغزو السعودية، واحتلال آبار البترول في الظهران (على بعد 280 كيلومتر فقط من الحدود الكويتية). نحن على استعـداد لأن نقدم لكم المساعدة الجوية وما هو أكثر من ذلـك». ويستـطرد بوش في حديثه فيقول «أن الملك فهد أثار ثلاثة استفسارات. الأول: هل ستبقى القوات الأمريكية طالما بقي التهديد العراقي ؟ الثاني: هل ستنسحب القوات الأمريكية فور زوال التهديد العراقي ؟ الثالث: هل ستبيع الولايات المتحدة الأسلحة والطائرات المتطورة التي تحتاج اليها المملكة للدفاع عن نفسها. وان بوش اجاب على هذه التسـاؤلات الثلاثة بـ نعم، نعم، نعم». ويقول بوش انه وصلتـه رسالة من السعودية في نفس اليوم عن طريق الأمير بندر بن سلطان سفير السعودية في واشنطن تقول ان السعودية ترحب بالقوات الأمريكية في المملكة». [45]

3 ـ وفي نفس يوم 2 أغسـطس ايضـا، دعى بوش مجلس الأمن القومي (الأمريكي) للاجتماع. واخبره انه قد اتخذ قرارا بارسال قوات امريكية لردع اي هجوم على السعودية. ومن المعتقد ان هذا الاجتماع قد تم بعد وصول موافقة السعودية على استقبال القوات الأمريكية.

4 ـ وفي يوم 3 أغسـطس أيضا، ظهـر الشيخ سعود ناصر الصباح سفير الكويت في واشنطن على شاشات التليفزيون ليعلن أن بلاده قررت طلب مساعدة عسكرية أمريكية لمواجهة الاجتياح العسكري العراقي للكويت. وسواء كان هذا الطلب الكويتي قد تم بمبادرة كويتية من

حكومة آل الصباح التي فرت من الكويت أثناء الاجتياح العراقي واتخذت من السعودية مقرا لها. . . أو أن الحكومة الكويتية قد تقدمت بهذا الطلب بناء على دفع من الولايات المتحدة الأمريكية أو السعودية. . . فإن هذا الطلب قد أضاف شرعية جديدة للتدخل الأمريكي. ففي يوم 5 أغسطس أضاف بوش هدفا جديدا للتدخل العسكري وهو تحرير الكويت.

5 - وفي يوم 5 أغسطس بدأ وزير الدفاع الأمريكي رحلته الى الشرق الأوسط للحصول على التأييد والدعم السياسي والعسكري للتدخل العسكري الأمريكي. وقد تباحث تشيني مع الملك فهد في الرياض، والرئيس حسني مبارك في القاهرة، والملك الحسن الثاني في الرباط. واتفق معهم على ضرورة أن تكون هناك مشارك عسكرية عربية لاعطاء الغطاء السياسي للتدخل العسكري الأمريكي. . . وحتى لا يثير استعانة السعودية بقوات صليبية شعور العناصر الأصولية في البلاد العربية وفي السعودية نفسها. وبعد أن حصل تشيني على موافقة الأصدقاء الثلاثة الكبار لأمريكا في المنطقة العربية، أنيط بالرئيس المصري حسني مبارك أن يدعو الجامعة العربية الى اجتماع طارىء لاقرار ذلك». وفي نفس يوم 8 أغسطس الذي أعلن فيه بوش قراره بارسال قوات عسكرية الى السعودية، استجابة لطلب من السعودية ومن الكويت، واعتمادا على المادة 51 من ميثاق الأمم المتحدة. . . كان حسني مبارك يوجه الدعوة إلى الملوك والرؤساء العرب لحضور مؤتمر قمة عاجل يعقد في القاهرة يوم 10 أغسطس. وفي نفس يوم 8 أغسطس - وقبل انعقاد مؤتمر القمة العربية بالقاهرة، بـ 48 ساعة - وصل وزير الخارجية السعودي الأمير الفيصل إلى القاهرة، وأعلن في ندوة صحفية مساء نفس اليوم عن احتمال إرسال قوات مصرية إلى السعودية.

6 - كانت أمريكا حاضرة بكل ثقلها في مؤتمر القمة العربي الطارىء الذي انعقد صباح يوم الجمعة 10 أغسطس. وفي هذا المؤتمر وافقت 12 دولة عربية (السعودية، الكويت، الامارات العربية، قطر، البحرين، عُمان، مصر، سوريا، المغرب، لبنان، الصومال، جيبوتي) على قرار

يبيح إرسال قوات عربية إلى السعودية والدول الخليجية الأخرى، للدفاع عنها ضد هجوم عراقي محتمل كما يدعون. [41] وصوت ضد هذا القرار ثلاث دول هي العراق، ليبيا، ومنظمة التحرير الفلسطينية. وامتنع عن التصويت دولتان هما الجزائر، واليمن. وتحفظت على القرار بلدان أخرى هي الأردن، والسودان، وموريتانيا. وحيث أن ميثاق الجامعة العربية ينص على أن تكون القرارات بالاجماع، فان القرار الذي اتخذ في هذا الاجتماع الأمريكي لا يمكن اعتباره قرار قمة، ولا يلزم الا من وافق عليه. وقد كان هذا هو ما يسعى اليه الزعماء العرب من أصدقاء أمريكا. وأيد قرار المؤتمر القرار الذي اتخذته السعودية باستدعاء القوات الأمريكية، عندما أشار في المادة الخامسة منه بتأييده للاجراءات التي تتخذها السعودية وفقا لأحكام المادة 51 من ميثاق الأمم المتحدة... وهي نفس المادة التي اعتمد عليها الرئيس الأمريكي بوش، عندما أعلن قراره بارسال قوات أمريكية الى منطقة الخليج.

الفتنة بين المسلمين

وبحلول يوم 15 يناير 91، كان 14 نظاما اسلاميا قد حشد قوات عسكرية في السعودية تحت شعار خادع وهو الدفاع عن السعودية. وكان اجمالي تلك القوات الاسلامية ـ بعد استبعاد تركيا ـ هو كما يلي:

الأفـراد	265 880
دبابـات	1 764
عربـة مدرعـة	3 995
قطعـة مدفعيـة	1 009
طائرات قتـال	394
هيليوكوبتـر مسلحـة	51
هيليوكوبتـر للنقـل	116
قطعـة بحريـة	44

ولكن هذه القوات لم تستخدم في الدفاع ضد السعودية، كما اعلن في مؤتمر القاهرة يوم 10 أغسطس... بل استخدمت كجزء من قوات التحالف الذي

تقوده امريكا لضرب العراق وتدمير آلته العسكرية ومصانعه وكل ما أحرزه من تقدم تكنولوجي، كما سنعرف فيما بعد. وسواء اشتركت هذه القوات في ضرب العراق داخل حدوده الدولية، او انها استخدمت فقط في ضرب القوات العراقية التي تحتل الكويت، او انها استخدمت في حماية القواعد وخطوط المواصلات التي تعتمد عليها القوات الامريكية، فان ذلك لا يمكن ان يعفيها من مسؤوليتها التاريخية والدينية تجاه ما حدث للعراق. فقد عملت هذه القوات ضمن صفوف قوات صليبية وتحت قيادة صليبية. ووقفت صامتة، بل اقول شامتة، بينما كانت القوات الأمريكية تقوم بتدمير العراق. وحتى بعد ان انسحب العراق من الكويت وتوقف اطلاق النار. فانهم لم يقولوا لحلفائهم الامريكان انكم باحتلالكم الأراضي العراقية واصراركم على تدمير صواريخه واسلحة التدمير الشامل التي يملكها تكونون قد تجاوزتم ما اتفقنا معكم عليه. بل وافقوا بالصمت على ان تقوم امريكا بتدمير ما يملكه العراق من اسلحة التدمير الشامل، وهم يعلمون ان اسرائيل تملك منها اضعاف ما يملكه العراق.

ولم تكتف الدول الخليجية بهذا الموقف، بل انها استخدمت مال الله الذي ائتمنهم الله عليه في تمويل اعداء المسلمين، وفي شراء ذمم ضعفاء النفوس من المسلمين، وفي محاربة من يقول لهم اتقوا الله فيما تفعلون. فأجزلوا العطاء لامريكا التي تساند اسرائيل وتؤيدها سياسيا وعسكريا. واشتروا تأييد مصر، وسوريا والمغرب، وخمس دول اسلامية فقيرة هي باكستان، وبنجلاديش، والسنغال، والنيجر، وسيراليون. وصبوا جام غضبهم على الأردن واليمن ومنظمة التحرير الفلسطينية، لأن هذه الدول الثلاث رفضت السير في طريقهم وقالت لهم اتقوا الله فيما تفعلون. وبلغ اجمالي ما انفقته الدول الخليجية لتمويل هذه الحرب 75 مليار دولار.

ولكي نبين كيف نجحت الولايات المتحدة في تحقيق أهدافها باستخدام السلاح العربي في تدمير السلاح العربي، واستخدام المال العربي في تدمير المال العربي. فاننا نوجه الى القراء في الحاضر والمستقبل هذا السؤال *وهل كان من الممكن لأمريكا ان تحقق ما حققته، لو لم تطلب وتبارك السعودية وحكومة الصباح هذا التدخل الأمريكي. . . ولو لم يتخذ مؤتمر القمة العربي الذي*

انعقد في القاهرة يوم 10 اغسطس 90، هذا الموقف المؤيد للتدخل العسكري ؟»، الاجابة هي لا وألف لا . وإن بوش يعترف هو نفسه ضمنيا بذلك، في الخطاب الذي ارسله الى صدام حسين، والذي رفض طارق عزيز استلامه في جنيف يوم 9 يناير 91 . ويقول بوش في هذا الخطاب «ان احتشاد معظم الدول العربية والاسلامية ضدك يجب ان يؤيد ما اقول» . والذي لم يقله بوش في خطابه هو ان هذه الحرب لم تكلف امريكا دولارا واحدا. بل انها حققت ارباحا مباشرة تقدر بحوالي 6 مليار دولار. وكان ذلك نتيجة ما دفعته الدول الخليجية من مساعدات مالية نقدية وخدمات تقدر بحوالي 75 مليار دولار. أما الارباح الغير مباشرة، والتي تتمثل في الحصول على النفط بأسعار بخسة لعشرات السنين، والأرباح التي ستجنيها الشركات الأمريكية نتيجة الاعمال التي ستقوم بها لاعادة تعمير ما دمرته الحرب. . . فان هذه الارباح الغير مباشرة تقدر بمئات الملايير من الدولارات.

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الفصل السادس

الموقف العربي أثناء الأزمة

تجزئة الوطن العربي

كانت جميع أقطار الوطن العربي جزءا من الدولة الاسلامية منذ الفتح الاسلامي في القرن السابع والثامن الميلادي. وكان كل قطر منها يخضع بدرجات متفاوتة للسلطة العليا الاسلامية التي كان يمثلها خليفة المسلمين، والتي كان آخرها خلافة آل عثمان في الأستانة (حاليا استانبول). واستمر الوضع على هذا الحال إلى أن دب الضعف في أوصال الدولة الاسلامية. وفي خلال القرن التاسع عشر وحتى 1922 (عقِب توقيع تركيا على معاهدة سيفر بعد هزيمتها في الحرب العالمية الأولى) كانت جميع الأقطار العربية ـ باستثناء وسط الجزيرة العربية ـ قد تم احتلالها بواسطة أربع دول صليبية هي بريطانيا وفرنسا وإيطاليا وإسبانيا (انظر الجدول رقم 7).

وإذا كان الصليبيون قد عزفوا عن احتلال أراضي نجد والحجاز خلال تلك الفترة فإن ذلك كان يرجع إلى سببين رئيسيين. السبب الأول هو الخوف من إثارة الشعوب الاسلامية نظرا لاحتواء تلك الأقاليم على الأراضي المقدسة التي يحج إليها المسلمون كافة. والسبب الثاني هو أن تلك البلاد لم تكن تمتلك أي شيء يغري على احتلالها. فهي صحراء جرداء لا ماء فيها... ولم يكن قد اكتشف البترول فيها حتى ذلك الوقت... وكان جوها شديد الحرارة إلى الحد الذي يجعلها غير صالحة للسكن بالنسبة للأوروبيين. واكتفت بريطانيا باحتلال الشطر الجنوبي من اليمن (عدن) نظرا لما يتمتع به من موقع استراتيجي يشرف على مدخل البحر الأحمر... ولم تهتم كثيرا بأن تحتل الشطر الشمالي لليمن نظرا لوعورة أرضه. ولكن الوجود البريطاني في عدن، وعلى الحدود الجنوبية والشرقية والشمالية لأراضي نجد والحجاز، كان عنصر ضغط على حكام تلك الأقاليم مما جعل استقلالها أقرب إلى الشكل منه إلى المضمون. فعندما انتهت الحرب العالمية الأولى، كان الشريف حسين الذي قاد الثورة العربية ضد الأتراك يسيطر على أراضي نجد والحجاز. وكان يطمع في انشاء دولة عربية موحدة تضم جميع الأراضي العربية التي كانت تابعة للخلافة الاسلامية في تركيا، وذلك طبقا للوعود التي أعطتها له بريطانيا خلال الحرب. ولكن بريطانيا تراجعت عن وعودها بعد انتهاء الحرب، مما أدى إلى فتور في العلاقات بين الشريف حسين وبين بريطانيا... فما كان من بريطانيا إلا أن سلطت عليه

عبد العزيز آل سعود الذي احتل ـ بمساعدة من البريطانيين ـ أراضي نجد والحجاز عام 1924 . وأسس مملكته التي أسماها بالمملكة العربية السعودية . واعترفت بها بريطانيا عام 1927 .

وفي خلال عصور الاستعمار، عمدت الدول الصليبية الى اتخاذ سلسلة من الاجراءات كانت جميعها تصب في اتجاه واحد، وهو تكريس التجزئة في الوطن العربي. وتشمل هذه الاجراءات ما يلي :

1 ـ خلق حدود سياسية مصطنعة بين تلك الأقطار. حدود لم يكن للشعب العربي أي رأي في اختيارها . . . بل إنها كانت تتم بالاتفاق بين الدول المستعمرة مباشرة.
2 ـ الغاء تطبيق الشريعة الاسلامية واستبدالها بالقوانين الوضعية [1].
3 ـ ربط اقتصاد الأقطار العربية باقتصاد الدول المستعمرة.
4 ـ خلق فئة من الكومبرادور العرب، يرتبطون فكريا وثقافيا واقتصاديا بالدولة المستعمرة، بحيث تصبح مصالح هذه الفئة مرتبطة ارتباطا وثيقا بالدولة المستعمرة.
5 ـ وقبل أن يرحل الاستعمار بجنوده نهائيا عن الأقطار العربية، فإنه قام عام 1948 بخلق دولة إسرائيل على أرض فلسطين في قلب الوطن العربي. فإذا ما عجزت فئة الكومبرادور العرب عن تحقيق مصالح الدول الاستعمارية، فإن إسرائيل يمكنها أن تتدخل للمحافظة على تلك المصالح .

«تلك اذن هي القلاع الخمس الرئيسية التي أقامتها الدول الاستعمارية في الأقطار العربية قبل أن يرحل المستعمرون بجنودهم . وفي ضوء ذلك فإنني أرى أن أي عمل يقوم به الشعب العربي في أي مكان . . . وأي عمل تقوم به دولة عربية لهدم أي من تلك القلاع الاستعمارية، هو عمل في الاتجاه الصحيح . . . وإن كل من يدافع ويطالب بالابقاء عليها فهو إنما يرقص على نغمات الاستعمار، ويتعاون معه ضد مصالح الشعوب العربية . . . سواء عن عمالة، أو عن جهل بقواعد اللعبة السياسية» [2] .

وفي 22 مارس 1945 تم التوقيع على ميثاق جامعة الدول العربية بواسطة الدول العربية المستقلة في ذلك الوقت ـ وان كانت جميعها لم تكن كاملة

الاستقلال ـ وهي مصر وسوريا ولبنان والأردن والعراق والسعودية واليمن . كان المتفائلون يأملون أن يكون تشكيل الجامعة العربية فاتحة عصر جديد، يبدأ بتنسيق المواقف بين الدول العربية، ثم يقود بعد ذلك الى الوحدة العربية الشاملة . ولكن شيئا من ذلك لم يتحقق . فبعد مرور 45 سنة من قيام الجامعة العربية، فإن العراقيل والعقبات التي أقامتها الدول الاستعمارية لترسيخ تجزئة الوطن العربي، كانت ماتزال قائمة، فالحكم والسلطة السياسية والاقتصادية مازالت في أيدي فئة الكومبرادور ـ التي خلقها المستعمرون ـ في غالبية الدول العربية . والحدود السياسية التي رسمتها الدول الاستعمارية مازالت قائمة . ولم يقم قطر عربي واحد بإعادة تطبيق الشريعة الاسلامية التي قامت الدول الاستعمارية بإلغائها . وبقيت الدول العربية أكثر ارتباطا وتبعية لاقتصاد الدول الاجنبية، وأبعد مايكون من إقامة تكامل اقتصادي فيما بينها . . ففي عام 1989 كانت التجارة البينية بين الدول العربية تمثل 1 . 7 ٪ فقط من اجمالي التجارة الخارجية لجميع الدول العربية . أما دولة اسرائيل التي أقامتها الدول الامبريالية، فقد كانت تزداد قوة عاما بعد عام، وكانت ماتزال تلعب دور العصا الغليظة في يد أمريكا وحلفائها من الدول الغربية، ضد الدول العربية التي تريد أنظمتها أن تتخلص من السيطرة الاستعمارية في ثوبها الجديد .

الامبريالية والصهيونية وجهان لعملة واحدة

الامبريالية والصهيونية هما العدوان الرئيسيان للشعوب العربية والاسلامية . الامبريالية تهدف دائما الى استنزاف ثروات الشعوب . فهي تحصل على المواد الخام التي تنتجها الدول العربية ـ وفي مقدمتها البترول ـ بأسعار بخسة . . . وهي ترفض المساعدة في تطوير الصناعة في بلادنا حتى تبقى أسواقنا مفتوحة لمنتجاتهم بأسعار مرتفعة . . . وهي تعمل على ترسيخ التجزئة التي أقامتها خلال الحقبة الاستعمارية، حتى يمكنها التعامل مع كيانات صغيرة ضعيفة لا تستطيع أن تقاوم الضغوط التي تمارس ضدها من قبل القوى الامبريالية . ولكي يتحقق كل ذلك فإنه يجب أن تبقى الدول العربية والاسلامية ضعيفة عسكريا، ويجب أن تدمر القوة العسكرية لأي دولة عربية أو إسلامية، إذا تجاوزت هذه القوة الحد الذي يجعلها تشكل خطرا وتحديا للمصالح الامبريالية، سواء في الدولة المعنية أو في الدول العربية والاسلامية الأخرى .

والصهيونية تهدف إلى إنشاء دولة إسرائيل الكبرى التي تمتد من النيل الى الفرات. وان يمتد نفوذها وتأثيرها إلى أبعد من تلك الحدود بكثير. ولعل الجنرال شارون هو أكثر الزعماء الاسرائيليين صراحة في الكشف عن أهداف إسرائيل الحقيقية. ففي يوم 72/7/26، كتب شارون مقالا في جريدة يديعوت أحرونوت قال فيه «إسرائيل اليوم قوة عسكرية كبرى. إن كل قوات الدول الأوروبية مجتمعة هي أقل شأنا من قواتنا. إن إسرائيل تستطيع الاستيلاء خلال أسبوع واحد، على منطقة تمتد من الخرطوم إلى بغداد إلى الجزائر». فإذا نحن نحينا جانبا، الغرور والمبالغة التي يتصف بها شارون، فلا شك أن ما كتبه شارون يكشف لنا أحلام إسرائيل وأهدافها. وعندما تولى شارون وزارة الدفاع الاسرائيلية في حكومة بيجن في أغسطس 1981، فإنه استمر في إصدار تصريحاته التي تكشف طموحات وأهداف إسرائيل في المنطقة. ففي الكلمة التي ألقاها في مؤتمر الدراسات الاستراتيجية في تل أبيب في ديسمبر 1981، قال شارون «إن المصالح الاستراتيجية الاسرائيلية لا تقتصر فقط على العالم العربي بالشرق الأوسط والبحر الأبيض والأحمر. وانما يجب توسيعها في الثمانينات بسبب الأمن، لتشمل تركيا، وإيران، وباكستان، والخليج، وافريقيا، وخاصة دول شمال ووسط إفريقيا». وفي نوفمبر 1982 نشرت جريدة يديعوت أحرونوت تحقيقا صحفيا مع شارون جاء فيه مايلي: «لكي ننهي القضية الفلسطينية نهائيا. ولكي نسقط ورقة البترول التي في أيدي العرب. فإنه على الجيش الاسرائيلي أن يتقدم ويحتل الكويت مرورا بالأردن. وان احتلال عمان سوف يؤدي إلى سقوط الملك حسين وانتخاب ياسر عرفات من قبل البرلمان الأردني رئيسا للجمهورية الفلسطينية. إن الرحلة من عمان الى الكويت تستغرق يومين فقط. وما من قوة على هذا الطريق يمكنها أن توقف زحف أرتال الدبابات الاسرائيلية. وبعد أن تحتل إسرائيل الكويت لن يعود النفط سلاحا عربيا، وسيصبح نفطا يهوديا». [3] وبالاضافة إلى تصريحات شارون، فإن أوديد ينون Oded Yenon المعروف بارتباطه الوثيق بوزارة الخارجية الاسرائيلية يعترف في المقال الذي نشره بتاريخ 14 فبراير 1982، أن الاستراتيجية الاسرائيلية تقوم على أساس تجزئة الوطن العربي الى دويلات صغيرة حتى تضمن اسرائيل السيطرة على تلك الدويلات. [4]

وحيث أن مساحة فلسطين ومواردها الطبيعية لا تستطيع أن تستوعب الأعداد المتزايدة من المهاجرين اليهود الذين تطمع إسرائيل في توطينهم في الأراضي الفلسطينية، فإن قيام إسرائيل الكبرى لا يمكن أن يتحقق إلا إذا تحققت الأهداف الثلاثة المرحلية التالية : واحد، التوسع. اثنين، امتداد النفوذ وقوة التأثير الى ماهو أبعد من الحدود السياسية. ثلاثة، ترسيخ التجزئة في الأقطار العربية. وهذه هي نفس الأهداف الاستراتيجية الاسرائيلية التي كشف عنها كل من الجنرال شارون و الصحفي Oded Yenon . وهذه الأهداف تتطابق تماما مع أهداف الامبريالية. ونتيجة لهذا التطابق الكامل بين الامبريالية والصهيونية بصفة عامة، وبين أمريكا وإسرائيل بصفة خاصة، نشأ تحالف مقدس بين الطرفين. (راجع أيضا، الفصل الثاني تحت عنوان «أمريكا وإسرائيل والتحالف».

كيف نقيم المواقف

التواطؤ الأمريكي الاسرائيلي ضد العرب لا يحتاج الى مرافعة. فهو يتم في العلن وعلى رؤوس الأشهاد، وفي جميع المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية، وفي المحافل الدولية. وتبيانا لموقف أمريكا المساند لاسرائيل والمعادي للعرب في المحافل الدولية، فإننا نكتفي بذكر مقتطفات من خطاب وزير الخارجية العراقي الذي ألقى أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة بتاريخ 1990/10/7، والذي جاء فيه «لماذا بقيت قضية فلسطين والشرق الأوسط ولبنان بدون حل حتى الآن ؟ وأين مصير قرارات مجلس الأمن التي اتخذت بشأنها، وقد بلغ عدد هذه القرارات 166 قرارا. ولماذا تستمر اسرائيل في احتلال الأراضي العربية، وتعلن بوقاحة أنها جزء من أرض إسرائيل، وتسمى الضفة الغربية يهودا والسامرة. وتعلن القدس المحتلة عاصمتها الأبدية، أمام مرأى ومسمع هؤلاء الذين لم يظهروا هذه الصلابة في ضرورة تطبيق قرارات مجلس الأمن. . . لقد استخدمت الولايات المتحدة حق النقض 81 مرة لمنع صدور قرارات من المجلس، كانت غالبيتها تتناول حقوق الشعب الفلسطيني والاعتداءات الاسرائيلية على الشعب الفلسطيني والدول العربية المجاورة. . . أما الجمعية العامة للأمم المتحدة فقد أصدرت 400 قرار حول القضية الفلسطينية والشرق الأوسط، عارضت الولايات المتحدة غالبيتها. ولم تنفذ

هذه القرارات، وخاصة تلك التي دعت الى تمكين الشعب الفلسطيني من ممارسة حقوقه غير القابلة للتصرف. لأن الولايات المتحدة وإسرائيل ترفضان الاعتراف للشعب الفلسطيني من دون شعوب العالم بحق تقرير المصير».

وان هذا السجل الأمريكي على المستوى الدولي - بالاضافة إلى سبق أن أوضحناه في المجال العسكري والاقتصادي - يؤكد بشكل قاطع تطابق الأهداف الأمريكية الاسرائيلية، والتي تتعارض تماما مع أهداف وآمال الشعوب العربية. *إن تضامن أمريكا مع إسرائيل في عدائها للعرب وللمسلمين، هو شيء لا يمكن أن يغيب عن عقل أو قلب كل مؤمن. كان ذلك واضحا لكل من يرى ويسمع ويقرأ منذ عشرات السنين. ثم جاءت أزمة الخليج لتزيد الموقف وضوحا، ولتفضح المنافقين الذين كانوا يريدون أن يفرقوا بين أمريكا وإسرائيل، فيدعون ان صداقتهم لأمريكا شيء وعداءهم لاسرائيل شيء آخر. وهذا وهم وخداع لم يعد ينطلي على أحد. فإما أن يقف الفرد في صف الشعوب العربية والاسلامية، فيجد نفسه بالضرورة في الصف المعادي لأمريكا وإسرائيل. وإما أن يختار أن يقف في صف أمريكا فيجد نفسه بالضرورة في صف إسرائيل أيضا، سواء اعترف بذلك أو أنكر.*

كنا قبل أغسطس 90 نعرف من هم عرب أمريكا، ومن هم الوطنيون والمؤمنون ومن هم دون ذلك، نتيجة مواقفهم السياسية من المشاكل التي كانت تواجه الشعوب العربية والاسلامية... إلا أن اندلاع الصراع الأمريكي العراقي واضطرار كل فرد أن يحدد موقفه من هذه الأزمة بوضوح لا لبس فيه، قد أدى إلى إجراء عملية فرز أكثر دقة من أي عملية فرز سابقة. وإني اعترف بأن نتائج هذا الفرز الأخير لم تكن كما توقعتها تماما. فبالنسبة لمواقف الأنظمة العربية كانت هناك مفاجأتان كبيرتان. أما بالنسبة للأفراد فقد كانت هناك مفاجآت متعددة. ففقهاء ورجال دين كانوا يحظون باحترام الناس ويدغدغون مشاعرهم عندما يتكلمون عن عداء اليهود والنصارى للاسلام والمسلمين، حتى أن بعضهم ذهب إلى حد المطالبة بعدم تجنيد العرب المسيحيين في الجيوش العربية، فإذا هم يؤيدون السعودية في موقفها الذي يقضي بالاستعانة بالأمريكان النصارى ضد العراقيين المسلمين... وكتّاب اشتهروا بالمواقف الوطنية في كتاباتهم، فإذا هم يغيرون جلودهم تحت اغراء المال الذي كانت تغدقه السعودية والدول الخليجية بسخاء كبير على كل من يؤيد مواقفها.

الدول الخليجية والامبريالية

شرحنا في الجزء الأول الأسباب التي أدت الى ارتباط الدول الخليجية بالامبريالية... وكيف أن سياستها الاقليمية تعمل في اتجاهين متوازيين. سياسة ظاهرية ترفع شعار التعاون وحسن الجوار مع الدول المجاورة، وسياسة باطنية ترمي الى ايجاد الوقيعة والعداوة بين تلك الدول المجاورة... وذكرنا كيف أنها تسعى دائما إلى تكثيف الروابط السياسية والاقتصادية والعسكرية بينها وبين الدول الغربية بصفة عامة، وبينها وبين الولايات المتحدة الأمريكية بصفة خاصة... وكيف أن هذه الدول الامبريالية، كانت تتكفل بحماية الأنظمة الخليجية ضد أي تهديد تتعرض إليه من الداخل أو الخارج، في مقابل ما تحصل عليه من مكاسب اقتصادية ضخمة. كان في مقدمتها الضخ الزائد للبترول حتى ينخفض سعره في السوق العالمية... هذا الانخفاض التي تستفيد منه أمريكا وحلفاؤها، وتتضرر منه الدول المنتجة للبترول بما فيها الدول العربية والاسلامية.[5]

يقول الأستاذ حسنين هيكل في كتابه الانفجار، أن كل الأسرار التي كانت تدور بين الدول العربية بما في ذلك مؤتمرات القمة العربية، كانت تصل إلى أمريكا عن طريق أصدقائها في الدول العربية. وعن أمريكا كانت هذه الأسرار تصل إلى إسرائيل. وقد ذكر هيكل على وجه التحديد، أن خطة عربية سرية للقضاء على إسرائيل، عرضت على القمة العربية التي عقدت في الدار البيضاء 16 ـ 18 مايو 1965. وأن المارشال تيتو رئيس يوغسلافيا أبلغ جمال عبد الناصر في نيودلهي في 66/10/21، أن أمريكا علمت بتفاصيل هذه الخطة من ثلاث مصادر. وان وثائق الخطة حاليا تحت يد إسرائيل. وقد رد عليه جمال عبد الناصر قائلا : «أعرف ان ورقة من هذا النوع طرحت على مؤتمر الدار البيضاء نتيجة مزايدات سياسية، ولكنها لم تتحول الى قرارات من قرارات القمة. وأول من يعرف ذلك هي الولايات المتحدة التي لها كثير من الأصدقاء في المؤتمر. ومن الناحية العملية، فهم أول من يعرف ان هدف القضاء على اسرائيل يتعدى حدود الامكانيات العربية في الحاضر وفي المستقبل القريب».[6]

ويقـول هيكـل في كتاب الانفجار أيضا، أن الملك فيصل ملك المملكة السعودية، كان له سياستان. إحداهما ظاهرية للاستهلاك المحلي، والأخرى باطنية وهي التي تعبر عن أهدافه الحقيقية. أما سياسته الظاهرية فكانت تتجلى في موقف السعودية المؤيد لمصر والحقوق العربية. وأنه كان يظهر تشددا في هذا الاتجاه الى حد التطرف. . . حتى أن السفير محمد القوني ممثل مصر في الأمم المتحدة، بعث ببرقية شفرية الى القاهرة يوم 3 يونيو 1967 يقول فيها «أثناء عرض وجهة النظر العربية في المناقشات التي دارت في مجلس الأمن الدولي، كان مندوب السعودية مبالغا في التطرف، فأضر بالعرب في كل من مجلس الأمن وفي ميدان الـدعـاية. وكان المقصود بحديثه هو الاستهلاك المحلي في العالم العربي». أما سياسة الملك فيصل الباطنية، فقد كانت عكس ذلك تماما. وكان موقفه يتعارض تماما مع موقف مصر في ثلاث قضايا رئيسية. القضية الأولى هي قضية الانسحاب البريطاني من عدن والمحميات في جنوب الجزيرة العربية. والقضية الثـانية هي تقـديم الـدعم للأردن. والقضية الثـالثة هي موضوع جزيرتي تيران وصنافير اللتان تقعان في مدخل خليج العقبة. [7]

تقول الوثائق أن الملك فيصل كان يخشى أن انسحاب القوات البريطانية من عدن والمحميات العـربية سوف يحدث فراغـا، وأن السياسـة المصرية هي المرشحة لملء هذا الفراغ. ولذلك فإنه عرض على الحكومة البريطانية في يونيو خيارين. الخيار الأول هو أن تؤجل بريطانيا انسحابها من الجزيرة العربية، وهو على استعـداد لتحمـل التكـاليف المادية، اذا كان الاقتصاد في النفقات هو السبب. الخيار الثاني، هو أن تساعده بريطانيا في انشاء تجمع يضم كل دول شبه الجزيرة العربية تتولى السعودية قيادته، وتكون لها فيه اليد الطولى.

وتقول الوثائق أن الملك فيصل ـ الذي كان يتواجد في لندن في أوائل يونيو 1967 ـ أرسل برقية شفرية من لندن إلى الرياض يوم 3 يونيو، يأمر فيها بوقف ارسال الذخائر الى الأردن. . . وأنه أرسل برقية شفرية أخرى يوم 4 يونيو، يأمر فيهـا بالتـوقف عن إرسال سرية إلى جزيرتي تيران وصنافير في مدخل خليج العقبة [8]. ويحاول هيكل أن يوحي للقارىء بطريق خفي، بأن الملك فيصل كان قد أصبح على علم بالهجوم الذي سوف تشنه إسرائيل على مصر يوم 5 يونيو 67. وان حصـولـه على هذه المعلومـة هو الذي دفعه إلى إرسال تلك البرقيتين يوم 3 يونيو ويوم 4 يونيو.

موقف النظام السعودي

سوف يسجل التاريخ

سوف يسجل التاريخ أن الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود، هو أول حاكم مسلم يستضيف 600 000 نصراني، 16 000 يهودي على أرض نجد والحجاز التي حررها النبي صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب ومن المشركين قبل أكثر من 1400 سنة. . . وأنه استعدى تلك القوات الصليبية واليهودية من أجل أن تقوم بتدمير أكبر وأقوى جيش بناه المسلمون خلال أربعة عشر قرنا من الزمان. . . وأنه قام بالانفاق على تلك الحملة الصليبية من أموال المسلمين التي هو مؤتمن عليها. سوف يسجل التاريخ أنه قد استخدم أموال المسلمين في المملكة السعودية في تدمير أموال المسلمين في الكويت وفي العراق. . . وأن خسائر المسلمين نتيجة هذه الحملة الصليبية تقدر بصفة مبدئية بحوالي 400 مليار دولار ذهبت وستذهب جميعها إلى أعداء الاسلام والمسلمين. [٥] سوف يذكر التاريخ أن حكام السعودية ودول الخليج العربية قد استخدموا الأموال في شراء ذمم ضعاف النفوس من المسلمين حكاما ومحكومين. . . وأنهم لم يكتفوا بذلك، بل استخدموا أموال المسلمين في البغي والعدوان ضد كل من يعارض تلك المواقف، فكانت منظمة التحرير الفلسطينية والأردن واليمن من أوائل ضحاياهم في هذا المجال.

يقول الرئيس الأمريكي بوش أنه كانت هناك مشكلتان تشغلان باله، وهو يفكر في التدخل العسكري بعد أن بلغته الأنباء باجتياح القوات العراقية الكويت. الأولى، هي أنه لن يكون من السهل اقناع الملك فهد بقبول قوات عسكرية على أرضه من غير المسلمين، لأن ذلك يمكن أن يثير القلاقل وعدم الاستقرار بين صفوف رجال الدين والشعب السعودي. والمشكلة الثانية، هي أنه لم يكن يرغب أن يتم تصوير التدخل العسكري الأمريكي على أنه صراع بين العراق والجماهير العربية من جانب، وبين العائلات المالكة الغنية في السعودية والكويت والقوى الامبريالية، من الجانب الآخر. ويقول بوش أنه أخذ يفكر في ايجاد حل لهاتين المشكلتين منذ اللحظة الأولى لبداية أزمة

الخليج . [15] ولكي يتغلب بوش على المشكلة الأولى فإنه قرر أن يوهم الملك فهد بأن صدام حسين ينوي غزو السعودية . يقول بوش أنه اتصل بالملك فهد تليفونيا صباح يوم 2 أغسطس وقال له «أنت في خطر. ونحن على استعداد بأن نقدم لك المساعدة الجوية وما هو أكثر من ذلك». وفي نفس اليوم كان وزير الدفاع Dick Cheney ورئيس الأركان الجنرال Colin Powel ، يعرضان على السفير السعودي في واشنطن الأمير بندر بن سلطان صورا يقولون أنه قد تم التقاطها بواسطة أقمارهم التجسسية . وكانت هذه الصور تظهر حشودا عراقية مدرعة على الحدود السعودية ، وكأنها تتأهب للهجوم بهدف احتلال آبار البترول في منطقة الظهران . ولم يعترف بوش في هذا الحديث أن هذه الصور مزورة ، وأنها إنما جهزت خصيصا لايهام السعوديين بأن القوات العراقية على وشك اجتياح مملكتهم . . . ولكن سياق الحديث وتسلسل الأحداث يؤكد أن الغرض من كل ذلك ، كان هو دفع السعوديين الى القبول بالتواجد الأمريكي فوق أراضيهم . وأسرع الأمير بندر بالاتصال بعمه الملك فهد ليقول له أنه شاهد بعيني رأسه الحشود العراقية التي تتأهب لغزو المملكة . ونجحت الخدعة واتصل الملك في نفس اليوم بالرئيس الأمريكي بوش ليعلن موافقته بنزول القوات الأمريكية على أراضيه مع تقديم ثلاث مطالب . واحد ، أن تبقى القوات الأمريكية في المملكة طالما بقى هناك تهديد عراقي . اثنين ، أن تنسحب القوات الأمريكية من المملكة فور زوال التهديد العراقي . ثلاثة ، أن تبيع أمريكا للسعودية أسلحة حديثه تمكنها مستقبلا من الدفاع عن نفسها . وكانت إجابة بوش على تلك المطالب الثلاث هي نعم ، نعم ، نعم . وهكذا نجح بوش ـ مدير المخابرات الأمريكية السابق ـ في التغلب بالخديعة على المشكلة الأولى التي كانت تشغل باله ، وهي كيف يمكن اقناع السعودية بقبول قوات من غير المسلمين على أراضيها . ويستطرد بوش فيقول «أن السعوديين أصيبوا بالهلع من الهجوم العراقي المحتمل . . حتى أن سفيرهم ووزير خارجيتهم (الأمير بندر ، والأمير فيصل) أصبحا هما اللذان يستعجلان التدخل العسكري الأمريكي ، ويطالبان بأن تقوم أمريكا باستخدام كل الوسائل الممكنة لقتل صدام». ويستطرد بوش في حديثه فيقول أنه رفض طلبهما الخاص باغتيال صدام حسين . [11]

ولكي يتغلب بوش على المشكلة الثانية، فإنه بعث بوزير الدفاع Dick Cheney ليقنع الأنظمة العربية الصديقة لأمريكا (النظام المصري والنظام المغربي) بارسال قوات عسكرية إلى السعودية. كان بوش يريد أن ينفي عن التدخل العسكري الأمريكي صفة الصليبية والامبريالية. كان يرى أن تواجد قوات عسكرية من دول مسلمة جنبا الى جنب مع القوات الأمريكية في السعودية ـ حتى ولو كان رمزيا ـ فإنه يمكن أن يقنع البعض، وأن يخدع البعض، بأنها ليست حربا صليبية ضد العراق. وكان بوش لا يريد أن تظهر الحرب ضد العراق وكأنها حرب بين الأغنياء والفقراء. . . حرب تقف فيها أمريكا في صف الأسر الغنية، التي تسيطر على الثروة والسلطة في السعودية والكويت. . . بينما يقف فيها العراق إلى جانب الفقراء الذين يطالبون بنصيب أكبر في السلطة والثروة. فإذا نجح بوش في اقناع كل من النظام المصري والنظام المغربي، بارسال قوات عسكرية الى السعودية، فإنه يكون قد نجح في اسقاط الصفتين (الصليبية والامبريالية) عن القوات الأمريكية، التي كان قد اتخذ القرار بارسالها إلى السعودية. فمصر والمغرب دولتان مسلمتان، ومشاركتهما مع القوات الأمريكية، يمكن أن تتخذ ذريعة لنفي صفة الصليبية. ومصر والمغرب دولتان فقيرتان. ومشاركتهما جنبا إلى جنب مع القوات الأمريكية في الدفاع عن مصالح الأسرتين الغنيتين الحاكمتين في السعودية والكويت يمكن أن تتخذ ذريعة لنفي صفة الاستغلال الامبريالي لثروات الشعوب.

وصل تشيني إلى السعودية يوم 6 أغسطس للاتفاق مع الملك فهد على الترتيبات النهائية الخاصة بارسال القوات الأمريكية إلى المنطقة. وكان من ضمن الوفد المرافق له الجنرال شوارتزكوف Schwartzkopf الذي أعلن فيما بعد توليه لقيادة القوات الأمريكية التي تقرر ارسالها الى السعودية. كانت المهمة الثانية لوزير الدفاع الأمريكي، هي اقناع بعض الدول العربية بالمشاركة في ارسال قوات رمزية إلى السعودية، لاعطاء الغطاء للتدخل الأمريكي. وبعد انجاز مهمته في السعودية ذهب الى مصر يوم 7 أغسطس حيث قابل حسني مبارك وطلب منه إرسال قوات الى السعودية. وطبقا لما يقوله تشيني، فإن حسني مبارك وافق بشرط الحصول على موافقة دول عربية أخرى. ولكن حسني مبارك أنكر فيما بعد أن يكون قد وعد تشيني بذلك. [12] وفي القاهرة حصل تشيني

على وعد من حسني مبارك، بأنه سيدعو الى عقد مؤتمر قمة عربي عاجل بهدف استخراج قرار يتعلق بارسال قوات عربية إلى السعودية. ولكن بيير سالينجر Pierre Salinger ، يقول ان هناك اعتقاد بأن القرار الذي عرض على القمة العربية يوم 10 أغسطس، هو ترجمة للصيغة الانجليزية التي سلمت الى مصر. [13] ومن القاهرة سافر تشيني الى المغرب، ولكنه لم ينجح في الحصول على وعد قاطع من الملك الحسن الثاني بارسال قوات الى السعودية.

كان الغرض من مؤتمر القمة هو أن يبصم على ماكان قد تم الاتفاق عليه بين أمريكا والسعودية ومصر، وبعد أن اتسع بواسطة الدبلوماسية السرية ليشمل أيضا جميع دول مجلس التعاون الخليجي وسوريا والمغرب. وقد وجه الكثير من النقد إلى الأسلوب الذي أدار به حسني مبارك المؤتمر. فالمؤتمر لم يستغرق سوى يوم واحد. ولم تناقش فيه وجهات النظر بالأسلوب المتبع في المؤتمرات السابقة، بل ان رئيس المؤتمر حسني مبارك تقدم للمؤتمر بمشروع القرار وطلب التصويت عليه. وثار هرج ومرج داخل المؤتمر انتهى بأخذ الأصوات على مشروع القرار. فأيد القرار 12 دولة (السعودية، الكويت، البحرين، الامارات العربية، قطر، عمان، مصر، سوريا، المغرب، الصومال، جيبوتي، لبنان) وعارضه 3 دول (العراق، ليبيا، منظمة التحرير الفلسطينية)، وامتنع عن التصويت دولتان (الجزائر، اليمن) وتحفظت ثلاث دول (موريتانيا، السودان، الأردن). ولم تحضر تونس هذا المؤتمر. وفيما يلي نص هذا القرار.

نص قرار مؤتمر القاهرة 10 أغسطس 90

1 ـ تأكيد قرار مجلس جامعة الدول العربية [1] الصادر في 90/8/3، وبيان منظمة المؤتمر الاسلامي الصادر في 90/8/4.

2 ـ تأكيد الالتزام بقرارات مجلس الأمن رقم 660 بتاريخ 1990/8/2، ورقم 661 بتاريخ 90/8/6، ورقم 662 بتاريخ 90/8/9 بوصفها تعبيرا عن الشرعية الدولية.

3 ـ إدانة العدوان العراقي على دولة الكويت الشقيقة وعدم الاعتراف بقرار العراق ضم الكويت إليه، ولا بأي نتائج أخرى مترتبة على غزو القوات

العراقية للأراضي الكويتية، ومطالبة العراق بسحب قواته منها فورا، وإعادتها إلى مواقعها السابقة على تاريخ 1990/8/1.

4 - تأكيد سيادة الكويت واستقلاله وسلامته الاقليمية باعتباره دولة عضو في الجامعة العربية والأمم المتحدة. والتمسك بعودة نظام الحكم الشرعي الذي كان قائما في الكويت قبل الغزو العراقي.

5 - شجب التهديدات العراقية لدول الخليج العربية، واستنكار حشد العراق لقواته المسلحة على حدود المملكة العربية السعودية، وتأكيد التضامن العربي الكامل معها ومع دول الخليج العربية الأخرى، ***وتأييد الاجراءات التي تتخذها المملكة العربية السعودية ودول الخليج العربية الأخرى اعمالا لحق الدفاع الشرعي، وفقا لأحكام المادة الثانية من معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي بين دول الجامعية العربية، والمادة 51 من ميثاق الأمم المتحدة، ولقرار مجلس الأمن رقم 661 بتاريخ 90/8/6***، على أن يتم وقف هذه الاجراءات فور الانسحاب الكامل للقوات العراقية من الكويت، وعودة السلطة الشرعية للكويت.

6 - ***الاستجابة لطلب المملكة العربية السعودية ودول الخليج العربية الأخرى بنقل قوات عربية لمساندة القوات المسلحة فيها دفاعا عن أراضيها وسلامتها الاقليمية، ضد أي عدوان خارجي.***

7 - تكليف أمين عام الجامعة العربية بمتابعة تنفيذ هذا القرار، ورفع تقرير عنه خلال خمسة عشر يوما إلى مجلس الجامعة لاتخاذ ما يراه في هذا الشأن.

الاتصالات السرية 2 ـ 9 أغسطس

إننا نعرف اليوم على وجه اليقين أن السعودية أبلغت الولايات المتحدة يوم 2 أغسطس 1990 بموافقتها على التدخل العسكري الأمريكي. فقد جاء على لسان الرئيس الأمريكي بوش أنه وصلته رسالة في ذلك اليوم تقول «US Forces would be welcome in Saudi Arabia : اننا نرحب بالقوات الأمريكية في العربية السعودية». [15] ونعرف اليوم أن العناصر الأولى من القوات الأمريكية

قد بدأت تصل الى السعودية اعتبارا من فجر يوم 7 أغسطس، حيث أن السعودية قد طلبت من بوش بألا يعلن رسميا عن إرسال قوات أمريكية، الا بعد أن تكون القوات قد بدأت فعلا في الوصول. وبناء على ذلك فقد أقلع أول سرب من طائرات F-15 في تمام الساعة 1700 يوم 6 أغسطس بتوقيت واشنطن (الدقيقة الأولى من يوم 7 أغسطس بتوقيت السعودية).[16] ونعرف اليوم أن مصر وسوريا أعلنتا يوم 10 يناير 91، عن موافقتهما على التدخل العسكري الأمريكي، وعن عزمهما على إرسال قوات عسكرية إلى العربية السعودية. وقد جاء ذلك بموافقتهما على قرارات مؤتمر قمة القاهرة المادتين 5، 6... وما جاء من تصريحات على لسان كل من الرئيسين حسني مبارك، وحافظ الأسد، سواء داخل أو خارج أروقة مؤتمر القمة العربي بالقاهرة... حتى أن الرئيس السوري حافظ الأسد قال للصحفيين في تبرير الموقف السوري من مساندة السعودية وتأييد التدخل الأمريكي «ان قتل العربي للعربي أمر في غاية السوء. والأقل سوءا هو أن يقتل الأمريكي عربيا».[17] ونعرف اليوم أيضا أن بوش دعا مجلس الأمن القومي الأمريكي يوم 2 أغسطس ـ بعد وصول الموافقة السعودية ـ وأصدر لهم تعليماته الخاصة بارسال قوات عسكرية وبرية إلى السعودية.[15] ونعرف اليوم أيضا أن وزير الدفاع الأمريكي ديك تشيني وصل إلى منطقة الشرق الأوسط يوم 6 أغسطس وأنه عقد لقاءات مع كل من الملك فهد، والرئيس حسني مبارك، والملك الحسن الثاني. ولكننا لا نعرف على وجه اليقين عما إذا كان قد أجرى اتصالات مباشرة أو غير مباشرة ـ عن طريق طرف ثالث ـ مع الزعماء السوريين. ونعرف اليوم أيضا أن وزير الخارجية السعودي الأمير سعود الفيصل، قد وصل إلى القاهرة يوم 8 أغسطس (أي قبل انعقاد قمة القاهرة بيومين)، وأنه صرح للصحفيين في نفس يوم وصوله، أنه من المنتظر أن ترسل مصر قوات مصرية إلى المملكة السعودية. ونعرف اليوم أن بوش أعلن قراره للعالم بارسال قوات عسكرية إلى السعودية في تمام الساعة 1300 بتوقيت جرينيتش، يوم 8 أغسطس مدعيا أن القوات في طريقها الآن إلى السعودية، في حين أن العناصر الأولى من القوات الأمريكية كانت قد وصلت إلى السعودية قبل هذا الاعلان بحوالي 24 ساعة... وقال بوش في خطابه أن ارسال تلك القوات كان بناء على طلب من المملكة السعودية للمساهمة في الدفاع عنها ضد العراق.

ولكن مازال هناك سؤال لا نعرف له إجابة مؤكدة حتى تاريخ تحرير هذا الكتاب، وان كنا سنجتهد في البحث عن إجابة له. هذا السؤال هو: متى حصل السعوديون على موافقة مصر وسوريا على التدخل العسكري الأمريكي؟ هل حصلوا عليها قبل أن يقوم الملك فهد يوم 8/2 بابلاغ أمريكا بموافقته على دعوة القوات العسكرية الأمريكية إلى بلاده. أم أنهم حصلوا على الموافقة المصرية والسورية بعد هذا التاريخ. هناك احتمال كبير ان تكون السعودية قد حصلت على موافقة مصر وسوريا - أو موافقة مصر على الأقل - قبل ان يقوم الملك فهد بابلاغ أمريكا بموافقته النهائية على التدخل العسكري. أو أن الملك فهد كان واثقا من أن حسني مبارك - نتيجة اتصالات وحوار في مناقشات سياسية سابقة - لن يعارض هذا التدخل العسكري الأمريكي. وإذا كان هذا الرأي يحتمل الخطأ ويحتمل الصواب، فإني أعتقد صحته للأسباب الآتية:

1 - إن أي تجمع عربي تحشده السعودية ضد العراق لايضم مصر وسوريا يصبح عديم القيمة إذا لم تساهم فيه هاتان الدولتان بصفتهما يمثلان أكبر ثقل سياسي وعسكري من بين الدول العربية.
2 - إن عدم مشاركة مصر وسوريا بارسال قوات عسكرية الى السعودية سيجعل صفة الصليبية والامبريالية أكثر التصاقا بالتدخل العسكري الأمريكي... وصفة العمالة للغرب أكثر التصاقا بالأسر الحاكمة في كل من السعودية والكويت.
3 - إذا لم تصوت مصر وسوريا لصالح السعودية داخل مؤتمر القمة العربي، فإن الأصوات المؤيدة للسعودية سوف تقتصر على دول مجلس التعاون الخليجي الست، بالاضافة إلى جيبوتي والصومال في أحسن الظروف. وبالتالي فإنها لن تستطيع الحصول على أغلبية أصوات الدول العربية.

ولم يكن اقناع الرئيس حسني مبارك والرئيس حافظ الأسد بتأييد التدخل العسكري الأمريكي بالعملية الصعبة بالنسبة للسعوديين. فالعداء بين حافظ الأسد وصدام حسين قديم ويمتد إلى أكثر من 10 سنوات. وقد وجد حافظ الأسد في الانضمام إلى الركب المعادي لصدام حسين، فرصة للخروج من

العزلة التي كانت تشعر بها سوريا بعد قيام التحالفات العربية الاقليمية. أما حسني مبارك فإنه قد وجد في صدام حسين المنافس الأول ان لم يكن الوحيد على الزعامة بين الدولة العربية. بل ان حسني مبارك لم يخف قلقه وامتعاضه في أحاديث صحفية معلنة من *أن صدام حسين يسعى لزعامة الدول العربية (حديث لحسني مبارك أذاعته وسائل الاعلام العالمية يوم 27/ 9/ 90 بمناسبة خبر نشرته رويتر بأن العراق سلم صواريخ أرض أرض عراقية إلى السودان) ولذلك فإن حسني مبارك كان يريد أن ينتهز تلك الفرصة المتاحة للتخلص من صدام حسين*. فإذا أضاف السعوديون إلى تلك الأسباب دفع بعض الأموال، فإن حصولهم على موافقة حسني مبارك وحافظ الأسد تصبح أمرا مؤكدا. ولكن مرة أخرى نقول، متى تم الحصول على تلك الموافقة؟ وإلى أن نعرف تفاصيل اللقاءات والاتصالات السرية التي قام بها السعوديون خلال الفترة ما بين 2 ـ 9 أغسطس، فإن الاجابة على هذا السؤال ستبقى مفتوحة للاجتهادات.

افشـال مبادرات الحل السلمـي

كان الكثير من الزعماء يحاولون تفادي اندلاع الحرب. وكانت الفترة من 10 أغسطس 90 وحتى 15 يناير 91، مليئة بالاتصالات الدبلوماسية والمبادرات السياسية بهدف الوصول الى حل سلمي لتلك المشكلة. وكان أكثر الزعماء نشاطا في هذا الاتجاه هم:

الملك حسين	ملك الأردن
العقيد معمر القذافي	زعيم الثورة الليبية
الرئيس علي عبد الله صالح	رئيس الجمهورية اليمنية
الرئيس الشاذلي بن جديد	رئيس الجمهورية الجزائرية.

كانت جميع المبادرات التي تقدم بها هؤلاء الزعماء، ترتكز على الحصول على تنازلات طفيفة من الكويت في مقابل انسحاب العراق. وكانت هذه التنازلات تتراوح مابين التنازل عن جزيرتي وربة وبوبيان أو تأجيرها للعراق لمدة 99 سنة، وبين دفع بعض التعويضات المالية للعراق في مقابل استغلالها السابق لحقول نفط الرميلة. ولكن السعودية ومن ورائها أمريكا، كانت تعارض كل تلك المبادرات، وتعمل إلى افشالها. فقد كانت الأهداف السعودية تتطابق تماما مع الأهداف الأمريكية... والتي كانت تتلخص في عدم اعطاء أي تنازلات

للعراق تسمح لصدام حسين بأن ينسحب من الكويت مع الابقاء على بعض من ماء وجهه. فقد كان الهدف هو إذلاله بأن يقبل الانسحاب بدون شروط. وبعد انسحابه فإنه يمكن إذلاله مرة أخرى بأن يرغم على القبول بتدمير الجزء الأكبر من أسلحته، حتى لا يصبح مصدر تهديد لاسرائيل أو السعودية والدول الخليجية. كان الهدف الرئيسي الأمريكي والسعودي هو تدمير القوات المسلحة العراقية. فإن أمكن تحقيق ذلك دون اللجوء إلى الصراع المسلح كان خيرا. وان لم يكن ذلك ممكنا، فبالحرب يمكن تحقيق هذا الهدف. ومن أجل ذلك كانت السياسة السعودية الأمريكية وسياسة من يسيرون في كنفهم، هي رفض أي مبادرة سياسية تؤدي إلى حل سلمي، يقيد حرية أمريكا والسعودية في العمل. وسوف نناقش تلك المبادرات وما انتهت اليه من فشل فيما بعد.

إنه لمن السهل علينا اليوم بعد أن وضعت الحرب أوزارها أن نعرف بصفة مؤكدة، أن تحرير الكويت لم يكن سوى شعاراً خادعاً يخفي الهدف السعودي الأمريكي الحقيقي، وهو تدمير القوات المسلحة العراقية. انهم يفرضون عليه ـ رغم انسحابه من الكويت ـ أن يقوم بتدمير جميع منشآته النووية والكيماوية والبيولوجية، وأن يلتزم بألا يقوم مستقبلا بانتاج أو تطوير (حتى في مجال البحوث) أي من أسلحة التدمير الشامل [هذا مع العلم ان إسرائيل تملك تلك الأسلحة وأمريكا وأصدقاؤها من الأنظمة العربية اللذين ساعدوها في ضرب العراق يعلمون ذلك]. إنهم يفرضون اليوم على العراق أن يدمر كل ما يملكه من صواريخ ذات مدى يزيد عن 150 كيلومتر. إنهم يفرضون عليه مقاطعة دولية شاملة في مجال الامداد بالأسلحة أو قطع الغيار أو تقديم أي مساعدات فنية في مجال تصميم أو تطوير الأسلحة. فما علاقة كل ذلك بتحرير الكويت؟ لقد نجحوا في تدمير الجزء الأكبر من القوات المسلحة العراقية بالحرب. ويريدون اليوم أن يدمروا مالم تتمكن الحرب من تدميره من الأسلحة المتطورة، بما يفرضونه على العراق من شروط مذلة ومهينة. فقد كان هدفهم الرئيسي هو تدمير القوات المسلحة العراقية وليس تحرير الكويت. قلت ذلك في الجزء الأول من هذا الكتاب الذي صدر قبل اندلاع الحرب بثلاثة أشهر. [14]

استخدام سلاح المال

بالرغم من أن السعودية أنفقت على قواتها المسلحة مابين 1974 ـ 1989 أكثر من 243 مليار دولار، وهو رقم يفوق ثلاثة أضعاف ما أنفقته إسرائيل على قواتها المسلحة في نفس الفترة، ويزيد عن ضعف ما أنفقه العراق على قواته المسلحة عن نفس الفترة. . . فإن القوات المسلحة العراقية كانت في أغسطس 90، تتفوق على القوات المسلحة السعودية، من حيث عدد الأفراد، ومن حيث حجم ونوعية الأسلحة والمعدات الرئيسية التي في حوزتها بنسبة 15 : 1. وهذه الأرقام تؤكد بشكل قاطع عدم ترشيد الانفاق العسكري في المملكة السعودية. "[19] ولكن إذا كانت السلطات السعودية قد فشلت في استثمار أموالها في بناء قوات مسلحة وطنية، لديها القدرة على الدفاع عن أراضيها، فلاشك أنها نجحت في استخدام أموالها عام 90، 91 من أجل تأجير من يقاتل نيابة عنها. وفي خلال الفترة ما بين أغسطس 90 وحتى نهاية مارس 91، أنفقت السعودية حوالي 48 مليار دولار من أجل تحقيق الأهداف التالية :

- اقناع أمريكا بدخول الحرب
- التأثير على مواقف الدول والأفراد.

اقناع أمريكا بدخول الحرب : لقد سبق أن أوضحنا في الفصل الخامس أن حوالي 40٪ من الشعب الأمريكي لم يكن يؤيد السرعة التي يسير بها الرئيس الأمريكي في اتجاه الحرب. وأن تفويض الرئيس الأمريكي بشن الحرب قد اتخذ بأغلبية 53 ضد 46 في مجلس الشيوخ، وبأغلبية 250 ضد 183 في مجلس النواب . . . وهي أغلبية ضئيلة تبين مدى الخلاف حول هذا الموضوع. كان بعض المعارضين، تنبثق معارضتهم، من ايمانهم بالمثالية الدولية، وبما يحسون به من أن تلك الحرب تخدم المصالح الذاتية للولايات المتحدة، في الوقت الذي تهدر فيه مصالح الآخرين. ولكن هذا الفريق المثالي لم يكن يمثل سوى القلة بين المعارضين. أما غالبية المعارضين فكانت تنبثق معارضتهم من حيث خوفهم من ارتفاع الخسائر بين الأفراد، وارتفاع تكاليف الحرب التي كانت تقديراتها في ارتفاع مستمر. فقد كانت التقديرات الأولية تفيد ان كسب الحرب، سيكلف أمريكا 30 مليار دولار وعدد محدود من الخسائر البشرية. ولكن هذه الأرقام ارتفعت كثيرا بعد ذلك. ففي دراسة قام بها مركز معلومات

الدفاع، قدرت الدراسة أن الخسائر الأمريكية سوف تصل إلى 000 10 قتيل، 000 35 جريح . . . وأن كسب الحرب بواسطة أمريكا سيستغرق ثلاثة أشهر، ويكلفها 50 مليار دولار.[20]

ولكي ينجح بوش في تليين موقف المعارضين للحرب، كان عليه أن يبحث عن آخرين للمشاركة في تحمل تكاليف الحرب، فكانت السعودية أكثر من مؤيد له في ذلك الاتجاه. فلم تكتف السعودية بالاعلان عن تصميمها على تحمل الجزء الأكبر من تكاليف تلك الحرب، بل انها تعاونت مع اللوبي الصهيوني في الكونجرس الأمريكي ـ الذي كان هو الآخر مؤيدا للحرب ـ في تشكيل جبهة واحدة لاقناع المعارضين للحرب. فقد كشفت صحيفة الواشنطن بوست التي صدرت يوم 7 نوفمبر، النقاب عن دعوة الافطار التي أقامها الأمير بندر بن سلطان سفير المملكة العربية السعودية في واشنطن، صباح يوم 26 أكتوبر (تشرين الأول). وقد كان من بين المدعوين عدد من كبار أصدقاء إسرائيل المشهورين بأنهم حجبوا موافقتهم على مبيعات الأسلحة الأمريكية الى الرياض عبر السنوات الماضية. وكان بين المدعوين ستيفن سولارز من نيويورك، توم لانتوس من كاليفورنيا، روبرت تورشيلي من نيوجيرسي، بالاضافة إلى عدد من قادة الرأي العام الأمريكي. وقد تم الاتفاق في هذه المأدبة على تشكيل لجنة لاقناع الشعب الأمريكي بأن الحرب مع العراق ضرورية جدا، ولا مفر منها.[21]

في 10 فبراير 1991، أعلنت الرياض أن تكاليف الحرب بالنسبة للسعودية، قد بلغت حتى هذا التاريخ 45 مليار دولار (دون ذكر التفاصيل) . . . كما أعلنت أن إعادة بناء الكويت سوف تتكلف حوالي 60 مليار دولار.[22] وحتى نهاية شهر مارس 1991، فإن المساهمة السعودية في دفع عجلة الحرب ـ طبقا لما تم الاعلان عنه ـ تكون قد وصلت إلى حوالي 48 مليار دولار بيانها كما يلي بملايين الدولارات:

16 839 دفعت نقدا إلى أمريكا[23]

1 000 دفعت نقدا إلى بريطانيا[24]

4 500 اسقاط ديون سعودية على مصر[25]

1 500 منحة إلى مصر[26]

11 000	خدمات للقوات الأمريكية تشمل الامداد بالوقـود، والمياه والكهرباء، النقل الداخلي (رقم تقريبي)
2 000	خدمات لباقي قـوات حلف الأطلسي المتواجدة في المنطقة وتشمل أيضا امدادها بالوقود، والمياه، والكهرباء، والنقـل الداخلي (رقم تقريبي)
4 000	قرض بتسهيلات كبيـرة للاتحاد السوفيتي [26]
1 160	منحـة نفطية إلى تركيا [27]
2 500	منحة إلى سوريـا [28]
1 000	إعاشة ومنح للقوات العسكرية العربية والاسلامية المشاركة.
2 500	منح لباقي الدول العربية والاسلامية
47 999	**مليـون دولار.**

وقد استطاعت أمريكا أن تحصل على مساعدات مالية من جهات متعددة بلغت في مجموعها حتى نهاية مارس 91 حوالي 557 53 مليون دولار، ساهمت السـعـودية والـدول الخليجية فيهـا بمقـدار 845 35 مليون دولار نقـدا (70٪). [29] وبـذلـك استطاع بوش أن يغيـر من موقف الكثير من الأمـريكيين، الـذين كانوا يعارضون الحرب من منطلق تكاليفها. حيث أن مجموع المساعدات التي حصل عليها، أو التي حصل على وعد قاطع بها ـ قبل اندلاع الحرب ـ كان يتجاوز التقديرات المالية للحرب والتي كانت تقدر مابين 45 ـ 50 مليار دولار. وكان توزيع هذه المساعدات بدون احتساب تكاليف الخدمات التي تقدمها السعودية ـ كما يلي :

16 839	مليون دولار من السعودية
16 006	مليون دولار من الكويت
3 000	مليون دولار من الامارات العربية
10 740	مليون دولار من اليابان
6 572	مليون دولار من ألمانيا
400	مليون دولار من كوريا
53 557	**مليـون دولار**

وحتى نهاية يونيو 91، فإن الولايات المتحدة لم تعلن عن التكاليف الفعلية التي أنفقتها في تلك الحرب. ولكن ما أدرج في الميزانية لتلك الحرب هو 47.5 مليار دولار (11.1 لعام 90 + 36.4 لعام 91). على أساس أن الحرب تستمر ثلاثة شهور. ومع أن الحرب لم تستمر سوى 42 يوما... فحتى لو تم انفاق كل ماهو مدرج في الميزانية فإن الولايات المتحدة تكون قد ربحت من تلك الحرب حوالي 6 مليار دولار. وفي يوم 18 يوليو 91، نشر الخبير المالي الألماني فولفجانج روث Wolfgang Roth، بحثا أكد فيه أن «التكاليف الفعلية التي تحملتها أمريكا هي 48.1 مليار دولار، وأنها حصلت من حلفائها على 54.6 مليار دولار. وبالتالي فإنها تكون قد حصلت على 6.5 مليار دولار، ويتحتم عليها إعادتها إلى أصحابها.[30] ونلاحظ أن الأرقام التي وردت في دراسة الخبير الألماني لا تختلف كثيرا عن الأرقام التي سبق أن قدمتها للقارىء والتي تعتمد على مصادر إعلامية متعددة. ولكنني ألفت النظر إلى أن دراسة فولفجانج لم تدخل في حسابها الخدمات المجانية، التي قدمتها السعودية لأمريكا والتي تقدر بحوالي 11 مليار دولار.

التاثير على مواقف الدول والافراد: إن نظرة واحدة إلى المساعدات المالية التي قدمتها السعودية لدول العالم، تبين بوضوح الثمن الذي استطاعت السعودية أن تشتري به مواقف تلك الدول. فباستثناء بريطانيا التي كانت - مثلها في ذلك مثل الولايات المتحدة - تحصل على المساعدات من الدول الخليجية، وكأنها جزية يجب عليهم أن يدفعوها وهم صاغرون... فإن باقي الدول بما في ذلك الاتحاد السوفيتي كانت تبيع مواقفها في سوق السياسة. وإنه لمن المحزن حقا أن الاتحاد السوفيتي - الذي كان قبل بضع سنين يمثل أكبر قوة سياسية وعسكرية تخشاها الولايات المتحدة وكل دول حلف الأطلسي - قد باع هو الآخر موقفه بثمن بخس. فقبل يومين من التصويت في مجلس الأمن الدولي على القرار الشهير 678 الذي يبيح استخدام القوة المسلحة ضد العراق، كان وزير خارجية السعودية يزور الاتحاد السوفيتي، ويعلن في موسكو أن السعودية قد قررت منح الاتحاد السوفيتي قرضا بشروط ميسرة قيمته 4 000 مليون دولار. ووافق الاتحاد السوفيتي على القرار 678 بدون أي تحفظ.

وإذا كان هذا هو موقف الاتحاد السوفيتي، فمن الطبيعي أن يكون ذلك هو مسلك الدول الأكثر فقرا. ولكن الشيء الذي لا يغتفر هو كيف يمكن لطائفة مؤمنة أن تبيع مواقفها حتى ولو كان ذلك في مقابل ملء كنوز الأرض. ولـ

أدري بماذا سيجيبون ربهم عندما يسألهم «لماذا اتخذتم اليهود والنصارى أولياء وقد نهيتكم عن ذلك ؟» والحمد لله الذي جعل في أمة محمد من يتذكر خلال تلك المحنة التي مرت بها الأمة الاسلامية قوله تعالى «والعصر إن الانسان لفي خسر. إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر.» فكما أجزلت السعودية والدول الخليجية العطاء لكل من يؤيدها حكاما وأفرادا . . . فقد صبت جام غضبها على كل من يتخذ موقفا يتعارض مع موقفها. وكان أكثر من تأثر بهذا الموقف الانتقامي هو تلك الدول والتنظيمات التي كانت تحصل منهم على مساعدات مالية، أو تلك التي كانت ترتبط معهم بعلاقات تجارية أو مصالح إقتصادية. وكان في مقدمة هؤلاء : اليمن، الأردن، منظمة التحرير الفلسطينية. لقد طردوا أكثر من 800 000 يمني كانوا يعملون في السعودية. وطردوا كل الفلسطنيين والأردنيين. وأوقفت السعودية إمداد الأردن بالنفط إعتبارا من 90/9/19. وأوقفت السعودية وجميع الدول الخليجية المعونات المالية التي كانوا يقدمونها لمنظمة التحرير الفلسطينية.

ومع ان الاعلام في الغالبية العظمى من الدول العربية والاسلامية هو إعلام موجه يخضع لسيطرة الحاكم والحكومة، وبالتالي فإن شراء السعودية لموقف حكومة ما يعني بالضرورة أن يصبح الاعلام في تلك الدولة مؤيدا للموقف السعودي . . . فإن السعودية لم تقصر في توزيع الأموال على الكثير من العاملين في قطاع الاعلام في تلك الدول. وهناك من يقول أن السعودية أنفقت 500 مليون دولار في دولة عربية واحدة، حتى أصبح اعلامها أكثر تأيدا للسعودية وأكثر عدوانية ضد العراق من الاعلام الاسرائيلي نفسه.

وبالرغم من أن السعودية، قامت منذ بداية الأزمة بضخ كميات زائدة من النفط حتى وصل إلى حوالي 5 . 8 مليون برميل في اليوم في أوائل عام 1991 (الحصة المخصصة للسعودية طبقا لقرار الأوبك في مايو 1990 هي 18 . 5 مليون برميل يوميا)، فإن دخل السعودية من البترول لم يكن يغطي انفاقها من أجل دفع عجلة الحرب . . . مما دفعها إلى أن تلجأ إلى الاستدانة يوم 91/2/14. ولكن هذه الاستدانة لا تعني عدم امتلاك السعودية لأرصدة يمكن السحب منها لتغطية مصاريف الحرب. ولكنها لجأت الى الاستدانة حتى تحافظ على أرصدتها في الخارج . . . ولأن معظم أرصدتها في صورة مستندات على الخزينة الأمريكية، ويمكن أن يؤثر سحب كميات كبيرة منها تأثيرا سلبيا على الاقتصاد الأمريكي !!

موقف النظام الكويتي

الخلفية التاريخية

بعد أن احتلت بريطانيا عدن والمناطق الجنوبية لليمن في عام 1839 (ما كنا نسميه خلال الفترة ما بين عام 1967 ـ 1990 باليمن الجنوبي)، فإن نفوذها أخذ يمتد شيئا فشيئا على الولايات العربية الممتدة على السواحل الجنوبية والشرقية للجزيرة العربية، والتي كانت جميعها حينئذ تابعة للخلافة الاسلامية في الآستانة . كان هدف بريطانيا هو تأمين خطوط مواصلاتها للهند، وضمان عدم وقوع تلك الأماكن تحت سيطرة أي من القوى الاستعمارية الأوروبية التي كانت تتنافس فيما بينها، من أجل احتلال أراضي جديدة في افريقيا وآسيا. وفي 1891/3/20، وقعت بريطانيا مع شيخ مسقط (ما يعرف حاليا بسلطنة عُمان) اتفاقية تتعهد فيها بحمايته . وفي وقت لاحق وقعت اتفاقيات مشابهة مع شيوخ القبائل، التي تسكن الساحل الشرقي للخليج (التي تعرف الآن بدولة الامارات العربية). وبحلول عام 1896 كانت الكويت وقطر مازالتا خارج منطقة النفوذ البريطاني. ولكن الخلاف الذي وقع بين شيوخ الكويت، هو الذي أدى إلى توقيع اتفاقية الحماية البريطانية يوم 1899/1/23 .

عندما توفى الشيخ صباح بن جابر حاكم الكويت عام 1866 ، فإنه خلف ستة أولاد هم : عبد الله، محمد، جراح، مبارك، حمود، جابر. وقد تولى عبد الله الحكم بعد وفاة أبيه وظل يحكم الكويت من 1866 حتى 1892 . وقد منحه العثمانيون لقب قائمقام عام 1871 . وبعد وفاة عبد الله استلم محمد الحكم وبقي شيخا للكويت بلقب قائمقام، إلى أن قام أخوه مبارك بقتله هو وجراح في ليلة واحدة واستولى على الحكم عام 1896 .

تقول وثائق وزارة الخارجية البريطانية أن السلطات التركية كانت ساخطة على الشيخ مبارك، ولا ترغب في الاعتراف به لأنه قتل أخويه واستولى على السلطة . كما وأن شيوخ القبائل في المناطق القريبة منه كانت هي الأخرى ساخطة عليه . وقد دفعه ذلك الى طلب الحماية البريطانية عن طريق المعتمد

البريطاني في الكويت الميجور ميد Major Meade . وكانت حكومة الهند التي يتبع لها الميجور ميد مترددة في اتخاذ تلك الخطوة . ولكن ميد أخذ يستحثها ويستحث الحكومة البريطانية، إلى أن تم توقيع اتفاقية بين الكويت وبريطانيا يوم 1899/1/23، والتي بموجبها تقوم الحكومة البريطانية (حكومة الهند) بأن تدفع له ماهية سنوية قدرها 1500 روبية (100 جنيه استرليني) . وتقيد الاتفاقية الشيخ مبارك آل الصباح وخلفاءه، بعدم التنازل عن أي جزء من أرض الكويت بغير موافقة الحكومة البريطانية .

تم التوقيع على الاتفاقية بين الشيخ مبارك وبين الميجور ميد في سرية تامة . ولكن أخبارها بدأت تعرف في منتصف شهر فبراير، مما أثار غضب السلطات العثمانية . وحيث أن الكويت كانت تابعة إداريا لولاية البصرة، فقد قام والي البصرة بتعيين مدير لميناء الكويت دون استشارة مبارك . واستمرت الأوضاع مائعة . فالبريطانيون يعترفون بالسيادة العثمانية على الكويت، والعثمانيون يعترفون بالمصالح البريطانية في الكويت . وفي عام 1911 أنعمت الحكومة العثمانية على مبارك بالوسام المجيدي من الدرجة الأولى . وفي 25 صفر عام 1330 هجرية وصل الوفد الذي يحمل الوسام إلى الكويت برئاسة العالم عبد الملك الشواف مفتي البصرة . وفي عام 1913 تم التوصل الى مشروع اتفاق بين بريطانيا والحكومة العثمانية، تعترف فيه بريطانيا بالسيادة العثمانية على الكويت، مع تمتع حاكم الكويت بقدر كبير من التصرف في الشئون الداخلية . وقد عرض هذا المشروع على مجلس العموم البريطاني في 1914/6/29 للمصادقة عليه . ولكن نشوب الحرب العالمية الأولى حال دون التصديق على تلك الاتفاقية . وانتهت الحرب العالمية الأولى يتنازل تركيا عن سيادتها عن جميع الأقطار العربية . وأصبحت العراق والكويت تحت الاحتلال البريطاني .

وفي خلال الحرب العالمية الأولى تعاون الشيخ مبارك آل الصباح شيخ الكويت مع السلطان البريطانية ضد الأتراك . وبعد وفاة الشيخ مبارك في 29 نوفمبر 1915، تولى حكم الكويت ولده جابر المبارك الذي نعى والده في برقية بعث بها إلى نائب الملك في الهند يقول فيها «إن شاء الله تشاهدون منا الطاعة والخلوص . واننا بسلامتكم مستعدين إلى جميع خدماتكم . نلتمس وقوع أنظاركم» . [31] ومن بعده *هنا سالم المبارك الصباح الحكومة البريطانية عند*

وحفها على بغداد عام 1917 في برقية جاء فيها «سعادة الحاكم السياسي بالعراق السير برسي كوكس المفخم. بشرتنا الأخبار بتقدم الجيوش البريطانية بالعراق، فصرنا جدا مسرورين ومستبشرين بهذه الموفقية السارة. فإني من صميم القلب أقدم لسعادتكم فائق التهاني والتبريك، داعيا لكم بدوام العز والتوفيق». [32] وفي 3 مارس 1918، أرسل المعتمد السامي البريطاني في الكويت برقية إلى الحاكم البريطاني في بغداد جاء فيها «ان الشيخ سالم مبارك الصباح منذ توليه زمام الحكم في الكويت، ساهر على خدمة الحكومة البريطانية، وزائد عن مصالحها بكل جد واخلاص، ولا سيما مكافحة الدعايات المشينة. ولكن بالرغم من سهره ومراقبته، فإن بعض المغرضين تعمدوا نشر بعض أخبار ملفقة ضد الحكومة البريطانية في الكويت. وانه دائب في البحث عن أولئك، ومتتبع التفتيش عنهم. فإذا ما ظفر بهم لا يتوقف عن انزال أشد العقوبات بحقهم». [33] وفي سنة 1921 أرسل الشيخ أحمد جابر المبارك الصباح إلى نائب الملك في الهند رسالة بمناسبة توليه زمام الحكم في الكويت جاء فيها «إني إن شاء الله مخلصا صادقا قولا وفعلا نحو الحكومة البريطانية المعظمة. وباذل جهدي واجتهادي للمحافظة على حقوق الصداقة القديمة التي هي أساس كل خير لنا. ومتمسكا بقرار تلك الصداقة ما دمت في قيد الحياة... وغاية آمالي أن تكون خدماتي فائقة على أسلافي». [34]

وحتى في مرحلة الاحتلال البريطاني للعراق بعد الحرب العالمية الأولى، وإلى أن حصل العراق على استقلاله المنقوص عام 1932، فإن الحكومات العراقية قبل وبعد الاستقلال لم تعترف قط بأن مشيخة الكويت ليست جزءا من الأراضي العراقية. كما وان سكان الكويت أنفسهم من غير أسرة الصباح كانوا يريدون الانضمام إلى العراق. ففي عام 1938 قرر المجلس التشريعي الكويتي مرتين متتاليتين انضمام الكويت إلى العراق باعتبارها جزءا منه. وقد اضطر شيخ الكويت أحمد جابر آنذاك أن يحل المجلس التشريعي. وفي عام 1958 طالب نوري السعيد رئيس وزراء العراق أثناء اجتماع حلف بغداد الذي عقد في تركيا - بحضور فوستر دالاس وزير خارجية أمريكا - باعادة الكويت إلى العراق. وفي 19 يونيو 1961 عندما منحت بريطانيا الكويت صفة الدولة

المستقلة عارض العراق ذلك، واتخذ رئيس وزراء العراق عبد الكريم قاسم قرارا بالحاق الكويت بالعراق، وتعيين شيخ الكويت قائمقاما على قضاء الكويت تابعا لمحافظة البصرة، كما كان عليه الأمر قبل 1914. وحشد العراق جيشه لتنفيذ تلك القرارات العراقية... مما دفع شيخ الكويت إلى طلب المساعدة البريطانية التي نزلت بقواتها في الكويت في أوائل يوليو. ولكن الجامعة العربية اعترفت باستقلال الكويت، وقبلت عضويتها في الجامعة العربية بتاريخ 20 يوليو 61، وأرسلت قوات عربية ـ كانت القوات المصرية تمثل عمودها الفقري ـ لكي تحل محل القوات البريطانية. وفي عام 1973، جرت محاولة عراقية ثانية من أجل احتلال الكويت. وذلك عندما دخلت القوات العراقية الأراضي الكويتية واحتلت جزءا منها، ولم تنسحب من الأراضي التي احتلتها الا بعد تدخل الجامعة العربية، وبعد تهديد كل من ايران والأردن والسعودية بالتدخل العسكري الى جانب الكويت.[35]

سبق أن تحدثنا في الجزء الأول كيف تآمر نظام الحكم في الكويت بالتعاون مع أنظمة أخرى في الدول العربية الخليجية ضد العراق، عن طريق تدميره اقتصاديا.[36] وكان كل ما كتبناه يعتمد على تحليل الأحداث والأفعال. ولكن العراق نشر في شهر يناير 91 وثيقة، من المعتقد أنه حصل عليها ضمن أوراق الحكومة الكويتية بعد احتلال العراق للكويت. ***والوثيقة محررة بخط يد السفير احمد ابراهيم سفير الكويت لدى المجموعة الأوروبية في بروكسل، وموقعا عليها منه ومختومة بخاتم السفارة، وموجهة الى وكيل وزارة الخارجية الكويتية، ومؤرخة بتاريخ 31 يوليو 1990. وتقول الوثيقة ما يلي:***

«التقيت في نفس اليوم بعد خروجي من مكتب السيد ماتوتس، بالسيد ماكوين الذي يقوم بجولة أوروبية للبحث في وضع ترتيبات، لمقترحات سمو أمير البلاد المفدي المرسلة إلى الادارة الأمريكية. بتاريخ 26 يوليو 1990، وأثناء تباحثي مع السيد ماكوين تلمست الأمور التالية:

1 ـ ***ان أساليب الضغط التي اقترحها سمو الأمير المفدي بما فيها السعي الأمريكي والغربي لتدمير الأسلحة العراقية المتطورة، وجد حماسا لدى الولايات المتحدة، لأنه أول طلب عربي بهذا الخصوص.***

2 ـ تختلف الادارة الأمريكية في النقطة الثانية مما ورد في رسالة أمير البلاد المفدي، التي يعتقد فيها بأن الضغوط الاقتصادية لا تكفي لوحدها في توقيف الصناعة العسكرية المتطورة، حيث تعتقد الولايات المتحدة بامكان هذه الضغوط أن تؤثر في نمو الصناعات العسكرية العراقية، إذا لعبت كل من مصر والسعودية الدور المتفق عليه.

3 ـ ان الكويت مطالبة بأن تلعب دورا أكبر في مضايقة إيران. وأن هناك إيضاحات محددة في هذا الشأن ستصل إلينا عبر قنوات خاصة من الولايات المتحدة بهذا الخصوص.

4 ـ ان الولايات المتحدة اتفقت على ما يبدو مع الرئيس المصري حسني مبارك على ممارسة ضغوط على العراق من خلال مجلس التعاون العربي، لايقاف أي تعاون أو تأييد لبغداد إذا ما فكرت في استخدام القوة ضد بلدنا العزيز» [17].

وكان العراق قد نشر قبل ذلك في 90/10/30 وثيقة أخرى من تلك الوثائق التي استولى عليها بعد احتلاله للكويت. والوثيقة محررة بتاريخ 22 نوفمبر 1989، وموقع عليها بواسطة العميد فهد أحمد الفهد مدير المخابرات الكويتية وموجهة إلى وزير الداخلية. ويقول العميد فهد في هذه الوثيقة التي كتبت في أربع صفحات، أنه زار وكالة المخابرات الأمريكية CIA، والتقى مع مديرها القاضي وليم وبستر يوم 14 نوفمبر 89، وأنه اتفق معه على تبادل المعلومات حول إيران والعراق في مجال التسليح والبنية الاجتماعية والسياسية. والاستعانة بخبراء من الوكالة في مجال وضع استراتيجية جديدة للعمل. وان الجانب الأمريكي وعد بامداد الكويت بالمعلومات عن نشاط جماعات الشيعة المتطرفة في الكويت وفي بعض دول مجلس التعاون.

ولعل أخطر ماجاء في هذه الوثيقة هو البند رقم 5 والذي جاء فيه بالحرف الواحد «اتفقنا مع الجانب الأمريكي على أهمية الاستفادة من الوضع الاقتصادي المتدهور في العراق، للضغط على حكومته للعمل على ترسيم الحدود معها. وقد زودتنا وكالة المخابرات المركزية بتصورها حول طرق الضغط المناسبة، بحيث يبدأ التعاون الواسع بيننا وبينهم، على شرط أن يكون تنسيق هذه الفعاليات على مستوى عال».

وتقول المذكرة في البند رقم 6 ما يلي «يرى الجانب الأمريكي أن يبرمج علاقاتنا مع إيران بما يضمن تحاشيها من جهة، والضغط عليها اقتصاديا بقدر الامكان من جهة ثانية، والتركيز على دعم تحالفها مع سوريا بشكل فعال. ويرى الأمريكان أن تتحاشى الكويت الحديث سلبا عن إيران في الاعلام. وأن ينحصر التأثير عليها من خلال الاجتماعات العربية». وتنتهي الوثيقة بتخصيص رقم تليفون خاص للاتصال بالقاضي ويليام وبستر وهو 202 659 5246.

وبالاضافة إلى كل هذه العلاقات التي كانت تربط بين عائلة الصباح والقوى الأجنبية في الماضي والحاضر، فقد ألقى سالينجر الضوء على جانب من هذه العلاقات خلال حرب الخليج. وقد جاء من بينها ما يلي:

1 ـ كانت تعليمات الشيخ جابر إلى ولي عهده الشيخ سعد قبل أن يذهب هذا الأخير لحضور مؤتمر جدة يوم 31 يوليو ما يلي: «يكون حضورنا في هذا المؤتمر في إطار ما اتفقنا عليه قبل ذلك. ان مصالحنا هي أساس كل شيء. فلا تستمع إلى ما يقوله السعوديون والعراقيون حول الأخوة العربية ووحدة الصف. فكل له مصالحه. فالسعوديون يريدون اضعافنا، واستغلال أي تنازلات نعطيها للعراقيين حتى نعطيهم هم الآخرين تنازلات في المنطقة المحايدة. أما العراقيون فإنهم يريدون تعويض خسائرهم في الحرب من مواردنا الخاصة. فلا يجب أن يتحقق هذا أو ذاك. هذا هو أيضا موقف أصدقائنا في مصر وفي واشنطن وفي لندن. أتمنى لك التوفيق». [38]

2 ـ في الساعة الرابعة من صباح يوم 2 أغسطس فر الشيخ جابر وولي عهده الى السفارة الأمريكية، حيث كانت تنتظرهم طائرة أمريكية في فناء السفارة، أقلتهم الى السعودية. [39]

3 ـ منذ أن وصل امير الكويت إلى السعودية فجر يوم 2 أغسطس 90، كان هناك اتصال دائم بينه وبين أمريكا، للتنسيق حول دعوة مجلس الأمن الدولي للانعقاد في دورة طارئة. [40]

افشال مبادرات الحل السلمي

الكويت هي احدى دول الخليج العربية. وقد سبق أن شرحنا في كتاب الحرب الصليبية الثامنة ـ الجزء الأول طبيعة الأنظمة العشائرية التي تحكم تلك

الدول الخليجية. [41] وحيث أن مصالح النظام الحاكم في الكويت ترتبط ارتباطا وثيقا بمصالح الدول الامبريالية كما سبق أن أوضحنا، فإنه من الطبيعي أن تتطابق الأهداف الكويتية مع الأهداف الأمريكية. وإذا أردنا أن نسمي الأشياء بأسمائها الصحيحة فإن النظام الحاكم في الكويت كان عليه أن يلتزم بتنفيذ الأهداف الأمريكية. وما دامت أمريكا تعارض كل مبادرة سلمية، فكان على النظام الكويتي أن يعارض هو الآخر أي مبادرة سلمية.

وقد كانت أول مبادرة سلمية لحل الأزمة، هو ذلك اللقاء الذي تم في مدينة جدة بالمملكة العربية السعودية يوم 90/7/31، بين السيد عزت ابراهيم نائب رئيس الجمهورية العراقية، والشيخ سعد العبد الله السالم الصباح ولي العهد ورئيس الوزراء بالكويت. فنتيجة تدخل بعض الوسطاء تم الاتفاق على أن تقوم الكويت بدفع 9 مليار دولار للعراق كتعويض للخسائر التي لحقت به. وكما سبق أن أوضحنا في الجزء الأول فقد كان العراق يطالب بـ 14 مليار دولار لتعويضه عن الخسائر التي لحقت به نتيجة انخفاض سعر البترول، بالاضافة الى 2400 مليون دولار في مقابل ما سحبته الكويت من بترول العراق في حقل الرميلة. [42] وبعد مناقشات مطولة توقفت المفاوضات بعد أن أصر الجانب العراقي على الحصول على مبلغ 10 مليار دولار كقرض، بينما أصر الجانب الكويتي على ألا يزيد القرض عن 9 مليار. ولكي ينقذ الملك فهد المفاوضات من الفشل، فإنه أعلن بأن السعودية تتبرع للعراق بمليار دولار. وظن الجميع أن الموضوع قد انتهى. ولكن عندما اجتمع الوفدان العراقي والكويتي، في الجلسة الختامية، أثار الشيخ سعد العبد الله السالم الصباح مشكلة الربط بين التوقيع على العقد وبين تسوية الحدود بين البلدين . . . على أساس الحدود الحالية طبعا وليست على أساس ما يطالب به العراق. فثار عزت ابراهيم وقال له : لماذا لم تعرض مشكلة الحدود عند بدء المفاوضات. فأجاب الشيخ سعد قائلا : لم يكن لدينا تعليمات من الأمير أن نثير هذا الموضوع عند بدء المفاوضات. وهذا يدل على سوء نية الجانب الكويتي بصفة عامة وأمير الكويت بصفة خاصة، ورغبته الأكيدة في افشال تلك المفاوضات. وقد رفض عزت ابراهيم هذا الربط وقال محتدا «نحن نعرف كيف نحصل منكم على ما نحتاج إليه من مال». فرد عليه الشيخ سعد «لا تهددنا فلنا أصدقاء أقوياء». فرد عليه عزت ابراهيم «نحن أيضا لنا حلفاء أقوياء». [44] وفي اليوم التالي عاد الوفدان

الى بلديهما دون اتفاق. ويلاحظ أن هذه المبادرة كانت هي أكثر المبادرات فرصا للنجـاح، حيث أن السعـودية كانت حتى هذه اللحـظة تريد حل الأزمـة سلميا. . . ولم تكن قد وقعت بعد، فريسة الوهم الذي أدخله بوش بالخديعة في نفسهـا بأن العـراق ينوي غزو السعودية كما سبق أن أوضحنا. أما جميع المبادرات السلمية العربية الأخرى، فقد كانت تتحطم على صخرة المعارضة السعودية بنفس القدر الذي تتحطم به على صخرة المعارضة الكويتية.

كانت المبادرة الثانية من الملك حسين الذي اتصل بالرئيس حسني مبارك واتفق معه على عقد قمة مصغرة في القاهرة يوم 4 أغسطس. ولكن الولايات المتحدة تحركت بسرعة لافشال أي حل سلمي. ***فطبقا لما صرح به مسؤول عربي رفيـع المستـوى، فإن مسـاعـد وزيـر الخارجية الأمريكي جون كيلي John Kelley أرسل الى القاهرة رسالة تهديد شديدة اللهجة اذا لم تتخذ إجراءات قوية ضد العراق.*** [45] وبانضمام حسني مبارك الى معسكر الرافضين لأي حل سلمي، ومن بعده حافظ الاسد تضاءلت أو انعدمت أية فرصة للتوصل الى حل عربي. ونتيجـة لذلك فشلت جميع المبادرات التالية التي تقدم بها الملك حسـين، العقيد معمـر القـذافي، والـرئيس علي عبد الله صالح، والرئيس الشاذلي بن جديد. . . والتي سوف نتعرض لكل منها عندما نتحدث على جهود كل منهم في هذا المجال.

وبـالاضـافة الى رفض المبادرات السلمية، فإن التصريحات الملتهبة التي كانت تصـدر من وقت لآخر من المسؤولين الكويتيين ومن حلفائهم، كانت تهدف جميعها الى اغلاق كل باب يمكن أي يوصل الى حل الأزمة سلميا. [46]

إعـطـاء الشـرعية للتدخـل الاجـنبي

سوف يسجل التاريخ أن الشيخ جابر الصباح قد كرر في أغسطس 1990 ما سبق أن فعله أجداده منذ عام 1896 . ففي يوم 3 أغسطس 1990، ظهر الشيخ سعود ناصر الصباح سفير الكويت في واشنطن على شاشات التليفزيون ليعلن أمام العالم أن بلاده، قد طلبت مساعدة عسكرية من أمريكا. وبذلك وفر لأمريكا ـ في إطار ميثاق الأمم المتحدة ـ وليس في إطار الشريعة الاسلامية ـ الذريعة والشرعية للتدخل الأجنبي. هذه الشرعية التي كان يعتمد عليها بوش ويعمل على التوسع في مفهومها طوال فترة الحرب.

المساعدات المالية

في يوم 16 أغسطس 90، استضاف برنامج Crossfire الذي تبثه قناة CNN الأمريكية، الشيخ سعد ناصر الصباح سفير آل الصباح في واشنطن، ووجه إليه السؤال التالي «ان تكاليف نشر القوات الأمريكية سيكلف حتى نهاية شهر أغسطس الحالي 1200 مليون دولار. فمن الذي سيتحمل دفع هذه الفاتورة. فأجاب السفير قائلا: ***«وما الذي منعكم من ان تقدموا لنا الفاتورة»***. وكان تلك هو أول تصريح رسمي كويتي، يعلن عن استعداد حكومة الشيخ جابر الصباح بأن تدفع تكاليف، أو تساهم مع غيرها من الدول الخليجية، في تحمل أعباء تلك الحملة الصليبية ضد العراق. وكانت الدوائر المالية تقدر الأموال الحكومية في مكتب الاستثمار الكويتي Kuwaiti Investement Office، الذي مركزه لندن، بما يتراوح بين 100 ـ 120 مليار دولار. [47] فإذا أضيف إلى هذا الرقم الاستثمارات الخاصة بأسماء عائلة الصباح في الخارج [48]، فإن هذا الرقم يمكن أن يرتفع إلى حوالي 300 مليار دولار. وحيث أن بعض الجهات لا تفرق بين ممتلكات الحكومة الكويتية وممتلكات عائلة الصباح، على أساس أن الحكومة هي عائلة الصباح وعائلة الصباح هي الحكومة، فإنهم يستخدمون الرقم 300 مليار دولار على أساس أن هذا المبلغ يمثل استثمارات الكويت في الخارج. [49]
ونظرا لأن حكومة الولايات المتحدة وجميع الدول الغربية قد قامت بتجميد جميع الأرصدة المالية، التي كانت باسم الحكومة الكويتية في الخارج اعتبارا من 3 أغسطس 90، حتى لا تستطيع الحكومة الكويتية الموالية للعراق التصرف في تلك الأرصدة... فقد أصبحت كل تلك الأموال تحت تصرف حكومة الكويت في المنفى. وهكذا أصبح تحت تصرف الشيخ جابر الأحمد الصباح المال الكافي، الذي يمكن أن يستخدمه في تقديم المساعدات المالية والقروض الميسرة التي يمكن عن طريقها التأثير على سير الحرب. [50]

ولا نستطيع أن نجزم الآن بحجم المساعدات التي دفعتها الكويت إلى دول العالم الثالث، حيث أن الكثير من تلك الدول تتحاشى الاعلان عن حجم المساعدات التي تلقتها من الكويت، نظرا لما يحمله هذا الاعلان في طياته من شبهة الرشوة وشراء المواقف. ولكننا نورد فيما يلي ماتم الاعلان عنه عن تلك المساعدات في وسائل الاعلام الدولية بملايين الدولارات.

1 200	منحة الى تركيا [51]
16 000	منحة الى الولايات المتحدة [52]
1 300	منحة الى بريطانيا [53]
1 000	قرض للاتحاد السوفيتي بشروط ميسرة [54]
1 000	منحة الى فرنسا [55]
500	منحة الى باكستان [56]
21 000	**مليون دولار إجمالي ما أعلن عن توزيعه**

هذا وقد أعلن وزير المالية الكويتي في شهر يونيو 1991، ان مساهمة الكويت في تمويل حرب الخليج، قد كلفها 22.6 مليار دولار (لا يعرف على وجه التحديد إذا كان هذا الرقم يشمل القرض الذي أعطى للاتحاد السوفيتي أم لا)... وفي 15 يوليو 91، أعطى الشيخ جابر موافقته للحكومة الكويتية على السعي لاقتراض 33 مليار دولار من الخارج. وذلك لدفع تكاليف الحرب وإعادة البناء. [57] وقد أثار هذا الطلب الكويتي تعليقات كثيرة. فلماذا تلجأ الكويت الى الاستدانة ولديها استثمارات خارجية تقدر بحوالي 300 مليار دولار. البعض يرى أنها لجأت الى ذلك حتى لا تضطر إلى أن تعرض للبيع جزءا من استثماراتها في الخارج. فينخفض السعر الذي تبيع به، ويصبح من الصعب عليها أن تعيد شراء استثمارات جديدة، بعد أن تنتهي من التخلص من آثار الحرب. والبعض يرى أنها تريد أن تقول للطامعين في أجر أكبر نظير تأييدهم لها في الحرب ضد العراق، كفى ما أخذتم فليس لدي شيء أعطيه.

موقـف النظـام الأردنـي

مؤتمر سري للملك حسيـن

نشرت صحيفة الشروق التونسية في عدد السبت 25/8/90 وثيقة خطيرة، قالت بأنها محضر جلسة جمعت العاهل الأردني الملك حسين مع عدد من كبار صحفي بلاده. أمدهم خلالها بجملة من المعلومات التي لم تكن مخصصة للنشر، وإنما كانت لتوضيح بعض ملابسات أحداث الخليج وعلاقة الأردن بها. [58] وقد جاء في هذه الوثيقة على لسان الملك حسين ما يلي :

«*عندما كنت في واشنطن وصلت برقية من الرئيس حسني مبارك الى الرئيس بوش، يستعجل فيها ضرب العراق بكافة الأسلحة قبل أن يتفجر الشارع المصري، ويتحول الشارع العربي لمصلحة العراق وضد المصالح الأمريكية في المنطقة* . . . وانني فوجئت وانا هناك بقوة الحملة الاعلامية ضد العراق والأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية، وكانت أكثر مما توقعت. والسبب في ذلك ليس اللوبي الصهيوني، بل ان اخواننا المصريين والسوريين والسعوديين كانوا هم الذين يقومون للأسف الشديد بهذه الحملة. لقد قلت للرئيس بوش لماذا تدافعون عن هذا الشيخ أو ذلك. فهم ليسوا ديموقراطيين بل متخلفين، ودائما كنتم تهاجمونهم. فقال هل نترك النفط في يد صدام حسين. إن 20٪ من احتياطي العالم بيده، وهذا سيؤثر على مستوى معيشتنا. وصناعتنا مربوطة بالنفط. ولقد قلت له أيضا لا يغرنكم سكوت الشارع العربي الآن، لكنه حتما سينفجر. . . كنت في الماضي أدخل على الرئيس الأمريكي فيدخل بعدي الاسرائيلي لمسح آثاري. أما الآن فيدخل العرب لنفس الهدف والغرض». [59]

ويستمر الملك حسين في حديثه الذي امتد ثلاث ساعات ونصف فيقول عندما زرت الشيخ جابر أمير الكويت، قبل دخول العراق الكويت بفترة، وبحثت معه الموقف الاقتصادي الأردني أجاب بقوله : ***طالما أنتم لستم دولة نفطية، لماذا فتحتم الطرق، وأقمتم شبكات التليفون والجامعات إلخ***. فقلت له نحن غلطانين والحق علينا، اننا لم نراجعكم في هذا الموضوع . . . أما الملك فهد، فكان يقول لنا عندما نفاتحه بأزمتنا الاقتصادية. ***ان شاء الله يصير خير***. لدرجة أننا كنا نضحك من هذا الكلام».

وعن مؤتمر القمة العربية الذي عقد بالقاهرة يوم 10/8/90، يقول الملك حسين». لقد فوجئت بأن الهدف من الاعداد للقمة العربية كان لتسهيل التدخل الأجنبي. وهو شيء معد له في واشنطن وينفذ هنا بأيدي سعودية وسورية ومصرية. *لقد جرنا حسني مبارك إلى منحنى وكمين، وإذا بالأمور مرتبة مع الأسد وفهد والأمريكان. لقد دفعوا بسخاء لمصر وسوريا وتركيا*».
ووصف الملك حسين الرئيس حافظ الأسد بتهكم بأنه المناضل الذي يقود الحملة ضد العراق. وقال عنه أنه عندما استقبل جون كيلي (مساعد وزير الخارجية الأمريكي) في دمشق قال له الأسد «كنا نحن سباقين في اتخاذ الموقف ضد العراق، عندما قطعنا أنابيب النفط العراقية».

وأكد الملك حسين بأن الأردن والعراق في خندق واحد. وان كل ما يتم حاليا يتم بالتنسيق مع العراق. وان الدبلوماسية الأردنية لعبت دورا في تقريب وجهات النظر بين إيران والعراق. وأضاف الملك قائلا «إن مصيرنا مرتبط بالعراق. فإما أن ندخل مرحلة ما بعد 1967، أو نأخذ مكاننا المناسب واللائق تحت الشمس. فنحن صامدون حتى الموت. ودول الخليج التي ليس لها شعب معها الثروة. وهذه المعركة هي معركة الشعب العربي كله».

مبادرات الملك حسين

كان الملك حسين أكثر الزعماء العرب تحسسا بالخطر الذي يهدد العرب جميعا إذا ما انفجرت هذه الأزمة. ويرجع ذلك بصفة أساسية إلى أنه كان قد قضى في السلطة أكثر من 37 سنة. استطاع خلالها أن تكون له اتصالات جيدة مع الغالبية العظمى من زعماء العالم.[65] فعلى المستوى العربي كان مقبولا بواسطة الأنظمة المحافظة، على اعتبار أنه نظام ملكي ويرتبط بصداقة تقليدية مع أمريكا وبريطانيا وغيرها من الدول الغربية. ومع أن الكثير من النقاد العرب يصنفونه على أساس أنه ضمن فريق عرب أمريكا، إلا أنه لم يكن مرفوضا من بعض العرب التقدميين. ويرجع ذلك إلى عدة أسباب أهمها: نسبُهُ الشريف... ومواقفه العربية القومية خلال الحروب العربية الاسرائيلية أعوام 56، 67، 73... وكون الفلسطينيين يمثلون الغالبية العظمى من الشعب الأردني... وكون الأردن بلداً فقيراً موارده محدودة، وبالتالي فإن المال لم يفسد الشعب والحكام، كما فتن غيرهم وأبعدهم عن طريق الحق والصواب. *وقد أثرت كل تلك العوامل في اتجاهات الملك حسين. فهو محافظ من حيث*

الانتماء، ليبرالي من حيث الفكر، ذو ميول غربية بحكم الثقافة والتربية، يتمسك بالتقاليد العربية بحكم النشأة والبيئة التي يعيش فيها. كما وان احاطة الأردن بثلاث دول قوية - العراق في الشرق، سوريا في الشمال، اسرائيل في الغرب - فرضت على الملك حسين أن يؤيد دائما الحلول الوسطية التي يمكن أن ترضي الجميع، والتي عن طريقها يمكن تلافي التصادم. فقد كان يعلم جيدا أنه إذا ما انفجر الموقف في المنطقة، فإن الأردن شاء أو لم يشأ سيكون من ضحاياها. وانطلاقا من هذا المفهوم فقد قام الملك حسين بسلسلة من التحركات واللقاءات خلال تلك الأزمة. ورغم ان الملك حسين لم يستطع خلال مساعيه المتعددة تحقيق أي نجاح - وذلك لأن القوى التي كانت تدفع عجلة الحرب وتستعجل المجابهة، كانت أكثر منه قوة - إلا ان مساعي الملك في هذا الاتجاه تستحق التسجيل. ونذكر منها ما يلي:

1 - قام ما بين 26 فبراير 90 وحتى أول مارس 90، بزيارة الدول الخليجية بهدف تليين موقفها للاستجابة إلى المطالب العراقية.

2 - في 28 يوليو 90، سافر الملك حسين لحث الكويت على انجاح المفاوضات التي كان مقررا لها ان تنعقد في جدة في 31 يوليو. ولكنه عاد بانطباع متشائم بعد أن سمع من وزير الخارجية الكويتي ما يلي «إذا أراد صدام حسين أن يعبر الحدود فليفعل. فسوف يقوم الأمريكان بارغامه عن الخروج»[61].

3 - في 31 يوليو 90، سافر الملك حسين إلى جدة ليكون على مقربة من المفاوضات. وعاد إلى عمان أول أغسطس بعد أن شهد فشلها[62].

4 - في صباح يوم 2 أغسطس اتصل بصدام حسين، وأخذ منه وعدا بالانسحاب، ثم سافر إلى الاسكندرية بعد ظهر نفس اليوم، واتفق مع حسني مبارك على عقد قمة مصغرة في القاهرة أو الرياض يوم السبت 4 أغسطس، وعلى ألا تصدر أية إدانة عربية للعراق حتى لايعرض ذلك اجتماع يوم السبت للفشل. وفي أثناء تواجده بالاسكندرية اتصل بالرئيس الأمريكي بوش وأبلغه بما تم الاتفاق عليه مع حسني مبارك، وطلب من بوش ألا يمارس ضغوطا على الدول العربية لدفعها الى إدانة العراق، حيث أن ذلك سيهدد جهوده بالفشل. وطلب من بوش إعطاءه مهلة 48 ساعة لحل تلك الأزمة.

فوافق بوش الذي تلقى هذه المكالمة وهو في الطائرة في طريقه إلى كولورادو. [63] وعاد الملك حسين إلى عمان في مساء نفس اليوم. وفي صباح يوم 3 أغسطس وقبل أن يقلع إلى بغداد اتصل مرة أخرى بحسني مبارك وعلم منه أن ليس من المحتمل أن تحضر الكويت مؤتمر يوم السبت، وأن الحضور سيقتصر على مصر والسعودية والأردن واليمن والعراق. وفي بغداد حصل الملك حسين من صدام حسين على إجابة صريحة عن سؤالين محددين. السؤال الأول هو: هل ستحضر مؤتمر القمة باكر. وكانت الاجابة نعم. وكان السؤال الثاني هو: هل ستترك الكويت. فكانت الاجابة نعم إذا أمكن حل المشاكل المعلقة بيننا وبين الامارة، ولكنني لا أريد أن أتفاوض مع أي من عائلة الصباح. وأفضل أن يكون الحوار مع الملك فهد، فالعلاقة بيني وبينه كانت دائما جيدة. وعاد الملك حسين إلى عمان في الساعة 1400، وهو يكاد يطير فرحا بأن الأزمة قد حلت أو كادت أن تحل. [64] ولكنه فوجيء بما لم يكن يتوقعه. ففي خلال الساعات القليلة التي غابها عن عمان، كانت وزارة الخارجية المصرية قد أصدرت بيانا تدين فيه العراق. اتصل الملك فورا بحسني مبارك وسأله عن السبب الذي دفعه إلى الخروج على ما اتفقا عليه لاعطاء الفرصة لنجاح مؤتمر باكر، فأورى بأنه كان تحت ضغط شديد من وسائل الاعلام ومن الشعب. *ولكن السبب الحقيقي لتبدل موقف حسني مبارك كان كما يقول* ***Salinger*** *، هو تلك البرقية التي وصلت من أمريكا إلى وزير الخارجية المصري والتي كانت تقول «لقد قام الغرب بواجبه ولكن الدول العربية لم تفعل شيئا. لقد أمدت أمريكا الدول العربية ولا سيما مصر بكميات كبيرة من الأسلحة. فإذا لم تتخذ تلك الدول موقفا حازما مساندا للكويت، فعلى تلك الدول أن تعلم جيدا بأنها لن تستطيع الاعتماد على أمريكا في المستقبل»*. ورغم أن كلا من مصر وأمريكا تنفيان رسميا إرسال تلك البرقية، فإن سالينجر يؤكد أنها أرسلت.. وان مصدرا مصريا رسميا رفيع المستوى اعترف له بأنه اطلع بنفسه على تلك البرقية. [65] والذي لم يعرفه الملك حسين حينئذ، وربما لم يكن يعرفه حسني مبارك أيضا، هو أن الرئيس الأمريكي بوش كان قد حصل مساء يوم 2 أغسطس. على موافقة

الملك فهد بالتدخل العسكري الأمريكي، بعد أن أوهمه بأن العراق ينوي الهجوم على السعودية. وهكذا نجحت أمريكا والسعودية والكويت ومصر، في نسف الجهود التي كان يقوم بها الملك حسين للتوصل إلى حل سلمي. ويفسر ذلك السبب الذي دعا السعودية الى عدم الترحيب بزيارة الملك حسين إلى الرياض، قبل توجهه إلى بغداد صباح يوم 3 أغسطس.

5 ـ ولم يفت هذا الفشل من عزيمة الملك حسين، فقام بعدة رحلات الى أوروبا وأمريكا. ولكن جهوده التي كانت تدعو الى البحث عن حل سلمي للمشكلة، كانت جميعها تتحطم على صخرة الاصرار على دفع الأحداث الى الحد الذي يتيح للقوى الصليبية بأن تدمر القوات المسلحة العراقية. وشملت زيارة الملك حسين الرحلات التالية:

أ ـ اللقاء مع صدام حسين يوم 8/13، قبل أن يبدأ رحلته إلى أمريكا يوم 14، حيث قابل الرئيس الأمريكي بوش يوم 16 أغسطس في مهجعه الريفي في Kennebunkport, Maine.

ب ـ في الفترة بين 23 ـ 29 أغسطس، زار كلا من اليمن، السودان، ليبيا، تونس، الجزائر، موريتانيا، المغرب.

جـ ـ في الفترة من 30 أغسطس ـ 5 سبتمبر، زار كلا من إسبانيا، المملكة المتحدة، ألمانيا، فرنسا، إيطاليا.

د ـ في 9/19، عقد جلالة الملك الحسن الثاني في الرباط اجتماعا حضره الرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد، والملك حسين.

هـ ـ في الفترة من 10/31 حتى 90/11/2، زار سلطنة عمان حيث بحث الموقف مع السلطان قابوس.

و ـ في الفترة من 4 ـ 6 نوفمبر، زار فرنسا وسويسرا حيث قابل ميتران في باريس، المسز ثاتشر في جنيف.

ز ـ الرئيس الأمريكي بوش يلغي اجتماعا كان مقررا أن يعقده مع الملك حسين يوم 91/11/20 خلال رحلته إلى منطقة الشرق الأوسط. وأعلنت أمريكا يوم 11/19 أن سبب الالغاء هو نشوء أسباب لا تسمح بالاجتماع.

ح - وفي 2 يناير 91، بدأ الملك رحلة جديدة إلى أوروبا زار خلالها لندن وروما، وباريس وبون، ولوكسمبورج، في محاولة أخيرة لايجاد حل سلمي قبل أن ينتهي الأجل المحدد في قرار مجلس الأمن 678، واستمرت الرحلة حتى 10 يناير.

ط - وفي 6 فبراير 91، ألقى الملك حسين خطابا عبر التليفزيون الأردني، اتهم فيه كل البلاد المتحالفة بأنهم يريدون تدمير العراق. ووصف هذا النزاع بأنه حرب ضد كل العرب وضد كل المسلمين، بهدف إعادة رسم الخريطة ووضع الدول العربية تحت السيطرة الأجنبية. وفي هذا الخطاب الذي أسماه صرخة عربي هاشمي، طالب بوقف إطلاق النار في تلك الحرب المدمرة.

موقف النظام المصري

تبعية القرار المصري

يحاول الرئيس حسني مبارك أن ينفي تبعية القرار المصري للقرار الأمريكي. مع أن كل القرائن تصرخ مؤكدة هذه التبعية. وإليه وإلى كل من يتشكك في هذه التبعية نسوق الأحداث التالية :

1 - استقبل حسني مبارك وزير الدفاع الأمريكي ديك تشيني يوم 7 أغسطس. وكانت مهمة تشيني كما سبق أن أوضحنا هي اقناع بعض الدول العربية وفي مقدمتها مصر بارسال قوات عسكرية إلى السعودية، لاعطاء التدخل العسكري الأمريكي الشرعية التي يبحث عنها. وقد انتشر خبر بين رجال الاعلام أن مصر قد أرسلت فعلا قوات عسكرية إلى السعودية (أي قبل انعقاد مؤتمر القاهرة بحوالي 48 ساعة). وفي صباح يوم 8 أغسطس قال حسني مبارك في مؤتمر صحفي، أن مصر لم ترسل أي قوات مصرية الى السعودية. ولكنه أضاف - لكي يحفظ لنفسه خط الرجعة - بأنه لا يستبعد أن تشارك مصر بقوات ضمن قوة متعددة الجنسيات، تشارك فيها دول عربية، وذلك من أجل الدفاع عن السعودية. كان هذا الحديث قبل أن يعرف العالم بالقرار الذي أعلنه الرئيس الأمريكي الساعة 1300 جرينيتش يوم 8 أغسطس، بأنه قرر إرسال قوات أمريكية للدفاع عن السعودية ضد هجوم عراقي محتمل، وأن هذه القوات في طريقها الآن وعلى وشك الوصول إلى السعودية. ***وفي رده على أسئلة الصحفيين قال بوش أنه تم التشاور قبل إرسال تلك القوات مع كل من الملك فهد ملك السعودية، والملك الحسن الثاني ملك المغرب، والرئيس المصري حسني مبارك.*** وفي نفس يوم 8 أغسطس وصل إلى القاهرة الأمير سعود الفيصل وزير خارجية السعودية وأعلن في مؤتمر صحفي، بأن مصر ستقوم بارسال قوات مصرية الى السعودية، وكان ذلك قبل صدور قرار مؤتمر القمة العربي في القاهرة بـ 48 ساعة. كما وأن وسائل الاعلام المأذونة أعلنت عن وصول القوات المصرية الى السعودية، بعد ساعات قليلة من انتهاء مؤتمر قمة القاهرة. . . مما يؤكد أن هذه القوات كان

لديها أمر إنذاري مسبق بالاستعداد للتحرك، وان جميع الاجراءات العسكرية والسياسية قد تم اتخاذها ولم يبق سوى انتظار الأمر النهائي بركوب الطائرات، وذلك كجزء من عملية الأخراج. وذلك إذا افترضنا صحة ما أعلنه حسني مبارك بأن القوات المصرية الخفيفة وعناصر الاستطلاع والمقدمة لم تصل الى السعودية قبل يوم 8 أغسطس. فالتحركات العسكرية تحتاج إلى وقت للتحضير، ويزداد هذا الوقت كلما زاد حجم القوات المطلوب تحركها، وكلما كانت هذه القوات مسلحة تسليحا ثقيلا. وللتذكرة فإن بوش اتخذ القرار السياسي بتحرك القوات الأمريكية الى السعودية مساء يوم 2 أغسطس، في حين أن اقلاع القوات من أمريكا قد بدأ في الساعة 00 17 يوم 6 أغسطس بتوقيت أمريكا (حوالي أربعة أيام بعد اتخاذ القرار). أفلا يدل كل ذلك على أن مصر كانت تعلم مسبقا أن بوش قد قرر إرسال قوات أمريكية إلى السعودية . . . وأن هذا القرار قد حظى بموافقة حسني مبارك . . . وأنه تم الاتفاق معه ومع آخرين على إرسال قوات مصرية وعربية وإسلامية الى السعودية، لاعطاء الغطاء للتدخل الأمريكي. تماما كما اعترف به الرئيس الأمريكي فيما بعد في الحديث الذي نشرته مجلة TIME الأمريكية في 7 يناير 91. وتماما كما قال الملك حسين في حديثه المغلق مع رجال الصحافة والاعلام بعد عودته من رحلته الى واشنطن. والذي نشرته صحيفة الشروق التونسية، يوم 90/8/25.

2 - وفي رده على سؤال وجه إليه يوم 90/8/28، بأن هناك ضغوطا على مصر لارسال قوات أخرى إلى السعودية قال مبارك «أنا لا أقبل ضغطا من أي أحد. وأنا بطبعي لا أقبل أي ضغوط. إذا كان هناك مصلحة لحماية دولة شقيقة، فلن أمتنع عن ارسال قوات. وسأعلن ذلك على العالم.» ولكن كل الأحداث تؤكد عدم مصداقية هذا القول. وهذه هي بعض تلك الأحداث.

أ - ***قرار إرسال القوات المصرية الى السعودية - والذي يحاول أن يختفي وراء قرار مؤتمر قمة القاهرة يوم 10 أغسطس 90، جاء في أعقاب لقاء وزير الدفاع الأمريكي ديك تشيني لحسني مبارك يوم 7 أغسطس 90***. وكان الطلب الأمريكي حينئذ هو إرسال قوة رمزية في حدود حوالي 000 5 جندي. لاعطاء الشرعية للتدخل العسكري الأمريكي.

ب - ***قرار حسني مبارك بارسال فرقة مشاة ميكانيكية (الفرقة الثالثة)، والذي أعلن عنه يوم 13 سبتمبر، جاء في أعقاب زيارة وزير الخارجية الأمريكي Baker للقاهرة ودمشق*** (حافظ الأسد هو الآخر أعلن في نفس اليوم أنه سيقوم بارسال فرقة مدرعة إلى السعودية). والأكثر من ذلك، فإن بريطانيا أيضا أعلنت يوم 14 سبتمبر بأنها قررت الاستجابة لطلب أمريكا. بأن ترسل قوات إضافية إلى منطقة الخليج تشمل سرب تورنادو + اللواء السابع المدرع، وان هذه القوات سوف تسحب من قواتها التي تتمركز في ألمانيا ضمن قوات حلف الأطلسي. [66] وفي يوم 15 سبتمبر أعلنت فرنسا هي الأخرى بأنها قررت ارسال لواء مدرع خفيف إلى الخليج. فهل كان قرار مصر وسوريا وبريطانيا وفرنسا في وقت واحد، هو مجرد توارد خواطر؟ أم أن هناك زعامة سياسية دولية معترف بها بواسطة كل تلك الدول، وهي التي تصدر التعليمات وتغلفها في منديل من الحرير لتسمح لكل طرف أن يدعي بأنه هو صاحب القرار؟... هذا مع ملاحظة أن بريطانيا هي الدولة الوحيدة التي اعترفت في بيانها، بأنها قررت إرسال تلك القوات استجابة لطلب من أمريكا. فكانت أكثر الدول مصداقية بينها وبين نفسها، وبينها وبين كل من يقرأ أو يسمع ويعي ما يقرأه وما يسمعه !!.

ج - في يوم 90/11/6 وصل بيكر الى القاهرة قادما من السعودية، وبحث مع الرئيس المصري عددا من القضايا في مقدمتها أزمة الخليج كما قالت البيانات الرسمية. ***وفي يوم 8 نوفمبر أعلن بوش قراره بمضاعفة القوات الأمريكية تمهيدا لشن هجوم على العراق إذا لم ينسحب من العراق. وفي نفس اليوم كانت صحيفة النيويورك تايمز تنشر حديثا أجرته مع الرئيس المصري. (أغلب الظن أنه أجرى يوم 6 أو 7 نوفمبر)، يقول فيه أنه قرر مضاعفة القوات المصرية في السعودية***، وانه سوف يرسل قوات إضافية أخرى تقدر بحوالي 000 7 فرد، 400 دبابة (أخطأ حسني مبارك في تقدير الأرقام حيث أن الفرقة الرابعة المدرعة التي أرسلت بعد إصداره هذا التصريح قوامها حوالي 00 150 ضابط وجندي، وحوالي 250 دبابة). [67]

وفي يوم 18 ديسمبر 90 أبحرت الفرقة الرابعة المدرعة المصرية من مصر في اتجاه السعودية. ***فهل كان قرار حسني مبارك بمضاعفة القوات المصرية في السعودية وارسال الفرقة الرابعة المدرعة، في نفس الوقت الذي قرر فيه بوش مضاعفة القوات الأمريكية في السعودية، مجرد توارد خواطر بين الرئيس المصري وبين الرئيس الأمريكي؟*** وهل قرار الحكومة البريطانية يوم 90/11/10 بمضاعفة قواتها البرية لتصبح فرقة مدرعة بعد أن كانت لواءا مدرعا واحدا، هو أيضا توارد خواطر؟ وهل إعلان الحكومة الفرنسية يوم 90/12/12، قرارها بمضاعفة قواتها البرية لتصبح فرقة مدرعة خفيفة، هو أيضا توارد خواطر؟ أم أن الرئيس الأمريكي بصفته القائد السياسي والعسكري لدول التحالف هو الذي يتخذ القرار، وهو الذي يوزع الأعباء على الدول الأعضاء؟ [66]

4 - في 90/11/21 وصل الرئيس الأمريكي الى السعودية حيث قابل الملك فهد، وقضى عيد الشكر الأمريكي مع الجنود الأمريكان في السعودية. وفي اليوم التالي وصل الى القاهرة. وكانت كل وسائل الاعلام العالمية تتحدث أثناء رحلته إلى أوروبا وإلى منطقة الشرق الأوسط، أن بوش يسعى للحصول على قرار يخول له استخدام القوة العسكرية ضد العراق، بعد أن كان قد أعلن قراره يوم 8 نوفمبر بمضاعفة القوات الأمريكية في المنطقة تمهيدا لشن هجوم على العراق.
وفي المؤتمر الصحفي الذي عقد في نهاية اللقاء مع بوش، قال حسني مبارك أن هناك تطابقا تاما بين سياسة مصر وسياسة أمريكا، وانه يجب الا يسمح لصدام حسين أن يجني مكاسب من عدوانه أو شراء الوقت.
وهذه هي نفس الألفاظ التي كان يستخدمها بوش في أحاديثه. وفي يوم 29 نوفمبر 1990، أصدر مجلس الأمن القرار 678 الذي يجيز استخدام القوة ضد العراق، إذا لم ينسحب العراق من الكويت ويلتزم بجميع قرارات مجلس الأمن الصادرة ضده قبل 15 يناير 1991...
ولم تكن مهلة الستة أسابيع التي حددها مجلس الأمن مابين تاريخ اصدار القرار 678 وتاريخ استخدام القوة ضد العراق، هي نتيجة مناشدة حسني مبارك للرئيس الأمريكي لاعطاء فرصة لصدام حسين

للتفكير كما حاول الاعلام المصري المأذون أن يصور ذلك. ولكن لأن هذه المدة هي الحد الأدنى التي يمكن خلالها استكمال حشد القوات الأمريكية الاضافية والتي كان يزيد عددها عن 000 250 جندي، وأكثر من 000 1 دبابة.

5 ـ عندما قرر حسني مبارك ارسال قوات مصرية إلى السعودية، فإنه أعلن أن هذه القوات أرسلت للدفاع عن السعودية... وهذا هو نفس ما كان يدعيه بوش. وعندما تغير موقف الرئيس الأمريكي إلى ضرورة استخدام القوة لارغام صدام حسين على الانسحاب من الكويت، أصبحت تصريحات الرئيس المصري تتطابق مع هذا الاتجاه... مما يؤكد تبعية القرار المصري.

6 ـ قال حسني مبارك في أول الأمر أن القوات المصرية لن توضع تحت القيادة الأمريكية، وأنها قد وضعت تحت القيادة السعودية، مع أنه يعلم تماما أن القيادة السعودية هي في الحقيقة والواقع تخضع خضوعا كاملا للقيادة الأمريكية. ومع ذلك حتى لو تغاضينا عن المضمون وتمسكنا فقط بالشكل، فقد تم الاتفاق بين السعودية وأمريكا يوم 6 نوفمبر 90، بعد لقاء بين بيكر Baker وزير الخارجية الأمريكي والملك فهد استمر 6 ساعات... على أن تكون القيادة مشتركة (أمريكية / سعودية) طالما كانت القوات الأمريكية والحليفة تعمل داخل الحدود السعودية. ومن المعلوم أن القوات المصرية اجتازت الحدود السعودية ودخلت الأراضي الكويتية يوم 91/2/24، وبالتالي فإنها كانت تحت القيادة الأمريكية الكاملة خلال فترة الهجوم البري الذي شنته القوات البرية الأمريكية والمصرية ضد القوات العراقية، سواء ما كان منها داخل العراق أو ماكان منها داخل الكويت. فتحت أي قيادة كانت تعمل القوات المصرية خلال تلك الفترة؟

7 ـ في الخطاب السري الذي أرسله سفير الكويت في بروكسل إلى وكيل وزارة الخارجية الكويتية، يوم 31 يوليو 90، والذي كان يشرح فيه نتيجة لقائه مع المبعوث الأمريكي الذي كان يقوم بجولة أوروبية، لبحث وضع الترتيبات الخاصة بالمقترحات التي قدمها أمير الكويت إلى

الادارة الأمريكية بتاريخ 26 يوليو 90 جاء فيه أنه فهم من المبعوث الأمريكي أن أمريكا قد اتفقت مع حسني مبارك على أن يمارس ضغطه على العراق من خلال مجلس التعاون الخليجي، لايقاف أي تعاون أو تأييد للعراق إذا ما فكر صدام حسين في استخدام القوة ضد الكويت. وهذا يؤكد أن التبعية في تسيير السياسة الخارجية المصرية كانت سابقة لعملية الغزو العراقي للكويت.

8 - وعندما تقدم الرئيس الفرنسي بمبادرته أمام الأمم المتحدة في 90/9/24، والتي دعا فيها إلى اجراء انتخابات في الكويت إذا ما تحقق انسحاب القوات العراقية، سارع حسني مبارك بانتقاد ميتران وقال «يجب أن نصر على عودة الحكومة الشرعية إلى الكويت. ويجب الا نعطي أي شيء مسبق لصدام» وكان هذا هو نفس رأي الرئيس الأمريكي بوش.

التآمر ضد العراق

لقد شارك حسني مبارك شخصيا في التآمر ضد العراق، وفي تعبئة وسائل الاعلام المصري لتبرير إقدامه على إرسال قوات مصرية إلى السعودية، ولتشويه بعض الحقائق. وفيما يلي بعض ما نشر عن ذلك.

1 - البيان الختامي الذي عرض على مؤتمر القمة العربي الذي انعقد في القاهرة في 10 أغسطس 90، كان مكتوبا بلغة عربية غير مألوفة، مما يوحي أنه ترجمة لنسخة أصلية مكتوبة بلغة انجليزية. وقد شهد بذلك بعض رجال الصحافة الأجانب الذين يعرفون اللغة العربية. [69]

2 - أرسل حسني مبارك رسالة سرية إلى بوش في منتصف أغسطس يستعجله للقيام بضرب العراق قبل ان ينفجر الشارع المصري والعربي [70]

3 - في يوم 8 نوفمبر 1990، نشرت صحيفة نيويورك تايمز مقابلة أجرتها مع الرئيس حسني مبارك جاء فيها «إن الوقت قد حان لكي يتخذ مجلس الأمن الدولي قرارا، يسمح باستخدام القوة العسكرية ضد العراق إذا أخفقت الدبلوماسية في حل الأزمة... وتساءل عن جدوى الاستجابة لنداء الرئيس السوفيتي جورباتشوف الذي دعا فيه إلى عقد

مؤتمر قمة عربي لبحث أزمة الخليج. وقال أن مثل هذا المؤتمر لن يحقق شيئا. . . وشكك في امتلاك العراق صواريخ متوسطة أو بعيدة المدى قادرة على حمل رؤوس حربية كيماوية. . . وقال ان الذين يملكون تلك الأسلحة لا يتباهون بها. . . وقال أنه سيرسل قبل نهاية الشهر الحالي نحو 400 دبابة وسبعة آلاف جندي آخر لتعزيز القوات المصرية المرابطة في السعودية» . (71)

4 - عندما اقترح الملك الحسن الثاني يوم 11 نوفمبر عقد قمة عربية، فإن إذاعة القاهرة اعلنت أن عقد قمة عربية لا يمكن أن يتم إذا لم يعلن الرئيس العراقي صدام حسين انسحاب قواته من الكويت، وعودة الأوضاع إلى ما كانت عليه قبل 2 أغسطس 90. وقد رد العراق على اقتراح ملك المغرب بأن جدول أعمال القمة، يجب أن يتضمن طلب العراق الغاء قرارات مؤتمر قمة القاهرة يوم 10 أغسطس 90، ويجب أن يتوسع ليشمل المسائل العربية الأخرى، مع دراسة المكان والظروف التي تتيح للرئيس العراقي المشاركة في هذا الاجتماع. ونتيجة للتشدد من الطرفين فشلت الدعوة لهذا المؤتمر. (72)

5 - وعندما قام الملك الحسن الثاني يوم 11/19 بتعديل اقتراحه من مؤتمر قمة عربي إلى مؤتمر قمة مصغر، وأن ينعقد الاجتماع على أساس قرارات مجلس الأمن، فإن كلا من الرياض والقاهرة اعتبرت هذا الاجتماع مضيعة للوقت ولن يؤدي الى أي نتيجة. (73)

6 - ولعل أخطر حديث لحسني مبارك هو ذلك الذي نشرته صحيفة السياسة يوم 11/21، ونشرت صحيفة الأهرام بعض مقتطفات منه والذي يقول فيه ***وان دخول العراق للكويت له مهندسون من خارج العراق كانت تدفعهم حاجتهم للمال وظنوا أنهم كانوا يتقاسمون الغنائم. وان الأيام ستكشف أمورا كثيرة وأشياء لم نكن نتصورها. وعندما يحين الوقت فإن لدي الكثير الذي سأقوله*** . (74)

7 - في أثناء اجتماع مغلق بين الرئيس بوش ومجموعة مع أعضاء مجلس الشيوخ، أراد الرئيس الأمريكي أن يطمئنهم ويزيل تخوفاتهم من الخسائر المحتملة، فنسب إلى الرئيس مبارك أنه يقلل كثيرا من قدرات

الطيارين العراقيين. جاء ذلك في كتاب The Commanders لمؤلفه Bob Woodward الصفحة رقم 339. وحتى أشرك معي كل من يقرأ ويفهم اللغة الانجليزية، نظرا لخطورة هذا الاتهام، فإن بوش قال لهم أن حسني مبارك قال : «we trained the Iraqi pilots. They Stink». والترجمة الحرفية هي : نحن دربنا الطيارين العراقيين. إن رائحتهم كريهة. وكلمة Stink تعني الرائحة الكريهة المنتنة، وتعني أيضا سوء السمعة، والاخفاق فيما يكلف به من أعمال. وقد ضحك الجميع عند سماعهم هذا التعليق. فهل قال حسني مبارك حقا مثل هذا الكلام الى بوش ؟ وإذا كان قد قاله فما هو المعنى الذي كان يقصده بكلمة Stink ؟ وهل يجوز لحاكم عربي أو زعيم عربي أن يقول مثل هذا الكلام عن رفاق لنا في السلاح. . . قاتلوا معنا بشجاعة فائقة خلال حرب أكتوبر 73 ؟ (لقد أشدت بكفاءة الطيارين العراقيين في كتابي عن حرب أكتوبر صفحة 290).

8 - *وفي يوم 11 يناير 91، نسبت وكالات الأنباء تصريحات للرئيس حسني مبارك أدلى بها في حديث له مع شبكة التليفزيون الأمريكية CNN، أكد فيها على حق إسرائيل في الرد على أي هجوم عراقي. وتساءل حسني مبارك لماذا يشن العراق هجوما ضد إسرائيل رغم أنها ليست عضوا في التحالف الدولي الذي يواجه العراق.* [75] *وكان الرئيس حسني مبارك قد أشار في لقائه مع الكتاب والصحفيين يوم 8 يناير عقب افتتاحه معرض القاهرة الدولي للكتاب، إلى وقوف مصر ضد إسرائيل في حالة دخولها الحرب. وأشار الرئيس خلال هذا اللقاء الى عدم حق إسرائيل في التدخل ضد العراق. ويبين ذلك مدى التضارب في تصريحات الرئيس حسني مبارك. واستطرد حسني مبارك في حديثه مع الكتاب فأكد لهم عدم قدرة العراق على ضرب اسرائيل بالصواريخ لأنه لا يملك صواريخ يصل مداها الى إسرائيل. وعندما اندلعت الحرب ثبت أن المعلومة التي أكدها الرئيس المصري للكتاب والصحفيين لم تكن صحيحة !!*

موقف النظام العــراقي

ما قبل 2 أغسطــس 90

لقد انهكت الحرب العراقية الايرانية الاقتصاد العراقي. فبعد أن كان العراق يمتلك فائضا من العملات الصعبة تقدر بحوالي 37 مليار دولار قبل أن تندلع تلك الحرب، فإذا به يصبح مدينا بحوالي 80 مليار دولار عند نهايتها. وإذا كانت أمريكا والدول العربية والاتحاد السوفيتي قد أيدت العراق سياسيا في تلك الحرب، وقامت بامداده بما يحتاج إليه من سلاح متطور ومن تكنولوجيا متقدمة في مجال تطوير أسلحة ومعدات القتال. . . فإن ذلك يرجع إلى أن تلك الدول كانت ترى أن نجاح الثورة التي قادها الامام آية الله الخميني في إيران، واحتمال تصديرها الى باقي الدول الاسلامية هي التي تشكل الخطر الذي يمكن أن يتصدى للسيطرة والنفوذ الأجنبي في جميع الدول الاسلامية. وإذا كانت الدول الخليجية قد أمدت العراق خلال تلك الحرب بالمال الذي يقدر بحوالي 40 مليار دولار، فإن ذلك يرجع إلى كونها كانت تشعر بأنها سوف تكون الضحية الأولى إذا نجحت إيران في تصدير أفكار الثورة ومبادئها إلى تلك الدول. والحقيقة المرة هي أن مساعدات وتأييد الدول الأجنبية والدول الخليجية وغيرها من الدول الاسلامية للعراق في حربه ضد إيران لم تكن حبا في العراق. بل كانت كراهية في إيران. فقد كان البعض منها يكره أن تسود أحكام الشريعة الاسلامية في الدول الاسلامية إذا نجحت الثورة الايرانية في تصدير أفكارها ومبادئها. فتسقط الكثير من الأنظمة الحاكمة في الدول العربية والاسلامية. وكان البعض الآخر- ويتمثل أساسا في الدول الأجنبية - يقف ضد إيران من منطلق العداء المطلق للاسلام والمسلمين.

وسواء غابت هذه الحقائق عن صدام حسين أو لم تغب عنه. . . وسواء كان الفكر الباطني لصدام حسين، هو أن يستغل لهفة الغرب لضرب الثورة الايرانية من أجل أن يحصل منهم على الأسلحة المتطورة والتكنولوجيا التي لم يكن من الممكن الحصول عليها في الظروف العادية. وبالتالي يستطيع بناء قوات مسلحة عراقية قوية، يمكن أن يستخدمها في المراحل التالية ضد النفوذ الأجنبي وإقامة نواة للوحدة العربية. . . فإنه من المؤكد أن صدام حسين قد تكشفت له كل

الحقائق بعد أن وضعت الحرب أوزارها في 20 أغسطس 1988 . فإذا كان العراق لم ينتصر في حربه ضد إيران، فإنه قد حقق خلال تلك الحرب عدة انتصارات عسكرية تكتيكية. أكسبت قواته خبرات قتالية ميدانية لا تقدر بثمن، كما أنه خرج من تلك الحرب ولديه قوات مسلحة ضخمة من حيث العدد وكثافة التسليح والتطور التكنولوجي في جميع المجالات، بما فيها مجال تطوير الأسلحة ذات التدمير الشامل. ومثل هذه النتائج لا يمكن أن ترضى عنها أمريكا والدول الخليجية، التي كانت تساعد العراق في حربه ضد إيران. وبالتالي انقلب أصدقاء الأمس إلى أعداء. وأصبح هدفهم الأول والعاجل هو تدمير القوات المسلحة العراقية. وكانت وسيلتهم في ذلك هي إعلان الحرب الاقتصادية على العراق، كما سبق أن أسلفنا.

وبصرف النظر عن الاطماع والحقوق التاريخية للعراق في الكويت، فقد كانت الأهداف العاجلة التي يريد صدام حسين أن يحققها للخروج بالعراق من الأزمة الاقتصادية الخانقة التي يعاني منها بعد الحرب، هي كما يلي :

1 ـ أن يتم رسم الحدود بينه وبين الكويت على أساس أن يدخل حقل الرميلة الغني بالنفط ضمن الحدود العراقية، وبذلك تزداد ثروة العراق النفطية.

2 ـ أن يستأجر العراق من الكويت جزيرتي وربة، بوبيان لمدة طويلة، وبذلك يصبح له منفذ على الخليج يتحاشى شط العرب الذي لا يمكن تأمينه في حالة الحرب مع إيران.

3 ـ أن تتنازل السعودية والكويت والامارات العربية عن الديون التي أمدت بها العراق خلال حربه مع إيران، والتي تقدر بحوالي 40 مليار دولار، على أساس أن حرب العراق ضد إيران كانت للدفاع عن العرب بصفة عامة، وضد سيطرة إيران أو تصدير ثورتها إلى دول الخليج بصفة خاصة.

4 ـ أن تلتزم الدول الخليجية بالحصص المخصصة لها بواسطة منظمة الأوبك وتتوقف عن أي ضخ زائد حتى يرتفع سعر النفط إلى 25 دولار للبرميل. أو بمعنى آخر تتوقف عن شن الحرب الاقتصادية ضد العراق.

5 - ان تقوم الدول الخليجية بامداد العراق بقرض جديد قيمته 30 مليار دولار، لاعادة بناء اقتصاده الذي دمرته الحرب. ويمكن قبول 10 مليار دولار كدفعة أولى من هذا القرض.

وقد قام صدام حسين بالافصاح عن تلك الأهداف في جميع اللقاءات والخطب التي ألقاها خلال عام 1990. كان يقول بعضها أحيانا في اللقاءات المغلقة... وكان يقول بعضها في الخطب والمذكرات العلنية. وكان يركز أحيانا على هدف معين ويعطيه الأسبقية على الأهداف الأخرى. ولكن من المؤكد ان جميع الزعماء الذين كان لهم علاقة بهذه الأزمة قد سمعوا منه أو عن طريق طرف ثالث، بهذه المطالب قبل أن تنطلق الرصاصة الأولى في تلك الحرب. ونذكر من هؤلاء الزعماء ما يلي :

1 - الملك حسين والرئيس حسني مبارك والرئيس علي عبد الله صالح أثناء اجتماعهم في عمان في 23 فبراير 90، احتفالا بالذكرى الأولى لانشاء مجلس التعاون العربي.

2 - زعماء دول الخليج أثناء زيارة الملك حسين لهم ما بين 28 فبراير - أول مارس 90.

3 - جميع الملوك والرؤساء الذين حضروا مؤتمر القمة العربي في بغداد في 28 مايو 90.

4 - الملك فهد وشيوخ الدول الخليجية أثناء الزيارة، التي قام بها سعدون حمادي لتلك الدول في أواخر شهر يونيو 90. [76]

5 - وفود الدول العربية التي شاركت في اجتماع القمة العربي الذي انعقد في تونس في 16 يوليو 1990.

6 - الخطاب العلني الذي ألقاه صدام حسين يوم 17 يوليو 90، بمناسبة عيد الجيش والذي كان ينقل على الهواء مباشرة بالاذاعة والتليفزيون.

7 - اللقاء الذي تم بين صدام حسين، والسيدة ابريل جلاسبي April Glaspie سفيرة الولايات المتحدة في العراق يوم 25 يوليو 90.

8 - الزعماء السعوديون الذين حضروا اللقاء بين السيد عزت ابراهيم نائب رئيس الجمهورية العراقية والشيخ سعد العبد الله الصباح ولي العهد الكويتي في جدة في 1990/7/31.

وقد كان من الممكن تلافي تلك الحرب. بل ان تلافيها كان قد أصبح يوم 31 يوليو 90، قاب قوسين أو أدنى، بعد أن تم الاتفاق على أن تقوم الكويت بدفع 9 مليار دولار، وتقوم السعودية بدفع 1 مليار دولار للعراق. ولكن الكويت أرادت بعد التوصل الى هذا الاتفاق أن تربط بين تنفيذه وبين رسم الحدود بين الكويت والعراق... رسم الحدود على أساس ماهو قائم وليس على أساس ادخال حقل الرميلة ضمن الحدود العراقية. وقد رفض العراق ذلك، وعاد إلى العراق يوم أول أغسطس ليبدأ الغزو العراقي للكويت في اليوم التالي مباشرة.[77]

تضارب أقوال صدام ومبارك

يقول حسني مبارك أن صدام حسين قال له عندما التقى به في بغداد في 90/7/24 أنه لن يستخدم القوة العسكرية ضد الكويت. ويقول صدام حسين أنه قال لحسني مبارك أنه لن يستخدم القوة العسكرية ضد الكويت طالما استمرت المفاوضات جارية بين الطرفين، بهدف التوصل إلى حل سلمي للمشكلة. ولكن حسني مبارك أبلغ أمير الكويت بالجزء الأول من وعد صدام بألا يستخدم القوة، ولم يذكر لهم الجزء الثاني المتصل بالجزء الأول وهو... طالما استمرت المفاوضات جارية بين الطرفين بهدف التوصل الى حل سلمي للمشكلة... وبذلك أعطى الكويتيين انطباعا خاطئا بأن صدام حسين لن يفعل شيئا إذا لم يقدموا له أي تنازلات أثناء المفاوضات.[78]

ونظرا لعدم وجود شهود عدل يمكن أن نطمئن اليهم، فليس أمامنا الا أن نلجأ الى القرائن والعقل والمنطق. وكلها تؤكد أن ما قاله صدام حسين يحتمل الصدق أكثر... وذلك على أساس أن صدام حسين قد أظهر نيته بذلك في مناسبات أخرى بطريقة أكثر علانية، نذكر منها مايلي :

1 - في 23 فبراير 90، وأثناء الاحتفال في عمان بمرور عام على مرور مجلس التعاون العربي، والذي حضره كل من الملك حسين، والرئيس حسني مبارك، والرئيس صدام حسين، والرئيس عبد الله صالح... هاجم صدام حسين أمريكا، وهاجم الزعماء العرب الجبناء ـ حسب وصف صدام حسين ـ الذين يعتقدون أن أمريكا هي التي تقرر وما عليهم إلا الطاعة والتنفيذ. وقد أغضب ذلك حسني مبارك مما دفعه إلى

الانسحاب من القاعة هو والوفد المرافق له. وفي محاولة منه لاحتواء الموقف، قام الملك حسين بجمع كل من الرئيس صدام والرئيس حسني مبارك في لقاء مغلق حيث قال صدام أمام الاثنين «لقد استدنت 30 مليار دولار من السعودية والكويت ودولة الامارات أثناء الحرب ضد إيران (صدام حسين هنا لا يعترف الا بالمبلغ الذي وصله فعلا في حين أن الدين بفوائده كان قد بلغ حوالي 40 مليار دولار). وإذا لم يقوموا بالغاء هذا الدين ويعطوني 30 مليار دولار أخرى فسوف أنتقم»[79].

2 - قام الملك حسين برحلة الى دول الخليج ابتداء من 26 فبراير وحتى 1 مارس 90. ولاشك أنه قام بتوضيح موقف صدام حسين ونقل إلى زعماء هذه الدول ما قاله صدام حسين والتي يشمل التهديد بالانتقام.

3 - في أثناء اجتماع مؤتمر القمة العربي الذي عقد في بغداد في 28 مايو 1990، قال صدام حسين في اجتماع مغلق ضم فقط رؤساء الدول «الحرب يا اخواني لا تعني فقط استخدام الدبابات والمدفعية والطائرات والسفن الحربية. بل انها يمكن أن تكون بوسائل أخرى لتدمير اقتصاد الدولة، مثل الانتاج الزائد من النفط. ان بعض الدول الخليجية يضخون كميات كبيرة من النفط بهدف خفض سعر البترول. وكل انخفاض في سعر برميل النفط بقيمة 1 دولار، فإنه يعني خسارة للعراق تقدر بـ 1 000 مليون دولار في السنة. إنهم يشنون حربا اقتصادية ضد العراق». واستطرد صدام في الحديث فطالب بالتزام الدول الخليجية بعدم تجاوز الحصص المخصصة لها في ضخ البترول حتى يمكن أن ترتفع أسعار النفط... كما طالبها بشطب الديون التي استدانها العراق منها أثناء الحرب، مع إعطائه 10 مليار دولار أخرى الآن من أجل اصلاح اقتصاده، الذي أنهكته الحرب مع إيران طوال 8 سنوات من أجل الدفاع عن العرب. لقد قال صدام حسين كل ذلك في حضور 21 شاهداً ومن الصعب انكاره. وهذا القول يحمل في طياته التهديد باستخدام القوة إذا لم يحصل على مايريد - أو على الجزء الأكبر منه - بواسطة المفاوضات والوسائل السلمية.

4 - في يوم 16 يوليو 90، عقد مؤتمر قمة عربي في تونس لم يحضره كثير من الملوك والرؤساء من بينهم، الملك فهد والرئيس حسني مبارك والرئيس صدام حسين. وقد حضر طارق عزيز مندوبا عن العراق. وفي صباح يوم 17 يوليو قام طارق عزيز بتسليم مذكرة للسيد الشاذلي القليبي السكرتير العام للجامعة العربية، وطلب منه تعميمها على جميع الوفود. وعندما قرأ الشاذلي القليبي المذكرة أصابته الدهشة من قسوة الألفاظ حتى أنه اعتبرها بمثابة إعلان حرب ضد الكويت. كانت المذكرة تتهم الكويت بسرقة بترول من الأراضي العراقية تقدر بـ 400 2 مليون دولار، وكانت تتهم الكويت ودولة الامارات العربية بأنهم عملاء للاستعمار والصهيونية، وأنهم يعملون ضد مصلحة الشعب العربي. وقد حاول القليبي أن يتصل بصدام حسين ولكن صدام حسين كان في ذلك الوقت يلقى خطابا بمناسبة عيد الجيش. وقد جاء في خطابه نفس الاتهامات والتهديدات التي وردت في المذكرة. واضطر الشاذلي القليبي أن يقوم بتوزيع المذكرة العراقية.

5 - وفي 25 يوليو 90، استدعى صدام حسين السيدة أبريل جلاسبي April Glaspie التي تعمل سفيرة للولايات المتحدة في العراق. وكانت هذه هي المرة الأولى التي تلتقي فيها بالرئيس العراقي. وقد قيل الكثير حول تلك المقابلة التي حضرها أيضا طارق عزيز. وقد حصلت شبكة أنباء ABC الأمريكية على محضر هذه الجلسة. (**) وفي هذا اللقاء يقول صدام حسين «ان من يتعمدون خفض أسعار النفط هم في الحقيقة يشنون الحرب ضدنا، فالحرب تسيل الدماء أما الحرب الاقتصادية فهي تهدف إلى تدمير انسانية البشر. ونحن لا نقبل من أي أحد أن يجرح كبرياء العراق أو يعتدي على حقه في أن يعيش في المستوى اللائق. نحن لا نفهم لماذا تشجعون بعض دول الخليج للاضرار بنا. نحن نعلم أنكم تستطيعون الحاق الأذى بنا. ولكننا أيضا نستطيع أن نلحق الأذى بكم. تستطيعون الوصول الى العراق بطائراتكم وصواريخكم. ولكن لا تدفعونا الى النقطة التي لا نشعر بعدها بالاهتمام بما يمكن أن يحدث لنا. *فعندما نشعر بأنكم تريدون جرح كبريائنا وحرمان الشعب العراقي من حقه في أن يعيش في المستوى اللائق، فإننا سنختار الموت*

لا من الحياة. ولا يهمنا بعد ذلك أن يسقط علينا 100 صاروخ كم في مقابل كل صاروخ نطلقه عليكم. فلا قيمة للحياة بدون كرامة وكبرياء. إننا لا نستطيع أن نصل اليكم في الولايات المتحدة بكامل قواتنا. ولكن بعض الأفراد العرب يستطيعون الوصول اليكم. [81]

إن قرار الرئيس الأمريكي بتجميد الحوار مع منظمة التحرير الفلسطينية هو قرار خاطىء، وسوف نستمر في وصفه بأنه قرار خاطىء. إنكم تساندون المغتصب (إسرائيل) بجميع الوسائل اقتصاديا وسياسيا وعسكريا وإعلاميا. فمتى يمكن لأمريكا أن توازن بين حقوق الانسان بالنسبة لـ 200 مليون عربي، وبين حقوق الانسان لـ 3 مليون إسرائيلي. إننا نرفض الاعتداء المسلح من أي طرف سواء، جاء هذا الاعتداء من أمريكا أو الكويت أو الامارات العربية أو اسرائيل. مع العلم بأنني لا أضع الكويت والامارات العربية في نفس المستوى الذي أضع فيه إسرائيل. فاسرائيل سرقت الأرض العربية، وساعدتها وتساعدها الولايات المتحدة في ذلك. أما الكويت والامارات العربية فإنهما بمحاولتهما إضعاف العراق، فإنهما يقومان بمساعدة العدو. وحينئذ يكون من حق العراق أن يدافع عن نفسه» [82].

ثم تكلمت بعد ذلك السيدة أبريل جلاسي، فقالت أنها لاتستطيع أن ترد بالنيابة عن حكومتها عن الكثير من النقاط التي أثيرت في هذا اللقاء. ولكنها ستقوم بالتعليق على نقطتين فقط. ثم أخذت تتحدث كلاما دبلوماسيا عن رغبة الولايات المتحدة في بناء علاقات متينة وقوية مع العراق. وأن هذه هي رغبة الرئيس بوش. ولكن الرئيس الأمريكي لا يستطيع السيطرة على وسائل الاعلام الأمريكية عندما تقوم بتوجيه النقد إلى الرئيس العراقي. ثم أشارت إلى تهنئة الرئيس الأمريكي للرئيس العراقي بمناسبة العيد الوطني... وقرار الرئيس الأمريكي برفض الاقتراح الذي قدم له بأن يفرض حظرا تجاريا ضد العراق بعد تصريحه يوم 2/4/90 بضرب إسرائيل. فعلق صدام حسين قائلا بأنه لم يعد هناك ما يسمح لنا باستيراده من أمريكا سوى القمح. وكل

ماعدا ذلك أصبح ممنوعا. وأخشى أن تقولوا لنا يوما ما انكم سوف تقومون باستخراج البارود من القمح. ثم تدرج الحديث بعد ذلك بين السيدة أبريل والرئيس صدام حول مواضيع متعددة مثل سعر البترول، حيث قال صدام حسين أن سعر 25 دولار للبرميل هو سعر مناسب. كما ذكر لها صدام حسين ما قاله لحسني مبارك طبقا لما سبق أن أوضحناه. وفي أثناء حديثها لكي تؤكد أن أمريكا لا تشجع سياسة الكويت ضد العراق قالت الجملة التي يعتبرها بعض المحللين أنها إعطاء النور الأخضر للعراق بالهجوم على الكويت. لقد قالت «إن مشكلة الحدود بين العراق والكويت هي أمر لا يهمنا» «The Iraq - Kuwait border dispute is none of our business». وفي اعتقادي فإن من يعطون أهمية زائدة لتلك الجملة، مع نسيان ما قالته عند بداية حديثها بأنها لا تستطيع الاجابة على ما ورد في هذه المذكرة التي سلمت اليها واستمعت إلى مافيها، فإنهم يتعاطون هذا الموضوع على طريقة من يقول قال تعالى «لا تقربوا الصلاة» ويتعمد اسقاط باقي الآية. ثم أن المذكرات المكتوبة بين الدول يتم الرد عليها بمذكرات مكتوبة... ولو كانت السفيرة أبريل تقصد بهذه الجملة إعطاء النور الأخضر للعراق بحل مشكلة الحدود بينه وبين الكويت بالقوة، لما قالت لصدام حسين في نهاية اللقاء بأنها ستسافر إلى واشنطن يوم الاثنين القادم (30 يوليو) وستقدم المذكرة بنفسها للرئيس الأمريكي. ثم أن العراق ليس من السذاجة إلى الحد الذي يعتبر كلمات المجاملة والتعليقات التي تصدر من سفير أي دولة بهدف تخفيف حدة التوتر بين البلد الذي يمثله وبين البلد الذي هو معتمد لديه، هو تفويض للعراق بالتصرف. فالعراق يعلم جيدا أن الواجب الأساسي لكل سفير هو تحسين العلاقة بين بلده وبين البلد المضيف. وتأكيدا لهذا المفهوم، فقد قال صدام حسين للسفيرة أبريل جلاسبي في نهاية الحديث ما يلي بالحرف الواحد «أتعشم أن يقرأ الرئيس الأمريكي بنفسه هذه المذكرة وألا يتركها في أيدي عصبة من موظفي وزارة الخارجية... وإن كنت أستثني منهم كلا من وزير الخارجية ومساعدة كيلي Kelly».

ان المذكرة قد صيغت بلغة شديدة اللهجة بصفة عامة. وصدورها من دولة من دول العالم الثالث إلى دولة عظمى... وقيام الرئيس

العراقي بنفسه بالتأكيد على ماجاء في تلك المذكرة، بدلاً من أن يترك تلك المهمة لوزير الخارجية. . . والتأكيد على أن هذه المذكرة يجب أن تصل الى الرئيس الأمريكي شخصيا. . . كل ذلك يزيد من أهميتها وخطورتها. وإذا أردنا أن نلخص تلك المذكرة وما تبعها من حوار فإننا نقول إنها إنذار إلى أمريكا بما يلي *«إذا لم تتوقف الحرب الاقتصادية التي تشنها الكويت ودولة الامارات ضد العراق، فإن العراق سيستخدم كافة الوسائل المتاحة له للدفاع عن مصالحه بما في ذلك استخدام القوة المسلحة. وإننا نحذر الولايات المتحدة من تشجيع ومساندة تلك الدول في حربها ضد العراق، لأننا سنضطر في هذه الحالة إلى التصدي للولايات المتحدة. . . رغم ما نعرفه عن قوة الولايات المتحدة»*.

٤ - في مناسبات متعددة أثارت أطراف أخرى شكوكا حول مصداقية ما يقوله حسني مبارك نذكر بعضا منها: الحالة الأولى هي عندما قال ديك تشيني وزير الدفاع الأمريكي أنه حصل يوم 7 أغسطس 90 على وعد من حسني مبارك بأن يرسل قوات الى السعودية، بينما أنكر حسني مبارك اعطاء هذا الوعد. الحالة الثانية هي عندما قال الملك حسين أنه حصل على وعد من حسني مبارك يوم 2 أغسطس بألا يصدر قرار إدانة للعراق لمدة 48 ساعة لاعطاء الفرصة للحل السلمي عن طريق عقد مؤتمر قمة مصغر يوم 4 أغسطس، وأن حسني مبارك أكد له هذا الالتزام مرة أخرى يوم 3 أغسطس، ولكنه أخل بهذا الوعد. بينما ينكر حسني مبارك أنه قام باعطاء هذا الوعد للملك حسين. أما الحالة الثالثة فالطرف فيها هو الشعب المصري بأكمله. فقد أعلن حسني مبارك أمام الشعب المصري عندما قرر إرسال قوات مصرية الى السعودية، أن تلك القوات قد ارسلت للدفاع عن السعودية. ولكنه أخل بهذا الوعد، وانتهى الأمر إلى اقحامها في حرب هجومية، ضد القوات العراقية في الكويت. وهناك حالة أخرى قد لا يكون لها علاقة مباشرة بهذا الموضوع ولكنها تتعلق بالمصداقية. ففي أعقاب زيارة شيمون بيريز رئيس الوزراء الاسرائيلي التي انتهت في الاسكندرية في 86/9/12، أعلن حسني مبارك أنه حصل من بيريز على موافقة إسرائيل على انعقاد مؤتمر دولي لحل المشكلة الفلسطينية. ولكن بيريز

كذب ذلك وقال أن حسني مبارك لم يذكر الشروط الاسرائيلية لانعقاد هذا المؤتمر. وهي عدم اشتراك الاتحاد السوفيتي ومنظمة التحرير. . . وان المؤتمر لا يكون عوضا عن المفاوضات المباشرة. . . وان المؤتمر ليس له سلطة الزامية على الحكومة الاسرائيلية. . . وان اسرائيل ترفض رفضا كاملا إقامة دولة فلسطينية.[83] ***وهذا يعني ان حسني مبارك ـ سامحه الله ـ يأخذ دائما من كلام الطرف الآخر بعضا ويسقط بعضا.***

من 2 ـ 8 أغسطس 90

كانت تصرفات صدام حسين خلال الفترة من 2 وحتى 8 أغسطس تدل جميعها على أنه لم يكن مصرا على احتلال الكويت. كان صدام حسين يسعى الى تحقيق هدفين رئيسيين. الهدف الأول هو الحصول على تعويضات مالية عن الخسائر التي تحملها العراق نتيجة قيام الكويت باغراق السوق بالنفط الزائد الذي أدى إلى انخفاض الأسعار وتدهور دخل العراق. وكان الهدف الثاني هو رسم الحدود بين العراق والكويت، على أساس ادخال حقل الرميلة وجزيرتي وربة وبوبيان ضمن الحدود العراقية، حتى يصبح للعراق منفذ على الخليج. وكان الغرض من مفاوضات جدة يوم 31 يوليو هو تحقيق الهدف الأول. ولولا تعنت الكويتيين في آخر لحظة لأمكن تفادي هذه الحرب. وبعد احتلال الكويت أصبح العراق في وضع يسمح له بالمساومة من أجل تحقيق الهدفين. . . وذلك في مقابل انسحابه من باقي الأراضي الكويتية.

فإذا رجعنا إلى ما قاله صدام حسين للملك حسين يوم 3 أغسطس نجد أنه ربط انسحابه من الكويت بحل المشاكل المعلقة بين البلدين. والكل يعلم أن المشاكل المعلقة بين البلدين كانت هي مشكلة الحرب الاقتصادية والتعويضات، ومشكلة الحدود. صحيح أن صدام حسين أضاف بأنه لا يريد أن يتفاوض مع أحد من عائلة الصباح، ولكن هذه مشكلة شكلية كان من الممكن التغلب عليها إذا أمكن التوصل الى حل مقبول من الطرفين بخصوص المشاكل المعلقة بين البلدين.

وفي يوم 6 أغسطس، استدعى صدام حسين القائم بالأعمال الأمريكي جوزيف ويلسون Joseph Wilson ليبلغه رسالة إلى الرئيس الأمريكي بوش.[84] وقد شملت هذه الرسالة 3 نقاط رئيسية، وإجابة عن سؤال واحد. ويتلخص ذلك فيما يلي :

1 - ان الكويت كانت دولة ليس لها حدود ثابتة ومعترف بها. وان دخول القوات العراقية الكويت، يجب ألا ينظر إليه بالمقاييس التي تحكم العلاقات بين الدول العربية. لقد وقعنا معاهدة أمن وعدم اعتداء بيننا وبين السعودية. وقد عرضنا على الكويت توقيع معاهدة مثيلة. ولكن الكويت رفضت التوقيع على معاهدة من ذلك النوع بناء على نصيحة من دولة أجنبية نعتقد أنها بريطانيا... إن احتلال الكويت استغرق ثلاثة أيام. وانسحابنا منها لا يمكن أن يتم خلال يوم واحد. وان انسحاب قواتنا يجب أن يكون في إطار معاهدة دولية. ولن نسمح بأن تقع الكويت في أيدي قوة أخرى. نحن لا نريد أن تصبح الكويت لبنان آخر. وعندما ينتهي التهديد ستنسحب كل القوات.

2 - إذا كنتم قلقين على السعودية، فإن قلقكم ليس له ما يبرره. أما إذا كان هدفكم هو اشعار السعودية بالقلق فهذا شيء آخر. نحن نقول للأخوة السعوديين لا داعي لهذا القلق، ونحن على استعداد لاعطائهم جميع الضمانات التي يطلبونها من أجل إزالة هذا القلق.

3 - هناك من يقول أن صدام حسين وعد زعيما عربيا بأنه لن يستخدم القوة ضد الكويت تحت أي ظرف من الظروف (يقصد حسني مبارك دون أن يذكر اسمه). وأنه تم ابلاغكم بذلك. ونحن نقول لكم إن هذا لم يحدث. ثم ذكر صدام حسين قصة ما قاله لحسني مبارك قبل اجتماع جدة، وأضاف إليه مايلي: عندما تتعرض مصالحنا للخطر... وعندما تستنفد جميع الوسائل الأخرى... فإننا نلجأ إلى استخدام القوة المسلحة. والسؤال الذي نوجهه إلى الرئيس الأمريكي هو: هل تعرضت المصالح الأمريكية للخطر داخل الكويت أو خارجها نتيجة هذا الاجراء؟ انتم تعلمون أننا نبيع لكم النفط وكنتم تشترون ثلث انتاجنا، إلى أن قررتم أنتم التوقف عن شرائه. إن المحافظة على مصالحكم يمكن أن يتحقق من خلال علاقات مع أنظمة وطنية قوية، وليس من خلال تعاملكم مع أنظمة عميلة. ***أنتم تقولون أن العراق سياسته عدوانية، وانكم لا تستطيعون إقامة علاقات معه. أليس هذا هو نفس العراق الذي تعاملتم معه أثناء الحرب ضد إيران. وأما بخصوص البيان الذي أصدرناه يوم 2 أبريل فذلك يرجع إلى أن دوائر***

أمريكية وغربية كانت تحت إسرائيل للاعتداء علينا . فكان اعلاننا هذا لردع هذا العدوان .

4 ـ وردا على سؤال من القائم بالأعمال الأمريكي عن مصير القيود المفروضة على خروج الأمريكيين من الكويت، أجاب صدام حسين بأن تلك القيود ليست مطبقة على الأمريكيين وحدهم، وسوف نخطركم بما يتخذ في هذا الموضوع في الوقت المناسب.

مبادرة أم فخ أمريكي

جاء في كتاب Salinger في صفحتي 150، 151، القصة التالية : كان السفير الأردني لدى الأمم المتحدة عبد الله صلاح يجلس مكتئبا، بينما مجلس الأمن يجتمع لاتخاذ القرار 661 ضد العراق. فإذا بالسفير الأمريكي بيكرينج Pickering يحضر إليه ويقول له : انهض وكافح فما زال هناك متسع من الوقت لانقاذ الموقف. أرسل إلى عمان رسالة يقومون بنقلها إلى بغداد للحصول على ردهم عليها. ثم أملي عليه النقاط الخمس التالية :

1 ـ يكون هناك إعلان بالانسحاب مرفوقا بالتوقيت. على سبيل المثال بحلول يوم الأربعاء سنعمل كذا وكذا. ولكن ليس هناك ضرورة بأن يتم ذلك بين عشية وضحاها.

2 ـ لا تقلق على موضوع عودة الأمير وعائلته . فهذا الموضوع يمكن معالجته في وقت لاحق.

3 ـ نحن نعتقد بأن موقفكم (موقف صدام حسين) من المواضيع المعلقة بينكم وبين الكويت فيه جدارة وأهلية ..There is merit in . ومع أننا لا نريد أن نتخذ موقفا تجاه هذا أو ذاك، فإننا نريد اللجوء إلى أسلوب المؤسسات مثل الوساطة إذا ما دعت الحاجة إلى ذلك.

4 ـ نحن نقدر حاجتكم إلى منفذ على الخليج . ومن الممكن أن ننظر بعين الاعتبار إلى حاجتكم الى جزيرتي وربة وبوبيان.

5 ـ نقترح عليكم الدعوة علنا إلى اجراء استفتاء تحت مظلة الأمم المتحدة، يتيح الفرصة للشعب الكويتي بأن يحدد مصيره.

قام السفير الأردني بارسال تلك الرسالة فورا (مساء يوم 6 أغسطس) . وقد تم ايقاظه مبكرا في صباح اليوم التالي بواسطة السيد / زيد بن شاكر رئيس

الديوان الملكي الأردني الذي قال له : رائع . ولكن هل هذا هو مجرد اقتراح من Pickering أم انه يمثل وجهة نظر الادارة الأمريكية ؟ وفور ذلك اتصل السفير الأردني بالسفير الأمريكي فرد عليه قائلا : أعتقد أنه قريب من وجهة نظر الادارة الأمريكية، ومع ذلك فسوف أتصل بك بعد قليل. واتصل السفير الأمريكي بوزير الخارجية الأمريكية وأبلغه بما دار. فرد عليه Baker بعد خمس دقائق وقال له : نعم نستطيع أن نتعايش مع ذلك We Can live with this . وبعد ذلك اتصل السفير الأمريكي بالسفير الأردني، وأكد له موقف الادارة الأمريكية وطلب ابلاغها فورا الى صدام حسين.

والى هنا تنتهي القصة التي رواها Salinger . ولكن لنا تعليق عليها على ضوء المعلومات التي نعرفها اليوم، والتي لم يكن الجانب الأردني أو الجانب العراقي على علم بها في ذلك الوقت. الحقيقة الأولى هي ان العناصر الأولى من القوات الأمريكية قد أقلعت من أمريكا في اتجاه السعودية الساعة 1700 يوم 6 أغسطس بتوقيت واشنطن، أي قبل أن يقوم السفير الأردني بارسال رسالته الى عمان. وإذا كان هناك احتمال بأن السفير الأمريكي بيكرينج لم يكن يعلم بإقلاع القوات الأمريكية حينئذ، فمن المؤكد أن بيكر وزير الخارجية كان يعلم بذلك. الحقيقة الثانية هي أنه ليس من المعقول أن يقدم بيكرينج هذه المبادرة الأمريكية - التي يبدو وكأنها الرد الأمريكي على الرسالة التي بعث بها صدام حسين إلى بوش عن طريق السفارة الأمريكية في بغداد في نفس اليوم - دون أن يكون قد أخذ إذنا بذلك من وزير الخارجية. بل ان وزير الخارجية نفسه، لا يمكن أن يتقدم بمثل هذه المبادرة دون مناقشتها مع الرئيس الأمريكي والحصول على موافقته. وهذا يجعلنا نعتقد بأن الرسالة التي أملاها بيكرينج على السفير الأردني، كانت بعلم وبموافقة الرئيس الأمريكي بوش. وأنه وافق على ارسالها بعد أن قرأ رسالة صدام حسين، وبعد أن أعطى الأمر النهائي بالبدء في تنفيذ خطة الحشد الأمريكي في السعودية، وبعد أن كان قرار مجلس الأمن رقم 661 قد صدر أو على وشك الصدور. ولكن يبقى بعد كل ذلك السؤال التالي : ما الذي كانت تهدف أمريكا إلى تحقيقه بارسال هذه المبادرة إلى صدام حسين في ذلك الوقت بالذات ؟ هل هي سياسة العصا والجزرة ؟ أم هل هي بالون اختبار لمعرفة ما يدور في رأس صدام حسين ؟ أم هل كان الهدف من وراء ذلك هو تخدير أحلام صدام حسين حتى لا يتدخل عسكريا ضد القوات الأمريكية وهي في أضعف حالتها أثناء عملية احتشادها في السعودية ؟

قد يختلف الناس في الاجابة على هذا السؤال لو أنه طرح عليهم يوم 8 أغسطس 90 وفي حدود المعلومات التي كانت متاحة لهم في ذلك الوقت. أما اليوم وبعد مرور عام كامل، شهدوا فيه بأنفسهم إصرار أمريكا على تدمير القوات المسلحة العراقية، وعزمها على ترسيخ التجزئة في الوطن العربي، فإن الغالبية من الناس ومن المحللين الموضوعيين يرون ان الغرض الأمريكي من إرسال هذه المبادرة إلى صدام حسين ـ عن طريق الأردن ـ ليست سوى عملية خداع كبيرة... الغرض منها هو ضمان تأمين سلامة القوات المسلحة الأمريكية أثناء عملية احتشادها في السعودية.

وفي الساعة 13 00 بتوقيت جرينيتش يوم 8 أغسطس (الساعة التاسعة صباحا بتوقيت واشنطن). أعلن الرئيس الأمريكي أنه أصدر أوامره بارسال وحدات عسكرية إلى السعودية. [85] والذي لم نكن نعرفه حينئذ، وأصبح معروفا لنا اليوم هو أن الأسراب الأولى من طائرات القتال الأمريكية أقلعت من أمريكا في اتجاه السعودية قبل 40 ساعة من اعلان الرئيس الأمريكي، وهبطت في القواعد السعودية ظهر يوم 7 أغسطس بالتوقيت المحلي. أي أن القوات الأمريكية قد بدأت تتدفق على السعودية بطريق الجو قبل إعلان الرئيس الأمريكي بأكثر من 24 ساعة. وهذا يعني أن كلا من سوريا وإسرائيل ومصر كانت على علم مسبق بهذا القرار الأمريكي قبل اعلانه. فلكي تصل الطائرات من أمريكا الى السعودية، فإنه يتحتم عليها أن تعبر أجواء كل أو أي من سوريا وإسرائيل ومصر. وفي هذه الحالة فإنه يتحتم على أمريكا أخطار الدولة المعنية مسبقا حتى لا تتعرض وسائل دفاعها الجوي لتلك الطائرات أثناء عبورها لفضائها الجوي. ونظرا لكثافة التحركات الجوية، فإن الأكثر احتمالا هو أن تكون أمريكا قد استخدمت الفضاء الجوي لتلك الدول الثلاث. وحتى لو افترضنا أن أمريكا لم تخطر سوى دولة واحدة من تلك الدول الثلاث، فإنه من المؤكد أن رادارات الانذار في الدولتين الأخريين تكون قد سجلت عبور القوات الأمريكية لأجواء الدولة الثالثة. وهذا يعني أن كلا من مصر وسوريا كانتا على علم بمرور تلك الامدادات الجوية الأمريكية اعتبارا من يوم 7 أغسطس حتى لو افترضنا أن أمريكا قد حجبت عنها تلك المعلومات... وهذا احتمال ضعيف. بل وضعيف جدا.

وكان الرد العراقي على بيان الرئيس الأمريكي سريعا وحاسما. ففي تمام الساعة السابعة مساء يوم 8 أغسطس بالتوقيت المحلي في بغداد، أذاع العراق أن مجلس قيادة الثورة قد اتخذ قرارا بضم الكويت إلى العراق، والتوقف عن سحب القوات العراقية من الكويت.

من 90/8/9 حتى 91/1/15

كانت سياسة العراق خلال تلك الفترة تعمل على تحقيق الأهداف التالية:

1 - تعبئة الشارع العربي والشارع الاسلامي ضد الاحتلال الصليبي للأراضي المقدسة، وتأليب الشعب العربي والأمة الاسلامية ضد الأنظمة التي تتعاون مع القوى الأجنبية في حربها ضد العراق.

2 - تعبئة الرأي العام العالمي ضد الحرب، مع التركيز على الرأي العام الأمريكي والرأي العام الأوروبي.

3 - محاولة استقطاب الاتحاد السوفيتي للوقوف إلى جانب العراق.

4 - محاولة استثمار تناقض المصالح بين الدول التي تتحالف ضد العراق من أجل تعميق هذه التناقضات، بأمل أن يؤدي ذلك إلى فض هذا التحالف.

الهدف الأول: في يوم 10 أغسطس 90، وبينما كان مؤتمر القمة العربي يجتمع في القاهرة، وجه صدام حسين نداء إلى العرب والمسلمين عبر العالم لتخليص البقاع المقدسة من الاحتلال الأجنبي الكافر. ودعا في نفس الوقت الشعبين السعودي والمصري إلى الاطاحة بالملك فهد والرئيس حسني مبارك اللذان وصفهما بالخائنين والمرتشين. وفي 12 أغسطس تقدم بمبادرة تهدف إلى الربط بين انسحاب القوات العراقية من الكويت، وانسحاب القوات الأجنبية من كافة الأراضي المحتلة، بما في ذلك فلسطين ولبنان. [86] وفي يوم 15 أغسطس أعلن صدام حسين بأنه سيبدأ إعتبارا من يوم 17 أغسطس بالانسحاب من الأراضي الايرانية التي كان العراق مازال يحتلها بعد وقف اطلاق النيران بين الطرفين في أغسطس 88، وأنه يعترف باتفاقية الجزائر 1975.

وكـان صدام حسـين يدغدغ شعور المسلمين ويحرك مشاعرهم بتعبيرات قوية. ففي حديث له مع شبكة تليفزيون CBS الأمريكية يوم 29 أغسطس، حذر صدام حسين الولايات المتحدة من القيام بأي محاولة هجومية ضد العراق حيث صرح قائلا «إذا هاجمتموني فسوف يكون هذا الهجوم بالنسبة لكم مأساة تتعـدى مأساة فيتنام. فانتم غير قادرين على تدمير شعب بأكمله. الله معنا والشيطان مع الولايات المتحدة. فهل يمكن للشيطان أن ينتصر على الله ؟»

وفي 90/9/5، وجه صدام حسين رسالة الى الشعب العربي والاسلامي في كل مكان. وقد ذكرنا مقتطفات منها فيما سبق. [87] وقد اختتم صدام حسين الرسالة بما يلي «سيندم المتورطون وينهزم جمعهم شر هزيمة إن هم أقدموا على المنازلة العسكرية. وستكتسح آثار أقدامهم من المنطقة كلها. وستعود القدس بعد ذلك حرة عربية إلى حضن الايمان والمؤمنين. وستتحرر فلسطين من الغزاة الصهاينة. وستطلع على العرب وأمة الاسلام شمس لن تغيب. وسيكونون في حماية الله بعد أن يعودوا إليه سبحانه : الله أكبر. الله أكبر. الله أكبر. وليخسأ الخاسئـون».

وفي 23 سبتمبر 90، بلغ التأييد الشعبي العربي والاسلامي لصدام حسين أعلى درجاته، عندما أعلن أنه سوف يضرب إسرائيل إذا ما وصل العراق إلى حالة الاختناق بفعل الحظر الاقتصادي والحصار العسكري المفروضين عليه، والهادفين إلى اجباره على الانسحاب من الكويت. وكان هذا البيان هو أعنف تهديد يوجهـه صدام حسين إلى إسرائيل. إذ أن تهديده يوم 90/4/2 كان مشروطا باعتداء اسرائيل على العراق أو على أي بلد عربي. أما هذا التهديد الأخير فقد جاء نتيجة الحصار الذي تفرضه أمريكا على العراق. . . وذلك لأن العراق يعتبر ان اسرائيل ـ وهذه حقيقة لا يستطيع أحد أن ينكرها ـ هي قاعدة أمريكية متقدمة. . . وهي عضو أساسي في دول التحالف ضد العراق، سواء اعترفت بذلك أو أنكرته. وكان قائد القوات الجوية العراقية قد صرح في 8/30 بأنـه إذا اندلعت الحرب وهوجم العراق، فإن القوات الجوية ستقوم بضرب أهـداف في السعـودية وإسرائيل. أمـا صدور التهـديد من صدام حسـين، وبالصورة التي صدر منها فقد كان له تأثيرا كبيرا في رفع معنويات الشعب العربي والاسـلامي. . . وان كان للأسف الشـديد قد أصاب زعماء الدول العربية الصديقة لأمريكا بالسخط والغضب.

وإذا جاز لنـا أن نقول أن مواقف الأنظمة العربية والاسلامية، كانت في معظمهـا تتراوح ما بين التـأييد والحياد تجاه موقف السعـودية الـذي يقضي باستدعاء قوات أجنبية غير إسلامية إلى أراضي نجد والحجاز. . . فإن الغالبية العظمى من الشعوب العربية والاسلامية كانت تدين هذا التصرف، وتعتبره خروجا على تعاليم الاسلام. وقد اجتاحت المظاهرات جميع أنحاء العالم العربي والاسلامي، بالرغم من الاجراءات القمعية التي اتخذتها الأنظمة ضد شعوبها لمنعهـا من اظهـار شعورها وغضبها ضد هذا الاحتلال الأمريكي للأراضي المقدسة. وحتى بالنسبة للبلاد التي بها أقليات من المسلمين مثل جمهورية جنوب إفريقيا، فإن المسلمين فيها قد خرجوا في مظاهرات غاضبة تدين هذا التدخل الأمريكي. والشيء الملفت للنظر، هو ان الجماعات الدينية والأحزاب الدينية التي تنص براجها على ضرورة تطبيق الشريعة الاسلامية، كانت هي أكثر الفصائل والأحزاب إدانة للتدخل الأمريكي. ولكن هذه المظاهرات لم تكن لتزعج السلطات الأمريكية طالما بقيت تلك المظاهرات في إطار التعبير السلمي، وطالما بقيت المصالح الأمريكية في الدول العربية والاسلامية مصونة بفضل تواجد الأنظمة الصديقة لأمريكا في السلطة.

كانت الشعـوب العـربية والاسـلامية تفتقر الى الأنياب التي تستطيع أن تغرسهـا في جسم الـوحش الأمريكي، نتيجة قهر الأنظمة، وعدم مشاركة الأحزاب الـدينية في السلطة. أمـا في الأردن حيث كان الاخوان المسلمون يحتلون في برلمانه 31 مقعدا من اجمالي 80 مقعدا. . . فقد كان الموقف يسبب قلقا كبيرا لدى الادارة الأمريكية.(88)

وفي مجال العمل الفدائي السري ضد المصالح الأمريكية والدول المتواطئة معهـا، حدثت بعض العمليات القليلة، التي لا يمكن أن تشكـل خطورة حقيقية للمصالح الأمريكية. . . كما جرى التوزيع السري للعديد من أشرطة الكاسيت التي تندد بمواقف الدول الاسلامية الموالية لأمريكا. وكان من بين تلك الأشرطة شريط مسجل للدكتور صفر الحولي الذي يشغل منصب عميد الدراسات الاسلامية في جامعة أم القرى في مكة المكرمة. وفي هذه الأشرطة يقـول الـدكتـور الحـولي: «ليس العـالم ضد العـراق ولكن الغـرب ضد الاسلام. . . إذا كان أبناء الشعب السعودي قد فوجئوا بالانتشار الأمريكي، فإن ذلك لأنهم لم يكونوا يقرأون ما كان يكتب في الولايات المتحدة. فالولايات

المتحدة كانت منذ زمن طويل تخطط لاحتلال السعودية . وكان اجتياح الكويت مجرد ذريعـة . . . ان آل سعود ورجال الدين التابعين لهم أساؤوا فهم دينهم ويجب عليهم ان يتوبوا لله » . (٤٤)

الهدف الثاني : في يوم 17 أغسطس اعلن العراق أنه سيحتجز رعايا الدول الأجنبية التي تهدد أمن العراق بتواجدها المكثف في منطقة الخليج . وأنه سيقوم بتوزيعهم في المناطق الاستراتيجية التي تعتبر أهدافا محتملة للهجمات الجوية والبحـرية ، وذلـك من أجـل إرغـام تلك الـدول على عدم العدوان . وكان الأجانب الغربيون (بما في ذلك اليابان واستراليا) في كل من العراق والكويت في ذلـك الـوقت ، يقـدر عددهم بحوالي 9135 . كان العراق يطلق عليهم مستضافون ، وكانت الدول الغربية تطلق عليهم الرهائن . وقد أثارت قضية الرهائن اهتمام الشعب الأمريكي ، وفتحت للعراق نافذة اعلامية يستطيع من خلالها أن يشرح قضيته على الشعب الأمريكي والشعوب الأوروبية . وفي خلال الأربعـة شهور التالية ، أصبحت بغداد مقصدا لكثير من رجال السياسة في الدول الغربية ، حيث يلتقون بالرئيس صدام حسين ومعاونيه ويستمعون إلى جذور القضية ، ثم يعودون ومعهم بعض من يفرج عنهم من الرهائن ، حيث تستقبلهم عائـلات الرهان في بلادهم استقبال الأبطال ، وحيث يقوم هؤلاء الرهائن بتكذيب ما كان يشاع عن سوء معاملتهم ، وحيث تقوم وسائل الاعلام التي كانت ترافقهم في توضيح الحقائق لشعوب تلك البلاد . وكان أول من قام بهذه المهمة هو القس الأمريكي الأسود Reverend Jesse Jackson ، الذي كان مرشحا لرئاسة الجمهورية . فقد زار بغداد في 27 أغسطس 90 . وتبعه بعد ذلك رهط من الزعماء الآخرين . نذكر منهم رئيس الوزراء السابق ادوارد هيث Edward Heath في 20/10/90 ، ورئيس الـوزراء اليابـاني السابق ناكاسوني Nakasone في 3/11/90 ، ومستشار ألمانيا السابق فيلي برانت Willy Brandt في 9/11/90 ، وبطل العالم السابق في الملاكمة الأمريكي محمد علي كلاي في 27 نوفمبر 90 . وجميع هؤلاء وغيرهم ممن زاروا بغداد لهذا الغرض ، كانوا من الشخصيات العامة والمرموقة في بلادهم ، ولكنهم لم يكونوا في السلطة أو ممثلين لها . حيث أن جميع الـدول الغـربية قد استجـابت للنـداء الأمريكي بعدم التفاوض أو اللقاء مع صدام حسين على أي مستوى رسمي : والحالة الوحيدة

التي خرجت على هذا التضامن الغربي، هي الزيارة التي قام بها الرئيس النمساوي كورت فالدهايم Kurt Waldheim إلى بغداد خلال شهر أغسطس، وعاد منها ومعه جميع الرهائن النمساويين.

وكان مجلس الأمن قد أصدر يوم 8/18 القرار رقم 664 الذي يطالب العراق بالسماح للأجانب بمغادرة العراق والكويت. فرد صدام حسين على ذلك باعلان مبادرة جديدة يوم 90/8/19. وفي هذه المبادرة يعلن صدام أنه على استعداد للافراج عن الرهائن بالشروط الآتية: واحد، صدور قرار من مجلس الأمن يقضي بانسحاب أمريكا من الخليج. اثنان، فك الحصار الذي تفرضه أمريكا على العراق. ثلاثة، اتخاذ كافة الضمانات الدولية لتأمين السعودية. أربعة، تسوية قضية الكويت في إطار عربي. وقد رفضت أمريكا هذه المبادرة، وطالبت بضرورة التزام العراق بتنفيذ قرارات مجلس الأمن. وفي 30 أغسطس اتخذ صدام حسين قرارا بالسماح للنساء والأطفال الأجانب بمغادرة البلاد، فحاز بذلك اعجابا كبيرا لدى الكثير من أهالي المحتجزين وانخفض عدد الرهائن بعد ذلك إلى حوالي 7600 فقط.

وفي يوم 26 سبتمبر، وجه صدام حسين خطابا إلى الشعب الأمريكي استغرق 75 دقيقة، ونشرته جميع شبكات التليفزيون الأمريكية والعالمية. فكانت فرصة عظيمة - والأولى من نوعها بالنسبة لأي زعيم عربي - لكي يتحدث فيها الى الشعب الأمريكي وجميع شعوب العالم مباشرة... والكل يلتفون حول شاشاتهم الصغيرة في انتظار ما سيقوله هذا الزعيم العربي. وقد شرح لهم صدام قضية الكويت بأبعادها التاريخية... وكيف تآمرت الادارة الأمريكية مع الكويت في إعلان حرب اقتصادية ضد العراق... وكيف أن بوش يريد أن يبعث أبناءهم للموت من أجل النفط... وكيف أن أمريكا بينما تتحدث عن الديموقراطية، فهي تصادق وتدافع عن أكثر الحكومات تخلفا وابتعادا عن الديموقراطية، بل وأكثر الحكومات ابتعادا عن الله... وذكرهم بأن بوش يريد أن يجدد أحزان أمريكا بتكرار تجربة فيتنام على نحو أعنف وتضحيات أوسع وخسائر أكبر... وذكر لهم كيف تنظر الادارات الأمريكية إلى القضايا الدولية بموازين مختلفة... وشرح لهم قضية الصراع العربي

العسكري وامتناع اسرائيل عن تنفيذ قرارات الأمم المتحدة. . . الخ. ونظراً لأهمية هذا الخطاب فقد نشرناه بالكامل في الجزء الأول الصفحات 205 ـ 227.

الهدف الثالث: قبل اندلاع أزمة الاحتلال العراق للكويت، كان جورباتشوف قد نجح في انهاء الحرب الباردة بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة، ودخلت الدولتان في عصر وفاق لم تعرفاه منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية. ولكن إنهاء هذه الحرب الباردة قد تم بتضحيات كبيرة من الاتحاد السوفيتي. [90] ففي 87/12/8، تم التوقيع على معاهدة تقضي بتخفيض الأسلحة النووية في أوروبا، تنازل فيها الاتحاد السوفيتي عن التفوق الذي كان يتمتع به قبل التوقيع على المعاهدة. وفي 88/4/14، قرر سحب قواته من افغانستان وأتم انسحابه النهائي منها في 89/2/15. وفي 7 ديسمبر 88، أعلن جورباتشوف من جانب واحد ـ وبدون أي مقابل من أمريكا ـ أنه قرر أن يخفض عدد القوات المسلحة السوفيتية بمقدار 000 500، وأن يسحب 000 1 دبابة من أوروبا، وأن ذلك سيتم خلال سنتين. واعتبارا من عام 89، بدأ الاتحاد السوفيتي يخفف من قبضته على دول حلف وارسو، ويترك لكل منها حرية اختيار النظام الذي تريده. وأعلن في هيلسنكي في 89/10/25 أن مبدأ بريجنيف 68 الذي يبيح التدخل السوفيتي قد دفن وحل محله مبدأ سيناترا. [91] وكان نتيجة ذلك أن تحولت دول أوروبا الشرقية الواحدة تلو الاخرى الى النظام الرأسمالي. وانتهى الأمر الى انسلاخ المانيا الشرقية ودخولها في وحدة مع المانيا الغربية. . . [92] ثم أدى بعد ذلك الى الغاء حلف وارسو. [93] وفي فبراير 1990، تم الاتفاق بين الاتحاد السوفيتي وأمريكا على تخفيض قواتهما في أوروبا، بحيث لا يزيد عدد قوات كل منهما عن 000 225. . . وكان ذلك يعني تخفيضا أكبر في حجم القوات السوفيتية التي كان يقدر عددها في وسط أوروبا بـ 000 570، بينما كان عدد القوات الامريكية في كل اوروبا يقدر بـ 000 305 فرد. [94]

كانت كل هذه التنازلات من جانب جورباتشوف ـ من أجل إنهاء الحرب الباردة مع أمريكا ـ تزعج القادة العسكريين والزعماء المحافظين في الحزب والدولة. فقد كان هؤلاء يرون أن سياسة جورباتشوف يمكن أن تؤدي الى

تهديد أمن وسلامة الاتحاد السوفيتي. ثم جاءت أزمة الكويت لتزيد الطين بلّة، عندما اندفع جورباتشوف في تأييده للموقف الأمريكي ضد حليفه العراق. فازداد غضب ومعارضة المتشددين في الاتحاد السوفيتي ضد تلك السياسة. كانوا يرون أن التواجد الأمريكي في منطقة الخليج بتلك القوات الكبيرة التي وصل عددها في نهاية المطاف الى اكثر من ضعف ما كانت تحتفظ به في أوروبا... يشكل تهديدا كبيرا لأمن الاتحاد السوفيتي... ويعطي لأمريكا السلطة المطلقة في السيطرة على الاحتياطي العالمي للنفط. وبالتالي اعطائها ورقة ضغط كبيرة على الاتحاد السوفيتي الذي سيصبح دولة مستوردة للنفط بنهاية هذا القرن... وأن تخلي الاتحاد السوفيتي عن العراق وتركه وحده في مواجهة أمريكا دون إمداده بما يحتاج اليه من سلاح، ودون تأييده في الأمم المتحدة سوف يؤدي الى أن تفقد الشعوب العربية والاسلامية ثقتها في نوايا الاتحاد السوفيتي، وقد يدفع البعض منها الى الارتماء تحت أقدام أمريكا. فيزداد النفوذ الامريكي انتشارا بينما تزداد سمعة الاتحاد السوفيتي ونفوذه تقلصا. وقد اعترف وزير الخارجية السوفيتي شفرنادزه لزميله الأمريكي بالضغوط التي يمارسها القادة العسكريون على السياسة الخارجية، وذلك عندما قال له «القادة العسكريون السوفيت يعتقدون أننا نرتكب خطأ بتأييدنا لكم. فهم يقولون أن لديكم هدف واحد. وهو إنشاء وجود عسكري دائم في الشرق الاوسط»[95].

وقد أراد العراق أن يستغل تلك الحقائق، في محاولاته المستمرة، التي كانت تهدف جميعها الى مقاومة الضغوط التي كانت تمارسها ضده حكومة جورباتشوف. وفي هذا الاطار تعددت زيارات المسؤولين العراقيين الى موسكو، وتعددت زيارات المسؤولين السوفيت الى بغداد. ولعل اكثر مواقف العراق حدة وتحدي للاتحاد السوفيتي، هو ذلك الخطاب المفتوح الذي وجهه صدام حسين الى كل من جورباتشوف، وبوش، وبثه التليفزيون العراقي يوم 8 سبتمبر، قبل ساعات من لقاء الزعيمين في هيلسنكي يوم 9 سبتمبر. وتذكيرا للاتحاد السوفيتي بمواقفه المتخاذلة في مواجهة الولايات المتحدة قال صدام حسين في خطابه «وعلى من يمثل الاتحاد السوفيتي أن يتذكر أن الهواجس والشكوك في درجة الدولة العظمى للاتحاد السوفيتي، قد راودت كل سياسي العالم منذ زمن. وخاصة بعد أن راحت الولايات المتحدة الأمريكية تنفرد

بالعالم وتتجبر، من غير أن يظهر الذي كان يظهر في السابق ليهديها الى الطريق الأكثر توازنا في الخطو والمسير. فعلى من يعنيهم الأمر أن يختاروا هذا الوقت الحاسم، ومن خلال هذه القضية الحاسمة ليعيدوا الاعتبار للاتحاد السوفيتي. بموقف يحاكي ما هو حق وعادل ومنصف».

الهدف الرابع: قبل اندلاع أزمة الكويت، كانت هناك بعض التناقضات بين المصالح الامريكية ومصالح عدد من الدول ذات النفوذ السياسي والاقتصادي على المستوى الدولي. وكان أهم تلك الدول هي فرنسا وألمانيا واليابان. فأما فرنسا فمن المعروف أنها كانت منذ عهد ديجول تمثل القوة الاوروبية الرئيسية التي تعارض السيطرة الامريكية، وتنادي وتعمل من أجل تحقيق وحدة أوروبية لا تعتمد على الولايات المتحدة في الدفاع عن نفسها ضد الاتحاد السوفيتي. وأما ألمانيا فكانت تمثل أقوى قوة اقتصادية في أوروبا الغربية، وكانت لها مصالح اقتصادية ضخمة في العالم العربي والاسلامي.. وكان انضمام ألمانيا الشرقية اليها في وحدة اندماجية، سوف يفرض عليها التزامات مالية ضخمة قد تصل الى حوالي 300 مليار دولار... وكان دستورها يفرض عدم مشاركتها في أي عمليات خارج حدود ميادين حلف الأطلسي... وبالتالي فانها لم تكن ترغب في أن تشارك بقواتها المسلحة ضمن دول التحالف الذي كانت تقوده أمريكا. وأما اليابان فانها كانت ما تزال تذكر أهوال الحرب العالمية الثانية وما تحملته من خسائر بعد أن أسقطت عليها أمريكا قنبلتين نوويتين في أغسطس 1945، وبالتالي فان شعبها كان يرفض منطق الحرب... بالاضافة الى أن دستورها الذي وضع بعد الحرب وبتوجيه من أمريكا يفرض عليها عدم المشاركة في أي حرب خارج حدودها.

وقد أراد العراق أن يلعب على هذه التناقضات. ولكنه لم يكن لديه ما يقدمه الى تلك الدول، الا ما يتعلق بالافراج عن رعاياها المحتجزين في العراق والكويت. وقد اتفقت جميع الدول الغربية واليابان بألا تساوم مطلقا مع العراق من أجل الافراج عن رعاياها المحتجزين. ولكن الرئيس الفرنسي تقدم يوم 9/24، بمبادرة تعتبر الى حد ما قابلة للمناقشة مع الجانب العراقي... وذلك عندما اقترح أمام الأمم المتحدة انسحاب القوات العراقية، ثم الأجنبية،

واعادة السيادة للكويت ومنح شعبها حرية التعبير الديموقراطي، ثم النظر في حل مشاكل الشرق الاوسط الاخرى. [56] وسواء تم ذلك بناء على مبادرة مستقلة من ميتران، أو أنه كانت هناك اتصالات سرية قبل أو بعد أن تقدم ميتران بها. . . فالذي يهمنا هو أن العراق قرر يوم 10/23 الافراج عن كافة المحتجزين الفرنسيين والبالغ عددهم 257 فردا. ولكن العراق لم يحصل من فرنسا في مقابل هذه المعاملة التفضيلية الا التعنت والتشدد في المواقف ضد العراق كما سنرى فيما بعد.

موقـف النظـام السـوري

زواج المـصلحـة

بصرف النظر عن كل ما كان خصوم الرئيس السوري حافظ الاسد يوجهونه اليه من نقد حول سياسته القمعية في الداخل، فان سياسته الخارجية منذ أن وصل الى الحكم في سوريا في عام 1970، والى أن تفجرت أزمة الكويت في أغسـطس 1990، كانت من أكثـر السياسـات الخارجية في الدول العربية وضوحا في التصدي لأمريكا واسرائيل. فكانت دمشق ملجأ للكثير من الأحرار العـرب الـذين لا يجدون في بلادهم متسعـا لنشـاطهم المعـادي للامبريالية والصهيونية. . . حتى أن امريكا صنفت سوريا خلال تلك الفترة بأنها من بين الدول التي تشجع الارهاب. . . حيث أن الارهابي في المفهوم الأمريكي هو كل من يتصدى للامبريالية والصهيونية. ولهذه الأسباب فان تأييد حافظ الاسد للتدخل الأمريكي في الخليج. . . وقراره بارسال قوات سورية للقتال جنبا الى جنب مع القوات الأمريكية ضد العراق. . كان هو المفاجأة الكبرى في تلك الحرب. وهنا يبرز السؤال الصعب «لماذا اتخذ حافظ الأسد هذا الموقف الذي يتعارض تعارضا كاملا مع كل اتجاهاته وتصرفاته الماضية ؟» ولا أعتقد أن أحدا يستطيع أن يدعي أن لديه الاجابة الكاملة الدقة عن هذا السؤال. ولكن والى أن يكشف لنـا المستقبـل أسرارا لا نعـرفها اليوم حول هذا الموضوع، فانني سأحاول الاجابة عليه في حدود المعلومات المتاحة والنتائج الملموسة.

كانت السعودية تحتاج الى التأييد السوري، لانها تعلم أن معارضة سوريا سوف يتبعه قطعا عدم تأييد لبنان، وبالتالي فان السعودية لن تستطيع الحصول على تأييد أغلبية الأصوات اذا ما عرضت القضية على الجامعة العربية. وحيث أن النظام السوري يصنف عربيا ودوليا بأنه ليس ضمن ما يطلق عليهم بعرب أمريكا. . . فعندما ينضم هذا النظام الى المعسكر الأمريكي ضد العراق، فان هذا المـوقف قد يقـود النـاس الى الاعتقـاد بأنها ليست حربـا امريكية ضد العـرب. . وكـانت أمريكا تعلم جيدا أن سوريا تحتل مركزا هاما في المنطقة العربية. فبدون انضمام سوريا الى المعسكر الامريكي، فان حلقة الحصار ضد

العراق لا تكتمل. واذا ما وقفت سوريا الى جانب العراق، فان ذلك يزيد من احتمالات اندلاع الحرب بين سوريا واسرائيل، وقد يمتد لهيب الحرب الى مناطق أخرى، فتتحول الى حرب شاملة بين الامبريالية والصهيونية وبين العرب والمسلمين. وهو السيناريو الذي تحاول أمريكا أن تتحاشى حدوثه. واذا ما وضعت الحرب أوزارها، فان أي نظام جديد لفترة ما بعد الحرب لا تشارك فيه سوريا بدور فعال، لا يمكن أن يحقق الأمن والاستقرار في منطقة الشرق الأوسط. ولكل هذه الأسباب فان أمريكا والسعودية كانتا على قناعة تامة بأهمية الدور السوري... وفي سبيل ذلك فان السعوديين والامريكان كانوا على استعداد للمساومة مع النظام السوري. إنهم يعلمون بالخلافات العميقة بين النظامين العراقي والسوري... ويعلمون أيضا العزلة التي يجد فيها النظام السوري نفسه اقليميا بعد قيام التجمعات العربية في المشرق والمغرب دون اشراك سوريا في أي منها... ويعلمون أيضا أن أمريكا وبريطانيا وغيرهما من الدول مازالوا يصنفون سوريا ضمن الدول التي تشجع الارهاب، وأنهم يفرضون رقابة مشددة على كل ما يصدر اليها... انهم يعلمون أن كل تلك الظروف سوف تجعل السوريين أقل تشددا في مساومتهم، ولكنها قد لا تكون كافية. وبالتالي فلا بد من تقديم المكافآت والتنازلات.

كان النظام السوري يعلم أنه بانضمامه الى المعسكر الأمريكي، فانه سيفقد مصداقيته في كل ما قاله ودافع عنه طيلة 20 عاما. فقد قال في اكثر من مناسبة أنه لا يفرق بين أمريكا واسرائيل... وأن أمريكا هي العدو الأول للعرب... وقال الكثير ضد كامب ديفيد، وضد نهج كامب ديفيد، وضد السادات، وضد حسني مبارك. فكيف يمكنه أن يتعايش مع من كان يتهمهم بالأمس القريب بالخيانة والعمالة؟ لابد من ثمن غال في مقابل تلك التضحية. وكان للأسد أربعة مطالب. المطلب الأول هو تسوية الموقف في لبنان طبقا للرؤية السورية والتي كانت تتمثل في القضاء على الجنرال عون الذي يعارض تطبيق اتفاقية الطائف. المطلب الثاني هو المطالبة بعودة الجولان. المطلب الثالث هو تطبيع العلاقات بين سوريا وامريكا والدول الغربية التي كانت ما تزال تعتبر سوريا من الدول التي تساند الارهاب الدولي. والمطلب الرابع هو الحصول على أكبر قدر ممكن من المساعدات المالية. وتدل جميع الشواهد أن أمريكا وحلفاءها قد

وافقوا من ناحية المبدأ على المطلب الأول والثالث والرابع . وذلك طبعا في مقابل استجابة سوريا للطلب الأمريكي الوحيد، وهو مشاركة القوات العسكرية السورية ضمن قوات التحالف ضد العراق. اما المطلب السوري الثاني والخاص باستعادة هضبة الجولان، فمن المحتمل ان تكون امريكا قد أعطت وعودا غامضة لا تربطها بشيء . . . مثال ذلك سنبذل كل جهدنا . . . سيدخل ذلك ضمن تسوية شاملة لمشكلة الشرق الاوسط بعد الحرب . . . الخ .

شيء لك وشيء لي

من المؤكد أن المفاوضات كانت صعبة. ومن المؤكد أن كل طرف لم يعط الطرف الآخر الا بقدر ما يأخذه منه. وهذا يفسر لنا أن القوات السورية التي ارسلت للسعودية في أول الأمر كانت رمزية ومحدودة، وفي اطار الدفاع فقط عن السعودية . . ولكن هذه القوات ازداد حجمها وتوسعت مسؤولياتها بعد القضاء على القوات اللبنانية التي كانت تحت قيادة الجنرال عون يوم 13 اكتوبر 90. ومن تحليلنا للتصريحات الاعلامية، والاحداث التي تمت بعد ذلك التصريحات والتواريخ التي وقعت فيها، فانه يتبين لنا بوضوح الربط الكامل بين ارسال القوات السورية الى السعودية وبين استجابة امريكا وحلفائها للمطالب السورية.

1 - في يوم 13 سبتمبر صرح الرئيس حافظ الاسد في خطاب له أمام حشد من العسكريين أنه قرر ارسال فرقة مدرعة سورية الى السعودية. وفي تبريره لهذا القرار قال الرئيس السوري أن هذه القوات للدفاع عن السعودية. أما اذا اندلعت الحرب بين العرب والأجانب، فان سوريا ستكون بطبيعة الحال الى جانب العرب. ونحن أشقاء الشعب العراقي. لكننا لا نؤيد غزو الكويت الذي هو خطأ لا يغتفر. [٩٢]
ويلاحظ أن الرئيس السوري قد أعلن هذا القرار قبل يوم واحد من وصول جيمس بيكر الى دمشق ليطلب من سوريا نفس هذا الطلب. وكان الرئيس السوري يريد أن يحقق بذلك هدفين : الهدف الاول هو الا يتصور أحد أن هذا القرار هو نتيجة لقاء الاسد مع بيكر. الهدف الثاني هو أن يلعب الرئيس السوري بهذه الورقة في حواره مع بيكر، من أجل الحصول على مطالبه في مقابل تنفيذ ما أعلن عنه.

2 - في يوم 14 سبتمبر، وبعد محادثات استمرت أربع ساعات ونصف مع الرئيس حافظ الأسد، صرح الوزير الأمريكي قائلا، بأنه ما زال هناك خلافات بين واشنطن ودمشق. وأضاف أن الطرفين اتفقا على مواصلة محادثاتهما.

3 - في يوم 13 اكتوبر، شنت القوات السورية - ومعها قوات رمزية من الحكومة اللبنانية - هجوما على قوات عون اشتركت فيها القوات الجوية والمدفعية السورية. وبعد 8 ساعات من القتال سيطرت القوات السورية على الموقف، وهرب عون الى السفارة الفرنسية في لبنان. وبقي عون محاصرا في السفارة الفرنسية الى ان تم اتفاق سياسي بخصوصه، وأصدرت الحكومة اللبنانية عفوا عنه، وسمحت له واثنان من معاونيه بمغادرة السفارة الفرنسية واللجوء السياسي في فرنسا لمدة 5 سنوات لا يعود خلالها الى لبنان ولا يقوم خلالها بأي نشاط سياسي. ووصل عون الى فرنسا يوم 30 أغسطس 1991 بعد فترة حصار امتدت 323 يوما. (المؤلف: كانت سوريا تريد أن تفرض تطبيق اتفاقية الطائف التي تم التوقيع عليها في 22 اكتوبر 89. وكان في استطاعتها - من وجهة النظر العسكرية البحتة - أن تقوم بتنفيذ ما قامت به يوم 13 اكتوبر 90، في اي تاريخ لاحق لتوقيع اتفاقية الطائف. ولكنها لم تستطع أن تقدم على اتخاذ تلك الخطوة، لأنه لم يكن مسموحا لها بذلك سياسيا من طرف أمريكا وفرنسا واسرائيل. وبالتالي فقد تأخر تنفيذ هذا المخطط الى أن قررت دول التحالف أن تضحي بالجنرال عون من أجل كسب سوريا). ويقول يوري لوبراني Uri Lubrani، أن عون طلب المعونة من اسرائيل، ولكن الوفاق الامريكي السوري، جعل تقديم المساعدة الاسرائيلية غير ممكن.[99]

4 - في يوم 4 نوفمبر، بدأت العناصر الأولى من الفرقة المدرعة السورية تصل الى ميناء ينبع في السعودية.

5 - وفي يوم 24 نوفمبر التقى الرئيس السوري والرئيس الأمريكي في جنيف، وجاء في البيان الختامي أن الرئيسين بحثا الوضع في لبنان،

موضـوع الـرهـائن والارهـاب الـدولي، وقضية الصراع العربي الاسرائيلي. ومن المؤكـد أن حافظ الأسـد قد أثـار موضوع احتلال اسرائيل للجولان. ومن المحتمـل أن يكـون بوش قد أجابه ببعض الاجابات الغامضة التي يمكن لكل طرف أن يفسرها بما ترضيه. مثل سنسعى.. سنحاول.. الخ.

6 - وفي 28 نوفمـبر 1990، أعـادت الحكومـة الـبريطانية علاقـاتهـا الـدبلومـاسية مع سوريـا، وكـانت العـلاقـات قد قطعت بينهـما في 86/10/26، بعـد أن اتهمت بريطانيا سوريا بالوقوف وراء محاوله تفجير طائرة تابعة لشركة العال الاسرائيلية في لندن. وكانت السلطات البريطانية قد اتهمت سوريا مرة أخرى بأنها كانت وراء تفجير الطائرة الأمريكية فوق اسكتلندا يوم 88/12/21، والتي راح ضحيتها 270 (259 على متن الطائرة + 11 نتيجة تساقط أجزاء الطائرة المحترقة على المباني). وأخذت الدول الغربية تفتح نوافذها التي تطل على سوريا الواحدة بعد الاخرى.

7 - وأما بخصوص المساعدات المالية التي دفعت الى سوريا، فانها لم تعلن رسميا قط. ولكن المعلومـات الغير معلنـة تقـول انها حصلت من السعودية والدول الخليجية على حوالي 500 2 مليون دولار.

المـأزق السـوري

البعض يسميهـا الـواقعية أو الـبراجمـاتية. والبعض يـسميهـا الانتهازية. والبعض يسميها حصافة، لانها تحقق هدفا تكتيكيا بتقديم بعض التنازلات مع عدم التخلي عن الهدف الاستراتيجي البعيد. والبعض يسميها لا أخلاقية ولا دينية لانها تحالف مع عدو للعروبة والاسلام ضد أخ في العروبة والاسلام. ولا شك أن النظام السوري نفسه قد وجد نفسه في مأزق، وهو يحاول أن يبرر تصرفاته أمام الشعب السوري والشعب العربي. وهذا يفسر لنا كيف كانت التصريحات السـورية تبـدو غير مفهومة أحيانا وتبدو غامضة أحيانا، وتبدو متناقضة أحيانا أخرى. وسوف نذكر فيما يلي بعضا من تلك التصريحات.

1 - صرح عبد الحليم خدام نائب رئيس الجمهورية السورية عقب لقائه مع الرئيس المصري يوم 30 سبتمبر في القاهرة، أن مبادرة الرئيس الفرنسي

ميتران التي أعلنها أمام الأمم المتحدة، يوم 24 سبتمبر بعيدة بعض البعد عن قرارات الأمم المتحدة. كما قال أن ارسال قوات سورية الى السعودية لا يؤثر على القدرات القتالية للقوات السورية في الجبهة مع اسرائيل.

2 - صرح قائد القوات السورية المتواجدة في السعودية في يوم 90/10/8 أن قواته لن تشارك في هجوم عسكري محتمل ضد العراق، لأن مهمة القوات السورية هي حماية السعودية والأماكن المقدسة. وجدير بالذكر أن القوات السورية حتى ذلك الوقت كانت قوات رمزية لا يزيد عددها عن 4000 ضابط وجندي. وكان الحديث عن ارسال فرقة مدرعة سورية هو مجرد ورقة اعلامية. وكان عون ما زال في موقعه في لبنان.

3 - في 28 اكتوبر 1990، اتهمت الأوساط السورية السياسية والاعلامية الولايات المتحدة الامريكية بتوخي الازدواجية في أزمة الخليج، وعارضت استخدامها كذريعة لتعزيز القدرات العسكرية الاسرائيلية، وتدمير القوات العسكرية العراقية. وذكرت تلك الأوساط أنه على الرغم من انزعاجها من الأخطاء التي ارتكبتها القيادة العراقية، فان دمشق تبقى واعية بأن حربا عربية اسرائيلية محتملة ستجعل من العراق عمقا استراتيجيا لسوريا في مواجهة اسرائيل. . . وذلك في غياب مصر التي أبرمت معاهدة سلام مع اسرائيل. . . فالامريكيون قرروا مؤخرا تزويد اسرائيل بصواريخ باتريوت، وبطائرات مقاتلة من طراز F-15، وطائرات عمودية هجومية، بالاضافة الى 100 1 مليون دولار. . . وهذا دون حساب الثلاثة ملايير من الدولارات التي تقدمها سنويا لاسرائيل. فهذا الدعم الامريكي الغير محدود، لا يمكن بتاتا أن يخدم السلام في الشرق الاوسط. بل إنه يشجع التوسع الاسرائيلي.

4 - في 11 يناير 91، وجه الرئيس السوري حافظ الأسد على أمواج الأثير نداء أخويا الى الرئيس العراقي صدام حسين ناشده فيه سحب قواته من الكويت. وقال الاسد: «غير أنه اذا تعرض العراق للهجوم بعد

انسحابه من الكويت، ستقف سوريا الى جانبه بكل قدراتها المادية والمعنوية، وسنقاتل معه». . . ولكن الأحداث التي وقعت بعد ذلك تؤكد أن سوريا لم تحافظ على اي وعد من الوعود التي قطعتها على نفسها تجاه العراق. فقد سمحت بمرور الصواريخ والطائرات فوق الاراضي السورية لضرب العراق. [٩٩] ثم اشتركت القوات السورية المتمركزة في السعودية في الهجوم الارضي ضد القوات العراقية في الكويت يوم 24 فبراير. [١٠٠] وكانت سوريا تقف موقف المتفرج بينما كانت أمريكا تقوم بتدمير القوات المسلحة العراقية. . . بل وتدمير العراق وبنيته الاقتصادية. . العراق الذي قالت عنه سوريا أنه يمثل العمق الاستراتيجي لسوريا !!

موقف النظام الليبي

موقف العقيد القذافي كان أفضل بكثير من مواقف غالبية الأنظمة العربية، ولكنه كان اقل بكثير مما كانت الجماهير العربية تنتظره منه. فاللقب الرسمي للعقيد القذافي هو قائد الثورة الليبية وليس الرئيس الليبي. . ومن هنا فان تقييم الشعب العربي لأفعاله تتم عادة في اطار أنه قائد ثورة، وزعيم شعبي اشتهر بتصريحاته الثائرة التي لا تهتم كثيرا بالمجاملات الدبلوماسية في العلاقات الدولية. لقد اختار العقيد لنفسه هذا الاسلوب. ولذلك فان الشعب العربي الذي ساهم هو في تثويره، كان ينتظر منه أكثر مما قدم. كان الشعب العربي يقف أحيانا عاجزا عن فهم بعض المواقف الليبية. . حتى أن بعض خصومه استغلوا بعض تصريحاته، للايحاء بأن القذافي بتحسين علاقته مع النظام المصري، فانه يريد من حسني مبارك أن يتوسط له لدى الادارة الأمريكية لكي تقوم بتطبيع علاقاتها مع ليبيا. وفي اطار كل تلك المعطيات سوف نقوم باستعراض أهم مواقف القذافي خلال تلك الأزمة.

- في خلال مؤتمر القمة العربي الذي عقد في القاهرة في 90/8/10، كانت ليبيا ومنظمة التحرير الفلسطينية هما الدولتان الوحيدتان اللتان صوتتا مع العراق ضد قرارات المؤتمر بدون أي تحفظات.

- 90/8/21، صرح القذافي في مؤتمر صحفي أن بلاده مستعدة للمشاركة في قوة تابعة للأمم المتحدة اذا ما قررت الأمم المتحدة فرض الحصار بالقوة

المسلحة على العراق. وأوضح أن بلاده ملتزمة بالشرعية الدولية، وبكل القرارات الصادرة عن مجلس الأمن. وأنه ضد استعمال المدنيين كأداة لصالح أحد أطراف النزاع (وهي اشارة خفية تحمل النقد للعراق لاحتجازه المدنيين الغربيين). ولكنه أضاف في نفس الحديث بأنه سوف ينسحب من الأمم المتحدة إذا لم يقم مجلس الأمن بادانة الولايات المتحدة وحلفائها على خرقهم الفاضح لميثاق الأمم المتحدة. (لم يقم مجلس الامن بادانة الولايات المتحدة ولم تنسحب ليبيا).

- 90/9/2، أعلن القذافي أن بلاده لن تلتزم بتطبيق الحظر الغذائي على العراق، مؤكدا استحالة المشاركة في عمل هدفه تجويع شعب وأبناء العراق.

- 90/9/30، القي القذافي خطابا في مدينة سرت، بمناسبة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف قال فيه «يجب فصل الأماكن الاسلامية المقدسة في مكة والمدينة من حكم آل سعود (لم يوضح طبيعة هذا الكيان، وهل يكون مثل الفاتيكان أم أن له تصور آخر). وقال أنه بعد فصل الأماكن المقدسة، فانه يكون من حق الرياض أن تدعو أية قوة أجنبية للدفاع عن نفسها. وأضاف قائلا أنه اذا تعرضت ليبيا لاعتداء أجنبي فانها ستعمل كما فعلت الرياض. أما استدعاء قوات أجنبية في الوقت الذي تكون فيه مكة والمدينة خاضعة لحكم آل سعود، فانه يعتبر تهديدا لها.

- 90/10/14، اكد القذافي في خطاب له أمام مؤتمر الشعب الليبي بطرابلس على ضرورة سحب العراق لجيوشه من الكويت. واذا لم تنسحب القوات الأجنبية من الخليج بعد الانسحاب العراقي، سيكون من حق العرب محاربتهم. وذكر أن المبادرة التي اقترحها في شهر سبتمبر تظل هي الحل لأزمة الخليج... موضحا بأنه اقترح نشر قوات أممية في الكويت محل القوات العراقية، ومنح جزيرة بوبيان وحقل الرميلة للعراق. وكان مبعوث القذافي العقيد مصطفى الخروبي المفتش العام للجيش الليبي قد وصل الى السعودية يوم 8 سبتمبر حيث قابل الملك فهد وعرض عليه المبادرة. وفي اليوم التالي اذاعت السلطات الليبية بأن السعودية رحبت بالمخطط الليبي. ولكن السلطات السعودية أصدرت يوم 10 سبتمبر بيانا نفت فيه أن تكون قد رحبت

بالمخطط الليبي الذي يدعو الى انسحاب العراق من اغلب أراضي الكويت والاحتفاظ بالمقابل بجزيرة ذات موقع استراتيجي وحقل للبترول (ويلاحظ ان البيان السعودي كان هو أول اشارة الى مضمون المبادرة الليبية).

• 90/10/21، وجه القذافي خطابا في الخرطوم دعا فيه لاقامة وحدة بين كل من مصر وليبيا والسودان في أقرب وقت ممكن، حيث أن كل عناصر الوحدة متوفرة. وان اقامة دولة تضم البلدان الثلاثة ستصبح اقوى دولة في العالم العربسلطات السعودية أصدرت يوم 10 سبتمبر بيانا نفت فيه أن تكون قد رحبت بالمخطط الليبي الذي يدعو الى انسحاب العراق من اغلب أراضي الكويت والاحتفاظ بالمقابل بجزيرة ذات موقع استراتيجي وحقل للبترول (ويلاحظ ان البيان السعودي كان هو أول اشارة الى مضمون المبادرة الليبية).

• 90/10/21، وجه القذافي خطابا في الخرطوم دعا فيه لاقامة وحدة بين كل من مصر وليبيا والسودان في أقرب وقت ممكن، حيث أن كل عناصر الوحدة متوفرة. وان اقامة دولة تضم البلدان الثلاثة ستصبح اقوى دولة في العالم العربي. كما أكد القذافي بأنه سيطلب من العقيد جون جارانج وضع حد لتمرده على نظام الخرطوم.

• 90/10/29، صرح القذافي في اجتماع للرابطة الدولية للدعوة الاسلامية التي تتخذ طرابلس مقرا لها، بأنه يجب على المسلمين مقاطعة الأماكن المقدسة في السعودية مادامت القوات الأمريكية منتشرة هناك. ودعا المسلمين إلى التأهب لمواجهة الولايات المتحدة في حالة نشوب حرب في منطقة الخليج.

• 90/11/28 حمل القذافي الملك فهد مسؤولية فشل محاولاته للوساطة. وفي بيان قرأه وزير الاعلام الليبي علي أبو جازية أمام الصحفيين، أوضح العقيد القذافي أنه حاول تنظيم قمة بين الملك فهد والرئيس العراقي صدام هذا الأسبوع. وأضاف أن الجانبين وافقا في البداية، إلا أن الملك فهد تراجع في اللحظة الأخيرة. وأعلن كذلك عن الغاء مؤتمر صحفي دعا له أكثر من 180 صحفيا من جميع انحاء العالم لتغطية أنباء اللقاء المقترح الذي كان سيحضره القذافي إلى جانب كل من الملك فهد والرئيس صدام حسين. [١٥١]

• 91/1/1، صرح القذافي لصحيفة الأخبار المصرية، ولعدد آخر من رجال الصحافة بأنه يعارض هجوما عراقيا محتملا ضد اسرائيل، لأن مثل هذا الهجوم سيوفر لها مناسبة احتلال أراضي عربية جديدة. وأضاف القذافي قائلا «إننا ننصح الرئيس صدام حسين بالانسحاب من الكويت أولا، ثم لنبحث بعد ذلك وسائل وضع حد لأزمة الخليج»[102] وقد أثار هذا التصريح استغراب الكثير من المعلقين... حيث أن القذافي كان يدعو دائما الى تدمير دولة إسرائيل.. وكان آخر ما جاء على لسانه في هذا المجال هو ما صرح به في 90/11/21 بضرورة إزالة إسرائيل وانشاء الدولة الفلسطينية.

• 4 يناير 91، انعقدت قمة رباعية في مصراتة في ليبيا، وحضرها كل من الرئيس المصري والرئيس السوري والرئيس السوداني والرئيس الليبي ولكنها انفضت دون التوصل الى أي مبادرة.

• 25 يناير 91، أجرت هيئة الاذاعة البريطانية حديثا مع القذافي نقلته على الهواء مباشرة شاشات التليفزيون إلى بريطانيا والى جميع أنحاء العالم. وجاء في حديث القذافي ما يلي «إنني لا أؤيد أحدا منهما. أنا ضد دخول العراق للكويت. وضد عدوان الائتلاف الدولي ضد الشعب العراقي. إذا كان لي أن أؤيد فإنني أؤيد الكويت ضد العراق. وأؤيد العراق ضد هذا العدوان. الحل الذي أقترحه هو ايجاد وحدة بين العراق والكويت وجميع الدول العربية الأخرى. وفي هذه الحالة لن يكون هناك الكويت أو العراق أو السعودية أو مصر أو سوريا أو غيرها. كل هذه الدول ستكون في اتحاد واحد. هذا هو الحل النهائي والايجابي للأزمة» وعندما سئل عن رأيه في الهجمات الصاروخية التي تشنها العراق ضد اسرائيل قال القذافي ليس لدى إجابة على هذا السؤال.

موقف النظام اليمني

نشرت صحيفة 26 سبتمبر اليمنية في عددها الصادر يوم 90/10/22 نقلا عن مصادر يمنية، أن اليمن سيتقدم بمبادرة لحل أزمة الخليج بالطرق الديبلوماسية.[103] وأن هذه المبادرة تشمل النقاط الرئيسية التالية:

1 ـ انسحاب القوات العراقية من الكويت.

2 ـ النظر في الأسباب التي دفعت العراق إلى التدخل في الكويت

ومعالجتها من أجل ايجاد حل عادل لها، وذلك في إطار عربي أو دولي.

3 ـ انسحاب القوات الأجنبية من الجزيرة العربية ومنطقة الخليج.

4 ـ احترام حق السيادة والاستقلال وتقرير المصير للشعب الكويتي.

5 ـ رفع الحصار الاقتصادي المفروض على العراق.

6 ـ اقامة نظام اقتصادي جديد وعادل في المنطقة، يضمن الاستقرار والتعايش السلمي بين شعوبها، للقضاء على الهوة الكبيرة الموجودة بين البلدان الغنية والفقيرة في المنطقة.

7 ـ البحث عن السبل الكفيلة لاحلال سلام عادل ودائم. وذلك بالبدء في تسوية مشاكل المنطقة وفي مقدمتها القضية الفلسطينية.

ومع أن المصادر التي كشفت عن هذه المبادرة تقول ـ حسب ما ذكرت الصحيفة ـ أن مشاورات تجري بين اليمن وبين الدوَل الصديقة بشأن هذه المبادرة. . . إلا أننا نعتقد أن هذه المبادرة كان محكوما عليها بالفشل لعدة أسباب. السبب الأول هو أن اليمن لم يكن مؤهلا لأن يلعب دور الوساطة. حيث أن موقفه كان متعاطفا مع العراق، مما دفع السعودية إلى طرد مئات الألوف من اليمنيين الذين كانوا يعملون بها. [104] والسبب الثاني هو أن السعودية والدول الخليج ومعها أمريكا ودول التحالف كلهم يرفضون أي عملية ربط بين الانسحاب العراقي من الكويت وبين أي مشكلة أخرى حتى ولو كانت هذه المشكلة هي القضية الفلسطينية. والسبب الثالث هو أن المبادرة اليمنية تتحدث عن نظام اقتصادي يفرض على الدول الخليجية التزاما ـ ولو بطريقة مستترة ـ بأن تستثمر قدرا معتبرا من مدخراتها في الدول العربية الفقيرة. . . وهذا أيضا كان وما يزال مرفوضا من الدول الخليجية. وبالاضافة إلى كل ذلك فإن المبادرة اليمنية تتحدث عن حق تقرير المصير للشعب الكويتي. وهذا الاقتراح يعتبر كفرا لا من وجهة نظر حكومة آل الصباح فحسب، بل ومن وجهة نظر جميع الأنظمة الخليجية. ولكل هذه الأسباب، فقد ولدت المبادرة اليمنية ميتة. وكما ظهرت المبادرة اليمنية عن طريق وسائل الاعلام، فقد كان الرد عليها بالرفض ـ دون الاشارة إليها ـ في وسائل الاعلام

السعودية والكويتية في الأيام التالية. وذكرت هذه الوسائل أن المسؤولين السعوديين والكويتيين يرفضون أي حل جزئي للأزمة الراهنة. وهم يستندون في ذلك إلى قرارات الجامعة العربية ومجلس الأمن الدولي. . . ويشترطون الانسحاب الفوري واللامشروط من كل التراب الكويتي، وعودة الحكومة الشرعية الى حكم الامارة.

وفي يوم 90/11/22 استقبل الرئيس علي عبد الله صالح وزير الخارجية الأمريكي جيمس بيكر، الذي كان يريد أن يحصل على تأييد اليمن (كانت اليمن هي أحد الأعضاء المؤقتين في مجلس الأمن خلال أزمة الخليج) لمشروع القرار الذي كانت أمريكي قد أعدته للعرض على مجلس الأمن الدولي، والذي يبيح لدول التحالف حق استخدام القوة ضد العراق إذا لم ينسحب من الكويت قبل 15 يناير 91 ..ولكن اليمن رفض الاستجابة للطلب الأمريكي وأصدر بيانا، بعد انتهاء اللقاء يعلن فيه أن يرفض لجوء دول التحالف إلى الخيار العسكري.

موقف النظام الجزائري

في 12 ديسمبر 90، كانت بغداد هي أول محطة للرئيس الشاذلي بن جديد، في رحلة إلى عدد من الدول العربية والأوروبية استغرقت 12 يوما. وعقب الانتهاء من محادثاته مع الرئيس حسني مبارك في القاهرة في 17 ديسمبر، عقد الرئيسان المصري والجزائري مؤتمرا صحفيا حضره ممثلوا الصحافة الدولية والمصرية. وفي هذا المؤتمر قال الرئيس الشاذلي «ان لقاءنا هذا يدخل في اطار التعاون والتشاور والمساعي التي تقوم بها الجزائر حاليا. وموقف الجزائر في هذا الموضوع واضح وثابت ولن يتغير. . . وهو الموقف الذي أعلناه منذ بداية الأحداث ومازلنا مصرين عليه، ألا وهو احترام الحدود الموروثة طبقا للقوانين الدولية. إنه ليس من حقنا المساومة على حق أي كان. وانما اجتهادنا يهدف إلى تقريب وجهات النظر. وأملنا أن نقنع الأطراف المعنية بضرورة الحل السلمي العربي. وهذا هو الهدف والأساس الذي تقوم عليه جولتنا. . »

وردا على أسئلة الصحفيين قال «انا مازلت مقتنعا بحل عربي. ولا نقول حلا عربيا فقط، لأن من يقول ذلك يخطىء. وانما يجب علينا أن نأخذ الهيئات

الدولية بعين الاعتبار. وإن أملي هو أن نصل إلى نواه لحل المشكل، على أن يحل المشكـل نهائيا وفقـا للقـرارات الدولية.» وعن سؤال عن الربط بين القضية الفلسطينية وأزمة الخليج أجاب «القضية الفلسطينية هي قضية أساسية. وإذا كان هناك ربط فهو ربط سياسي أما الربط العضوي فأنا أعتقد أنه منطلق غير منطقي وغير موضوعي... لأن قضية الخليج هي قضية عربية عربية بالدرجة الأولى. أما القضية الفلسطينية أو ما يسمى بقضية الشرق الأوسط فهي قضية بين العرب وإسرائيل وحلفائها». [105]

وعن جولته في أوروبا صرح الرئيس الشاذلي يوم 22 ديسمبر 90، عقب لقـائه مع الرئيس الفرنسي فرنسوا ميتران، «ان زيارته لفرنسا تدخل في إطار الجولة التي قام بها في الشرق الأوسط للاطلاع على الوضع هناك، ومعرفة وجهة نظر كل الأطراف المعنية لتكوين فكرة وصورة كاملة حول الأزمة الخليجية. وأضاف أن امكانية الحل العربي والدولي ما تزال قائمة. وأشار بن جديد أن مهمة العمل من أجل تجنب هذه الكارثة، لا تقع على الدول العربية فقط، بل وعلى دول العالم أجمع. وان ذلك كان هو محور حديثه مع الرئيس ميتران، لبذل جهد مشترك لدعم الحل السلمي، بدلا من التوجه نحو انفجار تكون عواقبه وخيمة». [106]

هذا وقد أذاعت وكالات الأنباء العالمية أن الرئيس الشاذلي كان يرغب في زيارة السعودية والولايات المتحدة ولكنه لم يجد ترحيبا من الدولتين. فقد قالت السعودية أنه لا يمكن إجراء أي مفاوضات قبل أن ينسحب صدام حسين من الكـويت. أما الولايات المتحدة، فقد قالت أنه لاداعي لحضور الرئيس بن جديد إلى واشنطن... ومن الممكن أن يتصل بالرئيس بوش تليفونيا إذا كانت هناك حاجة لذلك. [107]

مـوقف الشعـب العـربي

في لقائه مع السيدة أبريل جلاسبي سفيرة الولايات المتحدة في العراق، يوم 25 يوليو 1990، قال صدام حسـين «عـنـدمـا نشعـر أنكم تريدون جرح كبرياءنا، وحرمان الشعب العراقي من حقه في أن يعيش في المستوى اللائق، فاننا سنختار الموت بدلا من الحياة. ولا يهمنا بعد ذلك أن يسقط علينا 100 صاروخ في مقابل كل صاروخ نطلقه عليكم. فلا قيمة للحياة بدون كرامة

وكبرياء. ***اننا لا نستطيع ان نصل اليكم في الولايات المتحدة بكامل قوتنا، ولكن بعض الافراد العرب يستطيعون الوصول اليكم***». وهذه الجملة الأخيرة تحمل في طياتها التهديد بالقيام بأعمال فدائية داخل الولايات المتحدة. وفي خلال شهري اغسطس وسبتمبر 1990، كرر صدام حسين تهديداته بأن ينقل الحرب الى عواصم الدول المعتدية. وأذكر أنني كنت القي محاضرة يوم 90/9/20 في الجزائر لمساندة الشعب العراقي، وسألني أحد الحاضرين «كيف يمكن للعراق أن ينقل الحرب الى عواصم الدول المعتدية، كما صرح بذلك الرئيس صدام حسين ؟» فقلت له «الاجابة عند صدام حسين»[108].

وتحت عنوان «جيوش الارهابيين تساند العراق» كتب توني بانكس Tony Banks يقول «إن تهديد العراق بنقل الحرب الى أراضي اعدائه، قد أخذ مأخذ الجد بواسطة الكثير من الحكومات. وكان العراق قد قدم مؤخرا مذكرة الى القائم بالأعمال الأمريكي في بغداد جاء فيها ان سياسة الولايات المتحدة وأفعالها، سوف تؤدي لا محالة الى ردود فعل في الجماهير العربية والاسلامية. وقد أصدرت وزارة الخارجية الأمريكية تحذيراتها الى جميع من يهمهم الأمر، بأن المصالح الأمريكية ومصالح الدول التي تساندها في حرب الخليج سوف تتعرض لهجمات ارهابية في أوروبا وفي منطقة الشرق الاوسط. وان العمليات الاكثر احتمالا هي التخريب، وأخذ رهائن، والاغتيالات»[109]. ويستطرد المقال فيذكر بعض التهديدات التي صدرت عن الزعماء العرب، فينسب الى الزعيم الفلسطيني محمد ملحم قوله: ان رجالنا يجهزون أنفسهم للقتال في الوطن العربي، وفي الولايات المتحدة وفي أوروبا، وهذا انذار للجميع. وينسب الى كل من جورج حبش ونايف حواتمة تهديداتها بضرب المصالح الامريكية. وينسب الى (أبو العباس) وغيره من الزعماء الفلسطينيين تصريحات مماثلة. وينسب الى المناضل الليبي ابراهيم خراز، دعوته للعرب بان يقوموا بهجمات انتحارية ضد المصالح الامريكية والغربية».

ولكن يبدو أن المخاوف الأمريكية والغربية من هذه العمليات الفدائية كان فيها الكثير من المبالغة. كما أن التهديدات التي صدرت من الزعماء العرب، كان عنصر الدعاية فيها يفوق عنصر القدرات الحقيقية. نعم لقد خرجت مظاهرات ضخمة احتجاجية ضد التهديد الأمريكي للعراق في عدد من الدول

العربية (الأردن، اليمن، مصر، السودان، تونس، ليبيا، الجزائر، المغرب، موريتانيا) ولكنها كانت مظاهرات سلمية لم تتعرض خلالها المصالح الأمريكية والغربية للخطر. ومثل هذه المظاهرات يمكن لأمريكا أن تتعايش معها. فقد خرجت في أمريكا وفي أوروبا مظاهرات معادية للسياسة العدوانية الأمريكية اكثر عددا من تلك التي خرجت في البلاد العربية. فالذي كانت تخشاه أمريكا حقا، كما سبق أن أوضحه توني بانكس، هو عمليات التخريب، وخطف الرهائن، والاغتيالات. وفي خلال فترة الحرب والتي امتدت 206 يوم (7 أغسطس 90 حتى 28 فبراير 91) لم تتعرض مصالح أمريكا والدول الغربية للهجوم الا في الحالتين التاليتين:

- 90/9/28، في ليلة الخميس / الجمعة 27/28 سبتمبر 1990، هاجم أربعة أشخاص مقهى في جيبوتي يرتاده الجنود الفرنسيون، وألقوا عليه 3 قنابل يدوية. وقد أسفر الهجوم عن مقتل شخص واحد وجرح 17. وقد القى في نفس الوقت قنبلتان آخرتان على مقهى آخر ولكنهما لم تنفجرا.

- 91/2/3، أطلق مجهولان في مدينة جدة النار على عربة كانت تقل ثلاثة طيارين امريكيين يقودها سائق مصري، وقد اصيب السائق واثنين من الطيارين اصابات غير قاتلة.

وبالاضافة إلى هاتين العمليتين الايجابيتين، فقد كانت هناك بعض الاحتجاجات التي تأخذ الطابع السلبي مثال ذلك ما يلي:

- 11 نوفمبر 1990، لجأ طيار سعودي بطائرته من طراز F-15C الى السودان. وقد تكتم السعوديون الخبر، الى أن أكدته المصادر الأمريكية يوم 15 نوفمبر بعد أن تم الاتفاق مع حكومة السودان على اعادة الطائرة، مع منح الطيار السعودي حق اللجوء السياسي.

- في نهاية عام 1990، قامت BBC بعملية سبر الآراء بين مستمعيها في افريقيا وآسيا، فظهر أن الغالبية العظمى تؤيد صدام حسين وتعتبره رجل العام. وقالت صحيفة الأوبزرفر البريطانية في عددها الصادر بتاريخ 91/1/6، أن عددا كبيرا من الرسائل المؤيدة لصدام حسين قد وصل من شمال نيجيريا، حيث تبث BBC بلغة الهوسا لحوالي 8 مليون نسمة.

- 91/1/24، ظهر دنيس هيلي Dennis Healey، أحد زعماء حزب العمال

البريطاني ووزير خارجية سابق، في برنامج تليفزيوني يديره سير روبين Now Sir Robin. وكان هيلي يحذر من انفجار الشارع العربي. وضرب لذلك مثالين. في يوم 17 يناير اشتركت 12 طائرة سعودية في أول غارة جوية على العراق عاد 6 منها دون أن تلقي حمولتها من القنابل. وفي اليوم التالي اشتركت 7 طائرات عاد 6 منها دون القاء قنابلها. وكان عذر الطيارين في الحالتين، هو أنهم لم يستطيعوا تمييز الهدف المطلوب قصفه.

• 91/1/28، قرر الشعب المغربي ان يكون يوم الاثنين 28 فبراير 91 (12 رجب 1410 هجرية) هو يوم صيام تضامنا مع الشعب العراقي.

• لجأ الكثير من العرب والمسلمين الى تسمية أبنائهم الذين يولدون باسم صدام حسين، وباسم الحسين (الصاروخ العراقي الذي كان يستخدمه العراق في قصف اسرائيل).

كانت حركة الشعب العربي المؤيدة للعراق، اكثر قوة في الدول العربية التي يسمح نظامها بهامش من حرية التعبير، والدول العربية التي يتخذ نظام الحكم فيها موقفا مؤيدا أو موقفا غير شديد العداوة للعراق. أما الدول التي كانت تتخذ موقفا عدائيا سافرا ضد العراق (الدول الخليجية الست + مصر + سوريا) فقد كانت السلطات تتخذ اجراءات قمعية ضد كل من يتعاطف مع العراق. ولكن الموقف في مصر كان يختلف قليلا. ففي مصر يسمح النظام الحاكم بهامش قليل من حرية التعبير لا يتوفر في سوريا أو الدول الخليجية. وفي اطار هذا الهامش سمحت الفرصة لكثير من قطاعات الشعب أن تظهر تأيدها للعراق رغم العداء السافر الذي كان يقفه النظام المصري من العراق. *والذي نستطيع أن نؤكده أن الغالبية العظمى من الشعب العربي كانت وما زالت تقف الى جانب الشعب العراقي ضد أمريكا وحلفائها، ونتحدى أي نظام يشكك في هذه الحقيقة أن يقبل باجراء استفتاء حر ونظيف حول هذا الموضوع. فالاسلام ما زال يعيش في أعماق هذا الشعب. واذا كان هذا الشعب لم يستطع ان يعبر بقوة عن موقفه المؤيد للعراق، فان ذلك يرجع الى عوامل قهرية كانت أقوى منه في تلك المرحلة*. ولكن ذلك لا يجب أن يفقدنا الثقة في قدرة الشعب العربي في فرض ما يريده في الوقت المناسب. وقد كانت هذه الحرب فرصة مثالية لفرز المواقف، وتبيان أصحاب المبادىء الأصيلة، وكشف وفضح الانتهازيين والمنافقين الذين كانوا يتاجرون بالشعارات.

الفصل السابع

الموقف العربي قبل اندلاع الأزمة

موثقا أمام الله

المتغيرات الرئيسية في المواقف

شرحنا في الفصل السابق موقف الزعماء العرب خلال تلك الأزمة. وكان لكل واحد منهم الأسباب والدوافع التي جعلته يتخذ هذا الموقف. وقد أفرزت هذه الفترة تحالفات وصداقات عربية جديدة تختلف عن التحالفات والصداقات التي كانت قائمة قبل 2 أغسطس 90، وكانت أبرز هذه التغيرات مايلي:

1 - انتقال حسني مبارك إلى الجبهة المعادية لصدام حسين، رغم أنه كان قد دخل معه في تحالف في إطار مجلس التعاون العربي، قبل 18 شهر من انفجار الأزمة.

2 - رغم أن حافظ الأسد كان ضد العراق منذ عام 1980، في الوقت الذي كانت فيه مصر والدول الخليجية تؤيد العراق في حربه ضد إيران... إلا أن سوريا كانت في شبه عزلة إعتبارا من شهر فبراير 89... وذلك بعد قيام مجلس التعاون العربي، الذي يضم مصر والعراق والأردن واليمن في 89/2/16، وقيام الاتحاد المغاربي الذي يضم الجزائر والمغرب وتونس وليبيا وموريتانيا في 89/2/17، وذلك بالاضافة إلى مجلس التعاون الخليجي الذي كان قائما منذ 81/5/25 والذي كان يضم جميع الدول الخليجية الست.[1] فبانضمامه إلى مصر والدول الخليجية في الجبهة المعادية للعراق، يكون حافظ الأسد قد أخرج نفسه من هذه العزلة، وفرض العزلة على غريمه صدام حسين.

3 - العقيد معمر القذافي كان ضمن الاتحاد المغاربي من الناحية الرسمية. ولكن قلبه وأحلامه كانت مع مصر. وكان قد بدأ في تطبيع علاقاته مع النظام المصري عندما زار مصر واستقبله حسني مبارك في مرسى مطروح في 89/10/17... وبذلك أنهى القذافي فترة قطيعة كاملة امتدت أكثر من 11 سنة. وبالتالي فإن القذافي لم يكن متحمسا

لأن ينسف علاقاته مع مصر، باتخاذه مواقف حدية كتلك التي اشتهر بها طوال فترة حكمه السابقة.

4 - أما ياسر عرفات الذي اشتهر بالمواقف الوسطية. وأنه لا ينسف الجسور ولا يقطع الخيوط التي تربطه بمن يختلف معهم أبدا... ياسر عرفات الذي أخرج عليه بعض الظرفاء، نكتة تقول أنه عندما كان يحج رمى الشيطان بست حجرات واحتفظ بواحدة، فقيل له لقد رميت بست ولم ترم بالسابعة. فرد عليهم قائلا: احتفظ بها لكي لا أقطع كل الخيوط مع الشيطان... ياسر عرفات الذي كانت تعتمد سياسته على التحالف الاستراتيجي مع مصر، بصفتها أكبر الدول العربية وأكثرها تأثيرا، ومع الدول الخليجية بصفتها الممول الرئيسي لما يحتاج اليه من دعم مالي... ياسر عرفات غيّر موقعه، وأيد العراق ضد الوجود الأمريكي، فوجد نفسه في المعسكر المعادي لمصر والدول الخليجية الذين كانوا بالأمس هم حلفاؤه الرئيسيين.

فهل كانت هذه التغييرات في المواقف نابعة عن التمسك بالمبادىء والمثل العليا والمصالح الاستراتيجية للشعب العربي والأمة الاسلامية؟ أم ان هذه التحالفات والصداقات الجديدة، هي مواقف انتهازية تتعارض مع كل ما كانوا يدعون اليه ويرفعون من شعارات قبل اندلاع الأزمة؟ ورغبة مني في أن أشرك القارىء في ان يجيب بنفسه على تلك الأسئلة، فإني سأضع أمامه الوثائق والمعلومات التي تساعده في التوصل الى الاجابة الصحيحة. وتشمل تلك الوثائق والمعلومات مايلي:

أ - ما ورد في قرارات القمم العربية والقمم الاسلامية.

ب - ما جاء على لسان هؤلاء الزعماء الأربعة ومعاونيهم الرئيسيين، في وصفهم لمن يصادقونهم اليوم، قبل أن يتحولوا عن مواقفهم السابقة.

ميثاق مكة 1401 هجرية (1981 م)

انعقد مؤتمر القمة الاسلامي الثالث في السعودية. وحضر هذه القمة وفود من 38 دولة. وأنهت أعمالها في 22 ربيع أول 1401 هجرية، الموافق 28 يناير 81. وقد عقدت بعض جلسات هذا المؤتمر في الطائف، وعقد البعض الآخر

في رحاب مكة المكرمة، حتى يكون ما تم الاتفاق عليه في هذا المؤتمر موثقا على الملوك والرؤساء المسلمين أمام الله. ولذلك فإنه يطلق على قرارات هذا المؤتمر بميثاق مكة 1401 هجرية، وقد جاء بين تلك القرارات مايلي :

1 ـ التأكيد على اعتبار قضية فلسطين قضية الأمة الاسلامية الأولى، وأنه لا يجوز لأي طرف التنازل على هذا الالتزام.

2 ـ التأكيد على الالتزام بتحرير كل الأراضي الفلسطينية والعربية المحتلة منذ عدوان 1967، بما في ذلك القدس الشريف، وعدم التنازل أو التفريط في أي جزء من تلك الأراضي أو المساس بالسيادة الوطنية الكاملة عليها.

3 ـ الالتزام باستعادة الحقوق الوطنية الثابتة للشعب العربي الفلسطيني، بما في ذلك حقه في العودة وتقرير المصير واقامة الدولة الفلسطينية المستقلة على ترابه الوطني، بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني.

4 ـ عدم جواز انفراد أي طرف من الأطراف العربية أو الاسلامية، بأي حل لقضية فلسطين بوجه خاص، والصراع العربي الاسرائيلي بوجه عام. ***والاستمرار في مقاومة اتفاقيات ونهج كامب ديفيد، ومايترتب عليها من نتائج وآثار حتى يتم اسقاطها وإزالة آثارها. ومقاومة أي مبادرة تنطلق منها.***

5 ـ إعتبار قرار 242 لا يتفق مع الحقوق الفلسطينية والعربية، ولا يشكل أساسا صالحا لحل أزمة الشرق الأوسط وقضية فلسطين.

6 ـ ***تلتزم الدول الاسلامية باستخدام جميع امكاناتها العسكرية والسياسية والاقتصادية، والموارد الطبيعية بما فيها النفط كوسيلة فعالة لدعم الحقوق الوطنية الثابتة للشعب الفلسطيني والأمة العربية، ولمواجهة الدول التي تدعم الكيان الصهيوني عسكريا واقتصاديا وسياسيا. (المؤلف : الدول الخليجية تعمل في اتجاه مضاد لهذه المادة. فهي تدعم أمريكا الحليف الأول لاسرائيل... وهي في نفس الوقت***

طردت الفلسطينيين من بلادهم، وقطعت معوناتها المالية لمنظمة التحرير الفلسطينية، لمجرد أنها وقفت الى جانب العراق ضد أمريكا).

مؤتمر القمة الاسلامي الرابع 1984

انعقدت هذه القمة في الدار البيضاء في المغرب، وحضرها وفود 42 دولة. وقد أنهت أعمالها يوم 19 يناير 84، وكان من بين قراراتها مايلي:

1 - عدم انفراد أي طرف من الأطراف العرب بأي حل للقضية الفلسطينية، وقضية الصراع العربي الصهيوني. ***والاستمرار في مقاومة اتفاقيتي كامب ديفيد، ونهجها وما يترتب عليها من نتائج وآثار، حتى استقاطها وإزالة آثارها. كذلك بالنسبة لأي مبادرة تنطلق منها.***

2 - دعوة مجلس الأمن إلى إصدار قرار جديد ينص صراحة... على انسحاب اسرائيل من كل الأراضي الفلسطينية والعربية المحتلة، بما فيها مدينة القدس... وعلى ضمان الحقوق الوطنية الثابتة للشعب الفلسطيني، بما في ذلك حقه في العودة وتقرير المصير، وفقا لقرارات الأمم المتحدة خصوصا القرار 3236، وتوصيات اللجنة المعنية بالحقوق الوطنية الثابتة غير القابلة للتصرف.

3 - **إدانة الولايات المتحدة للأسباب التالية**

أ - *استمرار موقفها المعادي للحقوق الوطنية الثابتة للشعب الفلسطيني، وعدم الانسحاب الاسرائيلي الشامل من كل الأراضي الفلسطينية والعربية المحتلة، بما فيها القدس، وعدم الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلا شرعيا ووحيدا للشعب الفلسطيني.*

ب - *سياستها التي تسعى إلى فرضها على دول المنطقة وشعوبها، من أجل وضعها في دائرة النفوذ والسيطرة الأمريكية.*

جـ - *الدعم المستمر والمتعاظم الذي تقدمه الى العدو الصهيوني في كل المجالات خصوصا المجال العسكري والسياسي والاقتصادي، وذلك بموجب التعاون الاستراتيجي بينهما.*

د - *العدوان الجوي الأمريكي على المواقع السورية في 4 ديسمبر (كانون أول) الماضي، وتصريحات بعض المسؤولين الأمريكيين عن عزم الادارة الأمريكية، على الاستمرار في ارسال طائرات الاستطلاع فوق مواقع القوات السورية (في لبنان).*

4 - وأدانت القمة وجود الأساطيل وحاملات الطائرات وقوات المارينز الأمريكية قبالة السواحل العربية وفي شرق البحر المتوسط. وترى أن استمرار التدفق العسكري الأمريكي على منطقة الشرق الأوسط والمصحوب بالاعتداءات والتهديدات يشكل خطرا على أمن المنطقة وسلامتها... واعتداء صارخا على شعوبها ودولها... وتشجيعا للكيان الصهيوني وحماية له. كما ترى في وجود هذه القوات طليعة لتمركز قوات التدخل السريع... والتفافا مفضوحا لعودة القوات الاستعمارية الى المنطقة، يسلب الأمم المتحدة دورها كمنظمة دولية مسؤولة عن الأمن والسلام في العالم أجمع.

5 - وافق المؤتمر على عودة مصر بأغلبية 31 صوت وتحفظ 10 أعضاء بينهم سوريا، ليبيا، اليمن الجنوبي، الجزائر، تونس. أما الدول التي وافقت على هذه العودة، فكان من بينها الدول الخليجية والعراق ومنظمة التحرير الفلسطينية. وكانت الموافقة على عودة مصر مشروطة باعلانها الالتزام بميثاق المؤتمر الاسلامي، وأرسلت القمة وفدا الى القاهرة برئاسة الرئيس الغيني أحمد سيكوتوري.[2] وقد أعلن حسني مبارك في مؤتمر صحفي، يوم 30 يناير 84 قبول قرار القمة الاسلامية الرابعة بالعودة الى منظمة المؤتمر الاسلامي على أساس ميثاقها.[3]

مؤتمر القمة الاسلامي الخامس 1987

انعقدت هذه القمة في الكويت، وحضرتها 44 دولة وقاطعتها إيران. واختتمت أعمالها يوم 29 يناير 87. وقد أقرت هذه القمة 30 قرارا نذكر منها مايلي:

1 - رفض كل المبادرات والاتفاقيات الانفرادية التي تتجاهل الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني في العودة وتقرير المصير، وبناء الدولة

المستقلة على ترابه الوطني. ***والدعوة الى دعم فكرة عقد ندوة دولية حول السلم في الشرق الأوسط تحت اشراف الأمم المتحدة، بمشاركة كل الأطراف المعنية بالنزاع العربي الاسرائيلي على قدم المساواة، بما في ذلك منظمة التحرير الفلسطينية والأعضاء الدائمين في مجلس الأمن الدولي.***

2 - ***التنديد بالولايات المتحدة لاستمرارها في معارضة الحقوق الشرعية للشعب الفلسطيني، ودعمها للكيان الفلسطيني في جميع المجالات العسكرية والسياسية والاقتصادية، واستعمالها المتكرر للفيتو فيما يتعلق بالقدس وفلسطين والشرق الأوسط.***

3 - دعوة الدول الأعضاء وشعوبها إلى الامتناع عن إقامة علاقات سياسية أو إقتصادية، أو ثقافية، أو عسكرية مباشرة أو غير مباشرة مع العدو الصهيوني. ***وعلى الدول التي تقيم علاقات مع العدو الصهيوني تحت أي شكل، وعلى أي مستوى أن تقوم بقطع علاقاتها فورا ودون أجل. وذلك تطبيقا لميثاق ولوائح منظمة المؤتمر الاسلامي. (المؤلف: يقولون ما لا يفعلون).***

4 - الدعوة الى ضرورة التميز بين الأعمال الاجرامية والارهابية، وبين الكفاح الوطني للشعوب المستعمرة التي تكافح ضد الهيمنة الأجنبية... وهو النضال الذي تعترف به الشريعة الالهية والقيم الانسانية والاتفاقيات الدولية، التي يجسدها خاصة الكفاح الشرعي الذي يخوضه الشعب الفلسطيني، وشعوب جنوب إفريقيا، وناميبيا.

مؤتمر القمة العربي التاسع 1978

انعقد هذا المؤتمر في بغداد ما بين 2 - 5 نوفمبر 1978، واجتمع مجلس الجامعة في بغداد في 27 مارس 79، وصدر عنهما القرارات التالية:

1 - النضال من أجل استعادة الحقوق العربية في فلسطين والأراضي العربية المحتلة هي مسؤولية قومية عامة، وعلى جميع العرب المشاركة فيها كل من موقعه، وبما يمتلك من قدرات عسكرية واقتصادية وسياسية

وغيرها . إن الصراع مع العدو الصهيوني يتعدى إطار الصراع ضده من قبل الأقطار، التي احتلت أراضيها في عام 1967 الى الأمة العربية كلها .

2 ـ على كل الأقطار العربية تقديم كافة أشكال المساندة والدعم والتسهيلات، لنضال المقاومة الفلسطينية بشتى أساليبه من خلال منظمة التحرير الفلسطينية باعتبارها الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني داخل الأراضي المحتلة وخارجها، من أجل تحرير فلسطين واستعادة الحقوق الوطنية للشعب العربي الفلسطيني .

3 ـ تأكيد الالتزام بمقررات القمة العربية، وخاصة المؤتمرين السادس والسابع المنعقدين في الجزائر والرباط، بتحديد الهدف المرحلي للنضال العربي المشترك بما يلي :

أ ـ التحرير الكامل لجميع الأراضي العربية المحتلة في عدوان يونيو 1967 ، وعدم التنازل أو التفريط في أي جزء من الأراضي أو المساس بالسيادة الوطنية عليها .

ب ـ تحرير مدينة القدس العربية وعدم القبول بأي وضع من شأنه المساس بسيادة العرب الكاملة على المدينة المقدسة .

جـ ـ الالتزام باستعادة الحقوق الوطنية للشعب العربي الفلسطيني بما في ذلك حقه في العودة، وتقرير المصير، وإقامة الدولة المستقلة على ترابه الوطني، بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية .

د ـ قضية فلسطين هي قضية العرب جميعا، ولا يجوز لأي طرف عربي التنازل عن هذا الالتزام .

4 ـ عدم جواز انفراد أي طرف من الأطراف العربية بأي حل للقضية الفلسطينية بوجه خاص، والصراع العربي الصهيوني بوجه عام . ولا يقبل أي حل إلا إذا اقترن بقرار من مؤتمر قمة عربي يعقد لهذه الغاية .

5 ـ رفض اتفاقيتي كامب ديفيد، وعدم التعامل مع مايترتب عليهما من نتائج، ورفض كل ما يترتب عليهما من آثار سياسية واقتصادية وقانونية وغيرها من آثار .

6 ـ لما كانت الاتفاقية التي عقدتها الحكومة المصرية مع العدو الصهيوني تنص على إقـامـة علاقات دبلوماسية واقتصادية وسياسية وغيرها من العلائق مع العدو الصهيوني، مما يخلق ظروفا جديدة وبالغة الخطورة في القــطر المصري الشقيق، تتنـافى مع مبادىء القـومية العـربية وتقاليدها، وأسس المقاطعة العربية للعدو الصهيوني، وتخلق احتمالات خطيرة لتسلل العـدو الصهيوني بشتى الـوسائل الأمنية والاقتصادية والثقافية والاعلامية وغيرها في الوطن العربي من خلال مصر. فقد قرر المؤتمـر قطع العـلاقات السياسية والدبلوماسية مع حكومة مصر. . . وفرض قوانين المقاطعة العربية على الشركات والمؤسسات والأفراد في جمهورية مصر العربية الذين يتعاملون بصورة مباشرة أو غير مباشرة مع العدو الصهيوني. . . ونقل مقر الجامعة العربية إلى تونس.

مؤتـمر القمـة العربي الثاني عشر 1982

انعقد هذا المؤتمر في مدينة فاس في المغرب في 6 ـ 9 سبتمبر 1982، ووافق على أول مشروع عربي لحل القضية الفلسطينية. (انعقد مؤتمر القمة العاشر في تونس مابين 20 ـ 22 نوفمبر 79. وانعقدت القمة العربية الحادية عشرة في عمان في 25 نوفمبر 80، وقاطعت هذا المؤتمر دول جبهة الصمود، التي كانت تتكـون من سوريا وليبيا والجـزائـر واليمن الجنـوبي ولبنـان ومنظمة التحرير الفلسطينية. وانعقدت قمة في فاس في 25 نوفمبر 81، ولكنها انفضت بعد بضـع ساعات، وتعتبر هذه القمة وكأنها لم تحدث. . . ويمكن الرجوع الى تفـاصيل ذلـك في كتـاب الخيار العسكـري العـربي الصفحـات رقم 255 ـ 258). وفيما عدا ليبيا التي قاطعت هذا المؤتمر، فقد وافق الجميع على المشروع العربي الذي يعرف بمشروع فاس (يأسف المؤلف على الخطأ الذي وقع منه في كتاب الخيار العسكري العربي حول ميعاد انعقاد مؤتمر قمة فاس. فقد جاء في الصفحة 290 من الكتاب المذكور أن المؤتمر عقد في 1، 2 سبتمبر 82. والصحيح هو 6 ـ 9 سبتمبر 82). ويشمل مشروع فاس البنود الرئيسية التالية:

1 ـ انسحـاب القـوات الاسرائيلية من جميع الأراضي التي احتلت عام 1967، بما فيها القدس العربية.

2 ـ ازالـة المستعمرات التي أقامتها اسرائيل بعد عام 1967 في الأراضي العربية المحتلة.

3 ـ ضمان حرية العبادة وممارسة الشعائر الدينية لجميع الأديان في الأماكن المقدسة.

4 ـ تأكيد حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره، وممارسة حقوقه الوطنية الثابتة غير القابلة للتصرف بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية ممثله الشرعي والوحيد. وتعويض من لا يرغب في العودة.

5 ـ تخضع الضفة الغربية وقطاع غزة لفترة انتقالية تحت اشراف الأمم المتحدة، ولمدة لا تزيد عن بضعة أشهر.

6 ـ قيام الدولة الفلسطينية بعاصمتها القدس.

7 ـ يضع مجلس الأمن الدولي ضمانات سلام بين جميع دول المنطقة بما فيها الدولة الفلسطينية المستقلة.

8 ـ يقوم مجلس الأمن الدولي بضمان تنفيذ تلك المبادىء.

مؤتمر القمة العربي الطارىء 1987

انعقد هذا المؤتمر الطارىء في العاصمة الأردنية، مابين 9 ـ 11 نوفمبر 1987. وكان هذا هو ثاني مؤتمر قمة طارىء يعقد بعد قمة فاس 82. إذ كان الملك الحسن الثاني قد دعا إلى مؤتمر قمة عربي طارىء في الدار البيضاء مابين 7 ـ 9 أغسطس 1985، بهدف تنقية الأجواء العربية. ولكن 5 دول قاطعت هذا المؤتمر هي سوريا ولبنان والجزائر وليبيا واليمن الجنوبي. وقد فشل المؤتمر في اتخاذ أي قرار. [4] وفي أثناء مؤتمر قمة عمـان، أثار العراق موضوع عودة مصر إلى الجامعة العربية وأيدته في ذلك مجموعة الدول الخليجية، ومنظمة التحرير الفلسطينية. وعارضته سوريا وليبيا واليمن الجنوبي. وكان واضحا أن الغرض من عودة مصر ليس من أجل الكفاح ضد اسرائيل، وانما كان الغرض منه هو تقوية الجبهة العربية التي تساند العراق في حربه ضد إيران. وهكذا انزلقت القضية الفلسطينية لأول مرة لتصبح في الأسبقية الثالثة بعد الموضوع الأول، الذي كان يتعلق بالحرب العراقية الايرانية، والموضوع الثاني الذي كان يتعلق بعودة مصر إلى الجامعة. وبعد نقاش حاد تم الاتفاق على إدانة إيران ومطالبتها بتنفيذ قرار مجلس الأمن 598 طبقا للتفسير العراقي. وفيما يتعلق بالقضية

الفلسطينية، تم الاتفاق على الدعوة لحضور مؤتمر دولي للسلام برعاية للأمم المتحدة، بحضور منظمة التحرير الفلسطينية، وعلى أساس قراري مجلس الأمن الدولي رقم 242 ـ 338 . أما موضوع عودة مصر فلم يمكن التوصل إلى اتفاق بخصوصه. وهنا ظهر رأي يقول أن العلاقات الدبلوماسية بين أي دولة عضو في الجامعة العربية، وبين جمهورية مصر العربية هو عمل من أعمال السيادة تقرره كل دولة بموجب دساتيرها أو قوانينها. [5]وهذا الرأي ليس بجديد. فاعتمادا على مبدأ السيادة، خرجت كل من السودان، وسلطة عمان، والصومال على الاجماع العربي، ولم تقطع علاقاتها الدبلوماسية مع مصر في أعقاب توقيعها على كامب ديفيد عام 1979 . واعتمادا على هذا المبدأ أيضا أعاد الأردن علاقاته الدبلوماسية مع مصر في 84/9/25، وأعادتها جيبوتي في عام 1986 . أي أنه كانت هناك 5 دول عربية لها علاقات دبلوماسية مع مصر قبل انعقاد مؤتمر عمان. والأخذ بمبدأ السيادة في هذا الموضوع هو أول عملية هدم رئيسية لأسلوب العمل داخل الجامعة العربية. . . فالسيادة لا يدخل تحتها إعادة العلاقات فحسب. بل يدخل تحتها أيضا الصلح مع اسرائيل، أو الدخول ضدها في حرب، كما يدخل تحتها أي قرار من القرارات التي تتخذها الجامعة العربية. والغرض الأساسي من الجامعة العربية، أو من أي منظمة اقليمية هو النظر فيما يطرح عليها من مشاكل من منظور المصالح المشتركة لجميع الأعضاء، وليس فقط من منظور سيادة الدولة ومصالحها. وقد حاولت سوريا وليبيا واليمن أن تضيف إلى البيان الختامي فقرة تدين فيه تواجد الأساطيل الأجنبية في الخليج، ولكن باقي الدول عارضت ذلك، وجاء البيان الختامي خاليا من أي إشارة لهذا التواجد. . . وذلك على أساس أن هذا التواجد كان موجها ضد إيران. وكان العراق ومنظمة التحرير الفلسطينية والأردن، والدول الخليجية يؤيدون بشدة عودة مصر إلى الجامعة العربية. . . وبناء على ذلك ففي خلال بضعة أسابيع من انتهاء هذا المؤتمر كانت جميع تلك الدول وتبعتها عدة دول أخرى. قد أعادت علاقاتها الدبلوماسية مع مصر (دولة الامارات العربية أعادت علاقاتها مع مصر في نفس اليوم الذي انتهى فيه المؤتمر). [6]

مؤتمر القمة العربي الطارىء 1988

انعقد هذا المؤتمر في الجزائر مابين 7 ـ 8 يونيو 1988، وكان ذلك بهدف دعم الانتفاضة الفلسطينية التي كانت قد بدأت في الأراضي الفلسطينية المحتلة

اعتبارا من 9 ديسمبر 1987 . وإذا كانت قمة عمان 1987 هي قمة السقوط والتردي ، فإن قمة الجزائر كانت هي أول محاولة جادة لوقف هذا السقوط . فإن من يتابع قرارات مؤتمرات القمة العربية منذ نشأتها وحتى مؤتمر القمة التاسع الذي عقد في بغداد، يجد أنها جميعها كانت تنص على الخيار العسكري، وحشد جميع الامكانيات العسكرية العربية لمواجهة العدو الصهيوني . وإعتبارا من عام 1980، أخذ الحديث عن الخيار العسكري يفتر، وبدأت تظهر الحلول السلمية التي بدأت بمشروع فهد عام 1981 ، وانتهت باقرار مشروع فاس 1982 . وجاء بعد ذلك مؤتمر قمة عمان عام 1987 ، ليضع مشكلة الصراع العربي الاسرائيلي في الثلاجة، وليبيح إعادة العلاقات السياسية والدبلوماسية بين الدول العربية وبين نظام كامب ديفيد في مصر. فكانت هذه القرارات هي أحد الأسباب الرئيسية في تفجير الانتفاضة الفلسطينية في الأرض المحتلة . (بدأت الانتفاضة بعد أقل من شهر من تاريخ انتهاء مؤتمر عمان) . فقد شعر الفلسطينيون في الأراضي المحتلة أن مؤتمر عمان قد خذلهم، وأن الزعماء العرب أصبحوا ينظرون الى مشكلة الاحتلال الاسرائيلي لأراضيهم كمشكلة ثانوية . ومن هنا قرروا الاعتماد على أنفسهم في الكفاح ضد إسرائيل . ثم جاء مؤتمر الجزائر ليبعث الأمل في النفوس من جديد. نعم لم تكن قرارات قمة الجزائر في مستوى قرارات قمة بغداد 78 وما سبقها من قمم . ولكن قرارات مؤتمر قمة الجزائر كانت بكل المقاييس، هي أقوى القرارات خلال التسع سنوات التي سبقته . [7] وتتضمن قرارات مؤتمر الجزائر النقاط الرئيسية التالية :

1 ـ الالتزام بتقديم كافة أنواع المساندة، والدعم لضمان استمرار مقاومة وانتفاضة الشعب الفلسطيني.

2 ـ رفض كافة الحلول الجزئية والمنفردة بشأن الصراع العربي.

3 ـ دعوة مجلس الأمن الدولي لتحمل مسؤولياته تجاه انتهاكات إسرائيل لاتفاقيات جنيف، وامعانها في ارتكاب جرائم الحرب ضد الشعب الفلسطيني. والعمل على الانهاء الفوري للاحتلال الاسرائيلي.

4 ـ دعوة المجتمع الدولي الى التصدي للارهاب الرسمي المنظم الذي تمارسه إسرائيل، بدعم من بعض القوى الدولية ضد الشعب

الفلسطيني وقيادته، وانتهاكها لسيادة بعض الدول العربية، والذي يشكل خرقا صارخا لكل الأعراف والمواثيق الدولية وحقوق الانسان (إشارة إلى الغارة الجوية الاسرائيلية على قيادة منظمة التحرير الفلسطينية في تونس، في أول أكتوبر 1985 . . . والغارات الجوية والبرية المستمرة التي كانت نشتها إسرائيل على الجنوب اللبناني).

5 ـ *دعوة الولايات المتحدة الى تغيير موقفها المعادي للأمة العربية وللحقوق الوطنية الثابتة للشعب الفلسطيني، ودعوتها الى وقف دعمها اللامحدود لاسرائيل، والذي يشجعها على التمادي في سياسة العدوان والتوسع والارهاب، متحدية بذلك إرادة المجتمع الدولي والمواثيق الدولية (المؤلف : تتضمن هذه المادة وصف الموقف الامريكي ولكنها لم تصل الى حد ادانة الولايات المتحدة).*

6 ـ المطالبة بعقد مؤتمر دولي للسلام في الشرق الأوسط تحت إشراف الأمم المتحدة، على قاعدة الشرعية الدولية وقرارات الأمم المتحدة، التي تؤكد على الانسحاب الاسرائيلي الكامل من جميع الأراضي الفلسطينية والعربية المحتلة، وتضمن حق الشعب الفلسطيني الوطني الثابت في العودة وتقرير المصير والاستقلال الوطني، وبمشاركة الدول الخمس الدائمة العضوية في مجلس الأمن الدولي، وجميع أطراف الصراع في المنطقة بما فيها منظمة التحرير الفلسطينية على قدم المساواة وبنفس الحقوق مع الأطراف الأخرى المشاركة.

مؤتمر القمة العربي الطارىء 1989

انعقد هذا المؤتمر في المغرب (الدار البيضاء) مابين 23 ـ 26 مايو 1989 . وقد دعى الملك الحسن الثاني مصر لحضور هذا المؤتمر، بعد أن كانت جميع الدول العربية ـ عدا سوريا ولبنان وليبيا ـ قد أعادت علاقاتها الدبلوماسية مع مصر. وحيث أن لبنان كان غائبا بحكم عدم وجود حكومة مركزية معترف بها من جميع الأطراف، فإن ذلك كان يعني أن سوريا وليبيا هما الدولتان الوحيدتان اللتان كانتا لم تعيدا علاقاتهما مع القاهرة. وكان حافظ الأسد قد أعلن قبل أسبوع من انعقاد القمة بأنه سيحضر المؤتمر، وأنه لن يعترض على عودة مصر إلى الجامعة العربية. ولم يكتف الأسد بذلك، بل انه سافر الى طرابلس ليقنع

القذافي بأن يحضر هو الآخر مؤتمر القمة وألا يعترض على عودة مصر الى الجامعة العربية. ووافق القذافي بعد تردد. وتقابل حافظ الأسد والقذافي وحسني مبارك في الدار البيضاء بالأحضان، ودفن الثلاثة ـ أو هكذا تظاهروا ـ الشتائم التي كانوا يتبادلونها هم ووسائل اعلامهم طيلة العشر سنوات الماضية. وبذلك انتهى الموضوع الأول والرئيسي الذي كان يواجه المؤتمر، وهو عودة مصر إلى الجامعة العربية.

كان الموضوع الثاني أمام المؤتمر هو القضية الفلسطينية. وقد أكد المؤتمر الأسس التي قامت عليها خطة السلام العربية التي أقرها مؤتمر القمة العربي الثاني عشر بفاس، وأكدها مؤتمر القمة الطارىء في الجزائر. ورحب بقرارت الدورة التاسعة عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني.[8] وأكد دعمه لمبادرة السلام الفلسطينية المستندة على خطة السلام العربية.[9] وقد تمت الموافقة أيضا على هذا القرار بعد معارضات طفيفة من بعض الوفود.

أما الموضوع الثالث والخاص بالمشكلة اللبنانية، فقد حال التصادم والخلاف في الرأي بين صدام حسين، وحافظ الأسد حول هذا الموضوع من اتخاذ أي قرار. وانتهى الحوار بتشكيل لجنة ثلاثية من الملك الحسن والملك فهد والرئيس الشاذلي بن جديد لبحث الاصلاحات السياسية في لبنان، والتي يمكن أن تؤدي الى انتخاب رئيس لبناني تعترف به كافة الجهات.

اتخذ المؤتمر عدة قرارات أخرى ثانوية. كان من بينها إدانة العدوان الأمريكي على ليبيا (ثمن بخس لتراجع القذافي عن موقفه). كذلك دعى المؤتمر الى مواصلة اقرار السلام الشامل والدائم بين العراق وإيران على أساس قرار مجلس الأمن الدول 598، مع التأكيد على الحقوق التاريخية للعراق في السيادة على شط العرب. كما أعلن المؤتمر أنه يرحب بقيام التجمعات العربية الاقليمية.[10]

مؤتمر القمة العربي الطارىء 1990

انعقد هذا المؤتمر في بغداد ما بين 28 ـ 30 مايو 1990. وقد قاطعته سوريا ولم تحضره لبنان بسبب عدم وجود رئيس دولة معترف به من جميع الجهات. أما رؤساء الجزائر والمغرب وعمان، فقد شاركوا بممثلين عنهم. وكان جدول أعمال

القمة يتناول 5 مواضيع هي : التهديدات الأمريكية الموجهة الى كل من العراق وليبيا، الهجرة اليهودية والقضية الفلسطينية، تقييم الوضع العربي على أساس التحولات الدولية، تطورات الوضع بين العراق وإيران، التضامن مع الأردن. وقد اجتمعت هذه القمة وسط جو مشحون وحملة اعلامية أمريكية وغربية شرسة ضد العراق بصفة عامة، وضد صدام حسين بصفة خاصة. وذلك بعد أن قامت سلطات الجمارك في لندن يوم 90/3/28، بمصادرة 40 جهاز تفجير من النوع الذي يستخدم في تفجير القنابل النووية، مما يوحي أن العراق قد توصل أو على وشك ان يتوصل الى انتاج القنبلة النووية... وبعد أن صرح صدام حسين يوم 90/4/2، بأنه سيقوم بحرق نصف إسرائيل بالكيماوي المزدوج إذا هي هاجمت العراق... وبعد أن قامت السلطات البريطانية يوم 90/4/10، بمصادرة 8 مواسير ضخمة مصدرة إلى العراق، يعتقد أنها أجزاء من مدفع ضخم يقوم العراق بتصنيعه. وبالاضافة إلى ذلك فقد كان المهاجرون اليهود السوفيت - نتيجة الوفاق بين واشنطن وموسكو - يتدفقون على إسرائيل بأعداد هائلة. ولكن الأغرب من ذلك هو أن أمريكا أرسلت خطابا إلى الجامعة العربية قبل أيام من انعقاد المؤتمر، تنصح فيه بالاعتدال في القرارات والابتعاد عن الكلمات التي تحمل طابع الاتهام والتهديد، مثل الامبريالية الأمريكية... إلخ. وقد أغضب ذلك صدام حسين، ودفعه الى أن يشن في خطابه الافتتاحي أمام المؤتمر هجوما شديدا ضد الصهيونية والامبريالية الأمريكية.

كان فريق المتشددين بزعامة صدام حسين ومعمر القذافي يريدون قرارات قوية، وذهبوا في ذلك الى حد المطالبة بتوقيع عقوبات اقتصادية ضد أمريكا والدول التي تساند إسرائيل، بحيث يشمل ذلك سحب الأرصدة من تلك الدول. ولكن الفريق الذي يضم أصدقاء أمريكا بزعامة الملك فهد والرئيس حسني مبارك كانوا يعارضون هذا الاتجاه. ***وفي تحد واضح للخطاب الذي بعثته أمريكا إلى الجامعة العربية قبل انعقادها قال صدام حسين في خطابه : «وإذا هاجمتنا اسرائيل، فإننا سنرد بقوة. وإذا استخدمت اسرائيل أسلحة التدمير الشامل ضد شعبنا، فسنرد عليها بأسلحة التدمير الشامل التي نملكها».***

وفي نهاية المؤتمر صدر البيان الختامي، الذي كان يشمل النقاط الرئيسية التالية:

1 - يدين بشدة تهجير اليهود إلى فلسطين، وعدم شرعية بناء المستوطنات. ويحمل المؤتمر في هذا الشأن الولايات المتحدة الأمريكية مسؤولية أساسية في هذا الوضع، باعتبارها الدولة التي توفر لاسرائيل الامكانات العسكرية والمساعدات المالية والغطاء السياسي... والتي لا يمكن لاسرائيل بدونها أن تواصل مثل هذه السياسات، وتتحدى بهذا الصلف ارادة المجتمع الدولي.

2 - ضرورة تقويم العلاقات العربية مع الدول الأخرى، في ضوء موقفها من مسألتي الحقوق الوطنية الفلسطينية والهجرة اليهودية.

3 - يؤكد المؤتمر مكانة القدس الشريف الدينية والسياسية ويعتبرها جزءا لايتجزأ من فلسطين وعاصمة لدولتها. ويرفض أي مساس بوضعها الديني والقانوني باعتباره انتهاكا صارخا للمواثيق والقرارات الدولية. وبهذا الخصوص يدين المؤتمر قراري مجلس الشيوخ والنواب الأمريكيين. وقد أكد المؤتمر في هذا الشأن أن الدول العربية، ستتخذ اجراءات سياسية، واقتصادية ضد أية دولة تعتبر القدس عاصمتها. (المؤلف: يشير هذا القرار الى القرار الذي اتخذه مجلس الشيوخ الأمريكي بتاريخ 90/3/25، الذي يعترف فيه باعتبار القدس عاصمة موحدة لاسرائيل).

4 - يعارض المؤتمر بشدة المحاولات الأمريكية الرامية الى الغاء قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم 3279، الذي يعتبر الصهيونية شكلا من أشكال العنصرية والتميز العنصري. ويدعو الى تكثيف الجهود لاحباط تلك المحاولات.

5 - يؤكد المؤتمر التزامه بمبادرة السلام الفلسطينية، وقرارات القمم العربية وبخاصة قمتي الجزائر 88، والدار البيضاء 89.

6 - وفي ضوء المتغيرات الحاصلة في دول أوروبا الشرقية، يوصي المؤتمر بتقويم العلاقات العربية مع هذه الدول، في ضوء مواقفها من القضية الفلسطينية، وعلى قاعدة المصالح المتبادلة.

7 - استنكار التهديدات والحملات والاجراءات العدائية ضد العراق، ويؤكد المؤتمر تضامنه مع العراق الشقيق. ويؤكد على حق العراق في اتخاذ مختلف الاجراءات الكفيلة بتأمين وحماية أمنه الوطني، وتوفير متطلبات التنمية بما في ذلك امتلاك وسائل العلم والتكنولوجيا المتطورة، وتوظيفها للأغراض المشروعة دوليا.

8 - يدين المؤتمر التهديدات الأمريكية باستخدام القوة ضد الجماهيرية الليبية. ويستنكر تمديد الادارة الأمريكية الحصار الاقتصادي ضدها، ويطالب برفعه.

9 - يؤكد على قراره الذي اتخذ في الدار البيضاء بخصوص اقرار السلام بين العراق وإيران على أساس قرار مجلس الأمن 598، مع التأكيد على حق العراق التاريخي في السيادة على شط العرب.

10 - انطلاقا من حق الشعوب غير القابل للتصرف في التنمية الشاملة، واستخدام منجزات العلم والتكنولجيا في خدمة الانسان، يؤكد المؤتمر حق الأمة العربية غير القابل للتصرف في التنمية واستخدام العلم والتكنولوجيا، لصالح المواطن العربي والانسانية جمعاء.

وأعلنت القمة في ختام اشغالها منح معونة مالية للأردن بمبلغ 600 مليون دولار، على أن يتسلم 300 مليون منها خلال الأيام القليلة القادمة. وبالرغم من أن هذا القرار يعتبر هو القرار الوحيد الذي يمكن أن تلتزم الدول الخليجية بتنفيذه... ***وبالرغم من أن جميع الأنظمة العربية الصديقة لأمريكا لن تلتزم بتنفيذ أي من القرارات التي جاءت في البيان الختامي لهذا المؤتمر... إلا أن مجرد صدورها يعتبر مكسبا كبيرا. فهي على أقل تقدير تفرض التزاما أدبيا وأخلاقيا على كل دولة عربية. وقد علق القذافي في نهاية المؤتمر تعليقا أضحك جميع الملوك والرؤساء عندما قال: «ان معظم قرارات القمم السابقة كانت أقل من الصفر. أما قرارات هذه القمة فهي على الأقل صفر + واحد».***

نذكرهم بأقوالهم

من أقوال القذافي

■ 82/9/1، في خطاب له أثناء الاحتفال بالعيد الثالث عشر للثورة الليبية قال القذافي : «يجب أن تتنبهوا إلى الخطر المحقق. فمصر تعتبر الآن جسر عبور إسرائيلي. ومصر لا تستطيع أن توقف القوات الاسرائيلية إذا أرادت العبور إلى ليبيا. . . **لا وجود لأي مبرر لكي تتمسك مصر باصطبل داود. إفريقيا باستثناء زائير قطعت علاقاتها مع إسرائيل، ومصر التي يبلغ تعدادها 40 مليون نسمة، مازالت تخضع هذا الخضوع المشين، ليبقى العلم الاسرائيلي يرفرف عليها حتى اليوم**. . . إن مصر تتحمل مسؤولية تاريخية. مصر الحكومة وليست مصر الشعب. مصر النظام السياسي. مصر السادات مازالت موجودة. السادات لم يقتل. فمازال برنامجه موجودا وسياسته موجودة وحكومته موجودة. مات شخص اسمه السادات دم ولحم. أما السياسة والخيانة والخنوع فمازالت كما هي. مصر مسؤولة عن حرق بيروت وصور وصيدا. مصر هي التي أعطت للاسرائيليين الأمان والفرصة، حتى ينقلوا قواتهم من الجبهة الجنوبية ليدمروا بها العرب في المشرق العربي (إشارة إلى الغزو الاسرائيلي للبنان)[11].

■ 83/2/1، في الاجتماع الخاص بالتنظيمات الشعبية في الوطن العربي، قال القذافي مايلي : ***«الذي يعترف بأي نظام عربي الآن بعد فاس (إشارة الى موافقة الدول العربية على مشروع فاس 6 ـ 9 سبتمبر 82). هو معترف باسرائيل. لأنه في فاس العرب اعترفوا بشكل جماعي باسرائيل»***[12].

■ 83/3/28، أثناء الاحتفال بالعيد الثالث عشر لجلاء القوات البريطانية عن ليبيا، قال القذافي : «النظام المصري بدأ ينزلق منزلقا خطيرا جدا. وأنا أحذر النظام المصري. إن قيامه باستدعاء قوة أجنبية كبرى للتدخل ضد ليبيا هي لعبة خطيرة جدا سيخسرها النظام المصري وستخسرها القوة الأجنبية. (المؤلف : كانت السلطات المصرية قد سمحت لطائرات أواكس أمريكية بالتمركز في الأراضي المصرية لمراقبة التحركات الليبية. وبالاضافة الى ذلك كان

الأسطول السادس الأمريكي يقترب من السواحل الليبية متحديا ما أعلنته ليبيا من سيادة فوق خليج سرت. وكانت ليبيا تتهم النظام المصري بالتواطؤ مع أمريكا في استعداد الأسطول السادس الأمريكي ضد ليبيا). [13] وعلى النظام المصري أن يتحمل مسؤولياته بنفسه، أو يعلن أن مصر ولاية أمريكية. ولا أعتقد أن أي رئيس يرضى بهذا. **فحتى السادات الخائن كان يمثل حدا أدنى من كبرياء الوطنية المصرية. وعلى الأقل يحارب بنفسه ويطلب أمريكا في آخر المعركة. أما هذا فقبل أن يدخل المعركة، فإنه يريد أمريكا أن تقاتل قبله. يريد من أمريكا أن تقاتل ليبيا قبل أن يدخل هو المعركة».** [13] **ويستطرد القذافي فيقول: «نحن نقف بالمرصاد لكل من يجاور النظام المصري، وهو في مظلة اصطبل داود.** ونحن نتصدى بقوة لكل المحاولات المستهترة بحق الأمة العربية. ويجب التحريض على كل من يقدم على عمل يحقق اللقاء مع النظام المصري، طالما هو يستظل بمظلة اصطبل داود الخيانية». وفي نفس هذا الخطاب، قال القذافي: «إذا كان حسني مبارك يريد أن يخرج من اصطبل داود، لأن الاصطبل لا تبقى فيه الا الحمير. وإن السادات واحد من هذه الحيوانات وكان مكانه الصحيح اصطبل داود... واذا كان حسني مبارك يريد أن يخرج من هذا الاصطبل، فنحن نعلن ان امكانياتنا تحت تصرف مصر الشقيقة. أما إذا كان النظام المصري مصرا على البقاء في الاصطبل، فنحن سنكون ضده، ونحرض على اسقاطه». [14]

■ 2 يناير 1985، قال القذافي: «انني أعتبر الانتفاضة الثورية في فتح ظاهرة صحية بعد معركة بيروت. (المؤلف: يقصد خروج الفلسطينين من بيروت في أغسطس 1982)، وأنه كان يجب تصفية القيادات التي احترقت وأفلست في بيروت، وجمدت المقاومة الفلسطينية وحولتها إلى عمل سياسي. يجب أن تلغى كل الزعامات التقليدية الموجودة الآن، والتي قسمت العمل الفلسطيني الى جبهات من أجل أن تتربع على زعامتها». [15]

■ 24 فبراير 1985، بمناسبة الذكرى 27 لقيام الوحدة بين مصر وسوريا، قال القذافي: **«يجب قلب نظام الحكم المصري الخائن الذي باع بلاده للولايات المتحدة والعدو الصهيوني.** وان قلب هذا النظام سيتم بالعصيان المدني والمظاهرات الدائمة في الشوارع على غرار الثورة الايرانية». [16]

■ 85/6/11، بمناسبة العيد الخامس عشر لجلاء القوات الأمريكية قال القذافي : «لماذا لا يدخل حكام مصر السجن مدى الحياة لمصافحتهم الاسرائيليين علنا. **إن أي واحد وضع يده في يد الاسرائيليين يجب أن يعدم، ويده يجب أن تقطع عاجلا أو آجلا. إننا نبشر حسني مبارك بأن مصيره سيكون مثل مصير النميري.** (المؤلف : أطيح بالنميري من السلطة بواسطة انقلاب عسكري وشعبي في 85/4/6). **ونحن لا نغفر لأبو عمار انحرافه. ولا نغفر له مصافحته لحسني مبارك الذي يصافح الاسرائيليين صباح مساء. ولا نغفر لصدام حسين والملك حسين وضع أيديهما في يد حسني مبارك الذي يصافح الاسرائيليين أعداء الأمة العربية».** واستطرد قائلا : **«ان الذين يمنعون المقاومة الفلسطينية من العمل من حدودهم ضد الكيان الفلسطيني هم جبناء وحراس لاسرائيل. ويجب تصفية الحساب مع حراس اسرائيل، حتى نفتح الطريق بيننا وبين الاسرائيليين.** ونحن لن نغفر لنبيه بري الذي تلطخت يداه بدماء الفلسطينيين في مخيمات صبرا وشاتيلا، مثلما تلطخت يد شارون الصهيوني. نبيه بري صهيوني غير مسلم وغير شيعي وغير سني ودمه مستباح». [17]

■ 85/7/8، ذكرت صحيفة الزحف الأخضر الليبية، أن القذافي أرسل برقية الى الملوك والرؤساء العرب قال فيها : «إنني شخصيا وصلت إلى القناعة الكاملة، بأن العرب لم يعودوا يحترمون جامعتهم وقراراتهم. لقد فقدت الجامعة العربية في نظري كل مصداقية، بل فقدت مبرر وجودها. إن ما صرح به نائب الرئيس العراقي حول العلاقات المصرية العراقية، لا يمثل فقط خرقا متعمدا لمقررات الجامعة العربية بخصوص مقاطعة النظام المصري الخائن، وانما يمثل استهتارا بالجامعة والأمة العربية وقضاياها المصيرية واستخفافا بكم». [18]

■ 86/3/2، بمناسبة الذكرى التاسعة لتسليم السلطة الى الشعب، جاء في خطاب القذافي أمام مؤتمر الشعب العام في طرابلس. «لابد للعرب أن يفهموا أنه اذا كان بإمكان الاسرائيليين أن يشنوا هجمات جوية ضد ليبيا، بسبب المساعدات الامريكية لها في تزويد الطائرات بالوقود وهي في الجو. . **فإننا سنرد عليها بأن تقوم طائراتنا بقصف أهداف اسرائيلية داخل الارض المحتلة ثم تهبط بعد إتمام عملية القصف في مصر والاردن والدول العربية المجاورة**

لفلسطين، بذلك ستجبر هذه الدول على الاشتراك في الحرب رغما عنها . وان رفض أي حكومة عربية السماح للمقاتلات الليبية بالهبوط في أراضيها بعد أن تكون قد قصفت أهدافا اسرائيلية، سوف يشعل الثورة بين شعوبها» .[19]

■ 86/9/1، بمناسبة الاحتفال بالعيد السابع عشر للثورة الليبية قال القذافي : ***«مصر مستعمرة أمريكية بالكامل. ليست دولة مستقلة على الاطلاق. لاتلوموا حسني مبارك ولا أبو غزالة ولا غيره. هم مساكين عبارة عن موظفين يتبعون الادارة الامريكية، ولازم نعمل على تحرير مصر. البلاد العربية بإستثناء الجزائر وسوريا وليبيا خاضعة لامريكا. على الجماهير العربية من المحيط الى الخليج أن تعلم أن عدوها الحقيقي والذي يلحق بها الضرر، هو الولايات المتحدة الامريكية. وإن أي حاكم عربي يضع يده في يد أمريكا هو عميل خائن نذل يجب القضاء عليه»***. ويستطرد القذافي فيتحدث عن حق ليبيا في أن تضرب أي دولة مجاورة أو حتى في المريخ إذا كان يأتيها خطر من تلك الدولة فيقول : «اذا تأكدنا من ضرر قادم إلينا من مصر، فإننا سننطلق بقوة عسكرية لتدمير مصدر هذا الخطر. إن سيدتهم أمريكا هي التي سنت هذا القانون. القوي يستطيع أن يضرب الضعيف. وإذا كانت أمريكا أقوى منا، فنحن أقوياء بالنسبة لجيراننا. وإذا كانت أمريكا تخرج خارج حدودها وتضرب الآخرين، فنحن أيضا بإمكاننا الخروج خارج حدودنا لضرب الآخرين. وإنني أوجه إنذارا لجميع عملاء أمريكا على حدودنا. . . إذا رأينا خطرا منهم على ثورتنا وعلى سلامتنا ـ حتى وإن اقتصر ذلك على دعاية جوفاء ـ فإننا سنضرب بيد من حديد وبدون هوادة» .[20]

■ 87/4/4، نشرت مجلة التضامن (التي تصدر في لندن) حديثا للقذافي قال فيه : ***«من بين أسباب تغيبه عن مؤتمر القمة الاسلامي في الكويت، هو أن الرئيس حسني مبارك، الذي تقيم بلاده علاقات مع اسرائيل مشارك في القمة»*** .

■ نوفمبر 1987، في خطابه وأحاديثه أمام مؤتمر الشعب العام، قال القذافي : «من القضايا السياسية التي يجب ان تطرح على المؤتمرات الشعبية وتقول رأيها فيها، هي مؤامرة عمان القذرة وما ترتب عليها. (المؤلف : كان ذلك في أعقاب مؤتمر القمة العربي الذي عقد في عمان في 9 ـ 11 نوفمبر 87، الذي أخذت

الدول العربية بعد انتهائه تتسابق في إعادة علاقاتها مع النظام المصري) . ***لو كنت رئيس جمهورية ، أو لدي سلطة القرار في ليبيا ، لكنت طردت فورا سفارات الدول العربية التي أعادت علاقاتها مع النظام الخائن في مصر. من الافضل عندي ان تكون علاقات ليبيا مقطوعة مع الدول العربية كلها من أجل القضية العربية ، ولا تكون لها علاقة مع تلك الدول على حساب هذه القضية . والقول بأن ليبيا معزولة هو مؤامرة يقصد بها اخضاعكم وتطويعكم لاقامة علاقات قذرة مع الرجعية والصهيونية والامبريالية ، وحتى لا تعزلوا أنفسكم عن ذلك المعسكر القذر. المعزول هو الذي عزلته الناس. ونحن معنا الناس. ان 15 أو 20 حاكم لنا معهم خصومه لا يعني أننا معزولين . وإنما كلما فكينا ارتباطنا مع الحكام صرنا مع الجماهير العربية كلها . اننا لسنا في حاجة الى علاقة مع الكويت أو السعودية . إنها مع أمريكا ، وغيرها مع إسرائيل. إنهم يعطون أموالهم للمعكسر المعادي لكم ، والذين يقاتلونكم تحت السيطرة الأمريكية . هذه الدول عبارة عن مستعمرات أمريكية . وعندما تتحرر، فإنه لا بأس من اقامة علاقات معها»*** [22] .

■ 88/3/28 ، بمناسبة إحياء العيد 18 لجلاء القوات البريطانية ، قال القذافي : «الليبيون أحرار في الذهاب إلى مصر، والمصريون أحرار في الحضور إلى ليبيا . إلا أن هذا القرار لا يلغى القطيعة السياسية والاقتصادية مع مصر، حيث ستستمر طالمت احتفظت مصر باتفاقيات كامب ديفيد . إن الجماهيرية لا يجوز لها حضور أي قمة تشارك فيها مصر بوضعها الحالي . ***ونحن نعلن أنه إذا دخلت مصر جامعة الدول العربية ، فإن الجماهرية حتما وتلقائيا ستخرج من الجامعة»*** [23] .

■ 88/11/25 ، أصدرت الخارجية الليبية بيانا اعتبرت فيه قرار مصر والجزائر استئناف علاقاتها ، امتداد لاتجاه عام ، يتصور فيه العرب عن وهم ان الدوافع التي فرضته ، تخدم وحدة الصف العربي وتقرر كفاح الأمة العربية . وأضاف ***ان ليبيا لن تعيد علاقاتها مع الحكومة المصرية ، ولا يمكن لها أن تسير في قافلة تقودها مصر، إلا إذا سلكت هذه القافلة الطريق السوي ، وأبعدت خطر العدو الصهيوني*** [24] .

■ وفي 25 مايو 1989، عادت مصر إلى الجامعة العربية دون أن تتنازل أو تلغي معاهدة كامب ديفيد.[25] وحضر القذافي وحافظ الأسد اجتماع القمة العربية الذي جمعهما مع حسني مبارك. وتصافح الثلاثة. ونسى الثلاثة أو تظاهروا بنسيان كل ماقالوه في حق بعضهم البعض. وبالاضافة الى عودة مصر، فقد صادقت القمة على ماسبق لمنظمة التحرير أن أقرته وهو الاعتراف بقراري مجلس الأمن الدولي 242، 338. . . كأساس لأي تسوية سلمية للصراع العربي الاسرائيلي. وهو ما يعني الاعتراف الضمني باسرائيل. وبذلك يكون العقيد القذافي بحضوره هذا المؤتمر، قد وافق على كل ماكان يعارضه بقوة طيلة عشر سنوات. وبعد تلك التطورات الدراماتيكية، أصبح الباب مفتوحا أمام تطبيع العلاقات الليبية المصرية. وبدأ اللقاء الثنائي الأول بين حسني مبارك والقذافي في 89/10/16، ثم تعددت اللقاءات بين الرجلين بسرعة مذهلة حتى بلغت 4 لقاءات في 4 شهور فقط. (89/10/16 في طبرق، 10/17 في مرسى مطروح، 12/13 في سرت، 90/2/18 في أسوان). ونشطت وسائل الاعلام المأذونة في كل من مصر وليبيا في كيل المديح إلى من كانوا يذمونهم قبل ذلك. . . كان الشعب العربي يتفرج على ما يحدث وهو فاغر فاه. . . فالناس يتساءلون ماهو الصح وماهو الخطأ. فهل من مجيب.

من أقــوال الزعماء الفلسطينيين

■ 82/7/28. ردت منـظمـة التحـرير الفلسـطينية بعنف على تهديدات أطلقتهـا ليبيا يوم 82/7/27، بالانتقـام من أي زعيم فلسـطيني يستسلم لاسرائيل، أو يتعاون معها. واتهمت المنظمة ليبيا بأنها لم تقدم أي دعم لقوات المقاومة اللبنانية الفلسطينية التي تقاتل ضد الاحتلال الاسرائيلي للبنان. وكان التهديد الليبي قد صدر بعد أن استقبل ياسر عرفات وفدا من مجلس النواب الأمريكي يوم 82/7/26، أثناء تواجده بالحصار دخل بيروت، ووقع أمامهم على وثيقـة تتضمن قبـولـه بجميع قرارات الأمم المتحـدة الخـاصـة بالقضية الفلسطينية.[26]

■ 82/11/29، في حديث له مع مجموعة من الصحفيين اللبنانيين نشرته النهار العربي والدولي قال ياسر عرفات: «في اللحظة التي تسقط فيها الأمة العربية الخيار العسكري، فلن تأخذ نتيجة سياسية».

■ 82/12/29، في رده على دعوة الرئيس مبارك لمنظمة التحرير الفلسطينية بالاعتراف باسرائيل، قال عرفات : «ان الاعتراف من طرف واحد كما يأمل الرئيس حسني مبارك، سيجرد الثورة الفلسطينية من كل شيء. وانه من غير المجدي أن تتحدث الدول العربية عن السلام، دون أن تكون لها قوة عسكرية قادرة على مواجهة تحديات العدو الصهيوني»[27].

■ 83/1/17، نسبت صحيفة الأهرام (المصرية) إلى ياسر عرفات أنه قال : «من يطلب من مصر التخلي عن اتفاقية كامب ديفيد، فإنه يريد نكبة أخرى للأمة العربية. أنا مهتم بعدم ازعاج مصر بطلب التخلي عن اتفاقية كامب ديفيد. وأرجو من الرئيس حسني مبارك الا يحرجني ويطلب مني الاعتراف باسرائيل من طرف واحد، فحتى دول أوروبا الغربية لم تطالبني بذلك». ولكن ياسر عرفات نفى أن يكون قد قال ذلك[28].

■ 83/5/11، صرح الناطق الرسمي لفتح في تونس بما يلي : «ان الموقف الليبي أثناء الغزو الاسرائيلي الأمريكي للبنان، كان موقفا مطروحا متواطئا أو عاجزا في أحسن الأحوال. ولقد سكتنا عن هذا الموقف ولم نرد سوى مرة واحدة على رسالة طالبنا فيها العقيد القذافي بالانتحار. ويومها اضطررنا إلى الرد من داخل الحصار والصمود الملحمي، علّه يخجل ولا يعود إلى ذلك ثانية. ان القذافي يقوم منذ الحرب الاسرائيلية الأمريكية ضد منظمة التحرير، والشعبين الفلسطيني واللبناني (82/6/6 ـ 1982/8/31) بالتعبئة اليومية والمنتظمة ضد المنظمة، ماضيا في نفس الخط الذي يمضي فيه الامبرياليون الأمريكيون والعدو الصهيوني، والذي يستهدف تحقيق التصفية السياسية لمنظمة التحرير الفلسطينية. واننا في الوقت الذي نواجه فيه مسؤولياتنا في هذه الظروف الخطيرة التي تمر بها المنظمة، واحتمالات العدوان التي تواجهنا وتواجه الأخوة في سوريا، لم نقصد الدخول في مهاترات مع العقيد القذافي. ***ونحن لن نسكت على القذافي بسبب الجريمة البشعة ضد أبناء شعبنا الفلسطيني الخمسة، الذين تم اعدام أربعة منهم شنقا وعلنا في المدارس أمام الطلاب، والخامس الذي تم تعذيبه حتى الموت في السجن، ونحذره من أن تكون اتهاماته الجديدة لحركة فتح بمحاولة اغتياله، مقدمة لجرائم قتل جديدة ترتكب ضد الفلسطينيين. إننا لن نسكت أبدا والعقيد يعلم هذا جيداً***»[29].

■ 83/6/26، أصدر الشيخ سعد الدين علمي مفتي القدس، ورئيس المجلس الاسلامي الأعلى، فيها فتوى أحل فيها اغتيال الرئيس حافظ الأسد، على أساس أنه قتل آلاف المسلمين في حماه وفي تل الزعتر، وعلى أساس موقفه الحالي من ياسر عرفات، وتأييده للمنظمات الفلسطينية التي تتمرد على قيادة عرفات.[30]

■ 83/10/21، نشرت مجلة المصور (المصرية) حديثا لصلاح خلف (أبو إياد)... في الوقت الذي كان فيه ياسر عرفات والقوات الموالية له محاصرين في شمال لبنان من قبل الفصائل الفلسطينية المنشقة، والتي كانت تحظى بالتأييد والدعم من النظام السوري، يقول فيه: «في اعتقادي أن النظام السوري والليبي، يحاولان الآن الاسراع في تثبيت الانشقاق في المنظمة، واسباغ قدر من الشرعية الزائفة عليه، قبل انعقاد مؤتمر القمة. وإذا لم يستطيعا ذلك، فسوف يحاولان تأجيل مؤتمر القمة بحجة الخلافات العربية... وذلك ليستمرا في مخططها لانشاء منظمة تحرير جديدة بديلة تحضر القمة. هذا هو حلم النظامين السوري والليبي. وأعتقد أن بعض الأنظمة العربية توافق على ذلك المخطط».[31] (المؤلف: أغتيل أبو اياد في تونس في 14 يناير 1991. وقد نسجت قصص كثيرة حول الجهة المسؤولة عن هذا الاغتيال).

■ 19 يناير 1984، في خلال جلسات انعقاد مؤتمر القمة الاسلامي في الدار البيضاء، كان ياسر عرفات هو المحامي الأول عن حسني مبارك، وعن ضرورة عودة مصر الى منظمة المؤتمر الاسلامي. وادعى في دفاعه أن حسني مبارك خاطر بالحرب ضد إسرائيل، من أجل ضمان خروجه من لبنان في أغسطس 1983... وقال أن البوارج المصرية هي التي رافقته في عرض البحر لتوفير الحماية له ضد أي هجمات اسرائيلية !! وبالاضافة إلى إطراء حسني مبارك، فقد وجه ياسر عرفات نقدا شديدا ولاذعا لكل من ليبيا وسوريا. وبعد أن وافق المؤتمر على عودة مصر إلى منظمة المؤتمر الاسلامي، علق الرائد عبد السلام جلود رئيس الوفد الليبي في مؤتمر صحفي، أن الغرض من هذه الخطوة هو تعريب كامب ديفيد. واتهم منظمي القمة الاسلامية الرابعة بالاقدام على عملية أوحت بها أمريكا. وأن ليبيا تعتبر أن أمريكا هي العدو الأول للاسلام. ولا أحد يعترض على الاطراء والشكر إذا كان في موضعه. اما إذا كان المديح

والاطراء في غير موضعه، فإن له وصف آخر في اللغة العربية يعرفه الجميع. فالأخ ياسر عرفات يعلم جيدا أنه خرج من الحصار في طرابلس لبنان، بموجب اتفاق بين أمريكا والاتحاد السوفيتي... وقت أن كان الاتحاد السوفيتي مازال دولة عظمى يعمل لها ألف حساب. والكل يعلم أن الفصائل الفلسطينية المنشقة، والتي كانت تحظى بالتأييد السوري، كان لديها الامكانيات العسكرية للتغلب على قوات ابو عمار. ولكن الضغوط السوفيتية على سوريا. والضغوط الأمريكية على إسرائيل، هي التي أدت إلى خروج قوات أبو عمار بسلام، وتحت علم الأمم المتحدة. وبدون هذا الاتفاق السياسي، فقد كان في استطاعة الطائرات الاسرائيلية أن تغرق السفن التي تنقل قوات عرفات... بل وتغرق البوارج الحربية التي تحرس هذه السفن. فماهي قيمة الحماية البحرية إذا لم تكن هناك حماية جوية. وفي ظل تلك الترتيبات الدولية أبحر أبو عمار من طرابلس يوم 83/12/20، ومعه 4000 مقاتل في سفن تحمل علم الأمم المتحدة. ***ولذلك فان ادعاء ياسر عرفات، بأن حسني مبارك خاطر بالحرب ضد إسرائيل هو ادعاء باطل، وليس له أي أساس من الصحة. الحقيقة المرة هي أن ياسر عرفات كان يريد في ذلك الوقت أن يتقرب الى النظام المصري لكي يضرب به كلا من النظام السوري والنظام الليبي. وتنفيذا لهذه السياسة، فإن أول ماقام به ياسر عرفات بعد مغادرته طرابلس، هو زيارة حسني مبارك في القاهرة.***

■ 84/12/14، نشرت مجلة الحوادث التي تصدر في لندن، حديثا مع ياسر عرفات قال فيه: «أنا مستعد للقبول بدولة ناقصة السيادة... نعم ناقصة السيادة حتتين مش حتة واحدة بس. نحن كنا في صبرا وشاتيلا. ولم تكن دولة ولا مشروع دولة. لكنني عملت من صبرا وشاتيلا عاصمة للعرب جميعا. أنا محتاج مكان أقيم فيه دولتي الفلسطينية ومؤسساتها. وسأعرف بعد ذلك كيف أتعامل مع العالم. وكيف سأصل بالشعب الفلسطيني إلى أهدافه الحقيقية الكاملة»[32].

■ 85/2/11، توصل الملك حسين وياسر عرفات إلى ما يعرف باتفاقية عمان. ولكن الأردن لم يعلن تفاصيل هذا الاتفاق، الا في 23 فبراير. وكان أهم ما جاء في هذا الاتفاق هو قبول ياسر عرفات الضمني بقرار مجلس الأمن 242. وقد أثار ذلك ضجة في الأوساط الفلسطينية. واجتمعت اللجنة التنفيذية

للمنظمة في تونس وأعلنت رفضها للقرار 242. وكان حسني مبارك يتضامن مع الملك حسين في تأييد هذه المبادرة. [33]

■ 85/3/8، نشرت مجلة الحوادث حديثا مع الرجل الثاني في منظمة التحرير الفلسطينية أبو اياد، قال فيه: «***الثوابت الفلسطينية متمثلة في الدولة المستقلة، وتمثيل الشعب الفلسطيني، وحق تقرير المصير. والمطلوب أمريكيا واسرائيليا هو ما قاله حسني مبارك حول تشكيل الوفد الأردني مع بعض الشخصيات الفلسطينية. انهم لايتحدثون عن حق تقرير المصير بمعنى الدولة. وانما عن حق تقرير المصير بمفهوم الالحاق بالأردن ضمن حكم ذاتي. نحن نرى أن تمثيل الفلسطينيين في المؤتمر الدولي يجب ان يكون اما بوفد مستقل، أو ضمن وفد عربي. تصريحات حسني مبارك نسفت تمثيل الوفد الفلسطيني لمنظمة التحرير نسفا تاما... وجعلت الحل في يد أمريكا نفسها. وبصراحة أيضا في يد كامب ديفيد جديدة. لقد اقترح الرئيس مبارك أن يكون الاجتماع عنده في القاهرة أو في واشنطن. أنا لا أثق في أمريكا حتى أسلمها قضيتي... والا حدث لنا ماحدث أيام السادات... ميناهاوس مرة ثانية***». [33]

■ 85/5/2، نشرت صحيفة القبس الكويتية حديثا لصلاح خلف (أبو إياد) قال فيه «القذافي له عندي كمية من الاحتقار بحيث لا أحب أن أحكى عنه».

(المؤلف: بعد أقل من شهر من نشر هذا الحديث أرسل أبو إياد برقية إلى القذافي يشيد فيها بموقفه من معركة المخيمات، ويضفى عليه من صفات الزعامة والتمجيد مالم يصف بها زعيما عربيا من قبل).

■ 85/6/6، في حديث له مع صحيفة القبس (الكويتية) قال ياسر عرفات: «ليس هناك فتور عربي اطلاقا. بل هناك معارضتان فقط. معارضة سورية ومعارضة عدنية. وحتى المعارضة العدنية فهي معارضة شكلا وليس مضمونا. ***انا واخواني على اتصال دائم مع القيادة الليبية، خاصة بعد هذا الموقف الواضح وشجبهم للمؤامرة في لبنان. واننا نرفض أن نقع في المصيدة التي رسمتها دمشق لمحاولة تصوير الصراع أنه شيعي فلسطيني. الوحدات الخاصة السورية تقاتل الى جانب قوات أمل***. نحن بدو. والبدوي يأخذ ثأره ولو بعد 40 سنة. نحن عشائر وحمايل ونحن نطارد حتى ابن الابن وكل الخونة في أمتنا العربية. سنثأر لشهدائنا منهم».

■ 85/9/15، نشرت صحيفة الوطن العربي حديثا للسيد/ صلاح خلف (أبو إياد) قال فيه : «**النظام السوري يضع كل ثقله في حرب المخيمات وراء نبيه بري**. هذا الرجل قضى سنة ونصف السنة في الولايات المتحدة، وعاد بعدها بشهادة بلطجي كبير. وهو يريد تنفيذ كل ما تعلمه من المخابرات الأمريكية ضد الشعبين اللبناني والفلسطيني. . . كنت أعتبر الرئيس أمين الجميل صديقا. لكنه انحاز مع الأسف في حرب المخيمات الى المخطط السوري، واستجاب لعواطفه الكتائبية في معالجة الموضوع».

■ 7 نوفمبر 85، ***بعد حادث اختطاف السفينة الايطالية أكيلي لورو Achille Lauro - وقع عرفات على بيان في القاهرة يدين فيه الارهاب والعمليات المسلحة ضد المدنيين خارج الأراضي المحتلة.***

■ 86/4/11، نشرت صحيفة القبس الكويتية حديثا لصلاح خلف (أبو إياد) قال فيه مايلي : «***أرفض بشكل قاطع القرار 242 لأنه يعني الخيانة، ويحول الثورة وقادتها إلى مجموعة من المخاتير. وان البندقية الفلسطينية في لبنان يجب أن لا تتناقض مع البندقية السورية. وان الثورة الفلسطينية لن تقبل أي حل لا تكون فيه سوريا***».

■ 88/7/31، أعلن الملك حسين فك العلاقة القانونية والادارية بين الضفة الغربية والضفة الشرقية في الأردن، والتي استمرت 38 عاما. وقد أثار هذا القرار المفاجيء ردود فعل متباينة لدى الفلسطينيين. أما قيادة منظمة التحرير فقد صدرت عنها تعليقات غاضبة، ووجهت اللوم للملك لأنه اتخذ هذا القرار دون أن يتشاور معها. . . بل وحتى بدون التشاور مع أي دولة عربية حسب علمها.

■ وفي 88/11/4، نشرت مجلة الوطن العربي (تصدر في باريس)، حديثا لياسر عرفات جاء فيه : «الخطة السورية هي ترحيل نصف مليون فلسطيني من مخيمات بيروت والجنوب، وتجميعهم في البقاع في منطقة اسمها القاع شمال بعلبك. ومن ثم ترحيلهم الى الضفة الشرقية للأردن. انهم يصطدمون بالوجود الفلسطيني، الذي يعرقل مخططاتهم القذرة. ولذلك قرروا التخلص من هذا الوجود بشكل مطلق. مرة يحركون أمل. واخرى يحركون العملاء

الفلسطينيين. وثالثة يحركون قوات الصاعقة السورية. ***همهم الوحيد الآن تقسيم لبنان الى دويلات طائفية مسيحية، ودرزية، وشيعية، وعلوية في طرابلس وعكار. فقد جلبوا من لواء الاسكندرونة حوالي 000 200 علوي تحقيقا لهذا الهدف. اني أقول أمام الأمة العربية كلها، اللهم فاشهد اني بلغت***. ولكن ما كل ما يخططون قدرا. لقد حل اتفاق ماكفارلين الأسد محل اتفاق 17 أيار (مايو). والآن هناك اتفاق جديد لتغيير مواقع الخطوط الحمراء والخضراء والرمادية في لبنان، بين سوريا واسرائيل باشراف أمريكي». [34]

■ 89/3/13، نشرت صحيفة ريبوبليكا الايطالية حديثا لياسر عرفات قال فيه ***أنه مستعد لزيارة القدس. بل إنه استخدم نفس الألفاظ التي استخدمها السادات لتبرير ذلك. فقال انه يريد أن يحطم الحواجز النفسية التي تقف بين الاسرائيليين والفلسطينيين***. [35]

■ 89/4/21، نشرت مجلة الوطن العربي حديثا ل «ابو إياد» تبريرا لقبول القرارين الأمميين 242، 338 يقول فيه: ***«في الماضي كنا نرفض القرارين 242، 338. وحتى القرار 181 الذي ينص على إقامة دولتين في فلسطين لم نقبل به يوما كشعب فلسطيني، أو قيادات فلسطينية. وتسهيلا منا وانسجاما مع الوضع العام قبلنا هذه القرارات***. هناك عوامل عديدة حملتنا على القبول. منها فك الارتباط الأردني بالضفة الغربية. والوفاق الدولي الذي بدأ يترك بصماته على أكثر من جهة اقليمية في العالم، ومد يده بقوة الى الشرق الأوسط. وحتى لا نبدو نحن في وضع المتحجرين. ولذلك أعلنا قبولنا لقرارات الشرعية الدولية التي قالت بالقرار 181، وبالانسحاب الاسرائيلي من الأراضي المحتلة. وقلنا انه لابد من تتويج ذلك بالدولة الفلسطينية، حتى يفهم بأننا لا نقبل بعودة الأرض فقط دون النظر الى من تعود. . . بل أن تعود إلى الشعب الفلسطيني وتحت سيادته. والعامل الثالث والأهم وهو الانتفاضة». [36]

■ 2 مايو 1989، صرح ياسر عرفات في باريس بعد مقابلته للرئيس الفرنسي ميتران، ***أن ميثاق منظمة التحرير الفلسطينية المصادق عليه عام 1964 لاغيا*** *(null an void)*. [37] وكان الرئيس الفرنسي قد طلب من عرفات أن يزيل التناقض القائم بين اعتراف منظمة التحرير الفلسطينية في العام الماضي على حق اسرائيل

في الـوجـود، وبين ميثاق المنظمة الذي لا يعترف لاسرائيل بهذا الحق. وفي اعلانه عن الغاء الميثاق، فإنه استخدم أيضا الكلي الفرنسية Caduque . وقد أثار هذا التصريح غضب الكثير من الفلسطينيين، حتى أن احمد جبريل وصف عرفات بالخائن.

■ 89/9/11، صرح بسام أبـو شريف المستشـار السياسي للرئيس ياسر عرفـات لاذاعـة فرنسا الدولية، ***أنه مستعد للتوجه إلى القدس أو تل أبيب للتفـاوض مع الاسرائيليين. كما أكد استعداده للاجتماع فورا مع عضو من حزب العمل الاسرائيلي، لمناقشة تفاصيل خطة السلام ذات النقاط العشر التي تقـدم بها الـرئيس المصري حسني مبارك.*** وكان حسني مبارك قد تقدم بهذا المشروع للحكومة الاسرائيلية قبل بضعة أيام، ولم يكن قد تم الاعلان عنه إعلاميا. وهذا يؤكد أن الرئيس مبارك قد أطلع القيادة الفلسطينية على هذا المشروع قبل ارساله الى الجانب الاسرائيلي، وان بسام أبو شريف كان على علم بالمشروع. [38] وقد أثارت تصريحات بسام أبو شريف ضجة كبيرة في الأوساط الفلسطينية. وأصدرت منظمة التحرير الفلسطينية بيانا إذاعيا قالت فيه أن ما ذكره بسام أبو شريف لا يمثل وجهة نظر المنظمة. ولكن هناك اعتقاد راسخ بأن ماقاله بسام أبو شريف، كان يعبر عن وجهة نظر ياسر عرفات. فلو أنه أدلى بهذا التصريح الخطير دون موافقة عرفات لكان أقل ما يتخذ ضده هو أن يفقد منصبه. . . ولكن هذا لم يحدث. ومع ذلك فرغم كل التنازلات التي جاءت في مشروع مبارك إذا ما قورن بمشروع فاس، فإن اسرائيل قد رفضته. وسياسة اسرائيل واضحة. انها تدفع الجانب العربي إلى تقديم تنازلات. وبعد ان يقدم العـرب تلك التنازلات، فإنها تطلب المزيد. . . وذلك لأنه ليس لديها النية إطلاقا أن تعطي شيئا.

■ 90/2/8، نشرت صحيفة الشعب (الجزائرية) حديثا نفى فيه أبو اياد، أن تكون المنظمة قد وافقت على مشروع بيكر. واستطرد قائلا: ***«ليس هناك شيء اسمـه خطة بيكـر. انما هناك عدة نقاط إجرائية تهدف إلى بدء حوار فلسـطيني اسرائـيلي، وهي صورة أخـرى لخطة شامير. وجميعها مخططات أمريكية صهيونية لجر المنظمة نحو الاستسلام. ولقد لاحظنا منذ بداية الحوار في تونس ان الادارة الأمريكية تسعى الى ربح الوقت، ولم تمس الاتصالات أي***

نقطة جوهرية حتى الآن. والأكثر من ذلك، أصبح الحوار عبر مصر. وفي رأيي أننا ارتكبنا خطيئة كبرى عندما وافقنا أن يكون الاتصال عبر مصر».

■ 1990/4/4، عقد ياسر عرفات اجتماعا مع الرئيس الفرنسي ميتران في قصر الاليزية حضره الرئيس الأمريكي الأسبق جيمي كارتر. **وقد صرح عرفات بعد الاجتماع بأنه على استعداد للاجتماع مع شيمون بيريز المكلف بتشكيل الحكومة الاسرائيلية الجديدة، لاقرار سلام الشجعان.**

■ 1990/6/11، أدان ياسر عرفات العملية الفدائية الفاشلة التي قام بها مجموعة من الشبان الفلسطينيين يوم 30 مايو 90، المنتمين إلى جبهة التحرير التي يقودها أبو العباس. ومع ذلك فإن أمريكا اعتبرت هذه الادانة غير كافية. وقرر بوش، يوم 20 يونيو تعليق جميع الاتصالات مع منظمة التحرير الفلسطينية. وكان هذا الحوار قد بدأ منذ 18 أشهر بعد أن قبل ياسر عرفات بالشروط الأمريكية الثلاثة لامكانية فتح الحوار مع المنظمة... وبعد أن أعلن عن ذلك بوضوح تام في جنيف في 88/12/14. (نعم لحق اسرائيل في الوجود. نعم للقرارين 242، 338. نعم لنبذ الارهاب). وبذلك تكون إسرائيل قد حصلت على ماتريد من تنازلات مقابل لاشيء. وهذا ما توقعناه وأعلناه في حينه.[39]

من أقوال السلطات السورية

■ 82/12/18، صرح وزير الاعلام السوري أحمد اسكندر أحمد لصحيفة النهار اللبنانية، أن سوريا خسرت خلال الغزو الاسرائيلي للبنان 5 000 شهيد عدا الطائرات والعتاد الذي يقدر بالمليارات (عرف فيما بعد أن خسائر سوريا في المعدات هي 80 طائرة قتال، 20 طائرة هيليوكوبتر، 18 كتيبة صواريخ سام، 200 دبابة. أما خسائر الفلسطينيين فلم يعلن عنها. ولكن بتاريخ 15 يونيو 90 نشرت صحيفة الشرق الأوسط أن العقيد عز الدين شريف أبو زياد رئيس وفد فلسطين، أعلن خلال جلسات الجمعية العمومية للاتحاد العربي لجمعيات المحاربين القدماء وضحايا الحرب التي عقدت في الرباط، أن عدد شهداء الثورة الفلسطينية بلغ 6420 منذ انطلاق الثورة عام 1965 وحتى تاريخ 14 يونيو 90. وأن عدد الجرحى بلغ 85 000 من بينهم 8 000 مقعد

يستخدمون المقاعد المتحركة). [40] ووجه أحمد اسكندر ما وصفه بأنه تجاهل متعمد ـ لم يحدد مصدره، ولكن كان مفهوما أنه يقصد النظام المصري، ومنظمة التحرير الفلسطينية ـ لدور سوريا في مقاومة الغزو الاسرائيلي المستمر للبنان.

■ 83/1/10، نشرت مجلة المستقبل مقالا لوزير الاعلام السوري جاء فيه: «ذهب حاكم مصر منطلقا من شعاراته المصرية ومبتعدا عن أمته العربية، فحول مصر من أمل عربي إلى هم عربي. وحصل على أفضل شروط مذلة في صلحه مع اسرائيل. . . رهن مصر وارادتها لدى اسرائيل. خسر مصر وفرط بحقوقها. وأدار ظهرا لحقوق أمته العربية. بدأ إقليميا فخسر مصلحة الاقليم، وخان قضيته. وانسلخ عن أمته العربية خارجا على ارادتها مرتكبا جرم الخيانة العظمى». واستطرد اسكندر في تنديده بالحكام العرب اللذين يساندون الأعداء لضرب خصومهم ومنافسيهم من الحكام العرب الآخرين فقال: «كان النذير يقول لحاكم بغداد المستكفي بالله، التتار اقتربوا فيجيب بغداد تكفيني. ومازال يرددها حتى استبيحت بغداد وقتل مع أهله وحاشيته. وتكررت الواقعة بعد سنين وفي مكان آخر. . . في الأندلس. أقتسم الحكام وأبناؤهم التراث، واستقل كل منهم بمقاطعة تحترب مع شقيقاتها. . . واستنجدوا النجدة من خصومهم في قشتالة وأرجون لينتصروا على اخوتهم !! وكأن المرء يستطيع الانتصار على أخيه. المرء ينتصر بأخيه ولأخيه. ولكن محال أن ينتصر على أخيه. . . فبدأت قلاعهم تسقط واحدة إثر الأخرى، حتى محيت آخر مملكة لهم في غرناطة». (المؤلف: ما أجمل وما أصدق ماقال أحمد اسكندر. ولست أدري ماذا كان يمكن أن يقول لو عاش ليشهد كيف استنجد حكام عرب بأمريكا وغيرها من الدول الصليبية لينتصروا بهم على العراق. وكأنهم لا يقرأون التاريخ. . . أو أن رغبتهم في البقاء في الحكم أطول مدة ممكنة تفوق ايمانهم بالله، وتفوق قدرتهم على استيعاب دروس التاريخ).

■ 83/1/24، صدر بيان مشترك من سوريا وليبيا وإيران جاء فيه «أن الدول الثلاث تقف بحزم ضد محاولات تصفية القضية الفلسطينية، عن طريق توسيع دائرة كامب ديفيد، وتوريط بعض الأطراف بالانزلاق الى نهج كامب ديفيد. وان الدول الثلاث تؤكد معارضتها للمحاولات، التي تبذل لاعادة النظام المصري إلى الجامعة العربية دون تخليه عن كامب ديفيد».

■ 83/8/14، نشرت يونـايتيد برس انترناشونال مقابلة أجرتها مع الرئيس حافظ الأسد جاء فيها : *«أنه سيسحب قواته من لبنان إذا قامت إسرائيل أولا بسحب قواتهـا من لبنـان وبـدون شروط مسبقـة»*. *(المؤلف : لاحظ أيها القـاريء أن صدام حسـين قد أعلن هو الآخر يوم 90/8/12، بأنه على استعداد بأن يسحب قواته من الكويت، إذا اتخذ مجلس الأمن الدولي قرارا بانسحاب جميع القوات الأجنبية من الأراضي التي تحتلها. فتنسحب أمريكا وحلفـاؤهـا من السعـودية ومنطقة الخليج، وتنسحب اسرائيل من الأراضي العـربية المحتلة، وتنسحب سوريـا من لبنان. ولكن هذه المبادرة هوجمت بشدة، لا من أمريكا فحسب.. بل من الأنظمة العربية الحليفة لها بما في ذلك سوريا التي طالبت هي فيما مضى بالربط بين انسحابها من لبنان، وانسحاب اسرائيل هي الأخرى من لبنان)*. *واستطرد حافظ الأسد في حديثه، فوجه نقدا شديدا لاتفاقية 17 مايو 83. واتهم أمريكا بأنها هي التي وراء هذه الاتفاقية وعليها أن تعمل على الغائها... حيث أن هذه الاتفاقية تتعارض مع كل ماهو منطق*.[42]

■ 83/10/18، نشرت صحيفـة النهـار (اللبنانية) خطابا للعماد مصطفى طلاس وزير الدفاع السوري قال فيه : «ان الزعامة اليمينية داخل فتح تقوم بأعمال استفزازية داخل لبنان خصوصا في طرابلس. *لقد دفع عرفات رجاله إلى مهاجمة مواقع الأحزاب الوطنية والتقدمية اللبنانية... عرفات خائن يريد أن يثبت لسادته الأمريكان أنه مازال على مسرح الأحداث*».

■ 84/1/2، أدلى العمـاد مصـطفى طلاس بحديث نشرته مجلة نيوزويك الأمريكية قال فيه : *«لن نجلس على مائدة المفاوضات الا بعد أن نصل الى مستوى التوازن مع اسرائيل»*. وقد أجرت المجلة الأمريكية معه هذا اللقاء بعـد أن قامت وسـائـل الـدفـاع الجوي السوري باسقاط طائـرتـين (طائرة A-6، طائرة A-7) كانتا ضمن 24 طائرة أمريكية قامت بالاغارة على القوات السورية في لبنان يوم 83/12/4. وهكذا فإنه بينما كانت الفصائل الفلسـطينية الموالية لسوريا تقاتل قوات فتح الموالية لعرفات في شمال لبنان، كانت قوات الأسطول السادس الأمريكي تشتبك مع القوات اللبنانية والقوات السورية في وسط لبنان.

■ 84/7/18، أذاع راديو دمشق مايلي: «يواصل ياسر عرفات يوميا نهجه الانحرافي والاستسلامي... **إذا أريد جعل القضية الفلسطينية رقم واحد والقضية المركزية للعرب. فيجب أن يقوم ذلك على أساس الاطاحة بعرفات ونهجه**».[42]

■ 85/5/4، جاء في خطاب للرئيس حافظ الأسد مايلي: «**ان اتفاقيات كامب ديفيد مذلة للأمة العربية، ومخطط لدحر أمانيها ولا بد من أن نقاومها. ان المشكلة ليست في أننا اختلفنا مع مصر. ولكنها في خروج مصر من الموقع العربي الى الموقع الاسرائيلي**».[43]

■ 85/12/2، قام نائب الرئيس السوري عبد الحليم خدام بزيارة مفاجئة لليبيا حيث أعلن بأن الذين يفكرون بالعدوان على ليبيا، عليهم أن يعلموا أنهم سيواجهون ليبيا وسوريا معا. وفي نفس اليوم قالت صحيفة تشرين السورية **ان الحشود المصرية على الحدود الليبية ان دلت على شيء، فعلى مدى تواطؤ النظام المصري مع أعداء الأمة العربية وقضاياها**.[44]

■ 28 يناير 87، وقعت مشادة كلامية بين الرئيس حافظ الأسد والرئيس حسني مبارك. وكان ذلك في أحد الأروقة المحيطة بقاعة الاجتماعات أثناء انعقاد مؤتمر القمة الاسلامي في الكويت. وقد كشف مبارك عن هذا اللقاء الصاخب في الخطاب الذي ألقاه في 87/2/1، في مناسبة الاحتفال بعيد الشرطة... فقال أنه عندما تقابل بالصدفة مع حافظ الأسد قبل دخول قاعة الاجتماعات، فإن حافظ الأسد بادرة بالقول «سأقاتلك. هل يرضيك أن تكون إسرائيل في مصر وهي تحتل الجولان». **فعرض عليه حسني مبارك أن يلتقيا في دمشق أو في أي مكان آخر. ولكن حافظ الأسد رفض وقال له: لن أقابلك الا بعد الغاء اتفاقيات كامب ديفيد**». ويستمر حسني مبارك في خطابه فيقول أن كلمة حافظ الأسد أمام القمة استغرقت نحو ساعتين كان معظمها هجوما على مصر، وأنه هاجم مصر وشعب مصر وطالب المؤتمر بمقاطعة مصر اقتصاديا. ويقول حسني مبارك أنه رفض التعليق على كلمة حافظ الأسد احتراما للدولة المضيفة ولصالح مؤتمر القمة الاسلامي.[45] ولكن محمد جاسم الصقر رئيس تحرير صحيفة القبس (الكويتية) نشر في القبس يوم 87/2/4، مقالا يقول فيه أن الأسد لم يهاجم مصر. وكل ما فعله هو أنه تلا

قرارات القمم السـابقـة حول الاتفاقيات المنفردة، ولم يذكر كامب ديفيد في الخطاب الا مرة واحدة فقط، في معرض قوله انها لم تحقق السلام في الشرق الأوسط. [44] (المؤلف : اننا ندعو الرئيس حافظ الأسد، بأن يعيد اليوم قراءة قرارات مؤتمرات القمم الاسلامية والقمم العربية حول المواقف الأمريكية من قضية الصراع العـربي الاسرائيلي، وتـواجـد اساطيلها في المنطقة، وتأييدها لاسرائيل الخ الخ . . . ونطلب منه أيضا أن يعيد قراءة تصريحاته السابقة حول كامب ديفيد ونهج كامب ديفيد الخ الخ. فالشي بالشيء يذكر).

■ 22 فبراير 87، بعث السوريون بلواء مدرع الى بيروت لوقف القتال بين الجماعات اللبنانية المتناحرة، والتي راح ضحيتها في أسبوع واحد أكثر من 200 قتيل. وقد كان حزب الله الموالي لايران هو أكثر المتضررين من هذا التدخل السوري، مما أصاب العلاقات السورية الايرانية ببعض الفتور.

■ 89/1/18، اجتمعت المنظمة العربية للتنمية الزراعية في دمشق، وقد حضرت مصر هذا الاجتماع وقرر وزراء الزراعة العرب بما فيهم سوريا عودة مصر للمنظمة، فكان ذلك اشارة واضحة بأن سوريا لن تعارض في عودة مصر إلى الجـامعـة العربية. . . ولكن حافظ الأسد كعادته لم يشأ أن يكشف كل أوراقه. ففي حديث له مع مجلة TIME الأمريكية في 89/4/3، عندما سئل عن احتمال اعادة العلاقات مع مصر أجاب أن هذا سؤال سابق لأوانه. وعموما فانا أحب حسني مبارك الطيار.

■ 1989/5/16، (قبل أسبوع واحد من اجتماع مؤتمر القمة العربي في الدار البيضـاء)، أعلن حافظ الأسـد أنـه يوافق على اشتراك مصر في مؤتمر القمة القادم. وفي يوم 89/12/28، أعلنت القاهرة ودمشق بأنه قد تم الاتفاق على إعادة العلاقات بين البلدين.

■ 16 يوليو 1990، قام حافظ الأسد بزيارة الى مصر، وتم توقيع البلدين في الاسكندرية على وثيقتين للتنسيق السياسي والتكامل الاقتصادي. حدث ذلك بينـما كان النـظام المصري حليفـا للعراق ضمن مجلس التعاون العربي. . . وبالرغم من العداء المستحكم بين النظامين السوري والعراقي . . . فكان ذلك بالنسبة لمن يتابعون أحداث الشرق الأوسط مؤشرا على بزوغ عهد جديد من التحالفات العربية الاقليمية !!

من أقوال السلطات المصرية

■ 82/5/10، الرئيس حسني مبارك اتصل تليفونيا بالرئيس صدام حسين، وقدم له تهانيه بمناسبة عيد ميلاده الـ 46 (صحيفة الشرق الأوسط 82/5/11).

■ 82/6/28، في حديث له مع الهيئة البرلمانية للحزب الوطني، قال حسني مبارك: *سوريا تلقت 14 مليار دولار دعما عربيا، ووقفت بلا حراك أمام الغزو الاسرائيلي. فقد كان هناك اتفاق جنتلمان بين الجانبين السوري والاسرائيلي، على أن يكون الوطن القومي للفلسطينين في الأردن. وأن تأخذ سوريا سهل البقاع اللبناني كتعويض لها عن هضبة الجولان التي سلمتها قوات البعث السورية لاسرائيل في حرب يونيو 1967».* [47]

■ *82/11/7، أبلغ حسني مبارك وفد الكونجرس الأمريكي بابقاء القوات الأمريكية في لبنان الى أن تحل المشكلة اللبنانية.* [48]

■ *82/11/25، في مؤتمر صحفي في القاهرة بحضور الرئيس الفرنسي ميتران، قال حسني مبارك: «ان مبادرة ريجان للسلام تحتوي على عناصر ايجابية جدا.* [49] *تمثل قاعدة جيدة لبدء المفاوضات. ولكن يجب أن يتحقق شرطان قبل بدء المفاوضات. الأول هو اعتراف منظمة التحرير الفلسطينية باسرائيل. الثاني هو أن تتوصل المنظمة الى اتفاق مع الأردن للمشاركة في المفاوضات».* [50] (المؤلف: لاحظ أيها القارىء الدور الخطير الذي يلعبه ميتران. فهو الذي يحصل دائما على التنازلات من القادة العرب. إنه يلعب دور الصديق وهو أشد الناس كراهية للعرب والمسلمين وأكثرهم صداقة لاسرائيل. لقد انكشف موقفه في يونيو 81 عندما قام الاسرائيليون بتدمير المفاعل النووي العراقي. ثم هاهي مواقفه تزداد انحيازا الى إسرائيل. وفي خلال الحرب ضد العراق كان يشكل مع بوش وجون ميجور الثلاثي الأكثر عداء للشعوب العربية والاسلامية).

■ 83/1/30، أعلن مبارك، بأن مصر لها اتصالات مع كل من العراق والمغرب والأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية وبعض الدول العربية المعتدلة. [51]

■ أوائل عام 83، وافق الرئيس المصري حسني مبارك والرئيس السوداني جعفر نميري مع الادارة الأمريكية *على الاشتراك في الخطة التي أعدتها أمريكا لضرب القذافي. كانت الخطة تتلخص في أن يقوم السودان بخلق المبرر لجر ليبيا إلى الحرب، وهنا تقوم كل من مصر وأمريكا بتدمير القوات الجوية الليبية*. وبدأ تنفيذ الخطة بأن أعلنت أمريكا بأن أقمارها التجسسية قد أفادت بأن القذافي حشد جزءا هاما من قواته الجوية في واحة الكفرة في الطرف الجنوبي الشرقي من ليبيا استعداد للتدخل العسكري ضد السودان. ولكن حدث مالم يكن في الحسبان، عندما أذاعت وكالة أنباء ABC في نشرتها الاخبارية يوم 14 فبراير 83، أن الولايات المتحدة حركت حاملة الطائرات Nimilz في اتجاه ليبيا، وأنها أرسلت طائرات AWACS إلى مصر، وأن الغرض من تلك التحركات هو ردع القذافي من الأقدام على مهاجمة السودان. لم تكن وكالة أنباء ABS تعلم بالخطة الأمريكية المصرية السودانية، ولكن ما نشرته كان كافيا. ولم يعرف بتفاصيل تلك المؤامرة، إلا بعد أن نشرتها الواشنطن بوست في 17 يوليو 1987. (التفاصيل في مجلة الجبهة العدد 69 الصادر في أكتوبر 1987 الصفحة رقم 2).

■ 83/3/4، رئيس تحرير صحيفة الأهرام يقول في مقال له ما يلي «إن مصر سوف تستمر في الالتزام باتفاقيات السلام التي أبرمتها مع اسرائيل... إن قادة منظمة التحرير الفلسطينية يدخلون أي دولة عربية، فيبدأون تكوين دولة دخل الدولة، بل أكاد أقول دولة فوق الدولة. حدث ذلك في الأردن وكانت مذبحة أيلول (سبتمبر). وحدث ذلك في لبنان عندما تدخلت المنظمة في السياسات الداخلية والنزاعات الطائفية، فأخذت سوريا صف الكتائب وكانت مذبحة تل الزعتر» [52].

■ 83/3/8، نشرت صحيفة الشرق الأوسط (السعودية) نقلا عن صحيفة الأهرام أن الرئيس حسني مبارك التقى مع الملك حسين أثناء انعقاد قمة عدم الانحياز في نيودلهي. وأن اللقاء بين الرجلين استغرق ساعتين. وأشارت صحيفة الأهرام، بأن حسني مبارك التقى في نيودلهي أيضا بالزعماء العرب الآتين بعد: الرئيس اللبناني أمين الجميل، الشيخ خليفة بن حمد آل ثان أمير دولة قطر، الشيخ جابر الأحمد الصباح أمير دولة الكويت، والسيد طه معروف نائب الرئيس العراقي، والرئيس الصومالي زياد بري.

■ 84/3/11، صرح حسني مبارك في برنامج تليفزيوني بما يلي: ***«لن نقوم بالغاء اتفاقيتي كامب ديفيد من أجل أن تعود مصر إلى الجامعة العربية... وذلك بالرغم من أن اسرائيل تنتهك هذه المعاهدة يوميا: فنحن نحترم التزاماتنا، ولن نغير موقفنا تحت أي ظرف من الظروف»*** .[54]

■ 83/4/13، أعلن حسني مبارك، أن مصر، رفضت عرضا عربيا قيمته بضعة ملايير من الدولارات في مقابل الغائه الاتفاقية الثانية لكامب ديفيد (الجزء الخاص بفلسطين). ولم يفصح حسني مبارك عن الجهة التي قدمت العرض، ولكن يعتقد أنها ليبيا. وقد برر حسني مبارك رفضه لهذا العرض على أساس رد الفعل الأمريكي ورد الفعل الاسرائيلي. فهو يتوقع أن أمريكا في هذه الحالة ستتوقف عن تقديم المساعدات المالية ومبيعات السلاح. وعن اسرائيل فإنه يتوقع أن تقوم بضم الضفة الغربية وغزة نهائيا... كما أنه قد يدفعها إلى الهجوم على سوريا والأردن.[53]

■ *1984/5/3، أعرب كمال حسن على وزير الخارجية المصري في تصريح له أمام مجموعة من الصحفيين الغربيين الذين يزورون القاهرة حاليا، ومن بينهم مراسل مجلة Nouveau Observateur الفرنسية،* ***أن العقيد القذافي قد أمضى شهرين بعد قيام الثورة الليبية عام 1969 في مستشفى مصري متخصص في علاج الأمراض النفسية والعقلية*** .[55]

■ 84/9/14، كشف حسني مبارك أثناء حديثه مع المجموعة البرلمانية للحزب الوطني الديموقراطي، أنه ***رفض مقابلة المبعوث الليبي الى مصر في الآونة الأخيرة، والذي جاء ليعرض على مصر 5 مليار دولار، إذا ألغت مصر معاهدة كامب ديفيد. وأوضح أن من بين الطلبات الليبية إعادة طيار ليبي لجأ إلى مصر. وكانت ليبيا تدرب هذا الطيار من أجل ضرب السد العالي*** .[56]

■ 85/2/24، ***دعا حسني مبارك الحكومة الاسرائيلية للتفاوض مع وفد مشترك من الأردنيين والفلسطينيين... وان هذا اللقاء يمكن أن يتم في القاهرة أو في واشنطن. وقد رحب شيمون بيريز بهذا الاقتراح*** (حيث أن الاقتراح يستبعد منظمة التحرير الفلسطينية ويستخدم لفظ الفلسطينيين الذين يمكن أن يكونوا من سكان الأرض المحتلة أو حتى من الفلسطينيين الذين

يعيشون في أمريكا ويحملون الجنسية الأمريكية). وقال حسني مبارك أن مبعوثا مصريا قابل بيريز سرا في رومانيا قبل أسبوع ليطلعه على الاقتراح. [57] وقد أثار هذا الاقتراح ردود فعل غاضبة من منظمة التحرير الفلسطينية، التي وصفتها بأنها اقرارا بوجهة النظر الأمريكية، وانكارا لصفة منظمة التحرير الفلسطينية بصفتها الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني . . . وأنها تتجاهل حقوق الشعب الفلسطيني، وتتعارض مع قرارات المجالس الوطنية الفلسطينية. [58]

■ 11 يناير 1986، نشرت صحيفة الأهرام خبرين عن القذافي. ***الخبر الأول، يقول أن القذافي مريض عقليا. وان الطبيب النمساوي فرانز جرستبراند المتخصص في الأمراض النفسية والعصبية الذي يقيم في مدينة انزبروك Innsbruch هو الذي يشرف على علاجه. أما الخبر الثاني فيقول أن والدة القذافي هي فتاة يهودية يتيمة اسمها زمردة . . . اختطفها والد القذافي وتزوجها وأنجب منها أطفالا، كان أكبرهم هو العقيد معمر القذافي،*** (المؤلف: هذا الخبر الثاني كنت قد سمعته لأول مرة يوم 83/8/26 من السيد ممدوح سالم الذي كان يشغل حينئذ وزير الداخلية . . . أثناء حفل عشاء أقامها السيد حسين الشافعي، نائب رئيس الجمهورية على شرف العقيد معمر القذافي في فندق ميناهوس. وكان هدف ممدوح سالم من سرد هذه القصة على عدد من الحاضرين، أنه لايجوز الثقة بالقذافي على أساس أن أمة يهودية وهو من حيث هذه الصفة يعتبر يهوديا طبقا للقانون الاسرائيلي. وأذكر أني قلت له في حينه وأمام الآخرين؛ حتى لو افترضنا صحة ما تقول. فهذا لا يمكن أن يقلل من قيمة القذافي. فقد تزوج النبي صلى الله عليه وسلم من يهودية. والناس في الاسلام تحاسب على أساس أعمالها، وليست على أساس أصولها).

■ 27 مارس 86، صحيفة الواشنطن بوست تكشف جانبا من خطة تآمر النظام المصري مع الادارة الأمريكية، لضرب القذافي. والقضية بعد أن انكشفت كل فصولها كانت قد بدأت عام 85. وكانت تنقسم الى مرحلتين. المرحلة الأولى، تقوم بها وكالة المخابرات الأمريكية بالتعاون مع مصر والمنشقين الليبيين والاسم الكودي لهذه العملية هو Tulip. ***أما القسم الثاني فتقوم به الولايات المتحدة بالتعاون مع مصر ويشمل توجيه ضربة عسكرية الى ليبيا والاسم الكودي لهذه العملية هو Rose***، وتقوم الولايات المتحدة بتوفير الحماية

الجوية للقوات المصرية *التي تغزو الأراضي الليبية*. وفي أكتوبر 85 تسربت بعض المعلومات إلى الواشنطن بوست، التي نشرت في 3 نوفمبر 85، ان المخابرات الأمريكية بالتعاون مع مصر والليبيين تقوم باعداد خطة لاغتيال القذافي. وكان ذلك يعني أن الصحيفة المذكورة لديها معلومات عامة عن الخطة Tulip، ولكنها ماتزال لا تعرف شيئا عن الخطة Rose. ولذلك فقد أمر ريجان بالاستمرار في تنفيذ الخطة Rose. وتقرر إرسال الجنرال Dale Vesser. مدير فرع التخطيط في رئاسة الاركان الأمريكية إلى القاهرة يوم 24 يناير 86 لوضع اللمسات الأخيرة للخطة المصرية الأمريكية المشتركة. ولكن تسرب معلومات عن سفر الجنرال Vesser، دفع القيادة الأمريكية إلى تأجيل سفره. ثم نشرت الواشنطن بوست تفاصيل أكثر عن الخطة الأمريكية المصرية في 86/3/27... وقد أدى ذلك إلى تراجع حسني مبارك. وظهرت بعد ذلك سلسلة من المقالات بتوقيع الأستاذ ابراهيم نافع رئيس تحرير الأهرام يعترف فيها بأن الجانب الأمريكي طلب من مصر الاشتراك في عملية لضرب القذافي. ولكن مصر رفضت الاستجابة لذلك. وقد وردت هذه القصة بالكامل على لسان المستر Casey مدير وكالة المخابرات الأمريكية الأسبق ـ الذي كان يمسك بجميع خيوط الخطة ـ في كتاب الحجاب VEIL الذي صدر عام 1987 للصحفي Bob Woodward.[59]

- 86/4/19، كتب ابراهيم سعدة في صحيفة أخبار اليوم (المصرية) يقول لم يكتف الاتحاد السوفيتي بافلاس الدولة الصغيرة الغنية. وانما تلقف زعيمها الجاهل وأوهمه بأنه زعيم العالم المنتظر، وأن في استطاعته أن يحقق وخدة الكرة الأرضية كلها تحت أقدامه. وصدق القذافي ما قاله له أسيادة في موسكو: ***تنكر لشعبه ولأمته، وتحول إلى أداة تافهة في أيدي السوفيت. إن العالم كله يأسف لأن تلك الغارة الجوية الأمريكية لم تودي بحياته ولم تؤدي إلى اسقاط القذافي.*** *وبالتالي فإن الارهابي الأعظم سيواصل ارهابه وجرائمه».*[60] (المؤلف: ان ماكتبه ابراهيم سعده يوم 86/4/19، بعد أربعة أيام من الغارة الجوية التي شنتها أمريكا ضد ليبيا، إذا أضيف إليه الخبران اللذان نشرتهما صحيفة الأهرام عن القذافي يوم 86/1/11، فإنها تؤيد ضلوع النظام المصري في الخطة Rose، التي جاء ذكرها على لسان المستر Casey مدير المخابرات الأمريكية CIA، والتي تراجع حسني مبارك عن تنفيذها بعد أن انكشفت).

■ 29 سبتمر 87، نشرت مجلة المستقبل (اللبنانية) التي تصدر في باريس، أن حسني مبارك اجتمع في الاسماعيلية، مع عدد من طلاب الجامعات، بمناسبة افتتاح اسبوع أنشطة الجامعات. . . وأنه قال لهم أثناء هذا الاجتماع : «إن المناورات المشتركة مع أمريكا لا تضيف شيئا إلى معلومات أمريكا عن الجيش المصري. ذلك أنهم *يعلمون كل شيء عن الجيش المصري*. ***فهم يبيعون لنا السلاح وقطع الغيار. كما أنهم يمتلكون أجهزة دقيقة للتصوير والتجسس تمكنهم من معرفة أدق الأسرار. وقد أبلغوا الحكومة المصرية أن أجهزتهم سجلت 60 جنديا مصريا على الحدود مع اسرائيل زيادة عن العدد المسموح به في اتفاقيات كامب ديفيد***». [61]

■ 21 ينـايـر 88، ***طالب حسني مبـارك بوقف جميـع أعـمال العنف بين الاسرائيليين والفلسطينين (ونص على أن ذلك يجب أن يشمل أيضا وقف الانتفاضة الفلسطينية في الأراضي المحتلة لمدة 6 شهور)***. وأنه في خلال تلك الفـترة سيبـذل مسـاعي جديدة للتـوصل إلى حل للقضية الفلسطينية. [62] ويلاحظ أن المطالبة بوقف الانتفاضة يتماشى تماما مع أهداف اسرائيل التي كانت تطالب بنفس الشيء. أما تصور حسني مبارك بأنه يستطيع حل القضية التي مضى عليها 40 عاما في خلال 6 شهور، بينما الموقف السياسي والعسكري على المستوى الاقليمي والمستوى الدولي لا يوحي بذلك، فإن ذلك شيء يدعو إلى العجب حقا. (المؤلف : لماذا لم يطالب حسني مبارك اسرائيل بوقف بناء المستعمرات في الضفة الغربية بدلا من مطالبة الفلسطينيين بوقف الانتفاضة خلال الستة أشهر التي يتوقع أن يحل فيها هذا القضية ؟).

■ 88/9/26، في أثناء لقائه مع مسز ثاتشر رئيسة وزراء بريطانيا، صرح لها حسني مبـارك أن لديه تحفـظات على قيادة ياسر عرفـات لمنظمـة التحـرير الفلسـطينية. ***وأنـه يمارس الضغط عليـه من أجـل الالتـزام الـواضح بنبذ الارهاب، والاعتراف باسرائيل***. وكان حسني مبارك قد قابل وزير الخارجية البـريطانية Sir Geoffrey Howe قبـل ذلـك بيومـين وأبـدى له نفس تلك التحفظات. [63] (المؤلف : حسني مبارك يطالب بنفس ماكانت أمريكا والدول الغربية تطالب به).

■ 88/12/21، قال حسني مبـارك ***«الـرئيس صدام حسـين تربطني به علاقات طيبة جدا، حتى قبل عودة العلاقات. ولعلكم تلاحظون أنني زرت***

العراق وقت الحرب، ولم يكن بيننا في ذلك الوقت علاقات دبلوماسية. والعلاقات الدبلوماسية مجرد اجراء شكلي بيننا في الدول العربية. ولكن دائما الاتصالات تكون بين الرؤساء. وعلاقتي مع الرئيس صدام حسين ممتازة جدا. وقد زرته ثلاث مرات. ولا توجد حساسية بيننا» [٥٤].

■ 14/9/89، قدم حسني مبارك الى اسرائيل مشروع سلام، عرف اعلاميا بمشروع مبارك. ومع أن مبارك ينفي أن ما قدمه يسمى مشروعا، الا أن جميع النقاط العشر التي وردت به تتعارض تعارضا تاما مع مشروع فاس. وقد قمت بعمل بحث كامل عن هذا المشروع وأجريت مقارنة بينه وبين مشروع فاس - الذي يعتبر المشروع العربي الرسمي الذي حظى بموافقة العرب - ونشرت ذلك في مجلة الجبهة العدد 83، الذي صدر في يناير 1990 صفحتي (11، 12). هذا وقد *أعلن حسني مبارك في مؤتمر صحفي في واشنطن يوم 2/10/89، بعد لقائه مع الرئيس الأمريكي بوش أنه ناقش معه النقاط العشر. وقال «ان هذه النقاط العشر ليست بديلا عن أي شيء. ولكننا نريد توضيح بعض النقاط التي وردت في المشروع الاسرائيلي. وهي ليست مبادرة منا. انها مبادرة شامير»* [٥٥].

أيهـم أكثـر صدقـا وطهـرا

والآن. وبعد أن اطلعنا على ماجاء في قرارات مؤتمرات القمم الاسلامية والقمم العربية. . . وبعد أن اطلعنا على بعض من أقوال الزعماء العرب التي تحدد مواقفهم من القضايا القومية، وتبين رأيهم في غيرهم من الزعماء. . . ولا أظن أن أحدا منهم يمكن أن ينكر ما نسبناه إليه، حيث أن كل ماجاء على لسانهم موثق كما سبق أن بينا. **بل إن بعضهم استخدم في وصف الآخرين أحيانا ألفاظا خجل قلمي أن يذكرها مثل خنزير، ابن الكلب، البارك، المنبطح، الطفل والقصرية، الخ الخ. وسوف يقودنا كل ذلك إلى سؤال لا بد وأنه يجول في خاطر القراء. . . أيهم الصادق أو الأكثر صدقا وأيهم الطاهر أو الأكثر طهرا**. والاجابة على هذا السؤال صعبة. ويزيد من صعوبتها الوفاق أو التحالفات التي تربط بينهم أو تربط بين بعضهم اليوم. فلو قلنا أن فلانا هو الأكثر صدقا وطهرا، فكيف نصف موقف هذا الطاهر عندما يسمح لنفسه أن يصادق أو يتحالف مع من يعتبرهم خونة وعملاء للامبريالية والصهيونية؟ ولكل هذه الأسباب فإني أترك لكل قارىء حرية الاجابة على هذه التساؤلات.

والذي يثير الاشمئزاز حقا هو تلك الأقلام المأجورة في الدول العربية. هؤلاء الكتاب المأجورين الذين لا يكتفون بتألية الحكام في بلادهم، بل يوظفون أقلامهم في الاشادة بالزعماء العرب الآخرين طالما كانوا على علاقة طيبة مع حكامهم. فإذا تغير الموقف، وتحولت صداقة الحكام إلى خصام. أو تحول خصامهم إلى صداقة. انقلبت هذه الأقلام المأجورة لكي تتماشى مع الظروف الجديدة. فكل الحسنات تصبح من السيئات. وكل السيئات تصبح من الحسنات. ويتم كل ذلك دون خجل أو حياء. والقلة المؤمنة من الكتاب الذين يعالجون الأحداث بموضوعية، والذين يخرجون في كتاباتهم وتحليلاتهم عن الخط الرسمي للحاكم، فإنهم يجدون أنفسهم ملاحقين من جهة السلطة. فإما السجن والاعتقال، وإما النفي إلى خارج البلاد، وإما المنع من الكتابة، وإما فرض رقابة صارمة على ما يكتبون وما ينشرون حتى لا تصل أصواتهم إلى أسماع الجماهير. . . وحتى تبقى أراؤهم الحرة حبيسة في أضيق نطاق ممكن.

الفصل الثامن

موقف باقي الدول

الدول الأطلسية والأوروبية

دول حلف الأطلسي NATO

كانت مواقف دول حلف الأطلسي متطابقة تماما - إن لم أقل تابعة - لموقف الـولايات المتحـدة. فجميعها كانت مؤيدة للقرارات السياسية التي تتخذها الولايات المتحدة. وجميعها شاركت بقوات مسلحة ضمن تلك الحملة الصليبية الثامنة (انظر الفصل الثاني من هذا الكتاب). نعم لم يكن التأييد السياسي بدرجة واحدة عند طرح الرغبة الأمريكية للحوار، ولكن عندما يتخذ القرار في نهاية المطاف فانـه يكون مطابقا للقرار الأمريكي. نعم كانت مشاركة دول الحلف بقـوات عسكـرية بدرجـات متفـاوتـة، ولكن ذلـك كان يرجـع الى الامكانيات العسكرية لكل عضو من دول الحلف، والى العلاقات التي كانت تربط بين بعض دول الحلف وبين الدول العربية إبان الحقبة الاستعمارية قبل الحرب العالمية الثانية وما بعدها. ولذلك فاننا نجد أن بريطانيا وفرنسا وايطاليا كانت هي اكثر الدول الأوروبية تأييدا ومشاركة في تلك الحرب بعد الولايات المتحدة... وغنى عن البيان أن تلك الدول الثلاث كانت هي الدول التي تحتل الغالبية العظمى من الدول العربية قبل حصولها على الاستقلال... كما أنها كانت وما زالت تحتفظ بعلاقات خاصة ومتميزة مع كثير من الدول العربية في مرحلة ما بعـد الاستعـمار. ولعـل المـانيا هي الـدولة الوحيدة التي كانت مشـاركتهـا العسكرية لا تتناسب مع امكانياتها العسكرية. ولكن ذلك كان يرجع أساسا الى التزامها بالدستور الذي يحظر عليها استخدام قواتها المسلحة خارج حدود عمل حلف الأطلسي في الميدان الأوروبي. ولكنها على أي حال عوضت ذلك بما تبرعت به من أموال كما سنبين ذلك فيما بعد.

كانت دول الحلف تتخذ قراراتها السياسية والعسكرية أحيانا بصفة مستقلة دون ما حاجة الى صدور قرار من الحلف. وذلك على اعتبار أن تلك الحرب تخرج عن دائرة الحلف. وأحيانا أخرى كان يتخذ الحلف قرارات جماعية قبل أن تشرع الدول الأعضاء في تنفيذها. ومع ذلك فحتى بالنسبة للحالة الأولى عنـدمـا تتخذ بعض الدول الأعضاء قراراتها بصفة فردية، فان الحلف كان

يسارع بتأييد تلك القرارات. ففي يوم 10 أغسطس أعلن السكرتير العام للحلف مانفريد ورنر Manfred Worner ، أن مجلس وزراء الحلف أعرب عن دعمه الجماعي للاجراءات التي اتخذها أعضاؤه لتطبيق القرارات التي قررتها الأمم المتحدة ضد العراق. ويلاحظ أن قرار الحلف الأطلسي هذا هو قرار صدر بعد التنفيذ وليس قبله. بل إن بعض الدول الأعضاء قد فرضت هذه العقوبات على العراق قبل صدور قرار من الأمم المتحدة، كما أن بعضها كان قد ساهم بارسال قوات مسلحة الى منطقة الخليج دون أن يكون قد صدر قرار بذلك من الأمم المتحدة أو من مجلس وزراء حلف الأطلسي.

وبالاضافة الى تنسيق المواقف بين أمريكا ودول حلف الأطلسي نتيجة الاتصالات الثنائية المباشرة مع تلك الدول، فقد اجتمعت جميع دول الحلف ال 16 (14 عضو من الدول الأوروبية + أمريكا + كندا) في بروكسل في 17 ديسمبر 1990 ، وأصدرت بيانا أكدت فيه على ضرورة انسحاب العراق الغير مشروط من الكويت وعودة السلطة الشرعية الى البلاد. كما أكد البيان استعدادهم لاعلان الحرب على العراق في حالة الضرورة. [1]

وفي 25 فبراير 1991 ، نشرت مجلة TIME الامريكية حديثا للسكرتير العام لحلف الأطلسي Manfred Worner ، جاء فيه ما يلي «ان معاهدة حلف الأطلسي تحدد بوضوح حدود منطقة العمل بالنسبة لأعضاء الحلف. ولذلك ففي حالة ظهور تحدي لدول الحلف خارج دائرة عمله، فان مجابهة هذا التحدي تكون بواسطة الدول الأعضاء التي ترغب في ذلك. . . وبالرغم من حالة الوفاق التي تسود العلاقات اليوم بين الاتحاد السوفيتي والمعسكر الغربي، الا أن حلف الأطلسي يجب أن يبقى للأسباب الرئيسية التالية: واحد، ما زال الاتحاد السوفيتي يحتفظ بقوات عسكرية جبارة، وبالتالي فان الحلف يمكن ان يخلق نوعا من التوازن العسكري مع تلك القوات السوفيتية. اثنان، الحلف يضم 16 دولة من بينها أقوى الدول الديموقراطية في العالم، وبالتالي فان الحلف يستطيع أن يسيطر على حركة التاريخ في العالم. أما السبب الثالث لضرورة الابقاء على الحلف، فهو أن دول الحلف الأوروبية - دون مشاركة أمريكا وكندا - لا تستطيع وحدها أن تقوم بتلك المسؤولية العسكرية والسياسية التي يمارسها الحلف حاليا، او التي يستطيع ممارستها مستقبلا. . . وقد أثبتت حرب

الخليج أن كلا من الجانب الأوروبي والجانب الأمريكي يحتاج إلى الآخر، *وأن اوروبا في حاجة الى الزعامة الأمريكية . . . واذا كان هناك من يطالب اليوم بتقوية الجانب الأوروبي، فان ذلك لا يعبر عن رغبة في التخلص من الزعامة الامريكية، وانما الغرض منه هو القناعة، بأن أوروبا الموحدة تستطيع أن تتحمل نصيبا من المسؤولية الدولية يزيد كثيرا عما تشارك فيه حاليا»*. [2]

دول المجموعة الأوروبية

المجموعة الاقتصادية الاوروبية European Economic Community يتطابق موقفها هي الأخرى مع الموقف الأمريكي، وهذا أمر طبيعي. . حيث أن الغالبية العظمى من دول المجموعة الاقتصادية الأوروبية هم أعضاء في حلف الأطلسي. فالحلف الأطلسي يضم 14 دولة أوروبية ثلاثة منها فقط هي النرويج، أيسلاند، تركيا، هي التي ليست أعضاء في دول المجموعة الاقتصادية الأوروبية EEC . أما باقي الدول الأوروبية ال 11 الباقية وهي : الدنمارك، لوكسمبورج، المانيا (المانيا الغربية سابقا)، فرنسا، هولندا، بلجيكا، ايطاليا، بريطانيا، اليونان، اسبانيا، البرتغال، فجميعها أعضاء في EEC مضافا اليها ايرلندا ليصبح مجموع دول EEC اثنى عشر. (في كثير من الأحيان تلجأ وسائل الاعلام الى تعبير مجموعة الاثنى عشر، او الى تعبير دول السوق المشتركة الأوروبية، عندما تريد الاشارة الى دول المجموعة الاقتصادية الأوروبية). *ورغم ان أيرلندا قامت بتنفيذ قرار دول المجموعة الاقتصادية الأوروبية، الذي اتخذ في بروكسل يوم 17/9/90، الخاص بطرد جميع العسكريين العراقيين من سفارات الدول الاثنى عشر. . إلا انها كانت الدولة الوحيدة من بين دول المجموعة التي لم تبعث بقوات مسلحة إلى الخليج رغم أنه كان لديها الامكانيات لأن تفعل ذلك*. [3]

في 28/10/90، اتخذ رؤساء حكومات المجموعة الاقتصادية الأوروبية أثناء اجتماعهم في روما، قرارا يقضي بعدم قيام أي دولة من دول المجموعة بارسال مندوبين عن حكوماتها بأية صفة للتفاوض مع العراق بشأن اطلاق سراح المواطنين الأجانب الذين كان يحتجزهم العراق كرهائن.

ويلاحظ أن قرارات المجموعة الاوروبية كانت دائما تابعة للقرار الأمريكي. فعندما لاح في الأفق احتمال زيارة وزير الخارجية العراقي طارق

عزيز إلى واشنطن في 17 ديسمبر 1990 (انظر الفصل الخامس تحت عنوان لقاء بيكر - عزيز في جنيف) سارعت مجموعة الدول الأوروبية بالاتصال مع العراق، وطلبت أن يجتمع طارق عزيز بممثلين عن دول المجموعة في روما قبل توجهه إلى واشنطن. فلما اختلف الجانب الأمريكي والجانب العراقي حول موعد زيارة بيكر لبغداد، وألغى بوش لقاءه المنتظر مع طارق عزيز في 17 ديسمبر 90، سارعت المجموعة الأوروبية هي الأخرى بإلغاء دعوتها للقاء طارق عزيز في روما. وعندما اتفق الجانب الأمريكي والجانب العراقي على لقاء بيكر وعزيز في جنيف في 9 يناير 91، سارعت المجموعة الأوروبية هي الأخرى بدعوة طارق عزيز للالتقاء معها في لوكسمبورج في 91/1/10، بعد انتهاء لقائه مع بيكر في جنيف. ولكن طارق عزيز هو الذي صفعهم هذه المرة بالعودة مباشرة الى بغداد بعد فشل لقائه مع بيكر. . اذ كان واضحا أن المجموعة الأوروبية ليس لديها ما تقوله سوى ما سمعه من بيكر. وهنا تقدمت المجموعة الأوروبية باقتراح ثالث وهو أن يتقابل طارق عزيز مع اللجنة الثلاثية التي تمثل المجموعة (وتضم وزراء خارجية لوكسمبورج، ايطاليا، هولندا) في الجزائر. ولكن العراق رفض ذلك وأبلغهم بانه على استعداد للقائهم في بغداد ان أرادوا ذلك. ولكنهم لم يستجيبوا لذلك، ***وبالتالي لم يتم أي لقاء بين العراق وبين المجموعة الأوروبية لا في روما، ولا في لوكسمبورج، ولا في الجزائر. . . ويرجع ذلك الى أن المجموعة الأوروبية لم يكن لديها أي موقف يختلف عن الموقف الأمريكي، يمكن أن يكون أساسا للحوار مع الجانب العراقي.*** وسوف نذكر في الصفحات التالية مواقف بعض الدول الرئيسية في تلك المجموعة.

الموقف البريطاني

بريطانيا هي أكثر الدول الأوروبية ارتباطا بالولايات المتحدة، سواء من خلال عضويتها في حلف الأطلسي NATO ، أو من خلال عضويتها في دول المجموعة الاقتصادية الأوروبية EEC . وكانت السيدة ثاتشر رئيسة وزراء بريطانيا عند اندلاع أزمة الخليج من أكثر السياسيين البريطانيين إيمانا وارتباطا بالسياسة الأمريكية. . . حتى أن بعض أعضاء المجموعة الأوروبية يعتقدون أن بريطانيا تشعر بالانتماء الى القارة الأمريكية عبر الأطلسي أكثر مما تشعر

بالانتهاء الى القارة الأوروبية عبر بحر المانش وبحر الشمال. وكان من البديهي إذن أن تكون بريطانيا هي أول دولة اوروبية تسارع بدعم الموقف الأمريكي سياسيا وعسكريا. وقد حدث بمحض الصدفة ـ أو هذا هو ما نعلمه حتى الآن ـ أن كانت السيدة ثاتشر في زيارة رسمية للولايات المتحدة عندما اجتاحت القوات العراقية الكويت يوم 2 اغسطس 1990 . . . فكانت تصريحاتها تتجاوز تصريحات الرئيس الأمريكي بوش من حيث الصرامة في إدانة الغزو العراقي للكويت وضرورة استخدام القوة العسكرية ضد العراق اذا لم ينسحب فورا . . . ويعتقد كثير من المحللين أن السيدة ثاتشر كانت هي التي تدفع بوش الى اتخاذ مواقف متشددة تجاه العراق طوال فترة الأزمة والى أن قدمت استقالتها ـ بناء على ضغوط حزبية نتيجة سياستها الداخلية ـ في 90/11/27.

وحتى بعد أن تولى جون ميجور رئاسة الحكومة البريطانية خلفا للسيدة ثاتشر، فان السياسة البريطانية ـ المؤيدة تأييدا مطلقا للولايات المتحدة ـ لم تتأثر نتيجة هذا التغيير. ففي خلال رئاسة ميجور ضاعفت بريطانيا قواتها البرية المنتشرة في منطقة الخليج. وفي خلال رئاسة ميجور تجاوزت بريطانيا قرارات الأمم المتحدة عندما شاركت قواتها البرية في احتلال أجزاء من أرض العراق. . وعندما طالبت وفرضت على العراق أن يقوم بتدمير أسلحة التدمير الشامل التي يملكها بعد هزيمته العسكرية في الحرب. . وعندما أعلنت باستمرار فرض العقوبات الاقتصادية على العراق طالما بقي صدام حسين في السلطة. . . وعندما شاركت في احتلال شمال العراق بحجة مساعدة الأكراد للعودة الى مدنهم. . . الخ الخ. وإن التصريحات التي كان يدلي بها الساسة البريطانيون إبان الأزمة وما بعدها ـ باستثناء القليل منهم ـ كانت جميعها تؤكد أن النزعة الاستعمارية البريطانية ما زالت تعيش في أعماق قلوب الزعماء البريطانيين، بصرف النظر عن انتماءاتهم الحزبية. ولم تكن تصريحات المستر Kinnock زعيم حزب العمال، أو تصريحات المستر Ashdown زعيم حزب الاحرار بأفضل من تصريحات زعماء حزب المحافظين في نزعتهم الاستعمارية، ورغبتهم الأكيدة في تدمير القوات المسلحة العراقية، وبسط نفوذهم على دول المنطقة. ففي يوم 30

يناير 91، اجتمعت حكومة الظل لحزب العمال، وأقرت بأغلبية 22 صوت ضد 3، على ضرورة تدمير القوات المسلحة العراقية، وليس مجرد الاكتفاء بتحرير الكويت.

وقد سئل وزير الخارجية البريطاني دوجلاس هيرد Douglas Hurd ، أثناء زيارة له لدول المنطقة يوم 91/2/10، عن مستقبل الوجود البريطاني في المنطقة بعد انتهاء الحرب فقال «إن القوات البريطانية ستنسحب فورا بمجرد انتهاء المهمة التي جاءت من أجلها . . ولكن اذا طلبت إحدى الدول مساعدتنا لتوفير الأمن لها، فلا شك أننا سننظر باهتمام لتلبية هذا الطلب. وأعتقد أن دولا غربية أخرى ستستجيب هي أيضا لذلك». [4] قال هذا وهو يعلم تماما ان ارتباط مصالح الأسر الحاكمة في الدول الخليجية مع مصالح بريطانيا وأمريكا وغيرهما من الدول الامبريالية، سوف تدفع حتما بعض تلك الأسر الى التقدم بهذا الطلب الذي يتحدث عنه.

وطبقا للتصريحات الرسمية البريطانية، فان هذه الحرب لم تكلف بريطانيا سوى 850 مليون دولار. [5] فقد بلغت تكاليفها الاجمالية 4 250 مليون دولار (2 500 مليون استرليني) منها 3 400 دولار كمساعدات مالية من الجهات التالية:

مليون دولار من السعودية	1 000
مليون دولار من الكويت	1 300
من المانيا (800 مليون مارك)	500
مليون دولار من دول أخرى.	600

وفي خلال الحرب الجوية قامت الطائرات البريطانية (RAF) بتنفيذ 4 000 طلعة قتال Combat ، 2 500 طلعة معاونة، وأسقطت 6 000 قنبلة من بينها 1 000 قنبلة موجهة بالليزر. وأطلقت 100 صاروخ مضـــــاد للرادارات ALARM ، 700 صاروخ ضد أهداف أرضية، 100 مستودع قنابل JP - 233 لتدمير ممرات الطائرات، واطلقت مدفعية الفرقة 2 500 صاروخ MLRS ، 2 500 دانة مدفع 203 ملليمتر، 10 000 دانة مدفع 155 ملليمتر. وكان

اجمالي الخسائر البشرية 44 قتيل، 43 جريح . . وأن من بين القتلى 17 فقط هم الذين قتلوا في العمليات. [6] هذا وقد اجرى احتفال ديني لتأبين القتلى حضرته الملكة اليزابيت يوم 91/5/4 .

الموقف الفرنسي

كان موقف فرنسا يتميز بالتذبذب طوال فترة الأزمة. نسمع يوما تصريحا للرئيس الفرنسي ميتران فنظن أنه يقف الى جانب الحق والمبادىء . . وفي يوم آخر نجد أنه ينقلب على ما قاله بالأمس ويصبح أشد قسوة وتطرفا في عدائه ضد العراق. واحتار الكثير من الناس في فهم الدوافع الخفية التي كانت تدفع الرئيس الفرنسي لاتخاذ هذه المواقف المتناقضة. هل كان ذلك من أجل تحقيق مكاسب سياسية ـ ولو مؤقتة ـ في الدول العربية التي تريد فرنسا أن تحتفظ معها بعلاقات جيدة ؟ أم أن الرئيس الفرنسي كان يريد أن يستخدم تلك المواقف في المساومة بها مع أمريكا لكي يحصل منها على شيء في مقابل تراجعه عنها ؟ أم أنه كان مخلصا في تصريحاته ومواقفه التي تتماشى مع الحق والمبادىء، ولكنه لم يستطع ان يتمسك بها تحت الضغوط الأمريكية ؟ ***الحقيقة التي لا جدال فيها هي ان الرئيس الفرنسي كان يظهر يوما خلال تلك الأزمة وكأنه الدكتور جيكل ويوما آخر وكأنه المستر هايد.***

كان الرئيس الفرنسي ينادي أول الأمر بالحل السلمي. وفي 24 سبتمبر 90، القى خطابا أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة يقترح فيها خطة سلام تنفذ على ثلاث مراحل. المرحلة الأولى هي انسحاب العراق من الكويت. والمرحلة الثانية هي إعادة السيادة للكويت والتعبير الديموقراطي عن اختيارات شعب الكويت (وهذا يعني اجراء انتخابات حرة يختار فيها الشعب الكويتي من يحكمه ومن يمثله في البرلمان). والمرحلة الثالثة هي عقد مؤتمر دولي حول الشرق الأوسط. وقد رحب صدام حسين بتلك المبادرة، بينما عارضتها أمريكا وبريطانيا . . . بل وأيضا السعودية والدول الخليجية ومصر وسوريا !! ولكن هذا الموقف المتميز لم يمنع فرنسا ان تزود الولايات المتحدة بأسرار الأسلحة الفرنسية التي باعتها للعراق، والتي تمكن الولايات المتحدة من التشويش على أكثر الصواريخ جو جو تطورا لدى العراق، والمتمثلة في صواريخ فرنسية الصنع من طراز R - 530 ، طراز R - 550 magic. [7] ولم يمنع فرنسا من الموافقة على جميع

قرارت مجلس الأمن التي صدرت ضد العراق. . . تلك القرارات التي هي في الحقيقة قرارات أمريكية قدمت الى مجلس الأمن ليبصم عليها. وعندما شكلت قيادة لقوات التحالف في منطقة الخليج أعلنت فرنسا أن قواتها المتواجدة هناك لن تخضع لتلك القيادة، وأن مشاركة القوات الفرنسية في الحرب تبقى من الصلاحيات الخاصة للرئيس الفرنسي ميتران. . . ومع ذلك عندما بدأت الحرب كانت القوات الفرنسية تشارك كغيرها في الحرب تحت قيادة الجنرال الامريكي شوارتزكوبف الذي يقود كل قوات التحالف. وعندما بدأت الحرب يوم 17 يناير، وشرعت القوات الجوية لدول التحالف في ضرب بغداد وأهداف أخرى داخل الأراضي العراقية، أعلنت فرنسا ان قرارات الأمم المتحدة لا تبيح مهاجمة العراق، وان قواتها لن تشارك في ضرب أهداف عراقية خارج الكويت. ولكنها غيرت موقفها بعد ذلك يوم 24 يناير عندما بدأت طائرات الجاجوار الفرنسية في قصف مواقع الحرس الجمهوري المتمركزة خارج الكويت. ثم غيرت موقفها مرة ثانية يوم 24 فبراير، عندما شاركت مع القوات الامريكية في الحرب البرية، وتوغلت داخل الأراضي العراقية اكثر من 250 كيلومتر.

وفي 14 يناير 91 ـ أي قبل يوم واحد من انتهاء المهلة المحددة في قرار مجلس الأمن 678 ـ تقدم ميتران بمبادرة جديدة تتضمن النقاط الستة التالية :

1 ـ بعد الاستماع الى تقرير الأمين العام للأمم المتحدة بخصوص المهمة التي قام بها في العراق في 12، 13 يناير 1991، وتصميما على عدم اهمال أي شيء يمكن أن يحافظ على السلام، فان اعضاء مجلس الأمن يوجهون نداءا أخيرا الى المسؤولين العراقيين.

2 ـ ويدعونهم فيه الى اعلان العراق الانسحاب من الكويت، دون أي تأخير، ووفق جدول زمني مبرمج. والبدء من الآن بانسحاب سريع ومكثف.

3 ـ وبعد أن يعلن العراق هذا الالتزام، يقوم الأمين العام للأمم المتحدة بالاشراف والتحقق من انسحاب القوات العراقية، عن طريق ارسال مراقبين دوليين، وارسال قوة لحفظ السلام تشكلها الدول العربية.

4 ـ تقدم ضمانات بعدم الاعتداء على العراق.

5 ـ من ناحية أخرى يتم اتخاد التدابير الضرورية بالاتفاق مع البلدان العربية لتحريك المفاوضات المفيدة بهدف دعم عملية السلام.

6 ـ ما أن يتم تحقيق هذه التسوية في اطار احترام قرارات مجلس الأمن، يساهم أعضاء مجلس الأمن بفاعلية في تسوية المشكلات الأخرى في المنطقة، وخصوصا النزاع العربي الاسرائيلي، والمشكلة الفلسطينية، عبر الدعوة في الوقت المناسب إلى عقد مؤتمر دولي (على أساس هيكلية ملائمة) طبقا للاعلان الصادر عن رئاسة المجلس في 20 ديسمبر 1990، بهدف ضمان الأمن والاستقرار والتطور في هذا الجزء من العالم.

وقد بادرت أمريكا وبريطانيا برفض تلك المبادرة، فور إعلانها. فقد كانت عجلة الحرب تدور بسرعة، حتى أنه من الصعب علينا أن نتصور أن ميتران لم يكن على علم بتاريخ بدء الحرب في نفس الوقت الذي كان يتقدم فيه بتلك المبادرة. ***وفي يوم 20 يناير 91، ظهر ميتران على شاشة التليفزيون الفرنسي ليعلن عن ضرورة تدمير الآلة الصناعية العسكرية العراقية لارغامه على الاستسلام (ذكر كلمة الاستسلام وليس مجرد الانسحاب من الكويت كما تنص قرارات الأمم المتحدة) كما أعلن أن فرنسا لن تحظر على قواتها المسلحة ضرب أهداف داخل العراق.*** وقد أدى هذا التحول الخطير في المواقف الى استقالة وزير الدفاع الفرنسي جون بيير شفنمان Jean - Pierre Chevenement الذي سجل في خطاب الاستقالة الذي قدمه الى الرئيس ميتران يوم 1991/1/29، ما يلي «ونظرا للأسباب العميقة التي عرضتها عليك في بداية ديسمبر 90، فقد بدا لي أن الأحداث الجارية حاليا قد زادتني تمسكا بموقفي أكثر. لقد أصبحت أخشى أن يؤدي منطق الحرب إلى إبعادنا كل يوم عن الأهداف المرسومة من طرف هيئة الأمم المتحدة». لم يكن شوفنمان وحده ضد منطق الحرب بل إن عددا من كبار السياسيين الفرنسيين شكلوا جبهة مهمتها التصدي للهيمنة الأمريكية على فرنسا ومناهضة الحرب في الخليج. وكانت هذه الجبهة تضم وزير الخارجية السابق كلود شيسون، وميشيل جوبير، والأميرال ديجول نجل الرئيس الفرنسي الراحل شارل ديجول. ولعل ما أزعج ميتران وأحرجه بشكل أكبر، هو ظهور أربعة من الجنود الفرنسيين الذين يتواجدون في

السعودية على شاشات التليفزيون الفرنسي يوم 1991/1/30، وهم يشكون من أوضاعهم ويوجهون النقد إلى ضباطهم.

وبالاضافة إلى المشاركة العسكرية المباشرة التي ساهمت بها فرنسا في تلك الحرب، فانها قدمت مساعدات هامة للقاذفات الأمريكية B - 52 التي كانت تقلع من قواعدها في بريطانيا لضرب أهداف داخل العراق والكويت. فقد كانت هذه الطائرات تتزود بالوقود وهي في الجو بواسطة طائرات الامداد بالوقود KC-135 التي كانت تتمركز في جنوب شرق فرنسا في قاعدة Mount de Marson . وكانت عملية اعادة الملء في منتصف الطريق تسمح للطائرات B - 52 بأن تقلع من بريطانيا بأقصى حمولة من الأسلحة والقنابل وأقل كمية ممكنة من البترول.

كان ميتران يحاول دائما ان يظهر بمظهر المعارض للمواقف الأمريكية عند عرضها في أول الأمر ولكنه يوافق عليها كاملة في نهاية المطاف. بل ان مواقفه المتشددة ضد العراق بعد وقف اطلاق النار في 28 فبراير 91، كانت تسبق أحيانا المواقف الامريكية والبريطانية من حيث التوقيت وتزيد عليها أحيانا من حيث الشدة. وسوف يظهر ذلك بوضوح عند مناقشة مشكلة الأكراد ومشكلة تدمير أسلحة التدمير الشامل والأسلحة المتطورة التي يملكها العراق. وبعد هذا الشرح لابد وأن نعود مرة أخرى الى السؤال الذي طرحناه عند مناقشة الموقف الفرنسي. هل ميتران يمثل فعلا شخصية الدكتور جيكل والمستر هايد؟ أم أنه كان يعي كل كلمة يقولها.. وأن اللعبة المزدوجة التي كان يقوم بها، كان يهدف من ورائها أن يخدع العراقين والطيبين من أبناء العروبة بأنه ليس ضدهم. بينما كان يعبىء كل فكرة وكل طاقاته من أجل خدمة اسرائيل؟ وبدون تردد أقول نعم لهذا الطرح الثاني. ويزيد من قناعتي بهذا الرأي هو ذلك الخبر الذي أذاعه التليفزيون الفرنسي يوم 19 يناير 1991. فقد ظهر على شاشة التليفزيون الفرنسي في ذلك اليوم الضابط السابق في المخابرات الفرنسية بول باريل، وقال أن المخابرات الفرنسية قامت بزرع جهاز ارشاد لاسلكي داخل المفاعل الذري الذي بنته فرنسا للعراق.. وأنه بفضل هذا الجهاز استطاعت الطائرات الاسرائيلية التي أغارت على المفاعل الذري العراقي يوم 7 يونيو 1981 أن تصيب المفاعل باصابات مباشرة وتدمره.[8]

وأضاف ضابط المخابرات السابق أنه يبدو أن فرنسا كانت تدرك بالفعل الخطر الذي يمثله العراقيون لو لم يدمر هذا المفاعل !!

فهل يعقل أن تقدم المخابرات الفرنسية على مثل هذا العمل دون الحصول على تصديق بذلك من أعلى سلطة ؟ وهل نسينا أن فرنسوا ميتران كان هو الرئيس الفرنسي في ذلك الوقت ؟ فلنراجع سويا ما قاله ميتران في حديث له نشر بتاريخ 81/6/19 تعليقا على هذا الحادث. لقد كان يمدح اسرائيل على فعلتها في صيغة لوم خفيف وجهه الى رئيس وزراء اسرائيل فقال «*كان يجب على المستر بيجن أن يضع ثقته في رئيس جمهورية فرنسا الذي يعرف الجميع شعوره تجاه اسرائيل. لقد كان ولا يزال أمن اسرائيل والسلام في الشرق الأوسط هو من أولويات اهتماماتي*. وعموما فان *موقف فرنسا لن يتغير. لقد طلبت فرنسا من مجلس الأمن الدولي أن يدين الغارة وليس اسرائيل. اننا ننتقد تصرفات قادة اسرائيل. ولكننا لا نطالب بتوقيع العقوبة على الشعب*» [9]. *ان موقف ميتران في يونيو 1981 ينطبق عليه تماما المثل العربي الذي يقول «يقتل القتيل ثم يمشي في جنازته»*، إنه يواسي العراق بلطف. ويعاتب اسرائيل بلطف. يتظاهر بالطهارة. . . بينما هو غارق حتى أذنيه في الاثم والرذيلة. . وبعد 115 شهر من ارتكابه لهذه الجريمة، شهد عليه شاهد من أهله. ففي 27 مايو 91، شهد شاهد آخر بعلاقة الصداقة العميقة التي تربط الرئيس ميتران باسرائيل. هذا الشاهد هو السيدة ايديث كريسون Edith Cresson، التي تولت رئاسة الوزارة الفرنسية اعتبارا من 15 مايو 91. فبعد أقل من اسبوعين من توليها رئاسة الوزارة، جاء في خطاب لها أمام الجالية اليهودية في فرنسا ما يلي «*كلكم تعرفون تأييد رئيس الجمهورية (ميتران) لوجود وأمن اسرائيل، والصداقة العميقة التي تربطه بالدولة اليهودية. . . وإنني أشاركه الرأي في هذا التأييد*» [10]. *فهل يمكن بعد كل تلك البيّنات أن نتصور أن ميتران كان سليم النية وهو يعرض مبادراته المتكررة ؟ أو أنه يمكن أن يتخذ أي موقف متوازن في قضية الصراع العربي الاسرائيلي في المستقبل ؟*

وبالرغم من كل هذه المواقف، فان فرنسا هي الأخرى لم تتحمل خزينتها فرنكا واحدا في هذه الحرب. ففي 25 فبراير 1991، أعلنت الكويت أنها تبرعت لفرنسا بمبلغ 000 1 مليون دولار. وفي يوم 91/6/20، أعلن وزير

الـدفاع الفرنسي بيير جوكس Pierre Joxe ، أمام البرلمان الفرنسي ان الحرب كلفت فرنسا 6 مليار فرنك فرنسي وان هذا المبلغ ستغطيه مساهمات الكويت، مشيرا الى أن المساهمات الخارجية المعلن عنها وصلت الى 10 مليار فرنك فرنسي.[٤٦] (المؤلف: هنا يعني أن الكويت لابد وأنها زادت من مساهمتها.. أو أن تكون فرنسا قد حصلت على مساعدات من جهات أخرى. كما يعني ان فرنسا قد ربحت من هذه الحرب 4 مليار فرنك). أما خسائر فرنسا البشرية في هذه الحرب فهي طبقا لما أعلنت عنه 2 قتيل.

الموقف التركي

تركيا هي عضو في حلف الأطلسي، ولكنها ليست عضوا ضمن المجموعة الاقتصادية الأوروبية. وتحاول تركيا منذ سنوات عديدة الانضمام إلى دول المجموعة الاوروبية، ولكن طلباتها المتكررة كانت وما تزال تقابل بالرفض. إنهم يعتبرون نظامها غير ديمقراطي.. ويعتبرونها ليست دولة أوروبية حيث أن الغالبية العظمى من أراضيها تقع جغرافيا في آسيا... وهناك سبب آخر لا يفصحون عنه وهو أن الغالبية العظمى من سكانها يدينون بالاسلام، في حين أن الغالبية العظمى من دول المجموعة الأوروبية يدينون بالمسيحية. ورغم أن تركيا ألغت تطبيق الشريعة الاسلامية منذ ابريل 1924، وأصبحت منذ ذلك التاريخ دولة علمانية... ورغم أنها ألغت كتابة لغتها التركية بالحروف العربية وأصبحت تكتبها بالحروف اللاتينية.. ورغم أنها تحاول منذ 70 سنة أن ترتبط ثقافيا وفكريا واقتصاديا وعسكريا وسياسيا بأوروبا.. ورغم أنها اعترفت بدولة اسرائيل وأقامت معها علاقات ديبلوماسية منذ نشأتها.. رغم كل ذلك فان تركيا ما زالت مرفوضة من المجموعة الأوروبية. وكلما ازداد الرفض الأوروبي لتركيا كلما ازدادت هذه خضوعا واستجداء.

في حديث للرئيس التركي تورجوت أوزال Turgut Ozal ، نشرته مجلة TIME الأمريكية يوم 13 مايو 1991، نجد أن الرئيس التركي ما زال يستجدي ويطالب بالانتماء الى أوروبا. فقد جاء في حديثه ما يلي «إن تركيا تقع حيث تلتقي حضارتان، وحيث تمتزج الحضارتان. لقد كانوا يسمون تركيا إبان الحكم العثماني برجل أوروبا المريض. أفليس هذا يعني أن تركيا دولة أوروبية. إن

توجهات تركيا اليوم هي توجهات غربية تماما. فلدينا ديموقراطية. ونحترم حقوق الانسان. واقتصادنا حر يعتمد على اقتصاد السوق. **واذا كان 98٪ من السكان مسلمين، فان تركيا هي دولة علمانية. ويعتبر هذا نموذجا جيدا يمكن للدول الاسلامية أن تقتدي به. فتركيا هي القنطرة التي تربط بين المجتمعات الغربية والمجتمعات الاسلامية»**. وعن سؤال يتعلق بالقانون الذي يحظر تداول الكتب التي تدعو الى غير دين الاسلام أجاب أوزال «لقد حاولت أن أوقف صدور هذا القانون عندما كنت رئيسا للوزراء ولم أفلح. ونحن نعمل اليوم لالغاء كل المواد التي تفرض قيودا على حرية التعبير وحرية التفكير التي تهتمون بها في الولايات المتحدة». (**المؤلف: الدول المسيحية تريد تحت شعار حرية التعبير وحرية التفكير أن يسمح لها بطبع وتوزيع الكتب التي تدعو الى التبشير أو الخروج على تعاليم الاسلام ـ والرئيس أوزال يعدهم بذلك!!**)

وقد لعبت تركيا دورا هاما في الحرب ضد العراق. وقدمت لدول التحالف فوائد لا تقدر بثمن. فهي التي تكمل دائرة الحصار على العراق من اتجاه الشمال (تمتد حدودها مع العراق على طول 330 كيلومتر)... وهي التي أرغمت العراق على أن يحتفظ على حدوده معها بحوالب 8 فرق، فاقتطع هذا الحجم من القوات من اجمالي القوات العراقية التي يمكن للعراق ان يحشدها في اتجاه الهجوم الرئيسي الذي ستقوم به قوات التحالف... وهي التي أوقفت مرور النفط العراقي عبر الانبوب الذي يمر في أراضها، والذي كان ينقل 1.6 مليون برميل يوميا تمثل نصف ما كان يصدره العراق.. وهي التي كانت توفر القواعد الجوية التي تنطلق منها الطائرات الأمريكية لتنفيذ مهام القصف والاستطلاع فوق الأراضي العراقية.. وعندما تفجرت الأزمة الكردية بعد وقف اطلاق النار بين دول التحالف والعراق، استخدمت امريكا وبريطانيا وفرنسا القواعد الجوية والبرية التركية كنقط انطلاق يندفعون منها لاحتلال المناطق الشمالية للعراق.

ولكن بالرغم من علمانية النظام التركي، وبالرغم من عمليات التغريب ـ بل ومحاربة الدين الاسلامي والمتدينين ـ الا أن العقيدة الاسلامية ما زالت قوية داخل قلوب الكثيرين من الأتراك... وبالتالي فقد كان موقف الحكومة المناصر للدول الصليبية والمعادي العراق، يواجه بمعارضة الكثير من الناس. ولم

تقتصر هذه المعارضة على الشارع التركي حيث خرجت المظاهرات التي تؤيد العراق. . بل إن المعارضة شملت بعض الساسة والقادة العسكريين. ففي يوم 3 ديسمبر 90، استقال رئيس اركان حرب القوات المسلحة التركية الجنرال نجيب تورمطاي وجاء في خطاب الاستقالة ما يلي «إني أستقيل بمحض ارادتي الحرة لأنني أرى انه من المستحيل أن أستمر في تأدية عملي في اطار المبادىء التي أومن بها.» [12]

كان هناك عامل آخر هام يدفع أوزال لأن ينحاز إلى جانب أمريكا والدول الغربية ضد العراق. هذا العامل هو المتغيرات الاستراتيجية التي كانت تجتاح العالم في السنوات الأخيرة. فقد حدث انهيار رهيب في المعسكر الشرقي الذي أنشىء حلف الأطلسي لمجابهته. فقد تفكك حلف وارسو وأصبحت دول أوروبا الشرقية أقرب إلى المعسكر الغربي منها إلى الاتحاد السوفيتي. . . والاتحاد السوفيتي نفسه قد بدأ يتفكك، والكثير من جمهورياته تطالب بالانفصال عنه. وبالاضافة الى كل ذلك هناك وفاق بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة. وكل ذلك يعني أنه لم يعد هناك خطر يهدد أمن اوروبا. وبالتالي فان سبب وجود raison d'être، حلف الأطلسي يكون قد زال أو ضعف كثيرا. ولا شك أن زوال حلف وارسو، سوف يعني تضاؤل القيمة الاستراتيجية لتركيا على المسرح الأوروبي. ومن هنا، فان أوزال يريد أن يؤكد لأمريكا والقوى العالمية أن تركيا يمكن أن تلعب دورا أكبر مما لعبته في الماضي في منطقة الشرق الأوسط. . . سيما وأن لها حدودا برية مع ثلاث دول في تلك المنطقة الساخنة من العالم (حوالي 450 كيلومتر مع ايران) حوالي 330 كيلومتر مع العراق، حوالي 800 كيلومتر مع سوريا). وفي خلال أزمة الخليج. . . وفي خلال أزمة الأكراد العراقيين التي تبعتها، تأكد بشكل قاطع أهمية الدور التركي في أي صراع اقليمي في منطقة الشرق الأوسط. ***ان أوزال باختصار شديد يضع تركيا في خدمة المصالح الامبريالية في منطقة الشرق الأوسط. وهو يأمل في الحصول على ثمن في مقابل ذلك.***

والثمن الذي يطلبه أوزال ليس فقط التعويض المالي والمساعدات المالية. . وليس فقط أن تقبله المجموعة الأوروبية بين صفوفها. . بل إنه يطمع في الحصول على مكاسب اقليمية. إنه يطمع في الحصول على منطقة الموصل

وكركوك في شمال العراق حيث يتواجد ثلث الانتاج العراقي من النفط. فهل تستجيب امريكا والدول الغربية لهذا الطلب في مقابل أن تتحول تركيا الى عصا غليظة في يد أمريكا توجهها ضد من يتصدى لمصالحها في الشرق الأوسط، كما هو الحال بالنسبة لاسرائيل ؟ أم أن تقوم أمريكا بخلق دولة كردية في شمال العراق تحصل منها على النفط الرخيص في مقابل حمايتها كما هو الحال بالنسبة للدول الخليجية ؟ وأغلب الظن ان أمريكا ستلجأ الى هذا الخيار الأخير، حيث انه يحقق لها ثلاث فوائد رئيسية.

1 - يوفر هذا الحل لأمريكا، ورقة سياسية هامة هي الورقة الكردية، ويمكن لأمريكا أن تلعب بها، وتضغط بها على جميع الدول المحيطة والتي بها أقليات تركية وهي تركيا وسوريا والعراق وإيران والاتحاد السوفيتي.

2 - يوفر لأمريكا الظروف التي تمكنها من محاربة الدين الاسلامي بطريقة أفضل. فالدول الاسلامية الكرتونية التي تحتاج إلى حماية قوى أجنبية يكون من السهل التأثير عليها ودفعها إلى الابتعاد عن الدين، بل وحتى تنصيرها. ويبدو أن أمريكا والدول الغربية قد بدأت فعلا بالقيام بحملات تبشيرية بين الأكراد في شمال العراق معتمدين في ذلك على ما يقدمونه لهم من غذاء وكساء وحماية. ولا جدال في أن الشخص الجائع الخائف يصبح فريسة سهلة وعبدا مطيعا لمن يطعمه ويكسوه ويوفر له الحماية والأمن. وحتى لو لم يتم تنصير هذه الدولة الكردية... وحتى لو احتفظت غالبية الناس بالدين الاسلامي من ناحية الشكل مع غياب المضمون.. فان ذلك سوف يشكل نموذجا للاستمرار في تجزئة الأمة الاسلامية على أسس عرقية. فما الذي يمنع مستقبلا من إنشاء دولة درزية في لبنان ودولة بربرية في شمال افريقيا.

3 - الدول الكرتونية، أو الدويلات التي تطلق على نفسها لقب الدولة، بينما هي لا تستطيع ان توفر لسكانها وممتلكاتها الحد الأدنى من الحماية والأمن معتمدة في ذلك على قدراتها الذاتية.. هذه الدول التي تعتمد في حمايتها على الدول الأجنبية، تصبح فريسة سهلة للاستغلال الاقتصادي.

موقف باقي دول حلف الأطلسي

يمكن تقسيم باقي دول حلف الأطلسي الى مجموعتين، مجموعة تضم: المانيا، ايطاليا، هولندا، بلجيكا، كندا. . . ومجموعة تضم: النرويج، الدنمارك، اسبانيا، البرتغال، اليونان. ومع أن جميع دول المجموعتين قد شاركت بقواتها في تلك الحرب الصليبية (انظر تفاصيل مشاركة كل دولة في الفصل الثاني من هذا الكتاب). إلا أن قوات المجموعة الأولى كانت أكثر فاعلية، وكانت تتكون أساسا من القوات الجوية ووحدات الدفاع الجوي. . . أما قوات المجموعة الثانية فقد كانت رمزية وكانت تتكون من القوات البحرية التي كانت تستخدم أساسا في احكام ومراقبة الحصار البحري المفروض على العراق. وكان موقف دول المجموعة الأولى أكثر عداء وأكثر تحمسا وتأييدا للموقف الأمريكي تجاه العراق. . . كان حجم ونوعية القوات المسلحة التي تحشدها الدول ضد العراق يعكس مواقفها السياسية، ويعبر عن مدى التزامها بالموقف الأمريكي. ولعل الاستثناء الوحيد لهذه القاعدة هو موقف المانيا. فرغم أن المشاركة العسكرية الالمانية كانت تقل كثيرا عن المشاركة الايطالية. . . ورغم أن المشاركة العسكرية الالمانية اقتصرت على المسرح الأوروبي فقط. . . ورغم أن القوات العسكرية الالمانية لم تشارك في ضرب الأهداف داخل العراق وداخل الكويت كما فعلت القوات الايطالية والكندية. . . الا أن المشاركة الألمانية في تمويل تلك الحرب يجعل مشاركتها اكثر تأثيرا من جميع دول الحلف.

وعلى سبيل المثال فان بريطانيا تعتبر بدون منازع في المركز الثاني ـ بعد امريكا ـ من حيث مشاركتها العسكرية. ولكن اذا نظرنا الى اجمالي ما تحملته من أعباء مالية في تلك الحرب نجد أنه 250 4 مليون دولار حصلت على 400 3 مليون دولار كمساعدات مالية من الدول الخليجية ومن المانيا، وبالتالي يكون كل ما تحملته في تلك الحرب هو 850 مليون دولار [13]. . ذلك في حين أن المساهمة المالية لالمانيا بلغت 500 11 مليون دولار. [14] أما الولايات المتحدة، فانها لم تنفق دولارا واحدا خلال تلك الحرب. بل انها حققت أرباحا اضافية تقدر بحوالي 6 مليار دولار. فقد بلغ اجمالي الدعم المالي الذي حصلت عليه من الدول الخليجية واليابان وألمانيا حوالي 53.5 مليار

دولار (نقدا)، بينما بلغ اجمالي ما انفقته هو 47.5 مليار دولار. نعم لقد تحملت كل من بريطانيا وأمريكا خسائر بشرية. ولكن حتى لو افترضنا صرف تعويض قدره 250 000 دولار مقابل كل قتيل (امريكا عرضت دفع هذا المبلغ لكل قتيل في حادث اسقاط طائرة الركاب الايرانية في 1988/7/3)، فان ذلك لن يغير تلك المعادلة الحسابية. فالبيانات المعلنة عن عدد القتلى في كل من بريطانيا وامريكا هي كما يلي:

	خسائر نتيجة القتال	خسائر نتيجة حوادث أو قتل خطـأ	اجمالي الخسائر	اجمالي التعويض (مليون دولار)
بريطانيا	25	19	44	11.00
الولايات المتحدة	110	279	389	97.25
				108.25

دول أجنبيـــة أخرى

الموقف الاسرائيلي

إن عداء اسرائيل للعرب، ورغبتها في انشاء دولة اسرائيل الكبرى التي تمتد من النيل الى الفرات، قد أصبح حقيقة ثابتة يعرفها الخاصة والعامة، ولا ينكرها إلا جاهل أو عميل. . ***كما وان تطابق المصالح والأهداف الاستراتيجية بين الصهيونية والامبريالية العالمية. . . وقيام الولايات المتحدة بتقديم الدعم المالي والسياسي والعسكري اللامحدود للدولة اليهودية هي أيضا من الحقائق التي لا ينكرها إلا جاهل أو عميل. ولذلك فان وقوف اسرائيل في المعسكر الأمـريكي المعـادي للعـراق كان أمرا محتوما***. وقد سبق أن تحدثنا عن هذا الموضـوع في الفصـل السـادس من هذا الكتـاب تحت عنـوان «الامبريالية والصهيونية وجهان لعملة واحدة». ولمن يود أن يطلع على جذور الارتباط بين الامـبريالية والصهيونية، فاننـا نحيله الى كتـاب الخيار العسكـري العـربي (الصفحات 15 ـ 102 والصفحات 123 ـ 175).

كانت اسرائيل تتمنى أن تستمر الحرب بين العراق وايران إلى ان يتم كل منهما تدمير الآخر. فليس أفضل لاسرائيل من أن تتخلص من أشد خصومها قوة وعنادا، دون أن تخسر حياة جندي اسرائيلي واحد، أو أن تتحمل دفع دولار واحد في سبيل تحقيق هذا الهدف. وفي تعليق له على قبول ايران وقف إطلاق النار، كتب ***زيف شيف Zeef Schiff، المراسل العسكري لصحيفة هاآرتس Haartz الاسرائيلية «يجب ان نعترف أن خبر وقف إطلاق النار (بين العراق وايران) قد وقع علينا كالصاعقة، وكأننا كنا نعتقد أن هذه الحرب ستستمر ألف عام»***.[15] والمفاجأة الكبرى لاسرائيل هي أن العراق قد خرج من تلك الحـرب ولـديه قوات مسلحـة جبارة يمكن أن تشكل عنصر تحدي للهيمنة الاسرائيلية الامريكية على دول المنطقة. ولذلك فقد بدأ التآمر الاسرائيلي ضد العراق منذ اللحظة التي توقف فيها اطلاق النار بين العراق وايران. . أي قبل الاجتياح العـراقي للكـويت بسنتـين. وقد أصبحت رغبة اسرائيل في تدمير القـوات المسلحـة العـراقية أكثـر الحـاحـا بعـد ان صرح صدام حسين يوم

2/4/1990 ، بأنه سيحرق نصف اسرائيل، اذا هي هاجمت العراق. . (زيد
على هذا التصريح فيما بعد، أو اذا هاجمت أي دولة عربية).

ولـذلـك، فعندما قررت أمريكا حشد قواتها في منطقة الخليج استعدادا
لضرب العراق وتدمير قواته المسلحة، فان تأييد اسرائيل للموقف الأمريكي،
لم يكن موضوع حوار. كان الحوار يدور حول أفضل السبل لمساهمة اسرائيل في
المجهود الحربي ضد العراق. كانت أمريكا ترى أن تكون هذه المساهمة صامتة
وغير معلنـة حتى لا تسبب إحراجا للدول العربية المشاركة في الحرب ضد
العراق وفي مقدمتها مصر وسوريا والدول الخليجية. اما اسرائيل فكانت ترى
أن تكون مساعدتها علنية وفعالة للأسباب الرئيسية التالية: السبب الأول هو
أن تشفي غليل شعبها وحقده ضد العراق وضد رئيسه صدام حسين ـ حيث
أن الرغبة في الانتقام والاسراف في القتل هي إحدى الوصايا التي جاءت في
كتبهم المقدسة. فقد قام اليهود في 13 آزار 509 قبل الميلاد، بقتل 75 000
من خصومهم في مملكة فارس معتمدين على أن الملك أخشويروش متزوج من
فتاة يهودية هي الملكة استر. وكان يوم 14 هو يوم شرب وفرح. وحتى يومنا هذا
يحتفـل اليهـود سنويا بيوم 14 آزار، فيكون يوم شرب وفرح، لقيامهم بقتل
75 000 من خصومهم. ويسمون هذا العيد Purim (سفر استر، الاصحاح
التاسع، صفحة 611) والاسرائيليون ينظرون اليوم الى أمريكا بنفس النظرة
التي كانوا ينظرون بها الى الملكة استر قبل 2500 سنة. ولكن يبدو أن الملكة
استر الجديدة قد نصحتهم بالسكوت ووعدتهم بأنها ستقوم هي بنفسها للانتقام
لهم من العراقيين. اما السبب الثاني لرغبة اسرائيل في أن تشارك في الحرب ضد
العراق بطريقة علنية، فهو أنها كانت تريد أن تحرق الجسور التي يمكن أن
تتراجع عليها الدول العربية التي تشارك في الحرب ضد العراق، وأن تدفعها
الى الصلح مع اسرائيل. كانت اسرائيل على قناعة تامة بأن الأنظمة العربية
التي تشارك بقواتها العسكرية في الحرب ضد العراق تحمل من الكراهية للنظام
العـراقي ما سوف يجعلها تستمر ضمن التحالف حتى لو اشتركت اسرائيل
ضمن التحالف بطريقة علنية. وفي هذه الحالة فان توقيع معاهدة صلح بين
تلك الدول وبين اسرائيل. . . واقامة نظام أمن اقليمي تشترك فيه اسرائيل مع
تلك الدول بعد انتهاء الحرب وهزيمة العراق يعتبر امرا طبيعيا. . . ما داموا قد

حاربوا جميعا في صف واحد وضد عدو مشترك واحد. والسبب الثالث هو أن مشاركة اسرائيل بقوات برية وجوية بطريقة علنية، يجعلها أكثر قدرة على التأثير على سير الحرب، بحيث تمنع توقفها إلا بعد أن يتم تدمير القوات المسلحة العراقية.

كانت أمريكا لا تريد أن تغامر باشراك اسرائيل في التحالف بصورة علنية خشية أن يؤدي ذلك الى تحرك الشارع العربي ضدها مما قد يؤدي الى سقوط تلك الأنظمة العربية الصديقة لها. وبالتالي فقد استخدمت جميع الوسائل الممكنة لاثناء اسرائيل عن المشاركة العلنية، وذلك باغراقها بالمساعدات المالية والعسكرية. ولكن يبدو أن نجاح أمريكا في تحقيق ذلك لم يكن عملية سهلة. فقد نشرت نيويورك تايمز يوم 7 مارس 1991 (أي بعد وقف اطلاق النار بأسبوع) مقالا ذكرت فيه أن اسرائيل خططت لشن هجوم بري وجوي انتقامي كبير على غرب العراق لتدمير منصات اطلاق صواريخ أرض أرض (الحسين) التي استخدمها العراق في ضرب اسرائيل يوم 18 يناير 91. ونقلت الصحيفة عن مسؤولين لم تذكر اسماءهم قولهم أن الخطة جمدت لأسابيع ثم تم التخلي عنها في نهاية الأمر، بعد أن مارست الحكومة الأمريكية ضغوطا على اسرائيل لكي لا تدخل الحرب.

وبالاضافة الى المساعدات العسكرية والاقتصادية التي تتلقاها اسرائيل سنويا من الادارة الأمريكية، والتي تقدر بـ 200 3 مليون دولار (1800 معونة عسكرية + 1200 معونة اقتصادية + 200 للبحوث والتطورات)... وبالاضافة الى المساعدات الاضافية الخاصة بتوطين اليهود السوفييت في فلسطين والتي تبلغ 820 مليون دولار عام 91 (400 من الحكومة + 420 تبرعات افراد)، فقد قامت أمريكا بتخصيص مبلغ اضافي عام 1991، قيمته 1350 مليون دولار (300 مليون نقدا + امدادها بـ 3 بطارية باتريوت ثمن كل منها 350 مليون دولار). وذلك مكافأة لها على ضبط النفس والاستجابة للطلب الأمريكي بعدم الرد على القصفات التي كان يوجهها العراق الى اسرائيل بصواريخ الحسين والتي بلغ مجموعها 40 صاروخ طوال فترة الحرب. وقدمت المانيا لاسرائيل مساعدة مالية قيمتها 1270 مليون دولار (350 مليون نقدا، 350 ثمن بطارية Patriot ، 570 تصنيع 2 غواصة

Dolphin). كما ساهمت المجموعة الأوروبية بدفع 200 مليون دولار. وبذلك يصبح اجمالي ما حصلت عليه اسرائيل خلال عام 91 هو 6840 مليون دولار.[16] ولا يدخل ضمن هذا المبلغ تسوية الديون العسكرية. فقد طلبت اسرائيل من أمريكا شطب ديونها العسكرية أسوة بما اتبع مع مصر، ووعدت أمريكا ببحث هذا الموضوع، ولكن لم يعلن حتى الآن عن حجم هذه الديون، وعما تم الاتفاق عليه حول هذا الموضوع.

أما المساعدات العسكرية الاضافية لاسرائيل خلال أزمة الخليج،[17] فكانت تشمل ما يلي:

15	طائرة F - 15
10	طائرة هيليوكوبتر CH - 53
4	بطارية Patriot
2	غواصة Dolphin

وبالاضافة الى المساعدات المالية والمساعدات العسكرية التي تلقتها اسرائيل من أمريكا والدول الأوروبية خلال الحرب، فقد كانت هناك المساعدات الامريكية في مجال المعلومات. فقد قامت أمريكا بربط البنتاجون ربطا مباشرا مع القيادة العسكرية الاسرائيلية بخطوط تليفونية مؤمنة، وخطوط FAX مؤمنة، بحيث تصبح غرفة العمليات في تل أبيب وكأنها جزء من غرفة العمليات الامريكية في واشنطن. وكان الاسم الكودي لوزير الدفاع الامريكي Hammer Rick . وقد فوض الرئيس الأمريكي بوش وزير الدفاع تشيني بأن يخطر اسرائيل بالحرب قبل أن تبدأ، وبأن يخطرها بأحدث المعلومات التي تتعلق بأي هجوم يوجه اليها (كتاب The Commanders للمؤلف Bob Woodward ، صفحة رقم 363).

بقي أن نعرف ما هو حجم المشاركة الاسرائيلية في تلك الحرب. لقد صرح وزير الدفاع الأمريكي ديك تشيني في مقابلة أجراها معه مراسل اذاعة الجيش الاسرائيلي في واشنطن في 8 مارس 1991 قائلا «إن التعاون الوثيق الذي تم بين الولايات المتحدة واسرائيل خلال تلك الحرب لم يسبق له مثيل منذ 40 عاما. وقد قدمت اسرائيل للولايات المتحدة مساعدات قيمة جدا، ساعدت قوات التحالف مساعدة كبيرة على الرغم من أن اسرائيل لم تتدخل في حرب

الخليـج بصـورة مباشرة» . [18] *وفي يوم 23 مايـو 1991 ، أدلى الجنرال شوارتـزكـوبف بحـديث جاء فيـه «أريـد أن اقول لكم (خطاب موجه الى الاسرائيليين) جميعا أن الولايات المتحدة دولة صديقة لكم . وبامكانكم أن تثقـوا بها ، وتعتمدوا عليها ، وأنها لن تتخلى عنكم . وأمريكا لا تتخلى عن أصدقائها . ان الحرب التي خاضها رجالنا في منطقة الخليج كانت من أجلكم ومن أجل اسرائيل . وقد عمل الرجال على تحطيم عدوكم . العدو الرئيسي لكم في المنطقة» . وعن سؤال عن المشاركة الاسرائيلية في الحرب قال الجنرال «لقـد قدمت اسرائيـل لنا مساعدات قيمة وهامة جدا في حربنا ضد صدام حسين . ولا أريد الكشف عن تفاصيل مثيرة . ولكني أقول أن اسرائيل قدمت لنا أكثر بكثير مما طلبنا منها . وأنا شخصيا مرتاح جدا للتعاون المشترك القائم بين واشنطن وتل أبيب . كما وأني أنوي زيارة اسرائيل قريبا» .* [19]

وبالاضافة الى ما صدر من تصريحات رسمية حول المشاركة في الحرب فانه يمكن القول بأن الحد الأدنى للمشاركة الاسرائيلية يقدر بحوالي 3٪ من كل ما انجزته الولايات المتحدة في تلك الحرب . وذلك على أساس أن نسبة عدد اليهود في القوات المسلحة الأمريكية هي 3٪ بالنسبة لاجمالي عدد الأفراد . . وعلى أساس أن هؤلاء الأفراد يحملون الجنسية المشتركة الأمريكية والاسرائيلية ، وجميعهم مسجلون ضمن القـوات الاسرائيلية الاحتياطية . أما المعلومـات المخـابـراتية والتي لا يوجـد اليوم دليل يؤكدها أو ينفيها ، فهي أن عددا من الـطيارين الاسرائيليين انضمـوا إلى القـوات الجـوية الأمـريكية في كل من السعـودية وتـركيا ، وكـانـوا يرتـدون الملابس الأمريكية ويقودون الطائرات الأمـريكية في عمليات الغـارات الجـوية ضد العـراق . . . وان عدد هؤلاء الطيارين حوالي 140 طيار .

الموقف الياباني

اليابان لا تنتمي الى دول المعسكر الغربي جغرافيا أو حضاريا . ولكن كونها تنتمي الى مجموعة الدول السبع الاقتصادية الكبرى في المعسكر الديموقراطي جعلها ترتبط ارتباطا وثيقا بالمعسكر الغربي (تتكون مجموعة السبع الكبرى من الـدول الآتية طبقـا لاجمالي الدخل القومي في كل منها : الولايات المتحدة ، اليابان ، المانيا ، فرنسا ، ايطاليا ، بريطانيا ، كندا) . ونتيجة لذلك فان موقف

اليابان خلال أزمة الخليج كان متطابقا مع موقف الدول الأوروبية بصفة عامة، وموقف المانيا بصفة خاصة. فاليابان لم ترسل أي قوات مسلحة الى منطقة الخليج لأن دستورها لا يسمح بذلك. وحتى عندما فكرت الحكومة اليابانية في المساهمة بارسال قوات غير مقاتلة الى منطقة الخليج، فان هذه الفكرة قوبلت بمعارضة شديدة. ليس من الشعب الياباني فحسب. بل أيضا من الصين التي سارعت هي الأخرى بارسال تحذير الى طوكيو. وقد جاء هذا التحذير الصيني يعبر عن خوف الصين من انبعاث العسكرية اليابانية من جديد، مما قد يؤدي الى اندلاع حرب جديدة في منطقة الشرق الأقصى. وأمام هذه الضغوط الداخلية والخارجية فان الصين لم تساهم بارسال أي قوات عسكرية أو غير عسكرية الى منطقة الخليج خلال الأزمة.

ولكن اليابان عوضت عدم المشاركة العسكرية بتقديم مساعدات مالية ضخمة لدول التحالف بلغت قيمتها 000 13 مليون دولار. [20] حصلت منها الولايات المتحدة على 740 10 مليون دولار، بينما وزع الباقي وقدره 260 2 مليون دولار على باقي دول التحالف. وبذلك تكون اليابان هي اكثر المساهمين في تكاليف تلك الحرب من بين دول المعسكر المعادي للعراق.. بعد الدول الخليجية طبعا

الموقف الصيني

الصين هي اكبر دولة في العالم من حيث عدد السكان. اذ يبلغ عدد سكانها 104 1 مليون عام 1988. وفيما عدا أنها تستطيع اليوم أن تنتج ما يكفيها من غذاء، فهي ليست ذات قوة اقتصادية أو عسكرية. ومع أن الصين قد أصبحت في السنوات الأخيرة تحتل المركز الخامس بين الدول المصدرة للسلاح، إلا أن السلاح الذي تنتجه يعتمد أساسا على تكنولوجية النقل والتقليد. وبالتالي فان الأسلحة الصينية تكون عادة متخلفة عن مثيلاتها في الدول الغربية وفي الاتحاد السوفيتي بحوالي 10 ـ 15 سنة. [21] ونتيجة لذلك فان الصين تعتبر أقل الدول الدائمة العضوية في مجلس الأمن تأثيرا على الأحداث الدولية. ولكن، وبالرغم من هذا القصور فان الصين تملك القدرة على التأثير على الاحداث الدولية بقدر ما، من خلال عنصرين هامين. العنصر الأول هو كونها إحدى الدول الخمس الدائمة العضوية في مجلس الأمن، وبالتالي تمتعها بحق النقض. والعنصر الثاني هو قدرتها على امداد دول العالم الثالث بالأسلحة.

لم تكن الدول العظمى تهتم كثيرا بهذا العملاق النائم، إلى أن أعلن الرئيس الأمريكي نيكسون في يوليو 1971، أن وزير الخارجية الأمريكي كيسنجر قد قام بزيارة سرية الى الصين الشعبية (بدأت زيارته الى الصين يوم 71/7/9 ولم يعلن عنها الا بعد أن عاد الى واشنطن)، وأنه هو نفسه سيقوم بزيارتها في وقت لاحق. وفي أعقاب هذا الاعلان بدأت الصين تحتل مكانها بسرعة في المجتمع الدولي. ففي 25 اكتوبر 71، انضمت الى الأمم المتحدة، واحتل ممثلها المقعد الدائم المخصص للصين الذي كانت تشغله حكومة الصين الوطنية التي تعرف حاليا بـ تايوان Taiwan . ثم قام نيكسون بزيارته التاريخية الى بكين ما بين 21 ـ 28 يناير 72، منهيا بذلك فترة قطيعة وعداء بين الولايات المتحدة والصين الشعبية امتدت 22 سنة. ولم تكن هذه الخطوة من نيكسون هي مجرد خطوة عاطفية. . أو أنها مجرد مناورة حزبية ليلعب بها في انتخابات الرئاسة التي ستجرى في نوفمبر 72. . بل كانت خطوة استراتيجية محسوبة. فقد كانت الحرب الباردة بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة على أشدها. وكانت العلاقات بين الاتحاد السوفيتي والهند تزداد قوة ومتانة كل يوم. وكان هذا يعني من وجهة النظر الأمريكية إخلال بالتوازن الاقليمي في منطقة جنوب شرق آسيا. . إخلال ليس في صالح الولايات المتحدة. وبالتالي فان توثيق العلاقات بين امريكا والصين هو الذي يستطيع أن يعيد هذا التوازن لصالح أمريكا. . . لا في منطقة جنوب شرق آسيا فحسب، بل وعلى الساحة الدولية بالكامل. ولا شك أن دولة بتلك الكثافة السكانية (عدد سكان الصين حينئذ يقدر بحوالي 800 مليون نسمة) وتشترك مع الاتحاد السوفيتي بحدود يبلغ طولها 400 4 كيلومتر، يمكنها أن تحتوي جزءا كبيرا من القوات المسلحة السوفيتية في منطقة الشرق الأقصى، فيقلل ذلك من حجم القوات التي يستطيع أن يحشدها في الجبهة الأوروبية في مواجهة حلف الأطلسي (للحصول على تفصيلات أكبر عن علاقات الدول العظمى، يرجى الرجوع الى مجلة الجبهة).[22]

ولكن وصول جورباتشوف الى السلطة في الاتحاد السوفيتي عام 1985، وما تبعه من انفراج في العلاقات بين الاتحاد السوفيتي وبين امريكا والدول الغربية تحت شعار البيروسترويكا، قلل من فائدة الصين الاستراتيجية للولايات

المتحدة، حيث أن السبب الذي دفع الى الوفاق الامريكي الصيني raison d'être، قد زال. وبالاضافة الى ذلك، فان موقف الزعامة الصينية كان متشددا في موقفه تجاه قضية الديموقراطية. فبينما كانت رياح الديموقراطية تهب بقوة في الاتحاد السوفيتي وفي دول أوروبا الشرقية ذات الأنظمة الشمولية، فان الصين كانت تقف بحزم ضد كل من يطالب بأي تغيير في ما هو قائم فعلا. وقد شهد شهر مايو 89 مظاهرات للطلبة في بكين وشنغهاي. وبعد اعتصام الطلبة في ميدان تيانانمين Tiananmen وسط العاصمة بكين لمدة اسبوعين متكاملين ليلا ونهارا، هاجمتهم قوات الأمن والجيش ليلة 4/3 يونيو 89، وارغمتهم على الجلاء من الميدان بالقوة. ثم أجريت بعد ذلك محاكمات لمن وصفوا بارتكاب حوادث الشغب في بكين وغيرها من مدن الصين. وقد اتخذت أمريكا من هذا الحادث ذريعة لاعادة النظر في علاقاتها بالصين (لاحظ أيها القارىء أن التغيرات الاستراتيجية هي السبب، وأن حادث تيانانمين هو الذريعة). وفي يوم 5 يونيو 89، قرر الرئيس الامريكي بوش تجميد جميع العلاقات التجارية بين الولايات المتحدة والصين بما في ذلك التوقف عن تصدير السلاح والتكنولوجيا. وفي اعقاب هذا القرار الأمريكي ـ وكالعادة دائما ـ حذت جميع الدول الغربية واليابان حذو أمريكا.

عندما قام العراق بغزو الكويت في 2 أغسطس 90، كان قد مضى 14 شهرا على احداث ميدان تيانانمين في بكين. . تلك الأحداث التي أدت الى أن تفرض الدول الغربية واليابان المقاطعة التجارية على الصين. وفي خلال هذه الفترة، كانت عدة متغيرات قد حدثت على المسرح الدولي. كانت جميع الأنظمة الشيوعية في أوروبا الشرقية قد سقطت وحلت محلها أنظمة تأخذ بالتعددية الحزبية واقتصاد السوق، وأصبحت ترتبط بعلاقة طيبة وصداقة مع أمريكا والدول الغربية. [23] وكان حلف وارسو قد توفي فعلا، وان كانت جثته لم يتم دفنها رسميا بعد. وكانت العلاقة بين الاتحاد السوفيتي وأمريكا قد انتقلت من مرحلة الوفاق الى مرحلة العناق. وكانت الحركات الانفصالية تجتاح الاتحاد السوفيتي في الشمال وفي الجنوب. . . وكان الاقتصاد السوفيتي في حالة من الفوضى والارتباك وهو يمر بمرحلة الانتقال من نظام الاقتصاد الموجه الى نظام الاقتصاد الحر. . . وكان الاتحاد السوفيتي وهو غارق في مشاكله السياسية

والاقتصادية يمد يده الى امريكا والدول الغربية طالبا الغوث والمساعدات المالية لانتشاله من المستنقع الذي وقع فيه. وكانت الصحوة الاسلامية تعم الجمهوريات الاسلامية السوفيتية، حتى وصلت الى مدينة أوش Osh التي تبعد 200 كيلومتر فقط من الحدود الصينية. [24] وكانت الدول العربية المناهضة لنهج كامب ديفيد، قد بدأت تتعايش مع هذا النهج... وأعادت علاقاتها الدبلوماسية مع مصر. وقبلت بعودة مصر الى الجامعة العربية مع التزامها بمعاهدة كامب ديفيد ونهج كامب ديفيد... وأخذت منظمة التحرير الفلسطينية تقدم التنازلات تلو التنازلات للجانب الأمريكي والاسرائيلي. [25]

كان هذا هو الموقف الدولي عندما اندلعت أزمة الخليج. العالم كله يسير في الركب الأمريكي أو يتعايش معه... بينما الصين ما زالت معزولة، والعلاقات التجارية بينها وبين الدول الغربية مجمدة. وكان على الصين أن تختار بين أمرين. إما أن تقف في وجه الهيمنة الأمريكية في منطقة تبعد عن حدودها آلاف الكيلومترات.. وليس لديها من سلاح في هذه المجابهة سوى استخدام صوتها في مجلس الأمن الدولي، بينما يمتلك الطرف الآخر امكانيات اقتصادية وسياسية ضخمة يمكن أن تؤدي إلى استمرار عزلة الصين دوليا. واما أن تغض الطرف عن تلك الهيمنة الأمريكية، وتتخذ من هذا الموقف مدخلا للخروج من عزلتها الدولية، حتى تستطيع أن تطور اقتصادها وترفع مستوى معيشة شعبها. وبدون تردد اختارت الصين هذا الخيار الثاني. وفي اطار هذه السياسة، وافقت الصين على جميع قرارات مجلس الأمن الدولي التي صدرت ضد العراق، وذلك فيما عدا القرار 678 الذي امتنعت عن التصويت عليه.

وفي اليوم التالي لصدور قرار مجلس الأمن 678، غادر نيويورك وزير الخارجية الصيني جيان جيتشين Gian Gichen متجها الى واشنطن، تلبية لدعوة من جيمس بيكر وزير الخارجية الأمريكي. وبعد هذه الزيارة تم تطبيع العلاقات بين البلدين.

الموقــــف السوفيتــــي

التصريحات السوفيتية الرسمية

كان وزير الخارجية الأمريكي Baker في رحلة طيران من مدينة اركوتسك Irkutsk في الاتحاد السوفيتي متجها الى أولان باتور Ulan Bator عاصمة منغوليا، عندما تلقى وهو في الطائرة مكالمة تليفونية من مكتبه في وزارة الخارجية في واشنطن، تبلغه بجميع المعلومات الخاصة بالغزو العراقي للكويت. وبعد لقاء قصير في العاصمة المنغولية عاد بيكر إلى موسكو من أجل إصدار بيان أمريكي سوفيتي مشترك. كان الجانب الأمريكي يطالب بألا يقتصر البيان على الادانة، بل يدعو الى المطالبة باتخاذ عمل جماعي ضد العراق. وبعد تردد من الجانب السوفيتي صدر يوم 3 أغسطس 90، أول بيان امريكي سوفيتي يتعلق بهذا الموضوع. وقد صيغ البيان بلغة عنيفة، لم يسبق لها مثيل في أي بيان أمريكي سوفيتي سابق. فقد جاء ضمن هذا البيان ما يلي ***«وترى الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي، أنه ينبغي على المجتمع الدولي عدم الاكتفاء بتوجيه الادانة والشجب للتطرف العراقي، بل القيام باتخاذ الخطوات العملية. وفي هذا الصدد يدعو الطرفان الدول العربية قاطبة، وكذلك دول عدم الانحياز، ومنظمة المؤتمر الاسلامي، الى القيام بكل الخطى الممكنة في سبيل تنفيذ قرار مجلس الأمن الدولي 660 الذي يدعو الى سحب القوات العراقية فورا وبدون قيد او شرط»***. ووجه الغرابة هو كيف يوافق الاتحاد السوفيتي على إصدار بيان بهذه الصيغة ضد دولة حليفة له. . . فهو يرتبط بمعاهدة صداقة مع العراق. . وهو الذي يقوم بامداد العراق بالجزء الأكبر من احتياجاته في مجال التسليح !!.

وفي يوم 9 سبتمبر، التقى الرئيس جورباتشوف والرئيس بوش في هلسنكي. وبعد مباحثات استمرت 7 ساعات خصصت جميعها لبحث مشكلة الغزو العراقي للكويت، أصدر الزعيمان بيانا مشتركا يطالب العراق بالانسحاب من الكويت بدون أي شروط. وقد جاء في البيان ما يلي «اننا نطالب الحكومة العراقية مرة أخرى بالانسحاب اللامشروط من الكويت، وعودة الحكومة الشرعية الى الكويت، وتحرير جميع الرهائن المحتجزين حاليا بالعراق

والكويت. واننا لن نقبل بما هو دون التطبيق الكامل للقرارات الصادرة عن مجلس الأمن... ان الجانبين الأمريكي والسوفيتي مقتنعان بان قرار مجلس الأمن 661 يسمح لأسباب انسانية، بارسال المواد الغذائية إلى العراق والكويت. لكن على اللجنة الأممية للعقوبات أن تحدد تلك الأسباب الانسانية». وقد وجه الزعيمان انذارا شديدا للعراق، بانه اذا لم يلتزم بتنفيذ قرارات الأمم المتحدة فانهما سيتخذان إجراءات اضافية ضده في اطار الأمم المتحدة».

وفي يوم 90/9/25، جاء في خطاب شفرنادزه وزير الخارجية السوفيتي أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة ما يلي «***يجب على العراق أن يفهم جيدا أن المجتمع الدولي لديه التصميم لاستخدام القوة المسلحة اذا لم تنجح وسائل الضغط السلمية لاقناعه بالانسحاب من الكويت***».

وفي يوم 90/11/9، التقى بيكر مع شفرنادزه. ومع أن التصريحات التي صدرت من الجانب السوفيتي بعد هذه المقابلة لا تختلف كثيرا عن التصريحات السابقة. إلا أن تاريخ هذه المقابلة التي جاءت بعد إعلان الرئيس الأمريكي قراره الخاص بمضاعفة القوات الامريكية في منطقة الخليج.. والتي جاءت في نهاية جولة بيكر في منطقة الشرق الأوسط وفي أوروبا، والتي كان من نتائجها قيام كل من مصر وبريطانيا وفرنسا مضاعفة قواتهم في منطقة الخليج... فان المقابلة في هذا التاريخ لابد وانها تعني أن أمريكا أطلعت الاتحاد السوفيتي على تصميمها الأكيد على شن الحرب ضد العراق. وأن الاتحاد السوفيتي لم يعترض على ذلك.

وفي خلال الفترة من 26 ـ 29 يناير 91 (بعد حوالي اسبوعين من بدء الهجوم ضد العراق) عقد اجتماع مشترك في واشنطن، بين بسمير تنيخ وزير الخارجية السوفيتي الجديد وبيكر وزير الخارجية الأمريكي. وفي نهاية المحادثات، صدر بيان مشترك جاء فيه «يؤكد الوزيران تمسك بلديهما بقرارات مجلس الأمن الدولي.. وأن العمليات العسكرية التي أقرتها الأمم المتحدة مردها رفض القيادة العراقية المطالب الشرعية والواضحة للأسرة الدولية حول ضرورة الانسحاب من الكويت. ***وأكد جيمس بيكر أن الولايات المتحدة والدول المتحالفة معها لا يبتغون سوى تحرير الكويت... وانهم لا يريدون***

تدمير العراق أو المساس بوحدته الاقليمية . ويتفق الوزيران على أن الاستقرار في المنطقة لن يتحقق الا بالتوصل الى سلام عادل ومصالحة حقيقية بين اسرائيل والـدول العربية والفلسطينيين. . . وان حل أزمة الخليج سوف يتيح تنشيط جهـود الاتحـاد السوفيتي والولايات المتحدة المبذولة، بالاتصال مع الأطراف الأخـرى في المنـطقة بهدف المساعدة في إحلال السلام بين العرب واسرائيل والاستقرار في المنطقة». ولست أعرف كيف يمكن للاتحاد السوفيتي ان يوقع على مثل هذا البيان الذي يقر لأمريكا بكل ما تريد. . . فبينما هي تقوم بعملية تدمـير شامل للعراق فهي تدعي بانها لا تريد تدمير العراق. . وبينما تعترف أمريكا بان الصراع العربي الاسرائيلي هو السبب الرئيسي لعدم الاستقرار، فانها تنتزع من الاتحاد السوفيتي اقرارا بان حل أزمة الخليج هو الذي سيؤدي الى حل قضية الصراع العربي الاسرائيلي. . . وما هو هذا الحل العادل الذي وردت الاشارة عنه في البيان ؟ هل هو الالتزام بجميع قرارات الأمم المتحدة التي صدرت في هذه القضية ؟ ام ان أمـريكـا واسرائيل تنتقي بعضهـا وتستبعد البعض الذي لا يروق لها ؟ ان البيان يعبر بوضوح بان الاتحاد السوفيتي لم يعد هو تلك الدولة العظمى التي يمكن ان تقف في مواجهة الهيمنة الأمريكية.

أنباء غير مؤكدة

وبالاضافة الى التصريحات الرسمية، فان وسائل الاعلام العالمية قد نشرت بعض الأخبار، التي لا يمكن ان نجزم حاليا بصحتها. ولكننا نرى انه لا مانع من ذكرها مع الاشارة الى مصدرها :

1 - نشرت صحيفة المساء الجزائرية يوم 90/9/21 نقلا عن وكالة انباء AP الأمـريكية ان السيد فلاديمـير كريو تشكـوف رئيس جهاز KGB (جهاز المخابرات السوفيتية) أن KGB ، سبق أن قدم الى الأمريكيين عدة عروض، بهدف التعاون وتبادل المعلومات مع الأجهزة الامريكية المقابلة. ولكن جميع هذه العروض قد قوبلت بالرفض. ولا شك ان ايجـاد مثـل هذا التعاون سيفيد الطرفين فيما يتعلق بموضوع العراق (المؤلف : لا شك ان الاتحاد السوفيتي يعلم الكثير عن العراق من حيث التسليح والتصنيع ومستوى التدريب الخ. ومن المؤكد ان معلومات أمـريكا عن العراق تقل كثيرا عن المعلومات التي يعرفها عنه الاتحاد

السوفيتي . . فهل كان الاتحاد السوفيتي يريد ان يقايض معلوماته عن العراق بمعلومات أخرى يحصل عليها من امريكا ؟)

2 - نشرت صحيفة الدستور الاردنية في عددها الصادر في 9 مارس 91، نقلا عن مصادر اعلامية اسرائيلية أن مصدرا اسرائيليا رفيعا صرح بأن الاتحاد السوفيتي نقل إلى اسرائيل عشية اندلاع الحرب، بواسطة مسؤول أوروبي رفيع المستوى، معلومات أمنية عسكرية تؤكد أن الرئيس العراقي قد أعد مخططا لضرب وتدمير مفاعل ديمونة النووي الاسرائيلي. . . بواسطة سلاح الجو العراقي وأسلحة عراقية غير تقليدية. وأن السلطات الاسرائيلية اتخذت كافة الاجراءات العسكرية والامنية لافشال هذا المخطط (المؤلف: كرجل عسكري فاني لا اعتبر أن اخطار اسرائيل بأنه يوجد مخطط عراقي لتدمير المفاعل النووي الاسرائيلي، يعتبر خبرا ذا أهمية أو افشاء لسر من الأسرار العسكرية. فقد هدد صدام حسين بضرب اسرائيل قبل اندلاع الحرب ببضع اسابيع. ومن المفروض أن تأخذ اسرائيل هذا التهديد بجدية. ومن المفروض أيضا ان يكون المفاعل النووي الاسرائيلي هو أحد الاهداف المستهدفة ضربها بواسطة العراق. وبالتالي فاين هو هذا السر الذي يتحدثون عنه. . . السر الحقيقي في هذه الحالة هو كشف تفاصيل هذا المخطط من حيث طبيعة السلاح والمكان والتوقيت الذي سوف تنطلق منه هذه الضربة العراقية. . . الى غير ذلك من المعلومات المخابراتية التي تساعد اسرائيل في القيام بعملية مضادة لاجهاض الهجوم العراقي قبل حدوثه. ولا يوجد بين أيدينا اليوم ما يؤكد أن الاتحاد السوفيتي قد ابلغ اسرائيل بهذه المعلومات. . هذا اذا افترضنا أن الاتحاد السوفيتي نفسه كان على علم بها).

مذكرات بريماكوف

يفجيني بريماكوف Yevgeni Primakov كان يعمل مراسلا لصحيفة برافدا السوفيتية خلال الستينات، وقد أتاحت له هذه الوظيفة التعرف على الكثير من زعماء العالم بمن فيهم صدام حسين. وفي أثناء الأزمة كان بريماكوف يشغل منصب مستشار الرئيس جورباتشوف ومبعوثه الخاص الى جميع الجهات المعنية

يبحث القضية. وقد حضر بريماكوف عدة لقاءات مع صدام حسين وطارق عزيز في بغداد، كما حضر جميع لقاءات طارق عزيز في موسكو. . . ورغم أن وسائل الاعلام العالمية كانت تنقل تحركاته وتصريحاته الا أنه كشف في مقالين نشرهما في مجلة TIME الأمريكية في 91/3/4، وفي 91/3/11، عن معلومات لم يكن قد صرح بها قبل ذلك.

يقول بريماكوف أن جورباتشوف كان يصحبه في لقاء هلسنكي المارشال سيرجي أخروميف Sergei Akhromeyev ، كبير مستشاريه العسكريين. وأن أخروميف حذر الأمريكان بأن الحرب ستتسبب عنها خسائر كبيرة في الأرواح (لم يوضح اذا كان المقصود هو أن أمريكا ستتحمل خسائر كبيرة. . . وان كان ذلك هو الأقرب الى المنطق من معنى التحذير) . وأنه قال لهم أيضا أن الحرب الجوية وحدها لن تستطيع انهاء الحرب، وأن العراق لا يخشى الخسائر التي يمكن ان تحدثها الغارات الجوية (المؤلف: حدث انقلاب عسكري في الاتحاد السوفيتي وأبعد جورباتشيف عن السلطة يوم 91/8/19 ولكن الانقلاب فشل يوم 8/21، وعاد جورباتشيف الى الكرملين يوم 8/22. وتم القبض على مدبري الانقلاب الذين كان من بينهم نائب الرئيس السوفيتي، ووزير الدفاع، ورئيس جهاز المخابرات KGB ، ووزير الداخلية. وقد انتحر وزير الداخلية قبل القبض عليه. ثم حدث بعد ذلك عملية تصفيات كبيرة في القيادات العسكرية، والحكومة. وفي يوم 8/24، اعلن جورباتشيف استقالته من منصبه كسكرتير عام للحزب الشيوعي، وأصدر أمرا بمصادرة جميع ممتلكات الحزب الشيوعي، وحظر أنشطة الحزب داخل القوات المسلحة وداخل KGB . وفي يوم 8/24 أعلنت موسكو ان المارشال أخورميف قد انتحر وترك خلفه رسالة يقول فيها لا داعي للحياة بعد أن رأيت كل ما حاربت وعشت من أجله ينهار امامي. وفي يوم 91/8/29، أعلن مجلس السوفييت الأعلى حل الحزب الشيوعي ومصادرة أملاكه في جميع انحاء الاتحاد السوفيتي. وبذلك سقطت آخر طوبة في النظام الشيوعي الذي أقامه لينين في الاتحاد السوفيتي منذ 7 نوفمبر 1917).

ويقول بريماكوف أنه قال لصدام حسين في لقائه الأول معه يوم 90/10/5 أن الغرض من زيارته ليس هو التخويف بالنتائج التي يمكن أن تحدث إذا لم

ينسحب العراق من الكويت، ولكنه لا يستطيع أن يرى حلا آخر سوى الانسحاب الكامل. . . وأن صدام حسين رد عليه قائلا «**اذا لم يكن أمامي سوى أن أختار بين الركوع والاستسلام وبين القتال، فانني سأقاتل وسأشعل لهيب الحرب في دول أخرى ولا سيما إسرائيل. ومع ذلك فاني كشخص واقعي فاني أقبل بأن يكون توقيت الربط بين الانسحاب من الكويت وبين حل القضية الفلسطينية هو موضوع يمكن مناقشته**» (المؤلف: يعتبر ذلك تراجعا عن مبادرة صدام يوم 90/8/12، التي تربط زمنيا بين القضية الفلسطينية وقضية الانسحاب من الكويت. إذ أنه في هذه الحالة يمكن الانسحاب من الكويت أولا ثم تبحث القضية الفلسطينية ثانيا. ويتوافق هذا الرأي مع مبادرة ميتران التي كان قد تقدم بها في 90/9/24). ويقول بريماكوف أنه ناقش موضوع السماح للخبراء السوفيت والبالغ عددهم 830 7 في المجال العسكري ومجال التصنيع، وأن صدام وافق على خروجهم بمعدل 500 1 كل شهر حتى لا تتأثر بذلك المشاريع التي يعملون فيها.

عاد بريماكوف الى موسكو مساء 6 اكتوبر، حيث أبلغ جورباتشوف بنتائج مهمته وانطباعاته، فطلب منه جورباتشوف أن يقدم له مقترحات بأفكاره. ويقول بريماكوف أنه قدم يوم 90/10/8، مذكرة مكتوبة الى جورباتشوف. . . وان هذه المذكرة كانت تعتمد أساسا على محاولة الكشف عن الخط الذي يفصل بين مكافأة العدوان، وبين انقاذ ماء الوجه بالنسبة لصدام حسين. وانها كانت تتضمن النقاط التالية:

1 - أن يعلن صدام حسين بأنه سوف ينسحب من الكويت وأن يبدأ فعلا في الانسحاب.

2 - أن يكون صدام حسين على علم بأنه عندما يتم انسحابه من الكويت فان ذلك سيؤدي الى تسوية قضية الصراع العربي الاسرائيلي. ويمكن لمجلس الأمن ان يساهم بفعالية في هذه الديناميكية.

3 - يكون صدام حسين على علم مسبق، بأنه بعد ان يتم الانسحاب الكامل من الكويت، فانه سوف يتم بحث مشاكل الحدود والمشاكل الاقتصادية المعلقة بين العراق والكويت، في اطار عربي.

وباختصار شديد، فان بريماكوف ـ كما يقول هو نفسه ـ كان يريد ان يؤكد ان انسحاب صدام حسين من الكويت سوف يؤدي الى اتخاذ خطوات لتسوية الخلافات واستقرار الأوضاع في منطقة الشرق الأوسط. . . وكان يتفادى دائما استخدام كلمة الربط بين الانسحاب والتسوية الشاملة، حتى لا يكون ذلك مكافأة للعدوان. وبناء على تعليمات جورباتشوف، سافر بريماكوف الى واشنطن يوم 10/18 لمناقشة تلك الافكار مع الجانب الامريكي. وعند مناقشة هذه الافكار مع وزير الخارجية بيكر ومع دنيس روس Dennis Ross مدير إدارة التخطيط السياسي في وزارة الخارجية الامريكية، أبدى روس اعتراضه، قائلا «ان اسرائيل لن تقبل بهذا الربط »*(المؤلف: الذي يثير الدهشة حقا هو أن روس رفض هذا المشروع ليس على أساس أنه غير عادل، أو أنه يتعارض مع قرارات الامم المتحدة، أو أي سبب آخر يكون فيه شيء من المنطق ويكون مدعاة للحوار والنقاش، ولكنه رفضه على أساس أن اسرائيل لن تقبل به. وهذا يؤكد للمرة الأكثر من الألف أن أمريكا لا تقدم على اتخاذ أي خطوة لا ترضى عنها اسرائيل)*. وفي اليوم التالي قابل بريماكوف الرئيس الامريكي بوش. ورغم ان مقابلته مع بوش استمرت ساعتين. . الا أنه قال له في النهاية بانه سوف يدرسها مع مستشاريه ـ وكأنه لم يدرسها معهم قبل أن يستقبل بريماكوف ـ وأنه سيبلغه برأيه في خلال ساعتين او ثلاث [26]

وقبل أن يغادر بريماكوف واشنطن، تلقى تعليمات من جورباتشوف بأن يمر على لندن في طريق عودته الى موسكو، لكي يعرض المشروع على المسز ثاتشر. ولعل مقابلة بريماكوف للمسز ثاتشر في المقر الرسمي الريفي لرئيس الوزراء البريطاني في شيكرز Chequers يوم الأحد 21 اكتوبر، هي التي تؤكد لنا أن الهدف الرئيسي لدول التحالف كان دائما وأبدا هو تدمير العراق عن طريق اللجوء الى خيار الحرب. . . وأنه حتى عندما تظهر بعض علامات التردد على بوش ـ على أساس أن نتائج خيار الحرب ليست مضمونة تماما ـ فان هذا التردد سرعان ما كان يختفي نتيجة الضغوط والنصائح التي يتلقاها من أصدقائه ومن مستشاريه. *يقول بريماكوف أن مسز ثاتشر بعد أن استمعت له باهتمام، انفجرت في حديث صاخب لمدة ساعة قالت فيه «ان انسحاب العراق من الكويت ليس هو كل ما نريده، بل يجب ان توجه ضربة قاصمة الى العراق. .*

يجب أن نكسر ظهر صدام حسين. يجب أن يعلم صدام حسين بكل وضوح وبدون أي ذرة من الشك أن المجتمع الدولي لن يتراجع خطوة واحدة الى الوراء. . . وأن المجتمع الدولي سوف يحقق أهدافه. ولا يجوز لأحد أن يحاول انقاذ نظام صدام حسين من هذه الضربة». (المؤلف: الجملة الأخيرة هي رسالة خفية ان لم تكن تحذيرا للاتحاد السوفيتي). وهنا تدخل بريماكوف متسائلا هل تعنين أن الحرب هي الخيار الوحيد، فاجابت بالايجاب. فتساءل مرة ثانية ومتى تبدأ الحرب، فأجابت «لا استطيع أن اقول لك. حيث ان الحرب يجب أن تكون مفاجئة للعراق».

وفي يوم 24 اكتوبر، بدأ بريماكوف رحلته الثانية إلى كل من القاهرة ودمشق والرياض وبغداد. وفي مقابلته الثانية مع صدام حسين يقول بريماكوف أن صدام لم يكرر ما سبق أن قاله في 10/5 من أن الكويت هي تاريخيا جزء من العراق. وحتى عندما قال له بريماكوف «أنت تعرفني منذ مدة طويلة. ولابد أنك على قناعة بأنني أقول لك الحقيقة. إن توجيه ضربة قوية جدا ضد العراق هو أمر لا يمكن تفاديه اذا لم تعلن عن عزمك على الانسحاب من الكويت، وأن تشرع فورا في الانسحاب». فان صدام حسين لم يعترض على هذا القول ولكنه قال «كيف يمكنني أن أعلن عن عزمي على الانسحاب دون أن أعرف كيف سيتم اجلاء القوات الامريكية عن السعودية ؟ وهل ستقوم الامم المتحدة برفع العقوبات الاقتصادية المفروضة عن العراق ام انها ستبقى ؟ وكيف سينظر الى طلب العراق في الحصول على مخرج على البحر ؟ وهل سيكون هناك نوع من الارتباط بين الانسحاب العراقي من الكويت وبين القضية الفلسطينية. إن لم أحصل على اجابات عن تلك الأسئلة، فان الانسحاب يعتبر انتحارا بالنسبة لي. . بل ايضا انتحار بالنسبة للعراق. ولهذه الأسباب فاني أريد لتلك الاتصالات أن تستمر».

وفي يوم 15 نوفمبر، وصل بريماكوف إلى نيويورك، بينما كان مجلس الأمن الدولي يناقش قرارا بتحديد تاريخ معين لانسحاب العراق من الكويت. وقد أدلى بريماكوف بحديث لصحيفة نيويورك تايمز يقول فيه أنه ليس من الحكمة اتخاذ قرار بهذا الشكل، لأنه يعني أن فرص الحوار للبحث عن حل سياسي تصبح ضئيلة جدا.[27] **(المؤلف: انه لمن المستغرب أن يكون ذلك هو رأي**

بريماكوف ـ الذي من المفترض انه هو رأي جورباتشوف شخصيا ـ ثم نجد ان الاتحاد السوفيتي وافق على القرار 678 الذي يجيز استخدام القوة ضد العراق إذا لم ينسحب قبل 15 يناير 1991 . وان ذلك لابد وأن يثير جملة من التساؤلات حول الموقف الحقيقي للاتحاد السوفيتي. هل كان يستغل هذه القضية من أجل أن يحصل من الولايات المتحدة والدول الغربية على أكبر قدر من المكاسب السياسية والاقتصادية ؟ . . . يتخلى الاتحاد السوفيتي عن مساندة العراق في مقابل تخلي الولايات المتحدة عن مساندة دول البلطيق التي تطالب بالاستقلال عن الاتحاد السوفيتي، بالاضافة الى حصوله من الدول الغربية على مساعدات اقتصادية كبيرة؟)

مبادرة جورباتشوف الاولى

وفي 11 فبراير 91 ، كان بريماكوف يقوم بزيارته الثالثة إلى بغداد. [28] ولكن هذه المرة كانت الزيارة بعد أكثر من ثلاثة اسابيع من بدء الحرب، وبينما كانت بغداد تتعرض نهارا وليلا للغارات الجوية. ولذلك فقد وصل بريماكوف بالطائرة الى طهران ثم وصل الى بغداد عن طريق البر. ويقول بريماكوف أنه التقى بصدام حسين في لقاء منفرد وأنه قال له «الامريكان مصممون على القيام بهجوم بري واسع النطاق بهدف سحق القوات العراقية في العراق. والسياسة كما تعرف هي فن الممكن The art of the possible . وطبقا للتعليمات التي تلقيتها من جورباتشوف، فاني اتقدم لكم بالاقتراح التالي: الاعلان عن الانسحاب من الكويت. ان يتم الانسحاب في أقصر وقت ممكن. وأن يكون الانسحاب كاملا وبدون أي شروط». ويستطرد فيقول أن صدام حسين لم يرفض هذه الاقتراحات وانما توجه بالأسئلة التالية: «ما هي الضمانات بالا تقوم دول التحالف بضرب الجنود العراقيين اثناء انسحابهم من الكويت ؟ هل ستتوقف الهجمات ضد العراق بعد ان ينسحب ؟ هل سترفع الأمم المتحدة العقوبات ضد العراق» ثم اضاف صدام حسين بأنه سيرسل الرد الى الاتحاد السوفيتي في أقرب وقت.

هذا ولم يرد في مذكرات بريماكوف شيء عن أول اتصال جرى بين بغداد وموسكو بعد أن بدأت أمريكا هجماتها ضد العراق. ولا ندري حتى اليوم ما اذا كان عدم ذكر هذا الاتصال

قد سقط سهوا أم عمدا . . . وان كنت أميل شخصيا الى الاعتقاد بأنه تعمد عدم ذكره. حيث انه يوضح أن جورباتشوف كان يعمل كسمسار لبوش أكثر من كونه زعيم دولة عظمى . فقد أرسل يوم 18 يناير رسالة الى صدام حسين قال فيها «*هل يوافق رئيس الجمهورية العراقية على ان يصرح عن انسحاب القوات من الكويت اذا توقفت العمليات العسكرية . في هذه الحالة سندخل في الاتصال مع رئيس الولايات المتحدة حول هذا الموضوع* . وحين اقوم بهذه المبادرة ، فانه يدفعني قبل كل شيء العناية بحماية الارواح البشرية ، والرغبة في تجنيب العراق المزيد من المعاناة والآثار المدمرة للعراق» وقد رد عليه صدام حسين بخطاب شديد اللهجة جاء فيه «*غاب العتب عندما تذكرت ان المجتمع الدولي يعيش تحت رحمة القانون الأمريكي*» .

بيان مجلس قيادة الثورة العراقي

في يوم 15 فبراير 1991 أصدر مجلس قيادة الثورة العراقي بيانا عن استعداد العراق للانسحاب من الكويت تطبيقا لقرار مجلس الأمن الدولي رقم 660، ولكنه ربط هذا القرار بالشروط (دون أن يستخدم لفظ الشروط) التالية :

1 - وقف إطلاق النار.
2 - الغاء قرارات مجلس الأمن التي صدرت ضد العراق .
3 - انسحاب الولايات المتحدة والقوى الأجنبية من المنطقة بما في ذلك أسلحة الدعم التي قدمت الى اسرائيل خلال الأزمة .
4 - انسحاب اسرائيل من فلسطين والأراضي العربية المحتلة . . وفي حالة عدم انسحابها يطبق مجلس الأمن الدولي ضد اسرائيل نفس القرارت التي اتخذها ضد العراق .
5 - ضمان حقوق العراق التاريخية .
6 - احترام ارادة الشعب الكويتي .
7 - تقوم الدول التي شاركت في العدوان على العراق بدفع تعويضات للعراق عن الخسائر التي احدثتها في العراق .
8 - الغاء كل ديون العراق وديون الدول التي تضررت نتيجة هذا العدوان . واقامة علاقات بين الدول الغنية والفقيرة على اساس العدل والانصاف .

9 ـ يترك لدول الخليج بما فيها ايران حرية ومهمة اجراء ترتيبات الأمن.
10 ـ تكون منطقة الخليج خالية من القواعد العسكرية الأجنبية.

مبادرة جورباتشوف الثانية

وصل طارق عزيز الى موسكو يوم 18 فبراير 1991، حيث استمع الى مبادرة من جورباتشوف تشمل النقاط التالية:

1 ـ انسحاب العراق من الكويت دون اي شروط مسبقة.
2 ـ الاتحاد السوفيتي يؤيد الحفاظ على البنية الوطنية للعراق، وعلى حدوده.
3 ـ الاتحاد السوفيتي سوف يعارض أي اجراءات انتقامية ضد العراق أو ضد صدام حسين.
4 ـ جميع المشاكل الأخرى الشرق أوسطية ومنها القضية الفلسطينية سوف تكون موضوع مفاوضات، بعد تنفيذ الانسحاب الكامل من الكويت.

مبادرة جورباتشوف الثالثة

عاد طارق عزيز الى بغداد يوم 18 فبراير ومعه مبادرة جورباتشوف. وفي يوم 20 فبراير تلقت موسكو رسالة من بغداد تطلب إرسال طائرة الى طهران لنقل طارق عزيز الى موسكو مساء يوم 21. وقبل أن يصل طارق عزيز الى موسكو ألقى صدام حسين خطابا، اذاعته جميع وسائل الاعلام الدولية، ركز فيه على ما جاء في المبادرة التي وافق عليها مجلس قيادة الثورة العراقي يوم 91/2/15، ولم يرد في خطابه أي اشارة الى مبادرة جورباتشوف. وأكد مرة أخرى بان الانسحاب من الكويت يجب أن يكون في اطار تسوية شاملة.. وانه «لا استسلام.. وسنستمر في الكفاح حتى النصر».

وصل طارق عزيز منتصف ليلة 22/21، وفور وصوله بدأ الاجتماع مع الجانب السوفيتي الذي كان يضم جورباتشوف وبسمير تنيخ وبريماكوف. وبعد مفاوضات مستمرة تخللها الاتصال ببغداد، وصلت موافقة صدام حسين الى موسكو في الساعة الثانية من صباح يوم السبت 23 فبراير بتوقيت موسكو (الساعة 00 18 يوم الجمعة 22 فبراير بتوقيت واشنطن)، والتي كانت تشمل النقاط التالية:

1 - الانسحاب الكامل من الكويت دون شروط.

2 - يبدأ الانسحاب بعد يوم واحد من وقف اطلاق النار ويتم خلال ثلاثة أسابيع. على أن يتم الانسحاب من مدينة الكويت خلال الأربعة أيام الأولى.

3 - يتم تسليم جميع أسرى الحرب خلال ثلاثة أيام من وقف اطلاق النار.

4 - بعد اتمام الانسحاب، يتم الغاء جميع قرارات الأمم المتحدة التي صدرت ضد العراق.

5 - يتم وقف اطلاق النار والانسحاب تحت اشراف مراقبين من الأمم المتحدة.

الانذار الأمريكي

كان جورباتشوف يحيط بوش علما، بما يتوصل اليه من اتفاق مع الجانب العراقي أولا بأول. ولكن في تمام الساعة 00 16 يوم الجمعة 91/2/22 بتوقيت جرينيتش (الساعة 00 11 بتوقيت واشنطن) أعلن بوش ما يمكن أن يعتبر انذارا وليس مبادرة. وقد جاء في هذا الانذار ما يلي:

1 - يجب على العراق أن يبدأ الانسحاب من الكويت ظهر يوم السبت 23 فبراير. وأن تعود القوات الى المواقع التي كانت عليها في أول اغسطس 90، وذلك طبقا لقرار مجلس الأمن الدولي رقم 660. وستمتنع القوات الامريكية والقوات المتحالفة من مهاجمة القوات العراقية اثناء انسحابها.

2 - يجب على العراق أن يتم انسحابه بالكامل في خلال أسبوع واحد، وأن يتم الانسحاب من مدينة الكويت خلال ال 48 ساعة الاولى، وأن يسمح بعودة الحكومة الشرعية الى البلاد.

3 - يجب أن يتم الانسحاب من جميع المواقع الدفاعية المجهزة على طول الحدود السعودية الكويتية، والحدود السعودية العراقية، ومن جزيرتي بوبيان ووربة، ومن حقل البترول الكويتي في الرميلة.

4 - يجب أن يفرج العراق عن أسرى الحرب، وعن المحتجزين من دول العالم الثالث، وان يعيد جثث القتلى العسكريين، وأن يتم ذلك خلال 48 ساعة من بداية الانسحاب.

5 - مجلس الأمن الدولي هو وحده الجهة التي يمكنها أن توافق على رفع العقوبات ضد العراق. ويجب أن يطمئن العالم على نوايا العراق السلمية قبل أن ترفع تلك العقوبات.

6 - يجب على العراق أن يرفع جميع عبوات التدمير والشراك الخداعية التي زرعها في الكويت، بما في ذلك العبوات التي جهزت لنسف المنشآت النفطية. وأن يقوم بتعيين ضباط اتصال عراقيين للتعاون مع القوات الكويتية والمتحالفة في تطهير تلك المنشآت. ويشمل ذلك تقديم جميع البيانات والمعلومات عن أماكن وطبيعة الألغام البرية والبحرية.

7 - يجب ان يتوقف العراق عن استخدام المدفعية المضادة للطائرات، وألا يسمح للطيران العراقي بأي طلعات جوية فوق العراق أو فوق الكويت، وذلك فيما عدا طائرات النقل التي تقوم بنقل قوات من الكويت. وفي نفس الوقت يكون لطيران دول التحالف الحق الكامل في الطيران فوق الكويت.

8 - يجب أن يتوقف العراق عن القيام بتدمير أي منشآت أو مباني كويتية، وأن يفرج عن جميع المعتقلين الكويتيين.

كان الحل الأمريكي يضع صدام حسين امام خيارين أحلاهما مر. فاما أن يقبل بتلك الشروط المذلة. واما أن يرفضها، فيكون ذلك هو المبرر الذي يحتاج اليه بوش لكي يكمل عملية تدمير القوات المسلحة العراقية والبنية الاقتصادية العراقية التي كان قد بدأها منذ 36 يوما. واذا نحن أجرينا مقارنة بين مبادرة جورباتشوف الأخيرة التي قبلها صدام حسين، وبين الحل الذي يريد بوش أن يفرضه، نجد أن الخلافات بعضها شكلي مثال ذلك ما ورد في البنود رقم: 1، 3، 4، 6، 8. فكل هذه البنود يمكن اعتبارها بنودا تأكيدية أو تفسيرية لمبادىء تم الاتفاق عليها. ***ولكن أخطر ما في الحل الأمريكي هو ما جاء في البنود رقم 2، 5، 7. فالمطالبة بان يتم الانسحاب العراقي خلال اسبوع واحد، يعني أن امريكا تريد ان تفرض على العراق أن ينسحب تحت ظروف قهرية قد يضطر معها الى التخلي عن جزء كبير من معداته. فليس من المعقول أن يتمكن العراق خلال تلك الفترة القصيرة من أن يسحب قواته التي حسب التقديرات الامريكية، كانت عند بداية الحرب تقدر بحوالي 540 000 فرد***

بكامل معداتهم خلال تلك الفترة القصيرة. واكبر دليل على ذلك هو ان القوات الأمريكية احتاجت الى 5 شهور لكي تسحب حوالي 000 480 من قواتها التي كانت تتمركز في منطقة الخليج. ولذلك فان التزام العراق بتنفيذ هذا البند يفرض عليه أن يضحي بالجزء الأكبر من أسلحته الثقيلة ومعداته ومخزوناته، من أجل الانسحاب بالأفراد. اما البند رقم 5 الذي ينص على أن مجلس الأمن هو الجهة المختصة برفع العقوبات، فانه يعني أن امريكا تستطيع أن تستخدم حق الفيتو لمنع صدور مثل هذا القرار. وأما البند رقم 7 فهو اكثر البنود إذلالا، وهو بند لا يذكر أبدا إلا في المعاهدات التي تفرضها الدولة المنتصرة على الدولة المهزومة.

الاتحاد السوفيتي يبيع مواقفه

كان الموقف السوفيتي منذ بداية الأزمة يتسم بادانة الغزو العراقي للكويت. وقد أيد جميع القرارات التي أصدرها مجلس الأمن ضد العراق خلال تلك الأزمة. وكان يبرر هذا الموقف على أساس أن الغزو العراقي للكويت هو عمل يتنافى مع ميثاق الأمم المتحدة، وعلى أساس أن الاتحاد السوفيتي دولة عظمى يهمها استقرار الأوضاع الدولية واحترام الدول لميثاق الأمم المتحدة. ولكن الشيء الذي يثير الانتباه حقا، هو موقف الاتحاد السوفيتي من التواجد الامريكي في منطقة الخليج، وتأثير ذلك على أمن الاتحاد السوفيتي وعلى مستقبله الاقتصادي. فالبرغم من أن الاتحاد السوفيتي يعتبر حتى اليوم اكبر دولة منتجة للنفط في العالم (ينتج حوالي 11.5 مليون برميل يوميا) إلا أن الزيادة المطردة في استهلاكه للطاقة، اذا لم يقابلها اكتشاف حقول واحتياطات جديدة، فان الاتحاد السوفيتي سيصبح دولة مستوردة للنفط اعتبارا من مطلع القرن الواحد والعشرين. وحيث أن الوجود الأمريكي في منطقة الخليج يعني أن أمريكا تسيطر سيطرة مباشرة على 42٪ من الاحتياطي العالمي للنفط.. وان هذه النسبة ترتفع الى 53٪ اذا سيطرت على العراق... وحيث أن خبراء النفط والطاقة يعتقدون بانه اذا لم يتم اكتشاف حقول نفط جديدة، فان جميع دول العالم ستصبح دولا مستوردة للنفط بحلول عام 2030 فيما عدا الدول الخمس التالية وهي: السعودية، العراق، الامارات العربية، الكويت، ايران.. فان ذلك يعني انه بحلول عام 2030 يصبح لأمريكا السيطرة على حوالي 80٪ من

السوق العالمية للنفط، اذا افترضنا بقاء ايران خارج الهيمنة الأمريكية. أما اذا استطاعت امريكا ان تفرض هيمنتها على ايران أيضا، فان ذلك يعني ان امريكا يصبح لها السيطرة الكاملة والاحتكار الكامل والمطلق على سوق النفط.

وبالرغم من الزيادة المستمرة في انتاج الطاقة من مصادر أخرى غير النفط الا أن النفط ما زال هو المصدر الوحيد المستخدم في تشغيل الطائرات والدبابات والمركبات والمدافع الذاتية الحركة والمعدات العسكرية الصغيرة. وبالتالي فان القوات المسلحة التي تعتمد على استيراد النفط، ستكون دائما في موقف ضعف بالنسبة الى الدولة التي لديها السيطرة على مصادر انتاج النفط. ومن ذلك يتضح أن قبول الاتحاد السوفيتي بالتواجد الأمريكي في الخليج، بالاضافة الى موقفه السلبي من العدوان الامريكي على العراق وفرض السيطرة الأمريكية على مقدرات العراق.. هو في الحقيقة إقرار بالهيمنة الامريكية لا على العراق فحسب، بل وعلى الاتحاد السوفيتي نفسه.

وبالاضافة الى مشكلة الطاقة، فهناك مشكلة الأمن. لقد وصل الحشد الامريكي في منطقة الخليج في يناير 1991 الى حوالي 700 527. ولكي نتصور ضخامة هذا الرقم، فانه يكفي أن نعرف بأن القوات الامريكية المنتشرة في اوروبا ضمن حلف الأطلسي كان عددها خلال فترة الحرب الباردة بين المعسكرين الشرقي والغربي هو 000 305 وكان يقف في مواجهتها قوات سوفيتية تقدر بحوالي 000 570.. وأنه قد تم الاتفاق بين الدولتين في فبراير 1990، على تخفيض كل منهما لقواته ليصل الرقم الى 000 195 فقط. نعم نعرف أن أمريكا قد قطعت على نفسها عهدا بأن تسحب قواتها من منطقة الخليج بعد أن تنهي مهمتها. ولكن دروس التاريخ تؤكد أن السياسيين هم أكثر الفئات نقضا للعهود. فعلى أي أساس يمكن لجورباتشوف أن يطمئن الى الوعود الأمريكية بالانسحاب الكامل من المنطقة.. وما هي الخيارات التي تكون امام جورباتشوف اذا لم تنسحب القوات الامريكية. كل ذلك كان يتحتم على جورباتشوف أن يعيه قبل ان يتخذ موقفا مؤيدا للتواجد الأمريكي في منطقة الخليج.

والسؤال الذي يطرح نفسه اليوم. هل ستنسحب القوات الامريكية حقا انسحابا كاملا من منطقة الخليج.. والاجابة هي لا.. حيث أن كل الشواهد

تدل على غير ذلك. ففي خلال الثلاثة أشهر الأولى بعد وقف إطلاق النار كان الانسحاب الأمريكي يتم بسرعة معقولة، تم خلالها سحب 000 400 جندي. وفي خلال الشهرين التاليين (يونيو، يوليو 91) كان الانسحاب يتم بدرجة أقل سرعة.. حتى أنه في خلال هذين الشهرين لم يتم سحب سوى أقل من 000 100. وفي 91/8/2، أعلن البنتاجون أنه ما يزال هناك 000 42 جندي في كل من الكويت والسعودية، من بينها اللواء 11 فرسان مدرع 11 Armoured Cavalry Regiment، الذي تحرك من منطقة تمركزه في المانيا بعد وقف إطلاق النار الى منطقة الخليج.. حتى يتيح الفرصة للقيادة الأمريكية بأن تسحب قوات امريكية أخرى أمضت وقتا طويلا في المنطقة. [29]

وبالاضافة الى التواجد بالجنود فان أمريكا تقوم بتخزين الأسلحة والمعدات في كل من السعودية واسرائيل، حتى يمكنها أن تنشر قواتها في منطقة الشرق الأوسط بسرعة كبيرة إذا ما اندلعت أزمة جديدة. ولكن قد لا نعرف مطلقا حجم القوات الامريكية التي ستتواجد بصفة دائمة في السعودية، أو حجم الأسلحة والمعدات الثقيلة التي ستقوم الولايات المتحدة بتخزينها هناك... وذلك لأن الحكومة السعودية ـ بعكس حكومة آل الصباح في الكويت ـ تريد أن يتم الاتفاق مع أمريكا حول هذه المواضيع في سرية تامة، حتى لا يظهر ارتباطهم مع أمريكا بشكل مفضوح. وذلك كما جاء على لسان الامريكيين أنفسهم. [30] وفي يوم 91/8/28، صرح بيت وليامز المتحدث باسم وزارة الدفاع الأمريكية أن القوات المتبقية في الخليج إلى أن يتم الاتفاق مع الدول الخليجية على ترتيبات الأمن في المنطقة، هي 187 41 منها 484 14 من القوات البرية، 845 4 من القوات الجوية، 453 17 من القوات البحرية، 405 4 من قوات المارينز. [31] (المؤلف: هذه القوات تعني فرقة مشاة / او مدرعة + جناح طائرات مكون 48 ـ 72 طائرة قتال + مجموعة حاملة طائرات مكونة من حاملة طائرات ومعها 7 سفينة اسناد + كتيبة من مشاة البحرية. وأعتقد أن هذه القوات ستبقى في المنطقة بالاضافة الى قواعد يتم فيها تخزين الأسلحة والمعدات والاحتياجات لوحدات أخرى، بحيث يمكن مضاعفة هذه القوات خلال 7 ـ 10 ايام فقط).

وما من شك في أن القادة العسكريين السوفيت لم يكونوا راضين عن سياسة جورباتشوف المؤيدة لأمريكا ضد العراق. وقد اعترف بذلك شفرنادزه وزير

الخارجية السوفيتي في مكالمة تليفونية مع بيكر وزير الخارجية الأمريكي يوم 90/8/21. فقد قال له *«إن القادة العسكريين يعتقدون أننا نرتكب خطأ بمساندتكم. فهم يقولون أن هدفكم هو إقامة وجود أمريكي دائم في منطقة الشرق الأوسط»*.[32] ولكن ما الذي يدفع جورباتشوف لأن يسلك هذا الطريق وهو يعلم بخطورته؟ فمن المؤكد أنه سمع رأي القادة العسكريين المعارضين لسياسته. ومن المؤكد أيضا أن جناح المحافظين في الحزب والدولة لم يكونوا يؤيدون تلك السياسة. لقد أجاب جورباتشوف بنفسه على هذا السؤال. إنه يريد إنجاح البيروسترويكا والتي تعتمد أساسا على التحول من الاقتصاد الموجه إلى اقتصاد السوق. وهذا التحول الى اقتصاد السوق يحتاج إلى استيراد رؤوس أموال أجنبية تقدر بحوالي 250 مليار دولار خلال 5 سنوات. ويحتاج أيضا الى استيراد الخبرات الأجنبية في مجالات الانتاج الاستهلاكي والاقتصاد الحر والادارة الخ. وأمريكا والدول الغربية هي التي تملك رؤوس الأموال وهي التي تملك الخبرات. وبالتالي فهي التي تستطيع إنجاح البيروسترويكا أو إفشالها. ومن أجل ذلك أرسل بريماكوف إلى واشنطن في 91/5/29، حيث اجتمع مع مسؤولين في الكونجرس والحكومة في محاولة لاقناعهم بضرورة تقديم مساعدات مالية للاتحاد السوفيتي.[33] (المؤلف: إن تكليف بريماكوف بهذه المهمة، بعد أن كان مكلفا أثناء أزمة الخليج بمحاولة اقناع صدام حسين بقبول الحلول الأمريكية، لابد وأن يثير الشبهات بدرجة أكبر حول دور الاتحاد السوفيتي خلال تلك الازمة).

والسؤال الذي لابد وأنه يدور في خلد كل من ينتقدون سياسة جورباتشوف داخل وخارج الاتحاد السوفيتي هو *«هل كان من الممكن لجورباتشوف أن يستمر في البيروسترويكا بنجاح، دون أن يتنازل عن المركز الريادي للاتحاد السوفيتي كدولة عظمى؟ ودون أن يحول الاتحاد السوفيتي إلى دولة تكاد تكون تابعة لأمريكا؟ والاجابة هي بدون تردد نعم»*. فقد غابت عن جورباتشوف حقيقتان وهو يعمل من أجل تحقيق البيروسترويكا. الحقيقة الأولى هي أن رغبة أمريكا والدول الغربية في أن يتحول الاتحاد السوفيتي إلى اقتصاد السوق لا تقل أبدا عن رغبة جورباتشوف في ذلك إن لم تكن أكثر. وإذا كانت هذه الرغبة قد ولدت في ذهن جورباتشوف عام 1985، فانها في عقل ووجدان الدول الغربية

منذ عام 1945 . . . وان تلك الدول تنفق على قواتها المسلحة حوالي 500 مليار دولار سنويا من أجل منع تصدير أفكار الثورة الشيوعية ـ التي في مقدمتها استبدال اقتصاد السوق بالاقتصاد الاشتراكي ـ إلى دول المعسكر الغربي. ولو استغل جورباتشوف هذه الورقة وحدها، لاستطاع أن يحصل منهم على كل ما يريده دون أي تنازل حقيقي من جانبه. . وذلك على أساس أن التحول الى اقتصاد السوق هو التنازل الكبير الذي يستطيع أن يقدمه.

الحقيقة الثانية التي غابت عن جورباتشوف هي أنه يستطيع أن يحصل من الدول الغربية وهو في موضع قوة أضعاف أضعاف ما يستطيع أن يحصل عليه منهم اذا كان في موضع ضعف. ولكي نوضح ذلك فلنفترض أن الاتحاد السوفيتي اتخذ موقفا مؤيدا للعراق خلال تلك الأزمة. فما هي المكاسب الاقتصادية التي يمكن أن يجنيها الاتحاد السوفيتي من وراء ذلك ؟ لقد سبق أن ناقشنا الأسباب التي دفعت العراق إلى غزو الكويت. وبصرف النظر عن مطالبة العراق بحقوقه التاريخية في الكويت. . وعن مطالبته بمنفذ على البحر. . فان السبب الرئيسي الذي عجل بهذه الحرب، هو رغبة العراق في الدفاع عن سعر النفط في السوق العالمي، والتصدي لما تقوم به امريكا والدول الغربية من نهب لثروات دول المنطقة. وهذه الأهداف تصب جميعها في مصلحة الاتحاد السوفيتي. فالنفط كان يباع في السوق العالمية بسعر يصل الى 14 دولار للبرميل نتيجة سيطرة أمريكا على الدول الخليجية المنتجة للنفط، في حين ان السعر العادل الذي يجب ان يباع به اذا ما قورن بمصادر الطاقة الأخرى، كان يجب الا يقل عن 40 دولار للبرميل. بل إن بعض خبراء الاقتصاد والنفط يرون أن سعر الطاقة المولدة من النفط لن يرتفع عن سعر الطاقة المولدة من مصادر أخرى، الا اذا تجاوز سعر النفط 50 دولارا للبرميل.[34] وهذا يعني أنه لو ساند الاتحاد السوفيتي صدام حسين في موقفه من أجل الدفاع عن سعر النفط في السوق العالمية، وافترضنا أن سعر النفط في السوق العالمية ارتفع الى 40 دولار للبرميل (وليس الحد الاقصى الذي يقدر بـ 50 دولار للبرميل). . . فان الاتحاد السوفيتي في هذه الحالة يزداد دخله القومي بحوالي 109 مليار دولار سنويا (26 دولار ارتفاع في سعر البرميل × 11.5 مليون برميل يوميا × 365 يوم في السنة).[35] وفي مقابل هذه الزيادة في الدخل

القومي للاتحاد السوفيتي، فان امريكا والدول الصناعية المستوردة للنفط ستتحمل خسائر مباشرة نتيجة ارتفاع سعر النفط، تقدر باكثر من 200 مليار دولار سنويا. . . وذلك بالاضافة الى الخسائر الغير مباشرة الناتجة عن ارتفاع سعر الطاقة والتي ستؤدي حتما الى بطء النمو الاقتصادي أو توقفه في تلك الدول.

ولكن ما هو السناريو الذي كان يمكن ان يحدث لو ان الاتحاد السوفيتي ساند العراق في موقفه؟ لو أن الاتحاد السوفيتي وقف الى جانب العراق خلال تلك الازمة، لما استطاعت امريكا أن تستخلص من مجلس الأمن الدولي القرار 660 والقرارات التي تلته. . تلك القرارت التي تعتمد عليها امريكا في كل ما تقوم به من اجراءات ضد العراق. . وبدون تلك القرارات لفكرت امريكا ألف مرة قبل أن ترسل قواتها وقوات دول حلف الأطلسي الى منطقة الخليج على حساب المسرح الاوروبي الذي اصبح شبه خال من القوات نتيجة القوات التي سحبت منه. وحتى لو افترضنا ان امريكا سلكت الطريق الخطر وحشدت قواتها في منطقة الخليج، فلو ان الاتحاد السوفيتي وقف الى جانب العراق فما كان في استطاعة قوات التحالف أن تهزم العراق. . حيث أن الاتحاد السوفيتي كان في استطاعته أن يمد العراق بوسائل دفاع جوي حديثة يمكن أن تجرد قوات التحالف من عنصر التفوق الذي كانت تتمتع به ضد العراق. . كما أن الاتحاد السوفيتي كان في استطاعته أن يجعل العقوبات الاقتصادية التي تفرضها دول التحالف على العراق ـ خارج قرارات الأمم المتحدة ـ عديمة القيمة، وذلك بقيامه بامداد العراق بما يحتاج اليه من مواد غذائية وقطع غيار الخ. وباختصار شديد فان وقوف الاتحاد السوفيتي الى جانب العراق، كان سيؤدي حتما الى منع قيام الحرب، والى امكانية المساومة للتوصل الى حل سلمي يكون أهم بند فيه هو الدفاع عن سعر النفط بحيث يصبح سعره يتعادل مع سعر مصادر الطاقة الأخرى.

ولكن غيبة هاتين الحقيقتين عن جورباتشوف، وتلهفه وحرصه على ارضاء امريكا، أدت به في النهاية الى أن يبيع مواقف الاتحاد السوفيتي بثمن بخس، وصل أحيانا الى حد الاهانة العلنية المتعمدة. ففي المؤتمر الصحفي الذي حضره كل من الرئيس الامريكي بوش والرئيس السوفيتي جورباتشوف عقب

لقائهم في هلسنكي في 9 سبتمبر 90، قال بوش أمام الصحفيين أنه سيشير على الكونجرس بضرورة تقديم مساعدات اقتصادية امريكية للاتحاد السوفيتي، تسمح بضمان نجاح البيروسترويكا التي ينتهجها جورباتشوف في بلاده. . . مما دفع جورباتشوف الى التعليق على ما قاله بوش بالقول «إن التعاون السوفيتي غير قابل للبيع. ولا أريد أن يفهم من تصريح الرئيس بوش أن الاتحاد السوفيتي قام بربط موقفه بالمبلغ الذي سيحصل عليه من الولايات المتحدة». [36] هذا ما قاله جورباتشوف. *ولكن الحقيقة المحزنة هي أن جميع القرارات السوفيتية خلال تلك الأزمة كانت ترتبط بما يحصل عليه من مساعدات مالية. ففي يوم 28/11/1990 أعلن وزير الخارجية السعودي الذي كان يزور موسكو أن المملكة السعودية منحت الاتحاد السوفيتي قرضا بشروط ميسرة قيمته 4 000 مليون دولار. وفي يوم 29/11/1990 صوت الاتحاد السوفيتي في مجلس الأمن الدولي على القرار 678 الذي يجيز لقوات التحالف استخدام القوة ضد العراق. وفي وقت لاحق حصل الاتحاد السوفيتي على قرض من الكويت قيمته 1 000 مليون دولار. وفي 14 ديسمبر 90 حصل على تسهيلات من امريكا بقيمة 1 000 مليون دولار. وفي 6 مارس 91، حصل على تسهيلات من مجموعة الدول الأوروبية بمبلغ 1 000 مليون دولار. وبذلك يكون اجمالي ما حصل عليه الاتحاد السوفيتي كثمن لموقفه ضد العراق هو 7 000 مليون دولار. وهذا المبلغ ليس كهبة ولكن كقروض ميسرة وتسهيلات !! فما أرخص الثمن الذي باع به الاتحاد السوفيتي نفسه !!*

الـــموقف الايـــراني

وصية الخميني

17/6/89، نشرت صحيفــة كيهـان العـربي (الايرانية) وصية الامـام الراحل آية الله روح الله الموسوي الخميني. [37] وقد جاء في هذه الوصية ما يلي:

«أطلب من الشبان الفتية والفتيات أن لا يبيعوا الاستقلال والحرية والقيم الانسـانية بما يعـرضه عليهم الغرب وعملاؤه الخونة من زخرف الدنيا وتحلل وانغماس في مراكز الفحشاء والبغاء، ولو كلفهم ذلك تحمل الأذى. فالغرب وعمـلاؤه، وكما اثبتت التجارب، لا يريدان لكم سوى الضياع والغفلة عن مصير بلدكم، لينهبا ثرواتكم ويجروكم إلى ذل التبعية والأسر الاستعماري. وتحويل شعبكم وبلدكم الى سوق استهلاكية... والتهاون في امور المسلمين هو من الكبـائـر التي لا تغتفر. فالواجب على كل فرد، أن يكون في خدمة الاسـلام والمسلمين قدر استطاعته، وفي نطاق تأثيره. وأن يسعى بحزم لمنع توغل المرتبطين بقطبي الاستعمار، وتوغل المتغربين أو المتشرقين والمنحرفين عن مدرسـة الاسلام العظيم. وليعلم أن دأب القوى الكبرى والسراق الدوليين وهم أعداء الاسلام والبلدان الاسلامية، أنهم يتوغلون شيئا فشيئا وبلطائف الحيل إلى بلدنـا والبلدان الاسـلامية، ليجـروا الشعوب والبلدان الى شباك استغـلالهم بأيدي أبنـائهـا أنفسهم، فيجب أن تكـونـوا راصيدين بيقـظة لتحـركاتهم. وفور الاحساس بخطوة التوغل الأولى انتفضوا للمواجهة. فلا تمهلوهم والله ناصركم وحافظكم».

«وتذكروا مقولة المرحوم مدرس هذا العالم المؤمن النقي السيرة حيث قال في مجلس الشورى انذاك: اذا كان يجب أن ندمر فلماذا نفعل ذلك بأيدينا. وانا أيضا وبذكرى هذا الشهيد في سبيل الله أقول لكم أيها الاخوة المؤمنون، إن استئصالنا من قبل الأيدي المجرمة الامريكية الروسية، ولقاءنا الله مخضبين بدم الكرامة هو خير من أن نعيش مترفين في ظل الجيش الشرقي الأحمر أو الغربي الأسود».

«وصيتي لمسلمي العالم ومستضعفيه كافة هي يجب الا تقعدوا بانتظار أن يهبكم الحرية والاستقلال حكام بلدانكم، والمتصدون للأمور فيها، أو تهبكم ذلك القوى الأجنبية. لقد رأينا ورأيتم - لا سيما في القرن الأخير الذي شهد توغل القوى الكبرى الناهبة للعالم ودخولها المرحلي للبلدان الاسلامية وعموم البلدان الصغيرة - رأينا ورأيتم أن الحكومات المتسلطة على تلك البلدان، بادرت بنفسها لممارسة الظلم والقمع لشعوبها. وكل ما فعلته كان من أجل مصالحها الشخصية أو الفئوية أو من أجل رفاهية فئة من المترفين والأعيان... تلك الحكومات قد نصبتها القوى الكبرى لتجند كل طاقاتها من أجل ربط البلدان والشعوب بها، وتحويل البلدان بمكائد شتى الى أسواق للشرق والغرب. *فانتفضوا يا مستضعفي العالم، ويا أيتها البلاد الاسلامية. ويا أيها المسلمون. وانتزعوا الحق بقوة. ولا ترهبوا ضجيج دعايات القوى الكبرى وعملائها. واطردوا من بلدانكم الحكام الجناة الذين يسلمون حصاد كدحكم لأعدائكم وأعداء الاسلام العزيز. وأمسكوا أنتم والمؤمنون العاملون لخدمة الشعب بزمام الأمور. والتفوا جميعا حول راية الاسلام المجيدة. وانتفضوا مدافعين في مواجهة أعداء الاسلام ومحرومي العالم*».

«هذا الزمان هو زمان تعرض العالم الاسلامي لشتى اشكال الظلم على أيدي أمريكا وروسيا وسائر وعملائها، ومنهم آل سعود خونة الحرم الالهي العظيم عليهم لعنة الله وملائكته ورسله».

المؤلف: *ان من يقرأ وصية الخميني ثم يجري مقارنة بين تصرفات صدام حسين وبين تصرفات القيادة الايرانية خلال أزمة الخليج، لابد وأن يتساءل في دهشة. أي الطرفين كان أكثر التزاما بما جاء في الوصية ؟*

الموقف قبل اندلاع الأزمة

8/ 9/ 84، صدر بيان ايراني سوري جاء فيه أن سوريا وايران تؤكدان أهمية النضال المشترك لمواجهة مخططات الصهيونية والامبريالية الامريكية... ويؤكد البلدان استمرار تعاونها من أجل اسقاط اتفاقية كامب ديفيد.. ويدينا المحاولات الهادفة لفك العزلة عن مصر. وقد اتفق البلدان على النضال المشترك من أجل تحرير كامل الأراضي العربية المحتلة، ولضمان الحقوق

الــوطنيــة للشعب الفلسـطيني بما في ذلـك بنـاء دولتـه المستقلة على أرض فلسطين». [38] (المؤلف: هل يعني النضال المشترك ضد الامبريالية والصهيونية أن تقاتل القوات السورية ضمن صفوفهم ضد العراق، وأن تقف ايران موقف اللامبالاة الذي يصل الى حد الشماتة، بينما كان العراقيون يذبحون تنفيذا للمخططات الامبريالية والصهيونية ؟ وهل ما زال الطرفان يعملان على اسقاط كامب ديفيد وادانة المحاولات التي تهدف الى فك العزلة عن مصر، بعد أن أعاد النظام السوري علاقته مع مصر، وبعد أن أصبحت ايران هي الأخرى تسعى الى اعادة العلاقات مع نظام كامب ديفيد في مصر ؟).

86/11/5، أذاع راديو طهران حديثا لرئيس الوزراء الايراني مير حسين موسوي قال فيه «ليس هناك أي احتمال باجراء مفاوضات بيننا وبين امريكا، وذلـك بسبب الجرائم التي ارتكبتها امريكا ضد الثورة الاسلامية وان اقامة علاقة مع امريكا مثلها كمثل العلاقة بين الذئب والحمل». [39]

1987/8/2، خطب حجة الاسلام رفسنجاني رئيس مجلس الشورى في الجموع المحتشدة خارج مبنى البرلمان، بان ايران سوف تنتقم من السعوديين ومن الامريكيين لمقتل الحجاج الايرانيين يوم 31 يوليو 1978 (كان الحجاج الايرانيون قد مشوا في تجمعات أثناء قيامهم بتأدية مناسك الحج عام 1407 هجرية، وهم يهتفون هتافات عدائية ضد امريكا واسرائيل ويصفونها بأنها أعـداء الاسـلام والمسلمين. وقد تدخلت قوات الأمن السعودية، فقتل من الحجـاج 402 وجـرح 669 طبقا للأرقام الرسمية السعودية. وكان من بين القتلى 275 حاج ايراني. وتعتقد السلطات الايرانية أن أمريكا كانت وراء هذا المخطط. وتبرر السلطات السعودية تدخلها بأنه لا يجوز استخدام موسم الحج في القيام بأنشطة سياسية.. بينما يرى الايرانيون انه من واجب المؤمنين أن يبينوا للناس من هم أعداء الاسلام والمسلمين). ***وأقسم رفسنجاني بأن ايران سوف تقتلع آل سعود من المنطقة. واتهم الولايات المتحدة بأنها كانت وراء المخطط الذي أدى الى مقتل الحجاج الايرانيين. وأعلن ان هذا اليوم هو يوم كراهية وبغض ضد امريكا***. [40] فهل ما زالت ايران مصرة على اقتلاع العائلة الحاكمة السعودية بعد أن أعادت معها العلاقات الدبلوماسية اعتبارا من 20 مارس 1991 ؟ وبعـد أن قررت استئناف ارسال الحجاج الايرانيين الى الأراضي

المقدسة في موسم الحج لهذا العام (1411 هجرية / 1991 ميلادية) بعد مقاطعة امتدت ثلاث سنوات متتالية؟ وبعد أن اصبحت شعارات «الموت لامريكا: مارج بار امريكا» لا تكاد ترى أو تسمع في المدن الايرانية.

10 سبتمبر 1987، (الموافق أول محرم عام 1408 هجرية). ألقى الامام آية الله الخميني خطابا، صب فيه جام غضبه على حكام السعودية فوصفهم بالالحاد. وقد جاء في خطابه ما يلي «***قد أصفح عن امريكا الشيطان الاكبر. وقد أصفح عن صدام حسين. ولكني لا يمكن أن أصفح عن السعوديين الملحدين. سوف ننتقم لدماء شهدائنا. ولن يكون ذلك باقل من اسقاطهم من الحكم***».[41]

11/4/88، أذاع راديو طهران، حديثا للأمام آية الله الخميني قال فيه «سيذهب الى الحج هذا العام باذن الله 150 000 حاج ايراني. وسيقومون بتنفيذ التزاماتهم الدينية بالاعلان عن عدائهم وسخطهم ضد امريكا واسرائيل».[42] ولكن الحجاج الايرانيون قاطعوا الحج لمدة ثلاث سنوات احتجاجا على تدخل السعودية في تحديد عدد الحجاج، وعلى ضرورة الالتزام بعدم القيام بهتافات معادية لامريكا واسرائيل في موسم الحج. ولكن في ظل القيادة الايرانية الجديدة تم التوصل الى حل وسط بينها وبين السلطات السعودية حول استئناف الايرانيين للحج عام 1411 هجرية (يونيو 1991). فالايرانيون أحرار في أن يهتفوا بما يشاؤا داخل منطقة تجمعهم، ولكنهم ممنوعون من ان يسيروا بمظاهرات عامة تمر خلال جموع الحجاج من البلاد الأخرى.

5 مايو 1989، قال حجة الاسلام / هاشمي رفسنجاني رئيس البرلمان الايراني في خطبة الجمعة التي القاها في جامعة طهران ما يلي «***ان الطريق الوحيد الذي يتحتم على الفلسطينيين أن يسلكوه لايقاف عمليات القمع التي تمارسها اسرائيل ضدهم في الأراضي المحتلة في الضفة الغربية وقطاع غزة، هو أن يقوموا بقتل 5 من الأمريكيين والانجليز والفرنسيين مقابل كل فلسطيني تقتله السلطات الاسرائيلية داخل الاراضي المحتلة***. فهؤلاء الذين يدفعون لاسرائيل 10 مليار دولار، وهم يعلمون ويسكتون على ما تفعله اسرائيل في الفلسطينيين، يجب أن تهدر دماؤهم. وهم موجودون بكثرة في جميع انحاء العالم

وفي متناول يد الفلسطينيين خارج اسرائيل . ومن حق الفلسطينيين أن يخطفوا الطائرات، ويحتفظوا بالرهائن، لكي يرغموا اسرائيل على أن تفرج عن زملائهم المعتقلين» . وكان واضحا أن رفسنجاني يرد بذلك على تصريحات ياسر عرفات، بالغاء ميثاق منظمة التحرير الفلسطينية والاعتراف بحق اسرائيل في الوجود. ولكن ياسر عرفات سارع بالرد على رفسنجاني يوم 7 مايو قائلا «أرفض ذلك رفضا باتا».

1/8/89، 8/8/89، 15/8/89، نشرت صحيفة كيهان العربي سلسلة من ثلاث مقالات مزودة بالوثائق تحت عنوان «شياطين الجزيرة وصفحات من ملف جرائم آل سعود». وقد عالجت هذه المقالات الثلاث تاريخ آل سعود والوهابيين منذ منتصف القرن الثامن عشر وحتى عام 1987 .
وقد اعتبرهم كاتب المقال أنهم يسيرون على نفس خطى الخوارج إن لم يكونوا أكثر خروجا على تعاليم الاسلام . وأنهم يريدون فرض عقيدتهم على الآخرين. وان شعارهم هو الوهابية أو السيف. وأنهم سيطروا على الجزيرة العربية نتيجة تعاونهم مع الانجليز. وقد وجه كاتب هذه المقالات ـ حسن السعيد ـ اتهامات خطيرة ضد آل سعود وضد الوهابيين، نذكر منها:

- آل سعود جعلوا من شبه الجزيرة العربية وهي أرض المقدسات ومهبط الوحي، قاعدة متقدمة لأعداء الاسلام من صليبيين وماسونيين.
- ان الوهابية بجناحيها السياسي الذي يحتله آل سعود، والروحي الذي يحتله آل الشيخ وهم أحفاد محمد بن عبد الوهاب، جنت على الاسلام والمسلمين من جرائم وآثام ومجازر تتصاغر أمامها جرائم الخوارج والقرامطة وأمثالهم مجتمعة.
- الوهابيون غزوا مدينة الرسول الكريم ﷺ في عام 1807 . وما ان احتلوها حتى مارسوا هوايتهم المعروفة في النهب والسلب، ومنع الناس من زيارة النبي ﷺ، وهدم قبور أئمة البقيع.
- عندما اندلعت الحرب العالمية الأولى، أرسلت تركيا وفدا برئاسة أحد علماء الدين هو السيد محمد شكري الألوسي الى عبد العزيز بن سعود أمير نجد. وأن ابن سعود قال للوفد أنه من أشد الناس حرصا على نصرة الدولة

العثمانية. وأنه يفديها بروحه وأولاده وبكل ما يملك... بينما كان في نفس الوقت يتآمر ضدها.

- وفي عام 1923 (1341 هجرية) التقى الوهابيون بقافلة الحجاج اليمنيين التي كانت تضم 1000 حاج. وبعد أن أعطوهم الأمان غدروا بهم وقتلوهم وسلبوا كل ما كان معهم. ولم ينج من هذه المجزرة سوى اثنان فقط.

- وبعد أن اختلف شريف مكة (الشريف حسين) مع الانجليز حول مستقبل المنطقة العربية بعد هزيمة تركيا في الحرب... وبعد أن ذكرهم بوعودهم بانشاء دولة عربية واحدة يكون هو على رأسها ـ وهو الوعد الذي لم يفكر الانجليز قط أن ينفذوه ـ قرر الانجليز التخلص من الشريف حسين، فسلطوا عليه عبد العزيز بن سعود. فزحف على الطائف واحتلها عام 1924، وأعملوا في أهلها السيف فقتلوا الرجال والنساء والأطفال حتى قتلوا منها ما يقرب من الفين بينهم العلماء والصلحاء. وعملوا النهب وارتكبوا فيها من الفظائع ما تقشعر له الأبدان.

- وانهم عندما دخلوا مكة في 16 اكتوبر 1925، انطلقوا الى دور الحكومة والاشراف فنهبوها وعرضوها للبيع، وهدموا القباب بما فيها القبة المقامة على قبر أم المؤمنين خديجة. وانهم دخلوا المدينة المنورة في 6 ديسمبر 1925، وفعلوا بها ما فعلوا في مكة، ولكنهم ترددوا في هدم قبور أئمة أهل البيت والصحابة طيلة أربعة اشهر، إلى أن هدموها هي الأخرى في منتصف ابريل 1926.

- لقد أقام السعوديون دولتهم الاولى 1744 ـ 1815، وانتهت بالقضاء عليها بواسطة محمد علي باشا حاكم مصر. وارتكبوا خلال دولتهم الأولى الكثير من الجرائم والفظائع. ثم أقاموا دولتهم الثانية 1824 ـ 1891، وكانت جرائمهم خلال تلك الحقبة أقل مما ارتكبوه خلال دولتهم الأولى، وكانت تقتصر على غزو القبائل ونهب وسلب أهلها وسبي نسائها. ثم كانت دولتهم الثالثة التي بدأت 1902 باستيلاء عبد العزيز بن عبد الرحمن على الرياض وانتزاعها من حكم آل الرشيد. غير أن هناك قاسماً مشتركاً يضم مراحل الحكم الثلاث. ذلك هو عمالتهم وتبعيتهم للمستعمر الكافر على

طول الخط. وكان في البداية يتمثل بانقيادهم الى أوامر بريطانيا. ثم آلت الامور إلى أن يصبحوا خدما لامريكا ومخططاتها بعد الحرب العالمية الثانية».

والسؤال الذي يطرح نفسه هو «اذا كانت الزعامة الايرانية مقتنعة بأن حكام آل سعود على هذا القدر من الخيانة... وانهم ارتكبوا كل هذه الفظائع - وان كنا لم نذكر الا مقتطفات مما ورد في تلك المقالات الثلاث التي يصل عدد كلماتها الى حوالي 5 000 كلمة - فكيف يتفقون معهم اليوم، ويعيدون معهم علاقاتهم الدبلوماسية؟ وأرجو الا تكون الاجابة بان الصحافة حرة وأن صحيفة كيهان حرة في أن تكتب ما تريد... لأن ذلك سيقودنا الى سؤال آخر وهو، لماذا توقفت مجلة كيهان عن التهجم على آل سعود بعد ان تم الاتفاق يوم 18 مارس 91 بين ايران والسعودية، على إعادة العلاقات الدبلوماسية بين البلدين. ***الحقيقة المرة هي أن الأنظمة الحاكمة الحالية في الدول الاسلامية تبالغ بالتمجيد اذا أحبت، وتبالغ بالتشهير اذا كرهت. وهم ينسون أن التاريخ يسجل ما يقولون. وأنهم يفضحون بعضهم بعضا. فليس من بينهم اليوم من يستطيع ان يفتخر على الآخرين بانه أطهر ذيلا من الآخرين.***

28 تموز (يوليو) 1990، نشرت صحيفة كيهان العربي ما جاء في خطاب الجمعة الذي ألقاه حجة الاسلام والمسلمين (هذا هو اللقب الذي أوردته الصحيفة المذكورة) هاشمي الرفسنجاني رئيس الجمهورية الايرانية. وقد جاء فيه أن الشيخ الرفسنجاني ***«أشار الى خيانة بعض دول الخليج الفارسي. وأن هذه الدول بسبب اعتمادها على الغرب، تقدم ثرواتها مجانا لها وتخون الآخرين.*** إنه يجري يوميا تصدير حوالي 30 مليون برميل من قبل أعضاء أوبك وخارج أوبك الى الدول الصناعية. واذا فرضنا أن كل برميل يباع بعشرة دولارات أرخص من سعره الحقيقي، فانه يعني ان 300 مليون دولار من ثروات الشعوب المحرومة والمستضعفين ومسلمي العالم تذهب يوميا في جيوب الرأسماليين المعتدين في الدول المتطورة، وان رقما يبلغ اكثر من 100 مليار دولار سنويا يعود لصالح تلك البلدان.. ولو ان هذا النفط كان ملك الدول الصناعية والاستعمارية لباعوه لنا بالتأكيد بسعر 100 الى 200 دولار للبرميل. ومن جانب آخر، فاننا نرى بأن الدول المتطورة تقوم باعطاء مساعدات على

شكل قروض ضئيلة لا تتجاوز بضعة ملايين من الدولارات، وذلك لفرض الاستسلام على البلدان المقترضة مما يتعارض واستقلالها، ثم اجبار هذه الدول على اعطاء الامتيازات. . ومن خلال محاسبة بسيطة، يتبين لكافة الناس بان الاستكبار جعل ثروة العالم الاسلامي وسيلة لجعل العالم الثالث تحت هيمنته. ويتضح عمق الكارثة، حين ينكشف لنا ان المبالغ الزهيدة التي تدفع الينا من خلال بيع نفطنا تسلم كسلع صناعية تفرض باضعاف أسعارها الحقيقة. *ويتضح لنا مما تقدم مدى الخسائر الرهيبة التي الحقتها دول الخليج (الفارسي) الصغيرة لدول العالم الثالث والعالم الاسلامي. وذلك بانتاجها الكثير من النفط وبيعه بأسعار أرخص. كما يتوضح أيضا مدى الخدمة العظيمة التي قدمتها هذه الدول لأسيادها المستعمرين». (المؤلف: اليس هذا يا حجة الاسلام والمسلمين ما كان يقوله صدام حسين، وإن استخدم ألفاظا اخرى ؟ وأليس هذا هو السبب الرئيسي الذي من أجله شن صدام حسين الحرب بهدف تصحيح تلك الأوضاع، واسترجاع ثروات الشعوب من ناهبيها ؟)*

الموقف عند بداية الأزمة

عندما قام العراق بغزو الكويت في 2 اغسطس 90، كان قد مضى عامان على وقف اطلاق النار بين العراق وايران، على أساس قبول الطرفين لقرار مجلس الأمن الدولي رقم 598. ولكن كانت هناك خلافات بين العراق وايران حول تفسير القرار. وأهم هذه الخلافات هي السيطرة على شط العرب. كانت ايران تتمسك بما جاء في المعاهدة الموقع عليها بين العراق وايران في الجزائر في 5 مارس 1975، والتي تنص على أن الحدود بين البلدين هو المجرى الأكثر عمقا داخل شط العرب، وبالتالي فان السيادة على شط العرب تكون مشتركة بين العراق وايران. . اما العراق فكان يرى أن الحرب العراقية الايرانية قد أسقطت هذه المعاهدة وان العراق يجب أن يسترد سيادته على شط العرب كما كان الحال عليه قبل 5 مارس 75. وكان الخلاف حول هذه النقطة يعرقل التوصل الى مناقشة الحلول بالنسبة للنقاط الأخرى. . . والتي كانت تشمل تبادل الاسرى وانسحاب قوات كل من البلدين الى الحدود الدولية التي كانت قائمة قبل اندلاع الحرب بين البلدين في 22 سبتمبر 1980.

كانت المدافع قد سكتت، ولكن النفوس لم تكن قد هدأت بعد. فقد خلفت هذه الحرب الضروس التي استمرت 8 سنوات خسائر بشرية ومادية كبيرة جدا. دون أن يحقق أي من الطرفين مكسبا يمكن أن يكون مبررا لتلك الخسائر الجسيمة. ولا أحد يعرف على وجه التحديد الدقيق حجم الخسائر التي تحملها كل طرف. ولكن أقرب التقديرات الى الصحة هي أن الخسائر البشرية تقدر بحوالي 000 300 بالنسبة للعراق وحوالي 000 800 بالنسبة لايران، وان تكاليف الحرب بالنسبة لكل منهما تقدر بحوالي 150 مليار دولار دون احتساب تكاليف اعادة بناء ما دمرته الحرب والذي يقدر بحوالي 60 ـ 100 مليار دولار لكل من الدولتين. [45] اما اذا أضيف الى هذه الارقام الخسائر الناتجة عن تعطيل الانتاج فان الارقام تزيد عن ذلك كثيرا. وعلى سبيل المثال، فان ايران اعلنت عام 1984، أن خسائرها حتى مارس 83 فقط وصلت 163 مليار دولار من بينها حوالي 103 نتيجة تعطيل الانتاج (7. 53 في قطاع الانتاج البترولي + 7. 40 في قطاع الانتاج الزراعي + 2. 8 في قطاع الانتاج الصناعي). *وفي يوم 6 يناير 91 أعلن رفسنجاني أن خسائر ايران في الحرب مع العراق تتراوح بين 600 ـ 000 1 مليار دولار.* [46] *ولكنني اعتقد أن هذا الرقم مبالغ فيه بشكل كبير لسببين رئيسيين. السبب الأول هو تبرير الموقف السلبي الذي اتخذته ايران تجاه الهجوم الامريكي الصليبي ضد العراق. والسبب الثاني هو الأمل في امكانية حصول ايران على جزء من هذا المبلغ كتعويضات حرب من العراق.* وقد تأكد ذلك عندما رفضت ايران اعادة الطائرات العراقية التي لجأت اليها اثناء الحرب، وعندما ادعت أن عدد هذه الطائرات هو اقل بكثير من الحقيقة. فالعراق يدعي أن عدد تلك الطائرات هو 148 منها 115 طائرة عسكرية. أما ايران فهي تدعي أن عدد الطائرات العسكرية حوالي 22 طائرة وعدد من الطائرات المدنية. [47]

كان الرئيس الايراني رفسنجاني منذ أن تولى السلطة في ايران، يحاول أن ينتهج سياسة انفتاح على الدول الغربية. وكان يخطو في هذا الاتجاه بحذر شديد... حيث أن الشعب الايراني كان قد تأصل في أعماقه طوال عشر سنوات من عمر الثورة الاسلامية كراهيته الشديدة لأمريكا وعملائها في المنطقة... بصفتهم أعداء للاسلام وللمسلمين، وبسبب موقفهم المؤيد ـ أو

المتعاطف ـ مع العراق خلال حربه ضد ايران. ولكن لم يكد يمر عام واحد على وجود رفسنجاني في السلطة حتى انقلبت الأمور. فاذا بامريكا والدول الغربية، والدول العربية التي كان الايرانيون يتهمونها بالعمالة، يتجمعون كلهم في حشد كبير ضد صديقهم السابق صدام حسين. لقد وجدت الزعامة الايرانية نفسها أمام موقف اختبار صعب. ان شعارات الموت لأمريكا (مارج بار أمريكا) ما زالت تغطي جميع الجدران والشوارع في ايران. وتصريحات المسؤولين الايرانيين والصحف الايرانية ما زالت تتهم الدول الخليجية بالعمالة وانهم يضخون نفطا زائدا بهدف تخفيض أسعاره حتى تستفيد من وراء ذلك الدول الامبريالية. وان ما قام به صدام حسين في اغسطس 1990، يتطابق تماما مع وصية الخميني ومع جميع الشعارات التي رفعتها الثورة الاسلامية. فهل تقف ايران الى جانب المبادىء فتساند العراق الذي يتصدى للشيطان الأكبر والشياطين الأخرى التي تقف معه؟ أم تترك هؤلاء الشياطين يدمرون صدام حسين ونظامه بعد أن عجزت هي عن تدميره خلال حرب امتدت 8 سنوات؟

لو أن العقيدة الاسلامية الحقة كما وردت في الكتاب والسنة هي التي تملي على القيادة الايرانية ما يجب وما لا يجب عمله، لانحازت ايران فورا الى جانب العراق ضد كل من سبق لها ان وصفتهم بالشياطين والعملاء. ولكن الجراح التي خلفتها الحرب بين البلدين كانت لم تندمل بعد. فبالرغم من أن وقف اطلاق النار بين البلدين، كان قد مضى عليه سنتان، الا أن العراق كان ما زال يحتل حوالي 2 600 كيلومتر مربع من الأراضي الايرانية. وكان ما زال يرفض الاعتراف بمعاهدة الجزائر 1975.. وكان ما زال يرفض تبادل الأسرى. وكان هناك من يرى أن ايران لا يجب عليها أن ترمي وراء ظهرها بكل تلك الخلافات التي ما زالت عالقة بينها وبين العراق. وللأسف الشديد فقد تغلب هذا الرأي... وهذا يعني أن القيادة الايرانية، قد أعطت الأسبقية للمصالح القطرية والدنيوية على المبادىء والعقيدة الاسلامية.

تدخلات الفريق الشاذلي (المؤلف)

كنت أراقب ما يحدث من تغيرات على الساحة الدولية وفي منطقة الشرق الأوسط. وكنت أستشف الأحداث ـ بعون الله ـ قبل حدوثها، نتيجة اجراء تحليلات استراتيجية وسياسية. فقد تنبأت بالغزو العراقي للكويت قبل حدوثه

بسنتين، وتنبأت بأن أمريكا والدول الغربية ستتدخل ضد العراق. وفي خلال شهر ابريل ومايو بدأت أحس باقتراب الكارثة. فكتبت مقالا عن ذلك في مجلة الجبهة التي صدرت في أول يوليو 1990 (المجلة تصدر كل شهرين وتسلم جميع مواد العدد الى المطبعة وهي مكتوبة على الآلة الكاتبة قبل ميعاد صدور المجلة بشهر كامل. أي أن العدد 86 سلم كاملا الى المطبعة في آخر مايو 1990). كان عنوان المقال هو «التصالح بين العراق وايران هو الرد الحاسم على مؤامرات الامبريالية والصهيونية». [48] وعالجت في هذا المقال نقطة الخلاف الرئيسية التي تعوق هذا التصالح وهي موضوع السيادة على شط العرب واين يكون خط الحدود بين البلدين في هذا المجرى المائي. وقلت ان الخط الملاحي الذي يمر في اعمق مجرى داخل الشط Thalweg Line ، هو أنسب الحلول لحل هذه المشكلة. فهذا الحل يتماشى مع مبادىء القانون الدولي، ومع معاهدة الجزائر 1975.

بعد الاستماع الى قرار الرئيس الأمريكي في الساعة 00 13 يوم 90/8/8، الخاص بارسال قوات امريكية الى منطقة الخليج، اتصلت بالقائم بالاعمال الايرانية في الجزائر - حيث أن السفير الايراني بالجزائر كان قد نقل ولم يصل بعد السفير الجديد - ودعوته لمقابلتي. استقبلت القائم بالأعمال في مقر اقامتي بالجزائر مساء نفس يوم 8 اغسطس 90. قلت له، تعرفون موقفي من الحرب العراقية الايرانية، وأنني كنت متعاطفا معكم. قال نعم واننا نقدر لكم ذلك الموقف الشجاع، ونحن نطلع على كل ما تكتبونه في مجلة الجبهة. قلت له، وتعرفون انكم دعوتموني لزيارة طهران أثناء الحرب واعتذرت. ودعوتموني للزيارة مرة أخرى بعد وقف اطلاق النار وأنني اعتذرت أيضا عن تلبية تلك الدعوات. قال نعم نعلم ذلك. قلت له، كنت أتعاطف معكم على أساس قناعتي بأن صدام حسين هو الذي بدأ الحرب، وأنه وقع في الفخ الذي أوقعته فيه أمريكا وعملائها في المنطقة بهدف تدمير الدولتين الاسلاميتين. أما اليوم فان أمريكا التي تطلقون عليها الشيطان الأكبر، والدول الخليجية التي تتهمونها بالخيانة والعمالة لأمريكا والدول الغربية، يتآمرون ضد العراق بهدف تدميره وفرض الهيمنة الامبريالية على المنطقة. وكل جريمة صدام حسين هي أنه يريد أن يتصدى لتلك الهيمنة ويدافع عن سعر النفط في السوق العالمية، وهي نفس

الأهداف التي تطالبون بها. قال نعم ولكننا لا نقر احتلال العراق للكويت، لأن ذلك يعني أن كل دولة قوية تستطيع أن تبتلع جارتها الأضعف، ثم أنه ما زال هناك مشاكل كثيرة معلقة بيننا وبين العراق لم تحل. قلت له هذه مواضيع يمكن الحوار حولها، ولكن الخطر الاكبر الذي يواجه المسلمين جميعا اليوم، هو أن أمريكا تريد فرض هيمنتها على المنطقة. فاذا لم نقف جميعا مع العراق، ونجحت أمريكا في تدمير العراق فان الصحوة الاسلامية التي ازدادت قوة بنجاح الثورة الاسلامية في ايران ستصاب بنكسة قد تدفعها الى الوراء عشرات السنين. واعلموا جيدا أن أمريكا اذا نجحت في تدمير العراق، فان ضربتها التالية ستكون في اتجاه ايران. . . حيث أن الاستراتيجية الأمريكية لا تقبل مطلقا أن يتم تدمير العراق مع بقاء القوة الايرانية على ما هي عليه. لأن ذلك يعني ظهور ايران كقوة عظمى اقليمية، يمكن أن تتصدى للمصالح الأمريكية في المنطقة، بنفس القدر الذي يتصدى به العراق حاليا لتلك المصالح. واذا كان العراق يمثل الثور الأبيض في كتاب كليلة ودمنة ـ الذي نقلناه الى العربية عن طريق الأدب الفارسي ـ فان ايران تمثل الثور الأسود، وسوريا تمثل الثور الأحمر. فاذا لم تتحد الثيران الثلاثة فان الوحش الأمريكي سوف يفترس الثلاثة الواحد تلو الأخر. أما اذا اتحدت تلك الثيران الثلاثة فان الوحش الأمريكي لن ينجح في تحقيق مخططه. أرجو أن تقوم بابلاغ ذلك الى الزعماء الايرانيين اخواننا في الاسلام، مع اخطارهم بانني على استعداد للسفر الى طهران للاستماع الى وجهة نظرهم حول تسوية المشاكل المعلقة بينهم وبين بغداد.

في الساعة 00 11 من اليوم التالي 90/8/9، كنت استقبل سفير العراق بالجزائر. وكنت قد اتصلت به تليفونيا في مساء اليوم السابق بعد انتهاء لقائي مع القائم بالأعمال الايراني، ودعوته لهذا اللقاء. وكان هذا السفير، قد وصل الى الجزائر منذ بضعة شهور. وعندما تعرفت به لأول مرة بالصدفة في احدى الحفلات، أبدى لي اعتذاره عن موقف السفير العراقي السابق بالجزائر تجاهي نتيجة لما أكتبه في مجلة الجبهة عن الحرب العراقية الايرانية. فقد كانت العلاقة بيني وبين السفير العراقي السابق قد ساءت الى الحد الذي دفع بهذا السفير الى ابلاغ باقي السفراء العرب بالجزائر بأنه سوف يقاطع أي سفير يزور أو يزار بواسطة الفريق الشاذلي. قلت للسفير الجديد وهو يعتذر عن تصرفات سلفه،

هذا هو قدر صاحب كل رأي حر. ولكن هذا التصرف الأهوج من سلفه لن يدفعني الى تغيير موقفي وآرائي.. كما انه لن يدفعني الى أن اهاجم العراق انتقاما من هذا السفير. ويبدو أن بعض السفراء يتصورون أن مهمتهم هي فرض وجهة نظرهم بالقوة الغاشمة، بدلا من الاقناع بالحوار والمناقشات الحرة.[٤٩]

نعود مرة أخرى الى مقابلتي مع السفير العراقي صباح يوم 90/8/9. أخبرته بكل ما دار بيني وبين القائم بالأعمال الايراني. وعلم العراق مني لأول مرة أنني اعتذرت عن تلبية دعوتين ايرانيتين لزيارة طهران، وأنني على استعداد لزيارة طهران الآن. كان موضوع التصالح بين العراق وايران يثير دهشة السفير. وازدادت دهشته عندما قلت له أنه قبل سفري الى طهران، فاني أريد أن اتسلح بشيء يمكن أن يغري ايران على هذا الصلح.. وأن قبول العراق باتفاقية الجزائر 1975، يمكن أن يكون عنصر اغراء قوي للوصول الى نتائج طيبة. (يلاحظ انني لم اذكر ذلك مطلقا للقائم بالاعمال الايراني في مقابلتي معه في اليوم السابق). وقد وعد السفير بأنه سوف يبعث الى بغداد بكل ما دار بيننا من حديث.

ادليت بعد ذلك ببضعة أحاديث صحفية واذاعية، وكنت أركز في كل منها على ضرورة اجراء تصالح بين العراق وايران لمواجهة امريكا عدوهما المشترك. وفي يوم 90/8/15، سمعت من اذاعة العراق - في نفس الوقت الذي سمعه غيري - أن صدام حسين أعلن بأنه سيبدأ في سحب القوات العراقية من الاراضي الايرانية المحتلة اعتبارا من يوم 90/8/17، وأنه يقبل باتفاقية الجزائر، واخلاء سبيل الأسرى فورا. فتصورت أنه لابد وأنه قد تم اتفاق تصالح بين العراق وايران. وأن ايران نتيجة هذا الاتفاق ستقف الى جانب العراق في صراع ضد من أسموه الشيطان الاكبر. ولكني أصبت بخيبة أمل عندما سمعت التصريحات الرسمية التي صدرت من طهران بعد ذلك.. والتي تؤكد أن ما قام به صدام حسين هو تصرف من جانب واحد... وأن هذا التصرف كان يجب عليه أن يتخذه منذ وقت طويل... وان ايران لن تكافئه على هذا التصرف.. الخ الخ. وبدأ العراق فعلا انسحابه من الاراضي الايرانية يوم 17 وبحلول يوم 22 كان قد اتم انسحابه الكامل من كافة

الاراضي التي كان ما يزال يحتلها في ايران . كما بدأ تبادل الاسرى بين الطرفين اعتبارا من يوم 8/20 . وبعد زيارة لبغداد يوم 11/15 ، اعلن الدكتور علي أكبر ولايتي وزير خارجية ايران بانه سيتم استكمال تبادل الأسرى في خلال اسبوع . ولكن ظهرت مشاكل بعد ذلك أدت الى وقف تسليم الأسرى . فبينما يدعي العراق انه قام بالافراج عن جميع الأسرى الايرانيين، فان ايران تدعي انه ما زال لديه 5 000 أسير ايراني بالاضافة الى بضعة آلاف اخرى من المفقودين. وبالتالي فان ايران ترفض تسليم عدد كبير من الأسرى العراقيين الموجودين عندها. وحتى اكتوبر 1991 ، يعتقد أنه ما زال هناك حوالي 20 000 أسير من الطرفين لم يتم الافراج عنهم من اصل حوالي 100 000 (70 000 أسير عراقي ، 30 000 أسير ايراني) عندما بدأت عملية تبادل الأسرى في شهر أغسطس 1990 . [50]

الموقف الايراني خلال الأزمة

ذكرت في الجزء الاول من كتاب الحرب الصليبية الثامنة الموقف الايراني خلال تلك الأزمة في الصفحات من رقم 100 حتى رقم 102 . ورغبة في عدم التكرار، وتوفير اكبر مساحة ممكنة من هذا الجزء الثاني لذكر ما هو جديد، فاني سأكتفي باضافة أهم الأحداث التي لم يرد ذكرها في الجزء الاول، والتي تشمل ما يلي :

في 8 سبتمبر 1990 ، نشرت صحيفة كيهان (الايرانية) مقالا جاء فيه «حينما تفقد دولة مثل السعودية أو مصر الارادة السياسية، وتخضع للولايات المتحدة الامريكية بصفة خاصة وللغرب بصفة عامة، فان هذه التبعية تنسحب على جميع المؤسسات الرئيسية في البلاد. ويصبح الملك أو الرئيس مجرد أداة لتنفيذ السياسات الامريكيية والغربية. وحينما يكون النظام مرتبطا بواشنطن، فان مؤسساته الدينية أيضا ـ وليس العسكرية والاعلامية والاقتصادية فقط ـ تنسحب عليها التبعية الى الغرب والولايات المتحدة (الشيطان الاكبر). [51] فقد أصدر الشيخ عبد العزيز بن باز فقيه السعودية الأول، فتوى تجيز الاستعانة بغير المسلمين للدفاع عن المقدسات الاسلامية. وهي اشارة واضحة الى التواجد العسكري الامريكي والغربي في السعودية والمنطقة. وبعد فقيه

الـوهابية، أفتى شيخ الأزهر جاد الحق فتوى مماثلة بجواز الاستعانة بالكفار لحماية أرض وأرواح ومقدسات المسلمين. وبطبيعة الحال فان فتوى الشيخ بن باز والشيخ جاد الحق جاءت منسجمة تماما مع توجهات النظام السياسية. بحيث أن هذين الشيخين أعطيا للعالم الاسلامي انطباعا كاملا، بأنهما ليسا أكثر من موظفين يعملان في خدمة الحكومة التي تقدم خدماتها للولايات المتحدة على طبق من ذهب».

«وفي هذا السياق نذكر قضيتين الأولى لشيخ الأزهر جاد الحق، والثانية لامام الحرم المكي. فالأول زار العاصمة العراقية وحضر اجتماعات المؤتمر الاسلامي (يقصد المؤتمر الذي عقد في بغداد في 25 ـ 28 يونيو 1990) واجتمع مع الرئيس العراقي صدام حسين. ***وبعد اللقاء قال الشيخ جاد الحق بأنه اجتمع مع أكبر فقيه في العالم العربي ـ يقصد صداما ـ وأنه تعلم منه عملية الـربط بين العـروبة والاسلام. ولكن بعد بضعة شهور (المؤلف: أقل من شهـرين) أصـدر الشيخ جاد الحق فتواه التي تعتبر صدام حسين من أعداء الاسـلام، وينـوي تدمـير الامـاكن المقـدسة في مكة المكرمة. ولذلك جاز للحكومة السعودية ان تستقدم القوات الامريكية لصد القوات العراقية».***

«اما بالنسبة لشيخ الحرم المكي، فقد أعلن قبل أيام، بأنه أحل سفك دم الرئيس العراقي صدام حسين بعد أن شاهد وعبر شاشات التليفزيون مجزرة حلابجة ضد المسلمين الأكراد والتي راح ضحيتها 10 000 مواطن كردي.[52] والسؤال الذي يطرح الآن هو أين كان التليفزيون السعودي من مجزرة حلابجة التي عرضتها جميع محطات التليفزيون في العالم. وهل السعودية بريئة من هذه الجريمة... خاصة وأن المسؤولين يرددون دائما بأنهم قدموا شتى انواع الدعم المالي والاقتصادي و السياسي للعراق في حربه ضد الجمهورية الاسلامية؟»

90/9/25، في المؤتمر الصحفي الذي عقده الرئيس الايراني رفسنجاني في نهاية الزيارة التي قام بها الرئيس السوري حافظ الأسد لطهران، صرح الرئيس الايراني قائلا ***«هنـاك تطابق تام في المواقف بين ايران وسوريا. فسواء بقي المـوقف كما هو عليـه... أو أنـه تم تدمـير العراق... أو أن قوات دول التحـالف أصـابها الضعف.. أو أن الحـرب توقفت... أو أن اسرائيـل***

تدخلت . . فقد اتفقنا على ما نقوم به في كل حالة» .[53] *(المؤلف : ان هذا التصريح يؤكد المسؤولية التاريخية التي تتحملها كل من ايران وسوريا ، بالنسبة لما حدث للعراق)* .

1990/9/29 ، نشر الزعيم الايراني محتشمي تعليقا في صحيفة البيان الايرانية جاء فيها «إن هدف الولايات المتحدة وقوات حلف شمال الاطلس هو الاستيلاء على ثروة المسلمين النفطية . وان الهجوم على المصالح الامريكية والاسرائيلية ، وعلى القوات الصليبية في العالم ، وعلى قصور الأمراء والمشايخ في دول الخليج ، يشكل أولوية لمجموعات حزب الله ، ولأبناء الامام الخميني الأوفياء» .[54]

90/10/18 ، صرح الرئيس الايراني رفسنجاني لصحيفة لوموند الفرنسية أنه يستبعد مشاركة ايرانية في القوات الاجنبية بالسعودية . ولكنه أكد أن ايران تطبق بصرامة الحصار الذي قررته الأمم المتحدة على العراق .[55]

90/11/15 ، صرح الدكتور علي اكبر ولايتي أن موقف ايران هو معارضة احتلال العراق للكويت . كما تعارض تواجد القوى الأجنبية في المنطقة . وتؤكد أن أمن المنطقة يجب أن يتحقق على يد أبنائها .

4 ديسمبر 1990 ، صرح الزعيم الديني آية الله علي خاميناي ، أنه «*يتعين القضاء على اسرائيل . وأن أي تنازل بشأن القضية الفلسطينية ، يعتبر خيانة . ولا فرق بين أراضي احتلت قبل 1967 أو بعدها ، كل شبر منها جزء من أرض المسلمين . وأي حكومة هناك بخلاف حكومة اسلامية ومسلمي فلسطين ، هي حكومة مغتصبة»* .[56]

31 ديسمبر 1990 ، صرح الدكتور علي أكبر ولايتي وزير الخارجية الايراني ، أمام جمع من الطلبة في طهران ، *أن ايران ستبقى على الحياد في حالة ما اذا اندلعت الحرب في الخليج . واكد ذلك بقوله «لا نريد الدخول في هذه الحرب لاننا لا نعتقد أن أيا من الأطراف على حق في هذه الازمة»*[57] (المؤلف : كان هذا هو آخر تصريح رسمي يصدر من مسؤول ايراني قبل أن تبدأ قوات التحالف هجماتها الجوية ضد العراق . ويتبين من التصريحات الايرانية المتعددة أنه كان في ايران تياران . كان تيار المتشددين في المعارضة ويقوده خالخالي

ومحتشمي. اما التيار الآخر فكان بزعامة رفسنجاني والحكومة الايرانية. وكانت تصريحات هذا التيار تتسم أحيانا بالتشدد لكي تشرب غضب الشارع الاسلامي المعادي لامريكا. . . وأحيانا أخرى كانت تصريحاتهم تحاول الابتعاد عن المشكلة ومحاولة الاستفادة منها إلى اكبر حد ممكن. ولا شك أن تصريحات وزير الخارجية الايراني يوم 90/11/15، ويوم 90/12/31 هي التي تمثل الموقف الرسمي لايران تجاه هذه الأزمة. والمعنى الحقيقي لهذا الموقف هو الا نفعل شيئا.

في يوم 25 يناير 91، وبعد مضي أكثر من أسبوع على بدء الهجمات الجوية ضد العراق، اضطر الرئيس الايراني أن يحسم موقفه الغامض والمتأرجح حيال تلك الأزمة. فقد دافع في خطبة الجمعة التي ألقاها في ذلك اليوم عن سياسة الحياد التي تتبعها ايران، موضحا أن قرار دخول حرب الخليج الى جانب العراق هو بمثابة انتحار للبلاد. وأضاف قائلا «لن نعطي دماءنا للعراق من أجل أن يدخلوا الى الخليج الفارسي. ولا للأمريكيين من أجل أن يكسبوا حربهم. ان ايران لا يمكن لها لاسباب جيوستراتيجية ان تقبل دخول العراق الى الخليج الفارسي، لأن ذلك سيهدد مصالحنا في المنطقة. كيف يمكن لنا أن نبعث بابنائنا المجاهدين ليموتوا شهداء من أجل أن يصبح العراقيون جيراننا في هذه المياه». وعن قتال اسرائيل الذي كان العراق يقصفها بصواريخ الحسين قال رفسنجاني «كل امكانيات الدول الاسلامية يجب ان تجند للحرب ضد اسرائيل. ولا مجال للديماجوجية، اذ كل الشياطين المدعمين لاسرائيل هم الآن في المنطقة. فالوقت ليس وقت حرب ضد اسرائيل. الحرب والجهاد ضد اسرائيل ستكون يوما لانقاذ كل فلسطين وليس الاراضي المحتلة منذ 1967 فقط».[55] وقد كان خطاب رفسنجاني هذا ردا على تذمر وتعاطف الشارع الايراني مع الشعب العراقي. وكان النائب حجة الاسلام علي أكبر محتشمي قد دعا في اليوم السابق 90/1/24، الى قطع العلاقات الدبلوماسية مع بريطانيا، مؤكدا في نفس الوقت ان الجهاد الى جانب العراق ضد الولايات المتحدة الامريكية هو واجب شرعي ديني بالنسبة لايران.

تقييم الموقف الايراني

عندما نجحت الثورة الاسلامية في ايران، واعلن عن قيام الجمهورية الاسلامية الايرانية في 1979/4/1، استبشر المسلمون في جميع انحاء العالم

ـيرا، نتيجة لما سمعوه من شعارات تلك الثورة. فهي ترفع شعار الدفاع عن ـقوق ومصالح المستضعفين. . . وتتصدى للاستكبار والمستكبرين لا في ايران ـحدها فحسب، بل وفي جميع انحاء الأمة الاسلامية. . . وهي ترفع شعار ـحدة الامة الاسلامية وتصف القوميات والطوائف على أنها مظهر من مظاهر العنصرية التي تتعارض مع الاسلام. . . وهي ترفع شعار التصدي للامبريالية العالمية وعلى رأسها امريكا التي وصفتها بأنها هي الشيطان الأكبر. وهي ترفع شعار التصدي لاسرائيل، وتقسم بأنها سوف تحرر ارض فلسطين كاملة لا تفرق بين أراضي احتلت قبل عام 1967 أو ما بعدها، وتصف من يفرطون في أي شبر من أراضي المسلمين بالخونة الذين يجب إهدار دمهم. . . وهي ترفع شعار ضرورة تصدي جماهير المسلمين لحكامهم الذين يتعاونون مع القوى الاجنبية في نهب ثروات شعوبهم واهدارها في الترف وعلى موائد القمار، ولا يستثمرونها فيما يعود بالنفع على الامة الاسلامية.

وتعرض نظام الحكم الاسلامي في ايران الى هجوم إعلامي مكثف من القوى الامبريالية والصهيونية ومن عملائهما في الأنظمة الاسلامية. وبعد أقل من 18 شهر من مولد الجمهورية الاسلامية، تعرض النظام الايراني لهجوم عسكري عراقي يحظى بتأييد امريكا والدول الغربية والدول الخليجية وغيرها من بعض الدول الاسلامية. . . فزاد ذلك من قناعة المؤمنين والمستضعفين في الأمة الاسلامية، بأن مؤامرة كبرى تحاك ضد الاسلام والمسلمين. . ويشارك فيها مع الأسف الشديد الكثير من المسلمين. ***البعض منهم عن عمالة وتآمر، والبعض منهم عن جهل بالفخ الذي استدرج اليه، وبالمؤامرة التي أصبح طرفا فيها دون أن يدري. وتنفس المؤمنون الصعداء عندما توقفت هذه الحرب المجنونة في 20/ 8/ 1988. وبعد أقل من عامين من وقف اطلاق النار بين العراق وايران، اندلعت الأزمة الجديدة في الخليج. لم تكن حربا بين مسلمين ومسلمين بل كانت حربا شنها أعداء الاسلام والمسلمين ضد العراق. كانت حربا يقودها المستكبرون ليؤكدوا علوهم في الأرض وقدرتهم على نهب ثروات الشعوب. كانت حربا تقودها امريكا التي وصفتها الثورة الاسلامية بالشيطان الاكبر. وتذكر المؤمنون كل شعارات الثورة الاسلامية التي حفظوها عن ظهر قلب وافتتنوا بها. وتوقع الناس أن تتخذ ايران موقفا يتناسب مع تلك***

الشعارات التي ترفعها. ولكن صاحب الثورة وملهمها آية الله الخميني كان قد توفاه الله، وحلت بمحله قيادة دينية وسياسية جديدة اعتبارا من 28 يوليو 89. فكان ذلك هو أول اختبار حقيقي لتلك القيادة الجديدة.

واذا أردنا أن نقيم موقف القيادة الايرانية، على أساس مقارنتها بالأنظمة العربية والاسلامية، فمن المؤكد أن القيادة الايرانية كانت أفضل بكثير من أنظمة الحكم في 17 دولة عربية واسلامية على الاقل. (12 دولة عربية التي باركت التدخل الامريكي في مؤتمر القاهرة يوم 10/8/90 + 5 دول اسلامية ارسلت قوات عسكرية الى الخليج لتعمل تحت قيادة القوات الامريكية وهي الباكستان، البنجلاديش، السنغال، النيجر، سيراليون). والموقف الايراني يكاد يتساوى بعد ذلك مع باقي الدول الاسلامية... وفي مقدمتهم أنظمة الحكم في الدول العربية الأخرى التي كانت سياستها الرسمية دائما هي: إدانة الغزو العراقي للكويت، وإدانة الوجود الأمريكي والأجنبي في المنطقة، والالتزام بتنفيذ قرارات الأمم المتحدة التي صدرت ضد العراق. وهذه الدول العربية هي: موريتانيا، الجزائر، ليبيا، تونس، السودان، الاردن، اليمن، منظمة التحرير الفلسطينية. نعم كان هناك تعاطف من بعض تلك الانظمة العربية تجاه النظام العراقي بدرجات تميزها عن موقف النظام الايراني. ولكن الحقيقة التي لا جدال فيها هي أن السياسة الرسمية لكل تلك الأنظمة كانت تتطابق حول المحاور الثلاثة التي سبق الاشارة اليها.

اما اذا اردنا أن نقيم موقف القيادة الايرانية على أساس أنها ثورة اسلامية.. وعلى أساس الشعارات التي كانت ترفعها، فلا شك أن موقف القيادة الايرانية، قد خيب آمال وظنون الغالبية العظمى ممن كانوا قد افتتنوا بشعارات الثورة الايرانية. كان صدام حسين يقاتل امريكا (الشيطان الأكبر). وكان يقاتل اسرائيل (الشيطان الأصغر). وكان يقاتل كل من كانت القيادة الايرانية تتهمهم بالعمالة والخيانة والاستكبار. وكان يقاتل من أجل الحفاظ على سعر النفط، للدفاع عن المستضعفين الذين يقوم حكامهم بنهب ثرواتهم ويتقاسمونها مع الأجنبي، كما كانت القيادة الايرانية تقول في دعايتها ضدهم. فاذا بالقيادة الايرانية تتخلف عن الوقوف إلى جانب العراق. وتبرر هذا التخلف بأن الوقوف الى جانب العراق، وانتصار العراق في هذه الحرب يهدد مصالح ايران في المنطقة (انظر خطاب الرئيس رفسنجاني في 25 يناير 1991)

حوار حول الموقف الايراني

كان الموقف الايراني يعني ان القيادة الايرانية قد قامت بتغليب المصالح القومية والعنصرية الايرانية على مصالح الأمة الاسلامية، وهو ما يتعارض مع الشعارات التي ترفعها الثورة الاسلامية. ولهذه الاسباب، فان موقف النظام الايراني حظي بحوار ونقاش اكثر من أي نظام آخر. وقد ظهر بعض هذا الحوار على شاشات التليفزيون، وظهر البعض على صفحات الصحف، بينما دار البعض في اللقاءات الدبلوماسية والسياسية. وسوف أتعرض هنا الى أهم النقاط التي دار حولها الجدل بين المؤيدين والناقدين لموقف النظام الايراني. وسوف أرمز لمن يؤيدون الموقف الايراني بالحرف م، وأرمز لمن يعارضونه وينتقدونه بالحرف س.

م : لقد ارتكب صدام حسين جريمة كبرى باحتلاله الكويت. ويجب أن يقف الجميع ضده. لأن السكوت على ذلك يعني أن الدولة الأقوى تستطيع أن تحتل الدولة الأضعف أو تقتطع جزءا من اراضيها. وبالتالي يختل النظام الدولي.

س: *ولكن ايران تحت حكم الشاه قد احتلت ثلاث جزر عربية في الخليج العربي الفارسي عام 1971 (طنب الصغرى، طنب الكبرى، أبو موسى)*. وقد تم ذلك لأن ايران كانت هي الدولة الأقوى والدول العربية الحديثة الاستقلال بعد انسحاب القوات البريطانية كانت هي الأضعف. فهل انتم على استعداد باعادة هذه الجزر إلى أصحابها ؟

م : هذه الجزر هي ايرانية وليست عربية، وقد قامت ايران باسترجاعها بعد انسحاب القوات البريطانية منها.

س: ولكن هذا ما يقوله العراق بالنسبة للكويت. فلماذا تريدون أن يصدقكم الناس فيما تقولون، ولا تصدقون ما يقوله الآخرون ؟

م : الكويت كانت دولة ذات سيادة وعضو في الأمم المتحدة. أما الجزر التي تشيرون اليها فلم تكن كذلك.

س : *هذا كلام يمكن أن يصدر من دولة علمانية. أما انتم فتدعون انكم ثورة اسلامية. والاسلام لا يعترف بتلك الحدود التي خلقتها الدول الاستعمارية. وانتم ترفعون شعار أن المسلمين أمة واحدة. فكيف يمكن ان تتوحد الأمة الاسلامية ؟*

م : بالوسائل السلمية بين الشعوب

س: ولكن الشعوب كما تعرفون مغلوب على أمرها. ومقاديرها في أيدي زعماء يتعاونون مع القوى الامبريالية. وهؤلاء لا يريدون وحدة الأمة الاسلامية. والشعوب الاسلامية مغيبة، ولا تساهم في اتخاذ القرار الذي يمكن أن يؤدي الى قيام حكم اسلامي حقيقي في تلك البلاد... حكم يدفعه الايمان الى ان يطالب بالاندماج مع الدول الاسلامية الأخرى المجاورة.

م : ممكن التوصل الى ذلك بتثوير هذه الشعوب حتى تقوم هي باسقاط حكامها وإقامة الحكم الاسلامي.

س: ولكن عملية التثوير هذه تحتاج الى دعم اعلامي خارجي. والمجتمع الدولي يعتبر ذلك تدخلا في الشئون الداخلية للدول. وقد يكون سببا في التدخل العسكري ضد الدولة التي تقوم بعملية التثوير التي تتحدثون عنها. وهل نسيتم أن احد الاسباب الرئيسية لقيام الحرب العراقية الايرانية هي رغبتكم في تصدير ثورتكم الى الدول المجاورة.

م : نعم أعلم ذلك. والدرس الذي تعلمناه هو أن يتم التثوير بطريقة سرية.

س: لست مقتنعا بما تقول فانكم تنظرون الى مواضيع متشابهة بمقاييس ومفاهيم مختلفة... ومع ذلك فلننتقل الى موضوع آخر. لماذا لم تسمحوا للطيارين العراقيين الذين لجأوا اليكم بطائراتهم وقت الحرب، بالعودة الى العراق

م : سنطلق سراحهم في الوقت المناسب، وطبقا للقرارات الدولية.

س: وهل يسمح الدين الاسلامي انه اذا استجار بك مسلم خوفا من أن يقتله عدو له وعدو للاسلام تسمونه الشيطان الأكبر. أن تحميه أو أن تسلمه إلى من يريد قتله ؟

م : نحن حميناهم ولم نسلمهم لأعدائهم.

س: ولكن عندما أرادوا ان يعودوا الى بلادهم فانكم تمنعوهم. وهذا يعني أنهم أصبحوا أسرى لديكم

م : ليسوا أسرى. ولكن سيتم إعادتهم ضمن اتفاق عام.

س: اذن فانكم تريدون أن تستخدموهم كجزء من صفقة. مع أن هذا

يتعارض مع مبادىء الاسلام الذي يأمرنا بأن نجير المشرك، فكيف لا نجير المسلم. ألم تسمع بقوله تعالى في الآية رقم 6 من سورة التوبة «وإن أحد من المشركين استجارك فأجره». شيء آخر لماذا تدعون أن العدد هو 22 طائرة عسكرية، وبعض الطائرات المدنية، في حين أن العـراق يدعي أن العـدد هو 115 طائـرة عسكـرية، 33 طائـرة مدنية.[59]

م : الارقام التي أعلناها هي الصحيحة. ولماذا تصدقون العراق ولا تصدقوننا.

س: هنـاك شاهـد على ذلك هو قيادة قوات التحالف التي كانت تسجل راداراتها كل طائرة. فقد كانوا يعلنون أعداد الطائرات العراقية التي تهرب يوميا إلى ايران. وآخر رقم أعلنوه يوم 25 فبراير 91، هو أن 149 طائـرة هربت، وانهم دمـروا 19 طائـرة أخرى أثناء هروبها. والرقم الأمـريكي عن الـطائرات التي هربت اليكم يكاد يتطابق مع الرقم العراقي. أما الرقم الذي تقدمونه فالفرق بينه وبين الرقم العراقي كبير جدا.

م : الأمـريكـان كاذبون. وهم اليوم يساندون صدام حسين ضد الثورة الاسلامية الايرانية !!

س: هناك من يقول بانكم تتعمدون تأجيل تسوية موضوع هذه الطائرات لبضعـة شهـور، حتى تتلف نتيجة بقائها في العراء ودون اجراء أي صيانة. . . بحيث اذا كان عليكم أن تعيدوها ضمن اتفاق عام فانكم تعيدون اليهم مجموعة من الطائرات التي لا تصلح للاستخدام

م : هذه اتهامات ظالمة

س: ولكن ما نشاهده على أرض الواقع يؤكد هذه الاتهامات. وسوف يظهر في المستقبل انها لم تكن اتهامات ظالمة.

م : عندما يحدث ذلك فيمكنك ان توجه الاتهام. اما توجيه الاتهام بهذه الصورة اليوم فهو اتهام افتراضي.

س: ***سؤال آخر. لماذا لم تلبوا نداء صدام حسين للجهاد ضد القوات الصليبية ؟***

م : وهل تعتقدون أن صدام حسين كان صادقا وهو يرفع راية الجهاد. لقد قال ذلك ليخدع البسطاء من الناس. ولكنه يضمر عكس ذلك تماما.

وهل نسيت أن امريكا والدول الغربية كانت حليفة له أثناء حربه ضد ايران.

س: *أولا لقد أمرنا الله أن نحكم على الناس بظواهر ما يقولونه ويفعلونه. أما السرائر فعلمها عند الله. فكيف لا أصدق ما أراه بعيني وهو يرفع السلاح ضد الصليبيين ويتعرض لهجماتهم، وأصدق ما تفترضه أنت وهو شيء لا يعلمه الا الله. الم تسمع بقول رسول الله ﷺ «إني لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم». أما عن اشعال الحرب العراقية الايرانية فقد كان عملا خاطئا لا نستطيع أن نبرىء منه صدام حسين أو نبرىء من خدعوه وجروه الى هذا المأزق. ولكن مرة أخرى، فان تعاليم ديننا تقول «الا من تاب وآمن وعمل صالحا...» فالتوبة المتبوعة بالعمل الصالح تجب كل الاخطاء والآثام السابقة. ولست أرى عملا صالحا يسبق الجهاد.*

م: لو انتصر صدام لاحتل الجزيرة العربية بأكملها، ولأصبح خطرا على جميع الدول الأخرى المجاورة.

س: **ومـاذا لو احتل الجزيرة العربية باكملها؟ أليس هذا تحقيقا لوحدة** المسلمين؟ يقول الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي أن العلماء أجازوا الجهـاد مع ولاة الجـور. وذلك على أساس تغليب وترجيح مصلحة المسلمين. فالضروريات كما نص عليها القرآن هي الدين ثم النفس ثم المال. ولهذا اذا دار الأمر بين احياء النفس واتلاف المال عليها أو اهـدار النفس من اجل احياء المال، كان احياء االنفس أولى. فان عارض احياؤهـا إمـاتة الدين، كان احياء الدين أولى وإن أدى الى اماتتها. ولذلك جاء الأمر بالجهاد مع ولاة الجور عن النبي ﷺ.[60]

م: صدام حسين جبار ويحب سفك الدماء

س: ***لو كان ثمن وحدة المسلمين هو سفك دماء 1 000 منهم فما أرخص هذا الثمن. ثم أن صدام حسين إذا لم يمكن استبداله بحاكم اكثر عدلا بالوسائل الممكنة، فانه لن يعيش الى الابد... ولكن الوحدة الاسلامية التي كان من الممكن أن يحققها يمكن أن تعيش من بعده.***

م: لو تدخلنا إلى جانب العراق لكان ذلك انتحارا كما قال رفسنجاني يوم 1991/1/25.

س : الرئيس رفسنجاني قال هذا بعد أن أصبح للصليبيين في الجزيرة العربية حوالي 600 000 جندي، ومعهم 270 2 دبابة، 237 1 قطعة مدفعية، 262 1 طائرة قتال، 618 هيليوكوبتر مسلحة، 326 1 هيليوكوبتر للنقل والمعاونة، 174 قطعة بحرية منها 6 حاملات طائرات. ولكننا نحاسبكم على موقف ايران اعتبارا من 8 اغسطس 90. وليس اعتبارا من 25 يناير 91، عندما قال رفسنجاني لقد تجمعت كل الشياطين في المنطقة. فلو وقفتم الى جانب العراق اعتبارا من شهر اغسطس 90، لما تمكنت كل هذه الشياطين من النزول الى الجزيرة العربية. ولأصبحت وقفة ايران الى جانب العراق نقطة تحول كبرى في تاريخ الاسلام والمسلمين. ولكن وللأسف الشديد فان رفسنجاني - كما قال في خطابه يوم 25 يناير - خشى أن يؤدي وقوف ايران الى جانب العراق، الى انتصار صدام حسين. . . وبذلك يصبح الساحل الغربي للخليج (الفارسي كما تصرون على تسميته) تحت سيطرة دولة عربية قوية كالعراق.

م : نعم هذا ما نخشاه. وماذا في ذلك. أليس من حق كل دولة أن تهتم بأمنها وسلامتها.

س: لو أنكم دولة علمانية لكان ما تقوله هو الحق كل الحق. ولكنكم دولة ثيوقراطية يحكمها رجال الدين ولها إمام. وإمام المسلمين دستوره الوحيد هو القرآن الكريم والسنة الشريفة. وكل ما يتعارض مع ذلك فهو باطل سواء كان عن عرف أو ميثاق دولي. والاسلام يدعو الى وحدة الأمة الاسلامية وتكاملها. ويدين كل من يعارضها أو يعرقلها. فاذا أردتم ان نتعامل معكم على أساس المواثيق الدولية والقواعد الدولية وحقوق السيادة.. فعليكم أن تلغوا نظام الامامة وأن تلغوا جميع شعارات الثورة الاسلامية. أما إذا أبقيتم على نظامكم الحالي وما ترفعونه من شعارات، فمن حقنا أن نطالبكم ونحاسبكم بناء على ما جاء في القرآن والسنة، ولا شيء غير ذلك. وعليكم أن تختاروا. ولكن لا يجوز لكم أن تختاروا من الشريعة الاسلامية ما يعجبكم وتستبعدون منها ما لا يعجبكم. فقد قال تعالى في الآية رقم 85 من سورة البقرة «أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض، فما جزاء من يفعل ذلك

منكم إلا خزي في الحياة الدنيا، ويوم القيامة يُردّون الى أشد العذاب، وما الله بغافل عما تعملون».

م : صمت. ولا تعليق.

س: لقد زاركم الأمير سعود الفيصل في طهران، واحتفلتم به احتفالا كبيرا. واستقبله الرئيس رفسنجاني يوم 6 يونيو 91. وقالت صحفكم أن وزير الخارجية السعودي نقل تحيات الملك فهد الحارة الى رئيس الجمهورية، وأن الرئيس رفسنجاني قال ان تطوير التعاون الايراني السعودي أمر ضروري لضمان مصالح البلدين. وأنه أعرب عن ارتياحه لمسيرة التعاون المتنامية بين البلدين.[61]

م : نعم. وماذا في ذلك

س: ***اني أسأل فقط لكي أعرف. هل نصدِّق ما قاله الرئيس رفسنجاني يوم 2 اغسطس 87 عندما أقسم بأن ايران سوف تقتلع آل سعود من المنطقة. وما قاله هو نفسه يوم 28 يوليو 1990 عندما اتهم الدول الخليجية بالخيانة وأنه لا يجوز التعامل مع الخونة. أم نصدق ما قاله رفسنجاني يوم 6/6/91 بأن التعاون الايراني السعودي هو أمر ضروري لضمان مصالح البلدين؟***

م : لاتوجد بين الدول صداقات دائمة أو عداوات دائمة. وانما توجد مصالح دائمة.

س: *جميل جدا هذا الذي تقول إذا صدر من دولة علمانية. أما أن يصدر من نظام حكم ديني فهذا الكلام غير مقبول.*

م : *وهل يرفض الاسلام التصالح والتآخي بين المسلمين؟*

س: *أبدا انه يدعو الى التآخي.. وينهي عن التشهير بالغير. ويدعو الى التوبة.. والتوبة النصوح تجب ما ارتكب قبلها من ذنوب. ولكن التوبة لا تكتمل اركانها الا اذا اعترف التائب بخطئه السابق، وندم على ما فعل وأقلع عنه، وأصلح ما ارتكبه من أخطاء قبل توبته.* ***فان كان ما اتهمتم به آل سعود هو افتراء منكم عليهم فأعلنوا توبتكم واعترفوا علنا بانكم شهرتم بهم بالباطل وأنتم تعلمون. وان كان آل سعود هم الذين تابوا، فليعلنوا هم وأنتم عن هذه التوبة. اما ان يتم التصالح هكذا في الظلام دون ان نعرف من هو الظالم ومن هو المظلوم!! ومن***

هو الذي يلتزم بكتاب الله وسنة رسوله ؟ فهذا ليس هو الصلح الذي أوصى به الاسلام. فالصلح يجب ان يكون في اطار الالتزام بالنصوص القرآنية . . . وحتى يفيء المخطىء الى ما أمر به الله.

م : ومن أدراك أن آل سعود لم يتوبوا. ولكن لحكمة سياسية فانه لا يراد الاعلان عن ذلك.

س: ومن أدراني أنكم أنتم الذين انزلقتم الى نفس الطريق الذي كانت تسير فيه السعودية. وما أشاهده على الساحة يوحي بذلك. . . فالنفوذ الامريكي في السعودية لم يتراجع اليوم عما كان عليه بالأمس، بل امتد ليشمل اجزاء كثيرة من الدول العربية الاسلامية. وهناك غزل متبادل حاليا بين واشنطن وطهران. فما الذي يدفعني الى الاعتقاد بان السعودية هي التي تغيرت وليست طهران ؟ وعموما فان التوبة يجب أن يتبعها العمل الصالح الذي يتنافى مع الممارسات السابقة للتوبة، وهذا مالا أستطيع أن أراه. واذا رجعنا إلى وصية الامام الراحل الخميني . . الذي تعتبرونه ملهم الثورة الاسلامية في ايران. . فاننا نجد أنه يقول في نهاية وصيته ***«هذا الزمان هو زمان تعرض العالم الاسلامي لشتى أشكال الظلم على أيدي امريكا وروسيا وسائر عملائها، ومنهم آل سعود خونة الحرم الالهي العظيم عليهم لعنة الله وملائكته ورسله».***
وأنتم تعلمون أن جميع الزعماء الايرانيين. . . السياسيون منهم والدينيون، يتفاخرون بكونهم من تلاميذ الامام. . . حتى ان آية الله امامي كاشاني أراد أن يمدح الرئيس رفسنجاني، فقال في خطبة الجمعة يوم 91/6/7 أن رفسنجاني تلميذ الامام الوفي، وأنه لو كان الامام حيا لكانت سياسة ايران الخارجية كما هي اليوم على وجه الدقة. . .
وحتى أن قائد الثورة آية الله خامينائي، والرئيس رفسنجاني وغيرهما من الزعماء الذين في السلطة، قد أكدوا جميعا في الخطب التي القوها بمناسبة مرور سنتين على وفاة الامام الراحل آية الله الخميني (20 ذو الحجة 1411، 4 يونيو 1991). . بأن ايران، وقيادتها السياسية الحالية تلتزم بنهج الامام الراحل وخطه الفكري السياسي. وقد جاء بين كلماتهم قولهم «وحتى بعد أن ووري الثرى، فان روحه الطاهرة، وكلماته الثاقبة، وفكره الوضاء تخيم اليوم على سماء ايران» ***اما الحقيقة***

المحزنة التي يراها كل من وهبه الله العقل والسمع والبصر، فهي أنكم تسيرون اليوم في ايران في اتجاه معاكس تماما لكل ما أوصى به الامام الخميني.

م : هذه نظرة متحاملة ضد الثورة الاسلامية الايرانية.

س: نحن لا نتحامل على احد. نحن نتكلم بالوثائق. نقول لكم الامام الخميني قال كذا.. وانتم تفعلون كذا.. فيتضح الفرق الشاسع بين ما كان يقوله الامام وما تفعلونه أنتم اليوم. ألا تعلم أن صحيفة كيهان قد اعادت نشر وصية الخميني في عددها الصادر في 8 يونيو 1991 بمناسبة الذكرى الثانية لوفاته، وأنها حذفت منها الجزء الذي قاله في آل سعود؟ فأين هي مصداقيتكم؟ وكيف تطلبون منا أن نصدق ما تقولون؟

م : يجوز أن يكون هذا الجزء الخاص بآل سعود قد سقط سهوا من الصحيفة.

س: لا يا سيدي. لو كان قد سقط سهوا، لأصدرت الصحيفة تصحيحا في عددها التالي مشفوعا بالاعتذار، ولكن ذلك لم يحدث. لقد سقط عمدا مع سبق الاصرار.

م : هذا ما تتصوره. ولكن هذا لا يعني ان كل ما تتصوره يجب ان يكون صحيحا.

س: ألا تعلم أن فقدان المسلمين الثقة في مصداقيتكم السياسية، قد أدى بدوره الى تعزيز شكوكهم فيما تعرضونه من شعارات دينية؟

م : ماذا تعني بهذا القول؟

س: **أعني أن مذهب الشيعة الذي تدينون به يقول بأن الامام معصوم من الخطأ. فلو كان ذلك صحيحا لاتبعتم وصية الامام الراحل الخميني فيما يتعلق بالسعودية. فإما أن القول بعصمة الامام هو قول خاطىء. وإما أنكم لا تلتزمون حتى بعقائدكم.**

م : صمت أشبه بصمت القبور.

س: **وما رأيكم فيما يدعيه العراق اليوم (20 يوليو 91) من أن ايران هي التي وراء الفتنة التي وقعت يومي 17، 18 يوليو في منطقة الأكراد في السليمانية واربيل، والتي اندلعت بين القوات العراقية والميليشيات**

الكردية البشمرجا، وخلفت 500 ضحية بين الفريقين ما بين قتيل وجريح ؟

م : هذه افتراءات عراقية ليس لها أي أساس من الصحة.

س: ولكن العراق يعلن أنـه قبض على عدد من الايرانيين الذين دخلوا البلاد بطريقة غير شرعية، وانهم كانوا من ضمن الأشخاص الذين كانوا يثيرون الفتنة في الشمال.

م : حتى لو صح ذلك فان ذلك ليس بقرينة بأن ايران هي التي وراء هذه الفتنة.

س: وحتى لو اعـترف هؤلاء بأنهم كانـوا يعملون تنفيذا لأوامـر عليا من رؤسائهم في طهران ؟

م : وحتى لو اعترفوا. فالكل يعلم أنهم يستطيعون في العراق أن ينتزعوا الاعترافات التي تخدم مصالحهم بوسائل تعذيب بشعة.

س: ***ولكن اذا استخدمنا العقل والمنطق، فانه يقودنا إلى ان لايران مصلحة في الاطاحة بصدام حسين، وفي نسف الاتفاق الذي كان على وشك التوقيع عليه بواسطة السلطات العراقية والأكراد. فلعلـك لـم تنس أن الـرئيس رفسنجـاني قال في خطبـة الجمعة يوم 8/ 3/ 91 «يجب على الرئيس صدام حسين أن يتنحى عن السلطة. وأن يكون للشعب العراقي الحق في انتخاب من يحكمه». كذلك فان إقامة حكم ذاتي للأكراد في شمال العـراق سيكون سابقة قد تدفع الأكراد الايرانيين الى المطالبة بنفس الشيء. وما دام النظام الايراني الحالي يلتزم البراجماتية في سياسته الخـارجيـة، فلا بد أنه يشعر بالقلق من اقامة حكم ذاتي للأكراد. وبالتالي فانه يرى أن من مصلحته نسف الاتفاق العراقي الكردي».***

م : ان ما قاله الرئيس رفسنجاني يوم 8 مارس هو نصيحة للرئيس العراقي ولا تعني ضرورة اشتراك ايران في اسقاطه.

س: ومـا رأيك في قول قائد الثورة الاسلامية آية الله خامينائي «ان وجود الرئيس العراقي صدام حسين في السلطة، يشكل خطرا على النهضة. ونأمل الا يستطيع صدام حسين من الاستمرار في الحكم لمدة أطول من ذلك. لأن السلاح المتداول بين الافراد والشعب لن يمكن صدام من

مواصلة الحكم في العراق». [63] ألا يعني ذلك انكم تثيرون الشعب العراقي ضد نظام صدام حسين الذي تريدون التخلص منه ؟

م : نحن نعتقد أن تنحية صدام حسين عن الحكم هو في مصلحة الشعب العراقي. وما هو في مصلحة الشعب العراقي هو في مصلحتنا.

س : هذا كلام يردده السياسيون، ولكن وجود مصلحة لكم في تنحية صدام حسين تجعلنا نميل الى تصديق ما أعلنه العراق من انكم شاركتم في اثارة الفتنة الاخيرة في شمال العراق. كما وأن مصلحتكم في نسف الاتفاق العراقي الكردي تجعلنا نميل بدرجة اكبر الى انكم وراء هذه الفتنة... سيما وأن الزعيم الكردي مسعود البرزاني أشار هو الآخر في 20 يوليو 91، الى وجود أيدي خفية أجنبية، وان كان لم يحددها.

م : *نحن لسنا ضد الأكراد، ولكننا ضد تفتيت العراق، وضد تفتيت الأمة الاسلامية. نحن ندعو الى التوحد وليس الى التفتت.*

س : *هناك مثل مصري عامي يقول «أسمع كلامك يعجبني. أشوف أمورك استعجب».*

الفصل التاسع

العمليات الحربية

الحصـــار البحـــري والجـــوي

في يوم 90/8/6، اتخذ مجلس الأمن الدولي القرار 661، الذي يقضي بفرض عقوبات اقتصادية على العراق. ولم يرد في القرار أي ذكر لكلمة الحصار. . . حيث أن الحصار عمل من الأعمال الحربية، ويرقي تنفيذه إلى درجة اعلان الحرب. ولكن من الناحية العملية، فقد تطور هذا القرار إلى عملية حصار بحري كامل. وقبل أن يصدر هذا القرار بثلاثة أيام، كان الرئيس الأمريكي قد أصدر أوامره إلى القوات البحرية بفرض الحصار. . . وكانت القطع البحرية الأمريكية تتحرك من شتى القواعد البحرية في اتجاه منطقة الخليج. وبحلول يوم 10 أغسطس، كانت القطع البحرية الأمريكية قد أصبحت تسيطر على جميع الممرات والطرق الملاحية التي تؤدي الى العراق، وأصبح الحصار البحري نافذ المفعول. . . دون ذكر كلمة الحصار.

وفي خلال الأسبوعين التاليين كانت غالبية السفن التجارية المتجهة من العراق أو إليه تخضع لتفتيش السفن الحربية الأمريكية. ولكن القليل منها كان يرفض التوقف للتفتيش على أساس أن توقيع العقوبات شيء والحصار شيء آخر، استنادا على أن قرار مجلس الأمن الدولي لم يتضمن فرض الحصار على العراق. . . وحيث أن أمريكا لم تعلن الحرب على العراق، ولم تعلن رسميا فرض الحصار عليه، فلم يكن هناك أي مبرر قانوني لاخضاع السفن المتجهة من والي العراق للتفتيش. وقد لجأت أمريكا إلى مجلس الأمن لتغطية هذه الثغرة القانونية، فاستصدرت من مجلس الأمن الدولي، يوم 8/25 القرار رقم 665، الذي يبيح استخدام القوة المحدودة. وقد صيغ هذا القرار بجمل غامضة. . . تستطيع أمريكا بموجبها أن تفعل ما تريد ضد أي سفينة لا تمتثل لأوامرها. ثم استصدرت أمريكا القرار 670 في 25 سبتمبر 90، الذي يفرض أيضا الحصار الجوي (دون استخدام كلمة حصار) وذلك لاغلاق تلك الثغرة الضيقة التي كان يستخدمها العراق في الحصول على بعض احتياجاته الضرورية. وبموجب القرار 670، أصبحت جميع الرحلات الجوية المتجهة إلى العراق أو التي تقلع منه تخضع لتفتيش عناصر من الأمم المتحدة، للتأكد من التزامها بتطبيق قوانين الحظر. . وأصبح مطار عمان في الأردن هو النقطة الرئيسية لمراقبة الطائرات المتجهة أو القادمة من بغداد.

وطبقا لما أذاعته القيادة الأمريكية بعد انتهاء الحرب، فإن القوات البحرية لدول التحالف اعترضت حتى وقف اطلاق النار 7882 سفينة. [1] وأنها قامت بتفتيش فعلي في 996 حالة، وأنها قامت بتحويل 46 سفينة عن مسارها على أساس أنها كانت متجهة الى العراق، وهي تحمل أصنافا محظور إرسالها إلى العراق. والشيء الذي يثير الانتباه حقا، هو أن جميع الدول ـ بدون استثناء ـ قد أعلنت قبولها وتصميمها على توقيع العقوبات الاقتصادية على العراق. . . بما في ذلك المحايدة. فقد قررت سويسرا لأول مرة في تاريخها أن تلتزم بتوقيع العقـوبـات الاقتصـادية، وأن توقف كل تبادل تجاري أو مالي مع بغـداد والكويت. . . رغم ما يعنيه اتخاذ هذا الموقف من تعارض مع سياسة الحياد التي تنتهجهـا منـذ أكثـر من 200 سنـة. وقامت كل من تركيا والمملكة العربية السعودية باغلاق أنبوب النفط العراقي الذي يمر خلال أراضيهما. . . الذي كان كل منهما بنقل 1600 مليون برميل يوميا.

وقد اتخذ العراق سلسلة من الاجراءات التي تسمح له بتحمل الحصار لفترة طويلة. وكـان في مقدمها فرض رقابة مشددة على استهلاك المواد الغذائية. فكان يصرف لكل فرد 200 جرام من الدقيق يوميا أو ما يعادلها من الخبز، وكان يصرف لكل أسرة شهريا : 1500 جرام من الأرز، 1000 جرام من السكر، 100 جرام من الشاي، 500 جرام من الزيت. وكان العراق يعتقد أنه بفضل التحكم في استهلاك المواد الغذائية وصرفها بالبطاقات. . . وبفضل التوسع في انتاج المواد الغذائية. . . وبفضل الاحتياجات الاستراتيجية التي قام بتخزينها قبل بدء عملية الحصار. . . فإنه يستطيع أن يتحمل الحصار لبضع سنوات. ولكنْ ماذا بالنسبـة للمـواد الـطبية ؟ ومـاذا بالنسبـة لقطع الغيار الضرورية للمصـانـع والآلات الـزراعية وأسلحـة القتـال ؟ ماذا بالنسبـة لاستعواض الأسلحة والذخائر التي تستهلك أو تدمر أثناء التدريب وأثناء القتال الفعلي ؟

وبالرغم من أن قرارات الأمم المتحدة كانت تستثني المواد الطبية من الحظر المفروض على العراق. . . إلا ان إخضاعها للتفتيش والتصريح بها بعد مرورها على مرحلتين جعلتها في واقع الأمر من الممنوعات. فأولا يجب الحصول على تصريح من اللجنـة المختصـة بالأمم المتحدة. . . التي هي في حقيقة الأمر خاضعة أو متعاطفة تماما مع الرغبة الأمريكية في فرض الحصار بشدة إلى حد

تركيع العراق وإرغامه على التسليم. وهذه اللجنة لا تصرح إلا بأقل القليل، وبعد مرور فترة زمنية طويلة. ثم يأتي بعد ذلك خضوع السفن لعمليات التفتيش التي تقوم بها القطع البحرية الأمريكية والتابعة لدول التحالف. وهذه السفن الحربية كانت كثيرا ما كانت تمنع السفن التجارية التي تحمل هذه الأصناف من الوصول إلى الموانىء العراقية متذرعة بشتى الذرائع. فأحيانا تدعى بأن الكميات الموجودة بالسفينة غير متطابقة مع ماهو مدون بالتصريح. وأحيانا تدعى أن السفينة تحمل أصنافا أخرى من الممنوعات ـ كالسكر مثلا ـ حتى لو كانت هذه الأصناف مخصصة لاستهلاك طاقم السفينة والركاب. ونتيجة لهذه الاجراءات التعسفية، فقد أصبح الامداد بالمواد الطبية الانسانية مقطوعا هو الآخر من الناحية العملية. وقد أثارت هذه الاجراءات اللاانسانية نفوس أصحاب الضمائر في العالم وهم قليلون. ففي خلال النصف الثاني من شهر ديسمبر 90، زار العراق لجنة طبية كان من بينها الطبيب برنارلون، الحائز على جائزة نوبل في مجال الطب. وقد أدلى الطبيب لون بعد عودته من تلك الزيارة، بحديث لشبكة التليفزيون الأمريكية NBC قال فيه «لا يجوز معاقبة الأطفال كوسيلة للرد على الغزو العراقي للكويت. هناك نقص كبير حاليا في المواد الطبية الأساسية، مثل المضادات الحيوية والأنسولين ومواد التخدير في مستشفيات الأطفال وفي المؤسسات الصحية العراقية الأخرى». كما أوضح الطبيب الأمريكي جون باستور المختص في علاج الأمراض القلبية في حديث نشرته صحيفة نيويورك تايمز يوم 25 ديسمبر، أنه لمس مضاعفات الحظر من خلال الحديث مع الأطباء العراقيين ومعاينته للأوضاع في مستشفيات بغداد. وأعلن أن الأطباء العراقيين توقفوا عن إجراء العمليات الجراحية باستثناء تلك التي لها صفة الاستعجال.[2]

وتحت شعار الغذاء والدواء حق لكل إنسان، نظم الاتحاد النسائي العربي رحلة لسفينة تنطلق من الجزائر محملة بالأغذية والأدوية الضرورية في اتجاه العراق. كانت السفينة اسمها ابن خلدون، وأطلق عليها إعلاميا اسم سفينة السلام. وانطلقت ابن خلدون من ميناء الجزائر يوم 6 ديسمبر، وعلى متنها مندوبون من كافة الاتحادات النسائية العربية القطرية. ويقول منظموا الرحلة أنهن لاقين مصاعب ومضايقات من السلطات المصرية منذ أن وصلت السفينة

إلى بورسعيد في 14 ديسمبر. فقد أصرت شركة القناة على تحصيل مبلغ 20 000 دولار كرسوم مرور للقناة. . . وأن الضباط المصريين صعدوا إلى السفينة وقاموا بتفتيشها تفتيشا دقيقا، وصل إلى حد تفتيش حقائب السيدات اللاتي يرافقن السفينة. . . وقام الغواصون بفحص واستطلاع أسفل السفينة. . . ولكن الموقف تغير تماما عندما وصلت السفينة إلى بورسودان حيث أعلنت حكومة السودان يوم وصول سفينة السلام إلى بورسودان عطلة رسمية. كذلك أقيمت احتفالات مماثلة رسمية وشعبية عند وصول السفينة إلى ميناء الحديدة وميناء عدن. ولكن المصاعب الحقيقية بدأت عندما دخلت السفينة المنطقة المحاذية للمياه الاقليمية لسلطنة عمان. ففي يوم 90/12/26 تعرضت السفينة في هذه المنطقة لعمليات تفتيش اتسمت بالخشونة. فقد هبط عدد من جنود المارينز الأمريكيين الذين نقلتهم طائرات الهيليوكوبتر على ظهر السفينة. وجرت مشادات بين جنود المارينز والسيدات أطلقت خلالها بعض الأعيرة النارية والقنابل، وأصيبت بعض النساء. [3]واقتيدت سفينة السلام بعد ذلك تحت حراسة القطع البحرية لدول التحالف إلى منطقة قرب جزيرة مصيرة العمانية، حيث بقيت في الحجز 17 يوما. وأرغمت السفينة على تفريغ ماكانت تحمله من سكر وحليب للأطفال، في ميناء قابوس، قبل أن يسمح لها يوم 11 يناير باستئناف رحلتها. وفي الساعة 1530 من يوم الاثنين 14 يناير 1991 وصلت سفينة السلام إلى ميناء أم قصر العراقي وعلى متنها 279 راكبا (237 سيدة من وفود السلام + 42 طاقم الباخرة) بعد رحلة استغرقت 40 يوما.

وفي 3 يناير 1991 أبحرت سفينة السلام الثانية (بلقيس) من الجزائر. وقد نظم هذه الرحلة اتحاد العمال الجزائريين، وانضم إليهم وفد مغربي يمثل عمال المغرب. كانت السفينة محملة بالأدوية وحليب الأطفال. وتوقفت في ميناء تونس وفي ميناء طرابلس، لاعطاء الفرصة للعمال في تونس وليبيا للمشاركة في تلك المظاهرة الشعبية. فغادرت تونس يوم 8 يناير، وغادرت طاربلس يوم 12 يناير. ولكن اندلاع الحرب وهي مازالت في الطريق اضطرها إلى العودة بحمولتها دون أن تكمل الرحلة.

وفي 25 فبراير 91، أذاعت وكالة أنباء رويتر، نقلا عن بيان لممثل الصليب الأحمر العراقي، أن 5 000 شخص من النساء والأطفال والشيوخ قد فارقوا

الحياة في الأيام الأخيرة في مستشفيات العراق، نتيجة عدم توفر المستحضرات الطبية الضرورية. وبالاضافة إلى نقص الأدوية، كان شعب العراق يعاني أيضا من الأمراض الناتجة عن سوء التغذية. وفي تقرير تقدم به فريق طبي من جامعة هارفارد الأمريكية في أبريل 1991، تنبأ الفريق بأن 000 170 طفل عراقي على الأقل سوف يموتون عام 91 بأمراض gastrointestinal التي تنتشر بسبب سوء التغذية، كنتيجة مباشرة للحرب واستمرار الحصار.[4]

الحرب الجوية

كانت ساعة الصفر هي 0300 يوم 17 يناير فوق بغداد. وقد أقلعت الطائرات الأولى طراز F - 15 من السعودية الساعة 0050 يوم 17 (الساعة 1650 يوم 16 بتوقيت واشنطن). وقامت الطائرات الأمريكية والحليفة لها بتنفيذ 1000 طلعة خلال يوم 17 يناير. ثم استمرت الغارات الجوية بعد ذلك ليلا ونهارا حتى صباح يوم 28 فبراير 91، وفي خلال تلك المدة قامت قوات التحالف بـ 876 109 طلعة (يدخل ضمن هذا الرقم طلعات القتال وطلعات المعاونة. ويقصد بطلعات المعاونة طلعات الاعاقة الالكترونية، والاضاءة، والنقل، والامداد بالوقود جواً، وانقاذ الطيارين، والاتصال إلخ... وحيث أن طلعات المعاونة تمثل عادة حوالي 50 في المائة من إجمالي الطلعات الجوية، فإن هذا يعني أن الطلعات القتالية الهجومية التي قامت قوات التحالف بتنفيذها هي حوالي 000 60 طلعة). وطبقا للأرقام المعلنة بواسطة قيادة قوات التحالف، فقد بلغت خسائر قوات دول التحالف من الطائرات بسبب العمليات الحربية : 38 طائرة، 5 هيليوكوبتر.[5]

الدولة	بسبب العمليات		حوادث عادية		إجمالي	
	طائرة مجنحة	هيليو كوبتر	طائرة مجنحة	هيليو كوبتر	طائرة مجنحة	هيليوكوبتر
الولايات المتحدة	29	5	10	17	39	22
المملكة المتحدة	6		1		7	
إيطاليا	1				1	
المملكة السعودية	1		1		2	
الكويت	1				1	
إجمالي	38	5	12	17	50	22

وهذا يعني أن خسائر دول التحالف كانت بمعدل 0.35 طائرة لكل 1 000 طلعة من إجمالي الطلعات في مسرح العمليات... وهي نسبة متدنية للغاية، تدل على عدم قدرة الدفاع الجوي العراقي في التصدي للقوات الأمريكية والمتحالفة معها.[6] وتدل البيانات التي أذاعتها القيادة الأمريكية على ان الدفاع الجوي العراقي كان يزداد ضعفا يوما بعد يوم. ويؤكد ذلك أن 60 في المائة من خسائر دول التحالف في الطائرات، قد وقع خلال الأسبوع الأول من العمليات. وكانت نسبة الخسائر في الطائرات تختلف بين مختلف العناصر المشاركة. فقد كانت الخسائر في القوات الجوية الأمريكية 0.22 كل 1 000 طلعة، وفي قوات المارينز الأمريكية 0.81 كل 1 000 طلعة، وفي القوات البحرية الأمريكية 0.4 كل 1000 طلعة. وكانت الخسائر في القوات الجوية البريطانية أعلى من ذلك... ويرجع ذلك إلى أنها كانت تقوم في الأيام الأولى للحرب بتنفيذ هجماتها ضد المطارات العراقية من ارتفاعات منخفضة، مما يعرضها إلى التدمير بواسطة المدافع والرشاشات. وقد اضطرت بعد ذلك إلى تغيير تكتيكاتها، وأصبحت تقصف أهدافها من ارتفاعات عالية ومتوسطة، فانخفضت خسائرها إلى مستوى القوات الأمريكية.

يقسم الأمريكيون هذه الحرب إلى 3 فترات رئيسية. ويطلقون اسما كوديا على كل منها. فالفترة الأولى تمتد من 8 أغسطس 90 حتى 16 يناير 91، واسمها الكودي درع الصحراء Desert Shield. والفترة الثانية تمتد من 17 يناير حتى 23 فبراير واسمها الكودي عاصفة الصحراء Desert Storm. والفترة الثالثة من 24 فبراير حتى 28 فبراير واسمها الكودي سيف الصحراء Desert Sabre. وطبقا للاحصائيات التي أعلنها الجانب الأمريكي[7] فإن العراق يكون قد تحمل الخسائر التالية، حتى نهاية فبراير 1991 في المنطقة جنوب نهر الفرات.

3700	دبابة من أصل 4280 (الخسائر 86 ٪)
2600	قطعة مدفعية من أصل 3110 (الخسائر 84 ٪)
2400	عربة مدرعة من أصل 2870 (الخسائر 84 ٪)

وفي اعتقادي أن العراق قد تحمل حوالي 60 ـ 70 في المائة من هذه الخسار أثناء انسحابه من الكويت يوم 26 فبراير والأيام التالية. وإلى أن تصدر بيانات رسمية صحيحة لا تتحمل المغالطة أو التضليل، فإن ذلك هو تقدير شخصي من جانبي، توصلت إليه بعد حساب جملة عوامل وفي مقدمتها الانسحاب في ظل تفوق جوي معاد، وبناء على الدروس المستفادة من الحروب السابقة.

وقد قامت القوات الجوية الأمريكية بالمجهود الرئيسي في الحرب الجوية. فقيادة القوات الجوية الأمريكية USAF، كانت هي التي تضع الخطط. وهي التي توزع الواجبات والمهام على باقي دول التحالف. وهي التي تشرف وتسيطر على تنفيذ تلك المهام. والقوات الجوية الأمريكية قامت بتنفيذ 59 ٪ من إجمالي الطلعات القتالية خلال الحرب... وهي التي قامت بتنفيذ ـ فيما عدا حالات قليلة جدا ـ جميع الطلعات التي استخدمت فيها الذخائر الموجهة Precision Guided Munitions PGMs (القوات الجوية البريطانية RAF، هي الوحيدة التي استخدمت PGMs في عدد محدود من الحالات)... والقوات الجوية الأمريكية هي التي وفرت تقريبا كل طلعات الامداد بالوقود جوا.

وتنقسم فترة عاصفة الصحراء Desert Storm، من حيث المهام التي تم التركيز عليها بواسطة القوات الجوية لدول التحالف، إلى ثلاثة مراحل.[٤]

- **المرحلة الأولى Phase One** : وفي خلال تلك المرحلة، كانت قيادة دول التحالف ترمي إلى تحقيق ثلاثة أهداف رئيسية، الأول هو تدمير وسائل الدفاع الجوي العراقي والحصول على السيطرة الجوية، بحيث تصبح سماء العراق مفتوحة أمام طيران دول التحالف في المراحل التالية. كان الهدف الثاني هو تدمير وسائل الردع العراقية. وكان الهدف الثالث هو تدمير وشل وسائل القيادة والسيطرة.
- **المرحلة الثانية Phase Two** : تم التركيز خلال هذه المرحلة على وسائل الدفاع الجوي في مسرح الكويت، وعلى عزل ميدان المعركة (القوات الموجودة في الكويت). وهو ما يعني ضرب خطوط المواصلات ومنع وصول أي امدادات إلى القوات التي تنتشر في الكويت. وبالتالي تتضاءل قدرتها على الاستمرار في البقاء والمقاومة يوما بعد يوم، نتيجة عدم استعواض ما تستهلكه يوميا من مخزوناتها من تعيينات ومياه ووقود وذخائر الخ.

• المرحلة الثالثة Phase Three : وفي خلال تلك المرحلة ركزت القوات الجوية مجهودها من أجل ضرب وتدمير الأهداف الأرضية. وبذلك تضع القوات العراقية أمام ثلاث خيارات صعبة. فإما أن تضطر إلى التسليم بعد أن تكون قد فقدت الجزء الأكبر من أسلحتها ومعداتها، وبعد أن تكون الروح المعنوية بين القوات قد تأثرت كثيرا نتيجة القصف الجوي المكثف، دون أن يكون لديها إمكانيات للتصدي لهذا القصف... واما أن تنسحب إلى العراق في ظل التفوق الجوي الساحق للعدو، وبذلك تتيح له الفرصة في الاجهاز على ماتبقى لديها من أفراد وأسلحة وعتاد... وإما البقاء في مواقعهم الدفاعية في الكويت والتصدي للهجوم البري المحتمل تحت ظروف صعبة، ان لم تكن بالغة السوء.

كان تدخل القوات الجوية العراقية ضعيفا، فلم تظهر الطائرات العراقية في الجو إلا خلال الثمانية أيام الأولى، ثم توقفت في اليوم التاسع. وفي اليوم العاشر بدأت عملية الهروب في اتجاه ايران [9] وفي الأيام الأربعة الأولى كان إجمالي الطلعات الجوية العراقية القتالية والمعاونة يزيد قليلا عن 40 طلعة في اليوم. ولكن هذا العدد انخفض في الأيام التالية. وتدعي قيادة دول التحالف أنها لم تخسر أي طائرة في عمليات قتال جوي. [10] وأنها أسقطت 35 طائرة عراقية في الجو، 16 منها في اشتباك جوي. أما الطائرات الباقية فقد دمرت أثناء هروبها إلى ايران. كما تدعي قيادة دول التحالف أنها دمرت 36 طائرة عراقية على الأرض. وهذا يعني أن اجمالي الخسائر العراقية في طائرات القتال هو 186 طائرة من أصل 665 طائرة قتال كان يمتلكها العراق عند بدء العمليات (النسبة 28 ٪). [11] وتؤكد الأرقام أن الدفاع الجوي العراقي قد فقد فعاليته تماما اعتبارا من يوم 25 يناير 91. فحتى نهاية يوم 24 يناير كانت قوات التحالف قد نفذت 000 14 طلعة جوية خسرت خلالها 23 طائرة قتال (نسبة الخسائر 1.64 طائرة لكل 000 1 طلعة). أما خلال الفترة من يوم 25 يناير وحتى 28 فبراير فقد نفذت 876 95 طلعة جوية خسرت خلالها 16 طائرة قتال (نسبة الخسائر حوالي 0.16 طائرة لكل 000 1 طلعة جوية). وهذه النسبة الأخيرة تتساوى مع نسبة الخسائر في التدريب وقت السلم.

لاشك أن الهجمات الجوية لدول التحالف كانت ناجحة. وقد زاد في تعميق هذا الاعتقاد ما كان يصاحبها من دعاية ضخمة ترتكز على أربع نقاط رئيسية.

الأولى هي عدد الطلعات. والتي كانت في المتوسط 2500 طلعة يوميا. والثانية هي نسبة النجاح، والتي كانت حسب ادعائهم هي 80 ٪ من الطلعات. والثالثة هي دقة التصويب والتي كان يتم التفاخر بها يوميا بعرض أفلام الفيديو التي كانت تلتقطها طائراتهم أثناء قيامها بقصف الأهداف العراقية من مراكز قيادة وكباري. . . الخ. والرابعة هي قلة عدد الخسائر في الطائرات التي قامت بتنفيذ تلك الطلعات. ولكن هذا الاعلام المكثف كان يتعمد اخفاء بعض الحقائق ـ دون أن يرتكب جريمة الكذب ـ وذلك بخلطها بمعلومات أخرى لا يستطيع أن يستخلصها إلا الخبراء. وعلى سبيل المثال فإن قيادة دول التحالف كانت تعلن عن إجمالي عدد الطلعات التي تقوم بتنفيذها في مسرح العمليات دون أن تحدد طبيعة هذه الطلعات. فإذا استبعدنا الطلعات الادارية وطلعات الاتصال التي تتم فوق الأراضي السعودية والتركية، فإن طلعات القصف الجوي والحماية الجوية قد لا تزيد كثيرا عن 1 000 طلعة يوميا. وهو ما يعني ثلثي طلعة يوميا لكل طائرة مقاتلة أو قاذفة مقاتلة، وهو انجاز متواضع في الحروب. . . ولا سيما في ظل التفوق الجوي الساحق الذي كانت تتمتع به قوات دول التحالف.

أما قولهم بأن 80 ٪ من الطلعات كانت ناجحة، فإنه يعني أن 80 في المائة من الطلعات قد ألقت بحمولتها، ولكنه لا يعني أنها أصابت الأهداف التي كلفت بقصفها. وأما الأفلام التي كانت تعرض عن الأهداف التي أصيبت، فإنها كانت ملتقطة بواسطة الطائرات التي تستخدم الذخائر الموجهة بدقة PGW. وهذه الذخائر لم تكن تمثل سوى حوالي 10 في المائة فقط من الذخائر والقنابل التي ألقيت خلال تلك الحرب. كما أن نجاح هذه الذخائر في إصابة الأهداف كان بنسبة 85 في المائة. [22] وقد عرف فيما بعد أن إجمالي ما أسقطته القوات الجوية من قنابل خلال الحرب هو 000 88 طن من القنابل (يعادل 4.5 قنبلة نووية مثل تلك التي أسقطت على هيروشيما في 1945/8/6). أما فيما يتعلق بقلة خسائرهم في الطائرات، فهذه حقيقة لا جدال فيها. وكان ذلك يرجع إلى السيادة الجوية التي تتمتع بها دول التحالف، سيما بعد أن تم تدمير جميع ـ أو الغالبية العظمى ـ من الرادارات العراقية. . . وبعد أن اختفت القوات الجوية العراقية. . . وبعد أن أصبح الدفاع الجوي العراقي يعتمد على

المدافع والرشاشات فقط في التصدي للهجمات الجوية. فكانت طائرات دول التحالف تطير على ارتفاعات متوسطة وعالية خارج مدى تلك المدافع والرشاشات.

الحـــرب البحريـــة

لقد حشدت أمريكا ودول حلف الأطلسي - بالاضافة إلى استراليا والأرجنتين - 176 قطعة بحرية. وجميعها من الحجم الكبير والمتوسط. فإذا أضيف إليها 44 قطعة صغيرة كانت تملكها الدول الخليجية، فإن العدد يرتفع إلى 220 قطعة (انظر الجدول رقم 4) وفي مقابل ذلك كان العراق يمتلك 35 قطعة صغيرة. وإذا أضيف إليها حوالي 15 قطعة كويتية استولى عليها العراق عند غزوة الكويت في 2 أغسطس 90، فإن العدد يرتفع إلى حوالي 50 قطعة. وبينما كانت جميع القطع العراقية حبيسة ومكدسة في عدد محدود من الموانىء العراقية والكويتية... مما يجعل فرصة تدميرها أكثر سهولة... فإن القوات البحرية لدولة التحالف كانت تحتشد في عشرات الموانىء في الخليج العربي، وفي خليج عمان، وفي بحر العرب، وفي البحر الأحمر... وكانت تتحرك عبر تلك البحار والخلجان بحرية تامة، وتسيطر بسفنها وطائراتها على جميع المسالك البحرية والجوية المؤدية من والي العراق، عبر هذا الطوق الذي فرضته على العراق. وفي ظل هذا التفوق العددي، والنوعي، والانتشار، والسيطرة الجوية... فإن نتيجة الحرب البحرية كانت محسومة، قبل أن تنطلق قذيفة واحدة من أي من الطرفين. وفي يوم 27 يناير 91، أعلن الحلفاء أنه تم إغراق أو الحاق إصابة بليغة في 18 قطعة عراقية، وأن القوات البحرية العراقية لم تعد تشكل أي خطر لقوات الحلفاء.

والدولتان الوحيدتان اللتان شاركت قواتها البحرية بطريقة إيجابية في جميع مراحل الحرب (درع الصحراء - عاصفة الصحراء - سيف الصحراء) هما الولايات المتحدة وبريطانيا. أما باقي الدول التي كانت لها قطع بحرية في المنطقة، فقد اقتصرت مساهمتها على مرحلة درع الصحراء، مع الاستمرار فقط في ممارسة الحصار خلال المرحلتين التاليتين، دون الاشتراك في أي عمليات تعرضية (هجومية). وقد بدأت العمليات التعرضية البحرية بواسطة

القطع البحرية الأمريكية والبريطانية يوم 23 يناير 91. ففي هذا اليوم تم إغراق سفينة نقل نفط عراقية Tanker ، كان العراقيون يستخدمونها كموقع دفاع جوي داخل مياه الخليج . . . كما تم اغراق قارب دورية وثلاث قطع هوفركرافت. واستمر بعد ذلك الهجوم على القطع البحرية العراقية بواسطة الطائرات والهيليوكوبترات المسلحة إلى أن تم تدميرها جميعا بحلول يوم 91/2/11 . . . وذلك طبقا للتقارير الغربية (لا توجد أي بيانات عراقية تؤكد أو تنفي تلك المعلومات).

وابتداء من 4 فبراير بدأت القطع البحرية الأمريكية تقصف الأهداف العراقية الأرضية داخل الكويت. وقد ساهمت في هذه العملية البارجة الحربية ميسوري Battleship Missouri بمدافعها من عيار 16 بوصة (وزن القذيفة 2000 رطل) والتي يصل مداها إلى 25 ميل (حوالي 40 كيلومتر). وفي يوم 7 فبراير قامت أختها السفينة وسكونسن Wisconsin . بتكرار قصف الأهداف الأرضية العراقية داخل الكويت. وقد قام العراق بمحاولتين للتصدي لهذه الهجمات البحرية، ولكن محاولاته لم تكلل بالنجاح. ففي يوم 24 يناير انطلقت طائرتين من طراز ميراج مجهزتين بصواريخ اكسوست Exocet ، في اتجاه القطع البحرية الكبيرة لدول التحالف . . . ولكن طائرة سعودية من طراز 15 - F كانت تقوم بأعمال الدورية في المنطقة قامت باسقاط الطائرتين قبل أن تطلقا صواريخهما. وكانت المحاولة الثانية يوم 25 فبراير عندما أطلق الدفاع الساحلي العراقي في الكويت صاروخ سيلكورم Silkworm في اتجاه السفينة الأمريكية ميسوري، فقامت السفينة البريطانية جلوستر Gloucester باطلاق صاروخ Sea Dart الذي دمر صاروخ سيلكورم في الجو قبل وصوله إلى هدفه. ***ويلاحظ في هاتين الحالتين مدي سيطرة المحطات الأرضية على سير العمليات البحرية والجوية. فالمحطات الأرضية هي التي تلقت المعلومات من وسائل الاستطلاع الجوية بانطلاق طائرتي الميراج العراقيتين يوم 24 يناير. . . وبانطلاق الصاروخ سيلكورم يوم 25 فبراير. . . وهي التي أصدرت التعليمات ووجهت الطيار السعودي في الحالة الأولى. . . وهي التي أوصلت المعلومات إلى السفينة جلوستر عن طريق data link في الحالة الثانية.***

ولكن بالرغم من هذا النجاح الذي حققته القوات البحرية الأمريكية . . . وبالرغم من كل الأجهزة الالكترونية المتطورة التي كانت لديها، فإن أرخص الأسلحة البحرية، وأقدمها، وأكثرها بدائية، كان هو أكثر الأسلحة البحرية العراقية ازعاجا للقوات البحرية الأمريكية. هذا السلاح هو الألغام البحرية . . . أو ما يمكن أن يطلق عليه بحق سلاح الدول الصغيرة والفقيرة في مواجهة من يملكون السيادة البحرية. فالقوات العراقية كانت تملك في بداية الحرب حوالي 50 قطعة بحرية، من بينها 28 قطعة سريعة مسلحة بصواريخ مضادة للسفن . . . وكان لديها أيضا دفاع ساحلي لا بأس به يعتمد على صواريخ سيلكورم . . . ومع ذلك فإن كل تلك الأسلحة تم تدميرها دون أن تنجح في الايقاع بأي خسائر في القطع المعادية. فالقطع البحرية العراقية اضطرت إلى البقاء في الموانىء حتى تحظى ولو بقدر ضئيل من الحماية بواسطة وسائل الدفاع الجوي المنصوبة على الشواطىء، ومع ذلك، فقد تم تدميرها . أو تدمير معظمها وهي مازالت داخل الموانىء. أما القطع البحرية التي تجزأت بالخروج والابتعاد من الموانىء، فقد كان تدميرها أكثر سهولة.

وتقول التقارير البريطانية أن طائراتها الهيليوكوبتر من طراز Lynx التابعة لقطعها البحرية قد تصدت لعدد من القطع البحرية التي خرجت من الميناء وأغرقتها مستخدمة في ذلك صواريخ Sea Skua المضادة للسفن. ومع أن صاروخ Sea Skua يصل مداه إلى 20 كيلومتر، إلا أن انعدام الدفاع الجوي العراقي، قد دفع إحدى تلك الطائرات البريطانية إلى أن تقترب من هدفها البحري إلى مسافة تقل عن 10 كيلومتر، لكي تكون الاصابة مؤكدة. ولم يكن الدفاع الساحلي العراقي بأحسن حظا من القطع البحرية. فقد دمر معظمه بواسطة الهجمات الجوية . . . كما دمر الصاروخ الوحيد الذي استطاع أن يطلقه يوم 25 فبراير، بواسطة وسائل الدفاع الجوي البحرية لدول التحالف، كما سبق أن أوضحنا.

أما الالغام البحرية العراقية فهي السلاح الوحيد الذي كان يشكل عنصر تهديد وقلق لدول التحالف. وهي السلاح الوحيد الذي أوقع خسائر في صفوفهم. فقد بث العراق حوالي 1200 لغم بحري في مياه الخليج. ورغم أن ثمن هذه الألغام جميعها لا يساوي ثمن قطعة بحرية صغيرة واحدة، فقد نجحت هذه الألغام في تحقيق المهام الرئيسية التالية :

1 - ارغام دول التحالف على تخصيص جزء هام من مجهودهم البحري لتأمين قواتهم البحرية ضد تلك الالغام. ويشمل ذلك الاستطلاع الجوي والبحري، وتخصيص عدد من القطع والأفراد لتدمير الألغام التي يتم اكتشافها. ولاشك أن استنزاف جزء من مجهود القوات البحرية في هذا المجال كان يؤثر على مجهودها في العمليات التعرضية التي يمكن أن تقوم بها ضد القوات العراقية.

2 - إرغام القوات البحرية على السير في ممرات ملاحية محددة تقوم القطع المكلفة بكسح الألغام بتطهيرها قبل أن تسلكها باقي القطع البحرية. . . وهذا يؤدي بدوره إلى بطء انتشار القوات البحرية ويحد من قدرتها على المناورة. . . وتزداد خطورة هذه الألغام إذا بعثرت على مساحة كبيرة، ولم يتم تثبيتها في أماكن زرعها.

3 - رغم التفوق البحري الساحق الذي كانت تتمتع به دول التحالف، فإن قيادة دول التحالف لم تجرؤ على القيام بعملية إبرار بحري على السواحل الكويتية خلف جبهة القتال، وذلك خوفا من الألغام البحرية والألغام البرية التي زرعتها القوات العراقية على الساحل. واكتفت دول التحالف بأن تحشد حوالي 000 17 من قوات المارينز في 31 سفينة برمائية، قبالة السواحل الكويتية، بهدف احتواء جزء من القوات العراقية. واختارت القوات البحرية وقوات المارينز الطريق الأسهل وهو إشتراك قوات المارينز في الهجوم البري من مناطق تجمع برية.

4 - في يوم 91/2/18 اصطدمت سفينتان أمريكيتان بلغمين. كانت إحداهما هي سفينة الانزال Tripoli (حمولتها 000 11 طن) وقد أصيبت بأضرار بسيطة. أما الثانية فكانت Princeton، وهي كروزر Cruiser حمولتها 9600 طن وتعمل بالطاقة النووية، ومجهزة لاطلاق صواريخ ضد السفن وصواريخ ضد الطائرات. وكانت إصابتها بليغة جدا. ومع أن السفينتين لم تغرقا إلا أنهما خرجتا من المعركة، وبذلك تحقق الهدف من إصابتهما.

وبالرغم من أن دول التحالف كان لها أكثر من 20 كاسحة ألغام في المنطقة . . . وبالرغم من أن عملية التطهير ورفع الألغام كانت تتم تحت ظروف مثالية بعد وقف اطلاق النار في 28 فبراير 91 ، وبعد أن قدم العراق لهم الخرائط التي تحدد أماكن حقول الألغام التي زرعها . . . فحتى نهاية مارس 91 ، كان قد تم رفع وتدمير 270 لغم ، وتطهير ممر ملاحي واحد يؤدي إلى ميناء الشوابة . . . وحتى نهاية مايو 1991 كان قد تم رفع وتدمير 1000 لغم .[13] وليس من المنتظر على أية حال أن يتم تطهير الألغام بنسبة 100 في المائة . . . وذلك لاحتمال انفلات بعض تلك الألغام من المواقع التي زرعت فيها . وبالتالي فإنه ليس بمستبعد أن نسمع باكتشاف أو انفجار لغم في مياه الخليج بعد سنوات من انتهاء الحرب .

حرب الصواريخ

الصواريخ العراقية : في الساعات الأولى من يوم 18 يناير 1991 ، أطلق العراق 8 صواريخ أرض أرض من طراز الحسين في اتجاه اسرائيل (6 في اتجاه تل أبيب ، 2 في اتجاه حيفا) . وفي اليوم التالي تكرر الهجوم بالصواريخ في اتجاه اسرائيل والسعودية . واستمر العراق بعد ذلك في شن هجمات صاروخية ضد إسرائيل والسعودية في أيام متقطعة . وعند وقف اطلاق النار في 28 فبراير 91، كان العراق قد أطلق 80 صاروخا (40 في اتجاه السعودية ، 39 في اتجاه اسرائيل ، 1 في اتجاه البحرين) . وتقول التقارير الأمريكية أن صواريخ باتريوت Patriot التي حشدت في السعودية ـ والتي كان يقوم بتشغيلها جنود أمريكيون ـ قد تصدت بكفاءة للصواريخ العراقية المهاجمة . أما بالنسبة للصواريخ العراقية التي وجهت الى إسرائيل ، فقد استطاعت تلك الصواريخ أن تخترق شبكة الدفاع الجوي الاسرائيلي . . . وذلك لأن الذي كان يقوم بتشغيل صواريخ باتريوت المضادة للصواريخ ، هم جنود إسرائيليون لم يكونوا قد وصلوا إلى المستوى العالي من التدريب الذي يؤهلهم إلى تشغيلها بكفاءة . ولكن ، وحتى بالنسبة للنجاح النسبي الذي حققته صواريخ باتريوت في السعودية ، فإن صواريخ الحسين قد أثبتت فعاليتها . ***وسوف تبقى الصواريخ أرض أرض المتحركة mobile ، عنصر تهديد وقلق للمختصين بشئون الدفاع الجوي في المستقبل القريب على الأقل . وذلك لأسباب التالية :***

1 - الحد الأدنى للدفاع عن هدف واحد أو مجموعة من الأهداف التي تدخل ضمن دائرة نصف قطرها 30 كيلومتر، هو بطارية باتريوت، وثمنها طبقا لأسعار 1991 هو 350 مليون دولار. ولذلك فإن حماية جميع الأهداف الصناعية والعسكرية والمناطق السكنية في الدولة - حتى بالنسبة للدول المتوسطة من حيث المساحة ومن حيث الكثافة السكانية - يحتاج إلى عشرات البطاريات، وملايير الدولارات.

2 - لكي ينجح الدفاع الجوي عن الدولة في صد الصواريخ أرض أرض المهاجمة، فإنه يتحتم عليه أن يكشف وقت ومكان الاطلاق، ومسار وسرعة واتجاه الصاروخ، واصدار التعليمات للصواريخ المضادة للصواريخ المكلفة بالدفاع عن الهدف المعرض للهجوم بالتصدي له، وأن تستجيب تلك الصواريخ المضادة للصواريخ لهذه التعليمات، وتنطلق لملاقاة الصواريخ المهاجمة فتدمرها قبل أن تصل إلى الهدف. ويجب أن يتم كل ذلك في مدة لا تتجاوز 7 دقائق (زمن رحلة الصاروخ الحسين حوالي 7 دقائق. ويمكن أن تصل إلى 10 دقائق بالنسبة للصواريخ التي يصل مداها 1000 كيلومتر. ومع ذلك فإن زمن رحلة الصاروخ يمكن أن تقل عن ذلك بالنسبة للأجيال القادمة من الصواريخ أرض أرض إذا أمكن زيادة سرعة الصاروخ). ونجاح الدفاع الجوي في تحقيق ذلك يتطلب ضرورة توفر أقمار صناعية تعمل فوق المنطقة بصفة دائمة، وأن ترسل ما تحصل عليه من معلومات بطريقة أوتوماتيكية إلى مواقع الصواريخ المضادة للصواريخ، التي يجب أن تنطلق هي الأخرى بطريقة أوتوماتيكية طبقا للبرامج التي توضع في حواسبها الالكترونية. أي أن العامل البشري في هذه الحالة يكاد يكون محصورا في عملية المراقبة، والتدخل فقط إذا ما حدث خلل في تلك الأجهزة الالكترونية.

3 - ادعت التقارير الأمريكية أول الأمر، أن من بين 40 صاروخ عراقي أطلقت في اتجاه السعودية، سقط 11 منها في الصحراء دون أن تحدث أي خسائر. . . وأن صواريخ باتريوت الأمريكية تصدت إلى 29 منها ودمرتها جميعا وهي في الجو. . . وأن بقايا 7 من تلك الصواريخ العراقية

المدمرة قد سقطت على أماكن سكنية فأحدثت خسائر في الأفراد والمعدات والمباني. . وأن تدمير مطعم الجنود في الظهران يوم 91/2/25، الذي راح ضحيته 28 قتيل، 100 جريح، كان نتيجة بقايا صاروخ مدمر متساقطة. . . ولكنها عادت بعد ذلك وادعت (JDW الصادرة في 4 مايو 91 صفحة رقم 722) أن صواريخ باتريوت، أصابت ودمرت 90 في المائة من صواريخ الحسين التي أطلقت في اتجاه السعودية، 50 في المائة فقط من الصواريخ التي أطلقت في اتجاه اسرائيل. وهذا يعني أن مشكلة الدفاع المضاد لتلك الصواريخ مازالت قائمة. . . وحل هذه المشكلة يتطلب تحقيق أربعة مطالب : المطلب الأول هو رفع نسبة الدقة في الاصابة. المطلب الثاني هو ضمان أن يتم تدمير الصواريخ أرض أرض المهاجمة وهي بعيدة عن الهدف والمناطق السكنية حتى لا يتسبب تساقط أجزائها بعد تدميرها في الجو في إحداث خسائر في المنطقة التي تسقط فيها. وهذا بدوره يحتاج إلى تحقيق المطلبين الثالث والرابع. فالمطلب الثالث، هو تقصير الوقت الخاص بالانذار والاطلاق، بحيث تصبح قادرة على تدمير الصواريخ المهاجمة وهي مازالت بعيدة عن الهدف الذي تتوجه اليه. والمطلب الرابع هو أن يكون الهدف محاطا بمنطقة خالية من السكان، وليس بها أي أهداف ثانوية أخرى يخشى عليها من التدمير. ولكن من الناحية العملية فإن توفير هذا المطلب لن يكون ممكنا إلا بالنسبة للأهداف المنعزلة في الصحراء.

4 ـ ان أفضل طريقة لتدمير الصواريخ أرض أرض، هي تدميرها قبل إطلاقها. وأعنى بذلك تدمير وسائل إطلاقها وأماكن تخزينها. ولكن إذا كان ذلك ممكنا بالنسبة للصواريخ أرض أرض الثابتة، فإنه يعتبر عملية بالغة الصعوبة بالنسبة للصواريخ المتحركة. . . حيث أنه من السهل اخفاؤها، وتقوم عادة بتغيير موقعها بعد كل إطلاق. وقد أكدت هذه الحرب صعوبة القضاء على الصواريخ المتحركة. فرغم التفوق الجوي الساحق الذي كانت تتمتع به قوات دول التحالف، فإن ذلك لم يمنع العراق من إطلاق 80 من تلك الصواريخ. وفي سبيل البحث

عنها اضطرت قيادة دول التحالف أن تخصص الكثير من الدوريات الجوية المقاتلة Combat Air Patrols ، التي تعتبر أكثر الوسائل استنزافا للمجهود الجوي. وكما جاء في تعليق أحد القادة الأمريكيين، فإن البحث عن هذه الصواريخ كان مثله كمثل من يبحث عن إبرة في كومة من القش.

5 - لقد استخدمت القوات الجوية لدول التحالف 6600 طلعة جوية، وأطلقت 158 صاروخ باتريوت من أجل أن تعترض 80 صاروخ عراقي من طراز الحسين. ومع ذلك - فطبقا لما أعلنته - فإنها قد أصابت ودمرت 46 صاروخ عراقي (26 في السعودية + 20 في اسرائيل). ولاشك أن ذلك يعتبر نجاحا كبيرا لصاروخ الحسين.

6 - ولكن بالرغم من كل تلك المزايا التي تتمتع بها الصواريخ أرض أرض المتحركة، فإنها لن تصبح قوة ردع حقيقية في يد من يملكها إلا إذا استكملت بعنصرين رئيسين. العنصر الأول هو توفر قمر صناعي وأجهزة الكترونية حديثة تسمح بتصحيح مسار الصاروخ أثناء رحلة طيرانه للتغلب على عدم دقته الحالية (دائرة الخطأ في صاروخ الحسين والعباس هي 1000، 1500، متر على التوالي). أما العنصر الثاني فهو تجهيز الرؤوس الحربية لتلك الصواريخ بأسلحة التدمير الشامل. وإلى أن يتحقق ذلك، فإن تأثير تلك الصواريخ سيبقى محصورا في إطار تأثيرها المعنوي والدعائي فقط.

الصواريخ الامريكية : قامت أمريكا بحشد 500 صاروخ توماهوك فوق 20 سفينة سطح، من بينها البارجة الحربية ميسوري Battleship Missouri والبارجة الحربية وسكونسن Wisconsin (تحمل كل منهما 32 صاروخ). وبالاضافة إلى تلك السفن، كان هناك غواصتان تحملان عددا آخر من صواريخ توماهوك. وفي تمام الساعة 0130 يوم 17 يناير 91 أطلقت السفينة الحربية Bunker Hill أول صاروخ من بين 20 صاروخ توماهوك كانت موجهة لضرب القصر الرئاسي، شبكة التليفونات الرئيسية، ومحطة توليد الكهرباء في بغداد.

وقد اشتركت 9 قطع بحرية في إطلاق 106 صاروخ توماهوك خلال ال 24 ساعة الأولى. وفي خلال الحرب أطلقت أمريكا 303 صاروخ توماهوك بيانها كمايلي :

6 صاروخ أطلقتها يوم 91/1/19 الغواصة بيتسبورج Pittsburg التي كانت في البحر الأبيض. وتدعي أمريكا أن هذه الصواريخ مرت فوق الأراضي التركية، وان كان المنطق يقول أنها لابد وأن تكون قد مرت فوق الأراضي السورية.

6 صاروخ أطلقتها يوم 91/1/19 الغواصة لويزفيل Louisville التي كانت في البحر الأحمر، حيث مر الصاروخ فوق الأراضي السعودية.

264 صاروخ من النوع الذي يحمل رأسا حربيا شديد الانفجار، أطلقتها سفن السطح.

27 صاروخ من النوع الذي يحمل رأسا حربيا معبأ بقنيلات صغيرة bomblets أطلقتها سفن السطح.

ومن المعروف أن العرق لم يكن يملك صواريخ مضادة للصواريخ، ولكنه كان يعتمـد في التصـدي لتلك الصواريخ على المدفعية والرشاشات المضادة للطائرات... سيما وأن الصواريخ توماهوك كانت تطير على ارتفاع منخفض لكي تتفـادى اكتشافها بواسطة الرادارات. ولا توجد أرقام عراقية عن عدد الصـواريخ تومـاهـوك التي نجحت القـوات العـراقية في اسقـاطهـا. ولكن الأمـريكـان يعترفون بأن العراق أسقط صاروخين فقط فوق بغداد في الأيام الأولى للحرب. ويرجعون سبب ذلك إلى خطأ الجانب الأمريكي في أسلوب الاستخدام. فقد أطلق المختصون في هذا اليوم 6 صواريخ متتالية سلكت نفس الطريق ونفس الارتفاع، مما أتاح الفرصة للمدفعية المضادة للطائرات العراقية أن تقوم بعمل كمين ناجح للصاروخين الخامس والسادس [١٩].

وطبقا لما أذاعته وسائل الاعلام الغربية، فقد أقلعت طائرتان طراز A-6 E من حاملة الطائرات الأمريكية كيندي Kennedy المتواجدة في البحر الأحمر يوم

18 يناير 91 ، وأطلقت كل منهما صاروخا واحدا من طراز SLAM ضد هدف عراقي لم يعلن عنه. ثم قامت بعد ذلك طائرتان أخرتان طراز A - 7 E من نفس الحاملة، بتوجيه الصاروخين نحو هدفيهما. وفي خلال فترة الحرب أطلقت البحرية 7 صاروخ SLAM من أصل 38 صاروخ كان قد تم انتاجها لأغراض الاختبار. وتقول البحرية الأمريكية أن 4 صواريخ من السبعة التي أطلقت أثناء العمليات قد أصابت أهدافها.[15]

الحـــرب البريــــة

معـركة الخافجـــي

في مسـاء الثلاثـاء 29 يناير 91 عبرت القوات العراقية الحدود الكويتية السعـودية في ثلاث قولات يضم كل منهـا حوالي 500 فرد ومعهم عدد من الـدبابات وقطع المدفعية والعربات المدرعة (اجمالي حوالي 50 مركبة). كان القول الأول يتقدم بحذاء الساحل من الاقربيات في اتجاه رأس الخافجي. وكان القول الثالث يتقدم من الوفرة التي تقع غرب الساحل بحوالي 80 كيلومتر في اتجاه أم حجول. . . بينما كان القول الثاني يتقدم في وسط المسافة تقريبا بين القولين الأول والثالث. كانت مدينة الخافجي السعودية التي تقع على الساحل وعلى مسافة حوالي 20 كيلومتر من الحدود الكويتية هي المدينة الوحيدة التي تقع في مواجهة الهجوم العراقي. وقد سقطت المدينة في أيدي القوات العراقية في نفس ليلة الهجـوم دون أي مقاومة. . . وفي خلال يوم الأربعاء شنت قوات التحـالف هجـومـا مضـادا لاسترجـاع المدينة. كانت الطائرات الأمريكية والـبريطانية تصب نيرانها بغـزارة على القـوات العـراقية، بينما كانت القوات السعـودية والقـطرية تقـوم بالهجـوم الأرضي. وفي ليلة الأربعـاء / الخميس انسحبت القوات العراقية من الخافجي وعادت الى خطوطها، بعد أن تركت بعض الجماعـات الصغيرة لكي تحمي انسحابها. ولم يتوقف اطلاق النار في المدينة الا حوالي الساعة 1400 من يوم الجمعة أول فبراير.

وقد خسر العراق في هذه العملية 30 قتيل، 37 جريح. وخسر السعوديون 18 قتيل، 29 جريح. وأسر العـراقيون 2 من المـارينز الأمريكيين أحدهما امـرأة. [16] امـا القـولان الآخران فقد انسحبا إلى مواقعهما السابقة دون أن يتحملا أي خسائر. وفي مواجهتهما تم تدمير عربتين مدرعتين لقوات المارينز قتل فيهما 11 وجرح اثنان. ويدعى الأمريكيون أن طائرة هيليوكوبتر أمريكية هي التي دمرت هاتين العربتين بطريق الخطأ ظنا منها أنهما عراقيتان. [17] وجدير بالذكر أن قيادة التحالف قد أعلنت أول الأمر أن العراق خسر في هجومه على الخافجي 300 قتيل، ولكنها عادت فأعلنت في أول فبراير أن خسائر العراق هي 30 قتيل فقط.

وقد اختلفت الآراء حول الأسباب التي دفعت العراق إلى القيام بهذه العملية. فقال البعض أن صدام حسين أمر بها لتحقيق أهداف دعائية... وقال البعض أنها لرفع الروح المعنوية للقوات بعد أسبوعين من القصف الجوي الشديد... وقال البعض أنها لايقاف عملية حشد قوات دول التحالف على الحدود العراقية السعودية التي كانت تستعد لعملية التطويق... وقال البعض أنها لاحداث أكبر قدر من الخسائر... وقال البعض أنها لكي تستعجل دول التحالف في القيام بهجومها الأرضي، وهي المعركة التي كان يظن العراق أن لديه امكانيات التفوق فيها. واني أعتقد ان بعض هذه التحليلات قد ذهبت بعيدا في عالم الخيال. فإن عملية إغارة برية بقوة 1500 جندي لا يمكن أن تدفع الحلفاء إلى التعجيل بالهجوم الأرضي... أو أن ترغمهم على سحب حشودهم من الحدود السعودية العراقية خوفا من هجوم عراقي في الجبهة الكويتية السعودية... حيث أن هجوم القوات العراقية على قوات التحالف في ظل سيادة جوية لدول التحالف هي عملية مستحيلة. والتفسير المنطقي لهذه العملية هو القيام بعملية استطلاع بقوة Reconnaissance in Force. والغرض من مثل هذه العمليات هو فرض السيطرة على الأرض الحرام التي تفصل بين القوات الرئيسية للطرفين، والتي تصل إلى حوالي 20 كيلومترا... والحصول على معلومات عن الأرض التي ينتظر أن يتقدم عليها العدو في هجومه... والحصول على أكبر قدر من المعلومات عن العدو من حيث مواقعه وطبيعته واستعداده للقتال... والحصول على أسرى يمكن عن طريقهم التعرف على نوايا العدو المستقبلية... ولرفع الروح المعنوية للمقاتلين... واستعراض قوتهم واستعدادهم للقتال.

وإذا نظرنا إلى هذه العملية من منظور كونها عملية استطلاع مسلح، فلاشك أنه تعتبر ناجحة بكل المقاييس. فقد جاءت في وقت أغلقت فيه جميع أبواب الاستطلاع الأخرى في وجه القوات العراقية. كانت دول التحالف قد أصبح لها السيادة الجوية، ولم يعد من الممكن استخدام طائرات الاستطلاع العراقية للحصول على معلومات عن العدو... وكانت الوسائل الالكترونية السمعية والبصرية العراقية قد توقف معظمها بعد أن تم تدمير معظم الرادارات والأجهزة اللاسلكية والمعدات الالكترونية التي تستخدم لهذا الغرض. وبالتالي

فإن هذا الاستطلاع المسلح كان هو الوسيلة الوحيدة الباقية للقوات العراقية للقيام بالقاء نظرة خاطفة على ما يجري على الجانب الآخر من التل. كما وأن قيام القوات العراقية بفتح الثغرات في حقول الألغام والموانع التي أقامتها أمام مواقعها الدفاعية الرئيسية في الكويت. . . ثم التحرك من خلال تلك الثغرات ليلا بهذا الحجم من القوات. . . والتقدم لمسافة 20 كيلومتر داخل الأراضي السعودية ثم العودة بعد 36 ساعة من انطلاقها بعد أن حققت أهدافها. . . كل ذلك يشهد بكفاءة وقدرة القوات العراقية من حيث التخطيط والتنفيذ. وقد تم كل ذلك دون أن تتحمل القوات العراقية خسائر كبيرة. فباعتراف قيادة دول التحالف فإن نسبة خسائر العراق إلى خسائر دول التحالف في هذه العملية كانت 1 : 1. . . وهذه نتيجة جيدة جدا. . . سيما وأنها تمت في ظل تفوق جوي معادي كان هو السبب الرئيسي في الحاق الخسائر بالقوات العراقية. وكما سنرى فيما بعد، فإن معركة الخافجي كانت هي أفضل المعارك البرية التي خاضها العراق خلال تلك الحرب.

معـــارك المدفعيـــة

بدأ تبادل اطلاق النيران بطريقة متقطعة وعلى فترات متباعدة، بواسطة الدوريات وقطع المدفعية اعتبارا من يوم 23 يناير. وكان هدف كل طرف خلال تلك المرحلة هو الازعاج والحصول على المعلومات عن مواقع قطع مدفعية الطرف الآخر. ولكن اعتبارا من يوم 12 فبراير قامت قوات التحالف بقصف المواقع الدفاعية العراقية بقصفات مركزة. كان الهدف من تلك القصفات هو تدمير مواقع المدفعية العراقية المعروفة لدول التحالف، واغراء المدفعية العراقية الصامتة على الرد حتى تستطيع وسائل الرصد الأمريكية من تحديد أماكنها، والقيام بتدميرها هي الأخرى. وقد اشتركت في هذه القصفات بصفة أساسية المدفعية الأمريكية والبريطانية ذاتية الحركة من طراز MLRS ، 203 ملليمتر، 155 ملليمتر. وكان هدفها الثاني بعد تدمير المدفعية، هو تدمير الدبابات والمدافع المضادة للدبابات والعربات المدرعة. وكانت الطائرات من طراز A - 10 ، الهيليوكوبترات من طراز Apache تشترك مع المدفعية في ضرب الأهداف الأرضية العراقية.

كانت قيادة دول التحالف تهدف إلى تدمير حوالي 50 في المائة من القدرات القتالية للقوات العراقية المحتشدة في الكويت بواسطة الطائرات والمدفعية خلال مرحلة عاصفة الصحراء Desert Storm ، قبل أن يبدأ الهجوم البري وهو مرحلة سيف الصحراء Desert Sabre . وبعد 38 يوم من القصف الجوي والمدفعي ، كانت الظروف قد أصبحت مواتية لبدء الهجوم البري الذي انطلق في الساعات الأولى من يوم 24 فبراير 91 .

تـوزيع القـوات العراقيــة

تمتد الحدود العراقية السعودية على طول 888 كيلومتر. وباحتلال العراق للكويت أضيف إلى تلك الحدود 222 كيلومتر أخرى هي الحدود بين دولة الكويت والسعودية فأصبحت الجبهة بين العراق والسعودية تمتد لمسافة 1110 كيلومتر. كانت القوات البرية العراقية في أغسطس 1990 تتكون من 55 فرقة، ثم عبأ العراق 5 فرق جديدة أثناء الحرب فأصبح لديه 60 فرقة. . . خصص منها 42 فرقة للدفاع عن الجبهة الجنوبية (الحدود العراقية السعودية، والحدود الكويتية السعودية). ومن هذه القوات كانت تنتشر 25 فرقة داخل الأراضي الكويتية، بينما كان الباقي ينتشر في المنطقة شمال الكويت وحتى نهر الفرات في المنطقة الممتدة ما بين البصرة والناصرية. كانت مهمة القوات العراقية المتواجدة في الكويت هي الدفاع عن الكويت والقيام بالهجمات المضادة المحلية التكتيكية (على مستوى الألوية والفرق)، والهجمات المضادة التعبوية (على مستوى الفيالق). أما القوات العراقية التي كانت تتمركز جنوب العراق وشمال الكويت، والتي كانت تتكون أساسا من قوات الحرس الجمهوري العراقي (أفضل القوات العراقية تسليحا وتدريبا وولاء للرئيس صدام حسين) فقد كانت تمثل الاحتياطي الاستراتيجي للعراق. وكانت مهمتها هي صد الهجمات المعادية التي تهدف الى تطويق القوات العراقية المتمركزة في الكويت، والقيام بالهجمات المضادة العراقية الاستراتيجية ضد قوات دول التحالف التي تعجز قوات الجبهة عن صدها.

قام العراق بتركيز مجهوده الرئيسي في الدفاع عن الكويت. وكانت دفاعاته المجهزة معدة على أساس أن هجوم العدو المحتمل سيكو من ثلاث اتجاهات :

اتجاه الجنوب حيث الحدود الكويتية السعودية، واتجاه الشرق حيث الساحل الكويتي على الخليج، واتجاه الجنوب الغربي حيث الحدود السعودية العراقية. كانت أكثر الدفاعات قوة وأكثرها كثافة بالقوات والأسلحة هي التي تواجه الاتجاه الجنوبي. . . يليها اتجاه الساحل. . . وكان أقلها تجهيزا وكثافة هو الاتجاه الجنوبي الغربي. كانت الحدود العراقية السعودية تكاد تكون خالية من القوات، اللهم إلا من بعض نقاط متفرقة كانت مهمتها تقتصر على المراقبة والانذار. . . وكان عليها أن تنسحب فور قيام العدو بالهجوم من هذا الاتجاه. ونتيجة لذلك فإن المواقع التي كانت تحتلها تلك القوات كان ينقصها التجهيز الهندسي، وكانت تحتل بواسطة أعداد قليلة من الأفراد. وكانت المواقع الدفاعية في هذا الاتجاه تتضاءل قدراتها القتالية كلما اتجهنا غربا، حتى يكاد ينعدم وجود القوات العراقية تماما على مسافة 100 كيلومتر غرب الحدود الكويتية.

فكرة تطويق القوات العراقية

كان توزيع القوات العراقية بالصورة التي سبق شرحها. . . وخلو الحدود العراقية السعودية من الجنود. . . واتساع وصلاحية الأرض لتقدم القوات المدرعة. . . والسيادة الجوية التي تتمتع بها قوات دول التحالف. . . ووفرة القوات التي تحت تصرف تلك القيادة. . . وتدمير كل الكباري العراقية الموجودة على نهر الفرات. . . والخسائر الكبيرة التي تحملتها القوات العراقية نتيجة القصف الجوي. . . وكثافة الموانع الهندسية التي أقامها العراقيون أمام مواقعهم الدفاعية مما سوف يتيح لهم - بالرغم من كل ما أصابهم من خسائر وارهاق - أن يوقعوا خسائر جسيمة بالقوات التي تهاجمهم. . . كان كل ذلك يؤدي بتفكير أي قائد إلى استنتاج واحد، وهو أن الخطة المثلى هي تطويق كل القوات العراقية الموجودة جنوب نهر الفرات وقطعها نهائيا عن مصادر إمدادها. ثم العمل بعد ذلك على تدميرها بالهجوم عليها من الخلف أو إرغامها على الاستسلام بعد أن تنهار مقاومتها نتيجة الحصار. لم تكن خطة دول التحالف اذن تحتاج إلى قائد عبقري فذ لكي يكتشفها ويضع خطوطها العريضة. بل إن كثيرا من المحللين العسكريين كانوا يتحدثون علنا عن الخطة الأمريكية المحتملة. . . وذهب الأمر إلى أن بعض الصحف والمجلات نشرت تلك الخطط. وعلى سبيل المثال لا الحصر نشرت مجلة TIME الأمريكية في عددها رقم

8/ عام 91 في الصفحتين رقم 28، 29، الخطط الأمريكية المحتملة (تنزل مجلة TIME إلى الأسواق قبل التاريخ الذي يحدد صدور المجلة بأربعة أيام. وحيث أن العدد رقم 8 معنون بتاريخ 25 فبراير، فإن هذا يعني أن العدد كان في الأسواق بتاريخ 21 فبراير 91).

*وقد جاء في مجلة **TIME** المذكورة مايلي: «قوات الحلفاء تتحرك منذ مدة في اتجاه الغرب على طول الحدود العراقية السعودية حيث تخف كثافة المواقع الدفاعية العراقية. ومن المنتظر أن تندفع القوات المدرعة من اتجاه الحدود العراقية السعودية وتندفع بسرعة كبيرة في حركة تطويق واسعة تشمل تطويق جميع القوات العراقية بما فيها الحرس الجمهوري. . . وهناك احتمال أن يقوم الفيلق الثامن عشر باحتلال مدينة النجف (المؤلف: الفيلق الثامن عشر به الفرقة 82 جنود مظلات، الفرقة 101 التي تنقل بواسطة الهيليوكوبتر. أي أن تقوم دول التحالف باحتلال منطقة النجف بعملية إبرار من الجو. فإذا تحرك الحرس الجمهوري للتعرض للقوات التي تم إبرارها من الجو، فستكون هذه فرصة مثالية لتدميره بواسطة الطائرات والهيليوكوبترات التي تسمى قاتلة الدبابات، والتي تشمل الطائرات من طراز ثندربولت **Thunderbolt**، طراز هاريير **Harrier**، الهيليوكوبترات طراز أباتشي **Apache**، طراز كوبرا **Cobra**.*

وكان مؤلف هذا الكتاب هو أول قائد عسكري عربي ينبه إلى احتمال قيام قوات دول التحالف بتطويق القوات العراقية. وقد نشر في الجزء الأول من كتاب الحرب الصليبية الثامنة الذي نشر للتداول العام في 20 أكتوبر 1990، ما أسماه «الخطة الأمريكية الاسرائيلية لضرب العراق كما يتصورها». وكانت هذه الخطة تعتمد أساسا على قيام اسرائيل بعملية تطويق واسعة في اتجاه الفالوجة والنجف، الناصرية. . . وأن تقوم القوات الأمريكية الرئيسية بحركة تطويق أقل اتساعا ـ وان كانت تنطلق من الأراضي السعودية بعيدا عن الحدود الكويتية ـ في اتجاه المنطقة التي تقع مابين البصرة وشمال الكويت. وقد سلم 200 نسخة من هذه الخطة الى السفارة العراقية بالجزائر يوم 3 أكتوبر (أي قبل صدور الكتاب بأكثر من أسبوعين). وقد كانت هذه الخطة مبنية على أساس أن دول التحالف تحتاج إلى 12 فرقة مدرعة ومشاة ميكانيكية على الأقل لكي

ترغم العراق على الانسحاب من الكويت. . . وعلى أساس أن اسرائيل ستقدم 6 فرق، بينما تقوم أمريكا وبريطانيا وفرنسا ومصر وسوريا بتقديم 6 فرق أخرى. فلما قرر الرئيس الأمريكي بوش في 8 نوفمبر 90 مضاعفة قوات التحالف. . . وبعد أن أصبح تحت قيادة دول التحالف 15 فرقة (9 فرق أمريكية هي الفرقة الأولى المدرعة، الفرقة الثالثة المدرعة، والفرقة الأولى مشاة ميكانيكي، والفرقة 24 مشاة ميكانيكي، الفرقة الأولى فرسان، الفرقة 82 جنود جو، الفرقة 101 اقتحام جوي، الفرقة الأولى مارينز، الفرقة الثانية مارينز. . . بالاضافة إلى فرقة مدرعة بريطانية، فرقة مدرعة خفيفة فرنسية، فرقتين مصريتين أحدهما مدرعة والأخرى مشاة ميكانيكي، فرقة مدرعة سورية، وحوالي فرقة مدرعة خفيفة مشتركة من السعوديين والكويتيين). . . وبعد أن أصبح من الممكن الاستغناء على المشاركة الاسرائيلية في تلك الحرب بكل ما يمكن أن تحمله من مضاعفات. . . أخذت أحذر - في كل المحاضرات واللقاءات الاذاعية والتليفزيونية التي أجريتها - من حركة الالتفاف الأمريكية. وقلت بكل وضوح أن المعركة الرئيسية التي ستحسم هذه الحرب ستدور بين القوات المدرعة والميكانيكية لدول التحالف وبين الحرس الجمهوري العراقي في المنطقة الممتدة ما بين البصرة والناصرية جنوب نهر الفرات. وقد بلغ من تكراري لهذا التحذير أن وصلني خطاب من أحد المشاهدين لشاشة التليفزيون يلومني فيه بأني أوضح للعدو ما يجب أن يفعله، وأني أستحث القوات الصليبية لكي ينفذوا ذلك. وقد قمت بالرد عليه وقلت له سامحك الله على هذا الظن فإن بعض الظن إثم. وأهديت إليه الجزء الأول من كتابي عن الحرب الصليبية الثامنة لكي أبين له مدى الخطأ الذي وقع فيه بهذا الظن. . . ثم أن القاعدة الذهبية التي يجب أن يلتزم بها كل قائد عسكري هي أن يفترض أن عدوه لا يقل عنه ذكاء إن لم يكن أكثر منه. وبالتالي فإنه عندما يتصور الخطة التي سوف يتبعها الخصم، فإن هذه الخطة يجب أن تكون أفضل خطة تخدم مصالح هذا الخصم على ضوء المعلومات المتاحة له. فإذا صدق القائد العسكري في تصوره لخطة خصمه واتخذ الاجراءات المضادة لها فإنه يكون بذلك قد حقق 50 ٪ من احتمالات النصر، قبل أن تبدأ المعركة.

ثم أن الالتفاف حول الجيوش ومهاجمتها من الخلف أو الأجناب هو مبدأ من مبادىء الحرب منذ قديم الزمان. وكان أول من طبق هذا المبدأ ميدانيا على

المستوى الاستراتيجي، هو القائد الافريقي القرطاجي هانيبال. ورغم مرور حوالي 2210 عام على حركة الالتفاف الواسعة التي قام بها هانيبال عام 218 قبل ميلاد المسيح عليه السلام، فإن هذه العملية مازالت تدرس في المدارس العسكرية كمثل يحتذي به في ضرورة وأهمية اللجوء إلى حركات الالتفاف كلما كان ذلك ممكنا. فقد انطلق هانيبال من مدينة قرطاجة الجديدة في اسبانيا (جنوب مدينة Alicante الحالية) في منتصف ابريل عام 218 ق.م بقوة تقدر بحوالي 30 000 من المشاة، 10 000 من الفرسان، 38 فيل. وبعد رحلة طولها 1200 كيلومتر قطعها في 6 أشهر - تخللها عبور جبال الألب في 15 يوم - وصل هانيبال إلى سهول شمال إيطاليا في مؤخرة جيوش روما. ورغم أن هانيبال خسر في هذه الرحلة حوالي ثلث جيشه وتقلص عدده إلى 20 000 من المشاة، 7 000 من الفرسان، 20 من الفيلة. . . إلا أن أساتذة الاستراتيجية، مازالوا يرون حتى اليوم أن هذه الخسارة تعتبر ثمنا مقبولا لنجاحه في الوصول إلى مؤخرة قوات روما. . . حيث أنه لو سلك طريق البحر الأقصر والأسهل، ما استطاع أن ينجو بأحد من جيشه.

فإذا كان هذا هو ما يدرسه الضباط الأصاغر في الكليات الحربية، فهل يمكن أن تغيب تلك المعلومات الأولية عن القادة الأمريكان أو عن القادة العراقيين؟ مستحيل. . . لا سيما وأن القوات الأمريكية في هذه الحالة لن تعبر جبال الألب. ولن تلتزم بمحور واحد يتقدم عليه الجيش بأكمله. بل جوا معتدلا. وأرضا صالحة لسير المركبات، بحيث يمكن التقدم على عشرات المحاور في وقت واحد حتى يمكن اختصار وقت التحرك. ولذلك فإن خطة الهجوم البري التي قامت دول التحالف بتنفيذها في تلك الحرب لم تكن مفاجأة لأحد.

حتميـــة الحـــرب البريـــة

في يوم 91/9/17، أعلن البيت الأبيض الأمريكي إعفاء الجنرال مايكل دوجان Michael Dugan رئيس أركانحرب القوات الجوية الأمريكية من منصبه. وكانت صحيفة الواشنطن بوست قد نشرت في اليوم السابق حديثا للجنرال دوجان بعد عودته من رحلة تفتيشية للقوات الجوية الأمريكية في منطقة

الخليج . وقد جاء في حديث الجنرال مايلي : «إذا ما اندلعت العمليات في الخليج ، فإن الحل الأمثل لارغام القوات العراقية على الانسحاب من الكويت مع تفادي حمامات الدم، هو أن نقوم بقصف بغداد قصفا شديدا ومركزا. فنضرب كل هدف فيها بما في ذلك قصف محل إقامة صدام حسين وعائلته. يجب أن نقصف وندمر كل مراكز الثقل Centers of Gravity في العراق. . . المنشآت العسكرية، المصانع، مراكز الانتاج، العاصمة بغداد الخ . ولدينا اليوم ما يمكننا من تحقيق ذلك. فلدينا في المنطقة طائرات قتال وطائرات معاونة يصل عددها إلى 1 000 طائرة. وهو عدد يكفي لتحقيق النصر. ليس هذا رأيي وحدي. بل إن الجنرال شوارتزكوبف يشاطرني هذا الرأي . . . حتى يمكن تلافي الخسائر الكبيرة المحتملة إذا ماقمنا بهجوم بري . إن صدام حسين هو كل شيء في العراق. فإذا قتل صدام حسين فإن القوات العراقية ستنسحب من الكويت في ظرف ساعات» .

وباستثناء التفاصيل التي أضافها دوجان في حديثه من حيث تحديد الأهداف الاستراتيجية التي يتحتم ضربها، فقد كان هذا الرأي يحظى بتأييد عدد كبير من المفكرين والاستراتيجيين والسياسيين. وكان الاعتماد على القوات الجوية في إرغام صدام حسين على الانسحاب من الكويت، هو موضوع حوار دائم في وسائل الاعلام الغربية . ***وإذا نظرنا اليوم الى سير العمليات في حرب الخليج، فإننا نجد أن ماقاله الجنرال دوجان ـ والذي أقيل من منصبه بسببه ـ هو ما قامت دول التحالف بتنفيذه حرفيا. فالقوات الجوية لدول التحالف هي التي حققت النصر الحقيقي، ولم تلعب القوات البرية، إلا دورا ثانويا، يكاد يقتصر على احتلال الأرض المحروقة وحراسة الأسرى.*** ويظهر ذلك واضح من عدد القتلى بين صفوف القوات البرية لدول التحالف والذي يقدر بـ 147 قتيل من بين حوالي 000 300 فرد شاركوا في الهجوم (تفاصيل القتلى : 88 أمريكي، 16 بريطاني، 2 فرنسي، 9 مصري، 32 سعودي وكويتي). . . وبالاضافة إلى ذلك فإن معظم الخسائر التي أوقعتها القوات البرية لدول التحالف في القوات العراقية، كانت نتيجة استخدامها لطائرات الهيليوكوبتر المسلحة بالرشاشات وبأسلحة مضادة للدبابات.

ولكن رغم النجاح الكبير الذي حققته القوات الجوية في تلك الحرب، فإن ذلك لا يجب أن يقودنا الى استنتاج خاطىء، وهو أن القوات الجوية تستطيع وحدها أن تحقق النصر. . . حيث أن هذه الحرب ضد العراق تمت في ظل ظروف سياسية وعسكرية فريدة لم يسبق لها مثيل في التاريخ، وقد لا تتكرر أبدا. فالعراق دولة من دول العالم الثالث كان يقف وحده في مواجهة 31 دولة من بينها الولايات المتحدة وجميع دول حلف الأطلسي وعدد من الدول الاسلامية. . . وكان كل من الاتحاد السوفيتي و الصين تؤيد هذا التحالف سياسيا وان كانت لم تؤيده عسكريا. . . واستمر الحصار مفروضا على العراق 160 يوما قبل أن تبدأ المعركة، مما أثر بدون شك على كفاءة القوات والمعدات العسكرية العراقية. ولكي أؤكد تلك الحقيقة في ذهن الدارسين للعلوم السياسية والعسكرية، فإني أضع أمامهم الأسئلة الافتراضية التالية : إذا ما قامت حرب تقليدية بين الاتحاد السوفيتي وبين دول حلف الأطلسي، فهل تستطيع القوات الجوية لدول حلف الأطلسي ـ رغم كل ما أصاب الاتحاد السوفيتي في السنوات الأخيرة من ضعف ـ أن تحسم الحرب ضد الاتحاد السوفيتي ؟ وإذا ما قامت حرب بين الاتحاد السوفيتي وبين الصين، فهل تستطيع القوات الجوية السوفيتية ـ رغم تفوقها الكبير على القوات الجوية الصينية ـ أن تحسم الحرب ضد الصين ؟ وإذا ماقامت حرب بين ألمانيا وفرنسا فهل يمكن للقوات الجوية لأي من البلدين أن تحسم الحرب ضد الأخرى ؟ الاجابة الصحيحة لكل هذه الأسئلة هي لا. . . لا. . . لا.

نعم إذا قامت الحرب بين الولايات المتحدة وبين دولة من دول العالم الثالث. . . وضمنت أمريكا بألا تحصل تلك الدولة على أي مساعدات عسكرية من الاتحاد السوفيتي أو الصين أو أي دولة من الدول المتطورة التي تملك أجهزة الكترونية متقدمة. . . وضمنت أن تستخدم أراضي دولة مجاورة يمكن أن تستخدمها كقاعدة آمنة تنطلق منها طائراتها ضد تلك الدولة المستهدفة. . . فهناك احتمال كبير أن تنجح القوات الجوية الأمريكية في حسم الحرب. ولكن هذه حالة استثنائية لا يمكن أن نستنتج منها قاعدة مطلقة وثابتة.

القاعدة الذهبية التي يضعها كل قائد سياسي أو عسكري نصب عينيه، هي أن يكسب الحرب في أقصر وقت، وبأقل خسائر ممكنة. ولم تكن هذه الحقيقة غائبة عن البيت الأبيض والبنتاجون، منذ أن اندلعت الأزمة في الخليج في 2 أغسطس 1990. كانت القيادة الأمريكية أول الأمر تريد أن تحقق أهدافها باستعراض للقوة Demonstration of Force، دون اللجوء إلى الحرب الساخنة. وهذا أسلوب معترف به في السياسة والحرب. كانت القيادة الأمريكية تأمل أن ترغم صدام حسين على أن يتصرف طبقا لارادتها، بعد أن يرى هذا الحشد الكبير الذي تجمع ضده... وكانت تعتقد أن ذلك سيصبح ممكنا بنهاية شهر أكتوبر 90 عندما يكون قد تم حشد أكثر من 1000 طائرة قتال، وحوالي 000 250 ضابط وجندي. ولكن ذلك لم يحدث. فقرر بوش يوم 8 نوفمبر أن يضاعف حجم تلك القوات، حتى يكون استعراض القوة أكثر تأثيرا ورهبة. وكان يأمل أن يتم هذا الحشد قبل منتصف يناير 91. ولكن مرة أخرى فإن هذا الحشد الكبير، لم يرغم صدام حسين على الاستسلام للمطالب الأمريكية. وحينئذ قرر بوش أن يبدأ الحرب ضد العراق مستخدما القوات الجوية وحدها بنفس الأسلوب الذي كان ينادي به الجنرال الأمريكي مايكل دوجان... وذلك أيضا بأمل أن يستسلم صدام حسين دون الحاجة إلى اللجوء إلى الحرب البرية. وهكذا بدأت الحرب الجوية يوم 17 يناير 91.

وفي 8 فبراير كان وزير الدفاع تشيني والجنرال باول رئيس الأركان في السعودية لتقييم الحرب الجوية ودراسة الخطوة التالية. وبعد دراسة الموقف اتضح أن القوات الجوية نفذت 000 57 طلعة تم خلالها تدمير الدفاع الجوي العراقي والبنية الصناعية والتحتية العراقية و الجزء الأكبر من مراكز الثقل العراقية... وتم تدمير 33 كوبرى عراقي (بمعدل 24 طلعة مقابل تدمير كل كوبرى)... وأنه نتيجة قصف الطرق المؤدية للكويت، انخفضت الامدادات المرسلة إلى القوات العراقية المتمركزة في الكويت من 000 20 طن إلى 000 2 طن يوميا.[18] ولكن القوات البرية العراقية كانت مازالت قوية. فكل ما دمر منها حسب ما ذكر في المؤتمر الصحفي اليومي لقيادة التحالف يوم 9 فبراير كان كما يلي:

750 دبابة من أصل 4280 (الخسائر 18٪)

650 مدفع من أصل 3110 (الخسائر 21٪)

600 مركبة مدرعة من أصل 2870 (الخسائر 21٪)

وقد توصلت القيادة الأمريكية في ذلك الوقت (8 نوفمبر 90) الى قناعة تامة بأن القوات الجوية لا تستطيع وحدها أن تحسم الحرب. وأن اشراك القوات البرية في الحرب هو ضرورة حتمية. ولكن يجب تأجيل هذه الحرب البرية الى أطول مدة ممكنة لاعطاء الفرصة للقوات الجوية باحداث خسائر أكبر في القوات البرية العراقية بنسبة تتراوح بين 30 إلى 50 في المائة (كان وزير الدفاع البريطاني كنج King يطالب بنسبة 50 في المائة). ولكي يتحقق هذا الهدف قررت القيادة الأمريكية زيادة عدد الطلعات الجوية، وإشراك القاذفات الأمريكية الثقيلة B - 52 في قصف الأهداف العراقية اعتبارا من يوم 9 فبراير. [19] *وفي يوم 11 فبراير 91، بعد لقائه مع ديك تشيني والجنرال باول بعد عودتهما من الخليج، صرح الرئيس الأمريكي بوش قائلا: «الحرب الجوية تسير سيرا حسنا. وسوف تستمر. ونحن لسنا في عجلة من أجل أن نبدأ الهجوم البري». وقد عرف فيما بعد أن تصريح بوش هذا كان للتضليل... حيث أنه كان قد حدد أثناء لقائه مع تشيني والجنرال باول أن يبدأ الهجوم البري يوم 21 فبراير.* [20] فقد كانت هناك عوامل عسكرية وسياسية تدعو إلى عدم التأخير أكثر من ذلك. فخلال بضعة أسابيع كان الجو سيصبح حارا مما يؤثر على كفاءة المعدات وكفاءة الجنود... وكان شهر رمضان سوف يبدأ في 17 مارس... ثم يبدأ موسم الحج في شهر يونيو... وكان بوش يريد أن يحسم الموقف قبل أن تلعب هذه المناسبات الدينية دورها في إثارة الدعوة للجهاد.

وهكذا تحدد يوم 21 فبراير لكي يبدأ الهجوم البري، بعد أن فشلت ثلاث محاولات لانهاء الحرب بوسائل أخرى. كانت المحاولة الأولى هي باستعراض القوة بعد الحشد الأول الذي تم بنهاية أكتوبر 90. وكانت المحاولة الثانية هي أيضا باستعراض القوة بعد إتمام الحشد الثاني في أوائل شهر يناير 91. وكانت المحاولة الثالثة هي باستخدام القوات الجوية ما بين 17 يناير وحتى 10 فبراير 91. *وقبل اقحام القوات البرية في المعركة، كانت القوات الجوية قد دمرت - حسب تقديراتهم - 40 في المائة من المعدات الرئيسية للقوات العراقية*

المحتشدة في الكويت وفي جنوب العراق. وأعتقد أنه لولا وجود تلك العوامل التي كانت تستعجل حسم تلك الحرب قبل منتصف شهر مارس 91، لما أقدم بوش على اتخاذ القرار باقحام القوات البرية في الحرب. . . ولاستمرت الحرب الجوية بضعة أسابيع أخرى إلى أن ترغم صدام حسين على الاستسلام. فاعتبارا من يوم 25 يناير 91، لم تكن هناك حرب جوية بالمعنى المفهوم. بل كانت الأراضي العراقية بأكملها قد تحولت إلى ميدان للرماية الجوية، يتدرب فيها الطيارون الأمريكيون وحلفاؤهم على إصابة وتدمير الأهداف العراقية العسكرية والمدنية، ثم العودة الى قواعدهم دون عقاب. وكان متوسط خسائر الطائرات في الفترة الممتدة من 25 يناير حتى نهاية الحرب هي 0.16 طائرة لكل 1 000 طلعة، مع العلم بأن هذه النسبة كانت تتضاءل يوما بعد يوم. فما الذي يدفع بوش إلى أن يأمر باقحام القوات البرية، بكل ما يمكن أن تحمله من مفاجآت؟ *كان عامل الوقت وحده هو الذي دفع بوش لاتخاذ هذا القرار*.

الخطة الهجومية لدول التحالف

تتضمن الخطة استخدام حوالي 3250 دبابة، 650 هيليوكوبتر من قانصات الدبابات، وحوالي 2 000 مدفع، في الهجوم على القوات العراقية التي تتمركز في الكويت وفي المناطق العراقية جنوب نهر الفرات. ويدعم هذا الهجوم أكثر من 900 طائرة هجوم أرضي من القوات الجوية. كما تقوم مجموعة من السفن الحربية تحت لواء البارجة الحربية Missouri ، وأخرى تحت لواء البارجة الحربية Wisconsin بقصف الأهداف العراقية على الساحل الكويتي. [21] وكانت مهام التشكيلات والوحدات البرية كما يلي :

1 - الفيلق السابع الأمريكي (الفرقة الأولى المدرعة، الفرقة الثالثة المدرعة، الفرقة الأولى مشاة ميكانيكي، الفرقة الأولى فرسان، اللواء الثاني فرسان مدرع) وتحت قيادته الفرقة الأولى المدرعة البريطانية. . . يحتشد في المنطقة الممتدة من نقطة التقاء الحدود السعودية الكويتية العراقية وحتى 120 كيلومتر غرب الحدود الكويتية. . . ينطلق في حركة التفاف واسعة حول الكويت، ويشتبك مع الاحتياطي الاستراتيجي العراقي في المنطقة الممتدة غرب البصرة وشمال الكويت (القوة حوالي 1500 دبابة، 250 هيليوكوبتر مسلحة).

2 ـ الفيلق الثامن عشر الأمريكي (الفرقة 82 جنود جو، الفرقة 101 اقتحام جوي، الفرقة 24 مشاة ميكانيكي، اللواء الثالث فرسان) وتحت قيادته الفرقة السادسة الخفيفة الفرنسية... ينطلق من منطقة حشده في الأراضي السعودية الممتدة من 120 وحتى 300 كيلومتر غرب الحدود الكويتية... في اتجاه الشمال والشمال الشرقي، ويؤمن المنطقة جنوب الفرات بين السماوة والناصرية. ويمنع انسحاب أي قوات عراقية عبر نهر الفرات ما بين القرنة والسماوة (القوة حوالي 450 دبابة، 250 هيليوكوبتر مسلحة).

3 ـ القوات المصرية السورية (فرقتان مصريتان إحداهما مدرعة والأخرى مشاة ميكانيكي، فرقة مدرعة سوريه) تنطلق من مناطق تجمعها في حفر الباطن، وتتقدم على محور طريق ضرب الباقي في اتجاه مدينة الجهرة، ثم الكويت (اجمالي القوة 720 دبابة).

4 ـ الفرقة الثانية مارينز تتحرك من منطقة تجمعها في الجارة. وتتقدم على محور الطريق المؤدي إلى أم قدير ثم إلى مدينة الكويت (180 دبابة، حوالي 50 هيليوكوبتر مسلحة).

5 ـ الفرقة الأولى مارينز عدا لواء، ومعها الفرقة المشتركة السعودية الكويتية، تتحرك من منطقة تجمعها جنوب الحدود الكويتية، في اتجاه الشمال على المحور الساحلي... بهدف الوصول إلى مدينة الكويت (اجمالي القوة 400 دبابة، 100 هيليوكوبتر مسلحة).

6 ـ 31 سفينة برمائية محملة بلواء مارينز (من الفرقة الأولى مارينز، وقوته 17 000 فرد) تقف قبالة الساحل للايهام بعملية إبرار بحري على الساحل.

7 ـ وكانت عملية الالتفاف التي يقوم بها الجناح الأيسر للقوات المتحالفة (الفيلق 18، والفيلق السابع) تتضمن التفاصيل التالية طبقا لما أذاعته قيادة قوات التحالف.[22]

- الفرقة المدرعة الخفيفة الفرنسية السادسة ومعها لواء من الفرقة 82 جنود جو الأمريكية، تتقدم من منطقة تجمعها في رفحة التي تبعد 300

كيلومتر إلى الغرب من الحدود الكويتية، وتحتل مطار سلمان العراقي الذي يقع على مسافة 150 كيلومتر من رفحة وحوالي 110 كيلومتر من مدينة السماوة.

- ومن منطقة تجمع الفيلق 18 في منطقة الشوبة، التي تبعد 175 كلم غرب الحدود الكويتية، تنطلق 460 هيليوكوبتر وهي تحمل لواءا كاملا من الفرقة 101 اقتحام جوي وتنزله في منطقة صحراوية خالية من أي أهداف تقع على بعد حوالي 40 ـ 50 كيلومتر إلى الشرق من مطار سلمان. . . حيث يقوم اللواء بانشاء قاعدة مساحتها 150 كيلومتر مربع لكي تستخدم كنقطة إمداد بالوقود وقاعدة انطلاق ثانية للفرقة 101. والاسم الكودي لهذه القاعدة هو كوبرا Cobra.

- إلى الشرق من الشوبة بحوالي 65 كيلومتر (إلى الغرب من الحدود الكويتية بحوالي 110 كيلومتر) تنطلق الفرقتان المدرعتان الأمريكيتان رقم 1، 3 مسبوقتان بالألاى الثاني فرسان مدرع في اتجاه شمال شرقي، حيث يتواجد الاحتياطي الاستراتيجي العراقي في المنطقة الممتدة جنوب وغرب البصرة.

- تنطلق الفرقة المدرعة البريطانية في اليوم الثاني لبدء الهجوم، من منطقة تقع غرب الحدود الكويتية بحوالي 45 كيلومتر في اتجاه الاحتياطي التعبوي العراقي.

- تتجمع الفرقة الأولى فرسان والفرقة الأولى مشاة ميكانيكي في منطقة حفر الباطن، كاحتياطي يتم دفعهما في الأيام التالية حسب تطور الموقف.

كانت عملية التطويق تتم على شكل مروحة مفصلها هو الفرقة المدرعة البريطانية التي بدأت حركة الالتفاف من منطقة تقع حوالي 45 كيلومتر غرب الحدود الكويتية. وإلى الغرب منها بحوالي 60 ـ 70 كيلومتر تنطلق الوحدات الرئيسية للفيلق السابع. وإلى الغرب من الفيلق السابع بحوالي 60 ـ 70 كيلومتر تنطلق الوحدات الرئيسية الفيلق 18. وإلى الغرب من الفيلق الثامن عشر بحوالي 125 كيلومتر تنطلق الفرقة الفرنسية لتؤمن الجنب الأيسر لقوات

التحالف. وكان على القوات التي في أقصى اليسار أن تتحرك في وقت مبكر وبسرعة أكبر، بينما كان على القوات التي في أقصى اليمين أن تتحرك في وقت متأخر وأن تتقدم بسرعة أبطأ، حتى يمكن أن تكون العناصر الأمامية لجميع القوات التي تقوم بعملية التطويق في خط واحد تقريبا. ولكي يتحقق ذلك فإننا نجد أن اختراق الفرقة المدرعة الفرنسية للحدود بدأ في الساعات الأولى من يوم 24 فبراير، بينما الفرقة المدرعة البريطانية لم تبدأ اختراق الحدود إلا صباح يوم 25 فبراير.

قتال المائة ساعة

كما سبق أن أوضحنا تأجل الهجوم البري من يوم 21 فبراير إلى يوم 24 فبراير، بناء على طلب من الجنرال شوارتزكوبف القائد العام لقوات دول التحالف. وبمجرد بدء الهجوم البري يوم 24 فبراير، فرض البنتاجون في واشنطن والقيادة الأمريكية في الرياض تعتيما إعلاميا على أي أخبار تصدرها الجهات الرسمية المختصة عن سير المعارك. وتوقفت القيادتان في كل من واشنطن والرياض عن عقد المؤتمر الصحفي اليومي. وبالتوازي مع التعتيم الاعلامي الرسمي، كانت القيادة الأمريكية تقوم بتسريب معلومات مضللة بهدف التأثير على الروح المعنوية للقوات العراقية والشعب العراقي والمتعاطفين معه من بين الشعوب العربية والاسلامية. وأغرقت وسائل الاعلام الغربية السوق الاعلامي بسيل من المعلومات التي ثبت كذبها فيما بعد. ومن أمثلة ذلك إذاعة المعلومات التالية في الساعات الأولى من يوم بدء الهجوم الأرضي. «سقوط جزيرة فيلكة» «تقدمنا 50 ميلا...» العراقيون يستسلمون بعشرات الآلاف...» «اختراق المواقع الدفاعية العراقية دون أي مقاومة» «قوات التحالف على مشارف مدينة الكويت» وقد ذهب سفير الكويت في لندن إلى أبعد من ذلك عندما ظهر على شاشات التليفزيون وادعى بأن قوات التحالف قد دخلت مدينة الكويت وأن الشعب الكويتي يحتفل بهذا الانتصار !!». كنا نسمع كل ذلك دون أن يقابله أي اعلام مضاد من الجانب العراقي. وفي الساعة الواحدة بعد ظهر يوم 24، صدر البيان العراقي رقم 60، الذي يقول ***«أن القوات العراقية البطلة قد صدت جميع هجمات العدو وأن جزيرة فيلكة مازالت صامدة، وأنها أفشلت محاولات الأعداء الخائبين بخلاف ما أعلنون»***. [23]

واستمرت المعركة الاعلامية. وصدر البيان العراقي رقم 61 الساعة 1900 مساء يوم 24. وجاء فيه أن «العدو أنزل قوات محمولة جوا خلف خطوطنا في منطقة المناقيش جنوب غربي مدينة الكويت. وأنه تم إبادتها». كما جاء فيه أول إشارة لعملية التطويق التي تقوم بها قوات التحالف. فقد ذكر أن «قوات فرنسية وبريطانية اخترقت حدودنا في منطقة البادية الغربية، فتصدت لها قواتنا اليقظة وصدت هجومها واحتوته وكبدتها خسائر فادحة. والموقف في هذا القطاع مسيطر عليه تماما.»[24]

وحوالي منتصف نهار يوم الاثنين 25 فبراير، صدر البيان العراقي رقم 62. ويقول البيان «إن قوات الفيلق الثالث بقيادة الفريق الركن صلاح عبود خاضت مساء أمس وصباح اليوم قتالا ملحميا استغرق ثمان ساعات، استعادت فيه كل المواقع التي كان العدو قد احتلها. وقد استقر الموقف في جبهة الفيلق الثالث تماما لصالح قواتنا البطلة في تمام الساعة الثامنة من صباح اليوم. وقد فرت قوات العدو أمام الهجوم العزوم، وتركت دباباتها وآلياتها المحترقة وعادت أدراجها خائبة تجر أذيال الهزيمة». كان هذا البيان الذي علمنا به مساء يوم 25 يتعارض تماما مع ما تذيعه وسائل الاعلام الغربية التي كانت تتحدث عن انهيار المواقع الدفاعية وعن استسلام الجنود العراقيين بالآلاف. ولو صح البيان العراقي، فإن ذلك يعني أن القوات العراقية مازالت تتمتع بكفاءة قتالية عالية. فالتحرك ليلا بقوات كبيرة ولمدة 8 ساعات في مواجهة عدو يملك القدرة على القيام بهجمات جوية ليلية ضد تلك القوات... والقيام بهجمات مضادة بقوات مدرعة ليلا رغم صعوبة التمييز بين القوات الصديقة والقوات المعادية... كل ذلك إن صح، فإنه يدل على قدرة واقتدار كبيرين.

وفي الساعة 2345 بتوقيت جرينتش يوم 25 فبراير، كانت جميع الاذاعات والشبكات التليفزيونية في العالم، تذيع نقلا عن راديو بغداد أن صدام حسين قد أصدر أوامره بانسحاب القوات العراقية من الكويت طبقا لمبادرة السلام السوفيتية، وأنه يحذر دول التحالف من التعرض للقوات العراقية أثناء انسحابها». تصورت مما أذيع أنه لابد وأنه تم التوصل الى حل سياسي. ألم يقل صدام حسين أن الانسحاب طبقا لمبادرة السلام السوفيتية؟

ألم يقل أنه يحذر دول التحالف من التعرض للقوات العراقية أثناء انسحابها ؟ والتحذير لا يصدر إلا من جهة قادرة على إيذاء الطرف الذي لا يلتزم بالتحذير. والاتحاد السوفيتي هو الدولة الوحيدة التي يكون لتحذيرها وزن تجاه أمريكا. أما إذا كان التحذير من الرئيس العراقي صدام حسين فإنه يعني أنه سيرمي بكل ما في جعبته حتى لو اضطر إلى أن يلجأ إلى سياسة هدم المعبد، فيهلك هو وأعداؤه كما تقول الأساطير. والوسيلة الوحيدة التي يمكن أن تعطى للتحذير العراقي وزنا هو استخدام أسلحة التدمير الشامل. والكل يعلم أن العراق كان يملك أسلحة كيماوية. . . **كنت كلما أقلب قرار صدام حسين، أجد نفسي أتوصل في النهاية إلى استنتاج واحد وهو لا بد وأنه تم التوصل إلى حل سياسي.**

ولكن حيرتي لم تدم طويلا. فبعد ساعتين من إعلان قرار صدام حسين بالانسحاب، صدر بيان عن البيت الأبيض الأمريكي يقول أن قوات دول التحالف لن تتعرض للقوات العراقية أثناء انسحابها إذا تحقق شرطان. الشرط الأول هو أن يتم انسحاب الأفراد بدون سلاح. والشرط الثاني هو أن يعلن صدام حسين مسبقا أنه سيلتزم بتنفيذ الانذار الأمريكي الذي وجه إليه يوم 22 فبراير (سبق أن ذكرنا بنود هذا الانذار بالتفصيل في الفصل الثامن). كان الانذار الأمريكي يوم 22 فبراير، يريد أن يرغم العراق على أن ينسحب من الكويت بعد أن يترك الجزء الأكبر من أسلحته الثقيلة ـ دون النص على ذلك ـ وذلك باصراره على أن يتم الانسحاب في 7 أيام. أما اليوم 26 فبراير فإن أمريكا تطالب بأن يترك العراق كل أسلحته إذا أراد أن ينسحب دون أن تتعرض له قوات دول التحالف. إذن فلا توجد مبادرة سوفيتية جديدة، ولا يوجد حل سياسي كما كنت أتصور. وكان هذا يعني أن القوات العراقية قد أصبحت في مأزق كبير. وزاد شعوري بذلك ضحالة البيانات التي تصدر من العراق، بينما كانت وسائل الاعلام الغربية تغرقنا بسيل من الصور وأفلام الفيديو التي التقطتها طائراتهم وكاميراتهم عن الأسرى العراقيين والمعدات المدمرة. **وفي نهار نفس اليوم (26 فبراير) أذاع راديو بغداد أن الانسحاب من الكويت سيتم خلال يوم واحد. . . وفي نفس هذا اليوم تأكد انسحاب القوات العراقية من مدينة الكويت (قوات دول التحالف لم تدخل المدينة**

سوى يوم 27 فبراير) . إذن فالعراق ينسحب فعلا تحت ظروف بالغة القسوة . فالقوات الجوية المعادية تقصفه من الجو وتسد الطرق التي ينسحب عليها بما تدمره من دبابات ومركبات . والقوات المدرعة تقوم بحركة التفاف واسعة للوصول إلى نهر الفرات واغلاق أي فرصة للهروب عبر النهر على طول المنطقة الممتدة من القرنة حتى الناصرية . وباقي قوات التحالف تضغط على مؤخرة القوات المنسحبة من الكويت . شعرت بحجم الكارثة التي أصابت القوات المسلحة العراقية . . . كارثة عسكرية قد تفوق خمسة أمثال كارثة انسحاب القوات المصرية من سيناء عام 1967 . . . كارثة عسكرية سوف تؤدي إلى مأزق سياسي لا يقتصر أثره على العراق فحسب . . . بل مأزق يصيب منطقة الشرق الأوسط بأكملها .

واتصلت بي الاذاعة الجزائرية بعد ظهر يوم 26 فبراير تسألني عن تحليلي للموقف. ووجدت نفسي في موقف صعب. فقد كنت أرى الموقف غاية في القتامة. فاما أن أنقل هذه الصورة السوداء إلى المستمعين، فأقول لهم ما يكرهون. وإما أن أعطي لهم صورة خاطئة لكي تطمئن نفوسهم. واخترت الطريق الذي التزمت به طوال حياتي. . . والذي أكسبني ثقة قرائي ومن يستمعون إلي في الاذاعة والتليفزيون في جميع أنحاء الوطن العربي. . . وهو قول الحقيقة مهما كانت مرة. فالصدق منجاة. والكذب والخداع عمرهما قصير. *أدليت للاذاعة الجزائرية بحديث صريح تناقلته عنها كافة وسائل الاعلام العالمية . انتقدت فيه قرار الرئيس العراقي الخاص بالانسحاب في ظل سيادة جوية معادية . وقلت أن سحب 25 فرقة عراقية في خلال يوم واحد هو عملية مستحيلة . وان ذلك سوف يؤدي إلى أن يفقد الجيش العراقي في الكويت الغالبية العظمى من أسلحته ومعداته .*

وفي صباح يوم 27 ، أذاع العراق بأنه قد تم سحب كل قواته من الكويت قبل فجر ذاك اليوم، فازدادت قناعتي بعدم مصداقية البيانات العراقية لاستحالة تنفيذ ذلك . وعلى سبيل المثال فإن انسحاب 25 فرقة (القوات العراقية الموجودة في الكويت) تعني تحرك 000 75 آلية مابين دبابة وعربة ومدفع أو مركبة تحمل الجنود. فهل يستطيع العراق أن يحشد المركبات التي تنقل جنوده دفعة واحدة ؟ وحتى لو افترضنا امكانية توفير الحملة اللازمة للانسحاب

باستيلاء العراق على كل مايمكن أن يجده من لواري وعربات بالكويت، فهل توجد الطرق التي تستطيع أن تتحمل تدفق هذا العدد الهائل من المركبات؟ وإذا كان ذلك غير ممكن تنفيذه في حالات السلم فكيف يمكن تنفيذه والقوات الجوية تهاجم تلك القوات المنسحبة دون أن يكون لدى العراق أي امكانيات دفاع جوي ضد تلك الهجمات؟

كان الموقف يوم 27 يسير نحو النهاية بسرعة كبيرة. فقد أعلن العراق أنه على استعداد بأن يدفع تعويضات للكويت... وأن يفرج فورا عن جميع الأسرى الذين يحتفظ بهم... وأن يتنازل نهائيا عن جميع حقوقه في الكويت... وكل ذلك في مقابل طلب واحد هو وقف اطلاق النار. ولكن أمريكا كانت تريد تدمير القوات العراقية. وكانت الفرصة متاحة أمامها لكي تحقق ما تريد. فالقوات العراقية التي استطاعت أن تفلت من الكويت قد أصبح طريق الانسحاب أمامها مغلقا بعد أن قامت القوات الأمريكية بعملية إبرار جوي في منطقة الناصرية... والقوات الجوية والبرية لدول التحالف مستمرة في تدمير القوات العراقية، وكأنها في ميادين تدريب للرماية وليست في ساحة حرب... وعدد الأسرى العراقيين يزداد بعشرات الآلاف... فما الذي يدفعهم إلى التوقف؟ لقد رفضت أمريكا وبريطانيا العرض العراقي. وأعلنتا أن وقف إطلاق النار يمكن أن يتحقق فقط إذا ألقت جميع القوات العراقية في جنوب العراق (جنوب نهر الفرات) سلاحها... وإذا أعلن صدام حسين التزامه بالانذار الأمريكي الذي وجه إليه يوم 22 فبراير.

وفي الساعات الأولى من يوم 28 فبراير، أذاع بوش بأنه أمر بوقف إطلاق النار اعتبارا من الساعة 0500 جرينيتش (الساعة 0800 بتوقيت العراق). ولكن بنفس الشروط التي كان قد سبق أن وضعها... وهي عدم ضرب القوات العراقية جنوب نهر الفرات إذا كانت تنسحب بدون أسلحة. لقد انتهى كل شيء... وانتهت الحرب البرية بعد 100 ساعة من بدايتها. وأعلنت قيادة دول التحالف أنه من بين 42 فرقة عراقية كانت تتواجد في الكويت وجنوب العراق، لم يفلت سوى فرقة واحدة بكامل أسلحتها قبل أن يتم إغلاق الطريق الأخير للانسحاب. أما باقي الفرق فقد فقدت الغالبية العظمى من أسلحتها ومعداتها. وهذا هو ما كنت أخشى وقوعه، وتوقعت

حدوثه في حديثي مع الاذاعة الجزائرية يوم 26 فبراير. ومع أن العراق لم يعلن حتى الآن عن خسائره. . . إلا أنه يعتقد أن خسائره في القوات التي كانت جنوب نهر الفرات قد تصل إلى حوالي 85 ٪ من المعدات والأسلحة الثقيلة. . . وحوالي 15 ٪ في الأفراد. . . أما قوات دول التحالف فقد كانت خسائرها قليلة جدا. فمن بين حوالي 000 300 اشتركوا في الهجوم البري، فإن خسائرهم بما في ذلك معركة الخافجي كان حسب بياناتهم هو 147 قتيل (88 أمريكي، 16 بريطاني، 2 فرنسي، 9 مصري، 32 سعودي وكويتي) 479 جريح، وهي نسبة متدنية جدا (قتيل واحد من كل 000 2).

ونشط الاعلام العراقي يوم 28 فبراير والأيام الأولى من شهر مارس لكي يبرر قرار صدام حسين بالانسحاب يوم 26. فمرة قالوا أن الانسحاب كان قد بدأ قبل أن تبدأ الحرب البرية بأيام، وأن القوات العراقية التي كانت بالكويت يوم 24 فبراير لم تكن سوى ستارة خفيفة لايهام الحلفاء بالوجود العراقي، في حين أن القوات العراقية كانت قد انسحبت انسحابا استراتيجيا رائعا بكامل أسلحتها. ومرة سربوا إشاعات تقول أنه حدثت خيانة. ومرة أخرى سربوا إشاعات تقول أن إيران تدخلت عسكريا بقوة 000 5 عسكري وقطعت خطوط مواصلات القوات العراقية في الكويت. واتصلت بي جهات اعلامية متعددة تسألني أن أعلق على ذلك. ولكني فضلت ألا أزيد من آلام الجراح التي كنا جميعا نشعر بها. كانت الحقيقة المرة واضحة أمام عيناي. ولكن الشعب العربي الذي كان غالبيته يتعاطف مع العراق، لم يكن مؤهلا نفسانيا لتقبل أنباء النكسة الكبرى التي أصيبت بها القوات المسلحة العراقية. فكنت أقول لكل من يتصل بي ويسألني عن الموقف «اتصل بي بعد أسبوع». وكنت أرمي من وراء ذلك أن الحقائق لابد وأنها ستظهر خلال تلك المدة. فلو أن الجيش العراقي قد انسحب حقا بكل أسلحته كما يتصور بعضهم، فإن القيادة السياسية العراقية لن تقبل بأن تملي عليها شروط مهينة. أما إذا قبلت بما تمليه عليها أمريكا وانجلترا وفرنسا من شروط، فإن ذلك سوف يقنع المتشككين في نتيجة الحرب بأن العراق لابد وأنه قد فقد الجزء الأكبر من قواته المسلحة. . . وأن القوات المسلحة العراقية لم يعد في استطاعتها أن تحقق الأهداف السياسية للدولة أو النظام الحاكم بالحرب. فكما قال القائد الفيلسوف الألماني كلاوزفيتز

Clausewitz «الحـرب هي استخدام القوة لارغام العدو على الرضوخ، وأن يعمل ويتصرف طبقا لارادتنا . . . وأن الحرب هي استمرار للسياسة بوسائل أخرى». وكما توقعت، فقد بدأت الحقائق تنجلي يوما بعد يوم. وأصبح الكل مقتنعا بأن القوات العراقية قد أصيبت بنكسة كبيرة، بعد أن شاهدوا العراق يقبل بكل الشروط التي تفرضها عليه أمريكا.

العـراق يقبـل بجميـع الشـروط

في يوم 3 مارس، أصدر مجلس الأمن الدولي القرار 686، الذي يضع شروطا لاقرار وقف إطلاق النار بصفة مؤقتة من وجهة نظر الأمم المتحدة. . . حيث أن قرار بوش يوم 28 فبراير 91 كان قرارا أمريكيا وباسم قوات دول التحالف. وقد وافق مجلس الأمن على هذا القرار بنفس الشروط التي أعلنها بوش عندما أعلن عن وقف إطلاق النار من جانب واحد. (أنظر تفصيلات هذا القرار في الفصل رقم 11). وفي الساعة الثامنة من صباح يوم 3 مارس (أي بعد ساعات قليلة من صدور قرار مجلس الأمن)، كان وفد عسكري عراقي يلتقي بوفد عسكري من دول التحالف في مدينة صفوان العراقية، التي كانت قد أصبحت تحت سيطرة القوات الأمريكية. كان الوفد العراقي برئاسة نائب رئيس أركانحرب القوات المسلحة العراقية. وكان وفد التحالف برئاسة الجنرال الأمريكي شوارتزكوبف وعضوية الأمير السعودي خالد بن سلطان، والقائد البريطاني General Sir Peter de la Billiere، وآخرين.

وقبل دخوله خيمة الاجتماع صرح الجنرال شوارتزكوبف بأن الغرض من هذا اللقاء هو إبلاغ الجانب العراقي بشروط دول التحالف لوقف إطلاق النار طبقا للقرار 686، وإبلاغهم بالاجراءات التي يتحتم عليهم اتخاذها لتنفيذ تلك الشروط. وبعد ساعتين خرج شوارتزكوبف من الاجتماع ليعلن أن الوفد العـراقي قد قبل جميع الشروط التي فرضت عليهم. وقد عرف فيما بعد أن الجانب الأمريكي قد تجاوز الشروط التي فرضها القرار 686 . . . وذلك بأن فرض على العـراق بألا يستخـدم فضـاءه الجـوي إلا بإذن من قيـادة قوات التحـالف. . . وذلـك في الـوقت الـذي يكون من حق قوات التحالف أن تستخدم الفضاء الجوي العراقي بدون قيود، وبدون أن تتعرض لها وسائل

الدفاع الجوي العراقي. وقد نقلت كاميرات التليفزيون بعض الصور عن لقاء الـوفـدين داخـل الخيمـة، وعن المؤتمـر الصحفي الـذي عقـده الجنـرال شوارتزكوبف بعد انتهاء اللقاء. وكان الأمير السعودي خالد بن سلطان في الحالتين يجلس أو يقف على يسار الجنرال شوارتزكوبف وقد رسم على وجهه ابتسـامـة عريضة أثارت سخط واستهزاء الكثير من المشاهدين من أصدقاء وخصوم. فأما الأصدقاء فكانوا يقولون مستهزئين إنه يضحك وكأنه هو الذي حرر الكويت. أما الخصوم فكانوا يقولون. إنه يضحك وكأنه حرر القدس من الصليبيين واليهود، ونسى أن آل سعود هم الذين دعوا الصليبيين إلى احتلال الأراضي المقدسة وقتال المسلمين. كانت هذه هي تعليقاتهم يوم 3 مارس 91 والأيام التالية. ولكن تعليقات الخصوم والأصدقاء ازدادت سخرية واستهزاء بعـد الحديث الذي أذيع للجنرال شوارتزكوبف يوم 23/5/91 والذي قال فيه «لم يكن للسعوديين أي دور هام على صعيد تحرير الكويت. وعلى الرغم من أن بعض طوابير الدبابات السعودية دخلت الكويت، لكنها كانت دائما في المؤخرة. وبعض القوات السعودية والكويتية التي أرادت أن تكون في المقدمة قد تسببت في إعاقة تقدمنا. وقد طلبنا من قادة هذه الوحدات أن يعودوا إلى المؤخرة حتى يتمكن رجالنا من أداء مهمتهم بصورة مرضية. وأريد أن أقول أن أداء المحاربين السعوديين والكويتيين كان أسوء بكثير من أداء المحاربين السوريين».

وفي يوم 4، 5 مارس 91، أطلق العراق سراح جميع أسرى دول التحالف الذين كانوا لديه وعددهم 45 أسير توزيعهم كما يلي:

أمريكيون	21
بريطانيون	12
سعوديون	10
ايطاليون	2
كويتيون	1

أما الأسرى العراقيون، فقد أعلنت قيادة التحالف يوم 5 مارس أن عددهم 63 400. وبدأت عملية إعادة تسليمهم يوم 6 مارس.

وأخذت الساحة بعد ذلك تشهد سلسلة من الاجراءات التي تؤكد أن العراق يتحول بسرعة من حالة الحرب إلى حالة السلم. . . وأن شروط وقف اطلاق النار التي فرضها الجانب الأمريكي، يتم تنفيذها بصرامة. وفيما يلي بعض الأحداث التي تؤيد ذلك:

- في 9 مارس، أعلن العراق عن تسريح 15 فرقة عسكرية من قواته المسلحة.

- في 20 مارس، ألغى البرلمان العراقي القرار الذي كان قد اتخذه في أغسطس بضم الكويت. كما قرر أيضا الغاء جميع كل الآثار المترتبة على قرار عملية الضم. وكان مجلس قيادة الثورة العراقي قد اتخذ قرارا مماثلا يوم 5 مارس 91.

- في 20 مارس، قامت طائرة أمريكية من طراز F - 16 باسقاط طائرة عراقية طراز SU - 22 فوق منطقة تكريت (مسقط رأس الرئيس العراقي)، لأنها انتهكت شروط وقف اطلاق النار، وأقلعت بدون إذن من القيادة الأمريكية.

- في 22 مارس، قامت طائرة أمريكية من طراز F - 15 C باسقاط طائرة عراقية أخرى من طراز SU - 22 فوق منطقة تكريت، لأنها أيضا انتهكت شروط وقف اطلاق النار ولم تأخذ هي الأخرى إذنا مسبقا من قيادة القوات الأمريكية.

- **في 27 مارس، أدلى الجنرال شوارتزكوبف بحديث تليفزيوني قال فيه أنه أبلغ القادة العراقيين عند لقائهم يوم 3 مارس أنه محظور عليهم استخدام طيرانهم إلا بعد الحصول على إذن مسبق منه. ولكنهم طلبوا منه أن يسمح لهم باستخدام الطائرات الهيليوكوبتر فوافق على ذلك. ولكنه لم يكن يتصور أنهم سيستخدمون هذه الطائرات في ضرب الأكراد.**

- في 28 مارس، قال الجنرال شوارتزكوبف في حديث تليفزيوني «لا يوجد وقف إطلاق للنار. وكل ما حدث هو أننا قررنا من جانب واحد إيقاف هجومنا». (المؤلف: المعنى المستتر وراء هذا التصريح هو أن قيادة دول

التحـالف تستطيع أن تستأنف الهجوم في أي وقت تشاء، إذا ما وجدت ضرورة لذلك. وهذا ما حدث فعلا عندما قامت أمريكا وبعض الدول الأوروبية يوم 17/4/91 باحتلال الأراضي العراقية التي تقع شمال خط العرض 36 كما سنرى فيما بعد).

- في 3/4/91، صدر قرار مجلس الأمن رقم 687، الذي يحدد شروط وقف إطلاق النار بصفة نهائية. (كانت الشروط الخاصة بوقف اطلاق النار بصفة مؤقتة قد صدر بها قرار مجلس الأمن رقم 686 بتاريخ 3/3/91). ***وكانت الشروط الجديدة بالغة القسوة، ولم يسبق لها مثيل في تاريخ الأمم المتحدة. ولكن في غيبـة القدرة العسكرية، فقد كان العراق مضطرا للقبول بهذا القــرار الجـائـر. وإن خطاب طارق عزيـز إلى رئيس مجلس الأمن يوم 6/4/91، يعكس بوضوح الموقف السياسي والعسكري الذي كان يعاني منه العراق. فبعد أن شرح بالتفصيل ملاحظاته المبدئية والقانونية على هذا القرار، أنهى طارق عزيز خطابه بالجملة الحزينة التالية : «إن العراق يجد نفسه أمام خيار واحد لا غير هو القبول بهذا القرار». (يمكن الرجوع إلى القرار 687، وخطاب طارق عزيز في الفصل رقم 11).***
- وفي 17/4/91، نزلت القوات الأمريكية في شمال العراق، وأنشأت شمال العراق محمية للأكراد أسمتها Safe Haven، وفرض على العراق حظرا بألا يستخدم قواته الجوية أو البرية شمال خط العرض 36.
- وفي يوم 18/4/91، قدم العراق إلى الأمم المتحدة بيانا بكل ما بقي في حوزته من أسلحة التدمير الشامل، ومن صواريخ تزيد مداها عن 150 كيلومتر، حتى يمكن تدميرها طبقا للقرار 687.
- وفي 22/4، أعلن وزير الدفاع الأمريكي تشيني أن الجيش العراقي يتعاون مع القوات الأمريكية على طول الحدود التركية العراقية. وقد جاء في حديث له على شبكة التليفزيون الأمريكي CBS قوله : ***«لقد ساعد الجيش العراقي قواتنا في بعض الحالات بتحديده للأماكن التي زرع فيها الألغام».***

الظواهر والدروس المستفادة

الانتصار الرخيص

في يوم 91/6/8، احتفل الأمريكيون بانتصارهم العسكري على العراق... حيث سار بضعة آلاف من الجنود العائدين من الخليج في شوارع واشنطن، بينما اصطف في شوارع العاصمة الأمريكية أكثر من مليون مشاهد يهللون.

وفي يوم 91/6/21، احتفلت بريطانيا هي الأخرى بانتصارها في حرب الخليج. ونقلت الينا شاشات التليفزيون مشاهد الجنود البريطانيين وهم *يمرون أمام المقصورة الرئيسية، التي كان يجلس فيها رئيس الوزراء جون ميجور والى جواره ولي العهد الكويتي الشيخ سعد العبد الله، الذي كان هو الآخر يشارك الصليبيين فرحتهم بهذا الانتصار. كان منظرا مهينا يجب أن تسجله الأجيال العربية والاسلامية في مخيلتها إلى أن تنتقم لشرفها وتصنع صورة أخرى يفرح له المؤمنون.*

وامتلأت الصحف ووسائل الاعلام في الدول الغربية بصفة عامة، وفي أمريكا وبريطانيا وفرنسا بصفة خاصة... بالمقالات والقصص التي تتفاخر بالشجاعة والاحتراف Bravery & Professionalism التي أظهرها جنودهم في تلك الحرب. ولست أدري كيف تفرح أمريكا التي تعتبر أكبر قوة عسكرية واقتصادية في العالم، عندما تنتصر على العراق الذي يعتبر دولة صغيرة من دول العالم الثالث؟ وهل نسيت أمريكا أنها لم تكن وحدها صانعة هذا النصر... وأن هذا النصر قد تم بمشاركة 30 دولة أخرى، وبتأييد من الاتحاد السوفيتي والصين؟

لقد بلغ اجمالي تعداد السكان في دول التحالف 1088 مليون نسمة، وبلغ إجمالي الدخل القومي السنوي لهم 11 622 مليار دولار. وكل ذلك من أجل قتال دولة من دول العالم الثالث عدد سكانها 19 مليون نسمة، ودخلهم القومي السنوي 58 مليار دولار !!

إن ما جرى في تلك الحرب، مثله كمثل عصابة من الأشرار المسلحين بشتى أنواع الأسلحة، أخذت تعيث في الأرض فسادا، تقتل هذا وتضرب هذا وتسلب هذا. . . والناس كالنعاج كل يخاف على حياته فلا يستطيع أحد منهم أن يفعل أو يقول كلمة لتلك العصابة حتى تتوقف عن أعمالها الشريرة. والشرطة هي الأخرى تقف صامتة لا تتدخل لأنها تحصل على ثمن سكوتها من تلك العصابة. وفجأة يتقدم الصفوف طفل لا يتجاوز عمره عشر سنوات. فيتصدى لتلك العصابة بالشتائم ويقذفهم بالحجارة، فيقبضون عليه ويضربونه ضربا مبرحا بلا شفقة. هذا يفج رأسه بعصا غليظة. وهذا يطعنه بسكين في بطنه، وهذا يفقأ عينيه. ثم يتركون هذا الطفل بين الحياة والموت. . . ويذهبون بعد ذلك إلى إحدى الحانات حيث يشربون ويسكرون احتفالا بانتصارهم على هذا الطفل. *فهل يجوز للأمريكيين والبريطانيين والفرنسيين أن يفرحوا بانتصار هذه العصابة ويصفون أفرادها بالشجاعة والاحتراف. أم أن الشجاع الحقيقي هو ذلك الطفل الذي تحدى جبروت تلك العصابة؟*

إن ما حققتموه هو نصر الهزيمة أشرف منه. ورغم كل ما تملكونه من امكانيات، فما كان في استطاعتكم أن تحققوا هذا النصر لو أن واحدا أو أكثر من الاحتمالات السبعة التالية قد حدث.

- *لو أن الاتحاد السوفيتي* اتخذ موقفا مؤيدا للعراق في تلك الحرب؟ ولا أعني بهذا التأييد أن يقاتل في صف العراق. بل يكفي أن يستخدم حق الفيتو لاجهاض تلك القرارات الأممية التي كانت تطهى في المطبخ الأمريكي الأمبريالي، ثم تقدم لمجلس الأمن ليبصم عليها. . . ويكفي بألا يعترف بالحصار والمقاطعة التي فرضتها أمريكا وحلفاؤها على العراق، فيقوم بامداده بما يحتاج إليه من أسلحة وعتاد متطور في مجال الدفاع الجوي والحرب الالكترونية. . . وأن يقرن ذلك بامداده بالمعلومات الدقيقة التي تحصل عليها أقمار التجسس السوفيتية.

- *لو أن النظام المصري والسوري* اتخذا موقفا مغايرا لموقفهما في مؤتمر القاهرة يوم 10 أغسطس 1990 . . . فأدانوا التدخل الأمريكي العسكري في منطقة الخليج؟

• **لو أن إيران** كان موقفها أكثر ايجابية في التصدي للوجود الأمريكي في منطقة الخليج . . . فجعلت الأولوية للجهاد ضد الشيطان الأكبر والكفار كما تسميهم . . . بدلا من نزوعها إلى تفضيل مصالحها العنصرية والاقليمية ورغبتها في تصفية حساباتها مع صدام حسين ؟

• *لو أن السلطة السياسية في أيدي الشعوب العربية والاسلامية ؟* وليست مغتصبة بواسطة فئة من الحكام والعائلات الذين يتفاخر معظمهم بعمالته للأجنبي الذي هو سبب وجوده وسنده من أجل البقاء في السلطة .

• *لو أن صدام حسين استطاع أن يستقرىء حجم المؤامرة التي كانت تحاك ضده في وقت مبكر . . . فاندفع بقواته يوم 8 أغسطس 90 وسيطر على جميع آبار النفط في الدول الخليجية ودمر القواعد العسكرية والمطارات والموانىء التي كانت تستقبل القوات الأمريكية ؟ أو لو أنه قام بتوجيه الضربة الأولى لقوات التحالف ؟*

• *لو أن الدول الخليجية لم تمول هذه الحملة بـ 75 مليار دولار ؟* أخذتم الجزء الأكبر منها ثمنا لهذا العدوان ؟ (48 من السعودية، 22.6 من الكويت، حوالي 4.4 من الدول الخليجية الأخرى).

• *لو أن اليابان وألمانيا لم تقدم لكم 24.5 مليار دولار من أجل تمويل تلك الحرب (13 من اليابان، 11.5 من ألمانيا).*

سوف يسجل التاريخ أن انتصاركم قد تحقق نتيجة ظروف دولية فريدة في طبيعتها، ونتيجة الأخطاء التي ارتكبتها القيادة العراقية، ونتيجة انحياز فئة من المسلمين إلى صفوفكم بالنفس والمال. وبصرف النظر عن كل ذلك فهناك أسئلة أخرى تتعلق بالأخلاق والمبادىء العليا التي قام على أساسها المجتمع الأمريكي. لماذا دخلتم هذه الحرب . . . ولماذا دمرتم العراق وقتلتم أكثر من 100 000 من أبنائه ؟ لكي تستطيعوا أن تنهبوا بترول دول المنطقة بأثمان متدنية، فتثرون أنتم وتفقرون غيركم ؟ أم لكي تؤيدوا الحكم الأوليجاركي اللاديموقراطي القائم في دول الخليج والذي يتعارض مع كل ما تنادون به ؟ أم لتتخلصوا من عقدة فيتنام فتسرفون في قتل الآخرين لكي تقنعوا أنفسكم بأنكم مازلتم أقوياء. أيها الغافلون بما فعلتم . . . اعلموا أن أبناءكم

وأحفادكم سوف يخجلون منكم عندما يقرأون تاريخ هذه الحرب.. وسوف يسخرون من تلك الاحتفالات الضخمة التي أقمتموها... إذ كيف يفخر إنسان بأنه قتل رجلا ضريرا بمائة طلقة !!

تـــوازن القـــوى

المقومات الرئيسية للنصر في الحرب هي الفرد والسلاح والمال. ثم يأتي بعد ذلك إيمان الأفراد بعدالة القضية التي يقاتلون من أجلها. ومع أن الايمان بعدالة القضية يولد في الأفراد طاقات معنوية كبرى يمكن أن تعوض النقص في المقومات الأخرى لتحقيق النصر في الحروب... إلا أن هذا التعويض له حدود لا يستطيع تجاوزها. إن الايمان بالقضية قد يعوض النقص في عدد الأفراد إذا تساوت نوعية السلاح الذي بيدهم مع نوعية السلاح الذي بيد عدوهم. إن الايمان بالقضية قد يعوض النقص النسبي في المال... وذلك باتباع سياسة تقشف لا يستطيع الطرف الآخر أن يتحملها. ولكن الايمان بالقضية لا يكفي وحده لتحقيق النصر، إذا كان في استطاعة العدو أن يدمر دباباتهم بواسطة الصواريخ التي يطلقها من طائراته بينما هم لا يملكون السلاح الذي يردون به على تلك الطائرات... والايمان بالقضية لا يكفي وحده لتحقيق النصر إذا زاد التقشف والحرمان عن الحد الذي يستطيع غالبية البشر أن يتحملوه.

وانطلاقا من هذه المعطيات، فإذا نظرنا إلى مقومات النصر في حرب الخليج نجد أنها كانت جميعها تؤكد حتمية انتصار أمريكا وحلفائها في تلك الحرب. فهم يتفوقون على العراق بنسبة 56 : 1 في الأفراد، 200 : 1 في الدخل القومي السنوي... ويتفوقون عليه كثيرا من حيث نوعية الفرد ونوعية السلاح. فعلى أي أساس قرر صدام حسين أن يتحدى هذه الثوابت المعترف بها ؟ لقد تصورت أول الأمر وتصور غيري أن هناك اتفاقا سريا يقوم الاتحاد السوفيتي بموجبه بمساندة العراق في حربه ضد أمريكا. فمن مصلحة الاتحاد السوفيتي أن يستنزف الدماء الأمريكية في الخليج، كما استنزفت أمريكا دماء السوفيت في أفغانستان. [26] ومن مصلحة الاتحاد السوفيتي أن تحرر سوق النفط من السيطرة الأمريكية، حيث أن ذلك يعني إضافة عشرات الملايير من

الدولارات إلى الدخل القومي السوفيتي. ومن مصلحة الاتحاد السوفيتي أن تفتح جبهة ثانوية تستقطب جزءا كبيرا من القوات الأمريكية، فيؤثر ذلك على ما تستطيع أمريكا حشده من قوات في الجبهة الأوروبية.

وبالاضافة إلى المصالح العراقية السوفيتية المشتركة، فقد كانت هناك بعض التصريحات التي توحي بوجود تحالف سري بين العراق والاتحاد السوفيتي. ففي أثناء اللقاء الذي عقد بين نائب رئيس الجمهورية العراقية عزت ابراهيم وبين الشيخ سعد العبد الله ولي العهد الكويتي في جدة في 31/7/90... قال الشيخ سعد العبد الله لعزت ابراهيم «لا تهددنا فلنا أصدقاء أقوياء» فرد عليه عزت ابراهيم «نحن أيضا لنا حلفاء أقوياء». [27] إذن فقد كان كل طرف يلعب بأوراقه على المكشوف. فالكويت تهدد العراق بالتدخل الأمريكي. والعراق يهدد الكويت بأن الاتحاد السوفيتي سيقف إلى جانبه إذا تدخلت أمريكا... فإذا أضيف إلى كل ذلك غموض موقف الاتحاد السوفيتي تجاه الأزمة خلال شهر أغسطس 90، اتضح لنا أن وجود اتفاق سري بين العراق والاتحاد السوفيتي هو احتمال كبير يؤيده التحليل السياسي والاستراتيجي، وتؤيده بعض الشواهد. ولكن الذي يعلم علم اليقين بوجود مثل هذا الاتفاق إن كان صحيحا، هو صدام حسين وجورباتشوف وعدد من المقربين اليها.

ولكن بمرور الأيام كان موقف الاتحاد السوفيتي يزداد وضوحا أمام المحللين السياسين والاستراتيجين. إنه لا يتخلى عن مساعدة العراق فحسب، بل إنه يؤيد أمريكا وحلفاءها في كل الخطوات التي يتخذونها ضد العراق. ومن هنا فإنه يمكن القول أن هذا هو الخطأ الأول والكبير الذي ارتكبه صدام حسين. فبدون تأييد الاتحاد السوفيتي للعراق، فإن موازين القوى تصبح في صالح أمريكا بشكل مطلق، وتصبح هزيمة العراق مؤكدة.

علاقة القرار بالوقت

لكي نحكم على أي قرار بالصح أو الخطأ، فإنه يتحتم علينا أن ندرس الظروف والعوامل المحيطة في الوقت الذي اتخذ فيه هذا القرار. فالقرار الصحيح هو القرار المناسب في الوقت المناسب. ***وعلى سبيل المثال فإن قرار صدام حسين بسحب القوات العراقية من الكويت يوم 25 فبراير 91 هو قرار***

خاطىء لأنه اتخذ في وقت غير مناسب. في حين أنه لو اتخذ هذا القرار قبل 15 يناير 91 لكان قرارا سليما. فقد كانت كل التقديرات السياسية والاستراتيجية تؤكد أنه إذا اندلعت الحرب، فإن أمريكا ودول التحالف سوف تنتصر لا محالة... وذلك نتيجة التفوق الساحق الذي تتمتع به في جميع المجالات.

ومع ذلك فلنفرض أن صدام حسين كان يقيم قدرات قواته المسلحة بأكثر من حقيقتها... فلا شك أنه اكتشف القدرات الحقيقية لقواته عندما اندلعت الحرب الجوية صباح يوم 17 يناير. ولا شك أنه عرف يوم 19 يناير أن دول التحالف قد قامت بتنفيذ حوالي 6 000 طلعة جوية، وأن وسائل الدفاع الجوي العراقي اسقطت فقط 10 طائرة معادية (هذا الرقم نعرفه اليوم ولم نكن نعرفه يوم 19 يناير. ولكن من المؤكد أن صدام حسين كان يعرفه يوم 19 يناير. أما البيان العسكري العراقي رقم 9، الذي نقلته وكالة الأنباء العراقية يوم 19 يناير، فقد جاء فيه أن وسائل الدفاع العراقي أسقطت 142 طائرة معادية). *وكمبدأ عام فإن الدفاع الجوي للدولة، إذا لم يستطع أن يسقط 5 في المائة من الطائرات المغيرة، فإن ذلك يعني أن معركة السيطرة الجوية تسير لصالح العدو... وان الدفاع الجوي في طريقه إلى الانهيار. وإذا انهار الدفاع الجوي العراقي فإن امكانية الاحتفاظ بالقوات العراقية في الكويت تصبح عملية بالغة الصعوبة وباهظة التكاليف، من حيث الخسائر البشرية والخسائر في المعدات. وفي ظل تلك الظروف، فلو أن صدام حسين اتخذ يوم 18، أو 19 يناير قراره بسحب القوات العراقية من الكويت، لكان قرارا سليما... أما التردد في اتخاذ هذا القرار إلى أن ينهار الدفاع الجوي العراقي إنهيارا كاملا... وإلى أن يبدأ الهجوم البري فتصبح تلك القوات أثناء انسحابها عرضة للهجوم من الجو ومن الأرض... فإن ذلك يعتبر خطأ كبيرا.*

عدم استخدام الأسلحة الكيماوية

لم يستخدم صدام حسين الأسلحة الكيماوية، رغم تهديداته المتكررة باستخدامها. لقد كانت الأسلحة الكيماوية هي سلاح الردع الوحيد الذي يملكه صدام حسين. *ولست أدري على أي أساس قرر صدام حسين الاستمرار في التحدي إذا كان في قرارة نفسه لم يكن ينوي استخدام هذا*

السلاح. ويكفي ان نستمع لتعليق قيادة القوات الجوية البريطانية في ذلك ولقد كان الكابوس الذي يقض مضجعنا هو الهجوم الكيماوي. فلو أن طيارا عراقيا واحدا قصف مواقعنا في السعودية بأسلحة كيماوية، لتغير سير الحرب الجوية تغيرا شاملا . . . بل لتغيير سير الحرب بالكامل. لأن مثل هذا الهجوم كان سيؤدي إلى اغلاق جميع القواعد الجوية. وقد كان العراق يملك الطائرة SU - 24 التي لديها القدرة على تنفيذ هذه المهمة بكفاءة ودقة متناهية». [28]

الحرب علم وفن. ويمكن للخبير العسكري أن يتنبأ بنتيجتها قبل أن تبدأ إذا أتيحت له المعلومات الصحيحة عن الطرفين. ومعظم هذه المعلومات أصبحت في عصرنا الحالي متاحة للجميع. وطبقا للمعلومات المتاحة عن كل من أمريكا والعراق في المجال العسكري والاقتصادي. . . وبعد أن وضعت الدول الخليجية كافة أراضيها وثرواتها تحت تصرف أمريكا. . . وبعد أن أقرت 12 دولة عربية في مؤتمر القاهرة في 10 أغسطس 90 بالتدخل الأمريكي. . . وبعد أن أعلنت مصر وسوريا والمغرب بأنها قررت إرسال قوات عسكرية إلى الخليج. . . كان واضحا بعد كل ذلك أن دول التحالف لابد ومن المؤكد أنها ستنتصر على العراق إذا بدأت الحرب والتزم الطرفان بقوانينها. ولكن بالرغم من وضوح هذه الرؤيا، فإن صدام حسين أخذ يتحدى هذا التجمع الكبير، وينذره بهزيمة تتضاءل بجانبها هزيمة أمريكا في فيتنام. وتصور بعض الخبراء - وأنا من بينهم - أن صدام يحتفظ بورقتين. الورقة الأولى هي أنه سوف يستخدم الأسلحة الكيماوية. والورقة الثانية هي أن هناك إتفاقا سريا بينه وبين الاتحاد السوفيتي، يقوم بموجبه الاتحاد السوفيتي بامداده سرا بما يحتاج إليه من معلومات (عن طريق الأقمار الصناعية وغيرها)، وما يحتاج إليه من سلاح بصفة عامة وأسلحة الدفاع الجوي والحرب الالكترونية بصفة خاصة. . . وبذلك يمكنه أن يحول هذه الحرب إلى حرب استنزاف تتحمل القوات الأمريكية فيها خسائر تفوق ما تحملته في حرب فيتنام. ولم يدر بخلد المحللين السياسيين والاستراتيجيين - بمن فيهم المتعاطفين مع الغرب - أن يذهب صدام حسين إلى هذا الحد في تحديه لتلك القوى التي تجمعت ضد العراق، ما لم تكن لديه هاتان الورقتان أو إحداهما على أقل تقدير. وإذا كان صدام حسين لم يتحدث عن ورقة الاتحاد السوفيتي، الا أنه أعلن مرارا وتكرارا عن تصميمه على

استخدام المزدوج (السلاح الكيماوي). وعندما يصدر هذا التحذير من صدام حسين فلابد أن يأخذه الجميع مأخذ الجد. فالكل يعلم أن العراق لديه أسلحة كيماوية، وأنه استخدم هذه الأسلحة فعلا خلال الحرب العراقية الايرانية، وأكدت ذلك لجان تابعة للأمم المتحدة. بل إن صدام حسين ذهب في تهديداته إلى ماهو أبعد من استخدامه للأسلحة الكيماوية. فقد أدلى في بعض أحاديثه بأنه سوف يستخدم أسلحة التدمير الشامل بما يوحي بأن لديه أسلحة نووية وبيولوجية دون أن يعترف علنا بذلك. ويؤكد ذلك ما اتخذته القيادة الأمريكية من إجراءات لمجابهة هذا الموقف الذي ينبىء بخسائر جسيمة. فقد حشدت وعبأت مستشفيات بها 32 000 سرير. وبعثت إلى منطقة الخليج بعدد 100 000 كيس Body Bags لشحن جثث الموتى الذين ينتظر سقوطهم في تلك الحرب والعودة بها إلى الولايات المتحدة.

ولذلك فإن عدم استخدام العراق لأسلحة التدمير الشامل التي يملكها في تلك الحرب كانت مفاجأة كبيرة لم يتوقعها أحد... لا الأعداء ولا الأصدقاء. وازداد تعجب المحللين عندما قدم العراق بيانا إلى الأمم المتحدة يوم 91/4/18، يوضح فيه ماكان في حوزته من أسلحة التدمير الشامل وصواريخ يزيد مداها عن 150 كيلومتر، تنفيذا لقرار مجلس الأمن 687. فقد جاء في هذا البيان [29] الأصناف التالية:

- 6 920 قذائف مدفعية عيار 120 ملليمتر بغاز Sarin.
- 2 500 قذائف صاروخ صقر - 30 معبأة بغاز Sarin (تحت الانقاض)
- 200 قنابل طائرات معبأة بغاز Sarin (تحت الانقاض).
- 75 طن من غاز Sarin في المخازن.
- 280 طن من غاز الخردل mustard.
- 1 000 قنابل طائرات معبأة بغاز الخردل.
- 105 قذائف مدفعية معبأة بغاز الخردل.
- 650 طن من غازات الأعصاب Tabun.
- 30 صاروخ الحسين ذات رأس كيماوية.
- 23 صاروخ الحسين ذات رأس تقليدية.
- 1 صاروخ سكود ذو رأس تقليدية.

وازداد تعجب المحللين السياسيين والاستراتيجيين بدرجة أكبر، عندما صرح مسؤول من الأمم المتحدة يوم 31 يوليو 91، بأن العراق يملك أسلحة كيماوية تزيد كثيرا عن تلك التي قدم بها بيانا يوم 91/4/18. فقد أورى هذا المسؤول بأن اللجنة التابعة للأمم المتحدة المنوط بها التفتيش على القدرات الكيماوية العراقية وتدميرها... أن العراق يمتلك حوالي 000 46 قذيفة وقنبلة ورأس كيماوي، وليس 755 10 كما جاء في البيان المقدم للأمم المتحدة... وأنه يقوم بتخزين حوالي 000 3 طن من المواد الكيماوية التي تستخدم في صناعة الأسلحة الكيماوية، وليس 005 1 طن كما جاء في الاقرار المقدم منه.

نعم ازداد تعجب الخبراء عندما اطلعوا على تلك البيانات. كانوا يعرفون أن العراق يملك امكانيات كيماوية. ولكن لم يكن أحد يتوقع أن يكون لديه هذا الحجم من المخزونات. وكان القليل منهم من يعتقد أنه توصل إلى تكنولوجيا تصنيع الرؤوس الكيماوية للصواريخ. ولما بدأ العراق في قصف اسرائيل والسعودية بصواريخ الحسين ذات الرؤوس التقليدية اعتبارا من يوم 91/1/18، ازدادت شكوك الكثيرين من حيث أن العراق لم يتوصل بعد إلى تصنيع الرؤوس الكيماوية للصواريخ. وذهب البعض الى الاستهزاء بها... حتى أن الرئيس المصري حسني مبارك وصفها يوم 1/24 بأنها أشبه بلعب أطفال، بينما وصفها الرئيس الأمريكي بوش بأنها سلاح إرهابي. ***والسؤال الذي بقي بدون إجابة حتى الآن هو لماذا لم يستخدم صدام حسين الأسلحة الكيماوية ؟***

يجيب البعض على هذا السؤال بأنه كان يخشى أن تستخدم أمريكا هي الأخرى أسلحتها الكيماوية ضده، وأنها كانت تستطيع أن تلحق به خسائر أكثر مما يستطيع هو أن يلحق بها. وهذه الاجابة غير مقنعة. حيث أن صدام حسين كان يعلم جيدا قبل الحرب وأثناءها أن أمريكا تملك ترسانة كيماوية أكبر مما يملكه العراق... ومع ذلك كان يعلن ويكرر عن عزمه على استخدام هذه الأسلحة، اعتمادا على أن أمريكا لا تستطيع أن تتحمل خسائر كبيرة... أضف إلى ذلك أنه حتى لو استخدمت أمريكا الأسلحة الكيماوية ضده، فهل كانت خسائره النسبية ستكون أكثر مما تحمله ؟ فخسائر العراق البشرية تقدر

بحوالي 100 000 في مقابل 466 من دول التحالف (النسبة 214 : 1). وإذا ما استخدم العراق أسلحته الكيماوية فمن المؤكد أن نسبة خسائره إلى خسائر دول التحالف، كانت ستكون أفضل بكثير من هذه النسبة.

ويرى البعض الآخر من المحللين أن العراق قد أحجم عن استخدام الأسلحة الكيماوية لأسباب أخلاقية. وذلك امتثالا لمعاهدة جنيف في 1925/6/17. ولكن هذا الرأي لا يدعمه استخدام العراق السابق للأسلحة الكيماوية في حربه ضد إيران... ولا يدعمه أيضا التهديدات التي صدرت من صدام حسين التي تؤكد عزمه على استخدام الأسلحة الكيماوية. ثم أن هؤلاء الذين يطالبون بضرورة الالتزام بمعاهدة جنيف التي تحرم استخدام الأسلحة الكيماوية، قد نسوا أو تجاهلوا حقيقتين هامتين. الحقيقة الأولى هي أن هذه المعاهدة قد مضى عليها أكثر من 66 سنة، تم خلالها ابتكار وانتاج واستخدام أسلحة أكثر تدميرا وأكثر فاعلية من الأسلحة الكيماوية... وفي مقدمتها الأسلحة النووية. وليس من المعقول منطقيا أن نصر على تحريم استخدام الأسلحة الكيماوية، دون أن تحرم استخدام الأسلحة النووية. أما الحقيقة الثانية، فهي أن أمريكا وبريطانيا وفرنسا لم تخف قط نواياها وعزمها على استخدام الأسلحة الكيماوية في أي حرب تشترك فيها، إذا ما سارت تلك الحرب في غير صالحها. ففي عام 1982، نشر الجنرال البريطاني General Sir John Hackett القائد السابق للجيش البريطاني ومجموعة جيوش حلف الناتو المتمركزة في شمال ألمانيا، كتابا عن الحرب العالمية الثالثة The Third World War. وقد جاء في الصفحة 173، 174 من الكتاب المذكور أنه افترض أن الاتحاد السوفيتي شن هجوما في المسرح الأوروبي يوم 85/8/4 مستخدما في ذلك الأسلحة التقليدية... ولكن القوات الأمريكية ردت باستخدام الأسلحة الكيماوية في نفس اليوم... وأن القوات البريطانية استخدمتها يوم 6 أغسطس... وأن القوات الألمانية استخدمتها يوم 8 أغسطس... وأن باقي قوات حلف الناتو تأخرت في استخدام الأسلحة الكيماوية بضعة أيام أخرى، إلى أن تم إمدادها بتلك الأسلحة من المخازن الأمريكية. وهذا يعني أن ليس بين القادة الغربيين من يجد حرجا في الاعلان عن نيتهم في استخدام تلك الأسلحة.

ولكل هذه الأسباب فإن عدم استخدام صدام حسين للأسلحة الكيماوية التي كانت في حوزة العراق، يبقى سؤالا محيرا . . . ويبدو أي إجابة مقنعة حتى الآن. وقد ننتظر طويلا قبل أن يجيب صدام حسين نفسه أو واحد من الاطارات العليا داخل المؤسسة العسكرية والسياسية العراقية على هذا السؤال.

ســوء توزيــع القــوات العراقيــة

كانت طبيعة مسرح العمليات. . . والتفوق الذي تتمتع به قوات دول التحالف في مجال القوات المدرعة والميكانيكية وفي مجال القوات الجوية، تؤكد أن الخطة الهجومية الأمريكية ستعتمد أساسا على تطويق القوات العراقية في الكويت. فما الذي يدفع القيادة الأمريكية إلى أن تحطم رأسها على الخطوط الدفاعية العراقية في الكويت إذا كان في استطاعتها أن تطوقها، وأن تصل إلى مؤخرتها عبر طرق اقتراب خالية من أي مواقع دفاعية ؟ كما وأن التفوق الجوي الذي تتمتع به دول التحالف سوف يمكنهم من عزل ميدان المعركة وتدمير جميع خطوط المواصلات والامداد إلى القوات التي تتمركز في الكويت. وبالتالي ستصبح عملية امدادها باحتياجاتها عملية صعبة وباهظة التكاليف. والتصرف العسكري السليم في ظل تلك الظروف ـ إذا افترضنا إصرار القيادة السياسية على الدفاع عن الكويت ـ هو احتلال الكويت بأقل عدد ممكن من القوات والاحتفاظ بالجزء الأكبر من القوات في الخلف بعيدا عن الأماكن التي يمكن تطويقها.

وقد أشرت بهذا الحل في الجزء الأول من كتابي الذي صدر في 20 أكتوبر 90. فقد قلت في الصفحة رقم 83 مايلي «يجب ألا نفترض أنه في حالة شن هجوم أمريكي بري ضد العراق، أن القوات الأمريكية ستقوم بتحطيم رأسها على المواقع الدفاعية العراقية المجهزة بالكويت. . . بل من المحتمل أن تقوم بعملية تطويق واسعة عبر الحدود السعودية العراقية. كما وأن القوات الأمريكية لديها القدرة على نقل فرقة كاملة بواسطة طائرات هيليوكوبتر.[35]
وهذا الاحتمال سوف يقود القيادة العراقية إلى الاحتفاظ بالجزء الأكبر من دباباتها في العمق، والاعتماد في الدفاع عن الكويت بشكل أكبر على الأسلحة

المضادة للدبابات. ومن المنتظر ألا يحتفظ العراق في الكويت بأكثر من 000 1 دبابة». وذكرت أيضا أني أتصور أن القوات الرئيسية العراقية ستتحصن خلف مواقع دفاعية على طول الضفة الشرقية لنهر الفرات (انظر الخطة والخريطة في كتاب الحرب الصليبية الثامنة الجزء الأول). لكي تأمن عدم قطع خطوط مواصلاتها.

ولكن القيادة العراقية، تصرفت بعكس ذلك تماما. فحشدت الجزء الأكبر من قواتها البرية في الكويت وجنوب نهر الفرات. وذلك طبقا للبيانات التالية:

	الحجم الاجمالي	جنوب الفرات	٪
دبابات	5 500	4 280	78
مدافع	3 700	3 110	84
عربات مدرعة	10 100	2 870	28

فإذا أضفنا إلى ذلك أن الفرق التي حشدها العراق جنوب الفرات كانت هي الأفضل تسليحا وتدريبا، فإن ذلك يعني أن الخطة العراقية كانت لا تتماشى مع أصول العلم العسكري. ويؤكد ذلك نجاح قوات دول التحالف في تدمير الجزء الأكبر من المعدات الرئيسية للقوات العراقية التي كانت تحتشد جنوب الفرات (86 ٪ من الدبابات، 84 ٪ من قطع المدفعية والعربات المدرعة).

القـوات الجويـة والدفـاع الجـوي

القوات الجوية هي عنصر رئيسي وأساسي في الحروب الحديثة. ولكنها لعبت في الحرب ضد العراق دورا حاسما لم تلعبه في أي حرب سابقة. فهي التي قامت بتدمير البنية الاقتصادية والتحتية في العراق والتي تقدر مبدئيا بحوالي 200 مليار دولار... وهي التي دمرت الدفاع الجوي العراقي... وهي التي حيدت القوات الجوية العراقية (حوالي 28 في المائة من طائرات القتال العراقية دمر أو اضطر إلى الفرار إلى إيران، والباقي أصبح حبيسا في الملاجىء لا يستطيع الخروج منها ولا تتيسر له الممرات الصالحة التي يستطيع أن يقلع منها... والقوات الجوية هي التي دمرت القوات البحرية العراقية والدفاع الساحلي

العراقي. . . وهي التي دمرت حوالي 80 في المائة من القوات البرية العراقية في مسرح العمليات (حوالي 40 في المائة قبل بدء الهجوم البري، وحوالي 40 في المائة أثناء مرحلة الهجوم البري وانسحاب القوات العراقية من الكويت).

ولكن هذه النتائج يجب ألا تقودنا إلى استنتاج خاطىء بأن القوات الجوية قد أصبحت هي العنصر الحاسم في تحقيق النصر. . . حيث أن دول التحالف كانت تتمتع بسيادة جوية فوق مسرح العمليات بصورة لم تشهدها أي حرب سابقة، ولا ينتظر أن تشهدها أي حرب لاحقة. فقد حشدت دول التحالف في منطقة الخليج - بعد استبعاد القوات الجوية الاسرائيلية والتركية - حوالي 1 656 طائرة قتال (حوالي 800 طائرة تابعة للقوات الجوية الأمريكية، حوالي 300 طائرة تابعة للقوات البحرية الأمريكية، حوالي 500 طائرة تابعة لدول التحالف). كما حشدت 669 طائرة هيليوكوبتر مسلحة. وكانت الغالبية العظمى من هذه الطائرات مجهزة بأحدث المعدات الالكترونية. . . التي تمكنها من العمل ليلا ونهارا وفي الظروف الجوية الصعبة (راجع الفصل الثاني والثالث والرابع). ***وفي ظل هذا التفوق الساحق استطاعت دول التحالف أن تنفذ 109 876 طلعة خلال فترة الحرب في حين أن القوات الجوية العراقية قامت بتنفيذ حوالي 350 طلعة فقط خلال الأيام الثمانية الأولى قبل أن تختفي نهائيا من الفضاء الجوي العراقي. . . أي أن طائرات دول التحالف كانت تظهر 314 مرة مقابل كل ظهور عراقي واحد !!***

وقد لعبت الطائرة F - 117 دورا هاما في تلك الحرب. فقد اشتركت هذه الطائرة في العمليات لأول مرة عندما قامت القوات الأمريكية بغزو بنما في 20 ديسمبر 1989، وقد قيل حينئذ أن انجازاتها لم تكن مرضية. أما في حرب الخليج فقد استعرضت الطائرة كل إمكانياتها، وحققت نجاحا كبيرا في تحقيق المهام التي كلفت بها. وقد كانت تمثل رأس الحربة بالنسبة للحرب الجوية. فرغم أن عدد طائرات F - 117 كان يمثل حوالي 2.5 ٪ من إجمالي عدد طائرات القتال المتيسرة لدول التحالف، فقد قامت هذه الطائرات بضرب وإصابة 31 في المائة من الأهداف العراقية التي تم ضربها في اليوم الأول للهجوم. ويقول الأمريكيون أن عيبها الوحيد خلال تلك الحرب كان هو تأثر إمكانياتها بحالة الجو. فبسبب السحب المنخفضة فوق بغداد، لم تتمكن تلك

الطائرات من تمييز أهدافها واضطرت إلى العودة بحمولتها في كثير من الحالات. [31] ولكن ذلك لا يجب أن يقودنا إلى الاعتقاد بأنه لا يوجد دفاع مؤثر ضد هذه الطائرة. فإن ميزة هذه الطائرة تكمن في أن اكتشافها على مسافات بعيدة يحتاج إلى رادار كبير وقوى. أما الرادارات العادية، فإنها تكتشفها على مسافات قصيرة، وبالتالي لا يتوفر الوقت اللازم لاعتراضها بواسطة المقاتلات والصواريخ. وقد أعلنت تشيكوسلوفاكيا في 91/6/15، أن لديها رادارا يستطيع رصد الطائرة 117 - F على مسافة 400 كيلومتر. [32] وبالتالي فإنه على المستوى العالمي فإن هذا الرادار يجرد هذه الطائرة من أهم ميزة تتمتع بها.

وقد أثبتت المدافع والرشاشات فعاليتها كعنصر هام من عناصر الدفاع الجوي. وطبقا لما أذاعته قيادة دول التحالف، فإن جميع الطائرات التي فقدتها خلال الحرب وعددها 38 طائرة، 5 هيليوكوبتر، قد تم إسقاطها عندما كانت تطير على ارتفاعات منخفضة أقل من 000 20 قدم. وأنه تم اسقاط معظمها بواسطة المدافع والرشاشات. وتم اسقاط بعضها بواسطة صواريخ سام المحمولة التي لا تبث أشعة رادارية قبل إطلاقها ولكن قيادة التحالف لم تحدد عدد ما أسقط بواسطة كل منها.

الذخائر الموجهة بدقة P G M

الذخائر الموجهة بدقة Precision Guided Munitions ، ووسائل إطلاقها، كانت من أبرز مظاهر تلك الحرب. [33] وهذه الصواريخ أو القنابل يتم توجيهها إما بالليزر، وإما بالأجهزة الالكترونية بصرية. وقد تم شرحها بالتفصيل في الفصل الثالث من هذا الكتاب. وهذه الذخائر إما أن تكون على شكل صواريخ موجهة Precision Guided Missiles أو على شكل قنابل موجهة Electro Optical Guided Bombs - EOGB . وقد أسقطت القوات الجوية الأمريكية 900 5 طن من تلك الأسلحة الموجهة على أهداف عراقية. وتعتبر هذه الذخائر أرخص من الصواريخ كروز Cruise ، من حيث ثمن التأثير Cost effectiveness . فسعر القطعة من تلك الذخائر الموجهة يتراوح بين 000 100 ـ 000 130 دولار. وهو سعر يعادل 10 في المائة من سعر صاروخ كروز طراز توماهوك الذي يحمل رأسه الحربي نصف ما تحمله القنبلة الموجهة.

ويقول الأمريكيون أن نسبة النجاح في إصابة الهدف بتلك الذخائر PGM كانت 85 في المائة. [24] وأن هذه الذخائر الذكية كانت تمثل حوالي 10 ٪ من الحجم الاجمالي للقنابل والمتفجرات التي ألقيت خلال الحرب. [25]

والدفاع ضد هذه القنابل الذكية يتطلب تدمير الطائرات التي تحملها والطائرات المساعدة التي تضيء الأهداف المطلوب قصفها. وهذا يتطلب زيادة مدى الصواريخ المضادة للطائرات، وتوفير الطائرات المقاتلة التي تعترض الطائرات المغيرة وتدمرها قبل أن تصبح في المدى الذي تصبح فيه قادرة على إطلاق صواريخها وقنابلها الذكية. وهكذا نجد أنفسنا نعود مرة أخرى إلى أهمية الدور الذي يجب أن يلعبه الدفاع الجوي في الحرب.

السلاح الأمريكي والسلاح السوفيتي

بعض المحللين العسكريين في الدول الغربية، يصورون الانتصار العسكري الذي حققته أمريكا في تلك الحرب على أنه انتصار للسلاح الأمريكي على السلاح السوفيتي. ولكني أرفض القبول بهذا الاستنتاج المتعجل للأسباب التالية:

1 - كانت أمريكا تستخدم أحدث ما أنتجته من أسلحة وعتاد State of the art weapons and Equipment، بينما كانت الأسلحة السوفيتية التي يستخدمها العراقيون، تتخلف عن أحدث ما أنتجته الصناعة السوفيتية من أسلحة ومعدات، بما يعادل جيل واحد على الأقل في الأسلحة البرية، وجيلين أو أكثر في مجال الطيران والدفاع الجوي والحرب الالكترونية. وقد كان التفوق الأمريكي في مجال القوات الجوية والدفاع الجوي والحرب الالكترونية هو العامل الرئيسي في انتصار دول التحالف. فإذا أردنا أن نقارن بين الأسلحة السوفيتية والأسلحة الأمريكية بطريقة علمية، فإنه يجب علينا أن نقارن بين أحدث ما يملكه الطرفان في تلك المجالات الثلاثة. وحيث أن أحدث ما يملكه السوفيت في تلك المجالات لم يشارك في تلك الحرب، فإننا سنعتمد في المقارنة على المواصفات المعلنة، والمعلومات المخابراتية التي حصلت عليها أمريكا والمصادر الغربية عن تلك الأسلحة.

2 - في أكتوبر 1987، صرح الجنرال الأمريكي بيوتروفسكي Piotrowski، قائد الدفاع عن الفضاء في منطقة كولورادو بما يلي «إن السوفيت قد طوروا استخدام الليزر في الدفاع الجوي . . . ***وأنه أصبح في إمكانهم الآن (1987) توجيه أشعة الليزر من قواعد أرضية ضد الأقمار الصناعية . . . وأنه في استطاعة هذه الأشعة الآن أن تدمر أقمار التجسس الأمريكية التي تدور على ارتفاع 400 ميل (حوالي 650 كيلومتر)، وأن تعطل عمل الأقمار التي تدور على ارتفاع 750 ميل (حوالي 1210 كيلومتر)*** . . . وأن الأقمار المستخدمة للاتصالات اللاسلكية التي تدور على ارتفاع 300 22 ميل (888 35 كيلومتر) هي الوحيدة التي مازالت في مأمن من تلك الأشعة المدمرة. ولكن هذا الأمان لن يدوم طويلا، بل من المنتظر أن تصبح تلك الأقمار هي الأخرى معرضة للخطر في خلال 5 سنوات (1992)». ويستطرد الجنرال بيوتروفسكي فيقول «عندما قام السوفيت في 30 سبتمبر 87 باطلاق صاروخ بالبستيكي يحمل رأسا هيكلية، وسقطت هذه الرأس على مسافة 500 ميل من جزر هاواي، فإن إحدى السفن السوفيتية في المنطقة، وجهت شعاع ليزر إلى طائرة استطلاع أمريكية، فأصابت الطيار بعمي مؤقت.»[36] ولنا أن نتصور ماذا كان يمكن أن يحدث لو أن العراق كان يملك تلك القدرات أثناء تصديه للهجمات الجوية الأمريكية. فحتى لو افترضنا أن السوفيت لم يحققوا أي تقدم عما كانوا عليه في عام 1987، فمن يستطيع أن يدمر قمرا صناعيا على ارتفاع 400 ميل، لابد وأنه يستطيع أن يدمر الأجهزة الالكترونية التي تحملها الطائرات. (أقصى ارتفاع تصل إليه أي طائرة أمريكية هو حوالي 22 ميل). . . فهل كان في استطاعة الهجمات الجوية الأمريكية أن تحقق ما حققته من نجاح، لو أن الدفاع الجوي العراقي كان يمتلك تلك الأسلحة السوفيتية ؟

أفضل الطائرات الأمريكية هي الطائرة 15 - F تليها الطائرة 16 - F . وأفضل الطائرات السوفيتية في المقابل هي الطائرة الميج 31 تليها الطائرة الميج 29 . وقد كانت كل التقديرات المخابراتية السابقة تفترض أن الميج 29 تتعادل مع

F - 16 ، وأن الميج 31 تتعادل مع F - 15 . واستمرت هذه القناعة إلى أن أتيح للدول الغربية أن تفحص الطائرة الميج 29 عن قرب لا من حيث المواصفات التقنية فحسب، بل من حيث الخبرة التدريبية . لقد أتيحت هذه الفرصة لأول مرة للخبراء الغربيين بعد أن دخلت 20 طائرة ميج 29 في الخدمة في القوات الجوية الألمانية، كنتيجة للوحدة الاندماجية التي تمت بين ألمانيا الشرقية (التي كان لديها تلك الطائرات) وألمانيا الغربية في أكتوبر 1990 . فقد أعلنت القوات الجوية الألمانية أن الطائرة الميج 29 قد سجلت تفوقا واضحا على الطائرة F - 16 أثناء المناورات . [37] وبعد حوالي أربعة شهور من هذا الاعلان شهدت القوات الجوية الهولندية بما هو أكثر من ذلك، عندما أعلنت أن الطائرة الميج 29 أفضل من الطائرة F - 15 C فيما يتعلق ببعض المهام . فقد جاء في تقريرهم عن ذلك مانصه : ***«إن طائرة الميج 29 لديها قدرات ممتازة في تنفيذ المهام التي صممت من أجلها، وهي ضرب الصواريخ جو جو التي توجه بالرادار عندما تكون تلك الصواريخ خارج مرمى البصر، ثم الانسحاب من المعركة . وفيما يتعلق بهذه المهمة، فإن الطائرة ميج 29 تتعادل في كفاءتها مع الطائرة F - 15 C ، بل وتتفوق عليها أحيانا .*** [38] فإذا كانت هذه هي شهادتهم عن الميج 29 التي من المفترض أنها أقل في الامكانيات والقدرات من الميج 31 ، فإن ذلك يؤكد أن السلاح الأمريكي ليس متفوقا على السلاح السوفيتي.

كذلك الحال بالنسبة للصواريخ المضادة للطائرات ذاتية الحركة . فالأنواع الحديثة في الترسانة السوفيتية هي : SAM - 10 ، SAM - 11 ، SAM - 12 ، SAM - 15 ، SAM - 17 ، SAM - 19 . ولم يكن لدى العراق أي من هذه الصواريخ . وقد عرض الاتحاد السوفيتي SAM - 10 في معرض باريس الدولي خلال شهر يونيو 91 . ومن المعتقد أنه أفضل من الصواريخ الأمريكية باتريوت التي ذاع صيتها خلال تلك الحرب. وطبقا للمواصفات المعلنة، ***فإن SAM - 10 يستطيع الوصول إلى ارتفاع 000 25 متر والى مدى 90 كيلومتر. في حين أن الحد الأقصى لمدى الباتريوت هو 40 كيلومتر.*** [39] *وكذلك الحال بالنسبة للرادارات . فقد أعلنت تشيكوسلوفاكيا في 91/6/15 وأن لديها رادار يستطيع رصد الطائرات Stealth وهي على مسافة 400 كيلومتر، في حين أن الرادار العادي يكتشفها على مسافة 20 ـ 60 كيلومتر.* [40]

وتشير التقارير الغربية أيضا إلى كفاءة الدبابات الأمريكية بصفة عامة، والدبابات M - 1 بصفة خاصة. ويستدلون على ذلك بقولهم أنه من بين حوالي 2 000 دبابة أمريكية، كانت محتشدة في مسرح العمليات، فإنه لم يدمر منها سوى 8 دبابة. أربعة منها تم تدميرها تدميرا شاملا والأربعة الأخرى يمكن إصلاحها. ويقولون أن الطلقات التي كانت تطلقها الدبابات العراقية T - 55 كانت تنزلق من فوق درع الدبابة M - 1 دون أن تؤثر فيها... وأن الطلقات التي كانت تطلقها الدبابات T - 72 ، كانت تحدث في درع الدبابة M - 1 A بعض الانبعاج دون أن تخترقها. ولكنهم نسوا أنهم ذكروا في تقارير أخرى أن الدبابات الأمريكية كانت تتحاشى الدخول في مرمى الدبابات العراقية، وأنها كانت تستخدم طائرات الهيليكوبتر AH - 64 في تدمير الدبابات العراقية... ***أي انه لم تحدث أي مواجهة حقيقية بين الدبابة T - 72 والدبابة M - 1 A ، حتى يمكن الحكم بأفضلية إحداهما على الأخرى إذا تكافأت الفرص أمام كل منهما.***

وبالاضافة إلى المقارنة الفردية بين كل سلاح وما يقابله، فيجب أن تكون هناك مقارنة اجمالية بين ما يملكه كل طرف... حيث أن تفوق أحد الأطراف تفوقا كبيرا في عنصر واحد، قد يلغى كل تفوق يكون لصالح الطرف الآخر في عدة عناصر أخرى. وعلى سبيل المثال، فإنه لو افترضنا أن أحد الأطراف يتفوق على الطرف الآخر في كل شيء، إلا أنه لا يملك أي أقمار صناعية أو أي وسيلة من وسائل الانذار المبكر أو امكانيات الحصول على المعلومات. ففي هذه الحالة سوف يكون الصراع بين الطرفين مثله كمثل عملاق أعمى في مواجهة من هو أقل منه قوة ولكنه يتمتع بنعمة البصر. ***ولكل هذه الأسباب فإنه يمكن القول بأن الأسلحة الأمريكية التي اشتركت في القتال كانت أفضل نوعية وأكثر عددا من الأسلحة التي كانت في أيدي العراقيين. ولكن هذا لا يعني القفز إلى الاستنتاج المتسرع بالقول بأن السلاح الأمريكي أفضل من السلاح السوفيتي.***

خسائر الحرب

أعلنت قيادة دول التحالف عن خسائرها الاجمالية في تلك الحرب، بما في ذلك من قتلوا في مهام تدريبية أو في حوادث عادية [41] أثناء تواجدهم في مسرح العمليات [42] فكانت كما يلي :

	قتلى	جرحى	اجمالي
الولايات المتحدة	389	467	856
باقي دول التحالف	77	830	907
اجمالي	466	1297	1763

وحيث أن العراق لم يكشف حتى الآن عن خسائره، فهناك تضارب كبير في التقديرات. والشيء الأكثر احتمالا هو أن يكون العراق قد تحمل حوالي 100 000 قتيل، 300 000 جريح من بين العسكريين والمدنيين.[41] وإذا افترضنا صحة هذا الرقم ـ وهو رقم جد متواضع بالنسبة لحجم الهجمات الجوية والبرية التي شنت ضد العراق ـ فإن ذلك يعني أن الخسائر البشرية العراقية بالمقارنة إلى الخسائر البشرية في دول التحالف تساوي 214 : 1. وهي نسبة عالية جدا. ويمكننا أن نتصور فظاعة هذه النسبة إذا ما قورنت بالخسائر البشرية التي تحملها العرب في حروبهم الحديثة.

	إسرائيل	العرب	يدخل فيها خسائر كل من
حرب 1948	1	3	مصر، سوريا، العراق، الأردن، لبنان
حرب 1956	1	5	مصر
حرب 1967	1	20	مصر
حرب الاستنزاف (67 ـ 70)	1	8	مصر
حرب 1973	1	1.5	مصر، سوريا، العراق
حرب لبنان (82 ـ 55)	1	38	سوريا، لبنان، فلسطين

نعم فإن نسبة التفوق لدول التحالف في مقابل العراق، كانت تزيد كثيرا عن نسبة التفوق الاسرائيلي. . . ولكن اسرائيل كان لها التفوق الجوي في جميع حروبها ضد العرب. وكانت قواتها الجوية هي السبب الرئيسي لزيادة الخسائر العربية. ولولا تفوقها الجوي عام 73، لكانت نسبة الخسائر بينها وبين العرب هي 1 : 1.

حـرب معـدات وليسـت حـرب رجـال

في هذه الحـرب انتصر السـلاح والمعـدات ولم ينتصر الرجال. فلم تعط الفرصة قط للرجال لكي يثبتوا شجاعتهم. فالطيارون العراقيون الذين اندفعوا لملاقـاة الـطيران الأمـريكي، لم تتح لهم الفرصة قط للاقتراب من الطائرات المعادية والدخول معها في قتال متلاحم، يبرز فيها كل طرف كفاءته في المناورة وشجاعته في الاقتحام... ذلك لأن طائراتهم كانت تدمر في الجو وهم مازالوا بعيدين عن أهدافهم. ولم يحدث قط خلال الحرب أن أتيحت الفرصة لقطعة بحرية عراقية أن تشتبك مع قطعة بحرية أمريكية أو بريطانية... حيث أن طيران تلك الدول هو الذي كان يتولى مهمة تدمير القطع البحرية العراقية. وحتى بالنسبة للحرب البرية فلم يحدث قط أن قامت قوات التحالف باقتحام موقـع عراقي، أو الـدخـول في معـركة دبابات حقيقية. فقد كان الأسلوب الأمريكي والبريطاني في الحرب البرية هو الاشتباك مع المواقع الدفاعية العراقية بواسطة الطيران والمدفعية البعيدة المدى.

في حديثهم عن الحـرب الـبرية، جاء في مجالـة TIME الأمـريكية مايلي: «استخدمت قوات المارينز طريقتين عند قيامها بفتح الثغرات في حقول الألغام العراقية. كانت إحداهما هي توجيه مركبة بدون سائق يتم توجيهها من بعد Remotely piloted vehicules. وكانت الثانية هي استخدام صاروخ في قصف حقل الألغام بخرطوم طوله 90 مترا ومعبأ بالمتفجرات. (المؤلف: عند انفجار الخـرطـوم فإنـه يفتـح ثغرة في الحقل طولها حوالي 90 مترا وعرضها حوالي 6 ـ 10 متر)... أما الخنادق التي كانت مملوءة بالنفط أمام المواقع الدفاعية، فقد قامت الطائرات الأمريكية بالقاء قنابل النابالم عليها في قطاع هجوم قوات المارينز فأحرقتها قبل أن يبدأ الهجوم». (المؤلف: لم تتلق القوات المصرية أو السعودية أي معونة فنية أمريكية في هذا المجال. وقد قامت باستخدام الوسائل التقليدية في فتح الثغرات، كما قامت باستخدام البولدوزرات في ردم الخنادق المملوءة بالنفط). (**)

وتستمـر مجلة TIME في شرح المعـارك البرية نقلا عن المصادر الأمريكية فتقول «وطوال فترة الحرب البرية التي امتدت 100 ساعة، فإن قوات الحلفاء

كانت تتحاشى دائما الدخول في قتال متلاحم. وكانت تفضل أسلوب القتال من بعد. كانت تعتمد على طول ذراعها. فكانت تصب نيرانها المهلكة على العراقيين بينما تكون هي آمنة بوقوفها خارج مرمى نيران القوات العراقية . . .

وفي صباح يوم الاثنين 25 فبراير التقت الفرقة المدرعة البريطانية بعناصر من الحرس الجمهوري، فدمرت ثلث المدرعات العراقية بقصفة واحدة مستخدمة في ذلك الهجمات الجوية والمدفعية البعيدة المدى». (المؤلف : كيف يمكننا في ظل تلك الظروف أن نحكم بأن الدبابة البريطانية هل أفضل من الدبابة العراقية ؟ أو أن الجندي البريطاني هو أفضل من الجندي العراقي ؟ . . . بينما لم تحدث أي مواجهة حقيقية بين الدبابات البريطانية والدبابات العراقية !!) .

لقد تعودنا أن نشاهد في أعقاب كل حرب أفلاما سينمائية تمجد الأعمال البطولية التي قام بها الأفراد. ومازلنا حتى اليوم نشاهد أفلاما عن الحرب الأهلية الأمريكية التي مضى عليها 126 عاما . . . وأفلاما عن الحرب العالمية الأولى والثانية . وحتى بالنسبة لحرب فيتنام التي هزمت فيها أمريكا فهناك أفلام تمجد بعض الأعمال البطولية الأمريكية . *ولست أدري كيف ستتفاخر أمريكا وبريطانيا وفرنسا بهذه الحرب، التي خلت من أي عمل بطولي . ومع ذلك فإن الخيال الأمريكي في خلق البطولات الوهمية لا يعرف حدودا . وفي هذا المجال ـ والى أن تجود قريحتهم بما هو أفضل منها ـ ذكرت وسائل إعلامهم القصة التالية : «التقت دبابة عراقية ومعها عربة مدرعة بعربة أمريكية من طراز Humvee (عربة غير مسلحة أصغر من العربة الجيب يستخدمها جنود المظلات) . كانت العربة الأمريكية مغروزة في الطين ولم يكن بها الا سائقها . وقد قامت الدبابة والعربة المدرعة بسحب العربة الأمريكية وتخليصها من الموقف الذي كانت فيه ثم استسلم العراقيون بعد ذلك إلى سائق العربة الأمريكية»*[٤٥] .

الخدمات اللوجيستيكية

المقصود بالخدمات اللوجيستيكية، هو توفير ما يحتاج إليه الجندي والسلاح والمعدات. فالسلاح يحتاج إلى صيانة وإصلاح لكي يبقى صالحا للاستعمال،

ويحتاج إلى ذخيرة تصل اليه بنفس المستوى الذي يستهلكه في قتاله اليومي. والمعدات تحتاج إلى صيانة ووقود. والفرد يحتاج إلى الغذاء والمياه والملبس، والى بريد ووسائل اتصال تربطه بأهله وبمن يحب. وكلما زادت نسبة عدد الدبابات والمركبات والمعدات الفنية بالنسبة لعدد الأفراد، كلما زادت الاحتياجات الادارية المطلوبة للجيوش بصفة عامة، والوقود والذخيرة بصفة خاصة... وكلما زادت رفاهية الجنود كلما ازدادت احتياجاتهم من المياه والغذاء والكساء. وحيث أن القوات المسلحة الأمريكية هي أكثر الجيوش البرية ميكنة... والجنود الأمريكيون هم أكثر الجنود رفاهية، فإن متوسط احتياجاتهم الفرد الأمريكي تصل إلى حوالي 100 كيلوجرام يوميا (50 مياه، 50 مواد غذائية ومهمات ووقود وذخيرة، وأدوات مهندسين إلخ). وقد ضرب الجنود الفيتناميون رقما قياسيا في قلة الاحتياجات. فكانوا يعتمدون على الموارد المحلية في الطعام والمياه. وكانت حاجتهم للذخيرة بمعدل 50 جرام للفرد يوميا. أي أن الخدمات اللوجيستيكية. لجندي أمريكي واحد يمكن أن تكفي حوالي 2 000 جندي فيتنامي.

كانت المواد التموينية التي تصل من العراق الى الكويت لتلبية احتياجات أهالي الكويت والقوات العسكرية العراقية التي تحتل الكويت تقدر قبل بدء عمليات الهجوم الجوي الأمريكي بحوالي 20 000 طن يوميا (كان جزء هام منها للتحصينات وأعمال المهندسين). ونتيجة القصف الجوي انخفض الامداد اليومي إلى حوالي 2 000 طن يوميا، مما اضطر الوحدات الى أن تعيش على الحد الأدنى من الاحتياجات. حدث هذا في الوقت الذي كان البريد الذي يتم توزيعه على أفراد القوات الأمريكية في الجبهة يصل إلى 300 طن يوميا، أي بمعدل حوالي 600 جرام للفرد الواحد. ويبين ذلك الفرق الشاسع بين الخدمات الادارية التي كانت تقدم للجندي العراقي إذا ما قورنت بتلك التي تقدم للجندي الأمريكي. *ولكن هذا لا يعني أن من لديه خدمات لوجيستيكية أفضل من خصمه، فإنه يكون أكثر فرصة في تحقيق النصر... حيث أن حرب فيتنام أثبتت عكس ذلك تماما. ولكن الذي نعنيه هو ضرورة توفير الحد الأدنى من الاحتياجات للجندي، حتى يحتفظ بقدراته الجسدية والمعنوية لمواصلة القتال، وذلك طبقا للظروف التي يتيحها مسرح العمليات.*

وطبقا للبيانات التي أعلنت بعد الحرب، فإن نقل القوات الأمريكية بأسلحتها ومعداتها، واحتياجاتها الادارية طوال الفترة من 7 أغسطس 90، وحتى 24 فبراير 91 قد تطلب نقل 5 . 6 مليون طن، منها 000 500 طن تم نقلها جوا، وتم نقل الباقي بحرا. ولا يدخل في هذا الرقم احتياجات القوات من الوقود والمياه والكهرباء . . . حيث كانت السعودية تقوم بتوفيرها مجانا لدول التحالف. وقد حصلت القوات الأمريكية وحدها خلال تلك الفترة، على 4 مليون طن من الوقود، 8 مليون طن من المياه. وبذلك ترتفع المطالب اللوجيستيكية الخاصة بالحملة الأمريكية إلى حوالي 5 . 18 مليون طن. وكان توزيع هذا الحجم من الحمولات على مختلف الخدمات اللوجيستيكية[46] كما يلي:

0 . 07	مليون طن، أفراد ومعهم أسلحتهم الخفيفة	38 . 0 ٪
2 . 43	مليون طن، أسلحة وعتاد ثقيل	13 . 14 ٪
4 . 00	مليون طن، احتياجات عدا الوقود والمياه	21 . 62 ٪
4 . 00	مليون طن، وقود	21 . 62 ٪
8 . 00	مليون طن، مياه	43 . 24 ٪

كانت القوات الأمريكية تصل إلى الموانىء الجوية والبحرية السعودية بمتوسط يومي يقدر بحوالي 700 2 جندي وحوالي 500 32 طن من الأسلحة والمعدات والاحتياجات. فإذا أضيف إلى ذلك ما كان يصل من باقي الدول المتحالفة، بمتوسط يومي يقدر بحوالي 650 جندي وحولي 500 2 طن من الأسلحة والمعدات والاحتياجات، فإن الرقم يرتفع إلى 350 3 جندي، 000 35 طن يوميا. وهذا يعني أن تلك الموانىء كانت مزدحمة ازدحاما شديدا، وتعتبر هدفا مثاليا للقصف الجوي والصاروخي وعمليات التخريب. ومع ذلك فقد تم كل ذلك دون أن يطلق العراق عليها طلقة واحدة !! . . . ويرجع ذلك إلى أن صدام حسين كان يتصور حتى آخر لحظة أن في استطاعته أن يتفادى الحرب. . . وأنه من الممكن أن يتوصل إلى حل سياسي لهذه الأزمة. . . وفي سبيل ذلك فإنه ضحى بالكثير من الخيارات العسكرية المثالية التي كانت متاحة أمام قواته المسلحة. ***كان الخيار العسكري الأول هو أن يحتل السعودية والدول الخليجية، بحيث تصبح آبار البترول في تلك الدول رهينة***

في يده يستخدمها كورقة سياسية للتفاوض من أجل التوصل إلى حل سلمي. وكان الخيار الثاني الذي يليه في الأفضلية هو قصف هذه القواعد الخليجية بالطائرات والصواريخ منذ اليوم الأول لوصولها إلى السعودية. وكان الخيار الثالث الأقل أفضلية من الخيارين السابقين، هو ان يقوم بتوجيه الضربة الأولى بكل ما يملك من أسلحة يوم 14 أو 15 يناير بعد أن أصبحت الحرب مؤكدة نتيجة تفويض الكونجرس الأمريكي للرئيس بوش بشن الحرب. ولكن صدام حسين لأسباب سياسية أضاع كل تلك الفرص الواحدة بعد الأخرى.

القيادة السياسية والقيادة العسكرية

في 90/11/8، أعلن العراق تعيين الفريق حسين رشيد رئيسا لأركان حرب القوات المسلحة، خلفا للفريق نظير الخزرجي. وكان حسين رشيد يشغل قبل ذلك منصب قائد الحرس الجمهوري. وفي 90/12/12 تم تعيين الفريق سعدي طعمة عباس الجبوري وزيرا للدفاع، خلفا للفريق عبد الجبار شنشل الذي كان قد تولى هذا المنصب في أعقاب مقتل وزير الدفاع عدنان خير الله في حادث هيليوكوبتر في 5 أيار (مايو) 1989.

وبصرف النظر عن الأسباب التي أدت الى هذا التغيير... وبصرف النظر عن كفاءة القادة الجدد. فان تغيير رئيس الأركان قبل شهرين من بدء العمليات، وتغيير وزير الدفاع قبل شهر واحد من بدء العمليات، لا بد وأن يحدث خلخلة كبيرة في جهاز القيادة والسيطرة في القوات المسلحة العراقية. والذي يثير التساؤل أكثر هو أن هذين القائدين الجديدين قد تم تغييرهما أيضا في أعقاب وقف اطلاق النار. فقد استبدل الفريق حسين رشيد التكريتي رئيس الأركان بالفريق إياد فتيح الراوي واستبدل الفريق سعدي طعمة عباس الجبوري بالفريق حسين كامل حسن يوم 91/4/6.

وحيث أن أي تغيير في القيادات العليا، يتبعه دائما سلسلة من التغييرات في القيادات الأصغر، فانه يجب أن تكون هناك أسباب قوية جدا لإجراء أي تعديلات في القيادات العليا للقوات المسلحة بصفة عامة، وفي أوقات الحرب بصفة خاصة. ويذهب بعض خصوم صدام حسين في تفسير هذه التغييرات

الى أنها تصفيات يقوم بها صدام حسين ضد من يعارضونه في الرأي. بينما يقول البعض الآخر أن الهدف الرئيسي لصدام حسين بعد الحرب هو تأمين نظامه ضد اي انقلاب عسكري محتمل. وهو لذلك يلجأ الى تعيين أقاربه في الأماكن الحساسة. وما تعيين ابن عمه على حسن الماجد وزيرا للداخلية يوم 91/3/6، ثم تعيين زوج ابنته حسين كامل حسن وزيرا للدفاع يوم 91/4/6.. الا تأكيدا لهذا الاتجاه. بل إنهم يقولون أيضا أن صدام حسين لا يعطي ثقته الكاملة حتى لأقرب أقربائه. وهو لذلك يعمد الى تغيير من يشغلون مناصب حساسة باستمرار، حتى لا يصبح لأي منهم جذور تؤهله لأن ينقلب عليه.

أما المحللين العسكريين والسياسيين المجردين عن الهوى، فقد يكون لهم رأي آخر. ومع أنه لا يوجد من بينهم من يستطيع أن يستبعد الاحتمالات السابق ذكرها... إلا أنهم يرجحون أن يكون قد ظهر خلاف بين القادة العسكريين من جانب وبين صدام حسين من جانب آخر. أو بمعنى آخر بين القيادة العسكرية المحترفة وبين القيادة السياسية. وحيث أن الحرب هي استمرار للسياسة بوسائل أخرى (من أقوال كلاوزوفيتز المشهورة)... وحيث أن الحرب هي أولا وأخيرا تندلع من أجل تحقيق هدف سياسي. فان فقهاء العلوم السياسية يتفقون على ضرورة تبعية القيادة العسكرية وخضوعها للقيادة السياسية في الدولة. ولكن تبعية القيادة العسكرية للقيادة السياسية شيء، وتدخل القيادة السياسية في إدارة العمليات شيء آخر. فالقيادة السياسية هي التي تحدد الهدف... في حين أن القيادة العسكرية هي التي تحدد الأسلوب والطريقة المثلى لتحقيق هذا الهدف. ولا يجوز للقيادة السياسية أن تتدخل في اتخاذ القرارات العسكرية. حيث أن تلك القرارات تحتاج إلى علم واحتراف وخبرة لا تتوفر في القيادة السياسية. وهذا الموضوع قد حسم في الأنظمة الديمقراطية؛ حيث يقف رئيس أركان حرب القوات المسلحة على قمة الهرم في القيادة العسكرية (وزير الحربية في تلك الدول هو جزء من القيادة السياسية)، بينما يقف رئيس الجمهورية في الأنظمة الرئاسية، أو رئيس الوزراء في الأنظمة غير الرئاسية على قمة القيادة السياسية. أما في الأنظمة الشمولية والأنظمة الدكتاتورية التي تسود دول العالم الثالث - باستثناء عدد قليل جدا منها - فان الحاكم كثيرا ما يمسك بيديه سلطات القيادة العسكرية، الى جانب سلطات القيادة السياسية. [47]

ومع أنه من المؤكد أن صدام حسين كان هو المرجع الأول والأخير في كل القرارات السياسية والعسكرية التي اتخذت خلال الحرب . . . الا أنني لا أستطيع أن أستبعد احتمال أن يكون رئيس اركان حرب القوات المسلحة العراقية، أو وزير الدفاع العراقي في حدود الاختصاصات التي خولها له صدام حسين، أو غيرهما من القادة قد قدم اقتراحا أو أكثر أثناء إدارة العمليات الحربية، ولكن صدام حسين نقضها ولم يأخذ بها . فلو افترضنا حدوث ذلك . . . وافترضنا أن تطور الحرب قد أثبت أن هذه الاقتراحات لو أخذ بها لكانت نتائج الحرب أفضل مما وصلت اليه، فحينئذ فان تغيير هؤلاء القادة بعد الحرب يصبح أمرا ضروريا من وجهة نظر صدام حسين. والى أن يصبح في استطاعة هؤلاء العسكريين أن يتحدثوا بصراحة عما دار في غرف العمليات خلف أبواب موصدة، فانني أفترض أن القيادة العسكرية قد اختلفت مع القيادة السياسية حول توقيت الحرب في أربع حالات على الأقل. وأعتقد أن القيادة العسكرية كانت تطالب بما يلي:

1 - القيام بالهجوم يوم 4 أو 5 أغسطس 90، بعد أن فرضت الولايات المتحدة الحصار على العراق والكويت، وأعلنت عن نواياها بالتدخل العسكري. ولم يكن في الجزيرة العربية في ذلك الوقت أي قوة تستطيع أن تمنع القوات العراقية من احتلال السعودية والدول الخليجية.

2 - القيام بالهجوم يوم 8 أو 9 أغسطس 90، أو خلال الأيام القليلة التالية في أعقاب نزول القوات الأمريكية في السعودية (القوات الأمريكية بدأت تصل الى السعودية يوم 7 أغسطس). وذلك بهدف تدمير واحتلال القواعد الجوية والبحرية والسيطرة على آبار البترول. وقد كان من الممكن أيضا تحقيق هذا الخيار بنجاح كبير.

3 - القيام بهجمات جوية وصاروخية ضد القواعد الجوية والبحرية التي تستقبل القوات الأمريكية.

4 - القيام بتوجيه الضربة الأولى بكل ما يملك من أسلحة وقوة في يوم 14 أو 15 يناير 91، بعد أن اتضح أن الحرب أصبحت مؤكدة. . . بعد أن فوض الكونجرس الأمريكي الرئيس بوش باستخدام القوة ضد العراق.

ولـو أخـذ بأي من الخيـارات العسكرية الأربعة السابقة، لكانت نتائج الحرب أفضل بكثير من النتائج التي ترتبت على الخيار السياسي الذي التزم به صدام حسين. هذا الخيار الذي سمح للقوات الأمريكية بأن تحتشد خلال أكثر من 5 شهور دون أي ازعاج . . . ثم سمح لها بتوجيه الضربة الأولى بعد أن أصبح لها التفوق الساحق على القوات العراقية . . . ثم لم يستخدم رغم كل ذلك أسلحة التدمير الشامل التي كان يملكها.

وقد اعترف الأمريكان بعد الحرب بخطورة موقفهم وعدم قدرتهم على صد أي هجوم عسكري عراقي ضد السعودية، لو أن هذا الهجوم قد وقع قبل ان تستكمل أمريكا حشد القوات المحددة في الخطة 1002. تلك الخطة التي كانت تستهدف حشد 4.5 فرقة، 3 حاملة طائرات، 5 جناح طائرات قتال. . . والتي كان مقررا أن تستكمل بنهاية نوفمبر 1990. كان الموقف الأمريكي خلال شهر أغسطس 90 بالغ الخطورة. وطبقا لما نشر بعد الحرب، فان الجنرال باول رئيس الأركان الأمريكي قال داخل الغرف المغلقة في البنتاجون يوم 12 أغسطس. . . «إن صدام حسين لديه 800 دبابة جاهزة للتحرك، ويمكنها أن تتقدم وتحتل المنطقة الشرقية من السعودية دون أن نستطيع ايقافها. وأمام هذا الموقف، فانه اتصل بالبيت الأبيض وطلب من بوش أن يخفف من هجومه وتهديداته لصدام حسين، حتى لا يستفزه ويدفعه الى الهجوم على السعودية في الوقت الذي لا تستطيع فيه القوات الأمريكية إيقاف هذا الهجوم (كتاب The Commanders صفحات 278، 282).

الاكتفاء الذاتي

الدولة التي تعتمد على غيرها في استيراد الغذاء والدواء والطاقة والأسلحة والمعدات والذخائر وقطع الغيار. . الخ . . . لا يمكن أن تصمد في حرب طويلة. ومع أن تحقيق الاكتفاء الذاتي بشكل كامل بالنسبة لكل ما يحتاج اليه الشعب والقوات المسلحة، من أصناف استهلاكية واسلحة ومعدات انتاجية، هو هدف من الصعب تحقيقه. . . إلا أنه يجب على اي دولة تخوض حربا ان يكون لديها أكبر قدر ممكن من هذا الاكتفاء الذاتي. ومع أن العراق يعتبر بلدا زراعيا. . . ومع أنه قطع شوطا لا بأس به في مجال التصنيع. . الا انه كان يعتمد بدرجة كبيرة على الاستيراد من الخارج، لكي يغطي ما يحتاج اليه من

غذاء وسلاح وعتاد ودواء. ونتيجة لذلك فان فرض الحصار عليه كان له نتائج مؤثرة وسريعة على قدرته في الاستمرار والصمود في هذه الحرب. وقد زاد من هذه المشكلة أن الحصار كان شاملا.. بحيث لم تستطع الدول الصديقة للعراق أن تمده بما يحتاج اليه، لتخفيف وطأة الحصار الذي فرض عليه.

ضرب الأهداف المدنية

في يوم 91/2/6 حذرت وزارة الدفاع الأمريكية، الصحفيين الأمريكيين والأجانب من استخدام الطريق بين بغداد وعمان. فكان ذلك هو أول اعتراف أمريكي علني بأنها تقوم بضرب أهداف مدنية بصفة عامة، وأنها تقوم بقصف طريق بغداد عمان بصفة خاصة. فمن المؤكد أن هؤلاء الصحفيين الأجانب لا يتحركون في دبابات أو مركبات عسكرية، وإنما يتحركون في عربات مدنية. وبالتالي فان هذا التحذير الأمريكي يعتبر اعترافا علنيا بأن القوات الأمريكية تقوم بضرب العربات المدنية.. وكانت الأخبار التي خرجت من عمان قبل ذلك ببضعة أيام، تقول أن دول التحالف تقوم بقصف كل التحركات على هذا الطريق نهارا وليلا.

كانت الولايات المتحدة قد شرعت في ضرب الأهداف المدنية في العراق، منذ الأيام الأولى لبدء هجومها الجوي يوم 17 يناير. واعتبارا من يوم 24 يناير بدأ التليفزيون العراقي ينشر صورا عن نتائج القصف الجوي الأمريكي للأهداف المدنية في العراق، فكانت أمريكا تتهم العراق بأن هذه هي صور قديمة من أيام الحرب العراقية الايرانية، وتنفى أن تكون أمريكا تقوم بقصف الأهداف المدنية. وفي يوم 28 يناير، أبلغ النازحون من العراق أن طائرات دول التحالف تقصف قوافل اللاجئين على طريق بغداد عمان. ولكن أمريكا كانت تنفي ذلك. واستمر الوضع على هذا المنوال الى ان اعترف البنتاجون يوم 6 فبراير بأن طريق بغداد عمان محفوف بالمخاطر. وأنه لا يضمن سلامة من يتحركون عليه. فكان ذلك هو أول اعتراف أمريكي بقصف الأهداف المدنية. وكان العراق قد دعا السيد رامزي كلارك ـ النائب العام الأمريكي الأسبق وأحد الدعاة العالميين ضد الحرب وضد الظلم ـ لزيارة العراق ليرى بنفسه الأهداف المدنية التي قامت القوات الجوية الأمريكية بتدميرها. وبعد زيارة

استغرقت عدة أيام، عقد رامزي كلارك مؤتمرا صحفيا في بغداد يوم 7 فبراير أكد فيه بأن قوات التحالف تقوم بقصف الأهداف المدنية، وانه راح ضحية هذه الغارات حوالي 6000 مدني. **وأمام جمع كبير من الصحفيين الأجانب وكاميرات التليفزيون سخر رامزي كلارك قائلا «ماهي العلاقة بين تحرير الكويت وبين تدمير محطات المياه والكهرباء والمجاري في بغداد؟ وماهي العلاقة بين تحرير الكويت وبين تدمير الكبارى التي تربط بين المدن والقرى التي تقع شرق وغرب نهري دجلة والفرات... والتي ينتقل عبرها المدنيون وتمر فوقها الشاحنات التي تنقل المواد الغذائية الى تلك المدن والقرى؟» وفي يوم 4 فبراير أعلنت القيادة الأمريكية في مؤتمرها الصحفي بالرياض، أنه قد تم تدمير 27 كوبري من إجمالي 40 كوبري كانت موجودة في العراق قبل بدء العمليات. وفي يوم 12 فبراير، وجه أحد الصحفيين الأجانب الى الجنرال Richard NEAL أثناء المؤتمر الصحفي اليومي الذي تعقده القيادة الأمريكية في الرياض، السؤال التالي «كيف يمكن للمدنيين أن يتحاشوا الاصابة اذا سافروا على الطرق أو عبروا على احد الكبارى» فكانت إجابته «الأفضل هو أن يبقوا في منازلهم».**

وفي يوم 13 فبراير أعلنت بغداد أن قوات التحالف قصفت ملجأ للوقاية من الغارات الجوية في العامرية، وأنه راح ضحية هذا الحادث مئات من النساء والأطفال الذين كانوا يتخذون من هذا الملجأ شبه مكان دائم للمبيت به ليلا هربا من الغارات الجوية.[٤٩]

وقد انكرت القيادة الأمريكية أول الأمر أن يكون ملجأ العامرية هو ملجأ لوقاية المدنيين، وادعت أنه كان يستخدم كمركز قيادة عسكري. ولكن الصحفيين الأجانب المقيمين في بغداد، أكدوا بعد زيارتهم للملجأ بعد قصفه وبعد مشاهدة مئات الجثث من النساء والأطفال، أنه ليس هناك دليل واحد يوحي بأن هذا الملجأ كان يستخدم لأغراض عسكرية. ورغم أن القيادة الأمريكية لم تعترف علنا بخطئها، وأخذت تصر اعلاميا بأن ملجأ العامرية كان يستخدم كمركز قيادة عسكرية، الا أن صحيفة سنداي تايمز البريطانية التي صدرت بتاريخ 17 فبراير، ذكرت أن المسؤولين في وزارة الدفاع الأمريكية يتحدثون فيما بينهم، بأنهم أخطأوا في عدم التحقق من أن هذا الملجأ كان

يستخدم بواسطة المدنيين. وذلك على أساس أن الصور التي التقطتها الأقمار الصناعية أوضحت تشابه الملجأ مع الملاجىء العسكرية.

وفي 14 فبراير قصفت الطائرات البريطانية من طراز تورنادو مناطق سكنية في مدينة الفالوجة، وقتل في هذا الهجوم 130 مدني. *وعندما قام التليفزيون العراقي ببث صور عن الخراب الذي أحدثه هذا الهجوم، ادعت أمريكا أن صدام حسين هو الذي يقوم بتدمير الأهداف المدنية في بلاده ثم يتهم بعد ذلك دول التحالف بأنها هي التي قامت بتدميرها. وذلك بهدف اثارة البغضاء في نفوس الشعب العراقي والعربي ضد أمريكا وحلفائها. (جاء ذلك على لسان مدير المخابرات في وزارة الدفاع الأمريكي في المؤتمر الصحفي اليومي الذي عقد في واشنطن يوم 16 فبراير). وشاء القدر أن يكشف زيف هذا الادعاء، عندما اعترفت القيادة البريطانية في اليوم التالي، بأن قصف المباني قد حدث فعلا ولكنه وقع بطريق الخطأ، عندما كان الطيار يوجه صواريخه لتدمير الكوبرى القريب من تلك المباني.*

ورغم ان القوانين الدولية تحرم ضرب الأهداف المدنية، إلا ان الكثير من الأهداف المدنية تعرضت للتدمير في كل الحروب السابقة. وليس هناك ما يؤكد أنها ستنجو من التدمير في الحروب القادمة. ويرجع ذلك الى خمسة أسباب رئيسية. *السبب الأول هو الخطأ. فرغم كل ما تتمتع به الأسلحة الحديثة من دقة، فما زال احتمال تدمير الأهداف المدنية بطريق الخطأ قائما.* فمن الممكن أن يوجه شخص سلاحه ضد هدف عسكري فلا يصيبه، ويصيب هدفا مدنيا بالقرب منه. وكلما زاد مدى السلاح المستخدم، كلما زادت احتمالات الخطأ. فلو تصورنا ان نسبة الخطأ هي 1 متر لكل 500 متر، فان صاروخا مداه 500 كيلومتر يمكن أن يسقط بعيدا عن الهدف المتجه اليه بحوالي كيلومتر. ورغم كل ما قيل عن توجيه الصواريخ بالليزر، فان الطيار البريطاني - إذا افترضنا صحة ما يقول - كان يصوب صاروخه ضد الكوبري في مدينة الفالوجة، فأصاب منطقة سكنية تبعد حوالي كيلومتر من الكوبري، رغم أن الطائرة المهاجمة كانت على مسافة حوالي 20 كيلومتر من الكوبري عند اطلاق الصاروخ عليه.

السبب الثاني هو التعمد، وذلك بهدف التأثير على الروح المعنوية على الشعب كافة. وقد لجأت أمريكا وبريطانيا الى هذا الأسلوب في جميع الحروب التي خاضتها في العصر الحديث. ففي ليلة 27/28 يوليو 1943 قامت الطائرات الأمريكية والبريطانية بغارة على مدينة هامبورج Hamburg الألمانية دمرت فيها 12 كيلومتر مربع من مساحة المدينة، وراح ضحية هذه الغارة 42 000 قتيل مدني من سكان المدينة. وفي 9 مارس 1945، قامت الطائرات الأمريكية بغارة على مدينة طوكيو، دمرت فيها 40 كيلومتر مربع من مساحة المدينة، وراح ضحية هذه الغارة 185 000 قتيل مدني من سكان المدينة. ولكي ترغم اليابان على الاستسلام ***بدون أي شروط، قامت أمريكا في 6 أغسطس 1945، بالقاء قنبلة نووية على مدينة هيروشيما، وأخرى يوم 9 أغسطس على مدينة ناجازاكي، وقد راح ضحيتها 200 000 قتيل في الحال***، بالاضافة الى مئات الألوف الذين ماتوا في السنين اللاحقة، نتيجة الاشعاعات والأمراض الجانبية التي ظهرت نتيجة هذين الانفجارين النووين. ***وقامت أمريكا بضرب الأهداف المدنية بكثافة أثناء حربها في كوريا وفيتنام. ففي خلال الحرب الكورية التي استمرت ثلاث سنوات 50 ـ 53، دمرت الغارات الجوية الأمريكية 43٪ من البنية الاقتصادية، 33٪ من المباني، وقتل مليون مدني من كوريا الشمالية. وفي خلال حرب فيتنام التي استمرت عشر سنوات 65 ـ 1975، دمرت الغارات الجوية الأمريكية البنية الاقتصادية والبنية التحتية infrastructure تدميرا شاملا، ودمرت 60٪ من المباني. وقتل أو أصيب بعاهات مستديمة 20٪ من السكان المدنيين في فيتنام الشمالية***.[49]

إن سجل أمريكا في ضرب الأهداف المدنية هو سجل لا يشرف... سواء بالنسبة للماضي أو الحاضر. وقد سبق أن أشرت الى الأصوات الأمريكية التي كانت ترتفع خلال تلك الحرب مطالبة باستخدام الأسلحة النووية ضد العراق (الواشنطن بوست في 3/11/90، نائب الرئيس الأمريكي في 1/2/91، أعضاء في الكونجرس الأمريكي في 11/2/91). وبالرغم من أن أمريكا لم تستخدم الأسلحة النووية ضع العراق، الا أن مجرد المطالبة باستخدامها، يعني أن ضرب الأهداف المدنية لا يعتبر عملا مخجلا في قاموس الحرب الأمريكي.

ويكفي أن نعلم أن أمـريكا حتى اليوم ترفض التوقيع على اي معاهدة تحرم استخدام الأسلحة النووية، أو حتى تلزمها بألا تكون البادئة باستخدامها. وهذا في حد ذاته يدل على قناعتها بضرورة ضرب الأهداف المدنية. فالقنابل النووية الاستراتيجية التي قوة تفجيرها تصل الى حوالي 2 ميجاطن، (تعادل 100 مثل بالنسبة لقنبلة هيروشيما) لا تفرق بين هدف عسكري ومدني، لأنها تدمر مدنا بأكملها.

والسبب الثالث في ضرب الأهداف المدنية هو الخلاف حول تفسير ماهو عسكري وماهو مدني. وللأسف الشديد فان الطرف الأقوى والأكثر قدرة على ضرب الأهداف المدنية يتوسع في تفسير ماهو المقصود بالهدف العسكري حتى يجعله يتسع ليشمل كثيرا من الأهداف المدنية. فهو عندما يدمر محطات توليد الكهرباء، ومحطات تحلية المياه، ومستودعات تخزين الوقود والمياه والاحتياجات الغـذائية، وشبكات الاتصالات التليفزيونية واللاسلكية، ومحطات السكك الحـديدية. والمـوانيء، والطرق والكبارى، وجميع المؤسسات والمنشآت التي يطلق عليها تعبير البنية التحتية infrastructure، فهو يقول أن هذه الأهداف تقوم بامداد القوات المسلحة باحتياجاتها. وبالتالي فان تدميرها يؤثر على قدرتها على مواصلة القتال. وهذه حقيقة لا جدال فيها. ولكنها في نفس الوقت تعني قتل المدنيين الذين يقومون بتشغيل تلك المنشآت، أو الذين يسكنون بالقرب منها. . وتعني ايضا أن المدنيين كافة سوف يعانون من تدمير هذه المنشآت. . وأن الوفيات بينهم نتيجة هذا التدمير ستتجاوز بكثير الوفيات التي تحدث بين العسكـريين. ولكن للأسف الشديد فهذا هو منطق الأقوياء. وبهذا المنطق قامت أمريكا بالقاء 88 000 طن من القنابل على العراق، كان الجزء الأكبر منها موجها ضد أهداف مدنية. وكان الغرض الأساسي من هذا القصف هو تدمير البنية الاقتصادية والتحتية للعراق.

والذي يثير العجب هو النظرة المزدوجة التي تتعامل بها القوى الكبرى عند تفسـير حقـوق المحـاربين. فهم يعتبرون ضرب قيادة صدام حسين عملا مشروعـا يتفـاخـرون به، على أسـاس أن صدام حسـين يمثل قمة القيادة السياسية والعسكرية في العراق. ولكن عندما قامت قوات الجيش الجمهوري الايـرلنـدي بقصف مقر رئيس الوزراء البريطاني في 10 داونتج ستريت في

لندن، في يوم 7 فبراير 91، وصف هذا الهجوم بالغدر والنذالة . . . مع أن رئيس الوزراء البريطاني يحتل أيضا قمة القيادة السياسية والعسكرية في بريطانيا .

السبب الرابع في اصابة المدنيين في الحرب، يتعلق بطبيعة الأسلحة المستخدمة . فالسيف لا يقتل الا من يطعنه، أما أسلحة الحرب الحديثة فانها تقتل كل كائن حي يقع في دائرة قدرتها التدميرية . وهذه القدرة تتراوح اليوم ما بين دائرة قطرها 10 ـ 15 متر بالنسبة لقنابل المدفعية الصغيرة، وبين 10 ـ 15 كيلومتر بالنسبة للقنابل النووية. وكلما اتسعت دائرة التدمير كلما زاد عدد المدنيين الذين يتواجدون بداخلها . والى أن يتم تحريم استخدام الأسلحة ذات القدرة العالية على التدمير، فليس هناك من سبيل لتلافي وقوع خسائر كبيرة بين المدنيين. والذي يزيد هذه المشكلة تعقيدا، هو ان القوانين الدولية توضع وتفسر دائما لصالح الدول الأقوى. والضحية دائما هي الدول الصغيرة والمستضعفة من دول العالم الثالث. ***فهل من المنطق أن نتمسك باتفاقية جنيف لعام 1925 التي تحرم استخدام الأسلحة الكيماوية، ولا تحرم استخدام الأسلحة النووية التي يتجاوز تأثيرها آثار الأسلحة الكيماوية بآلاف المرات ؟ وهل من المنطق أن نحرم استخدام طلقات دم دم Dum Dum ، ولا نحرم استخدام قنابل Daisy Cutter التي استخدمتها أمريكا ضد العراق ؟***

أما السبب الخامس، فهو سيطرة أمريكا على الأمم المتحدة بعد تراجع الاتحاد السوفيتي عن الساحة الدولية. فلم يعد من يقول لأمريكا كفى هذا والا . . . لقد أصدر الأمين العام للأمم المتحدة دي كويلار يوم 5 فبراير 91 تصريحا ينتقد فيه قيام الحلفاء بضرب قوافل المدنيين على طريق بغداد عمان. وكان هذا هو أقصى ما يستطيع أن يفعله . ولكن ذلك لم يمنع القيادة الأمريكية من أن تعلن في اليوم التالي أن هذا الطريق محفوف بالمخاطر، وأنها لا تضمن سلامة من يستخدمونه . . . ولم يمنع القيادة الأمريكية من الاستمرار في ضرب الأهداف المدنية في كافة أرجاء العراق . . . ولم يمنع شبكة تليفزيون Sky One البريطانية التي يملكها اليهودي مردوخ، أن تعلن يوم 19 / 2 نقلا عن مندوبها في بغداد أنه قد وقعت في الليلة السابقة 56 غارة جوية على اهداف مدنية . وان الغارات على بغداد كانت هي الأكثر كثافة منذ بدء الحرب.

قتـل الأصدقـاء بطـريق الخطـأ

بعد تحقيق مكثف أجرى بعد الحرب، أعلن البنتاجون أن 38 من أصل 148 أمريكي قتلوا أثناء العمليات، قد حدث نتيجة قيام وحدات أمريكية باطلاق النيران على وحدات أمريكية بطريق الخطأ. (لا يدخل ضمن هذه الأرقام من قتلوا نتيجة حوادث عادية أو حوادث أثناء التدريب) . . . وأن 72 من الجرحى الأمريكيين قد أصيبوا بنيران صديقة من اجمالي 467 أصيبوا بجراح خلال تلك الحرب سواء اثناء العمليات أو نتيجة حوادث أثناء تدريب أو حوادث عادية، ويعترف البنتاجون أيضا بأن القوات الأمريكية دمرت بطريق الخطأ 7 دبابات M1 A1 ، 27 مركبة مدرعة Bradley من أصل 35 مركبة من هذا النوع هي كل ما تدعي القيادة الأمريكية بأنها خسرته خلال العمليات في تلك الحرب. [50] ومع أن قيام وحدة ما باطلاق النار على وحدة صديقة أثناء القتال هو خطأ شائع يقع في كل الحروب. . . إلا انه من المفترض أن يكون ذلك في أضيق الحدود. أما أن يصل عدد من يقتلون نتيجة خطأ من زملائهم الى حوالي 24 ٪ من اجمالي من يقتلون في العمليات الحربية، فان هذا أمر خطير يحتاج الى دراسة.

لا توجد احصائيات دقيقة عن عدد من يقتلون في الحروب نتيجة أخطاء من زملائهم. ويرجع ذلك الى ان القيادات العسكرية على جميع المستويات - اعتبارا من قائد الفصيلة وحتى القيادة العليا للقوات المسلحة - تحاول أن تتستر على هذه الأخطاء. إنهم يعتقدون أن إذاعة مثل هذه الأخطاء يمكن أن يؤثر على الروح المعنوية للجنود، ويمكن أن يعرض بعضا من القادة العسكريين والجنود الذين يمتازون بالجرأة والشجاعة للمساءلة والمحاكمة، مما يمكن ان يؤدي الى قتل روح المبادرة وحرية التصرف بين القادة. . . ولا شك أن في هذا القول الكثير من الصحة. ولكن هذا لا يمكن أن يكون مبررا للصمت والسكوت تجاه مثل هذه الأحداث. فالناس يتعلمون من أخطائهم. وليست كل الأخطاء سواء. فهناك أخطاء مبررة يمكن التغاضي عنها. وهناك أخطاء يجب معاقبة مرتكبيها. ويعترف البنتاجون بأن نسبة من قتلوا في هذه الحرب نتيجة خطأ من زملائهم Fratricidal casualties في تلك الحرب تزيد عن عشرة

أمثال أي نسبة مسجلة في الحرب خلال هذا القرن . (المؤلف هذا يعني أن أعلى نسبة سابقة هي 5 . 2 ٪. وهي في اعتقادي نسبة عالية أيضا . بل إن نسبة 1 ٪ يمكن ان تعتبر عالية . وفي خلال حرب أكتوبر 73 دمرت 4 من دباباتنا بنيران صديقة، من إجمالي 500 دبابة هي كل خسائرنا خلال تلك الحرب . وقد ذكرت قصة هذه الدبابات في كتابي عن حرب أكتوبر الصفحة رقم 342).

ويرجع ارتفاع نسبة الخسائر بين الأمريكيين وحلفائهم بنيران أسلحتهم في تلك الحرب، الى اعتماد القوات الأمريكية اعتمادا كبيرا على الأجهزة الالكترونية، وغياب التقييم البشري أو تقليص دوره الى حد كبير. فالطائرة الهيليوكوبتر تستطيع أن تميز الدبابات ليلا، ولكنها لا تستطيع أن تفرق بين الدبابة T-72 السوفيتية والدبابة M-1A1 الأمريكية . وبالتالي فاذا اقتربت هذه الدبابات من بعضها البعض فان الطيار الأمريكي لا يستطيع أن يميز بين الدبابتين. ويفسر لنا ذلك كيف استطاعت الطائرات الأمريكية أن تصيب وزارة الدفاع العراقية في بغداد إصابة مباشرة ودقيقة. . . بينما عجزت عن التميز بين الدبابات الصديقة والدبابات المعادية . والدرس الذي يجب ان نستخلصه من ذلك هو أن التلاحم والاقتراب من العدو في الظلام وفي حالات الرؤية الرديئة يحرم العدو من ميزة التفوق في مجال الحرب الالكترونية .

الفصــل العاشــــر

دور الاعــلام في الحــرب

هـل هـي حـرب صليبيـة

نعم صليبية

كان الاعلام الغربي وإعلام الأنظمة الاسلامية التي ساندت الدول الصليبية في حربها ضد العراق، يحاول أن ينفي صفة الصليبية عن تلك الحرب. ونحن نقول بل هي حرب صليبية وصليبية وصليبية. وإلى أن يحكم الله بيننا وبينهم يوم القيامة، فاننا نحتكم الى ما جاء في القرآن وفي سنة رسوله ﷺ. قال تعالى «إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون». [1] وقال تعالى «وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة. واعلموا أن الله مع المتقين». [2] وقال تعالى «لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين. إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم. ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون». [3] وقال تعالى «يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض. ومن يتولهم منكم فانه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين». [4] وقال تعالى «ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى». [5] وبهذه الآيات المحكمات نستطيع أن نتبين طريقنا. فأهل الكتاب الذين يعيشون بين ظهرانينا ولا يحاولون أن يفتنونا في ديننا ولا يعتدون على حرماتنا... هؤلاء قد أمرنا الله أن نكون بارين بهم مقسطين في معاملاتنا معهم. وينطبق ذلك على أي مجتمع نصراني أو يهودي يعيش في دولة مجاورة لدولة المسلمين. أما الذين يحتلون ديارنا.. أو يؤيدون ويساندون من يحتل ديارنا.. فهؤلاء يجب على المسلمين كافة أن يقاتلوهم... وهؤلاء هم من يطلق عليهم لفظ الصليبيين.

فالصليبيون إذن من وجهة نظر المؤمنين، هو تعبير لا يعني كل المسيحيين... بل إنه يعني فريقا منهم. هذا الفريق الذي يعتدي على ديار المسلمين من أجل أن ينهب أموالهم... ومن أجل أن يستعمر أرضهم... ومن أجل أن يفتنهم في دينهم، فيدعوهم الى اعتناق دين غير دينهم.. أو أن يدفعهم إلى نبذ تطبيق الشريعة الاسلامية، فيفرغ الدين الاسلامي من

مضمونه. ولذلك فان مفهومنا للحرب الصليبية «هي كل حرب تشنها دولة نصرانية ضد دولة أو مجتمع مسلم، ويكون من أهدافها تنصير هذا المجتمع، أو تغريبه، أو اقتطاعه أو عزله أو فصم الروابط بينه وبين باقي الأمة الاسلامية، أو ترسيخ التجزئة السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي فرضتها الدول الصليبية على الأمة الاسلامية في أزمنة سابقة».

حروب كلها صليبية

اذا كانت كتب التاريخ قد أغفلت اضافة صفة الصليبية إلى جميع الحروب التي دارت بين المسيحيين والمسلمين خلال القرون السبع الماضية، فان ذلك لا يعني أن تلك الحروب لم تكن حروبا صليبية. فالمؤرخون الغربيون هم الذين أخذنا عنهم ترقيم الحروب الصليبية التي دارت بين المسيحيين والمسلمين ما بين 1097 ـ 1291. وحجتهم في ذلك أن تلك الحروب كانت تصدر بأوامر من البابا، أو بمباركة منه، عندما كان البابا يتمتع بسلطات سياسية كبيرة إلى جانب سلطاته الدينية. ولكن من حقنا اليوم أن نعيد توصيف تلك الحروب على أساس أهدافها ونتائجها. وليس على أساس من الذي أصدر الأمر بها، أو المكان الذي وقعت فيه. وانطلاقا من توصيفنا السابق للحرب الصليبية، فاننا نعتقد أن جميع الحروب التي دارت بين الدول المسيحية والبلاد الاسلامية خلال القرون السبع الماضية هي حروب صليبية من حيث الأهداف والنتائج. ونذكر فيما يلي بعضا منها:

- حروب الأندلس التي دارت في النصف الأخير من القرن الخامس عشر والتي انتهت بسقوط غرناطة في 2 يناير 1492. وقام الصليبيون بعد انتصارهم بقتل جميع المسلمين إلا من ارتد منهم عن دين الاسلام أو هرب إلى شمال افريقيا.

- احتلال الاسبان مليلة عام 1497، سبتة عام 1735 (الاسم الحالي Ceuta وكانت قبل ذلك قد احتلت بواسطة البرتغاليين عام 1415) على الساحل الشمالي للمغرب. وهي ما زالت تحت السيادة الاسبانية حتى اليوم. وقد قام الاسبان خلال تلك المدة بتغير بنيتها السكانية وأصبحتا مدينتين مسيحيتين لا يتمتع فيهما المسلمون المغاربة بحق المواطنة.

- احتلال النمساويين (آل هابسبورج Habsburg) هنغاريا عام 1699 ، واجبار أهلها على اعتناق المسيحية بعد أن كانوا قد دخلوا الاسلام منذ عام 1526 .

- احتلال روسيا لعدد من الولايات الاسلامية (القرم 1783 ، كازاخستان 1755 ، بوخارة Bukhara والاقاليم الاسلامية المتاخمة لروسيا، تم ضم بعضها، ووضع البعض الآخر تحت الحماية الروسية عام 1873) . وأصبحت افغانستان هي الدولة الاسلامية المستقلة الوحيدة التي تفصل بين حدود الامبراطورية الروسية في الشمال والامبراطورية البريطانية في الهند في الجنوب. . . وكانت بريطانيا قد أتمت سيطرتها على الهند عام 1857 بعد أن هزمت ثورة المسلمين ضد الاحتلال البريطاني.

- احتلال فرنسا للدول العربية التالية (الجزائر 1830 ، تونس 1881 ، جيبوتي 1881 ، موريتانيا 1906 ، المغرب 1912 ، سوريا 1920 ، لبنان 1920) .

- احتلال بريطانيا للبلاد العربية التالية: جنوب اليمن 1839 ، مصر 1882 ، السودان 1899 ، الدول الخليجية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، العراق 1918 ، فلسطين 1918 ، الأردن 1920 .

- احتلال ايطاليا للبلاد العربية التالية: الصومال 1884 ، إريتريا 1889 ، ليبيا 1912 .

- احتلال اسبانيا للصحراء الغربية (ما كان يعرف سابقا بالساقية الحمراء ووادي الذهب) عام 1884 .

حروب مشروعة بين المسلمين

وقد عرفت الأمة الاسلامية حروبا كثيرة اسلامية اسلامية. كان بعضها بسبب التنافس على السلطة والنزعة الانفصالية لبعض حكام الولايات الاسلامية. وكان بعضها بهدف توحيد الأمة الاسلامية وتجديد شبابها بعد أن يكون الضعف والاضمحلال قد أصاب بعض أجزائها. ولعل أبرز الأمثلة على هذا النوع الثاني هي تلك الحروب الاسلامية التالية:

• قيام مصر تحت حكم أحمد بن طولون بغزو سوريا عام 878، ثم العراق عام 895. ولكن هذه الوحدة الاسلامية الصغرى انهارت عام 905 بعد مقتل خومارويه عام 896.

• قيام مصر تحت حكم الاخشيد باعادة السيطرة على سوريا والبقاع المقدسة خلال الفترة من 935 ـ 960. ولكن الحكم في مصر اضمحل، بعد أن اغتصب الحكم فيها كافور بمباركة من الخليفة العباسي في بغداد. وازدادت الفوضى والاضمحلال في نظام الحكم في مصر، بعد وفاة كافور عام 968.

• قام الفاطميون في تونس بغزو مصر عام 969. وكان الفاطميون قد أقاموا دولة فتية في تونس. وعندما اضمحل الحكم الاسلامي في مصر في أواخر حكم كافـور الاخشيدي، زحفوا إلى مصر وأقاموا فيها حكم الفاطميين الذي امتد من 969 حتى 1171.[6] وقد أقام الفاطميون دولة اسلامية قوية عاصمتها القاهرة تتبع الخلافة العباسية من الناحية الاسمية فقط. ولكن نفوذها امتد ليشمل كل شمال افريقيا، وجزيرة صقلية، والحجاز، واليمن، والجـزء الجنـوبي من سوريا.[7] ولكن دولة الفاطميين دب فيها الضعف والاضمحلال خلال النصف الثاني من القرن الثاني عشر. ولولا النجدة التي بعث بها نور الدين ـ الذي كان يحكم الموصل وحلب ـ لفك الحصار عن دمشق عام 1148، لنجح الصليبيون في احتلال دمشق التي كانت تخضع لحكم الفاطميين.[8]

• وفي عام 1086، انـطلق المـرابطون (هم قبائل من البربر كانوا يقطنون موريتـانيا والسنغـال أنشأوا دولة دينية قوية غزت مملكة غانا في الجنوب، وتوسعت لتضم المغرب حيث أنشأت عاصمة لها في مدينة مراكش. وامتد نفوذها حتى الجزائر شرقا في عام 1072. وكانت دولة سُنِّية تحكم باسم الخليفـة العبـاسي في بغـداد). انـطلقوا إلى اسبانيا للدفاع عن الولايات الاسـلامية الصغـيرة التي كانت تتعرض لهجمات الصليبيين بقيادة الملك الفـونسو السادس ملك قشتيلة، وهزموه هزيمة نكراء في معركة الزلاقة Azzallaqah. ولكنهم انسحبوا بعد هزيمتهم للصليبيين خشية أن تفتنهم الحضارة والمدنية التي وجدوها في الأندلس، وحتى لا يتورطون في النزاعات المستمرة بين ملوك وأمراء تلك الولايات الاسلامية في الأندلس.

- وفي عام 1159 انطلق الخليفة الموحد عبد المؤمن (تأسست دولة الموحدين من قبائل البربر في جبال الأطلس في عام 1121 . وامتد ملكها على حساب دولة المرابطين. حتى شمل كل الولايات الاسلامية في شمال افريقيا واسبانيا في عهد الخليفة عبد المؤمن) من المغرب الى تونس ليهزم الصليبيين الذين كانـوا قد انـطلقـوا من صقلية واحتلوا تونس. وكانت مراكش هي أيضا عاصمة الموحدين إلى أن دالت دولتهم عام 1269 . وكان الموحدون يدينون بالمذهب الشيعي.

- وفي عام 1187 انطلق صلاح الدين الأيوبي من مصر ليهزم الصليبيين في حطين، ثم قام بعد ذلك بتوحيد الولايات الاسلامية لتشمل كامل المشرق العربي (مصر، سوريا، العراق، الحجاز، اليمن).

- وفي عام 1260 (كان المغول قد دمروا بغداد في عام 1258 وألغوا الخلافة الاسلامية، وتقدموا خلال سوريا) تقدم الظاهر بيبرس من مصر حيث هزم المغـول في معركة عين جالوت في فلسطين في سبتمبر 1260 . وانسحب المغول شرقا إلى أن أصبح نهر الفرات هو الحدود الفاصلة بين المغول وبين دولة المماليك في مصر. واستمر حكم المماليك إلى أن دالت دولتهم عام 1517.

- وفي عام 1517 احتل العثمانيون سوريا ومصر (٥) . . . ثم احتلوا العراق عام 1538 . . . ثم امتدت فتوحاتهم بعد ذلك لتشمل جميع البلاد العربية التي نعرفها اليوم.

هدف الحروب الصليبية

رغم التنافس الشديد الذي كان قائما بين الدول الأوروبية حول اقتسام أملاك الامبراطورية العثمانية، التي كانوا يسمونها خلال القرون الثامن عشر والتاسع عشر والعشرين، برجل أوروبا المريض. . . هذا التنافس الذي كان يصـل أحيانا إلى حد العداء والحرب. . . فان جميع تلك الدول الأوروبية كانت تتفق حول الأهداف الرئيسية التالية:

1 ـ التنصير: كان تنصير المجتمع الاسلامي هو الأسبقية الأولى لأي دولة صليبية تنجح في الاستيلاء على جزء من أراضي الدول الاسلامية. وقد نجحت

عمليات التنصير في الدول الأوروبية الاسلامية. وتم تنصير الدولة الاسلامية
في اسبانيا بعد أن كان الاسلام قد استقر فيها طيلة 781 عاما (711 ـ
1492). فلم يسمح الصليبيون الاسبان للمسلمين بالبقاء في الأراضي
الاسبانية بعد سقوط الحكم الاسلامي. فاما القتل، أو التنصير. ثم تكرر
نفس الشيء في دول وسط أوروبا. وكان العثمانيون قد بدأوا في غزو أوروبا
رافعين شعار الدعوة إلى الاسلام، اعتبارا من عام 1350. وبانتصارهم على
الصليبيين في معركة فارنا في 10 نوفمبر 1444، كانت سيادتهم قد تأكدت على
جميع الأراضي الأوروبية جنوب نهر الدانوب. (فيما عدا مدينة القسطنطينية التي
تركها الأتراك كجيب وسط ممتلكاتهم لحوالي مائة سنة إلى أن قرر السلطان محمد
الثاني مهاجمتها فسقطت في أيديهم في 29 مايو 1453). وفي خلال الـ 70 سنة
التالية، أضاف العثمانيون الى دولتهم أراضي شاسعة فوق نهر الدانوب تشمل
ما يعرف حاليا برومانيا، هنغاريا، والأجزاء الشرقية من النمسا، والأجزاء
الجنوبية من روسيا المتاخمة للبحر الأسود. ولكن هذه الامبراطورية بدأت رحلة
التراجع عام 1699... بعد هزيمة العثمانيين أمام التحالف الأوروبي الذي
اشتركت فيه بولندا والنمسا وفينيسيا، روسيا... هذا التحالف الذي كان
يطلق عليه التحالف المقدس The Holy League. وعلى أثر هذه الهزيمة
انسحب العثمانيون من هنغاريا.. ثم تتابعت تراجعاتهم التي كان آخرها هو
انسحاب تركيا من البلقان (الانسحاب من البلقان فيما عدا اليونان تم عام
1913 في أعقاب حرب البلقان. أما اليونان فقد بقيت تحت الحكم التركي
حتى نهاية الحرب العالمية الأولى 1920). وهذا يعني أن أقل مدة عاشها الحكم
الاسلامي في أوروبا كانت في هنغاريا حيث بقي 173 سنة فقط (1526 ـ
1699). أما أكثرها فكان في البلقان بصفة عامة وفي اليونان بصفة خاصة
حيث بقي الحكم فيها 570 سنة (1350 ـ 1920). ونحن لا ننكر أن حملات
المسلمين في اسبانيا وفي وسط أوروبا، كانت تهدف أساسا إلى نشر الاسلام.
ولكنها طبقا لتعاليم الدين الاسلامي لم تكن تفرض الدين على الناس بحد
السيف، بل كانت تدعوهم اليه فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليبق على دينه
ويدفع الجزية.. ***أما الصليبيون الذين استردوا اسبانيا ووسط أوروبا، فقد
فرضوا على المسلمين في تلك البلاد المغلوبة إما أن يعتنقوا النصرانية، وإما أن***

يقتلوا. وبهذه السياسة العنيفة، استطاع الصليبيون أن يقضوا على الاسلام في أوروبا، رغم أنه كان دين الأغلبية أكثر من سبع قرون ونصف في اسبانيا، وأكثر من خمس قرون ونصف في وسط أوروبا.

2 ـ التغـريب: اتبع الصليبيون أسلوبا آخر في هدم الاسلام في الدول الاسلامية التي استولوا عليها في افريقيا وآسيا. . . وهو أسلوب التغريب. فهم لم يلجأوا في تلك البلاد إلى أسلوب التنصير بحد السيف للأسباب الرئيسية التالية: السبب الأول هو أن الاسلام في الدول العربية كان أكثر عمقا وانتشارا عما كان عليه في الدول الأوروبية، نتيجة الانتماء العرقي، ووحدة اللغة العربية التي استقرت في جميع تلك البلاد بعد الفتح الاسلامي. السبب الثاني هو أن البلاد الأسيوية التي دخلت الاسلام كانت تشعر أن الاسلام يرفع من قدرها ولا يفضل مسلما على مسلم بسبب العرق أو الأصل. وعلى سبيل المثال فان ثلاثة من أبرز ومن أشهر ولاة مصر الذين عينتهم الخلافة الاسلامية لم يكونوا من أصول مصرية أو حتى عربية. ففي عهد الخلافة العباسية عين أحمد بن طولون، التركي الأصل لولاية مصر عام 868. (كان الاتراك في خلال تلك المرحلة مجرد قبائل رحل دخلت الاسلام). وفي عام 935 عين محمد (الاخشيدي) حاكما على مصر، وهو من أبناء ولاية إسلامية في وسط آسيا كانت تسمى Sogdiana. وفي عام 1169 تولى شئون الحكم في مصر قائد كردي الأصل، هو صلاح الدين الأيوبي. السبب الثالث هو أن الاسلام لم ينتشر في البلاد الأسيوية التي تقع شرق إيران نتيجة فتوحات الجيوش الاسلامية، بل انتشر نتيجة الدعوة السلمية. وبالتالي فلم يكن في استطاعة الدول الصليبية التي احتلت تلك البلاد في مراحل لاحقة، أن تدعي بأن العرب قد فرضوا عليهم الدين الاسلامي بحد السيف. السبب الرابع هو أن هذه البلاد الأسيوية لم تكن نصرانية الديانة قبل اعتناقها الدين الاسلامي. السبب الخامس هو أن تسابق الدول الصليبية في احتلال البلاد الاسلامية قد تم خلال عصر الثورة الصناعية الكبرى في أوروبا. . . التي كانت تحتاج الى تعبئة الأيدي العاملة في تلك البلاد الاسلامية للعمل في المزارع والمناجم. [15] وبالتالي فان قتل من يرفض التنصير أو هروبه يعتبر خسارة اقتصادية كبيرة للدول المستعمرة. وإذا كان الاسلام قد بقي مستقرا في البلاد العربية رغم الاحتلال الصليبي،

فان ذلك **يجب ألا** ينسينا حقيقة أهدافهم التي لم يحاول البعض منهم إخفاءها.

ويقول الدكتور عبد الرزاق قسوم في مقال له نشر بصحيفة المساء الجزائرية بتاريخ 30/11/1991 ما يلي ***«في عام 1830 وهو تاريخ احتلال فرنسا للجزائر، وصف وزير الحربية الفرنسي آنذاك عملية الغزو الفرنسي للجزائر بقوله إنه عمل عظيم أنعمت به العناية الالهية على فرنسا لتمدّن العرب ولتجعلهم مسيحيين... وأنه في عام 1846 صدر كتاب عنوانه AMM جاء فيه أن هدف الفرنسيين من غزو الشمال الأفريقي لا داعي لستره عن الأوروبيين ولا عن العرب، هو الدعوة الى المدنية المسيحية في افريقيا»***.

ولكل هذه الأسباب فان الدول الصليبية التي احتلت البلاد الاسلامية في افريقيا وفي آسيا، قد لجأت إلى التغريب كأسلوب بديل للتنصير في محاربتها للدين الاسلامي. وكانت الخطوة الأولى للتغريب هي إلغاء تطبيق الشريعة الاسلامية، واستبدالها بالقوانين الوضعية المستوحاة من الدولة المستعمرة. وحتى بالنسبة لتركيا التي لم يتم احتلالها بقوات نصرانية، فقد مورست الضغوط عليها بعد هزيمتها في الحرب العالمية الأولى، حتى اضطرت هي الأخرى إلى إلغاء تطبيق الشريعة الاسلامية اعتبارا من عام 1924. وكل ذلك يؤكد أن إلغاء تطبيق الشريعة الاسلامية هو مطلب أساسي ونتيجة مباشرة لجميع الحروب الاستعمارية. **ولو افترضنا جدلا أن الاستعمار لم يفعل شيئا سوى إلغاء تطبيق الشريعة الاسلامية، لكان ذلك كافيا لأن توصف جميع الحروب الاستعمارية بأنها كانت في حقيقة جوهرها حروبا صليبية. وبالغاء تطبيق الشريعة الاسلامية، واستبدالها بالقوانين الوضعية الغربية، أصبح التغريب مدخلا للتنصير... ومدخلا لتحقيق متاع الحياة الدنيا من سلطة ومال. ووجد المستعمرون في الأقليات العرقية والقبلية أرضا خصبة في هذا الميدان. فمن يتنصر منهم ويتعاون مع المستعمرين تفتح أمامه جميع الأبواب.**

3 ـ الكومبرادور: ولكي يضمن الاستعمار استمرار سياسته إذا ما اضطر الى الرحيل، فانه عمد خلال فترة احتلاله إلى خلق فئة من الكومبرادور... فئة ترتبط فكريا وثقافيا بفكر وثقافة الدول المستعمرة... فئة ترتبط مصالحها الخاصة بمصالح الأجنبي. وبعد فترة طويلة من التعاون الوثيق بين الطرفين، تتطابق مصالح الكومبرادور مع مصالح الأجانب. بل إن الكومبرادور

يصبحون نفسانيا **وثقافيا،** أقرب إلى **الأجانب منهم إلى أهل** البلاد التي ينتمون إليها. إنهم يقلدون الأجانب في أسلوب وأنماط حياتهم، وفي قيمهم الاجتماعية التي تختلف اختلافا كبيرا مع قيمنا الاسلامية. وهذا الارتباط الاقتصادي والاجتماعي والنفسي بين الكومبرادور والأجانب، أدى بدوره إلى الارتباط السياسي بين الطرفين. وبالرغم من أن الدول العربية والاسلامية قد حصلت على استقلالها منذ عشرات السنين... فان السياسة الاقتصادية في تلك البلاد ـ باستثناء حالات قليلة ـ ما زال يتم رسمها وتوجيهها حتى اليوم، لكي تكون في خدمة الأجانب وفي خدمة الكومبرادور. ***نعم لقد رحل المستعمر بجنوده عن الدول العربية والاسلامية... ولكنه ما زال باق بفضل فئة الكومبرادور التي خلقها وأهّلها لأن تخلفه في تنفيذ سياسته.***

4 ـ التفتيت : كانت سياسة التفتيت تسير جنبا إلى جنب مع سياسة التغريب. وكان الهدف من سياسة التفتيت هو ترسيخ تجزئة الأمة الاسلامية بصفة عامة، وتجزئة الوطن العربي بصفة خاصة، باعتباره مركز الثقل في الأمة الاسلامية. ***وتنفيذا لسياسة التفتيت قامت الدول الاستعمارية بتجزئة الوطن العربي ـ الذي كان جميعه يمثل جزءا من الامبراطورية الاسلامية العثمانية ـ الى 23 دولة. وكان من بين هذه الدول دولا يقل عدد سكانها عن 90 ألف نسمة !!***. وتنفيذا لسياسة التفتيت، قامت الدول الاستعمارية بعزل الشعوب العربية عن بعضها البعض اقتصاديا، وعرقلة قيام أي تكامل اقتصادي بينها. وقد نجحت الاجراءات التي اتخذتها الدول الأجنبية خلال حقبة الاستعمار إلى الحد الذي جعلها تحقق أهدافها حتى بعد انتهاء الاستعمار. فاليوم وبعد مرور أكثر من 30 سنة على رحيل المستعمرين، فان التجارة البينية بين الدول العربية تمثل فقط 1 . 7 في المائة من اجمالي التجارة الخارجية لجميع الدول العربية.

5 ـ إسرائيل : كان هناك أيضا إجماع بين الدول الصليبية على إقامة دولة اسرائيل... لا حبا في اليهود، بل كراهية وخوفا من الاسلام والمسلمين. فرغم كراهية النصارى لليهود... ورغم أنهم التمسوا من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب عند تسليمهم مدينة القدس للمسلمين عام 639 (17 هجرية) بألا يسمح المسلمون لليهود بدخولها... ورغم أن اليهود قد تحملوا أقصى أنواع العذاب على يد النصارى طوال القرون العشرين الماضية... إلا أن

الدول الصليبية هي التي عملت وأيدت وساهمت في قيام دولة اسرائيل في قلب الوطن العربي والأمة الاسلامية . . . حتى تكون عنصر تهديد دائم للمسلمين . [11] لقد وعد نابليون اليهود أثناء غزوه لمصر عام 1798 ـ 1801 باقامة دولة لهم في فلسطين . وقامت بريطانيا خلال الفترة ما بين 1840 وحتى الحرب العالمية الأولى بمساندة الحركة الصهيونية إلى أن أصدر وزير الخارجية البريطاني في 2 نوفمبر 1917 خطابا إلى البارون روتشيلد عرف فيما بعد بوعد بلفور. وقد جاء فيه ***«إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين . وستبذل جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية»***. وفي ظل الانتداب البريطاني لفلسطين في أعقاب الحرب العالمية الأولى، وتشجيعهم للهجرة اليهودية، ارتفع عددهم من 000 60 عام 1917 ، ليصل إلى 632 649 في نهاية فترة الانتداب البريطاني . وبفضل التأييد الامريكي صدر قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم 181 في 29 نوفمبر 1947 بتقسيم فلسطين الى دولة يهودية ودولة عربية .

وازداد التأييد الصليبي بزعامة الولايات المتحدة لاسرائيل زيادة كبيرة بعد الاعلان عن مولد الدولة اليهودية في 15 مايو 1948 . فازدادت هجرة اليهود حتى وصل عدد اليهود في اسرائيل والأراضي العربية المحتلة في أوائل عام 1991 ، إلى حوالي 000 900 3 نسمة . [12] وتقوم الدول الصليبية بتمويل عملية توطين اليهود في اسرائيل حتى بلغ ما دفعته أمريكا وحدها لهذا الغرض 820 مليون دولار خلال عام 1990 (400 من الحكومة الامريكية + 420 من الأمريكيين المتعاطفين مع اسرائيل) . وفي أغسطس 1991 ، طلبت اسرائيل من أمريكا قرضا بمبلغ 10 مليار دولار لتمويل عملية توطين المهاجرين اليهود السوفييت . ولم يرفض بوش هذا الطلب . بل طلب من اسرائيل تأجيل بحث هذا الطلب لمدة 4 شهور. . . حتى لا يؤثر ذلك على الجهود التي كانت تبذلها أمريكا حينئذ، من أجل جمع العرب واسرائيل حول مائدة المفاوضات . وأغلب الظن أن إسرائيل ستحصل من أمريكا على العشرة ملايير من الدولارات كهبة لا ترد، وليس مجرد قرض . . وان ذلك سيتم خلال عام 1992 والأعوام القليلة التالية :

التحالف الصليبي الصهيوني

بلغ اجمالي الدعم المالي من الدول الصليبية لاسرائيل خلال عام 1990 وحده 6840 مليون دولار توزيعها كما يلي :

1 800	مليون	مساعدات عسكرية أمريكية
1 200	مليون	مساعدات اقتصادية امريكية .
200	مليون	مساعدات أمريكية للبحوث والتطورات
820	مليون	مساعدات أمريكية لتوطين اليهود والمهاجرين الجـــدد
1 350	مليون	مساعدات عسكرية امريكية اضافية خلال حرب الخليج
200	مليون	مساعدات أوروبية خلال حرب الخليـــــــج
1 270	مليون	مساعدات ألمانية خلال حرب الخليـــــــج

6 840 مليـون دولار

وعلى الصعيد السياسي فان أمريكا تقود تحالفا صليبيا يؤكد تطابق أهداف هذا التحـالف الصليبي مع الأهـداف الصهيونية، ويؤكـد عداء جميع هذه الأطـراف للاسـلام والمسلمـين. ***وأبـرز أعضاء هذا التحالف هي أمريكا، وبـريـطانيا، وفرنسا، وألمانيا، وإسرائيل.*** وفيما يلي بعض من مواقف هذا التحالف على الصعيد السياسي والعسكري.

1 - حتى 1990/10/7، أصـدرت المؤسســات الـدولية سلسلة من القـرارات التي تدين أو تندد بسياسات اسرائيل التي تنتهك الحقوق الثابتـة للشعب الفلسـطيني. . . والتي تدعـو إلى انسحاب القوات الاسرائيلية من الأراضي الفلسطينية. ***وقد وصل عدد هذه القرارات إلى 166 قرار ومشروع قرار من مجلس الأمن، وأكثر من 400 قرار من الجمعية العامة للأمم المتحدة.*** [13] ومع ذلك لم تنسحب اسرائيل من الأراضي العـربية، ولم تغـير من سياسـاتها في الأراضي المحتلة. ويرجع ذلك إلى تأييد دول التحالف الصليبي لتلك الدولة اليهودية.

2 ـ ***استخدمت الولايات المتحدة حق النقض اكثر من 60 مرة لمنع صدور قرارات تتناول حقوق الشعب الفلسطيني*** أو تدين بكلمات عنيفة السياسات والممارسات الاسرائيلية في الاراضي العربية المحتلة.

3 ـ ***الصمت تجاه امتلاك اسرائيل للأسلحة النووية والكيماوية والصواريخ المتوسطة المدى***[٢٤] . . . ***ثم إثارة الدنيا إذا كان هناك أي شكوك حول احتمال حصول أي من الدول الاسلامية على بعض من تلك الأسلحة***. وإذا كانت هذه الدول الصليبية قد أظهرت تصميمها على حرمان العراق من امتلاك هذه الأسلحة في الحاضر والمستقبل . . . فانها لم تحاول إخفاء نفس هذه النوايا تجاه كافة الدول الاسلامية . . . حتى لو تعلق ذلك بالدول الاسلامية التي ترتبط مع أنظمتها بصداقة مستقرة وشبه دائمة، مثل مصر وباكستان . . . أو بالنسبة للدول التي ترتبط مع أنظمتها بصداقة مرحلية أو غير مستقرة كما هو الحال بالنسبة لسوريا . . . (انظر مقال لماذا يحرمون على العرب والمسلمين ما يحلونه لاسرائيل / مجلة الجبهة العدد 80 الصادر بتاريخ يوليو 89) . وفيما يلي نماذج من مواقف هذه الدول الصليبية المؤيد لاسرائيل والمعادي للدول الاسلامية:

- مساندة اسرائيل سياسيا واعلاميا عندما قامت بغارة جوية في 7 يونيو 81، استهدفت تدمير المفاعل النووي العراقي. بل إنه ثبت فيما بعد أن بعض الخبراء الفرنسيين الذين قاموا ببناء هذا المفاعل، هم الذين ساعدوا في توجيه الطائرات الاسرائيلية حتى يمكنها اصابة الهدف بدقة.

- في 11/3/89، أثارت امريكا حملة إعلامية مكثفة، تتهم فيها مصر بأنها تقوم سرا بإنشاء مصنع لانتاج الاسلحة الكيماوية في منطقة أبو زعبل. ورغم أن حسني مبارك قد نفى ذلك، إلا أن إقالة وزير الدفاع المشير أبو غزالة في 15/4/89 في أعقاب هذا الهجوم الاعلامي، يثير الكثير من التساؤلات حول هذا الموضوع.

- في 21/10/88 أعلنت وكالة المخابرات الأمريكية بأن ليبيا تقوم ببناء مصنع لانتاج الأسلحة الكيماوية في مدينة رابطة. ورغم أن ليبيا نفت

ذلـك، وقالت أنه مصنع لانتاج الأدوية، وطالبت بحضور لجنة من الأمم المتحـدة لمعـاينة المصنع، إلا أن المؤامرات لتدمير هذا المصنع استمرت إلى أن شب فيه حريق هائل يوم 15/3/90. وتتهم ليبيا كلا من اسرائيل والولايات المتحدة وألمانيا الغربية بتدبير هذا الحريق. . . سيما وأن شركة المانية هي التي قامت ببناء هذا المصنع، وكان يوجد به بعض الخبراء الألمان عند اندلاع الحريق.

- خفضت أمريكا مساعداتها المالية لباكستان من 573 مليون دولار إلى 208 مليون دولار سنويا، اعتبارا من أول اكتوبر 1990. وذلك لأن الكونجرس الامريكي اشترط لصرف هذه المعونة، أن تقدم باكستان إقـرارا بأنها لا تمتلك أسلحـة نووية، ولا تنـوي تطوير أي أسلحـة نووية. . . مع أنهم لا يطلبون هذه الشهادة من إسرائيل التي تحصل على نصيب الأسد من اجمالي المعونات المالية الأمريكية.

- في منتصف ابريل 1991، بدأت وسائل الاعلام الغربية حملة مكثفة ضد الجزائر، تتهمها بأنها تقوم بمساعدة من الصين ببناء مفاعل نووي في منطقة وسارة، التي تبعد 260 كيلومتر من الجزائر. ورغم أن الجزائر قد نفت هذا الاتهام. . ورغم أن الصين أعلنت يوم 18 ابريل أنها قدمت للجـزائر مساعدة في البحث العلمي النووي، ولكنها كذبت قطعيا أنها تساعد الجزائر على امتلاك سلاح نووي. . . فان الضغوط الأمريكية ما زالت تمارس بقوة ضد الصين، لارغامها على التخلي نهائيا عن التعـاون مع الجـزائـر حتى في مجال البحث العلمي النـووي للأغراض السلمية.

- في 11 يونيو 1991، ذكرت صحيفة الواشنطن بوست (الأمريكية) أن الحكومة الأمريكية تمارس ضغطا على الصين بهدف وقف مبيعاتها من الصواريخ M - 11 ذات المدى 300 كيلومتر، M - 9 ذات المدى 600 كيلومتر، الى كل من الباكستان وسوريا.

4 - ***وعلى الصعيد العسكري، فان السياسة المعلنة للولايات المتحدة، هي أن تجعل من اسرائيل أكبر قوة عسكرية في منطقة الشرق الأوسط. ليس هذا فحسب، بل وأن تقـاوم وتعـرقل ظهور أي قوة عسكرية***

عربية أو إسلامية يمكن أن تناوىء أو تتحدى القوة العسكرية الاسرائيلية. ونتيجة لهذا الموقف الأمريكي، فقد أصبحت اسرائيل التي يقل عدد سكانها عن 4 مليون يهودي، تمتلك ثالث أقوى وأحدث قوات برية وجوية في العالم بعد الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي.

ومن يتولهم منكم فانه منهم

نعم فان الحرب التي خاضتها 31 دولة بزعامة أمريكا ضد العراق كانت حربا صليبية بكل ما تحمل الكلمة من معنى. *ولا يمكن أن تزول عنها صفة الصليبية، لمجرد أن قوات عسكرية من المسلمين انضمت إلى هذا التحالف الصليبي ضد العراق. فالنص القرآني يصف هؤلاء المسلمين بأنهم في حكم النصارى تماما وذلك في قوله تعالى «ومن يتولهم منكم فانه منهم»*. ومن يحاول أن يتهرب من هذه الآية المحكمة، فانما ينطبق عليه قوله تعالى «هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات. فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله. وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب»[15].

واذا كنت قد أطلقت على هذه الحرب اسم الحرب الصليبية الثامنة، فان ذلك لا يعني أنه لم يسبقها سوى 7 حروب صليبية فقط. فكما سبق أن ذكرت هنـاك عشرات الحروب الصليبية التي دارت بين المسلمين والنصارى خلال الفترة ما بين 1291 وحتى 1990، ولكن لم يتم ترقيمها بواسطة المؤرخين في كتب التـاريخ. ويرجـع ذلـك إلى أن المؤرخين الغـربيين الذين أخذ عنهم المؤرخون المسلمون، اصطلحوا على اضافة صفة الصليبية إلى الحروب التي تصدر بأمر من البابا... عندما كان البابا يتمتع بسلطات سياسية بالاضافة الى سلطاتـه الـدينية. *وهـذا خطأ يجب أن يعمـل المؤرخون المسلمون على إصلاحه.. بحيث تطلق صفة الصليبية على الحرب طبقا لأهدافها، وليس طبقا لمن أصدر الأمر بها. والى أن يتم تصحيح هذا الخطأ التاريخي، فليس أمامنا الا أن نسمي هذه الحرب بالحرب الصليبية الثامنة.*

أما بالنسبة لما يقوله البعض بأن هذه الحرب التي أمر بها بوش عام 1990، هي الحرب الصليبية التاسعة، فاني لا أتفق معهم في ذلك. لأنهم أدخلوا في حسابهم ما درج عليه المؤرخون الغربيون من اعتبار الحرب التي دارت ما بين عام 1202 ـ 1204، على أنها الحرب الصليبية الرابعة [16]. . . في حين أن هذه الحرب دارت بين طائفتين من النصارى. نعم لقد أمر البابا حينئذ بتجهيز حملة صليبية ضد مصر. ولكن بعد أن تجمعت هذه الحملة في ثغور البحر الادرياتيكي، أمر البابا بتوجيه هذه الحملة الى القسطنطينية، لاعادة تنصيب المطالب بعرش الامبراطورية البيزنطية الذي كان قد عزل من منصبه. وهكذا تحولت الحملة عن هدفها الأصلي. ودارت الحرب بين طائفتين من النصارى. . . انتهت بسيطرة القوات التابعة للبابا على السلطة في القسطنطينية في 13 ابريل 1204. وما دام الله قد أوقع بين صفوفهم، فانقلبوا الى قتال بعضهم بعضا، ولم تصل الحملة الصليبية قط إلى ديار المسلمين. . . وما دام مفهومنا للحرب الصليبية هي تلك الحرب التي يشنها النصارى ضد المسلمين، بهدف تغيير نمط حياتهم، وإبعادهم عن دينهم، والاستيلاء على ممتلكاتهم. . . وما دام أنه لم يحدث شيء من هذا قط على أيدي هذه الحملة. . . فليس من الصواب أن نحتسبها ضمن الحروب الصليبية.

حـــــرب الفتـــــاوى

اختلاف الفقهاء نعمة أم نقمة

اختلف فقهاء المسلمين في مواقفهم تجاه حرب الخليج كما لم يختلفوا من قبل. ولكن الشيء المحزن حقا، هو أن الفتاوى التي صدرت عن فقهائنا كانت جميعها ـ باستثناء القليل منها ـ تتطابق مع موقف القيادة السياسية في دولة الفقيه تجاه تلك الحرب. قد يكون ذلك مجرد صدفة. ولكنه يحتمل أيضا أن يكون رأي الفقيه متأثرا بموقف الحاكم. وقد زاد من تعميق الاعتقاد بوجود هذه الشكوك، أن السعودية حشدت حوالي 400 فقيه أصدروا فتوى تؤيد حق السعودية في استدعاء القوات الأمريكية إلى أرضها. وفي نفس الوقت فان العراق قد حشد عددا مماثلا من الفقهاء لكي يصدروا فتوى تدين السعودية لموالاتها للكفار ضد المسلمين. وفي غيبة الديموقراطية التي تسمح بالحوار الحر المباشر بين المؤيدين والمعارضين في مؤتمرات عامة تنقلها الاذاعة والتليفزيون إلى كافة المسلمين ليتبينوا الحق من الباطل.. فان كل فريق كان يعبىء وسائل إعلامه، لكي تنشر وجهة نظره دون أن يناقش حجج الرأي الآخر المعارض. ***وكان من بين القلة من فقهاء المسلمين الذين اتخذوا موقفا يتعارض مع موقف السلطة السياسية في بلادهم، ثلاثة من الفقهاء المصريين الذين عرفوا بالشجاعة والجرأة في قول الحق. هؤلاء هم فضيلة الشيخ الدكتور محمد المسير، فضيلة الشيخ الدكتور محمد أحمد خلف الله، وفضيلة الشيخ الدكتور عمر عبد الرحمن.***

وحيث أنه لا يوجد كهانة في الدين الاسلامي... وحيث أن المرجع الوحيد لأي فقيه هو القرآن والسنة النبوية الشريفة... وحيث أنه لا اجتهاد فيما فيه نص... وحيث أن أي فتوى تتعارض مع آيات محكمات من القرآن الكريم، تعتبر فتوى باطلة لا يجب أن يؤخذ بها... وحيث أن المسلم المؤمن مطالب بأن يستخدم عقله، وأن يقارن بين ما يسمعه من مختلف الفقهاء، وبين ما ورد في الكتاب والسنة، قبل أن يقتنع بقول زيد أو عبيد في تفسير الشريعة الاسلامية... ***فقد قرأت واستمعت لكل ما كتب ونشر من فتاوى حول***

حرب الخليج. وبحثت في كل ما تحت يدي من مراجع في تفسير القرآن والسنة. وأعدت قراءة تاريخ الاسلام والمسلمين. وتوصلت الى قناعة تامة بان استعداء أمريكا والتحالف معها ضد العراق هو إثم كبير يتعارض مع كل ما جاء في القرآن والسنة. واذا كان بعض علمائنا قد أفتوا بجواز موالاة غير المسلمين ضد المسلمين فليس لمؤمن أن يأخذ بذلك. ولو أخذنا بفتواهم لأصبح مثلنا كمثل أهل الكتاب الذين قال الله فيهم في الآية رقم 31 من سورة التوبة «اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم، وما أمروا إلا ليعبدوا إله واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون». وخير تفسير لهذه الآية هو تفسير رسول الله ﷺ لها. فعندما نزلت هذه الآية، فان عدي بن حاتم ـ وكان نصرانيا جاء ليسلم ـ قال: يا رسول الله ما عبدوهم. فقال رسول الله ﷺ «بلى. إنهم أحلوا لهم الحرام وحرموا عليهم الحلال، فاتبعوهم، فذلك عبادتهم إياهم» (أخرجه الترمذي). وقد قال تعالى في كتابه الكريم «وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا» (الآية رقم 36 من السورة رقم 36 / الأحزاب). ***وليعلم كل صاحب عقل أن الله لن يحاسبنا يوم القيامة على أساس اتباعنا لما قاله الشيخ الفلاني أو العالم الفلاني... بل سيحاسبنا بناء على ما جاء في الكتاب والسنة، وعلى قدرتنا في استخدام عقولنا في فهم ما جاء فيها. انما يتذكر أولوا الألباب.***

هذا وقد ناقشت في الجزء الأول من كتاب الحرب الصليبية الثامنة الكثير من الآراء التي أدلى بها أصحاب الفتاوى، وقارنت بين ما قالوه وبين ما جاء في القرآن والسنة (الصفحات 111 ـ 140 تحت عنوان مبادىء الحل الاسلامي. الصفحات 141 ـ 163 تحت عنوان فقهاء السلطان ماذا يقولون وعلام يسكتون). ولذلك فاني لن أتعرض في هذا الجزء إلى ما سبق نشره في الجزء الأول إلا في أضيق الحدود، وبالقدر الذي يتطلبه تسلسل العرض ومناقشة الموضوع.

مؤتمر مكة 12 سبتمبر 90

لقد اعتمد الفقهاء الذين أيدوا مبدأ الاستعانة بأمريكا ـ وبغير المسلمين في قتال المسلمين ـ على حكم الضرورة. وكان أبرز تلك الفتاوى، هو ما صدر

عن المؤتمر **الاسلامي** الذي دعت اليه السعودية في 10 ـ 12 سبتمبر 90، والذي أصدر توصيات سميت بوثيقة مكة. [17] ولكن كثيرا من الفقهاء يرفضون ويدينون تلك التوصيات. وذلك لأنها توسعت في الأخذ بحكم الضرورة دون أن تتحقق منها، والى الحد الذي جعل استخدام الضرورة مدخلا لهدم الثوابت والآيات المحكمات!!.

قال تعالى «لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين. ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء. إلا أن تتقوا منهم تقاة. ويحذركم الله نفسه. والى الله المصير». [18] فاذا جاء فقيه واعتمد في موالاة أمريكا على جزء من هذه الآية وهي قوله تعالى «إلا أن تتقوا منهم تقاة» ويتعمد اسقاط ما جاء قبلها وما جاء بعدها، فانه إنما يتحايل على كلام الله. وقد جاء في تفسير سيد قطب لهذا الجزء من الآية ما يلي «يرخص فقط بالتقية لمن خاف في بعض البلدان والأوقات. ولكنها تقية اللسان لا ولاء القلب ولا ولاء العمل». [19] قال ابن عباس رضي الله عنه: ليست التقية بالعمل، إنما التقية باللسان. فليس من التقية المرخص فيها أن تقوم المودة بين المؤمن وبين الكافر. والكافر هو الذي لا يرضى بتحكيم كتاب الله في الحياة على الاطلاق، كما يدل السياق هنا ضمنا وفي موضع آخر من السورة تصريحا. كما أنه ليس من التقية المرخص بها أن يعاون المؤمن الكافر بالعمل في صورة من الصور باسم التقية. فما يجوز هذا الخداع على الله. ولما كان الأمر في هذه الحالة متروكا للضمائر ولتقوى القلوب وخشيتها من علام الغيوب، فقد تضمن التهديد تحذير المؤمنين من نقمة الله وغضبه في صورة عجيبة من التعبير حقا وهي: ويحذركم الله نفسه. والى الله المصير».

تقدمت السعودية ببحث عن حكم الاستعانة بغير المسلمين جاء فيه: أن الرسول ﷺ قد استعان بمشرك ليدله على الطريق خلال عملية الهجرة وهو عبد الله بن أريقط... وأنه كان في خدمة رسول الله ﷺ خادم يهودي... وأنه عقد معاهدة حسن جوار بين اليهود والمسلمين في المدينة.. وأنه عندما توجه الى مكة (عام الحديبية) ووصل الى ذي الحليفة استعان برجل من المشركين ليأتي له بأمر قريش. (المؤلف: إنهم يخلطون بين ما كان يحدث قبل الهجرة وما كان بعد إقامة المجتمع الاسلامي في المدينة... ويخلطون أيضا بين ما كان يمارسه المسلمون في المراحل الأولى من إقامة المجتمع الاسلامي في المدينة، وبين ما

دخل عليه من تصحيح بعد نزول الآيات. لقد بقيت المسلمات - ومنهن زينب بنت رسـول الله تحت أزواجهن المشركـين إلى أن نزلت الآيات التي تحرم ذلك. . كذلك بقي بعض المسلمين يشربون الخمر وهم في المدينة إلى أن نزلت آيات التحريم. فهل نستمع إلى من يحاول أن يضلنا بالقول أن المسلمة يمكن أن تتزوج بمشرك ويستشهد بزواج زينب بأبي العاص بن الربيع ؟ أو من يقول أن شرب الخمر ليس حراما ويستشهد بأن عمرا كان يشرب الخمر؟ نحن نقول أن هناك آيات محكمات تحرم موالاة اليهود والنصارى ضد المسلمين. فهل لديهم ما يردون به على ذلك ؟).

قال فضيلة الشيخ محمد السيد الطنطاوي مفتي الديار المصرية أن الاسلام يبيح للمعتـدى عليه أن يستعين بالشياطين إذا لم يجد النجدة من الجـار المسلم. [20] وفي محاولة للتدليل على وجهة نظره قال «عندما يكون هناك حريق، فهل نرفض الاستعانة بالماء النجس ونترك الحريق حتى نجد ماء طهورا». وأيده في ذلك عميد كلية الشريعة في جامعة الأزهر، وزاد عليه بقوله «إذا هاجمك قاتل ولص، وكنت تملك كلبا فهل تحرم الشريعة أن تستعين بالكلب لرد هذا الاعتداء. فهل الاستعانة بالأجنبي حرام. . بينما لم تحرم الشريعة الاستعانة بالكلاب. وهـل الاستعـانـة بالكلب، وهـو حيوان، أفضل من الاستعانة بالأجنبي، وهو في النهاية إنسان وبشر». وإنه لمن المؤسف حقا أن يقع العالمان الفاضلان في خطأ مزدوج. الخطأ الأول هو تغليب ما يعتبرانه عقلانيا ومنطقيا على نصوص صريحة في القرآن. ولو أخذنا بهذا المنطق لنبذنا الشريعة الاسلامية وأخذنا بالنظام العلماني. فما يقوله الشيخان الجليلان، هو نفس ما يقوله أعداء تطبيق الشريعة الاسلامية الذين يطالبون بتطبيق العلمانية (اللائكية). وكيف يستقيم قول شيخينا مع ما قاله الرسول ﷺ «فاني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعده. كتاب الله وسنة نبيه». فكيف يطلب إلينا ألا نلتزم بآيات الله المحكمات، وأن نتبع غيره بحجة العقلانية ؟. ثم ما هو هذا التشبيه الغير موفق بين موالاة غير المسلمـين ضد طائفة من المسلمين، وبين إطفاء حريق مشتعـل بماء طهـور. فموالاة غير المسلمين قد ورد فيها تحريم قاطع. وهي بالاضافة إلى ذلك لا تتعارض مع العقل. بل إن كل عاقل قرأ تاريخ الأمة

الاسلامية، لابد وأن يزداد اقتناعا وإيمانا بفضل وضرورة هذا التحريم. أما إطفاء حريق مشتعل بالماء المتيسر وجوده طهورا أو غير طهور، فهو من البديهيات التي لا تتعارض مع الدين أو مع العقل.

أما الخطأ الثاني فهو افتراضهما أن صدام حسين سيقوم بغزو السعودية (زعم آخرون أنه ينوي هدم الكعبة وشبهوه. بأبرهة)... فصور أحدهما الموقف بالحريق الذي يشب في بيت الانسان. وصور الثاني الموقف برجل يتعرض لقاتل ولص. وكلاهما قد ارتكب خطأ جسيما بافتراضه صحة ما سمعه من آل سعود، دون أن يتحقق من صحته. ولست أدري على أي أساس فقهي يفترض صحة ما يقوله السعوديون ولا يفترض صحة ما أعلنه العراقيون في هذا الصدد. ولست أدري هل ما زالا حتى اليوم يؤمنان بها قالاه منذ اكثر من عام مضى. أو لم يثبت لهما اليوم أن البيت السعودي لم يكن مشتعلا بالنيران؟ بل إن السعودية قد استعانت بالقوات الأمريكية من أجل أن تشعل النار في البيت العراقي وتلقي عليه 88 000 طن من القنابل الشديدة الانفجار؟ أما عميد كلية الشريعة فقد ارتكب خطأين آخرين. كان خطؤه الثالث هو تمثيل القوات الأمريكية بالكلب الذي تجابه به السعودية العراق. وكان الأقرب الى الصحة هو أن يمثل السعودية بالثور الاسود الذي تآمر مع الأسد الامريكي من أجل أن يفترس الثور العراقي الابيض. اما تمثيل امريكا بالكلب فهو أبعد ما يكون عن الحقيقة. فالكلب يتبع صاحبه ويأتمر بأمره. أما الأسد فهو يفعل ما يريد، والكل يسير وراءه ويلتزم بما يأمر به. وكان خطؤه الرابع، هو تمثيل العراق وصدام حسين باللص الذي يريد أن يسرق مال غيره. فاذا كان لص الأموال العامة للمسلمين هو من ينهب أموالهم، ويوظفها لخدمة مصالحه الخاصة ومصالح الأجانب... وهو الذي يستخدمها أو يترتب على استخدامه لها الاضرار بمصالح المسلمين... فمن المؤكد أن هذا الوصف لم يكن ينطبق على صدام حسين خلال تلك الحرب. وكان الأجدر بفضيلة الشيخ أن يوجه هذا الاتهام الى من ينطبق عليهم هذا التوصيف.

ولعلكم يا من أيدتم السعودية تندمون اليوم على ما فعلتم بعد أن تبين لكم الحق. ***لقد استغلت السعودية توصيتكم في تدمير أكبر قوة عسكرية اسلامية عرفها المسلمون على طوال تاريخهم. واستغلت توصيتكم في أن تدفع هي***

والدول الخليجية لأمريكا ودول التحالف 75 مليار دولار من أجل أن يدمروا العراق ويكبدوه هو والكويت خسائر مادية تقدر بحوالي 400 مليار دولار، وخسائر بشرية تقدر بحوالي 000 100 قتيل، واكثر من 000 300 جريح.
وذلك بالاضافة إلى الأمراض والوفيات التي سوف تحدث بسبب سوء التغذية ونقص الأدوية في العراق... بعد أن قامت أمريكا ومن حالفها بتدمير البنية التحتية العراقية... وبعد أن فرضوا حصارا شاملا على العراق ما زال ساريا حتى اليوم، رغم أن الحرب قد وضعت أوزارها منذ اكثر من 9 شهور. فهل يقر الاسلام يا مشايخنا الأفاضل كل ذلك. لقد أعطيتم الرخصة للسعودية لكي تستحضر القوات الأجنبية التي عاثت فسادا في دار الاسلام. رخصة غير مقيدة... دعوتم فيها إلى جلاء القوات الأجنبية بمجرد أن تزول دواعي وجودها. فاذا كان دواعي وجودها هو تدمير القوات المسلحة العراقية واهدار أكثر من 475 مليار دولار من أموال المسلمين، فقد تحقق لهم ما أرادوا. فبصفتكم من الموقعين على توصيات مؤتمر مكة في 12 سبتمبر 1990، عليكم اليوم أن تطالبوا بالانسحاب الكامل لكافة القوات الأجنبية من السعودية والدول الخليجية... وبرفع الحصار مع العراق. فان لم يستجيبوا - ولن يستجيبوا - فاعترفوا بأنكم أخطأتم وتوبوا إلى الله عسى الله أن يغفر لكم إنه هو التواب الغفور. ونحذركم بألا يخدعوكم مرة أخرى. فالانسحاب الكامل لا يعني أن يخلع الجنود الأجانب ملابسهم العسكرية مع بقائهم في ملابس مدنية... ولا يعني أن تقوم أمريكا بتخزين الأسلحة والمعدات فوق الأراضي الخليجية. ولا يعني أن تتلاعب السعودية والدول الخليجية بالألفاظ، فيقولون لكم إننا فقط نعطيهم تسهيلات في قواعدنا الجوية والبرية والبحرية... فكفاكم ما حملتم فوق ظهوركم بسببهم. ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين.

رأي د. محمد المسير

فضيلة الشيخ الدكتور محمد المسير هو أستاذ العقيدة والفلسفة في كلية أصول الدين بجامعة الأزهر، وقد حضر ضمن الشخصيات المصرية التي قبلت دعوة السعودية لحضور مؤتمر مكة. كان يعلم أن هذا المؤتمر قد دعي إليه ليبارك الموقف السعودي. ولكنه مع ذلك قبل أن يشارك في هذا المؤتمر لعله يجد

فيه من يشاركه في أن يقول كلمة الحق. وأخذ الدكتور المسير يتابع خطب المتدخلين فيجد أن الجميع يتنافسون في تأييد موقف السعودية وحقها في الاستعانة بالقوات الأمريكية. وفي اليوم الثالث من المؤتمر، وقبل ساعات من انتهاء المؤتمر، طلب الدكتور المسير الكلمة. وكانت المفاجأة الكبرى عندما قال ***«ليس هناك نص واضح يبيح استدعاء قوة أجنبية لقتال دولة مسلمة». ثم ألقى الدكتور المسير بعد ذلك بمفاجأته الثانية عندما استند إلى بعض الأحاديث النبوية التي تشير إلى ضرورة توزيع الثروة في العالم الاسلامي بين الدول الاسلامية... وعلى ضوء الحديث «من كان له فضل مال فليعط من لا فضل له»***[21].

وانبرت جماعة المتنفعين المعارضين لهذا الرأي في التهجم على الدكتور المسير. لا بالقرآن والسنة، ولا بالحجة والبينة، ولكن بالشتائم والتجريح. نهض معروف الدواليبي، وهو رئيس وزراء سوريا الأسبق - ويعمل حاليا مستشارا سياسيا في القصر الملكي السعودي... فألقى خطابا كان الهدف الرئيسي منه هو إرضاء أسياده الذين استوظفوه، والتشهير بالدكتور المسير. وقد بالغ الدواليبي في التهجم على الدكتور المسير إلى الحد الذي دفع أحد أعضاء الوفد المصري أن يقف مدافعا عن الدكتور المسير رغم اختلافه معه في الرأي. لقد وقف الدكتور عبد المعطي بيومي عميد كلية أصول الدين بجامعة الأزهر فتكلم كلاما طيبا في حق الدكتور المسير. وقال أنه من أفضل مدرسي الكلية... وأنه رجل ورع دفعه الى هذا أنه أولا لا يريد أن يقول كلاما قد لا يؤمن به. وثانيا، فهو لجوؤه إلى الاستناد إلى اجتهادات الامام ابن حزم التي تتبع الظاهر من النصوص دون تحكيم القياس والضرورة والعقل والظروف الاضطرارية. وهنا هدأت الخواطر في المؤتمر. وبعد جلسة مغلقة سريعة أصدر المؤتمر قراراته التي تؤيد الموقف السعودي.

رأي د. خلف الله

ان ما يسمى عند البعض غزو للكويت قد يسمى عند البعض الآخر بضم الكويت للعراق. ***والصيغة التي يمكن أن ينصب عليها الحكم الشرعي الاسلامي، هي أن دولة عربية اسلامية كبرى قد ضمت إليها دولة عربية***

صفري. وهذا من وجهة نظر الشريعة ليس من المحرمات. فدار الاسلام دار واحدة، ودولة الاسلام دولة واحدة. والعمل في سبيل توحيد ما كان من قبل واحدا بالقضاء على التجزئة، لا يمكن أن يدخل في باب الحرام. ويكون هذا العمل من باب المندوب حتى نعلم أن مثل هذا الضم تخرج به دار الاسلام من الضعف الى القوة، ومن الفرقة والانقسام الى الوحدة. والذين يدخلون هذه العملية في باب التحريم، هم الذين يختلط عليهم الأمر بين الملكية العامة والملكية الخاصة. فأرض الكويت هنا ليست ملكا للحاكم. وانما هي أرض الله الواسعة يقيم فيها العرب المسلمون. إن الحاكم لا يملك الأرض، وانما يدير شئون الحياة على هذه الأرض. يديرها لصالح الاسلام والمسلمين، وليس لصالحه الخاص. وشرعية الحاكم في أرض الكويت، لم تكن شرعية اسلامية. ولم تكن شرعية شعبية. وانما هي في الأصل شرعية استعمارية. فالمستعمر البريطاني الذي كان يحتل هذه الأرض هو الذي اكتشف البترول في الأرض العربية. وهو الذي إمعانا في إضعاف الأمة العربية بالتجزئة، أقام على كل بئر أميرا. وهو الذي أنشأ من كل بئر وكل أمير دولة. إن الذي صنعه العراق هو القضاء على آثار الاستعمار في بلادنا، هو خطوة في سبيل وحدة دار الاسلام التي قام الاستعمار بتجزئتها. والتي ترتبت على تجزئتها كيانات عربية اسلامية متفرقة، يسعى كل كيان منها في سبيل مصلحته الخاصة وليس في المصلحة العامة.

وعن مدى شرعية الوجود الأجنبي في الأرض العربية الاسلامية من أجل إخراج العراق بالقوة من أرض الكويت يقول الدكتور خلف الله «*وليس في الاسلام أبدا الاستعانة بغير المسلم على ضرب المسلم ومحاربته. وإنما الذي فيه هو الاستعانة بالمسلم على المسلم. ان الاسلام يعلو ولا يعلى عليه. والزج بغير المسلم في ميدان يعلو به على المسلم مع وقوفنا إلى جانبه، هو الأمر الذي لا يصلح ديننا. إن كل النصوص الواردة في القرآن الكريم إنما تدور حول المصالحة أولا بين المتقاتلين. فان عجزت المصالحة، كان التعاون في قتال الباغي. والتعاون بين المسلمين، وليس بين المسلمين وغير المسلمين. الاستعانة بغير المسلم على المسلم لا يجيزه الدين*»[22].

رأي الدكتور عمر عبد الرحمن

في 26 فبراير 1991، نشرت صحيفة الشعب (المصرية) حديثا أجرته مع فضيلة الشيخ الدكتور عمر عبد الرحمن. وفي هذا الحديث وجهت إليه الصحيفة السؤال التالي: «*ما رأيكم في الفتوى التي صدرت عن المؤتمر الاسلامي بمكة المكرمة بأن من سقط قتيلا من صفوف الحلفاء فهو شهيد ؟*».
فأجاب «*إن هؤلاء العلماء لا يخشون الله ولا يخافونه. والله حمل العلماء أمانة الكلمة فقال: لا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا.*[23] *وقال: ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا وإياي فاتقون. ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون.*[24] *فهؤلاء العلماء علماء السلطة. يضربون بسيفها، ويلهثون وراءها، ويقولون ما تريد أن تقول.* فعليهم أن يتقوا الله ويقولوا قولا سديدا. وأن يخافوا الله ويراقبوه. إن هذه المؤتمرات هي التي توجه العلماء، فيجب أن نحذرها، فلا نأخذ منها كلمة واحدة. فهاهم العلماء قد اجتمعوا في مكة من قبل ضد ايران فأقاموا الدنيا وأقعدوها. ولكنهم الآن لا يفعلون شيئا من ذلك لأن العدو قد تغير. *إنها مؤتمرات تعمل تبعا لرغبات الحكم. وان من يقتل في هذه الحرب يكون أبعد ما يكون عن الشهادة. لأن الشهيد هو من قتل لاعلاء كلمة الله. فقد قال رسول الله ﷺ: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله.*

وعن رأيه في الدعوة لتقسيم الثروات الطبيعية على جميع المسلمين بحجة أنها توجد في أرض إسلامية، أجاب فضيلة الشيخ «*الموارد الطبيعية الاسلامية ليست حقا ولا حكرا للشعوب التي تجري فيها. بل هي حق لكل المسلمين لقوله تعالى: كي لا تكون دولة بين الأغنياء منكم.*[25] *ولأن النبي ﷺ لم يعط الأنصار من فيء بني النضير لغناهم، وأعطى المهاجرين. ولأن الآيات ذكرت من الذي يأخذ من هذا الفيء. فالفيء لكل مسلم محتاج. وأيضا قول الرسول ﷺ: المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا يخذله.* فاذا لم يسلمه لعدوه، فكيف يسلمه للفقر والجوع. وكيف توجد شعوب جائعة بجانب شعوب غنية هم جميعا من المسلمين. فلا بد أن تحمي الدول الاسلامية شقيقاتها الفقيرة من التبشير والاستعمار. أما واقع الدول الاسلامية الغنية في هذا المجال فانه يدمي القلب. فهي تدعم الاقتصاد الأمريكي الصهيوني بودائعها واستثماراتها الضخمة في بنوكه ومؤسساته».

الاعلام خلال حرب الخليج

الاعلام بين الأمس واليوم

أقدم كتاب عن الحرب والاستراتيجية هو ذلك الكتاب الذي ألفه شخص صيني يدعى سن تسو SUN TZU . ويعتقد أن هذا الكتاب قد انتهى من كتابته عام 500 قبل الميلاد. والكتاب اسمه فن الحرب. وقد ترجم هذا الكتاب إلى لغات عديدة بما فيها اللغة العربية، نقلا عن الطبعة الانجليزية. ورغم مرور 25 قرنا من الزمان، فان هذا الكتاب ما زال يعتبر مرجعا هاما لكل من يدرسون الحرب والسياسة والاستراتيجية. ويرى سن تسو أن قمة النجاح هي أن يحطم القائد قدرة ورغبة خصمه في المقاومة، دون اللجوء الى القتال. وفي ذلك يقول «على القائد أن يعمل على تخريب وتفكيك المعاهدات والتحالفات التي يرتبط بها خصمه مع الآخرين. . (القائد عند سن تسو هو الحاكم المطلق الذي يدير الشئون السياسية والاستراتيجية والعسكرية). . . وأن يعمل على إيجاد الوقيعة بين خصمه وبين وزرائه ومرؤوسيه، وبين القادة الميدانيين وجنودهم. . وأن ينشط عملاؤه وجواسيسه في كل مكان، يجمعون له المعلومات، ويغرسون في مملكة خصمه بذور الفرقة والشقاق والتمرد. . . وبذلك يصبح عدوه معزولا بعد أن يفقد حلفاءه الخارجيين، وبعد أن تضعف جبهته الداخلية، فتنخفض معنوياته، وتتحطم رغبته في القتال. وبذلك يكون قد هزم عدوه واستولى على مدنه بدون قتال. وإذا لم تنفع هذه الوسائل في قهر إرداة خصمه فانه يلجأ حينئذ للحرب». ***وإن ما قاله سن تسو هو ما تقوم به أجهزة المخابرات والاعلام في الدول حتى يومنا هذا. بل إن الرئيس الأمريكي بوش قد التزم حرفيا بما قاله سن تسو منذ 25 قرنا.***

ويستطرد سن تسو فيقول «الحرب خدعة. والقائد الماهر يجب أن يكون ماهرا أيضا في التظاهر بشيء، وماهرا في إخفاء نواياه. فبينما يلجأ إلى خلق الظروف والمواقف التي يمكن أن تضلل عدوه، وتوحي إليه بأنه سيقوم بعمل ما، فانه يحرص على إخفاء نواياه النهائية. فعندما يكون قادرا فانه يتظاهر بالضعف. وعندما يكون قريبا من الشيء فانه يتظاهر بأنه ما زال بعيدا

عنه . . . وعندما يكون بعيدا عن شيء فانه يتظاهر وكأنه قريب منه . . . يتحرك كالشبح في ظلام الليل دون أن يراه أحد أو يسمع بصوته أحد. وهدفه الرئيسي هو مهاجمة وقهر فكر وإرادة خصمه». ومع أن توصيات سن تسو بها يجب أن يتحلى به القائد من صفات، كانت وما زالت هي هدف كل الحكام الذين يديرون دفة الصراع العسكري والسياسي في بلادهم ضد أعدائهم. إلا أن امكانية نجاحهم في تضليل خصومهم قد تضاءلت كثيرا خلال العصور الحديثة، وذلك بسبب تطور وسائل الرصد والاعلام.

ومع أن وسائل الرصد والاعلام لم تتطور كثيرا خلال الحقبة الزمنية التي كانت تفصل بين عصر سن تسو وعصر نابليون، فانه ينسب الى نابليون قوله «ثلاث صحف معادية يجب أن يعمل لها حساب أكثر من 1 000 بندقية». لقد قال نابليون هذه المقولة منذ حوالي مائتي عام . . . في وقت لم يعرف فيه العالم الطائرات والراديو والتليفزيون وأقمار التجسس . . . وفي وقت كانت تطبع فيه الصحف بوسائل بدائية وبأعداد قليلة، ويتم توزيعها بأشخاص راجلين أو ينقلونها على عربات تجرها الدواب. فاذا نحن قارنا بين وسائل الرصد والاعلام المتاحة للحكام المعاصرين، وبين وسائل الرصد والاعلام التي كانت متاحة في عصر نابليون، فاننا نكون كمن يريد أن يقارن بين رجل يعاني ضعفا شديدا في البصر والسمع والنطق، وبين رجل له ألف عين وألف أذن وألف لسان. ***فاذا افترضنا أن الحكام المعاصرين يملكون وسائل الرصد والاعلام الحديثة بنفس القدر الذي يملكه خصومهم، فان فرصة أي منهم في تضليل الآخرين تكون قد تضاءلت كثيرا . . . أما إذا امتلك أحدهم تلك الوسائل دون الآخر، فان فرصته في تدمير خصمه تصبح مؤكدة.***

وإعلام اليوم وان اختلف مع إعلام الأمس في الوسائل، إلا أنه يتطابق معه في الأهداف الرئيسية. فالهدف الأول للاعلام هو اقناع الذات والرأي العام الداخلي والصديق بأن لديهم الامكانيات اللازمة من أجل تحقيق النصر. والهدف الثاني هو اقناع العدو والرأي العام المعادي من قيادات وشعوب وجنود، بأنهم سوف يهزمون. والهدف الثالث، هو محاولة كل طرف اقناع الرأي العام المحايد بعدالة القضية التي يدافع عنها، وأن انتصاره على الطرف الآخر سيكون لصالح المجتمع الدولي كافة، في حين أن انتصار الطرف الآخر

سيكـون وبـالا على الجميع. وسـوف نذكـر فيما يلي بعضـا من التصرحات والاجراءات التي اتخذتها كل من العراق والولايات المتحدة الامريكية، و اقول الغربية واسرائيل، قبل وأثناء اندلاع الأزمة، من أجل تحقيق هذه الأهداف الثلاثة. . . بصرف النظر عن سلامة الأسلوب والأخطاء التي وقع فيها أحيانا المسيرون للاعلام في الطرفين المتصارعين.

الاعلام المعادي للعراق وللأمة الاسلامية

- بدأت الحملة الاعلامية الامريكية الغربية ضد العراق، قبل اندلاع الحرب في الخليج بحوالي سنتين. وعلى وجه التحديد في أعقاب وقف إطلاق النار بين العـراق وايران في 20 أغسطس 1988. ففي خلال شهري اكتوبر ونـوفمبر 1988، قامت بريطانيا بطرد 3 دبلوماسيين عراقيين من لندن، وقامت أمريكا بطرد دبلوماسي عراقي من واشنطن، وذلك بحجة نشاطهم الـذي يتنافى مع مهامهم الدبلوماسية. وقام العراق بطرد عدد مماثل من الـدبلومـاسيين البريطانيين والأمريكان الذين يعملون في بغداد، ولنفس الأسباب التي أثارتها بريطانيا وأمريكا ضد الدبلوماسيين العراقيين.[26]

- 88/12/29، نشرت صحيفة الوفد (المصرية) نقلا عن مصادر دبلوماسية غربية، أن الأكراد العراقيين يتلقون دعما اسرائيليا متصاعدا عقب اجتماع سري بين 4 أكـراد وإسحـاق شامـير رئيس الوزراء الاسرائيلي. وأكدت المصادر أن إسرائيل تهدف الى تحجيم القوة العسكرية العراقية.

- 89/1/17، أذاعت شبكة التليفزيون الأمريكية ABC، وشبكة أخرى أمـريكية، أن العـراق قد نجح في إنتاج الأسلحة البيولوجية، وعلى وجه التحـديد وسـائل نقل أمراض الكوليرا، التيفويد، الجمرة. . . ولكنه لم ينجـح بعـد في انتاج الوسائل اللازمة لنقل واستخدام هذه الأسلحة في الميدان. وأن اسرائيل تحذر العـراق، بأنـه إذا لم يتـوقف عن انتـاج هذه الأسلحة، فانه يمكن أن يتعرض لهجوم جوي إسرائيلي مماثل للهجوم الذي شنته في يونيو 81 لتدمير المفاعل الذري العراقي.[27]

- 89/2/9، أذاعت صحيفة لوس أنجلوس الامريكية خبرا مفاده أن صدام حسين قد نجا من محاولة اغتيال. وأنه قد تم إعدام 200 من ضباط الجيش ومن أعضاء حزب البعث الحاكم لتورطهم في عملية الاغتيال.

- 89/4/1، ذكرت الواشنطن بوست، أن الأدميرال توماس بروكس Rear Admiral Thomas A Brooks مدير مخابرات القوات البحرية الامريكية، قد أدلى يوم 89/2/22 بشهادته أمام لجنة الشئون الدفاعية بمجلس النواب، قال فيها أن العراق هو واحد من ثلاث دول تسعى بقوة من أجل الحصول على إمكانيات نووية. الدولتان الأخرتان هما ليبيا وإيران. وتستطرد الصحيفة فتقول أن اسرائيل تعتقد أن البرنامج العراقي النووي يمكن أن يتوصل إلى انتاج القنبلة النووية واختبارها في خلال سنتين... في حين أن جهات أخرى تعتقد أن العراق يحتاج إلى 5 سنوات لتحقيق ذلك.

- 89/4/10، نشرت مجلة نيوزويك الامريكية أن السلطات الأمريكية، اعترضت واستولت في الشهر السابق على شحنة للعراق قيمتها 000 400 دولار، كانت تضم مضخات تفريغ متطورة Sophisticated Vacum Pumps، يمكن استخدامها في تخصيب اليورانيوم enriching uranium، وبالتالي جعله صالح لانتاج الأسلحة النووية.

- 89/9/7، نشرت نيويورك تايمز الأمريكية، أن انفجارا مهولا وقع بعد ظهر يوم 89/8/17 في المنشآت التي تقوم بتطوير الصواريخ العراقية... وأنه راح ضحية هذا الانفجار حوالي 700 قتيل من المصريين والعراقيين الذين كانوا يعملون في تلك المنشآت. وقد اعترفت السلطات العراقية بوقوع هذا الانفجار - بعد الاعلان عنه بواسطة وسائل الاعلام الغربية - ولكنها قالت أن الخسائر البشرية نتيجة هذا الانفجار هي 19 قتيل فقط.

- في سبتمبر 89، قررت أمريكا رفع تكديساتها من الوقود في الجزيرة العربية. كانت في الماضي تعتمد على منشآتها في كل من البحرين وعُمان.. بالاضافة الى ما كانت تحصل عليه من الكويت التي كانت تحصل منها على 000 30 طن شهريا من وقود الطائرات والسفن خلال الحرب العراقية الايرانية. وقد قررت أمريكا بناء مخازن تكديس للوقود تتسع إلى 1.5 مليون برميل في

الامـارات العـربية. وبـالانتهـاء من بنـاء تلك المخازن في منتصف التسعينـات، فانها تكـون قد وفـرت امكـانيات ضخمـة لعمـل القوات الأمريكية في تلك المنطقة.[28] (المؤلف: هذا الحجم من المخازن يمكن أن يغطي احتياجات القوات الامريكية من الوقود لمدة 30 يوما، اذا ما اندلعت الحرب في منطقة الشرق الأوسط، طبقا للخطة 1002 التي كانت تستهدف أن تحشد في المنطقة 5.4 فرقة، 3 حاملة طائرات، 5 جناح طائرات قتال).

- في خلال نوفمبر وديسمبر 89، استغل الاعلام الغربي موضوع عودة العمال المصريين من العراق، وارتكاب بعض الأخطاء التي لابد وأن يكون بعضها قد حدث فعلا، في إثارة الرأي العام المصري ضد العراق.

- 89/11/21، أعـلن جون كيلي John Kelly، وكـيل وزارة الخـارجية الامريكية أمام مجلس النواب الأمريكي، ***أن أمريكا قد طلبت إلى كل من مصر والأرجنتين أن تنسحب من المشروع الذي تشتركان فيه مع العراق من أجـل تطويـر صاروخ Condor - 2 . . . وقـال أن مصر قد استجابت وانسحبت فعلا من المشروع، وأن هناك اعتقاد بأن الأرجنتين هي الأخرى سوف تنسحب.***[29]

- 89/12/1، قررت تركيا وقف تدفق المياه في نهر الفرات حتى 13 يناير 90، وذلـك لرفـع مستوى المياه أمام سد أتاتورك . . . وحيث أن سوريا يمكنها أن تستعوض ما نقص من نصيبها خلال تلك الفترة عندما تعود المياه الى التدفق في يوم 14 يناير، فان العراق سيصبح هو وحده الذي سيتحمل نتيجة هذا التوقف في تدفق مياه نهر الفرات.

- 89/12/2، اجتمـع الـرئيس الامـريكي بوش مع الـرئيس السـوفيتي جورباتشـوف في مياه مالـطة. وبعد يومين من الاجتماع تم التوقيع على سلسلة من الاتفاقيات التي تشمل تخفيض الأسلحة الاستراتيجية، وتعمل على تنشيط العلاقات السياسية والتجارية، وتضع نهاية للحرب الباردة بين العملاقين. ولا شك أن مثل هذا الاتفاق يعتبر رسالة تحذير أمريكية إلى كل دول العالم الثالث التي كانت تعتمد على تأييد الاتحاد السوفيتي لقضاياها سياسيا وعسكريا.

- 89/12/23، نشرت مجلة جينس الاسبوعية JDW ، مقالا عن القدرات العراقية في مجال الصواريخ، أشارت فيه إلى الانفجار الكبير الذي كان قد وقع في مركز أبحاث الصواريخ في الأنبار جنوب بغداد في 89/8/17. وقالت المجلة أن مصادر دبلوماسية تؤكد أن هذا الانفجار من تدبير الاسرائيليين.
- 90/2/16، امتنعت امريكا عن التصويت في الأمم المتحدة على قرار يدين اسرائيل على توطينها لليهود المهاجرين من الاتحاد السوفيتي في الأراضي المحتلة بعد 1967.
- 90/3/15، شب حريق في مصنع رابطة الليبي الذي تدعي أمريكا أنه مخصص لانتاج الأسلحة الكيماوية. وكان الاعلام الغربي والاسرائيلي ينشر أخبار هذا الحريق بشماتة وفرحة كبيرة.
- ***1990/3/22، أصدر مجلس الشيوخ الأمريكي قرارا يعترف فيه بالقدس الموحدة عاصمة لاسرائيل.***
- 90/3/28 (أسبوعان فقط بعد إعدام الجاسوس البريطاني بازوفت في بغداد)، أعلنت الجمارك البريطانية أنها قامت بالتعاون مع الجمارك الامريكية باحباط تهريب 40 جهاز تفجير للأسلحة النووية Krytron، كانت متوجهة من مطار هيثرو البريطاني إلى بغداد على متن طائرة عراقية. وفي أعقاب هذا الاعلان، تصاعدت التهديدات من اسرائيل ضد العراق بأنها سوف تقوم بتدمير المنشآت النووية العراقية، سواء بالاغارة عليها كما فعلت في يونيو 81، أو بتدميرها بواسطة عملية تخريب كما حدث بالنسبة لمصنع رابطة الليبي الذي تم تدميره بحريق يوم 90/3/15. ***(المؤلف: كانت هذه هي المرة الأولى التي تعترف فيها اسرائيل - عن طريق مقال أستاذ التاريخ الاسلامي في الجامعة العبرية في*** Professor Rafael Israeli ***القدس - بأن اسرائيل هي التي قامت باشعال حريق في المصنع الليبي اعتقادا منهم بأنه يقوم بانتاج أسلحة كيماوية)***[30].
- 90/4/3 (بعد يوم واحد من توجيه صدام حسين تهديده بحرق نصف اسرائيل إذا هي هاجمت العراق)، ندد الرئيس الأمريكي بوش بتصريحات صدام حسين واعتبرها تصريحات غير مسؤولة، وطالبه بسحبها.

- ***5/ 4/ 90، اتخذ البرلمان الأوروبي قرارا بحظر تصدير أي معدات أو مواد إلى العراق، يمكن أن تستخدم في انتاج أسلحة التدمير الشامل.***

- 10/4/90، أعلنت الجمارك البريطانية، أنها «أحبطت تصدير مجموعة من المواسير طولها 40 متر كانت مرسلة الى العراق... وأنه يعتقد أنها أجزاء من مدفع ضخم قام الدكتور بول Dr Gerry Bull بتصميمه، ويقوم بتصنيعه لحساب العراق». وتأتي هذه العملية بعد 20 يوما من مقتل الدكتور بول في شقته في بروكسل. وتدعي السلطات الأمريكية والبريطانية المختصة أن هذا المدفع بعد تجميعه يزن 140 طن ويستطيع أن يطلق قذيفة نووية أو تقليدية تزن طن لمسافة 1200 كيلومتر.

- ***25/ 7/ 90، صرح وزير العلوم الاسرائيلي يوفال نيهان بأن إسرائيل تمتلك الأسلحة الكيماوية، وستستعملها في حالة أي هجوم عراقي.*** ورغم أن امتلاك اسرائيل للأسلحة الكيماوية هي حقيقة معروفة منذ عشرات السنين... ورغم أن مجلة JDW كانت قد نشرت في عددها الصادر بتاريخ 14 يوليو 90 صفحة 51، نقلا عن مدير وكالة المخابرات المركزية الامريكية William Webster، أن اسرائيل هي واحدة من الدول التي تمتلك أسلحة كيماوية.. إلا أن اعتراف اسرائيل علنا بامتلاكها للأسلحة الكيماوية، وعزمها على استخدامها، يعطي لتصريح وزير العلوم الاسرائيلي أهمية خاصة.

- مايو 1990، هددت الولايات المتحدة بالانسحاب من منظمة الصحة العالمية إذا هي قبلت عضوية منظمة التحرير الفلسطينية في المنظمة العالمية. وحيث أن الولايات المتحدة تدفع 25٪ من ميزانية منظمة الصحة العالمية وهو ما بلغ 78 مليون دولار في عام 89.. فقد نجح هذا التهديد في إثناء تلك المنظمة الدولية عن اتخاذ قرار يقضي بقبول عضوية منظمة التحرير الفلسطينية. ونتيجة لذلك اتخذت منظمة الصحة العالمية قرارا بتاريخ 10/5/1990، ينص على أن يواصل الأمين العام لمنظمة الصحة العالمية دراسة الطلب الفلسطيني ويقدم رده في الوقت المناسب. وهو ما يعني وضع هذا الموضوع على الرف.[11]

- 90/7/24، أعلن Pete Williams ، في مؤتمر صحفي في واشنطن أن الولايات المتحدة استجابت لطلب من دولة الامارات وأرسلت اليها يوم 90/7/21، 2 طائرة KC - 135 ، وأن تقوم بالتعاون معها في إجراء مناورات بحرية. . . وذلك لاظهار تأييد الولايات المتحدة لكل من دولة الامارات والكويت تجاه التهديدات التي كانت قد صدرت من صدام حسين يوم 90/7/17 لكل من الدولتين، لقيامهما بضخ كميات من البترول تزيد عن حصصهما بهدف خفض الأسعار. وفور هذا الاعلان، وصلت رسالة الى واشنطن من دولة الامارات، توضح مدى انزعاجها لاذاعة هذا الخبر، وتؤكد على رغبتها في أن يتم التعاون العسكري بين الدولتين بطريقة سرية وغير معلنة. ***وقد علق تشيني على ذلك بقوله إن أصدقاءنا العرب يريدون أن يحققوا مكاسب مزدوجة. إنهم يطلبون منا حمايتهم. ويطلبون في نفس الوقت أن تكون العلاقات بيننا وبينهم في الاطار السري. إنهم يقولون تواجدوا بالقرب منا بسفنكم وبطائراتكم لحمايتنا، على أن تبقى تلك السفن وتلك الطائرات بعيدة عن الأنظار*** (صفحة 222 من كتاب The Commanders للمؤلف Bob Woodward الذي ظهر في مايو 1991).

- لقد ذكرت في الجزء الأول، الأهداف الاستراتيجية الأمريكية في الشرق الأوسط والتي يأتي البترول في مقدمتها. . . وذكرت أن سياسة الولايات المتحدة النفطية منذ عشرات السنين هي الحصول على النفط من هذه المنطقة بثمن بخس، عن طريق ربط مصالح حكام هذه المنطقة بالمصالح الامبريالية. [32] واحتلال العراق للكويت يوم 2 أغسطس 90، كان يعني بالنسبة لأمريكا أن صدام حسين أصبح يسيطر على 20.5 في المائة من انتاج الأوبك من النفط (13.9 عراق + 6.6 كويت) وعلى 29 في المائة من الاحتياطي المؤكد من النفط لدى دول الأوبك. وبهذه الامكانيات الضخمة فان صدام حسين يمكن أن يهدد الأهداف الاستراتيجية الأمريكية في المنطقة تهديدا خطيرا. وإن ترك صدام حسين يمر بهذه الغنيمة، يمكن أن يشجعه على التوسع فيحتل باقي الدول العربية الخليجية، فتصبح له السيطرة على 52 في المائة من انتاج الأوبك (طبقا للحصص الرسمية المخصصة. أما اذا احتسب ما كان يتم ضخه فعلا

نتيجة التجاوز عن الحصص المخصصة، فان هذه النسبة ترتفع الى 56 في المائة) . . كما تصبح له السطرة على حوالي 70 في المائة من احتياطي دول الأوبك من النفط . ولذلك فان بوش استخدم هذه الورقة إعلاميا منذ اليوم الأول لاحتلال العراق للكويت. ***كان يقول أن حصول أمريكا والدول الصناعية على النفط بالأسعار التي يفرضها صدام حسين على السوق، سيعني ارتفاع سعر الطاقة، وسيتأثر مستوى معيشة كل فرد أمريكي نتيجة لذلك. وكانت الورقة الاعلامية الثانية التي يلعب بها بوش هي إسرائيل. وفي هاتين الورقتين كان بوش يقول «إذا تركنا صدام حسين ينجح في عدوانه، فان ذلك قد يشجعه لكي يرسل قواته إلى السعودية، أو أن يرهب الممالك البترولية (استخدم بوش لفظ Petro Kingdom) لكي تطيع ما يأمرها به . . . ستة وخمسون في المائة من واردات العالم البترولية تصبح تحت سيطرة حاكم دكتاتور، يقوم بحشد صواريخ بعيدة المدى يمكنها أن تصيب كل دولة في المنطقة بما في ذلك اسرائيل، بالأسلحة الكيماوية والبيولوجية . . . بل وفي بضع سنين بالأسلحة النووية أيضا»[33].***

- 2/8/90، اتخذ الرئيس الأمريكي قرارا بتجميد جميع الودائع والممتلكات العراقية والكويتية في البنوك الأمريكية، وطالب دول حلف الأطلسي واليابان باتخاذ نفس الاجراء.

- 3/8/90، ظهر سعود ناصر الصباح السفير الكويتي في واشنطن على شاشات التليفزيون الأمريكية، ليعلن أن الكويت قد طلبت من الولايات المتحدة المساعدة العسكرية، لاعطاء الشرعية الدولية للتدخل العسكري الأمريكي. وفي نفس اليوم أصدر الاتحاد السوفيتي بيانا يقول فيه أنه قرر وقف تسليم الأسلحة والمعدات الى العراق، وأصدر بيانا مشتركا مع الولايات المتحدة يدين فيه الغزو العراقي للكويت، بلغة شديدة اللهجة. وفي نفس اليوم قرر بوش تنفيذ الخطة 1002 (الخطة التي تتضمن ارسال قوة الانتشار السريع الى السعودية والتي تتضمن 4.5 فرقة، 3 حاملة طائرات، 5 جناح طائرات قتال، واجمالي القوة حوالي 000 250 ويتم حشدها في 17 أسبوع). ولكن هذا القرار لم يعلن قط لوسائل الاعلام . . .

حيث أن اعلانه يظهر عدم قدرة الولايات المتحدة لصد أي هجوم عراقي خلال تلك الفترة بصفة عامة وخلال شهري أغسطس وسبتمبر بصفة خاصة.

- 90/8/4، صحيفة الأهرام المصرية تنشر خبرا تقول فيه أن صدام حسين أعدم 120 ضابطا عراقيا رفضوا المشاركة في غزو الكويت. (صحيفة الشعب الجزائرية 90/8/5).

- 90/8/6، وصل ديك تشيني جدة الساعة 00 13، وكان معه مجموعة تضم 6 معاونين من بينهم الجنرال شوارتزكويف. وفي مساء نفس اليوم تقابل تشيني مع الملك فهد ومعه 6 أشخاص من العائلة المالكة، كان من بينهم ولي العهد الأمير عبد الله بن عبد العزيز، والأمير سلطان وزير الدفاع، والأمير سعود الفيصل وزير الخارجية، والأمير بندر بن سلطان سفير السعودية في واشنطن. وفي نهاية اللقاء اتصل تشيني بالرئيس بوش والجنرال باول، وصدرت الأوامر مساء يوم 8/6 بالبدء فورا في تنفيذ الخطة 1002.

- 90/8/7، وصل تشيني إلى مصر. وقابل حسني مبارك في الاسكندرية حيث أطلعه على المخطط الامريكي، ثم سافر في نفس اليوم إلى المغرب ليطلع الملك الحسن على نتائج رحلته. وبعد ساعات قليلة في المغرب، استأنف تشيني رحلة العودة الى واشنطن.

- ***وبالاضافة الى الورقة الاعلامية الخاصة بتخويف الشعب الأمريكي والمجتمع الدولي بالاحتمالات الخطيرة التي يمكن أن تحدث، إذا لم يدمر صدام وآلته العسكرية... فانه كان على بوش أن يقنع هؤلاء الناس، بأنه من الممكن هزيمة صدام حسين في وقت قصير... وأن القوات المسلحة الأمريكية لن تتحمل إلا خسائر بشرية محدودة جدا... وأن صدام حسين لن يستطيع أن يلحق الأذى باسرائيل كما كان يتوعد.*** ولكي تنجح أمريكا في تحقيق ذلك... ولكي ترهب صدام حسين وتؤثر على معنويات المتعاطفين معه من الشعوب العربية والاسلامية، فان الخطة الاعلامية الأمريكية كانت تتضمن النقاط الرئيسية التالية:

1 - الادعاء بأن عملية حشد القوات الأمريكية في السعودية، تتم بأسرع من الحقيقة التي كانت تتم بها. وعلى سبيل المثال، فان الاعلام الامريكي كان يقول أن طائرات C - 141 الامريكية تصل إلى مطارات السعودية بمعدل طائرة كل 5 دقائق ليلا ونهارا. وهذا يعني أنه يصل الى مطار السعودية 288 طائرة C - 141 كل 24 ساعة. فاذا عرفنا أن كل ما تملكه أمريكا من هذه الطائرات هو 218 طائرة.. وأن نسبة الصلاحية نتيجة الصيانة الدورية لا يمكن أن تزيد بأي حال من الأحوال عن 90 في المائة، وأن طاقة الطيارين لا يمكن أن تسمح بأكثر من رحلة واحدة بين أمريكا ذهابا وأيابا كل ثلاثة أيام.. فان ذلك يعني أن متوسط عدد طائرات النقل C - 141 التي تصل يوميا الى السعودية لا يمكن أن تزيد عن 65 طائرة (أي بمعدل طائرة كل 23 دقيقة).
وأقصى ما تستطيع تلك الطائرات حمله هو 300 2 طن يوميا. وهو ما يعني أن نقل فرقة جنود جو واحدة يستغرق 17 يوم على الأقل. واذا ما اشتركت جميع الطائرات C - 5 التي تملكها أمريكا، فان أقصى مجهود جوي للنقل يرتفع إلى 000 5 طن يوميا... وهو مجهود لا يسمح مطلقا بأن يتم الحشد بالسرعة التي كان يتفاخر بها الاعلام الأمريكي.
وقد أثبتت الأرقام التي نشرت بعد الحرب، أن مجهود النقل الجوي كان يتم بمعدل 500 2 طن يوميا.. أي نصف الحد الأقصى. وهذا أمر طبيعي لأنه كلما طالت المدة فان الطائرات تحتاج الى وقت أطول للصيانة، ويحتاج الطيارون لوقت أطول للراحة. وبالتالي فانه يمكن القول بأن الحد الأقصى لمجهود النقل الجوي الاستراتيجي الأمريكي من الناحية العملية هو 000 3 طن يوميا، وانه يكون عادة بمتوسط 500 2 طن يوميا.

2 - الاعلان عن تدريبات عسكرية وعمليات إنزال بحري تقوم بها القوات الأمريكية على الشواطىء في عُمان والسعودية... ونشر صور عنها في التليفزيون ووسائل الاعلام الأخرى.

3 - قرار الرئيس الأمريكي بارسال صواريخ باتريوت إلى إسرائيل للتصدي للتهديد العراقي بضربها بصواريخ أرض أرض.

4 - استعراض يومي على شاشات التليفزيون ووسائل الاعلام الأخرى، تبين أحدث الأسلحة والمعدات الأمريكية، وتؤكد تفوقها النوعي الكبير على الأسلحة العراقية. . . ولا سيما في مجال القوات الجوية، والحرب الالكترونية، ووسائل الاستطلاع، والاتصالات اللاسلكية، والوسائل الحديثة في فتح التغراث في حقول الألغام. وقد كان لهذه الاجراءات فوائد مزدوجة. فبالاضافة الى أنها كانت تبعث الطمأنينة في نفوس أصدقاء أمريكا، فانها كانت تثير قلق أصدقاء العراق.

5 - الاعلان عن تطعيم كل الجنود ضد الأمراض التي يعتقد أن العراق قد يستخدم جراثيمها في شن هجوم ضد القوات الامريكية.

6 - الاعلان عن تجهيز كل الجنود بالملابس الواقية ضد الحرب الكيماوية.

7 - وعندما بدأت الحرب الجوية في 91/1/17، كانت القيادة الأمريكية في كل من واشنطن والرياض تعقد مؤتمرا صحفيا يوميا يذاع على شبكات التليفزيون العالمية. وكانت تعرض فيه أفلاما ملتقطة من طائراتها. . من أجل أن تستخدمها في التفاخر بدقة الأسلحة الامريكية في إصابة أهدافها. وكان مركز قيادة صدام حسين هو واحد من تلك الأهداف العراقية التي قام الامريكيون بعرض أفلام عن ضربها.

8 - كانت شبكة تليفزيون CNN الأمريكية تعرض أولا بأول أفلاما تليفزيونية من كل من السعودية واسرائيل، تبين بها صواريخ باتريوت وهي تتصدى للصواريخ العراقية طراز الحسين. . . وذلك إلى أن فرضت إسرائيل رقابة على هذه الشبكة بعد بداية حرب الصواريخ ببضعة أيام.

■ 90/8/22، اعتقلت فرنسا 11 طالبا عراقيا من بينهم 4 طيارين عراقيين كانوا في دورة تدريبية في فرنسا. وقد اعتقلتهم السلطات الفرنسية في مطار أورلي عندما كانوا في طريق عودتهم إلى بلادهم.

■ 90/9/17، وجه بوش رسالة إلى الشعب العراقي، بثتها الاذاعة والتليفزيون العراقيين. (تفاصيل هذه الرسالة في الجزء الأول صفحتي 203، 204).

- 90/9/27، الرئيس حسني مبارك يهدد بتدمير أية صواريخ عراقية تقدم الى السودان. وكان ذلك تعليقا على خبر نشرته رويتر بتاريخ 90/9/4 (المؤلف: من الواضح أن خبر رويتر هو خبر كاذب، الغرض منه هو استعداء مصر ضد السودان، نظرا لموقف السودان المؤيد للعراق في أزمة الخليج. وكان أولى بحسني مبارك أن يتأكد أولا من صحة الخبر. وأن يتأكد ثانيا أن هذه الصواريخ موجهة ضد مصر. فان أي صواريخ يمتلكها السودان أو تمتلكها أي دولة عربية فهي قوة لمصر وللعرب. والذي يثير الاستغراب حقا، هو أن حسني مبارك أثاره خبر غير مؤكد عن امتلاك السودان لصواريخ ذات رؤوس تقليدية. ولم يثره خبر مؤكد بأن إسرائيل تملك صواريخ تحمل رؤوسا نووية وكيماوية وبيولوجية). ***واستطرد حسني مبارك في نفس الحديث قائلا «إن هدف صدام حسين من احتلال الكويت هو أخذ الزعامة من مصر. وهذا مستحيل».***

- 90/10/1، بوش يقول في خطاب له أمام الأمم المتحدة «ينبغي أن نعمل على إزالة كل الأسلحة الكيماوية، قبل أن تلتزم الولايات المتحدة بتدمير 98 في المائة من مخزونها خلال السنوات المقبلة، ومجمل مخزونها من تلك الأسلحة خلال العشر سنوات المقبلة.

- 90/10/6، أكدت وزارة الدفاع الأمريكية. أن العراق يمتلك متفجرات شديدة المفعول. غير أنها نفت أن تكون في مستوى القنابل النووية. وكان ذلك ردا من البنتاجون على ما نشرته في اليوم السابق صحيفة لوس انجلوس تايمز (الأمريكية) أن العراق يمتلك قنبلة تعادل قوة انفجارها القنبلة النووية. ***(المؤلف: هذا نموذج للخبر الذي يجمع بين التخويف من الخصم، وفي نفس الوقت طمأنة الأصدقاء على القدرة على هزيمته).***

- 90/10/8، مذبحة بشعة ترتكبها اسرائيل في الحرم القدسي، يروح ضحيتها 22 شهيد فلسطيني من بينهم إمام المسجد الأقصى. أما الجرحى فيزيد عددهم عن مائة.

- 90/10/10، واشنطن تماطل لمنع مجلس الأمن من إدانة إسرائيل على مجزرة المسجد الأقصى.

- 90/10/14، الواشنطن بوست تقول أن بوش قرر تأجيل الحرب واللجوء الى المبادرات السياسية. وفي اليوم التالي مباشرة، صرح وزير الدفاع الامريكي تشيني، بأنه لا يستبعد الحل العسكري (*المؤلف: الغرض من هذه الأخبار المتضاربة هو وضع العراق في موقف الشك عن حقيقة النوايا الامريكية... وهو هدف رئيسي من أهداف الاعلام وقت الحرب*).

- *90/10/15، وزير الخارجية البريطاني يصل إلى اسرائيل، ويصرح بأنه ضد قيام دولة فلسطينية*. الصحفيون الأردنيون يقاطعون المؤتمر الصحفي الذي عقده الوزير البريطاني في عمّان عند زيارته للأردن بعد إسرائيل.

- 90/10/17، وزير الخارجية الموريتاني، يكذب الأخبار التي روجها الاعلام الغربي عن وجود قوات عسكرية وصواريخ متطورة عراقية في موريتانيا (المؤلف: الادعاء بوجود صواريخ عراقية في موريتانيا، الهدف منه ايجاد الوقيعة بينها وبين جيرانها. وذلك في اطار الحملة الاعلامية الغربية الموجهة ضدها نتيجة لموقفها المؤيد للعراق في أزمة الخليج).

- 90/10/21، تشيني يقول الحرب ليست حتمية. والعقوبات الاقتصادية قد تكفي (*المؤلف: خبر آخر لتضليل القيادة السياسية العراقية، وعدم دفعها الى القيام بعمليات هجومية قبل أن تستكمل القوات الامريكية حشدها*).

- 90/10/22، الأمير سلطان وزير الدفاع السعودي، يدعو الى طرق أبواب السلام وحل مشاكل الحدود بالحوار. (المؤلف: خبر آخر لتضليل القيادة السياسية العراقية).

- 90/10/30، نشرت صحيفة الشرق الأوسط (السعودية) مقالا تهاجم فيه الرئيس اليمني علي عبد الله صالح، على موقفه المؤيد للعراق. فكتبت مقالا طويلا منسوبا إلى مصدر سعودي مسؤول يقول فيه «العالم اليوم مع الحق الا البعض ممن قبض الأجور». (*المؤلف: هذا مثال يدل على غيبة الوعي الاعلامي. حيث أن العالم أجمع يعلم أن السعودية ودول الخليج كانت هي التي تبعثر الأموال يمينا ويسارا على كل من يؤيد مواقفها. أما العراق المحاصر فلم يكن لديه ما يطعم به شعبه. فكيف له أن يرشو*

الآخرين؟ لقد أنفقت السعودية والدول الخليجية خلال هذه الحرب 75 مليار دولار (48 من السعودية، 22.6 من حكومة الكويت في المنفى، 4.4 باقي الدول الخليجية). لو أن مسؤولا عراقيا هو الذي اتهم السعوديين بأنهم اشتروا مواقف الكثير من الدول ومواقف الكثير من الأشخاص وأقلامهم، لكان في اتهامه الكثير من المنطق، حتى وان لم يقدم الدليل على ذلك. فالذي يملك المال هو الأكثر تأهيلا لكي يرشو الآخرين. مرة أخرى أقول أن هذا الاتهام السعودي يدل على غيبة الوعي الاعلامي).

- 90/11/2، *بوش يطالب بتحجيم القوات المسلحة العراقية بعد انسحابه من الكويت. وكان نائبه قد صرح في اليوم السابق قائلا «هدفنا هو تدمير السلاح العراقي، حتى ولو انسحب من الكويت»*.
- 90/11/3، الواشنطن بوست تتوقع استخدام السلاح النووي في الحرب المحتملة (*المؤلف: خبر يقصد به إرهاب صدام حسين والمتعاطفين معه*).
- 90/11/3، *صحيفة تشرين (السورية) تدعو إلى الحسم العسكري لانهاء الاحتلال العراقي*.
- 90/11/8، *وزير خارجية سوريا يقول العراق مثل إسرائيل خطر على العرب. ولا رابط بين أزمة الخليج والقضية الفلسطينية*. (المؤلف: يعاد قراءة هذا التصريح بعد الاطلاع على خطاب وزير الخارجية الأمريكي الى نظيره الاسرائيلي، والذي أوردناه في هذا الفصل ضمن الأحداث الاعلامية الهامة بتاريخ 91/11/22).
- 90/11/9، تشيني يصرح بان قرار الرئيس الامريكي بمضاعفة قواتنا في الخليج، سيوفر لنا القدرة على القيام بعمليات هجومية (*المؤلف: هذا التصريح يتعارض مع التصريح الذي أعلنه هو نفسه قبل أسبوعين. والغرض منه هو تكثيف الضغوط على صدام حسين*).
- 90/11/12، مجلة TIME الامريكية تقول خطة ارسال القوات الامريكية الى الخليج موضوعة قبل أزمة الخليج (المؤلف: تشير المجلة الى الخطة 1002 بواسطة القيادة المركزية (قوة الانتشار السريع سابقا). وكانت هذه

الخطة تتضمن نقل 5 . 4 فرقة، 5 جناح طائرات قتال، 3 حاملة طائرات. وطبقا لهذه الخطة، فان طائرات القتال F - 15 كانت تتحرك الى المنطقة في اليوم الأول. وبحلول اليوم السابع يكون قد تم نقل لواء قوامه 300 2 جندي من الفرقة 82 جنود جو. وفي اليوم 17 تصل قوات المارينز من الولايات المتحدة، بينما تصل احتياجاتها من الذخيرة والاحتياجات على سفن من دييجو جارسيا Diego Garcia . وفي اليوم 27 تبدأ الدبابات في الوصول الى المنطقة. وتستكمل القوات البرية والبحرية والجوية حشدها طبقا للخطة خلال 17 أسبوع). وأوضحت المجلة أن ديك تشيني توجه يوم 6 أغسطس إلى الرياض ومعه اتفاقية من ثلاث صفحات أسمتها المجلة بالحلف. وقام الملك فهد بالتوقيع عليها. وقالت المجلة أن ديك تشيني توجه بعد ذلك إلى القاهرة حيث وضع مع الرئيس مبارك خطة اجتماع القاهرة.

- 90/11/18، أدلى بوش بحديث لمجلة نيوزويك الامريكية (نقلت رويتر مقتطفات منه قبل أن يظهر في المجلة بتاريخ 90/11/28) قال فيه «*ليس بمقدورنا السماح لطاغية منفرد بممارسة الابتزاز الاقتصادي. فالأمن في مجال الطاقة، جزء من الأمن القومي. ويجب أن نكون على استعداد للتصرف على هذا الأساس*.

- 90/11/21، وأثناء زيارته للقوات الامريكية في السعودية، بمناسبة الاحتفال بالعيد الامريكي Thanks giving ، قال الرئيس الأمريكي بوش «*إن من يعتقدون أن البرنامج النووي العراقي يحتاج إلى بضع سنين لكي ينجح في انتاج القنبلة النووية، ويتصرفون على هذا الأساس.. لا يقدرون حقيقة الموقف وجسامة التهديد الذي يواجهنا إذا ما حصل العراق على القنبلة النووية*»[34].

- *90/11/22، نشرت صحيفة معاريف (الاسرائيلية) نص الرسالة التي أرسلها وزير الخارجية الامريكي جيمس بيكر يوم 90/11/15، إلى نظيره الاسرائيلي ديفيد ليفي، والتي جدد فيها بأنه لن يكون هناك ربط بين حل الأزمة في الخليج وحل النزاع العربي الاسرائيلي.*[35] ونظرا لأهمية هذه الرسالة فاننا سنذكر هنا بعض فقراتها الهامة:

- في كل مكـان وصلت اليه، ومع كل زعيم تحدثت معه، كان هناك اتفاق بأنه من المحظور إعطاء صدام مخرجا محترما، أو جوائز. وبأنه من المحظور ان تكون هناك حلول جزئية.

- نحن نعتقـد بأن طلبا من جانب الكويت وفقا للبند 51 من ميثاق الأمم المتحـدة، يوفر القاعدة القانونية للقيام بعملية عسكرية. وقد قلت ذلك لكل من تحدثت معهم. ولكن صدور قرار بذلك من مجلس الأمن له قيمة سياسية كبيرة. (المؤلف: صدر قرار مجلس الأمن الذي تطلبـه أمـريكا يوم 90/11/29). وخطوة كهذه ستنقل الى صدام حسين رسالة درامية.

- *لن يكـون هنـاك ربط ما بين النزاع في الخليج وبين النزاع العربي الاسرائيلي. فان خلق ربط كهذا سيكون بمثابة منح جائزة لصدام والمؤيدين له.* وقد أوضحت هذا مجددا توضيحا تاما. وفي الردود التي استمعت إليهـا موافقـة شاملة حول هذا الرأي. وسررت أيضا لأن أسمع مجددا بأن حلفاءنا (المؤلف: المقصود هنا هم الحلفاء العرب، حيث أن بيكر كان قد زار منطقة الشرق الأوسط ما بين 4 ـ 7 نوفمبر 90، وزار خلالهـا كلا من البحـرين، والسعـودية، ومصر) يبدون التقـدير لموقف الـتروي الـذي التـزمت به إسرائيل. وبسبب هذه الخطوات، أنا أؤمن بأننا سنكون في وضع أفضل سيسمح لنا بالسيطرة على هذه القضية، واجتثات الجهود التي تحاول خلق ارتباط من جذورها.

- ***هناك الكثير من الأمور التي يجب أن تقوم بها سوريا لخدمة مصالحنا المتبـادلة. (المؤلف: لم يكن من الممكن أن تقدم سوريا على مهاجمة حكومة العماد عون في لبنان، وأن تسقطها يوم 90/10/13... إلا إذا ضمنت عدم تدخل معادي من جانب أمريكا وفرنسا. وبالتالي فانه لابـد وأنـه قد تمت صفقة سورية أمريكية حول هذا الموضوع، في مقابل قيام سوريا بارسال فرقة مدرعة الى السعودية).***

■ 90/11/30، وقبل مرور 24 ساعة من صدور قرار مجلس الأمن 678 أعلن الـرئيس الأمـريكي بوش أنـه على استعـداد للقـاء طارق عزيز في

واشنطن، وأن يبعث وزير الخارجية جيمس بيكر للقاء صدام حسين في بغداد. وكان غرض بوش من هذا الاعلان، هو الظهور أمام العالم وأمام الشعب الأمريكي بصفة عامة، والكونجرس الامريكي بصفة خاصة، أنه قد بذل كل جهد ممكن لتلافي الحرب. ولكن الحقيقة هي أن بوش كان يدفع الأحداث إلى الحرب. فقد أعلن مسبقا بأنه لا مفاوضات مع صدام حسين، وأنه لن يسمح بايجاد مخرج مشرف لصدام حسين. وانما المقصود باللقاء هو إبلاغ صدام حسين بقرارات الأمم المتحدة. وأنه إذا لم يذعن لها فانه سوف يرغم على قبولها بالحرب.

- 90/12/7، نقلت وكالة رويتر للأنباء، عن الأمير عبد الله بن فيصل بن تركي الأمين العام للهيئة الملكية لجبيل وينبع، قال فيه «***إن زيادة القوات الأمريكية والمتعددة الجنسيات في الخليج تستهدف تحرير الكويت ودخول بغداد***.

- 90/12/10، نشرت مجلة TIME الامريكية مقالا جاء فيه «وحتى لو لم ينجح صدام حسين في الحصول على القنبلة النووية، فانه ـ طبقا لما تقوله السلطات الأمريكية المختصة ـ يملك حاليا ما يمكنه من أن يشن حربا رهيبة. فجميع التقارير تؤكد أن العراق لديه كميات كبيرة من الأسلحة البيولوجية، والكيماوية.

- 90/12/11، موسكو ترفض طلب واشنطن إرسال قوة رمزية إلى الخليج.

- ***90/12/18، صرح الجنرال شوارتزكوبف قائد قوات التحالف، أن الحرب قد تستغرق ستة أشهر***.

- ***90/12/20، الدول الخليجية تغازل إيران، وتطالب بادماجها في النظام الأمني للمنطقة***.

- 90/12/29، في الساعة 12 19 يوم السبت 29 ديسمبر 1990 بتوقيت السعودية، استلم شوارتزكوف الأمر الانذاري ببدء الحرب الساعة 00 03 يوم 17 يناير 91. . . أي 18 يوم، 8 ساعات قبل بدء الهجوم. وقد أذيعت هذه المعلومة بعد الحرب، وجاء ذكرها في كتاب

The Commanders ، للمؤلف Bob Woodward صفحة 353 (المؤلف: في حرب اكتوبر 73 أخطرت القيادة العسكرية المصرية بتصديق القيادة السياسية على الحرب قبل الميعاد بـ 15 يوم).

- ***91/1/1، القذافي يعلن أنه يعارض هجوما عراقيا محتملا ضد اسرائيل.***

- 91/1/4، كشفت القيادة الأمريكية أنها قد أتمت بناء قاعدة جوية قريبة من الحدود العراقية السعودية. ودعت الصحفيين لمشاهدتها ونقل أخبار عنها. وكشفت البيانات التي سمح بنشرها، أن هذه القاعدة تستخدم بواسطة الطائرات F - 15 E ، F - 16 . وقال قائد القاعدة أن الطائرات المنطلقة من هذه القاعدة الجديدة يمكنها مهاجمة 1 000 هدف عسكري كل منها بقنبلتين وزن كل منهما 500 رطل، أي باجمالي حمولة قدرها 1000 000 رطل من المتفجرات.. وأنه قد تم انجاز هذه القاعدة خلال 47 يوم فقط. [36] (المؤلف: أعتقد أن الخبر فيه مبالغة كبيرة... فهذه المعلومات تعني أن هذه القاعدة يوجد بها على الأقل 84 طائرة.. وأن تقوم كل طائرة من تلك الطائرات بثلاث طلعات في اليوم الواحد، وبمتوسط حمولة 4 000 رطل من القنابل في كل طلعة. وهذه المعلومات فيها الكثير من المبالغة. فالمسافة بين بغداد والحدود السعودية هي حوالي 500 كيلومتر. ومع أن القيادة الأمريكية لم تعلن عن المسافة التي تبعد بها هذه القاعدة من الحدود العراقية، فليس من المعقول أن تقل هذه المسافة عن 50 كيلومتر ان لم يكن 100 كيلومتر. ولا شك أن تكليف الطيار بالقيام بثلاث طلعات يوميا لقصف أهداف تبعد عن قاعدته بحوالي 600 كيلومتر يسبب له ارهاقا شديدا، ويؤدي الى تناقص كفاءته يوما بعد يوم. كما وأن حشد 84 طائرة قتال في قاعدة واحدة، قد يتطلب أيضا حشد 50 ـ 60 طائرة مساعدة. وبذلك يصل عدد الطائرات في تلك القاعدة الى حوالي 150 طائرة. وهو تكديس كبير يعرض هذه القاعدة الى خسائر جسيمة، إذا ما قام العراق بقصفها بالصواريخ، أو قام بغارة جوية مركزة عليها.. سيما وأن بناءها في 47 يوم يوحي أيضا بأن الطائرات التي هي في هذه القاعدة ينقصها الملاجىء الخرسانية التي تحميها من مثل هذا الهجوم المحتمل).

- 91/1/7، أوردت الواشنطن بوست خبرا مفاده أن قيادة الجيش الأمريكي قررت عدم استخدام أسلحة التدمير الشامل (النووي، الكيماوي، البيولوجي). وأضافت أن هذا القرار يعكس ثقة القيادة الكبيرة في التفوق الهائل لقدرة السلاح التقليدي الذي تستخدمه القوات الأمريكية المنتشرة في الخليج. وأوضحت الصحيفة أن التهديدات التي سبق أن صدرت عن الرئيس بوش وعن ديك تشيني وزير الدفاع، بشأن القيام برد عنيف ضد العراق إذا ما استخدم السلاح الكيماوي أو الأسلحة البيولوجية، يجب ألا تفسر، بأنها إعلان عن العزم على استخدام السلاح الكيماوي أو النووي. وأضافت الصحيفة بأن هذا القرار قد اتخذ بهدف عدم تعقيد النتائج السياسية لحرب يصعب التنبؤ بعواقبها. (المؤلف: هذا مثال آخر للأخبار المتناقضة التي يتلقاها الحكام والقادة السياسيون والعسكريون خلال الحرب. فهدف كل طرف هو أن يخفي نواياه عن الطرف الآخر... وفي سبيل ذلك فانه يمطر خصمه بالعديد من الأخبار المتناقضة، التي تهدف في النهاية الى دفع الخصم الى التصرف طبقا لما يريده الطرف الآخر. ***وتكمن كفاءة القائد في قدرته على التقاط الخبر الصحيح أو الاستنتاج الصحيح من بين عشرات الأخبار المتناقضة. نعم فان القوات الأمريكية لديها تفوق كبير في الأسلحة التقليدية. أما العراق فاذا استبعد استخدام أسلحة التدمير الشامل، فانه يكون قد حكم على نفسه بالهزيمة قبل أن تبدأ المعركة.***

- 91/1/8، حسني مبارك يعلن «لا يجب أن ترد اسرائيل على اي عدوان عراقي عليها. واذا ما دخلت اسرائيل الحرب ضد العراق فان مصر ستقف ضد اسرائيل».

- 91/1/9، طارق عزيز يلتقي مع بيكر في جنيف. وهو لقاء كان بوش يهدف من ورائه، أن يقول للرأي العام الأمريكي أنه بذل كل ما يمكن عمله لتفادي الحرب. وقد سبق أن ناقشنا هذا الموضوع في الفصل الخامس. ولكن الشيء المؤكد هو أن بوش كان يدفع الأحداث الى المواجهة العسكرية.

- 91/1/11 ، *حسني مبارك في حديث له مع CNN يقول من حق إسرائيل أن ترد على أي عدوان عراقي يقع عليها (المؤلف: هذا التصريح يتضارب مع تصريح له قبل ذلك بثلاثة أيام).*

- 91/1/12 ، أمرت الولايات المتحدة الدبلوماسيين العراقيين أن يغادروا واشنطن قبل يوم 91/1/15 ، وذلك فيما عدا 4 أعضاء فقط بما فيهم السفير.

- 91/1/13 ، صدر عن الرئيس السوري حافظ الأسد ما يلي «*إذا تعرض العراق للهجوم بعد انسحابه من الكويت، ستقف سوريا الى جانبه بكل قدراتها المادية والمعنوية وستقاتل معه*». *(المؤلف أثبتت الأحداث فيما بعد أن سوريا لم تلتزم قط بهذا التصريح).*

- 91/1/16 ، أعلنت وزارة الداخلية البريطانية أن أجهزة الأمن اعتقلت 28 عراقيا، وتلاحق أربعة آخرين، من المقيمين في بريطانيا. بزعم أنهم يشكلون خطرا على الأمن القومي في بريطانيا. وأعلنت أنها ستعاملهم معاملة أسرى حرب بالرغم من أنه لا توجد حالة حرب رسمية بين بريطانيا والعراق. ونقلت شاشات التليفزيون صورا عن الشاحنات، وهي تنقل هؤلاء الأسرى العراقيين الى معسكر خاص بهم تحيط به الأسلاك الشائكة، مع أن هؤلاء العراقيين كانوا طلبة يدرسون في المعاهد البريطانية. (أفرج عنهم يوم 1991/3/6).

- 19 يناير 91، ذكر ضابط سابق في المخابرات الفرنسية هو بول باريل في حديث على شاشة التليفزيون الفرنسي «*ان المخابرات الفرنسية زرعت جهاز إرشاد داخل المفاعل النووي العراقي Osirak في يونيو 1981 . وأنه بفضل هذا الجهاز تمكن الطيارون الاسرائيليون من اصابته بدقه وتدميره*».

- *20 يناير 91 ، الرئيس الفرنسي ميتران يقول في برنامج تليفزيوني أنه يتحتم تدمير الآلة الصناعية العسكرية العراقية لارغام بغداد على الاستسلام.*

- 25 يناير 91، *القذافي يعلن في برنامج تليفزيوني «أؤيد الكويت ضد العراق. وأؤيد العراق ضد العدوان» ويمتنع عن التعليق على سؤال حول القصف العراقي لاسرائيل بصواريخ الحسين.*

■ 91/1/29، تزايدت الهجمات العنصرية ضد العرب المقيمين في الدول الغربية بصفة عامة، وفي بريطانيا وأمريكا بصفة خاصة. وحتى الأمريكيين الذين من أصل عربي لم ينجوا هم أيضا من تلك الهجمات العنصرية، التي كانت تشمل إطلاق النار على الأشخاص وحرق الممتلكات. وكانت بعض الصحف ـ منها صحيفة الديلي ميل البريطانية ـ تزكي هذه الهجمات بما تكتبه من مقالات ملتهبة تثير الحقد ضد العرب. . . ولا سيما بعد أن شاهدوا طياريهم الأسرى على شاشات التليفزيون العراقي، وهم يطالبون بوقف هذه الحرب.

■ 91/1/30، أعلنت قيادة قوات التحالف أنها أسقطت على القوات العراقية 5 مليون منشور توضح فيه للجنود العراقيين كيف يمكنهم تسليم أنفسهم. ويطلب المنشور من الجندي العراقي الذي يتقدم الى مواقع دول التحالف لتسليم نفسه أن يحمل البندقية على كتفه الأيسر بحيث يكون فم الماسورة إلى أسفل، وأن يحمل راية بيضاء في يده اليمنى.

■ ***91/1/31، وزير الدفاع البريطاني كنج King، يصرح أمام مجلس العموم البريطاني بأن انسحاب العراق من الكويت لا يعني تحرير الكويت.***

■ *91/2/1، أعلن نائب الرئيس الأمريكي Quale* ***في مؤتمر صحفي في لندن «لا نستبعد اللجوء إلى الخيار النووي».***

■ ***91/2/3، تشيني يصرح بأن قوات التحالف ستستمر في القتال بهدف تدمير القدرات القتالية للعراق.***

■ 91/2/6، بيكر يقول أمام الكونجرس «لا يجوز لأحد أن يقلل من قوة الجيش العراقي. فالجيش العراقي لا يمكن أن يوصف بأنه قوة من الدرجة الثالثة. No one should underestimate the power of the Iraqi Army. After all Iraq is not a third rate power» (المؤلف: ***هذا الخبر يمكن أن يفسر بواسطة المحللين على أنه يدخل في إطار تخويف الأمريكيين من هذا الجيش، وبالتالي تقديم المبرر الذي يحتم على امريكا ضرورة تدميره. ويمكن أيضا أن يفسر على أنه عملية تحذير لصدام حسين لكي لا يستخدم***

أسلحة التدمير الشامل التي يملكها، على اعتبار أن القوات البرية العراقية قد يكون في استطاعتها تحقيق النصر. ولو افترضنا أن صدام حسين أخذ بهذا التفسير الأخير فانه يكون قد وقع في خطأ كبير).

- 91/2/7، أذاعت وكالة أنباء أسوشيتد برس الأمريكية نقلا عن القاضي الايطالي السابق كارلو باليرمو، بأن العراق يكون قد اشترى في بداية الثمانينات ثلاث قنابل نووية. وحسب قصة باليرمو، فانه قد وقعت بين بديه سنة 1983 وثائق سرية حول صفقة ثلاث قنابل نووية تزن كل منها 90 كيلوجرام بمبلغ 924 مليون دولار. وهو يعتقد الآن بأنها كانت موجهة للعراق، الا أنه لا يملك أدلة على ذلك. كما وأنه لم يستطع التعرف على البائعين.

- 91/2/7، نشرت صحيفة التايمز (البريطانية) أن مصالح المخابرات الأمريكية، تعتقد أن العراق يمتلك صواريخ سوفيتية من طراز SS - 12 ذات مدى 1 000 كيلومتر. وحيث أن هذا النوع من الصواريخ هو من الأنواع التي يجب تدميرها طبقا لنصوص المعاهدة الموقعة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي عام 1987، فان المخابرات الأمريكية تعتقد أن بعضا من هذه الصواريخ يمكن أن يكون قد تم تهريبه إلى العراق. ثم تضيف الصحيفة بأن هذه الصواريخ قادرة على حمل رؤوس نووية وكيماوية وبيولوجية وتقليدية.

- 91/2/9، *صحيفة الثورة السورية تدعو الشعب العراقي لقتل صدام حسين.*

- 91/2/9، هيرد وزير الخارجية البريطاني يصرح في القاهرة «لن نحاول تغيير حدود العراق. ولن نحاول أن نفرض على العراق نوع الحكومة التي يختارها». (المؤلف: *الغرض من هذا التصريح هو طمأنة صدام حسين بأنه لو استسلم، فانه يمكن أن يبقى في الحكم. ولكن ثبت فيما بعد أن بريطانيا تشترط سقوط نظام صدام حسين لكي توافق على إنهاء الحصار الاقتصادي المفروض ضد العراق).*

- 91/2/10، هيرد يصرح في الرياض «ليس لدينا نية إبقاء قوات بريطانية في المنطقة بعد الحرب. ولكن اذا تقدمت بعض الدول بطلب خاص بذلك، فاننا سنستجيب الى هذا الطلب. وأعتقد أن دولا غربية أخرى ستستجيب هي الأخرى. (*المؤلف: تلاعب دبلوماسي بالألفاظ. فهو يعلم جيدا أن حكام الدول الخليجية الذين يعتمدون على حماية الدول الأجنبية في البقاء في الحكم، سوف يطلبون تواجدا أمريكيا غربيا في المنطقة. وهذا هو ما تأكد فعلا بعد أن وضعت الحرب أوزارها*).

- 91/2/10، تشيني يعلن في الرياض «إن آلة الحرب العراقية ما زالت قوية جدا. ولذلك فان المتاح أمامنا هو القيام بعمليات برية محدودة مع تصعيد العمليات الجوية». (*المؤلف: هذا خبر يقصد به تضليل القيادة العراقية. فقد ثبت فيما بعد أن خطة الهجوم البري كانت قد تقررت قبل صدور هذا التصريح... وكانت القوات البرية قد بدأت تتحرك قبل ذلك ببضعة أسابيع نحو أماكن الحشد التي ستبدأ منها الهجوم. وكان كل ما تطلبه القيادة الامريكية هو فسحة من الوقت تستطيع خلالها أن تنتهي من عمليات التحضير للعمليات البرية. وقد أكد ذلك الجنرال شوارتزكوبف في حديثه التليفزيوني يوم 91/3/28*).

- *91/2/11، أصوات أمريكية تطالب باستخدام السلاح النووي التكتيكي ضد العراق، للحيلولة دون سقوط عدد كبير من القتلى الأمريكيين في حالة قيام حرب برية تشنها الولايات المتحدة وحلفاؤها ضد العراق*. (المؤلف: السلاح النووي التكتيكي، هو قنابل نووية صغيرة تكون قوة تدمير الواحدة تعادل 1 000 طن فقط من المتفجرات أي حوالي 5 في المائة من قوة تدمير القنبلة النووية التي ألقيت على هيروشيما في 6 أغسطس 1945). وكان السناتور دان بورتون الجمهوري نائب ولاية إنديانا يدافع عن وجهة نظره في استخدام الأسلحة النووية التكتيكية حتى يتفادى عودة 20 000 أمريكي في نعوش من منطقة الخليج. وفي الرد على الذين يعارضون استخدام الأسلحة النووية لأسباب أخلاقية، فان المعلق المتشدد توماس كتب في صحيفة الواشنطن تايمز يقول «لا يوجد فارق أخلاقي بين القاء قنبلة تزن طنا تفتك بمئات المقاتلين، وقنبلة نووية تكتيكية تقتل أكثر من ألفين».

- 91/2/11، بوش يعلن في مؤتمر صحفي «الحرب الجوية تسير سيرا حسنا، وسوف تستمر. ونحن لسنا في عجلة لكي نبدأ الحرب البرية». (المؤلف: هذا الخبر يدخل في اطار تضليل صدام حسين، دون أن يضلل الشعب الأمريكي. فقد ثبت فيما بعد أن بوش كان قد حدد قبل ذلك بيوم واحد على الأقل أن تبدأ الحرب البرية يوم 21 فبراير. ثم غير هذا الميعاد في وقت لاحق ليصبح 24 فبراير).

- 91/2/12، وصول 300 فرد من المجاهدين الأفغان الى السعودية (جنود مرتزقة يبحثون عن الأجر المرتفع الذي تدفعه لهم السعودية).

- 91/2/14، شبكة تليفزيون SKY ONE البريطانية تعرض شريطا سجلت فيه لقاءات مع عدد من العائلات الاسرائيلية، التي هربت من اسرائيل وأقامت في بريطانيا نتيجة عمليات القصف الصاروخي التي يشنها العراق ضد اسرائيل. وبالغت هذه العائلات في وصف حالات الهلع والخوف التي تسيطر على المدنيين اليهود في اسرائيل. (المؤلف: حدث ذلك رغم أن العراق كان حتى هذا التاريخ قد قصف اسرائيل بـ 33 صاروخ حسين تحمل جميعها حوالي 5. 16 طن من المتفجرات. بينما كان الحلفاء قد نفذوا أكثر من 000 75 طلعة جوية ضد العراق أسقطوا خلالها حوالي 000 53 طن من المتفجرات. أي أن ما كان يتحمله العراق من قصف كان يعادل 3212 مثل بالنسبة لما كانت تتحمله اسرائيل. ومع ذلك فان محطة تليفزيون SKY ONE التي يمتلكها اليهودي مردوخ، لم تعرض أي تسجيل يبين ما كان يعانيه الشعب العراقي من هذا القصف العنيف. ويبين لنا ذلك كيف تستطيع وسائل الاعلام أن تشوه الحقائق، وتؤثر في عقول البسطاء من الناس).

- 91/2/14، شبكة ABC NEWS الامريكية، تجري حديثا على الهواء قال فيه مندوبها في واشنطن لمندوبها في بغداد «أن القيادة الامريكية لديها معلومات، بأن العراق يستخدم بدروم فندق الرشيد ـ الذي ينزل فيه مندوبها ـ كمركز قيادة. وأنه كان قد صدر الأمر بقصف الفندق وتدميره، ولكن هذا الأمر قد ألغي نظرا لأن جميع الصحفيين الأجانب ينزلون فيه. وقد رد عليه مندوب الشبكة بأنهم ينزلون الى البدروم عند حدوث غارة على

بغداد وأنه لا يوجد في البدروم أي تجهيزات توحي بأنه يستخدم كمركز قيادة. (المؤلف: الغرض من هذا الخبر وهذا العرض، هو تبرير ضرب ملجأ العامرية في اليوم السابق. وقد شكك المذيع في صحة ما قاله مندوب الشبكة في بغداد بقوله «إننا نقدر طبعا بأنك لا تستطيع أن تقول غير ما قلت في حضور العراقيين»).

- 91/2/15، بوش يحث الشعب العراقي لقتل صدام حسين.

- 91/2/17، *شبكة التليفزيون SKY ONE تعرض برنامجا يوضح امكانيات باكستان النووية. وتبدي تخوف أمريكا وقلقها من حيث احتمال ظهور دولة مسلمة لها امكانيات نووية (المؤلف: جاء هذا البرنامج وهذا القلق الأمريكي في أعقاب ما صرح به رئيس اركانحرب الجيش الباكستاني الجنرال اسلام بج Aslam Beg يوم 28 يناير 91*، من نقد شديد للغارات الوحشية التي يتعرض لها الشعب العراقي. وقال أن غرض أمريكا هو تدمير القوات المسلحة العراقية وليس تحرير الكويت. وأن تدمير القوات المسلحة العراقية هو عمل ضد مصالح المسلمين كافة، وانتقد إرسال قوات عسكرية باكستانية الى الخليج. وكانت أمريكا قد خفضت قبل ذلك مساعداتها المالية لباكستان اعتبارا من أول أكتوبر 1990، لتصبح 208 مليون دولار بدلا من 573 مليون دولار سنويا، لأن باكستان رفضت أن تستجيب إلى الضغوط الأمريكية بوقف برنامجها النووي. وقد أجريت عملية سبر للآراء في الباكستان يوم 19 يناير 91، فظهر أن 98٪ يتعاطفون مع العراق مقابل 2٪ يتعاطفون مع أمريكا.[37] **ومرة أخرى نلفت نظر القراء إلى الموقف الأمريكي المعادي لأي برنامج نووي في أي دولة عربية أو إسلامية.. في الوقت الذي تساهم هي في تطوير البرنامج النووي الاسرائيلي.**

- *91/2/17*، **ديك تشيني في برنامج تليفزيوني يقول «أحد أهدافنا في تلك الحرب هو ضرورة التدمير الكامل لكافة القدرات الاستراتيجية العراقية. وقد دمرنا حتى الآن جزءا هاما منها.**

- 91/2/20، صرح رئيس الحكومة الفرنسية أن بوش طلب من جورباتشوف عندما عرض عليه مبادرته، أن يضيف إليها ضرورة قيام

العراق بتسليم جميع الأسلحة ذات الرؤوس الكيماوية، وأسلحة التدمير الشامل التي يملكها. (انظر مبادرة جورباتشوف الثالثة في الفصل الثامن).

- 91/2/23، البنتاجون الأمريكي يعلن أن القوات البرية العراقية تحملت خسائر تقدر بـ 40٪ من قدراتها نتيجة القصف الجوي.

- 91/2/28، جون ميجور يعلن أمام مجلس العموم البريطاني، أن بريطانيا تطالب بضرورة تدمير جميع أسلحة التدمير الشامل والصواريخ الباليستيكية التي يملكها العراق. (**المؤلف: لاحظ أيها القارىء المؤامرة الصليبية التي تقودها كل من واشنطن ولندن وباريس ضد الدول العربية والاسلامية فقد شنوا حملات إعلامية ضد ليبيا في 21/10/88 لاتهامها بأنها تقوم ببناء مصنع مواد كيماوية في الرابطة. وضد مصر في 11/3/89 لاتهامها بانها تقوم ببناء مصنع مواد كيماوية في أبي زعبل. وضد باكستان في 1/10/90 لاتهامها بأن لديها برنامجا نوويا. وضد الجزائر في منتصف أبريل 91، لاتهامها بأن لديها برنامجا نوويا في وسارة. وضد العراق خلال عامي 89، 90 ليس فقط لأن لديه برامج لانتاج أسلحة التدمير الشامل بل من أجل تدمير قواته العسكرية التقليدية أيضا. ويؤكد ذلك تصريح بوش في 2/11/90 و21/11/90؛ وتصريح ميتران 20/1/91، وتصريح تشيني في 3/2 و17/2/91، ثم تصريح جون ميجور هذا في 28/2/91. ثم القرارات التي اتخذت ضد العراق فيما بعد وأدت إلى تدمير الآلة العسكرية العراقية. فكيف لمن يعرف كل ذلك أن يشك في أنها ليست صليبية. إنها صليبية صهيونية بكل ما تحمل الصفة من معان**).

- 3/3/91، شبكات التليفزيون الأجنبية تعرض صورا عن مئات الدبابات وآلاف العربات العراقية التي دمرت أثناء انسحابها من الكويت... في نفس الوقت الذي كان فيه القادة العراقيون يوقعون في مدينة صفوان على الشروط التي فرضتها أمريكا على الجانب العراقي.

- **3/3/91، تشيني يعلن أن سحب القوات الأمريكية من الخليج قد يستغرق حوالي ستة أشهر. ولكن أمريكا ستحتفظ في المنطقة بقوات**

بحرية تقدر بمجموعة حاملة طائرات (المؤلف: مجموعة حاملة الطائرات تتكون عادة من حاملة طائرات وترافقها 7 سفن حربية)، وقوات جوية (لم يحدد حجمها) وقوات برية تقدر بحوالي فرقة مدرعة.

■ 91/3/6، القيادة الأمريكية تعلن - بعد عودة الأسرى واستجوابهم - أن الأسرى لم يُسأ معاملتهم في العراق. وكان في هذا الاعتراف العلني تكذيب قاطع لكل الحملات الاعلامية ضد العراق إبان الحرب، التي كانت تؤكد عكس ذلك.

■ 91/3/7، نشرت شبكة تليفزيون SKY ONE شريطا تليفزيونيا التقطه مندوبها في مدينة الكويت. وركز التحقيق بصفة خاصة على قصر أمير الكويت الذي كان يجري تنظيفه استعدادا لاستقبال الأمير... وعن حديقة الحيوان في الكويت. وقد أظهرت الصور قصر الأمير من الداخل ومن الخارج وهو في حالة ممتازة لدرجة أن مندوب SKY ONE أظهر تعجبه، وتساءل كيف لم يتعرض هذا القصر للنهب رغم ما به من أثاث فخم يقدر بعشرات الملايين من الدولارات. وكان من بين ما صوره وعرضه الفيلم صنابير من ذهب، وزرابي وثريات لم تمتد اليها أي يد. فكان ذلك أول اعتراف خجول من دول التحالف بأن العراق لم ينهب أثاث المنازل في الكويت كما كانوا يدعون. أما الجزء الخاص بحديقة الحيوان، فقد ظهرت فيه بعض الحيوانات وقد أصيبت ببعض الطلقات النارية أو شظايا المدفعية. ومع أن هذا أمر طبيعي بالنسبة لمدينة كانت مسرحا للعمليات، إلا أن المعلق قال «يقول الكويتيون أن الجنود العراقيين كانوا يتسلون باطلاق الرصاص على تلك الحيوانات». ***وتقديم الخبر بهذه الصورة يدل على منتهى الغباء الاعلامي. لأن مجرد بقاء حديقة الحيوانات في مدينة الكويت التي فرض عليها الحلفاء الحصار 210 يوما، هو في حد ذاته يعتبر دعاية حسنة للعراق... الذي تولى خلال تلك المدة اطعام شعب الكويت. بل وإطعام الحيوانات في الحديقة من الموارد العراقية.***

■ 91/3/11، شبكة تليفزيون SKY ONE تعرض شريط فيديو التقطه سرا شخص هاو كان في الكويت إبان الاحتلال العراقي. ويبين الفيلم إعدام 3 عراقيين في ميدان عام في الكويت، لاغتصابهم امرأة كويتية. ومع أن

الغـرض من عرض هذا الشريط كان هو التشهير بوحشية العراقيين، لتنفيذهم حكم الاعدام في ميدان عام... الا أنـه كان ردا مفحما على الدعايات الكويتية، التي كانت تكثر من اتهام العراقيين باغتصاب الحرائر. [34](*المؤلف: حوادث الاغتصاب تقع في كل بلاد العالم. ومن المؤكد أن بعضا منها قد وقع في الكويت أثناء حكم آل الصباح. ومن المؤكد أن بعضا منها قد وقع أثناء فترة الاحتلال العراقي للكويت. ولا يمكن توجيه اللوم إلى حكومة آل الصباح أو إلى سلطات الاحتلال العراقي على حوادث الاغتصاب إلا اذا ثبت أن السلطات الرسمية تشجع أو تتهاون مع من يرتكبون هذه الجريمة الشنعاء. وإن قيام السلطات العراقية باعدام من يرتكبون هذه الجريمة في ميدان عام، هو أقصى ما يمكن عمله تجاه هؤلاء المنحرفين*).

- 24/3/91، *التليفزيون الأمريكي يعرض صورة مقززة تثير الأسى والحزن. جنود أمريكيون في حافلة عسكرية أمريكية مملوءة بالخبز، في منطقة ما في جنوب العراق المحتل بواسطة القوات الأمريكية. ويتجمع حول الحافلة العديد من العراقيين. ويقوم الجندي الأمريكي بقذف أرغفة الخبز بطريقة فوضوية من أجل أن يتقاتل الناس للحصول عليها*. ولست أدري ما هو غرضهم من عرض هذه الصور. إن كان الغرض هو التأكيد على حالة المجاعة التي تسود العراق. فهم المسؤولون عن ذلك نتيجة حالة الحصار التي فرضوها عليه. ثم أن هذه المنطقة قد انسحبت منها القوات العراقية والادارة العراقية، وأصبحت تحت الادارة الأمريكية منذ أكثر من ثلاثة أسابيع. فاذا كان هناك خلل في أسلوب توزيع المواد الغذائية على السكان، فالمسؤولية تقع على قوات الاحتلال، طبقا لقواعد القانون الدولي. لو كانوا حقا يريدون توزيع المواد الغذائية على الناس لأسباب انسانية، فقد كان الأجدر بهم أن يتبعوا أسلوبا حضاريا في التوزيع. ولكن يبدو للأسف الشديد أن ذلك لم يكن هدفهم. بل كان هدفهم هو إذلال العرب والتشفي فيهم.
- 27/3/91، شوارتزكويف يقول في حديث متلفز على شبكة SKY ONE، أنه كان يرى الاستمرار في القتال لتدمير الجيش العراقي بالكامل، ولكنه

امتثل لأوامر الرئيس بوش بضرورة التوقف في وقت معين وعند حدود معينة. وقال أنه أبلغ القادة العراقيين في لقائه معهم يوم 3 مارس، أنه محظور عليهم استخدام الطيران، ولكنهم طلبوا منه السماح لهم باستخدام الطائرات هيليوكوبتر فوق أراضيهم لاجراء الانتقال والاتصال، وأنه وافق على ذلك. ثم أضاف قائلا «لم أكن أدري أنهم سيستخدمونها ضد الأكراد. لقد استغفلني العراقيون».

- **91/3/28، شوارتزكوبف يستكمل حديث اليوم السابق فيقول «لقد بدأنا في تحريك قواتنا البرية الى المواقع التي سينطلقون منها لتطويق القوات العراقية اعتبارا من يوم 17 يناير، أي أكثر من خمسة أسابيع قبل بدء الهجوم البري. فان حشد قوات بهذا الحجم وتكديس احتياجاتها في مناطق قريبة منها يحتاج إلى وقت. وعن سؤال هل كنت تتوقع أن ينهار الجيش العراقي بهذه السرعة، أجاب الجنرال «لا. فلو اختاروا الصمود والقتال لاحتجنا إلى ثلاثة أسابيع على الأقل ولتحملنا خسائر تقدر ببضعة آلاف».**

- ***91/4/18، منظمة العفو الدولية أجرت تحقيقا تليفزيونيا، عن أعمال القمع والتعذيب الوحشية التي يمارسها الكويتيون ضد الفلسطينين. ونظرا لبشاعة الصور الملتقطة، فان مقدم البرنامج في SKY ONE نصح*** *أصحاب القلوب الضعيفة - قبل أن يعرض الصور - بعدم المشاهدة.*

- ***91/5/9، شبكة SKY ONE تعرض فيلما يبين كيف قامت طائرات Apache الأمريكية بتدمير 240 دبابة غرب البصرة بعد يومين من وقف إطلاق النار.*** كانت معركة من جانب واحد لأن الدبابات العراقية لم يكن لديها الأسلحة التي تتعامل بها مع تلك الطائرات. ويعلق المذيع فيقول إن تدمير هذه الفرقة المدرعة العراقية قد تم بأوامر من الجنرال شوارتزكوبف ***(المؤلف: لم يعد للخجل مكان بين هؤلاء الناس الذين يتفاخرون بخطيئة مزدوجة. خطيئة قتل من لا يملك ومن لا يستطيع أن يدافع به عن نفسه. وخطيئة القتال بعد وقف اطلاق النار).***

- ***91/5/23، شوارتزكوبف يقول في رسالة موجهة الى الشعب الاسرائيلي «إن الحرب التي خاضها رجالنا في منطقة الخليج كانت من أجلكم... من أجل اسرائيل. وقد عمل الرجال على تحطيم العدو الرئيسي لكم في المنطقة».***

الاعـــلام العـــراقي

- 88/11/30، أعلن العراق، أنه أنتج صاروخا مضادا للصواريخ. وقد نقـل التليفـزيون العراقي فيلما عن التجربة التي قيل أنها وقعت يوم 19 نوفمبـر 88، وقد أطلق على الصاروخ المضاد للصواريخ اسم فـاو ـ 1. وقال السيد حسين كامل وزير الصناعة العراقي في رسالة بعث بها للرئيس صدام حسين أن الصاروخ فاو ـ 1 اعترض صاروخ أرض أرض متوسط المدى وهو في الجو، وقام بتدميره تدميرا كاملا. وأن هذا الصاروخ قد تم تطويره بأيدي عراقية، تحت إشراف اللواء المهندس عامر محمد راشد. وفي تعليقي على هذا الحدث، هنأت العراق على ما أعلنه، ولكني أوضحت شكوكي بأن هناك عدة مشاكل يجب على العراق أن يحلها قبل أن نطمئن على قدرته في تدمير الصواريخ المعاديـة.[9]

- خلال مايو 89، أقام العراق معرضا للانتاج الحربي العربي، كان من أبرز ما عرض فيه طائرة أواكس عراقية، والمدفع مجنون. (التفاصيل في الفصل الأول من هذا الكتاب).

- 89/12/7، أعلن العراق **أنه اختبر بنجاح صاروخا يصل إلى** الفضاء. وقد قال السيد حسين **كامل وزير الصناعة في رسالة بعث بها** إلى الرئيس صدام حسين، أنه في يوم **الثلاثاء 5 ديسمبر، تم بنجاح إطلاق** الصاروخ الذي طوله 25 مترا ووزنه **48 طنا الى الفضاء. وأنه في نفس** الوقت قد تم تطوير صاروخ أرض **أرض ذو مدى 000 2 كيلومـتـر. . .** وأن عمـلية الاطلاق قد تمت من **مركز وقاعدة البحوث الفضائية في الانبار** (المؤلف: قاعـدة الانبـار هي نفس **القـاعدة التي كان قد وقع فيها انفجار** كبير في 89/8/17، والتي قال الاعلام الأمريكي أنه راح ضحيتها 700 قتيل من مصريين وعراقيين، كانوا يعملون في تلك القاعدة. وأعتقد أن العراق قد تعجل في القيام بتجربة هذا الصاروخ كرد فعل لانفجار 17 أغسطس، وكرد فعل لانسحاب مصر ـ نتيجة ضغوط أمريكية ـ من مشروع تطوير صاروخ CONDOR - 2، الذي كانت هي والأرجنتين تشتركان مع العراق في تطويره).

- 90/2/24، ندد صدام حسين في الخطاب الذي ألقاه أثناء انعقاد مؤتمر قمة مجلس التعاون العربي في عمان، بالتصريحات والتصرفات الأمريكية تجاه قضايا الأمن القومي العربي، وتجاه حقوق العرب الفلسطينيين في وطنهم. ونَدد بتواجد الأساطيل الأمريكية في الخليج، وتصريحاتهم المتكررة بأنهم لا ينوون الخروج من الخليج. كما ندد بهجرة اليهود السوفييت إلى فلسطين، وقيام أمريكا بدعم هذه الهجرة. وطالب الدول العربية بسحب مدخراتهم المكدسة في البنوك الأمريكية والغربية احتجاجا على هذه السياسة.[٩٥]

- 90/3/15، تم تنفيذ حكم الاعدام في الصحفي البريطاني فارزارد بازوفت Farzard Bazoft، بعد ثلاثة أيام من صدور الحكم عليه بالاعدام بواسطة محكمة عسكرية عراقية لارتكابه جريمة التجسس. والصحفي بازوفت هو إيراني المولد، يقيم ويعمل في بريطانيا. وقد اعتقلته السلطات العراقية في سبتمبر 89، عندما كان يحاول استطلاع نتائج الانفجار الذي وقع في القاعدة العراقية في 17/8/90. وقد اعترف أمام المحكمة بأنه كان يتجسس لحساب المخابرات البريطانية والمخابرات الاسرائيلية. وقام العراق بعرض هذه التسجيلات بالصوت والصورة على التليفزيون العراقي قبل اعدامه.

- ***90/4/2، (خمسة أيام بعد الضجة الاعلامية الغربية عن مصادرة 40 جهاز تفجير نووي في مطار لندن كانت في طريقها الى بغداد)، أعلن صدام حسين في مؤتمر أذيع في التليفزيون، ونقلته جميع الشبكات العالمية، «إن العراق لا يملك أسلحة نووية لأننا لسنا في حاجة إليها. فنحن نملك السلاح الكيماوي. وإننا نحذر هؤلاء الذين يهددوننا بالسلاح النووي، بأننا سنقضي عليهم بالسلاح الكيماوي المزدوج». وعن الأجهزة التي ضبطت في لندن قال صدام حسين «إنها مجرد مكثفات كهربائية تستخدم في كثير من الأغراض الصناعية والعلمية والهندسية. واذا كانت أمريكا وانجلترا تريدان بهذه الحملة أن توفر الغطاء السياسي والدبلوماسي لاسرائيل، من أجل أن تقوم بتوجيه ضربة إلى العراق، فانهم مخطئون. ولو أقدمت إسرائيل على شيء من هذا السبيل، فسوف نجعل النار تأكل نصف إسرائيل».***

- 1990/5/8، ظهـر صدام حسـين على التليفـزيون ومعـه جهـازان متشابهان. وقال هذان الجهازان هما شبيهان للأجهزة التي صادرتها الجمارك البريطانية يوم 90/3/28، على أساس أنها أجهزة لتفجير القنابل النووية. وكانت دفعة منها قد وصلت الينا من الولايات المتحدة. *ثم أمسك جهازا في اليـد اليمنى وآخـر في اليـد اليسرى، وقال «أحدهما صناعة أمريكية والآخر صناعة عراقية فهل يستطيع أحد أن يفرق بين العينتين»*.

- *90/6/28، جدد صدام حسين تهديده بشن حرب شاملة ضد إسرائيل، في حالة ما إذا اعتدت اسرائيل على العراق أو على أي دولة عربية*. ولكنه أوضح بأن ذلك لا يعني قيامه بتوجيه الضربة الأولى. وقال «إننا نقول أننا سنضربهم بكل ما نملك من أسلحة، إذا اعتدوا على العراق أو على العرب.[41]

- 90/7/17، صدام حسين يندد بالدول الخليجية التي تقوم بضخ كميات من النفط تزيد عن الحصص المخصصـة لها، ويخص بالـذكـر كلا من الكويت ودولة الامارات. ويهدد بأن العراق لن يلتزم بعد الآن بالصمت تجاه هذه السياسة الخطيرة.

- 90/7/25، أبلغ صدام حسين سفيرة الولايات المتحدة في العراق بطريقة دبلوماسية بأنه قد يلجأ إلى عمليات فدائية داخل الولايات المتحدة عندما قال لها «إننا لا نستطيع أن نصل إليكم في الولايات المتحدة بكامل قوتنا. ولكن بعض الأفراد العرب يستطيعون الوصول إليكم».

- 90/8/8، دعـا صدام حسـين في رسـالـة وجهها إلى الشعب العراقي والعـرب والمسلمين، جاء فيها «إن جيوش الغزاة احتلت ودنست أراضي مقدسات المسلمين والعرب. ولذلك فقد حق علينا جميعا الجهاد المقدس لنخلص الحرمين الشريفين من الأسر والاحتلال. إن الغزاة إذا أرادوا أن يحتلونا عسكريا فسنسحقهم وسنقضي على كل من تعاون معهم».

- 90/8/29، أدلى صدام حسين بحديث إلى شبكة CBS الأمريكية، حذر فيه الولايات المتحدة من القيام بأي محاولة هجومية ضد العراق. وقال «إن هذا الهجوم سيكون بالنسبة لكم مأساة تتعدى مأساة فيتنام». *وعن سؤال*

عما إذا كان سيستعمل الأسلحة الكيماوية، اكتفى صدام حسين بإجابة غامضة تحمل أكثر من معنى، عندما أجاب «العدو لا يجب أن يتوقع بأن يكون العراق فريسة سهلة».

- 90/9/10، أعلن العراق ـ ردا على الحصار الذي فرض عليه ـ بأنه على استعداد بأن يمنح البترول مجانا إلى دول العالم الثالث. ولم يشترط لذلك سوى أن تتحمل تلك الدول تكاليف النقل فقط. وأضاف بأن الموقف العراقي لن يكون مرتبطا بموقف كل دولة من أزمة الخليج. إذ أن العراق يتفهم موقف كل دولة. ويعلم أن هناك اعتبارات خاصة لكل موقف. (المؤلف: لم تستجب أي دولة من دول العالم الثالث لهذا العرض العراقي السخي، لأن أمريكا سارعت بالتنديد بهذا العرض العراقي، واعتبرته محاولة للخروج من حالة الحصار المفروضة عليه).

- 90/9/20، العراق يهدد بنسف كل حقول البترول في الخليج إذا تعرض للهجوم.

- 90/9/21، نشرت صحيفة القادسية مقالا بتوقيع رئيس تحريرها اللواء منذر عبد الرحمن يقول فيه *«ان التشويش الذي تعرضت له طائرات الأواكس الأمريكية على الحدود السعودية العراقية مؤخرا، هو جزء من مفاجآت عراقية منتظرة إذا اندلعت الحرب في الخليج»*.

- 90/9/22، مجلس قيادة الثورة العراقي يعلن أن لا انسحاب مطلقا من الكويت.

- 90/9/23، أعلن صدام حسين أنه سوف يضرب إسرائيل وحقول النفط في منطقة الخليج، اذا وصل العراق إلى حالة الاختناق، نتيجة الحظر الاقتصادي والعسكري المفروضين عليه.

- 90/9/26، وجه صدام حسين خطابا الى الشعب الأمريكي حذر فيه من فيتنام جديدة. (سبق أن نشرنا هذا الخطاب بالكامل في الجزء الأول، الصفحات 205 ـ 227).

- 90/10/7، وجه وزير الخارجية العراقي خطابا الى رئيس الجمعية العامة للأمم المتحدة يشرح فيه موقف بلاده من الأزمة. وأوضح فيه كيف أن الأمم

المتحدة ـ نتيجة الضغوط والسيطرة الأمريكية ـ تتخذ مواقف متشددة ضد العراق، ولا تتخذ نفس المواقف ضد إسرائيل.

- 90/10/12، صرح الناطق الرسمي العراقي في تعليقه على خطاب الرئيس الأمريكي أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة... الذي أعلن فيه عن رغبته في تدمير الأسلحة الكيماوية، فقال **«إن العراق يؤيد تدمير كل أسلحة التدمير الشامل في المنطقة وليس الأسلحة الكيماوية فقط.. وألا يشمل هذا الاجراء العرب وحدهم، وانما يشمل الجميع بما في ذلك اسرائيل»**.

- 90/11/8، أعلن العراق تعيين الفريق حسين رشيد رئيسا لأركان حرب القوات المسلحة خلفا للفريق نظير الخزرجي (المؤلف: أثار هذا التغيير الكثير من التساؤلات والتعليقات... حيث أن تغيير رئيس الأركان بعد ثلاثة شهور من الاستعداد للمواجهة الكبرى ضد أمريكا يعتبر خبرا مثيرا وغير عادي. وقد ذهب بعض المعلقين إلى القول بأنه قد أعدم).

- **90/11/17، صرح اللواء منذر عبد الرحمن مدير التوجيه المعنوي والارشاد في القوات المسلحة العراقية، بأن العراق يمتلك مدفع يوم القيامة.**[42]

- 90/11/30، وجه صدام حسين خطابا إلى الشعب العراقي والشعب العربي والأمة الاسلامية ـ ردا على قرار مجلس الأمن 678 الذي يبيح التدخل العسكري ضد العراق ـ فقال «سنلقن الأشرار درسا لا مثيل له في التاريخ».

- 90/12/21، أعلن صدام حسين في حديث له مع التليفزيون الألماني، أن الرئيس الأمريكي بوش لا يستطيع تحمل مسؤولية 5 000 قتيل في صفوف الجنود الأمريكيين بالخليج.

- 90/12/22، أعلن صدام حسين في حديث له مع التليفزيون الاسباني أنه **«إذا ما قام العدوان، فاننا نفترض أن إسرائيل قد اشتركت فيه. ولذلك فمن غير أن نسأل، سوف نضرب إسرائيل. فبعد الضربة الأولى التي تقع**

على بغـداد أو على الجبهـة ، سوف تكـون الضربـة الثـانيـة في تل أبيب.[41]

■ 90/12/31 ، أدلى صدام حسين بحديث إلى شبكة CNN الأمريكية بمناسبة عيد الميلاد والسنة الجديدة، شبه فيه الرئيس الأمريكي بيهوذا الذي خان المسيح ، كما اتهم الحكومة السعودية، بأنها خانت الاسلام .

■ *91/1/1 ، أعلن الرئيس صدام حسين في التليفزيون العراقي أن الجيش العراقي استكمل نشر 250 000 جندي إضافي على جبهة القتال، مما يرفع عدد القوات المنتشرة على حدود السعودية إلى 60 فرقة عراقية .*

■ *2 ينـايـر 91 ، أعلن العراق أنه أنتج رادارا محمولا جوا أكثر تطورا من الأواكس الأمريكية. وأنه تم اختبار هذا الرادار بنجاح في 15 ديسمبر 1990 .*

■ 11 ينـاير 91، أكـد صدام حسـين أمـام المشاركين في المؤتمر الاسلامي الشعبي المنعقـد في بغداد، أن العراق قد نشر أمام أوكار الغدر والخيانة والشر 60 فرقـة مقـابـل 14 فرقة لقوات التحالف. وأضاف بأن العراق سيحقق النصر في المنازلة المقبلة. . . لأنها مواجهة بين الكفر والايمان، وبين الحق والباطل، وبين الخيرين والأشرار.

■ *13 يناير 91 ، اتصلت بالقائم بالأعمال العراقي في الجزائر، وقلت له أن الحرب أصبحت مؤكدة، بعد أن وافق الكونجرس الأمريكي بمجلسيه على تفويض الرئيس الأمريكي باستخدام القوة. وبالتالي فانه يجب على العراق أن يوجه الضربة الأولى فورا وبدون انتظار. حيث أن قيام أمريكا بتوجيه الضربة الأولى سيكلف العراق خسائر جسيمـة . ووعد بأن يقوم بابلاغ هذه النصيحة إلى بغداد فـورا .*

■ *14 يناير 91 ، نشرت صحيفة مساء الجزائر Soir D'Algerie حديثا أجراه بلقاسم بالليل مع الفريق الشاذلي يوم 13 يناير. وعن سؤال عن تعليقي على قرار الكونجرس الأمريكي بتفويض الرئيس بوش باستخدام القوة، أجبت بمايـلي «الحـرب أصبحت مؤكدة. وقرار الكونجرس يعتبر بمثابة إعلان حرب ضد العراق. وبالتالي فمن حق العراق اليوم أن يقوم بتوجيه*

الضربة الأولى، حيث أن قيام القوات الأمريكية بتوجيه الضربة الأولى، قد تفقده 50 ـ 75٪ من قدرات الدفاع الجوي وقدرات الردع العراقية المتمثلة في الصواريخ. وبالتالي فاني لن أصاب بالدهشة إذا أقدم العراق على توجيه الضربة الأولى».

- **18 يناير 91، العراق يقصف إسرائيل بصواريخ الحسين.**

- 91/1/20، (اليوم الرابع لبدء الهجوم الصليبي) قال صدام حسين في كلمة بثتها الاذاعة والتليفزيون العراقيين «العراق مازال محتفظا بقوته. فالقوات البرية لم تستخدم بعد في المعركة. ولم يشترك من القوات الجوية سوى جزء ضئيل. وعندما تبدأ المعركة الشمولية وتستخدم جميع أسلحتنا، فان حجم الموت سيزداد في صفوف الأعداء». وقد وجه صدام حسين نداء إلى جميع العرب والمؤمنين حيثما كانوا، طالبهم فيه «بالجهاد ضد الكافرين والصهاينة وحكام الخيانة والعار».

- ***91/1/21، أعلن العراق أنه أسقط 160 طائرة معادية، في حين أن دول التحالف أعلنت أنها لم تفقد سوى 17 طائرة فقط.***

- 91/1/21، عرض التليفزيون العراقي 7 طيارين أسرى (4 أمريكي، 2 بريطاني، 1 إيطالي). وقد أدلوا جميعا بأنهم ضد الحرب. وفي اليوم التالي عرض 2 طيار أمريكي آخرين.

- 23 يناير 91، سلم سفير العراق في الأمم المتحدة للأمين العام للأمم المتحدة رسالة، جاء فيها أن حصيلة القصف الجوي المعادي للعراق بالطائرات والصواريخ، قد خلف فيما بين 16 ـ 22 يناير، 41 قتيلا، 191 جريحا.

- 27 يناير، وجه وزير الخارجية العراقي رسالة إلى الأمين العام للأمم المتحدة، أشار فيها إلى الموقف المخزي للمنظمة الدولية من الهجمة العدوانية التي تقودها أمريكا ضد بلاده. كما ضمنها بيان بأعمال القصف الوحشي الذي تعرضت له المناطق السكنية في العراق ما بين 17 ـ 21 يناير. جاء في الرسالة بيان تفصيلي عن الخسائر في كل محافظة من محافظات

العراق. ويتضح من هذه الرسالة أن الخسائر بالمئات وليس بالعشرات كما جاء في الرسالة التي سبق أن تقدمت بها العراق قبل ذلك ببضعة أيام. وفي نفس اليوم ظهرت بقعة من الزيت في مياه الخليج طولها 35 ميل وعرضها 10 ميل أمام شواطىء الكويت.

■ *28 يناير، أجرى صدام حسين حديثا مطولا مع شبكة التليفزيون الأمريكية CNN . ولعل هذا الحديث هو أخطر حديث أدلى به صدام حسين طوال فترة الحرب. (**) وقد جاء فيه النقاط الرئيسية التالية:*

1 - كنتم تنتقدوننا على احتجاز مواطنين غربيين. والآن فانكم تحتجزون طلابنا الذين ذهبوا للدراسة في الغرب. حتى الأشخاص الأمريكيين الذين من أصل عربي، يواجهون اليوم معاملة شاذة تتعارض مع قوانين البلاد التي يحملون جنسيتها.

2 - العالم يحتاج إلى من يقول لمالك أثقل هراوة في العالم، بأن الهراوة التي في يدك لا تستطيع أن تهدم بيت الله... ولا تستطيع أن تهدم إنسانية إنسان.

3 - لقد قال لكم بوش أنه ذاهب إلى إخراج الجيش العراقي من الكويت. هل اكتشفتم اليوم أنه كذاب. إنه لم يبدأ بالهجوم على القوات العسكرية في الكويت، بل إنه بدأ بضرب الأماكن العلمية والاقتصادية في العراق.

4 - إن الادارة الأمريكية تآمرت مع حكام الكويت ضد العراق. ***ألا تعلم أن إدارة بوش قد قررت منع تصدير الحبوب والمواد الغذائية للعراق قبل خمسة أشهر من بداية أحداث آب (أغسطس 90).. وأنها قررت أيضا مقاطعة العراق تكنولوجيا وعلميا قبل أكثر من خمسة أشهر من أحداث الثاني من آب.***

5 - كان السياسيون الغربيون الدجالون يقولون أن الابقاء على الغربيين وعدم سفرهم هو الذي سيجعل الحرب تقع، أما السماح لهم بالسفر فانه سيجعل الحرب لن تقع. والآن وقد أصبح الموضوع

ماضيا. هل كان بوش سيضرب بغداد لو كان الخمسة آلاف غربي وياباني في العراق؟

6 - الادارة الأمريكية هزمت منذ أن وقع بوش قراره بالحرب. إنه يجمع جيوشه وجيوش حلف الأطلسي لكي يهاجم شعبا من 18 مليون. ثم إنه يجمع الأموال لدعم جيشكم الذي بعثتموه ليعتدي علينا.

7 - وعن سؤال عن مدة الحرب قال صدام حسين الله أعلم. ولكن الذي نحن متيقنون منه في صدورنا وضمائرنا، هو أن العراقيين سيقاتلون بمستوى سيعجب الانسان داخل الشخصية الأمريكية، وستسيل دماء كثيرة من الأمريكيين، ومن كل من يشترك في القتال.

8 - وعن سؤال حول استخدام الأسلحة الكيماوية في الحرب أجاب «سنستخدم الأسلحة التي ستكافىء الأسلحة التي تستخدم ضدنا، دفاعا عن أرضنا العراق. العراق بكل حدوده من زاخو إلى البحر».

9 - وعن سؤال عن سبب ضرب إسرائيل بالصواريخ رغم عدم مشاركتها في الهجوم أجاب. «هذه الحرب هي حرب إسرائيل والصهيونية. لكن الصهيونية تقاتل بدماء الأمريكيين» (المؤلف: هذه الاجابة تكاد تتطابق مع ما أدلى به الجنرال شوارتزكوبف في الحديث الذي أدلى به بعد الحرب لمندوب الاذاعة الاسرائيلية يوم 23 مايو 91. وقد سبق أن نشرنا هذا التصريح).

10 - وعن سؤال عما يستطيع أن يحمله صاروخ الحسين، أجاب صدام حسين أنه يستطيع أن يحمل رؤوسا ذرية وكيماوية وبيولوجية.
وعن سؤال عن احتمال استخدام هذه الأسلحة أجاب صدام: كما قلت إننا نستخدم السلاح الذي يكافىء السلاح المقابل. ورغم كل هذا التفوق الجوي فاننا مازلنا لم نخرج عن سكة التوازن في طريقة التصرف. وأتمنى ألا تسيل دماء كثيرة. ونأمل ألا نضطر الى الاضطرار.

11 - وكان السؤال الأخير هو هل لديك شك في خسارة المعركة. فأجاب صدام: ولا واحد في المليون.

- 91/1/29، بثت الاذاعة العراقية بيانا رسميا تدحض فيه ما تروجه الدعاية المعادية، عن قدرة تصدي الصاروخ الأمريكي باتريوت للصاروخ العراقي الحسين قبل وصوله إلى الهدف.

- 91/2/4، العراق يعلن «قواتنا في انتظار الأوامر للقيام بهجوم كاسح» (المؤلف: هذا الاعلان هو نموذج حي للخبر الذي يقصد به تضليل الأصدقاء دون الأعداء... حيث أن العدو في هذه الحالة يعلم جيدا أن العراق لا يستطيع القيام بأي هجوم بري، في ظل السيادة الجوية التي تتمتع بها دول التحالف. *وكمبدأ عام، ففي أثناء الحروب، عندما يلجأ أحد الأطراف الى تضليل شعبه وأصدقائه بأخبار ومعلومات كاذبة، في الوقت الذي يكون فيه خصمه على معرفة تامة بحقيقة موقفه... فان ذلك يكون بمثابة تقديم خدمة مجانية للخصم. لأن ذلك يعني أنه قد أصبح في مأزق لا يستطيع أن يصارح به شعبه*).

- *91/2/12، دعا السيد طه ياسين رمضان النائب الاول لرئيس الوزراء العراقي، العرب والمسلمين المتعاطفين مع العراق بتجاوز الاحتجاجات والمظاهرات، الى تدمير مصالح الدول المشاركة في التحالف المناهض للعراق.*

- *91/2/16، العراق يعلن أن من حقه أن يستخدم الأسلحة الكيماوية إذا استمر الحلفاء في قصف الأهداف العراقية من ارتفاع عال (المؤلف: تصريح غريب. فلو أن صدام حسين كان ينوي فعلا استخدام الأسلحة الكيماوية، فانه كان من الأفضل ألا يصدر عنه هذا التصريح. وإذا لم يكن في نيته أصلا استخدام الأسلحة الكيماوية فقد كان من الأفضل له ألا يدخل الحرب إطلاقا).*

- 91/2/19 ، سعدون حمادي يعلن أن خسائر العراق خلال الـ 25 يوم الأولى من الحرب ، بلغت 000 20 قتيل ، 000 60 جريح ، وخسائر مادية تقدر بـ 100 مليار دولار .
- 91/2/25 ، العراق يعلن الساعة 00 19 ، بأنه صد جميع الهجمات البرية . وفي الساعة 2330 من نفس اليوم يعلن قراره بالانسحاب من الكويت .

مشـــــاكل اعلاميـــــــة

الحاكم بين نارين

منذ عصر سن تسو SUN TZU وحتى الى وقت قريب، لم تكن وسائل الاتصال بين الدول قد تطورت إلى هذا الحد المذهل الذي نشاهده اليوم. فكان في استطاعة الحاكم أن يتكلم بشيء عندما يخاطب شعبه. وأن يتكلم بشيء آخر عندما يخاطب العدو. وأن يتكلم بشيء ثالث وهو يخاطب الدول الأخرى. كان في استطاعته أن يفعل ذلك وهو في مأمن من أن يعرف كل فريق ما قاله للآخرين. أما اليوم وبعد أن أصبحت الأقمار الصناعية تلتقط الصور التليفزيونية وتنقلها عبر العالم... وبعد أن اقتحم التليفزيون كل منزل.. فقد أصبح العالم وكأنه قرية صغيرة يلم كل فرد فيها بما يجري في جميع أنحاء العالم. فعندما يخاطب الحاكم شعبه عبر الراديو أو التليفزيون فان جميع أعدائه يسمعونه ويشاهدونه في نفس الوقت. ومن هنا فان الحاكم يجب عليه أن يحدد موقفه قبل أن يتوجه الى شعبه عبر الاذاعة والتليفزيون. ماذا يقول لشعبه من حقائق دون أن يستفيد منها العدو؟ وماذا يقوله ليخدع به عدوه دون أن يخدع شعبه؟.

ولكي يجيب الحاكم إجابة عقلانية على هذين السؤالين، فانه يجب أن يكون على علم بامكانيات خصمه الحقيقة ـ وليست الدعائية ـ فيما يتعلق بامكانيات عدوه في الحصول على المعلومات بوسائله الخاصة. وعلى ضوء ما يعرف من معلومات عن عدوه، وما يعتقد أن عدوه يعرف عنه... يجب على الحاكم أن يوجه لنفسه سلسلة من الأسئلة التي تؤثر على اتخاذ قراره. مثال ذلك: هل يعرف عدوي حجم قواتي المسلحة وقدراتها وأماكن انتشارها؟ ما هي قدراته في متابعة تحركاتي إذا قمت بتغيير أماكن حشد القوات؟ هل لديه أقمار تجسس، وما هي امكانيات تلك الأقمار؟ لو كنت أنا مكان عدوي فما هي أفضل الخيارات المفتوحة أمامه، على ضوء ما يعرفه عني وعن قدرات بلادي وشعبي وقواتي المسلحة؟ ***وعلى ضوء الاجابات الصحيحة عن تلك الأسئلة الرئيسية وعشرات الأسئلة الأخرى المتفرعة منها، فان الحاكم يصبح على دراية بما يمكن***

أن يخبر به شعبه وما يجب عليه إخفاؤه . . . وما يمكن أن يقوله ليخدع به عدوه دون أن يخدع شعبه. ففي فترة ما قبل الحرب، يجب عليه ألا يبالغ في تقييم قدراته ويقلل من قدرات عدوه. وعندما تبدأ الحرب الساخنة فان البيانات العسكرية يجب أن تتصف بأكبر قدر من المصداقية التي لا تكشف نواياه المستقبلية. وعلى سبيل المثال، فان الحاكم عندما يعلن أن قواته أسقطت 50 طائرة من طائرات العدو في حين أن الحقيقة هي إسقاط 5 طائرات فقط، فانه يكون قد ارتكب خطأ جسيما، وهو أنه قد يبدأ يخدع شعبه، دون أن يخدع خصمه. فالعدو يعرف جيدا أن جميع طائراته قد عادت إلى قواعدها سالمة فيما عدا 5 طائرات فقط، وبالتالي فانه يصبح على يقين بالمأزق السياسي والعسكري الذي أصبح فيه هذا الحاكم. أما شعب هذا الحاكم فانه سيكون هو الضحية الأولى لتلك البيانات الكاذبة، التي لابد وأنها ستنكشف بعد فترة قصيرة. ودروس التاريخ تؤكد أن البيانات العسكرية الكاذبة وقت الحرب، هي الخطوة الأولى نحو الهزيمة.

أهداف الاعلام في الحرب

أن يذهب الانسان إلى الحرب، ويعرض حياته لخطر الموت، فانه لابد أن يكون لديه دافع قوي لذلك. وهذا الدافع إما أن يكون عقيدة دينية. وإما أن يكون دفاعا عن مصالح وأطماع دنيوية. وحول هذين الدافعين الرئيسيين ينشط الاعلام بين الأطراف المتخاصمة. كان الاعلام العراقي يركز على هذين العاملين. فهو ينادي بالجهاد ضد الكفار الذين يحتلون الأراضي المقدسة. وينادي في نفس الوقت بتحرير آبار البترول والثروات العربية من السيطرة الأمريكية، التي تحصل عليها بأثمان بخسة، في مقابل حماية الأنظمة الحاكمة في منطقة الخليج. وكان الاعلام الغربي يركز على أن الحرب ليست بين المسلمين وغير المسلمين. ويستدل على ذلك بأن 14 دولة إسلامية تشارك بقواتها مع امريكا ضد العراق. (كان العراق يرد على ذلك بأن الانظمة الحاكمة في تلك الدول لا تمثل شعوبها). *وكان الاعلام الغربي عندما يخاطب الجماهير فانه كان يخاطب كلا منها بأسلوب معين. فعندما كان يخاطب الشعوب الغربية، فانه كان يحذرها من انتصار صدام حسين في هذه الحرب*

الاقتصادية . . . حيث أن انتصار صدام حسين سوف يعني ارتفاع سعر الطاقة وما يتبعها من ركود اقتصادي وانخفاض في مستوى المعيشة في تلك الشعوب. وعندما كان الاعلام الغربي يخاطب الشعوب العربية فانه كان يبالغ في قسوة ودموية النظام العراقي. ويحذرهم بأن انتصار صدام حسين لن يترتب عليه فقط وقوعهم تحت سيطرة هذا النظام الدكتاتوري فحسب، بل إن شعوبهم ستصبح شعوبا من الدرجة الثانية والثالثة، يتحكم فيها الشعب العراقي الذي تجلس على قمته عائلة صدام التكريتي.

ومن خلال هذه الأهداف الاعلامية الرئيسية كان كل طرف يبحث عن المبررات القانونية والدينية التي تؤيد موقفه. . مثل سيادة الدولة. . . الوحدة العربية. . . وحدة الامة الاسلامية. . . الشرعية الدولية. . . الشريعة الاسلامية. . . تهديد الاراضي المقدسة. . . التوازنات الاقليمية. . وقد سبق أن ناقشنا هذه المواضيع في الجزء الاول.[45] ***ولكن كل ذلك كانت تحركه قوتان كامنتان في أعماق قلوب أصحابها. قوتان تتصارعان. . . يقوم كل فريق بتغليب إحداهما على الأخرى. هاتان القوتان هما المصالح الدنيوية. . . والعقيدة الدينية.***

وكالات الانباء سلاح ذو حدين

لقد أصبحت وكالات الأنباء العالمية، مصدرا هاما من مصادر المعلومات. وقد بلغت من القوة والانتشار بحيث أصبح في استطاعتها أن تغطي الأخبار والأحداث الهامة التي تقع في أي بقعة في العالم فور وقوعها، وقبل أن يصبح ذلك في مقدور السلطات الرسمية ذاتها. ويؤيد هذه الحقيقة القصة الطريفة التي يرويها الجنرال باول رئيس اركان القوات المسلحة الامريكية الحالي، والتي جاء ذكرها في كتاب The Commanders الصفحة رقم 236. يقول الجنرال باول أنه عندما كان يشغل منصب مستشار الرئيس ريجان لشئون الأمن القومي، ذهب الى الكنيسة ليحضر حفل عقد قران إبنة أحد أصدقائه. وأثناء وجوده في الحفل سمع نبضات جهاز الاستقبال الصغير الذي يحمله في جيبه، وهو ما يعني ضرورة اتصاله بمكتبه. فخرج مسرعا من الكنيسة تلاحقه أنظار جميع من في الكنيسة. وبعد أن اتصل بمكتبه عن طريق هاتف السيارة، عاد

باول إلى الكنيسة مرة أخرى. فلما سألته زوجته عن سبب هذا الاستدعاء، همس قائلا بأنه وقعت محاولة لاغتيال الرئيس التركي Turgut Ozal . فردت عليه زوجته Alma «يا إلهي لقد سمعت هذا الخبر من الراديو قبل ذلك بثلاث ساعات». ويستطرد باول في سرد القصة فيقول أنه لم يشعر بالمهانة في حياته كما شعر بها في تلك اللحظة. أما المستر Pete Williams وكيل وزارة الدفاع الأمريكية للعلاقات العامة، فيستعرض أهمية وكالات الأنباء العالمية كمصدر من مصادر المعلومات بقوله ما يلي «يستطيع رجال صدام حسين أن يشاهدوا CNN عندما يطلقون صواريخ سكود (الحسين) ضد السعودية وإسرائيل ثم يشاهدونها على شاشات CNN وهي تصل الى أهدافها». [46] ولكن بقدر ما تسببه هذه الوكالات من متاعب للسلطات الرسمية، فانها تقوم في الوقت نفسه بتقديم خدمات جليلة لتلك السلطات. وكما يقول بيت ويليامز *«عندما نود في البنتاجون أن نبعث برسالة إلى صدام حسين فاننا نتجه إلى التليفزيون. وقد تعاونت السلطات الأمريكية والاسرائيلية مع التليفزيون، من أجل تغطية وصول بطاريات الباتريوت إلى اسرائيل. فقد كنا حريصين على أن يعرف العالم، وأن يعرف صدام حسين بأننا نبعث بطاريات باتريوت إلى اسرائيل»*. [47]

ولكي يقلل البنتاجون من احتمال تسرب المعلومات إلى العراق عن طريق وسائل الاعلام الأمريكية، فان Pete Williams عقد مؤتمرا مع وسائل الاعلام قبل اندلاع العمليات ببضعة أيام، وأخطرهم بما هو محظور عليهم نشره. وكانت هذه المحظورات تشمل العدد، والمكان، والتكتيكات المستخدمة، والخطط المستقبلية. فلا يجوز لهم نشر حجم أو عدد القوات أو الطائرات أو الأسلحة أو المعدات... أو أماكن تواجدها... أو الخطط والعمليات التي سوف تقوم بها... أو التكتيكات التي استخدمتها في تحقيق أهدافها. ولا يجوز للصحفيين والمراسلين العمل بانفراد. بل يجب أن يعملوا في مجموعات، وأن تخضع تحقيقاتهم للمراقبة قبل السماح بنشرها (كتاب The Commanders للمؤلف Bob Woodward ، صفحة 368)

لقد لعبت شبكة أنباء CNN وغيرها من شبكات الأنباء العالمية، في خلال تلك الحرب دورا أشبه ما يكون بدور العميل المزدوج. فكانت تنقل وجهة النظر

العراقية الرسمية من خلال لقاءات تليفزيونية مع صدام حسين وكبار مساعديه، الى كل بيت في أمريكا والدول الغربية. وأكبر مكسب تحقق في هذا المجال هو شرح القضية الفلسطينية للرأي العام الأمريكي الذي لم يكن قد سمع بها إلا من خلال أنباء مبتورة ومشوهة تخدم الجانب الصهيوني وحده. ومن الخدمات التي قدمتها أيضا هذه الوكالات للعراق، هي ما كانت تنقله وقت الحرب من صور وتحقيقات عن الدمار والخراب الذي ألحقته الغارات الجوية الأمريكية بالأهداف المدنية، والتي ذهبت أحيانا إلى حد تكذيب ما كانت تدعيه السلطات الأمريكية.. كما حدث بالنسبة لقصف ملجأ العامرية يوم 13 فبراير. فقد كانت السلطات العسكرية تدعي أن ملجأ العامرية هو مركز قيادة عسكرية، بينما أكدت وكالات الأنباء العالمية بعد المعاينة على الطبيعة أنه كان ملجأ للمدنيين. وأنه كان يستخدم عادة لمبيت النساء والأطفال نظرا لغياب الرجال في وحداتهم العسكرية.

ولكن هذه الوكالات كانت تقدم في نفس الوقت خدمات جليلة للجانب الأمريكي. فعن طريقها كان الجانب الأمريكي يعرف بدقة مدى نجاح طياريه في تدمير الأهداف التي حددت لهم. فمن المهم جدا أن يعرف كل طرف ما أحدثه من خسائر بشرية ومادية في الطرف الآخر. وتقوم أمريكا عادة بارسال طائرات استطلاع في أعقاب كل غارة جوية لتصوير وتسجيل ما أحدثته الغارات الجوية. ولكن هذه الصور التي تلتقطها الطائرات والأقمار الصناعية، لا يمكن أن تصل في نقائها ووضوحها إلى حد الصور التي تلتقطها كاميرات التليفزيون الأرضية التي تلتقط صورها على بعد أمتار قليلة من الهدف الذي تم قصفه. وبالاضافة الى ذلك فان التصوير والبث التليفزيوني ينقل بالصوت والصورة ردود الفعل الشعبية، التي لا يمكن نقلها بواسطة طائرات الاستطلاع أو الأقمار الصناعية. وعن طريق المقابلات التي كانت تجريها CNN مع المسؤولين العراقيين بصفة عامة، ومع صدام حسين بصفة خاصة، فان السلطات الأمريكية كانت تحصل على الكثير من المعلومات. قد يكون بعض هذه المعلومات معروفا لأمريكا من مصادر أخرى فتؤكدها المعلومات التي تصل من CNN . وقد يكشف بعضها ما يجول في أعماق فكر صدام حسين من نوايا فيكون لذلك فوائد كبيرة، بالنسبة لمن يخططون لهذه الحرب في كل من البيت الابيض والبنتاجون.

وفي محاولة لمنع وصول المعلومات التي يمكن أن تفيد العدو في أوقات الحرب، فان الدول تلجأ إلى فرض رقابة على وكالات الأنباء التي تعمل فوق أرضها. وتختلف هذه الرقابة بين دولة وأخرى، من حيث ما يمكن اذاعته وتصويره. وفي خلال تلك الحرب، كانت اسرائيل أكثر الدول صرامة في تطبيق الرقابة. فلم تكن تسمح لممثلي الوكالات بمعاينة الأماكن التي يقوم العراق بقصفها، أو التعرف على مكان سقوط هذه الصواريخ، أو معرفة أو ذكر عدد الخسائر التي أوقعتها. وكانت تسمح فقط ببعض الصور التي تبين تدمير المباني، والتي تبين بعض النساء والأطفال وهم يبكون. . . حتى تستدر عطف الرأي العام العالمي. أما عدد الصواريخ التي سقطت، وأماكن سقوطها، ومدى نجاح الدفاع الجوي الاسرائيلي في التصدي لها، والخسائر المادية والبشرية التي أوقعتها، فقد كان كل ذلك من الممنوعات. . . حتى لا يستفيد العراق من تلك المعلومات في عمليات القصف التالية.

تضليل العدو إعلاميا

من المؤكد أن صدام حسين كان لديه القدرة على أن يحتل السعودية، وكل منطقة الخليج بعد احتلاله للكويت مباشرة يوم 2 أغسطس. بل إنه كان يستطيع أن يحقق ذلك حتى بعد أن بدأت القوات الأمريكية بالنزول في السعودية يوم 7 أغسطس 90. فقد كان في استطاعته أن يحتل المطارات والموانىء في السعودية والدول الخليجية، ويسيطر على جميع آبار البترول. ولو فعل ذلك لأصبح البترول رهينة في يده، يساوم به من أجل التوصل الى حل سياسي مشرف. كان البيت الأبيض الامريكي وقادة البنتاجون يعلمون تلك الحقيقة جيدا. وقد اعترف الجنرال شوارتزكوبف بهذه الحقيقة في حديث له مع شبكة CBS في نوفمبر 90. (بعد أن كانت أمريكا قد أتمت حشد القوات التي تجعل تنفيذ هذا السيناريو غير قابل للتنفيذ) فقال «كان هذا التصور هو الكابوس الذي يزعجني أيما إزعاج». ***ومن أجل ذلك تبنت القيادة الأمريكية خطة خداع استراتيجية Strategic Deception Plan، ترمي الى إيهام صدام حسين بأن الحشد الامريكي يتم بطريقة أسرع من الحقيقة التي يتم بها. . . لاثنائه عن القيام بهذه المغامرة، على أساس أن فرصة القيام بها قد ولت.***

وقبل أن يبدأ الهجوم البري، لجأت القيادة العسكرية إلى **عملية خداع تعبوية Operational Deception Plan**، ***ترمي إلى إيهام صدام حسين بأن الهجوم الرئيسي سوف يكون في اتجاه الكويت من الجنوب ومن البحر. . . بينما كانت عمليات الحشد الكبرى تتم في اتجاه الحدود السعودية العراقية الى الغرب من الكويت***. وكانت المعلومات التي تزود بها وسائل الاعلام، والأماكن التي يسمح للصحفيين ووسائل الاعلام بزيارتها وأخذ صور وأفلام فيديو عنها، هي عن تلك القوات التي تحتشد في البحر تجاه السواحل الكويتية. (كان هناك 17 000 من قوات المارينز بكامل أسلحتهم ومعداتهم يستقلون 31 سفينة إنزال ويتجولون قبالة الساحل الكويتي). كذلك كانت تسمح القيادة الأمريكية للصحفيين ووسائل الاعلام، بزيارة وتصوير الوحدات التي كانت تتحرك شمالا في اتجاه الحدود الكويتية. أما التحركات الأكثر ضخامة، التي كانت تتحرك غربا في اتجاه الحدود السعودية العراقية، فقد كانت القيادة الأمريكية تتعمد إخفاءها عن وسائل الاعلام. وكان الهدف من كل ذلك، هو إيهام القيادة العراقية ـ عن طريق وسائل الاعلام بأن الهجوم الرئيسي سيكون من اتجاه الجنوب مدعوما بهجوم بر مائي من البحر. ولكن على الرغم من أن العراق لم يكن لديه وسائل استطلاع جوية، فانه لمن السذاجة المفرطة أن نتصور أن مثل هذه الاجراءات يمكن أن تخدع قيادة واعية بمثل هذا الذي يريدون خداعها به. وكما سبق أن أوضحت، ***فمنذ شهر أغسطس 1990، وأنا أحذر بأن الخطة الأمريكية ستعتمد على أساس تطويق القوات العراقية في الكويت، على أن يكون هذا الهجوم مقرونا بهجوم آخر من الجنوب. وقمت بتكرار ذلك حتى آخر يوم قبل بدء الهجوم***.[**]

ثم أن كثرة القوات وكثرة الامكانيات، هي التي مكنت قيادة دول التحالف بأن تقوم بهجوم رئيسي بواسطة الجناح الأيسر، وهجوم آخر لا يقل عنه كثيرا في القوة بواسطة الجناح الأيمن. فقد كان الجناح الأيسر يضم 9 فرق (5 فرق مدرعة، 2 فرقة مشاة ميكانيكية، 2 فرقة جنود جو). وكان هذا الجناح يضم حوالي 150 000 فرد، ومعهم حوالي 1950 دبابة، حوالي 500 هيليوكوبتر مسلحة. أما الجناح الأيمن فقد كان يضم 6 فرق (2 فرقة مارينز قوامها 85 000 فرد، فرقتان مصريتان إحداهما مدرعة والأخرى مشاة ميكانيكية

وقوامها 35 000، فرقة سورية قوامها 15 000، قوات سعودية وكويتية مشتركة تقدر بحوالي 15 000). وهكذا فان الجناح الأيمن كان يضم حوالي 150 000 فرد ومعهم حوالي 1 300 دبابة، حوالي 150 هيليوكوبتر مسلحة. وكان من ضمن قوات الجناح الأيمن 17 000 من المارينز فوق 31 سفينة إنزال على استعداد للنزول على الشاطىء الكويتي. فاذا نحن قارنا بين قوة الجناح الأيمن والجناح الأيسر نجد أنهما يتعادلان في قوة الأفراد.. ولكن الجناح الأيسر يتفوق كثيرا في خفة الحركة وفي قوة النيران براً وجواً.

والاعلام الذي يقصد به تضليل العدو، يجب أن يتسم بالذكاء. فالخبر المضلل يجب أن يكون غامضا... يحتمل أكثر من معنى... يحمل بعض عناصر الصدق التي يمكن للعقلاء تصديقها... ولا يمكن اكتشاف عدم مصداقيته إلا بعد فترة زمنية معقولة. ***وفي أوقات الحروب تكون عملية فرز الأخبار الصحيحة من الأخبار المضللة عملية صعبة تحتاج إلى علم وخبرة***... حيث أن كل طرف من الأطراف المتصارعة يعمد إلى اطلاق العديد من الأخبار المضللة. وفيما يلي بعض من الأخبار المضللة التي لم تعش طويلا، لأنها كانت تعتمد على الاثارة ومخاطبة العواطف بدلا من مخاطبة العقل.

■ 14 يناير 91، نشرت صحيفة الأحرار (المصرية) أن صدام حسين قد أعد خطة للهرب بمجرد اندلاع الحرب (التي كان منتظرا أن تنشب اعتبارا من تاريخ المهلة المحددة للعراق للانسحاب من الكويت). وأن الخطة تتضمن تغيير ملامحه، والهروب في طائرته الخاصة حيث يعيش باسم مستعار في اوروبا وتحت يده عدة مليارات من الدولارات التي هربها إلى الخارج لتكون في انتظاره. ومع أن الصحيفة نسبت هذا الخبر إلى شخص عراقي يدعى كريم عبد الله الجبوري، وهو منشق عراقي يقيم في باريس منذ 90/9/10، إلا أن الأسلوب المستخدم في عرض الخبر والتغطية الاعلامية الضخمة للخبر، تؤكد أن الصحيفة المذكورة لم تكن موضوعية لا من حيث العرض ولا من حيث مناقشة وتحليل الخبر. وعلى سبيل المثال فان تغيير الملامح يتطلب إجراء عمليات جراحية ويحتاج الى عدة أسابيع، في حين أن صدام حسين استقبل شخصيات عالمية، واستقبل ممثلي عدة وكالات أنباء عالمية خلال الفترة من 90/12/31 وحتى 91/1/15. نذكر منها على

سبيل المثال لا الحصر (مع CNN يوم 90/12/31، مع وكالات الأنباء بمناسبة عيد الجيش العراقي يوم 91/1/6، مع أعضاء المؤتمر الاسلامي الشعبي في بغداد في 91/1/11، ومع الأمين العام للأمم المتحدة يوم 1991/1/13).

■ 91/1/17، تهليل الاعلام الغربي عن نتائج الضربة الجوية الأولى التي وجهت الى العراق في الساعات الأولى من هذا اليوم . . . والتي قيل عنها أنها تمت بحوالي 400 طائرة . . . وأنها أسقطت 18 000 طن من القنابل. وأنه تم تدمير جميع القوات الجوية والدفاع الجوي العراقيين. وأنه تم تدمير جميع وسائل الردع العراقية. والخبر بهذا الأسلوب يتنافى مع العقل والمنطق. أولا، فمن يعرف نوعية الطائرات المحتشدة في الخليج ـ وقد كان ذلك معروفا تماما للخبراء والمحللين العسكريين الذين يتابعون هذه الحرب ـ فانه يعلم جيدا أن 400 طائرة لا يمكن أن تسقط 18 000 طن من القنابل. ثانيا، انعدام المفاجأة الاستراتيجية والتكتيكية، وكون العراق يتوقع مثل هذا الهجوم يجعل من الصعب إن لم يكن من المستحيل تحقيق نجاح في الضربة الجوية الأولى بهذا القدر الذي يصورونه. ثالثا، صحة هذا الخبر من عدمه لابد وأن تظهر خلال بضعة أيام. وطبقا للأرقام التي نشرت بعد الحرب، فان هذه الموجة الأولى من الهجوم تكون قد أسقطت حوالي 350 طن من القنابل وليس 18 000 طن كما ادعوا في 17 يناير. (أي أن الاعلام الغربي ضخم الرقم الحقيقي بأكثر من 50 مرة.

■ 91/1/18، أعلنت اذاعة BBC كنبأ غير مؤكد، أن زوجة صدام حسين وبعض المقربين إليه قد وصلوا إلى موريتانيا. وتلقف هذا الخبر العديد من وسائل الاعلام. وأضاف كل من عنده شيئا جديدا إلى الخبر الأصلي ليجعله أكثر إثارة. فهذا يقول أنهم يمهدون لوصول صدام حسين. وهذا يقول ومعهم كميات كبيرة من الذهب الخ. ولعل أكثر التعليقات شماتة وافتراء في هذا الموضوع هو ما نشرته صحيفة الأحرار المصرية للمرة الثانية. فقد خصصت صفحة كاملة لهذا الموضوع. وجاء فيه ما يلي «الأقمار الصناعية والمصادر السرية الامريكية ترصد وتسجل تحركات صدام حسين وتنقلها للعالم كله. وقد رصدت هذه المصادر هروب ساجدة خير الله زوجة

صدام حسين، وولديه عدي وقصي وابنته حلا وأسرهم إلى مكان مجهول، بجوازات سفر تحمل أسماء مستعارة صادرة من الكويت المحتلة !! وقامت طائرات تابعة للخطوط الجوية العراقية، وعدد من الطائرات العسكرية، بنقل الأسر الهاربة التي ضمت زوجة عدي الابن الأكبر لصدام وهي إبنة عزت إبراهيم النائب الأول للرئيس العراقي، كما ضمت إبنة صدام حسين المتزوجة من حسين كامل وزير الانتاج الحربي والنفط، وزوجات وأبناء طه ياسين رمضان نائب صدام، وسعدون حمادي نائب رئيس الوزراء للشئون الخارجية، وطارق عزيز وزير الشئون الخارجية، وقد حمل الهاربون معهم مجوهراتهم الثمينة، وحقائب تحمل كميات هائلة من الدولارات !! واتجهت بهم الطائرات إلى موريتانيا، ولكن موريتانيا بادرت بنفي الخبر. . سيسقط صدام حسين اليوم أو غدا أو بعد غد. وهناك اتصالات تجري الآن مع المعارضة العراقية لتشكيل حكومة انتقالية بعد انتهاء صدام حسين سواء بقتله، أو بانقلاب يعقبه اعتقاله ومحاكمته كمجرم حرب، أو بهروبه إلى خارج العراق. وقد تردد أنه اتصل بصديقه الرئيس الكوبي فيديل كاسترو ليتفق معه على خطة للهروب إلى كوبا، على أن يحول لها عدة مليارات من حساباته السرية في البنوك. ولكن كاسترو رفض»[٩٩].

- 1 مارس 91، نشرت صحيفة لوموند Le Monde (الفرنسية) مقالا بتوقيع جورج ماريون مراسل لوموند بالجزائر، جاء فيه أن صدام حسين قد تخلى عن السلطة وطلب اللجوء السياسي بالجزائر. وأن الجزائر طلبت من خلفاء صدام في بغداد، ومن دول التحالف ضمانات بعدم المطالبة بتسليمه وتقديمه للمحاكمة، قبل أن تعطي موافقتها النهائية على قبوله كلاجىء سياسي. والخبر بهذا الشكل وان كان يبدو محبوكا، إلا أنه ينقصه الالمام بأخلاق الرجال. فصدام حسين يعلم جيدا أن الهروب سوف يؤدي إلى محاكمته وإذلاله ثم إعدامه. وما من قوة على الأرض تستطيع أن تأوي صدام حسين وتحميه من براثن بوش وميجور وميتران، إذا هو هرب من العراق، أو أزيح عن السلطة. ولذلك فليس أمام صدام حسين الا القتال حتى يموت وهو واقف على قدميه. . فيبقى في عيون الشعب العربي والأمة الاسلامية، بطلا أسطوريا تتغنى به الأجيال.

- 2 مارس 91، بغداد تعلن أنه عندما بدأ الهجوم البري لدول التحالف يوم 24 فبراير، كان العراق قد سحب معظم قواته من الكويت، ولم يكن باق منها سوى ستارة أمامية خفيفة. والخبر بهذه الصورة لا يمكن أن يقبله العقل والمنطق. فالقوات الأمريكية لا تكتفي بمراقبة القوات العراقية بالعين المجردة من الأمام فقط. فهذا الذي تدعيه بغداد لا يمكن حدوثه مطلقا، دون أن تكتشفه الأقمار الصناعية وطائرات الاستطلاع وطائرات J. STARS. ولم يكن هذا الخبر موجها أصلا لخداع العدو الذي كان في هذا الوقت يسيطر على المناطق العراقية جنوب نهر الفرات ولديه عشرات الآلاف من الأسرى العراقيين. ولكن هذا الخبر كان موجها للشعب العربي والاسلامي الذي كان يتشكك في مصداقية ما أذاعته بغداد صباح يوم 27 فبراير، بأن العراق قد أتم سحب جميع قواته من الكويت في خلال الأربع وعشرين ساعة الماضية (كانت بغداد قد أذاعت قبل منتصف ليلة 25/26 فبراير قرار صدام حسين بالانسحاب من الكويت).

مسؤولية الكاتب تجاه القراء

الناس يختلفون من حيث طبائعهم وقدراتهم. فقد قال تعالى «قل هل يستوي الأعمى والبصير، أم هل تستوي الظلمات والنور». [50] وقال تعالى «هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون. إنما يتذكر أولوا الألباب». [51] وقال تعالى «يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات. والله بما تعملون خبير». [52] وقال رسول الله ﷺ «إن فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم. إن العلماء هم ورثة الأنبياء». [53] وقال عليه الصلاة والسلام «إن مثل علم لا ينفع كمثل كنز لا ينفق في سبيل الله». [54] ولا يحسبن أحد أن العلم من وجهة نظر الاسلام، هو فقط علوم الشرع والدين. فقد قال الرسول ﷺ «ما كان من أمر دينكم فالى. وما كان من أمر دنياكم فأنتم أعلم به». [55] وهذا يؤكد أن مفهوم العلم في الاسلام يتجاوز علوم الدين. ولكن القرآن الكريم في نفس الوقت يؤكد على ضرورة الربط بين علوم الدنيا والايمان. ويذم أصحاب علوم الدنيا إذا هم غفلوا عن الآخرة. وذلك في قوله تعالى «يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون. أو لم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل

مسمى، وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون». [56] وقد تعددت علوم الدنيا وتشعبت، حتى أصبح من المستحيل أن يلم فرد واحد بكل علوم الدنيا. بل أصبح هناك الكثير من علماء الاختصاص. وهذه الفئة من العلماء هي ما نطلق عليها بالخاصة من الناس. وهم المسؤولون أمام الله لكي يعلموا الناس ويوجهوهم إلى ما فيه الخير في دنياهم وفي آخرتهم. أما العامة، فهم باقي الناس الذين ما زالوا في مرحلة التعلم، أو الذين توقفوا عن طلب العلم. والخاصة في كل عصر وفي كل مكان هم القلة بينما العامة هم الكثرة. والخاصة ليسوا دائما في مراكز السلطة، بل إن أكثرهم حظا هو من يستطيع أن ينشر علمه بين الناس دون أن يتعرض لملاحقة جبروت السلطة.

وحيث أن العامة تضم الكثرة من الناس.. وحيث أن العامة يمكن أن تتأثر مواقفها من خلال مخاطبة العواطف... أو من خلال إعطائها بعض المكاسب الآنية والوقتية... أو من خلال وعود كاذبة بمستقبل زاهر... وحيث أن وسائل الاعلام المحلية والأجنبية قد اقتحمت كل منزل، وأصبحت عنصر تأثير كبير على عقول العامة وتكييف مواقفهم السياسية وسلوكياتهم الاجتماعية... وحيث أن من يسيطرون على الاعلام ليسوا دائما في جانب الحق أو الحقيقة.. ***فان العلماء يجدون أنفسهم أمام خيارين. فاما أن يقولوا كلمة الحق ويعلموا الناس بما علمهم به الله. وإما أن يركبوا موجة الانتهازية، فيقولون ما يرضي السلطة أحيانا، وما يرضي العامة أحيانا أخرى.*** ومع أن العالم الحقيقي هو من يقول كلمة الحق حتى لو تعارض ما يقوله مع ما تدعو إليه السلطة... إلا أن كثيرا من العلماء اختاروا تأييد السلطة في موقفها من أزمة الخليج. ومع أن العالم الحقيقي هو من ينصح العامة إلى ما هو في مصلحة دنياهم وآخرتهم، إلا أن بعض العلماء اختاروا تأييد رأي العامة ـ الذي هو من صنع وسائل إعلام لا تقول الحقيقة ـ حتى لا يفقدوا شعبيتهم بين العامة. وبذلك يكونوا قد تراجعوا عن واجبهم الذي يقضي بتوجيه العامة، ليصبحوا هم أنفسهم أداة في يد إعلام قوي يخدع العامة ويوظف بعض الخاصة لخدمة مصالحه.

ولكي أبين للقارىء مدى تأثر بعض الكتاب بالرأي العام الشائع بين العامة، فاني أذكر لهم قصة المعلم الذي لم يستطع أن يجاهر برأيه عن حرب الخليج أمام طلبته. فبعد ثلاثة أشهر من وقف اطلاق النار في هذه الحرب نشر

الاستاذ حسين عبد السلام قصته التي يقول فيها «في نهاية شهر يناير وعندما كان قصف الحلفاء للعراق على أشده، فكرت أنه من المناسب رصد أسباب هذه المواجهة غير المتكافئة، واحاطة طلبتي بما استنتجته، بناء على تعداد ما بدا لي أنه أخطاء ارتكبها القادة العراقيون في ضبط توقعاتهم، وفي تبين مسار الأحداث وما ستفضي اليه. وتهيأت للخوض في الأمر على ما نحو ما أسعفني به التحليل المحايد والمجرد من كل غرض أو سابق حكم، منتهيا إلى التنبؤ بحدوث الكارثة المحتومة. غير أن المحاضرة لم يقدر لها أن تلقى لأني أوجست خيفة أن أوصم بالانهزامية أو الخيانة !».

كنت خلال تلك الحرب من الذين يقفون في المعسكر العراقي ضد هذه الحرب الصليبية، بالرغم من معرفتي بأن المواجهة غير متكافئة. وبالرغم من نتائج هذه الحرب التي نعرفها اليوم، فلو عادت عقارب الساعة إلى الوراء، لاخترت نفس الموقف الذي اخترته في الدعوة الى تأييد العراق. لأن جميع البدائل الأخرى كانت تساند الجانب الصليبي بدرجات متفاوتة. كان البديل الأول - والعياذ بالله - هو تأييد التدخل العسكري الصليبي ضد العراق، وتأييد الأنظمة الاسلامية التي شاركت بقواتها العسكرية في هذا العدوان. وكان البديل الثاني هو توجيه النقد العلني لصدام حسين. ومع أن هذا البديل الثاني يعتبر أقل سوءا من البديل الأول، إلا أنه يعتبر بكل المقاييس تأييدا إيجابيا للعدوان الصليبي. أما البديل الثالث فكان هو الصمت. ورغم أن الصمت يعتبر أقل سوءا من البديلين السابقين... إلا أنه يعتبر في نفس الوقت تأييدا سلبيا للعدوان الصليبي. وفي مواجهة تلك البدائل الثلاث، كان الخيار الوحيد الذي يتماشى مع عقيدتنا الدينية، هو مساندة العراق في موقفه، رغم كل الظروف الصعبة التي كانت تبدو في الأفق. كان علينا أن نعلن على رؤوس الأشهاد تأييدنا المطلق لصدام حسين، حتى تزداد الجبهة التي تتصدى للعدوان الصليبي قوة وصلابة. وكان علينا أن نهمس في أذن صدام حسين بين الحين والحين بالنصيحة التي لا نريد أن يسمعها الأعداء.

كنت فقط آمل أن يرفع العراق ثمن الانتصار الامريكي. فلو نجح العراق في قتل 20 000 من الصليبيين فهذا هو النصر الذي نريده حتى لو قتل منا 100 000 أو يزيد. وهذا هو ما قاله صدام حسين نفسه في حديثه مع سفيرة

الولايات المتحدة أبريل جلاسبي يوم 90/7/25 قبل اندلاع الحرب. فقد قال «عندما نشعر بأنكم تريدون جرح كبرياءنا، وحرمان الشعب العراقي من حقه في أن يعيش في المستوى اللائق، فاننا سنختار الموت بدلا من الحياة. ولا يهمنا بعد ذلك أن يسقط علينا 100 صاروخ منكم في مقابل كل صاروخ نطلقه عليكم. فلا قيمة للحياة بدون كرامة وكبرياء». ورغم عدم التكافؤ في الامكانيات والقدرات فمن المؤكد أن صدام حسين كان في استطاعته أن يفعل أفضل مما فعل. وقد تعرضت في الفصل السابق إلى الاخطاء الرئيسية التي ارتكبها العراق. كانت الأخطاء تراكمية. وكل خطأ يقود إلى خطأ آخر ويزيد من صعوبة موقف صدام حسين، إلى أن فاجأنا بقرار الانسحاب في الساعات الأخيرة من يوم 25 فبراير. وبمجرد سماعي لهذا الخبر، رأيت النهاية التي لم يرها كثيرون غيري إلا بعد بضعة أسابيع. فهل كان علي أن أخدع قرائي ومن يستمعون إلى تحليلاتي وتعليقاتي بالكارثة التي سوف تحدث في الأيام القليلة التالية ؟

عندما اتصلت بي الاذاعة الجزائرية صباح يوم 26 فبراير تطلب مني التعليق على قرار الانسحاب، فاني لم أتردد في أن أقول ما يعبر عن قناعاتي. وسمع الناس صوتي وهو يوجه النقد إلى صدام حسين لأول مرة منذ اندلاع الحرب. وقد أحدث هذا الحديث صدمة كبرى لدى الكثير من المؤيدين للشعب العراقي في كافة أنحاء الوطن العربي والاسلامي. البعض كان يتصل بي وهو يبكي على ما أصاب العراق. . البعض كان يلعن صدام حسين على أساس أنه كان يعطي الشعب العربي أملا زائفا بالنصر. كان الشعب العربي لا يريد أن يعترف بالهزيمة. وكان يتعلق بأي أمل مهما كان واهيا بأن الحرب لم تنته بعد، وان النصر في الأفق. *وانتهز بعض الكتاب من داخل المعسكر العراقي هذه الفرصة ليخاطب عواطف الجماهير دون عقولهم. وانساق هؤلاء وراء ما كان الاعلام العراقي يذيعه من أنباء بأن العراق كان قد خدع الحلفاء وسحب قواته قبل أن تبدأ الحرب البرية . . . دون أن يكلف أي من هؤلاء نفسه عناء البحث العلمي الجاد في امكانية تحقيق ذلك من عدمه. ولكن الكارثة التي يمكن أن يواجهها جيش ينسحب في ظل سيادة جوية معادية، كانت أكبر من أن تبقى*

صرا لفترة طويلة . وفي يوم 3 مارس كان العراق يوقع على جميع الشروط التي فرضها بوش لوقف اطلاق النار. وتثير هذه المواقف المتباينة للكتاب السؤال التالي وهل مسؤولية الكاتب هي أن يقول للقارىء ما يعجبه ويطمئنه أم أنه يجب أن يوضح له الموقف بأمانة العلماء بما فيه من حلاوة ومرارة ؟» .

الفصل الحادي عشر

قرارات الأمم المتحدة

قرارات مجلس الأمن الدولي [1]

قرار مجلس الأمن رقم 660 (الأول)

صدر هذا القرار بعد ساعات قليلة من الغزو. فقد اجتمع المجلس في الساعة 00 02 يوم 2 أغسطس، وأصدر هذا القرار بأغلبية 14 صوت، ولم تشارك اليمن في التصويت. وجاء في القرار ما يلي:

1 - يدين الغزو العراقي للكويت.

2 - يطالب العراق بسحب قواته فورا وبدون شروط إلى المواقع التي كانت تحتلها في أول أغسطس 1990.

3 - يدعو العراق والكويت إلى الدخول فورا في مفاوضات مكثفة لتسوية خلافاتهما. ويؤيد كل الجهود في هذا الاتجاه، وبصفة خاصة جهود الجامعة العربية في هذا الاتجاه.

4 - يقرر الاجتماع من جديد عند الضرورة لبحث كل الاجراءات، ضمانا لتطبيق هذا القرار.

قرار مجلس الأمن رقم 661 (الثاني)

صدر هذا القـرار يوم 6 أغسطس 1990. ويتضمن فرض عقوبات اقتصادية على العراق، بهدف إجباره على الانسحاب من الكويت. وقد امتنعت كل من كوبا واليمن عن التصويت. وصدر القرار بأغلبية 13 صوت. ويدعو هذا القرار جميع الدول إلى وقف جميع عمليات الاستيراد والتصدير مع العراق والكويت، إلى أن يتم الانسحاب التام وغير المشروط للقوات العراقية وإعادة حكومة الكويت الشرعية. وقد استثنى الدواء فقط في حالات خاصة اذا كان لأسباب إنسانية.

قرار مجلس الأمن رقم 662 (الثالث)

صدر هذا القرار يوم 9 أغسطس 90. وقد صدر بالاجماع. وينص القرار على أن قرار العراق بضم الكويت لا يستند على أي أساس قانوني، ويعتبر لاغ مهما كان الشكل أو المبرر.

قرار مجلس الأمن رقم 664 (الرابع)

صدر هذا القرار يوم 18 أغسطس 90. وقد صدر بالاجماع. ويطالب القرار العراق بالسماح وتسهيل الرحيل الفوري للرعايا الأجانب من العراق والكويت.. كما ينقض قرار العراق باغلاق البعثات الديبلوماسية في الكويت.

قرار مجلس الأمن رقم 665 (الخامس)

صدر هذا القرار يوم 25 أغسطس 90. وقد صدر القرار بأغلبية 13 صوتا، وامتناع كل من كوبا واليمن عن التصويت. ويسمح هذا القرار للدول الأعضاء المتعاونين مع الحكومة الكويتية، باستعمال القوة المحدودة، من أجل وقف السفن التجارية لتفتيشها والتأكد من اتجاهها، وفرض التطبيق الحرفي للاجراءات التي ينص عليها القرار 661.

قرار مجلس الأمن رقم 666 (السادس)

صدر هذا القرار يوم 13 سبتمبر 90. وقد صدر بأغلبية 13 صوت، واعترضت عليه كل من كوبا واليمن. وينص القرار باستثناء الأغذية ـ إذا كانت لأسباب إنسانية ـ من المواد التي تشملها العقوبات والحظر. على أن تقرر الأمم المتحدة وأجهزتها نوعية الحاجات المطلوبة وكيفية توزيعها. (المؤلف: صدر هذا القرار للتخفيف أساسا عن الدبلوماسيين الأجانب والرعايا الأجانب الذين كانوا داخل العراق والكويت.. والذين أصبحوا يعانون من نقص الأغذية والأدوية. أي أن من يدعون الحضارة، ويرفعون شعار المساواة وحقوق الانسان، كانوا يريدون أن يخففوا من معاناة الأجانب، دون أن يهتموا بما يعانيه شعب العراق.. رغم أن العراق كان يوزع على الأجانب نفس أنصبة المواد الغذائية التي كان يوزعها على أفراد الشعب العراقي، بصرف النظر عن انتمائهم إلى الدول المشاركة في توقيع العقوبات ضد العراق، أو انتمائهم الى الدول التي كانت تفرض عليه الحصار).

قرار مجلس الأمن رقم 667 (السابع)

صدر هذا القرار يوم 16 سبتمبر 90. وقد صدر بالاجماع. ويدين القرار دخول القوات العراقية بعض السفارات الأجنبية في الكويت (السفارة الفرنسية والسفارة الكندية). ويطالب القرار بالافراج عن جميع الرهائن في الكويت والعراق.

قرار مجلس الأمن رقم 669 (الثامن)

صدر هذا القرار في 24 سبتمبر 90. وقد صدر بالاجماع. وفي هذا القرار يطلب المجلس من لجنة العقوبات دراسة كل طلبات المساعدة، التي تتقدم بها الدول المتضررة اقتصاديا من جراء احترامها للحظر المضروب على العراق.

قرار مجلس الأمن رقم 670 (التاسع)

صدر هذا القرار في 25 سبتمبر 90. وقد صدر القرار بأغلبية 14 صوتا، ولم تعارضه سوى كوبا. وينص القرار على أن قرار الحظر الصادر في القرار 661 ينطبق على جميع وسائل النقل بما فيها الطائرات (المؤلف: كان القرار 661 يبيح فرض الحصار البحري دون أن يستخدم كلمة حصار. وهذا القرار يفرض علاوة على ذلك الحصار الجوي دون أن يستخدم أيضا تعبير الحصار الجوي).

قرار مجلس الأمن رقم 674 (العاشر)

صدر هذا القرار في 29 اكتوبر 90. وقد صدر القرار بأغلبية 13 صوتا، وامتنع عن التصويت كل من كوبا واليمن. والقرار يحمِّل العراق مسؤولية الخسائر التي تكبدها الكويتيون والأجانب من جراء غزو العراق للكويت. ويطلب من الدول أن تقدم إلى الأمم المتحدة بيانات توضح فيها ما تحملته من خسائر مادية، وما تحمله مواطنوها من انتهاك لحقوقهم الانسانية، كنتيجة للغزو العراقي والتزامهم بتنفيذ قرارات الأمم المتحدة. كما يطالب القرار العراق بتسهيل وصول المواد الغذائية وغيرها إلى السفارات الأجنبية في الكويت، وإلى الرهائن المحتجزين في الكويت والعراق.

قرار مجلس الأمن رقم 677 (الحادي عشر)

صدر هذا القرار يوم 28 نوفمبر 90. وقد صدر بالاجماع. والقرار يدين المحاولات العراقية لتغيير ديموغرافية الكويت (التركيب السكاني في الكويت). ويكلف الأمين العام للأمم المتحدة، أن يحتفظ بنسخة من السجل السكاني الكويتي، الذي يقوم بتسليمه اليه وزير الخارجية الكويتي، من أجل استخدامه في مواجهة المحاولات العراقية لتغيير البنية السكانية للكويت.

قرار مجلس الأمن رقم 678 (الثاني عشر)

صدر هذا القرار (الشهير) يوم 29 نوفمبر 90. وقد أيده 12 صوتا، وعارضه صوتان هما كوبا واليمن. وامتنعت الصين عن التصويت. وهناك بحوث قانونية تقول أن امتناع الصين عن التصويت يسقط مشروعية القرار، تماما كما لو صوتت ضده. ويعتمد هذا الرأي على النص بأن «مقررات مجلس الأمن في سائر المسائل تتخذ بتصويت ايجابي من قبل 11 عضوا من بينهم أصوات جميع الأعضاء الدائمين». وحيث أن هذا القرار لم يحصل على جميع أصوات الدول دائمة العضوية، نتيجة امتناع الصين عن التصويت، فان هذا القرار يعتبر لاغيا. ولكن هذه التفسيرات القانونية والفقهية، لم تمنع أمريكا وحلفاءها من الاعتماد على هذا القرار، كتفويض دولي لاستخدام القوة المسلحة ضد العراق. وينص القرار على ما يلي:

1 - يطالب مجلس الأمن العراق بأن يلتزم التزاما كاملا بالقرار 90/660، وكل القرارات اللاحقة المتعلقة بهذا الأمر.

2 - يخول الدول الأعضاء المتعاونة مع حكومة الكويت، استخدام كل الوسائل اللازمة لتعزيز وتنفيذ قرار مجلس الأمن 660، وكل القرارات اللاحقة المتعلقة بهذا الأمر، ولاعادة السلام والأمن الدوليين في المنطقة. . . إذا لم يقم العراق في 15 يناير 91 أو قبل ذلك بتنفيذ القرارات السابقة كما هو موضح في الفقرة الأولى.

3 - يطلب من كل الدول توفير الدعم المناسب للأعمال التي سيتم اتخاذها وفقا للفقرة الثانية من هذا القرار.

4 - يطلب من الدول المعنية اطلاع المجلس بشكل منتظم عن سير العمليات التي تتخذ بموجب الفقرتين الثانية والثالثة من هذا القرار.

5 - يقرر الاستمرار في متابعة هذا الموضوع.

لقاء دي كويلار مع صدام 13/1/91

قام الأمين العام للأمم المتحدة بيريز دي كويلار بزيارة للعراق ما بين 12 - 13 يناير 91. وبعد أن عاد إلى نيويورك تقدم يوم 14 يناير بالتقرير التالي الى أعضاء مجلس الأمن. وفيما يلي نص ما جاء في هذا التقرير.[2]

السادة أعضاء مجلس الأمن المحترمين

«تتذكرون أنه في يوم الخميس 10 يناير، أبلغتكم أنني قبلت دعوة من الحكومة العراقية لزيارة بغداد لاجراء مناقشات مع المسؤولين هناك، وخاصة مع الرئيس صدام حسين. واتخذت هذا القرار إثر الاجتماع الذي عقده وزير الخارجية الأمريكي جيمس بيكر ونظيره العراقي طارق عزيز في جنيف في 9 يناير، واضعا في الاعتبار القرار رقم 678. وقبل مغادرتي تلقيت عددا من الرسائل من قادة العالم تعكس الدعم القوي. ومن بين هؤلاء القادة رؤساء دول أعضاء في مجلس الأمن الدولي. (المؤلف: هذه إشارة خجولة إلى قيام دي كويلار بمقابلة الرئيس الأمريكي قبل قيامه بهذه الرحلة. وكانت جميع وسائل الاعلام العالمية قد تحدثت عن هذه المقابلة قبل أن يبدأ دي كويلار رحلته بيومين). وكلهم أعربوا عن الأمل في ايجاد وسيلة لتنفيذ قرارات الأمم المتحدة بالطرق السلمية.

في الطريق الى بغداد، قمت بزيارة قصيرة لكل من باريس، جنيف، عمان، حيث اجتمعت مع الرئيس فرنسوا ميتران، ومع وزراء المجموعة الأوروبية، ومع وزير الخارجية اليوغسلافي بصفته رئيسا للمجلس الوزاري لحركة عدم الانحياز، ومع جلالة الملك حسين. وتم خلال هذه الاجتماعات استعراض الوضع. ووجدت الملك الأردني قلقا جدا حول العواقب الوخيمة على المنطقة إذا ما اندلعت الحرب. وفي عمان اجتمعت أيضا بوزير خارجية رومانيا الذي كان يقوم بجولة في المنطقة.

وصلت إلى بغداد مساء 12 من الشهر الحالي. وعلى الفور عقدت اجتماعا دام 3 ساعات مع وزير الخارجية العراقي طارق عزيز. وفي اليوم التالي، وقبل اجتماعي مع الرئيس صدام حسين، عقدت اجتماعا مع رئيس منظمة التحرير الفلسطينية السيد ياسر عرفات، بناء على طلبه. وتجدر الاشارة هنا الى أني وجدت السيد ياسر عرفات كجلالة الملك حسين قلقا جدا من احتمال المواجهة العسكرية، التي ستكون نتيجتها مدمرة للمنطقة وليس فقط لفلسطين.

مساء 13 من الشهر الحالي، اجتمعت مع الرئيس العراقي صدام حسين لمدة ساعتين ونصف الساعة. وفي مستهل اجتماعنا أوضحت بأنني حضرت إلى

بغداد بناء على مبادرة ذاتية، ولكن بدعم واسع من الدول الأعضاء في المنظمة الدولية. وذكرت له أنه بصفتي أمينا عاما للأمم المتحدة، فانني أتحمل مسؤوليات وفقا للميثاق للعمل من أجل السلام. ووفقا لذلك طلبت منه الانصياع الكامل لقرارات مجلس الأمن، بدءا بالقرار 660. وأشرت إلى أنني أعتزم تقديم تقرير إلى المجلس فور عودتي إلى نيويورك. وخلال تأكيدي على أهمية تنفيذ قرارات مجلس الأمن، أوضحت له أن التقدم في هذا الاتجاه سيسهل اتخاذ الاجراءات المتعلقة بالاستقرار والأمن في المنطقة. وألمحت إلى احتمال اتخاذ خطوات في مرحلة ما بعد الانسحاب مثل تلك المتعلقة بحفظ السلام، وضمانات بعدم الهجوم، وفك الحصار الحالي. وأشرت أيضا إلى احتمال اتخاذ اجراءات أمن اقليمي. ***ولكي أوضح العلاقة بين تنفيذ العراق لقرارات مجلس الأمن وبين عملية السلام في الشرق الأوسط، فقد أشرت إلى القرارات التي اتخذت من قبل الجمعية العامة، وإلى جهودي الخاصة، وإلى بيان مجلس الأمن في 1990/12/20، والذي يتضمن بصورة واضحة بأن جهدا رئيسيا سيبذل قريبا.***

وقد أشار الرئيس صدام حسين إلى تناقض موقف مجلس الأمن من قضيتين متشابهتين. فقد أصدر مجلس الأمن القرار 598 (الذي يتعلق بالحرب العراقية الايرانية) موضحا العمل الشامل للقضايا المثارة... في حين أن المجلس للأسف لم يتبين العمل الشامل في تعاطيه مع الأزمة الحالية. وأوضح الرئيس صدام حسين أنه يود أن يسفر لقاؤنا إلى نتائج إيجابية... ولكنه لن يكون محتملا في اجتماع واحد إيجاد قرارات جاهزة لوضع معقد كهذا.

وأسهب الرئيس العراقي في طرح ادعاءات العراق في الكويت. وأكد أنه في الفترة السابقة للثاني من أغسطس، فان الكويت أصبحت قاعدة للتآمر ضد بلاده. وأشار إلى أنه رغم أن بلاده لم تقبل أبدا بالقرار 660، إلا أنها وافقت في الأيام الأولى للأزمة على حضور اجتماع مصغر في مدينة جدة، وبدأت بسحب قواتها من الكويت. ولكن هذه الجهود التي قال أنها تهدف إلى التوصل إلى حل عربي، قد تم تقويضها بادخال القوى الأجنبية الى المنطقة، والتي ضاعفت من التهديد الموجه للعراق. وانتقد الرئيس العراقي ما أسماه بالاعمال المتهورة لمجلس الأمن. وأوضح بأنه تمت محاكمة العراق غيابيا، ومنع وزير

خارجيته من التمتع بالتسهيلات اللازمة لمساعدته على طرح قضيته. وأعلن أنه في مناسبات سابقة، كان المجلس عندما يدعو إلى انسحاب القوات، فان هذه الدعوة كانت تترافق مع الدعوة إلى التفاوض بين الفرقاء. فالانسحاب لم يتم وصفه كشرط مسبق لمثل هذه المفاوضات. ***واستشهد بأمثلة من الاحتلال الاسرائيلي للأراضي العربية وضمها اليها، مشيرا إلى أن إسرائيل لم تكن عرضة للحصار والمقاطعة أو التدخل العسكري الخارجي، كوسيلة لضمان تنفيذ قرارات مجلس الأمن الدولي. وأوضح أن هذا يدل على المعيار المزدوج القائم حتى الآن***. وقال أنه من سوء الحظ أن مبادرة 12، 19 أغسطس، والتي كانت مؤيدة لتطبيق معيار واحد ومجموعة مبادىء في التعامل الشامل مع قضايا المنطقة، لم تحظ بالتفكير الجدي (المؤلف: سبق أن تحدثنا عن هاتين المبادرتين في الجزء الأول الصفحات رقم 94، 95، 96).

وحول موضوع الانسحاب، صرح الرئيس بأن الشعب العراقي اليوم، يعتبر الكويت المحافظة العراقية التاسعة عشر. ولأن الحرب أصبحت وشيكة الوقوع، فان النطق بهذا الكلام سيعطي أعداء العراق ميزة سيكولوجية. وفي الوقت ذاته فان العراق مستعد للحوار بعمق. وقد أكد لي السيد طارق عزيز مرارا رغبة بلاده في الحوار مع الولايات المتحدة، ومع المجموعة الأوروبية، ومع الدول العربية وتحديدا العربية السعودية. كما أعلن الرئيس صدام حسين أن بلاده على استعداد لمناقشة صفقة... لأنه في ظل مثل هذا الترتيب، فان كل طرف يعرف بالضبط ماذا سيعطي وماذا سيأخذ. وأضاف أن الشعب العراقي مستعد للتضحية من أجل السلام، إذا عمل الآخرون نفس الشيء.

وفي مناسبتين منفصلتين خلال اجتماعنا، طلب مني الرئيس صدام حسين، استخدام نفوذي قائلا انه إذا سمحت لي الأطراف الأخرى بلعب دور في البحث عن حل، فان العراق سيسهل مهمتي ويتعاون معي. وفي جواب على تعليق لي أن هذه الفكرة لن تكون البداية إذا كان موقف العراق غير متجاوب في موضوع الانسحاب من الكويت، قال الرئيس أنه لا يقصد هذا. وأكد أنه يتعين عليّ محاولة تقليب وجهات نظر الأطراف ومن ضمنها العراق، لصياغة اقتراحات من شأنها التوصل إلى حل. وشرحت للرئيس أنه بينما سأضم اقتراحه هذا في التقرير الذي سأقدمه إلى مجلس الأمن، إلا أنني أشعر أن أي جهد من قبلي سيكون في اتجاه تعزيز قرارات مجلس الأمن.

مما سبق، يتضح بأن الوضع القائم ينذر بالسوء. وبالرغم من الجهود المكثفة التي يبذلها الكثيرون ـ ومن بينهم الأمين العام للأمم المتحدة ـ لضمان إذعان العراق، فان قرارات مجلس الأمن بقيت بدون تطبيق. وفي هذه اللحظة الكئيبة، ومع اقتراب الخامس عشر من كانون الثاني، يتعين على أعضاء مجلس الأمن مرة أخرى، التفكير فيما إذا كان هناك إجراءات دبلوماسية يمكن اتخاذها من قبل الأمم المتحدة، أو من قبل أعضائها بشكل فردي أو جماعي، لضمان التنفيذ الكامل لقرارات المجلس بالوسائل السلمية. كلنا يدرك منتهى خطورة القرارات... لأنه لا شخص ولا دولة ـ ما عدا البليد أو الكئيب ـ يمكنه أو يمكنها اللجوء إلى الوسائل الضرورية الأخرى التي تضمنها القرار 678، عارفا مقدما بالعواقب المأساوية التي ستترتب على ذلك».

قرار مجلس الأمن رقم 686 (الثالث عشر)

صدر هذا القرار يوم 3 مارس 1991 بأغلبية 11 صوتا مقابل اعتراض صوت واحد هو كوبا، وامتناع ثلاث دول عن التصويت (الصين، اليمن، الهند).[3]

مجلس الأمن..

إذ يسترجع ويؤكد مجدداً القرارات 660 لعام 1990، 661 لعام 1990، 662 لعام 1990، 664 لعام 1990، 665 لعام 1990، 666 لعام 1990، 667 لعام 1990، 669 لعام 1990، 670 لعام 1990، 674 لعام 1990، 677 لعام 1990، 678 لعام 1990 ... وإذ يسترجع التزامات الدول الأعضاء بموجب البند 25 من الميثاق ... وإذ يسترجع الفقرة التاسعة من القرار 661 فيما يختص بمساعدة حكومة الكويت، والفقرة الثالثة (جـ) من القرار فيما يتعلق بالامدادات المخصصة فقط لأغراض طبية وفي الظروف الانسانية المواد الغذائية ... ومشيراً إلى رسائل وزير خارجية العراق التي تؤكد موافقة العراق على الالتزام كلياً بكافة القرارات المذكورة أعلاه ... ومشيراً إلى توقف العمليات القتالية الهجومية من جانب قوات الكويت والدول الأعضاء التي تتعاون مع الكويت في تنفيذ القرار 678 ... وآخذاً في الاعتبار ضرورة التأكد من نوايا العراق السلمية، وأهداف القرار

678 لعام 1990 وهي إعادة السلام الدولي والأمن إلى المنطقة . . . ومشدداً على أهمية اتخاذ العراق الاجراءات الضرورية التي تسمح بوضع حد نهائي للأعمال العسكرية . . . ومؤكداً التزام جميع الدول الأعضاء باستقلال وسيادة وسلامة أراضي العراق والكويت . . . ومشيراً إلى النية التي أبدتها الدول المتعاونة بموجب الفقرة الثانية من قرار مجلس الأمن رقم 678 لعام 1990 بإنهاء وجودها العسكري في العراق في أسرع وقت ممكن بما يتفق مع تحقيق أهداف القرار، بالفصل السابع من الميثاق . .

1 ـ يؤكد أن كافة القرارات الاثنى عشر المذكورة أعلاه لا تزال مستمرة وسارية المفعول كلياً.

2 ـ يطالب العراق بتنفيذ قبوله لكافة القرارات الاثنى عشر المذكورة أعلاه وبخاصة التي تنص على أن العراق . . .

أ ـ يعدل على الفور عن الاجراءات التي تدعي ضم الكويت.

ب ـ يقبل من حيث المبدأ إمكانية مطالبته بتعويضات بموجب القانون الدولي، عن أي خسائر أو أضرار أو إصابات فيما يتعلق بالكويت ودول ثالثة ورعاياها ومؤسساتها، نتيجة الغزو والاحتلال غير المشروع للكويت من جانب العراق.

جـ ـ يفرج فوراً تحت إشراف اللجنة الدولية للصليب الأحمر وجمعيات الصليب الأحمر وجمعيات الهلال الأحمر، عن كافة الكويتيين ورعايا دول ثالثة يحتجزهم العراق، ويعيد جثث أي قتيل كويتي أو من رعايا دولة ثالثة.

د ـ يبدأ على الفور في إعادة الممتلكات الكويتية التي استولى عليها العراق، على أن يتم هذا في أقصر وقت ممكن.

3 ـ يطلب بعد ذلك من العراق . .

أ ـ وقف الأعمال العدائية أو الاستفزازية من جانب قواته ضد كافة الدول الأعضاء، بما في ذلك الهجمات الصاروخية وطلعات الطائرات المقاتلة.

ب - تعيين قادة عسكريين للاجتماع مع نظرائهم من قوات الكويت والدول الأعضاء التي تتعاون مع الكويت في تنفيذ القرار 678 لعام 1990، للترتيب للجوانب العسكرية لوقف الأعمال العسكرية في أقرب وقت ممكن.

جـ - الترتيب لمقابلة أسرى الحرب على الفور وإطلاق سراحهم تحت رعاية اللجنة الدولية للصليب الأحمر، وإعادة جثث قتلى من قوات الكويت والدول الأعضاء التي تتعاون مع الكويت في تنفيذ القرار رقم 678 لعام 1990.

د - تقديم كل المعلومات والمساعدة في التعرف على أماكن الألغام العراقية والشراك الخداعية والمتفجرات الأخرى، وكذا أي أسلحة ومواد كيماوية وبيولوجية في الكويت، وفي المناطق العراقية التي تتواجد بها بصفة مؤقتة قوات الدول الأعضاء التي تتعاون مع الكويت في تنفيذ القرار 678 لعام 1990، وفي المياه المتاخمة لها.

4 - ***يدرك أنه خلال الفترة المطلوبة لكي يلتزم العراق بالفقرتين الثانية والثالثة أعلاه تظل بنود الفقرة الثانية من القرار 678 لعام 1990 سارية المفعول.***

5 - يرحب بقرار الكويت والدول الأعضاء المتعاونة مع الكويت في تنفيذ القرار 678 لعام 1990، بتسهيل مقابلة أسرى الحرب والبدء على الفور في إطلاق سراحهم مثلما تنص عليه بنود معاهدة جنيف لعام 1949، وذلك تحت رعاية اللجنة الدولية للصليب الأحمر.

6 - يطلب من كافة الدول الأعضاء وكذلك الأمم المتحدة ووكالاتها المتخصصة والمنظمات الدولية الأخرى، اتخاذ كافة الاجراءات الملائمة للتعاون مع حكومة وشعب الكويت في إعادة إعمار بلدهم.

7 - يقرر أن العراق سيخطر الأمين العام ومجلس الأمن عندما ينفذ الاجراءات المنصوص عليها أعلاه.

8 - يقرر أنه لتحقيق التوصل سريعاً إلى نهاية محددة للأعمال العسكرية يواصل مجلس الأمن متابعة الموضوع.

قرار مجلس الأمن رقم 687 (الرابع عشر)

صدر هذا القرار يوم 91/4/3، بأغلبية 12 صوتا مؤيدا مقابل صوت واحد معارض هو صوت كوبا، وامتناع اثنين عن التصويت هما اليمن والاكوادور. وهذا القرار هو فريد في نوعه من حيث العقوبات والشروط التي يفرضها عل العراق، ومن حيث طوله. فتصل عدد كلماته إلى حوالي 4 000 كلمة. ***ويهدف أساسا إلى تحجيم القوات المسلحة العراقية عن طريق حظر تصدير الأسلحة والتكنولوجيا اليها، والقيام بتدمير جميع أسلحة التدمير الشامل التي يملكها تحت اشراف الأمم المتحدة. ويتضمن القرار النقاط الرئيسية التالية:***

1 - يعتبر وقف إطلاق النار ساري المفعول، فقط عندما يعلن العراق قبوله بهذا القرار.

2 - يلتزم العراق بألا ينتج أو يطور أو يحصل على أي من أسلحة التدمير الشامل.

3 - يقبل العراق بأن يدمر جميع أسلحة التدمير الشامل،[4] وجميع الصواريخ والقذائف الباليستيكية التي يزيد مداها عن 150 كيلومتر.[5] وأن يتم ذلك تحت إشراف لجنة مراقبة من الأمم المتحدة يتم تشكيلها خصيصا لهذا الغرض. ويلتزم العراق بأن يقدم للأمين العام للأمم المتحدة بيانا بما في حوزته من تلك الأسلحة. وأن يتم ذلك في خلال مدة أقصاها 15 يوما من تاريخ قبوله بهذا القرار.

4 - يشكل الأمين العام لجنة خاصة للتفتيش على الطبيعة، والقيام بتدمير تلك الأسلحة، أو جعلها غير صالحة وغير ذات ضرر. وفي خلال 45 يوم من تاريخ قبول العراق بالقرار، تكون هذه اللجنة قد أتمت التفتيش والمراقبة. على أن يتم تدمير تلك الأسلحة خلال 45 يوما آخر.

5 - فرض حظر على الأسلحة بما في ذلك الأسلحة التقليدية وقطع الغيار، والتكنولوجيا، والأفراد، والمواد ذات الصلة بعمليات التدريب والخدمات الفنية. وينظر في الحظر المفروض على الأسلحة كل 120 يوم.

6 ـ الحدود الفاصلة بين العراق والكويت هي الحدود التي كانت قائمة عام 1963، وتقوم الأمم المتحدة برسمها وتحديدها. وينشأ على طول هذه الحدود منطقة منزوعة السلاح بعمق 10 كيلومتر من الجانب العراقي، 5 كيلومتر من الجانب الكويتي. وتكون هذه المنطقة خاضعة لمراقبة قوات من الأمم المتحدة. وتنسحب قوات دول التحالف بعد أن يتم انتشار قوات الأمم المتحدة.

7 ـ يلتزم العراق بدفع تعويضات عن الأضرار التي نجمت عن غزوه واحتلاله للكويت. وينشأ لهذا الغرض صندوق تصب فيه نسبة من عائدات النفط العراقية. ويتلقى الصندوق الدعاوي من الأطراف المتضررة، ويبت فيها. ويجب أن يراعي عند تحديد النسبة المحولة إلى الصندوق من عائدات النفط العراقية، احتياجات الشعب العراقي والاقتصاد العراقي وديون العراق الخارجية. (***المؤلف: أمريكا هي التي تتحكم في تنفيذ هذه الفقرة لكي تجعل الحصار أبديا دون الاهتمام بما يقاسيه شعب العراق نتيجة فرض هذه السيطرة المالية***).

8 ـ يلغى الحظر المفروض على الأغذية، مع تخفيف القيود المفروضة على امدادات متعلقة بالاحتياجات الضرورية للمدنيين. وقد ترفع اللجنة الحظر على سلع محددة يحتاج العراق لتصديرها حتى يتمكن من شراء الامدادات الضرورية. ويبحث المجلس الحظر كل 60 يوما. وترفع كل العقوبات المفروضة على الصادرات العراقية بعد إزالة أسلحة التدمير الشامل، وموافقة المجلس على نظام التعويضات. ولا تجمد أصول العراق في الخارج التي لم تضم إلى أموال صندوق التعويضات. (المؤلف: ان امريكا هي التي تفسر هذه الفقرة على هواها نتيجة سيطرتها على الأمم المتحدة. وبالتالي فان مجلس الأمن لا يوافق للعراق على أن يبيع نفطه بالكميات التي توفر له الحد الأدنى من العملة الصعبة التي يستطيع أن يشتري بها احتياجاته الضرورية. ***وبالتالي فان الحظر المفروض على الأغذية والمواد الطبية ما زال قائما من الناحية الواقعية لعدم توفر العملة التي تشتري بها تلك الاحتياجات***).

9 ـ يتعهد العراق بعدم مساندة الارهاب الدولي.

10 ـ على الدول أن تمنع العراق من مقاضاة أي شخص لم يف بعقد من العقود بسبب العقوبات أو الحرب.

رضوخ العراق للقرار 687

فيما يلي نص الرسالة التي بعث بها العراق الى رئيس مجلس الأمن الدولي. والتي يسجل فيها ملاحظاته المبدئية والقانونية على هذا القرار الجائر. ولكنه ينهي الرسالة بالقول أنه يجد نفسه أمام خيار واحد لا غير، وهو القبول بهذا القرار. وقد وافق البرلمان العراقي على هذا القرار يوم 91/4/6، بأغلبية 160 صوتا ضد 31 صوتا.

ان تطبيق نزع السلاح العراقي سيؤدي بالتأكيد الى خلل خطير في التوازن في المنطقة وهذا ما أكده عدد من أعضاء مجلس الأمن المنصفين في مداخلاتهم أثناء التصويت على القرار. وان مما لا شك فيه أن اسرائيل المعتدية والتوسعية، التي تحتل أراضي دول مجاورة، وتغتصب حقوق الشعب العربي الفلسطيني، وترتكب ضده يوميا أشد الفظاعات وحشية، والتي ترفض الامتثال لقرارات مجلس الأمن وتتعامل معها ومع كل قرارات المنظمة الدولية باحتقار، هي المستفيد الأول من هذا الخلل في التوازن.

وفي الوقت الذي يؤكد فيه القرار على أهمية انضمام جميع الدول الى اتفاقية حظر استحداث وانتاج وتخزين الأسلحة البكتريولوجية والسمية، وأهمية اعداد اتفاقية للحظر الشامل للأسلحة الكيماوية والانضمام اليها، فان القرار في الوقت نفسه يتجاهل تماما اهمية انضمام جميع الدول الى اتفاقية حظر الأسلحة النووية. كما يهمل أهمية اعداد اتفاقية للحظر الشامل لتلك الأسلحة في المنطقة. ويؤكد بدلا من ذلك على اهمية اقامة حوار بين دول المنطقة، لتحقيق ما يسمى بهدف تحديد متوازن وشامل للأسلحة في المنطقة.

ومما يؤكد الطبيعة المنحازة والمجحفة للقرار، ان المجلس يتذرع بما اسماه استعمال لقذائف بالستيكية في هجمات لم يسبقها استفزاز، ليطالب بتدمير جميع القذائف البالستيكية التي يزيد مداها عن 150 كم، ومرافق اصلاحها وانتاجها في العراق. ان الاشارة الى هجمات لم يسبقها استفزاز يقصد بها الهجمات ضد اسرائيل، التي كانت نفسها قد شنت هجوما عام 1981 لم يسبقه اي استفزاز، ودمرت فيه المنشآت النووية العراقية المخصصة للأغراض السلمية، والخاضعة للرقابة الدولية. وقد أقر مجلس الأمن بالاجماع في قراره

المرقم 487 / 1981 ، بأن ذلك الهجوم يشكل تهديدا خطيرا لنظام الرقابة التابع للوكالة الدولية للطاقة الذرية، والذي هو اساس معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية.

ومن الجدير بالذكر أن المجلس أقر في ذلك القرار أيضا، حق العراق بالحصول على تعويضات على الاضرار التي لحقت به من جراء ذلك العدوان. ولم ينفذ المجلس ذلك القرار حتى يومنا هذا. . . في الوقت الذي يضع فيه شروطا وآليات في غاية الشدة والاجحاف، عند تعامله مع مسألة التعويضات في هذا القرار، وبالشكل الذي يتجاهل فيه حتى الحاجات الانسانية والأساسية للشعب العراقي.

ومن الناحية الأخرى، كان العراق وما يزال يتعرض الى تهديدات خطيرة لأمنه الداخلي والخارجي، حيث تستمر محاولات التدخل في شؤون العراق الداخلية بالوسائل العسكرية. لذلك فان الاجراءات التي قررها المجلس ضد العراق، والتي اخلت بحقه المشروع في اقتناء الأسلحة العسكرية للأغراض الدفاعية، تشكل اسهاما مباشرا في تلك التهديدات، وفي زعزعة استقرار العراق على حساب أمنه الداخلي والخارجي، وبالتالي أمن وسلم واستقرار المنطقة ككل.

ان قرار المجلس في الوقت الذي ينص فيه على آليات لتطبيق التعويضات على العراق، لم يتطرق الى حق العراق في المطالبة بالتعويض عن الخسائر الكبيرة التي لحقت به، والدمار الشامل الذي أصاب المنشآت والبنى التحتية المخصصة للحياة المدنية فيه، من جراء التجاوز الواضح في تطبيق القرار 678 / 1990 ، والذي شهدت به بعثة الأمين العام التي زارت العراق مؤخرا، وتحدث عنه رئيس احدى الدول الأعضاء الدائمة في مجلس الأمن الرئيس السوفيتي ميخائيل غورباتشوف، وكل المراقبين المنصفين الذين شاهدوا نتائج العمليات العسكرية ضد العراق. *فالمجلس لم يفسر للرأي العام العالمي وللضمير الانساني ماهي العلاقة بين قراره 678 وبين التدمير المتعمد للبنى التحتية للمجتمع العراقي. ومن ذلك تدمير محطات الكهرباء، ومحطات المياه، والسدود الاروائية، والجسور في المدن، ومراكز الهاتف، ومعامل لانتاج حليب الأطفال، والأدوية، اضافة الى الملاجىء والمساجد،*

والكنائس، والأسواق، والأحياء المدنية، وغيرها مما تعرض اليه العراق. ومن ناحية أخرى يسمح القرار بمطالبة الآخرين للعراق بالتعويض عن الاضرار التي لحقت بهم، حتى إذا كانت تلك الاضرار بسبب امتناعهم عن تنفيذ التزاماتهم تجاه العراق بعد صدور القرار 661.

ويؤكد القرار نظرته الأحادية غير العادلة بشأن التعويضات، من خلال تحميله العراق التعويض عن الضرر اللاحق بالبيئة، واستنفاذ الموارد الطبيعية، من دون أن تتأكد مسؤوليته عن ذلك. وفي عين الوقت يغفل تعويض العراق ذاته عن الاضرار اللاحقة ببيئته، واستنفاذ موارده الطبيعية ***نتيجة ماهو مؤكد مما ألقي عليه من متفجرات تجاوزت أوزانها 88 000 طن، وتدمير شبكات المياه والكهرباء ومجاري الصرف الصحي، مما سبب*** تفشي الأمراض والأوبئة واثار سلبية خطيرة على البيئة.

ان هذه الأحكام انها تعبر عن الرغبة في الانتقام والايذاء. وليس الرغبة في اعلاء شأن أحكام القانون الدولي ذات الصلة. وأن النتائج العملية المباشرة لتنفيذ هذه الأحكام ستمس امكانات وموارد الملايين من أبناء شعب العراق، ولتحرمهم من الحياة بعزة وكرامة.

لقد قرر المجلس العقوبات الالزامية الشاملة ضد العراق بقراره 661 / 1990، على أساس كونها نتيجة لعدم امتثال العراق للقرار 660 / 1990. ورغم أن العراق قد أعلن قبوله لقرارات المجلس كافة، وتنفيذه للكثير من بنودها، فلقد نص قرار المجلس على أسلوب متدرج لرفع العقوبات يمتد زمنه لفترة غير محددة. ***وبذلك يتحكم المجلس بموجب سلطة تقديرية واسعة، يستخدمها بعض أعضائه المتنفذين، الذين تحكموا بصياغة قرارات المجلس، وبفرضها لأغراض سياسية لا تمت الى الميثاق والقانون الدولي بصلة.*** ان هذا الأسلوب يعني في الواقع أن المجلس قد ناقض الأساس الأصلي الذي فرض بموجبه العقوبات على العراق. فضلا عن انه لم يأخذ بنظر الاعتبار الخسارة التي تعرض لها الشعب العراقي، في الوقت الذي روعيت فيه فقط مصلحة الآخرين، رغم ما يتمتعون به من غنى وثروة.

ان المجلس لا يتناول في قراره مسألة انسحاب القوات الأجنبية التي تحتل جزءا من أرض العراق بصورة صريحة وقاطعة، في الوقت الذي جاء فيه القرار ليعالج الوقف الرسمي لاطلاق النار.

ان توافر الأسباب لاعلان الوقف الرسمي لاطلاق النار، هي عينها التي تفرض الانسحاب. ومن ثم يكون عدم النص على الانسحاب بصورة صريحة وقاطعة، بمثابة إجازة لاحتلال أراض في العراق لفترة تخضع للسلطة التقديرية للدول التي تمارس هذا الاحتلال، والتي لا تخفي نواياها من أنها تستخدم هذا الاحتلال لأغراض سياسية، وتبقية ورقة في يدها سعيا لتحقيق تلك الأغراض. ان هذا الموقف من جانب المجلس، يشكل خرقا صارخا لسيادة العراق واستقلاله وسلامته الاقليمية، وتجاوزا صريحا لأي سند يمكن الادعاء به على أساس قرار المجلس 678 / 1990. وبنفس المنهج الانتقائي المتعمد وغير المسوغ، ينص القرار على أن تعمل قوات الرقابة لمسافة عشرة كيلو مترات في الطرف العراقي وخمسة كيلو مترات في الطرف الآخر، مع أن الأرض في المنطقة كلها أرض منبسطة، ولا تتضمن تضاريس مختلفة توجب هذا التمييز في المسافات.

لقد وردت آليات عديدة تقتضي التشاور في سياق تنفيذ احكامه. ولا يفهم من نصوصه فيما إذا كان العراق سيشرك في المشاورات المذكورة. إن كون العراق طرفا أساسيا في تنفيذ القرار، وجهة معنية بالدرجة الأساس به، تفرض ضرورة اشتراكه الفعلي في كافة المشاورات التي تخص التنفيذ. وبخلاف ذلك يكون المجلس قد قصد التصرف مرة أخرى بصورة قمعية وغير منصفة.

ان محصلة معالجة الموضوعات التي وردت في القرار والتي تتعلق بها الملاحظات المبدئية الواردة فيما تقدم، تشكل بمجموعها ظلما وإجحافا بحق الشعب العراقي في الحياة، وإنكارا صارخا لحقوقه الثابتة في السيادة والاستقلال والارادة الحرة. *إن أحكام القرار التي تكرس معايير للازدواجية في التعامل الدولي والكيل بمكيالين للقضايا ذات الطبيعة الواحدة، تجعل في الواقع العراق وشعبه رهينة لرغبات عدد من القوى العظمى، كي تتحكم في مقدراته وحاجاته للمأكل والملبس والحياة المدنية العصرية التي ينشدها بعزة وكرامة.*

إن المجلس بقراره المجحف هذا، وبالأسلوب الانتقائي الذي مارسه ضد شعب العراق، أثبت الحقيقة التي أكدنا عليها باستمرار، وهي أن المجلس قد تحول إلى أداة طيعة في يد الولايات المتحدة، لتنفيذ رغباتها وسياستها في المنطقة. وإن الهدف الأساسي من ذلك هو حماية عدوانية اسرائيل وسياستها التوسعية، برغم الكلام الذي لا يقترن بفعل حول السلم والعدالة في الشرق الأوسط، الذي صدر عن هذا العضو أو ذاك من أعضاء المجلس الذين صوتوا على هذا القرار. ومن المؤسف أن دولا لم تقصد بالأساس أن تشارك الولايات المتحدة واسرائيل في تحقيق هذه الأهداف، قد أسهمت ربما من غير قصد في تحقيقها، من خلال التصويت على هذا القرار الجائر.

صاحب السعادة

في الوقت الذي يسجل فيه العراق هذه الملاحظات المبدئية والقانونية والشرعية، ليحث أصحاب الضمير من أعضاء المجتمع الدولي والرأي العام العالمي على فهم الحقيقة كما هي، والانتصار للحق كما ينبغي، ***فأن العراق يجد نفسه أمام خيار واحد لا غير هو القبول بهذا القرار.***

أرجو تامين توزيع هذه الرسالة كوثيقة من وثائق مجلس الأمن وتفضلوا بقبول وافر الاحترام.

(التوقيع) طارق عزيز
وزير خارجية العراق

قرار مجلس الأمن 688 (الخامس عشر)

صدر هذا القرار يوم 1991/4/5، بأغلبية عشرة أصوات. وقد عارض القرار كل من كوبا، واليمن، زيمبابوي . . . معللة ذلك بأن هذا القرار يعتبر غير مشروع لكونه يتعلق بالشئون الداخلية للعراق، وينتهك المبادىء الأساسية التي تضمنها ميثاق الأمم المتحدة. وامتنعت كل من الصين والهند عن التصويت.

ويندد المجلس بقمع المدنيين في عدة مناطق بالعراق خاصة منها الكردية. ويطالب القرار بضرورة السماح على الفور للمنظمات الانسانية الدولية بالوصول

الى جميع أولئك الذين يحتاجون الى مساعدات. وفي رده على الانتقادات التي وجهتها الدول الثلاث التي صوتت ضد القرار على أساس أنه يعتبر تدخلا في الشئون الداخلية للعراق، قال بيكرينج المندوب الأمريكي في مجلس الأمن «ليس في نية المجلس أن يتدخل في الشئون الداخلية للعراق، إلا ان تدخل مجلس الأمن جاء كرد فعل للقلق الذي أبدته كل من تركيا وايران إزاء تدفق اللاجئين العراقيين من أكراد وشيعة الى بلادهما» (***المؤلف: مرة أخرى نجد أن بعض الدول الاسلامية هي التي تعطي المبرر والشرعية للتدخل الأمريكي الصليبي ضد دولة اسلامية أخرى***).

ولم يكن إصدار قرار مجلس الأمن 688، إلا حلقة من المخطط الأمريكي الذي يهدف الى تدمير العراق واسقاط نظام صدام حسين. ففي يوم 91/4/7، بدأت القوات الأمريكية تسقط المواد الغذائية على مناطق الأكراد. وفي يوم 91/4/16، أعلنت أمريكا قيام محمية للأكراد شمال العراق أطلق عليها اسم Safe Haven، وأنذرت العراق بألا يستخدم أي قوات برية أو جوية، بما في ذلك طائرات الهيليوكوبتر شمال خط عرض 36 (هذا الخط يقتطع حوالي 40 000 كيلومتر مربع من الأراضي العراقية التي تمثل أكثر من 9 في المائة من المساحة الكلية للعراق ويمر الخط جنوب الموصل بحوالي 30 كيلومتر). وفي يوم 4/17 بدأت القوات الأمريكية والبريطانية والفرنسية عمليات ابرار جوي في المناطق العراقية شمال خط عرض 36، بحجة تأمين الأكراد، وتشجيع الذين فروا الى تركيا وايران على العودة الى ديارهم.

قرار مجلس الأمن الدولي 689 (السادس عشر)

صدر هذا القرار، يوم 91/4/9، تطبيقا للقرار 687، وبعد أن تأكد للمجلس قبول العراق لجميع القرارات التي اصدرها مجلس الأمن. وبموجب هذا القرار الأخير تشكلت United Nations Iraq Kuwait Observation Mission. وهي قوة دولية لمراقبة الحدود العراقية الكويتية وتعرف اختصارا بـ يونيكوم UNIKOM. وتتكون القوة من 1 440 مراقب من 34 دولة. وتتشكل هذه القوة من 300 مراقب، 300 مهندس، 5 سرايا مشاة، عدد من طائرات الهيليوكوبتر للمراقبة والقيام بأعمال الدورية. وبحلول نهاية شهر ابريل 1991، كانت الغالبية العظمى من تلك القوة قد وصلت الى مواقعها.

ويعتبر وصول العناصر الأولى من تلك القوة الى الأراضي العراقية يوم 1991/4/11، هو النهاية الرسمية لحرب الخليج.

قرار الأمين العام للأمم المتحدة

في أول يونيو 1991، حدد الأمين العام للأمم المتحدة خفير بيريز دي كويلار النسبة التي تقتطع من العائدات النفطية العراقية بـ 30 في المائة. وذلك لتعويض الخسائر المترتبة على حرب الخليج. وكان مجلس الأمن قد شكل في 91/5/20 لجنة مكلفة بادارة صندوق التعويضات تنفيذا لقرار مجلس الأمن رقم 687. وتقوم هذه اللجنة برئاسة الأمين العام للأمم المتحدة بتحديد النسبة المئوية التي تقتطع من العائدات النفطية العراقية. ومن المفترض أن هذه النسبة يمكن أن تزيد أو تقل طبقا لحالة الاقتصاد العراقي. (المؤلف: لا شك أن هذه النسبة تعتبر مجحفة جدا حيث أن العراق نفسه قد تحمل أضرارا مادية كبيرة... وهو في حاجة ماسة الى حوالي 250 مليار دولار لاعادة بناء البنية التحتية infrastructure التي دمرتها الحرب، وحتى يستطيع أن يبعث الانتعاش في اقتصاده من جديد.[7] وما يثير حفيظة كل عربي وكل مسلم ـ اللهم إلا هؤلاء الذين تعاونوا مع القوات الصليبية وحسابهم عند الله ـ فان أمريكا اعتبرت نسبة 30 في المائة التي اقترحها الأمين العام للأمم المتحدة هي نسبة ضئيلة. وطالبت برفعها الى 50٪ حتى يمكن ـ كما تقول ـ تلبية التعويضات للدول التي تضررت نتيجة هذه الحرب، والتي تقدرها أمريكا بأنها حوالي 200 مليار دولار. ولم تفكر أمريكا ولم يفكر العرب والمسلمون الذين أجزلوا العطاء لأمريكا وساعدوها بالجند، وبالمال من أجل تدمير العراق... لم يفكر هؤلاء كيف يمكن للعراق أن يعيد بناء ما دمرته أمريكا، وأن يوفر الخبز لشعبه، في ظل هذا القهر والاستغلال الاقتصادي !! ولم يرتفع صوت ليقول أن الشروط التي فرضتها أمريكا والحلفاء على ألمانيا واليابان بعد هزيمتهما في الحرب العالمية الثانية، لم تصل الى هذا الحد من القسوة التي يفرضونها على العراق !!

قرار مجلس الأمن رقم 705، 706 (السابع عشر، والثامن عشر)

صدر هذان القراران يوم 1991/8/15. وقد تمت الموافقة على القرار 705، باجماع الآراء. وينص هذ القرار على اقتطاع 30 ٪ من دخل العراق

من مبيعات البترول لصالح صندوق التعويضات عن الحرب. أما القرار 706، فقد تمت الموافقة عليه بأغلبية 13 صوتا ومعارضة صوت واحد هو كوبا وامتناع اليمن عن التصويت. ويسمح هذا القرار للعراق ببيع ما قيمته 1 600 مليون دولار من البترول في خلال الستة شهور القادمة حتى يتمكن العراق من شراء احتياجاته العاجلة، على ان يتم البيع والشراء تحت اشراف الأمم المتحدة. وقد صيغ هذان القرارات بعبارات توضح بأن ذلك لا يعني رفع العقوبات عن العراق... بل إنها تعني أن المجلس يسمح للعراق ببيع هذه الكمية المحدودة بصفة استثنائية، وباعتبارها مرة واحدة، لكي يستطيع العراق أن يستخدم نصيبه من هذه الأموال في شراء المواد الغذائية والطبية العاجلة، والامدادات الانسانية الأخرى التي يحتاج اليها العراق في الوقت الحالي، على ان يتم تحت اشراف الأمم المتحدة... حتى لا يستطيع العراق ان يستخدم جزءا من تلك الأموال في أي أغراض أخرى. أما الجزء المستقطع من ثمن هذه الكمية والذي يقدر بـ 480 مليون دولار، فانه يتم ايداعها في صندوق التعويضات عن الحرب (المؤلف: أصدر مجلس الأمن قراره رقم 661 بتاريخ 90/8/6 بفرض العقوبات الاقتصادية على العراق الى ان ينسحب من الكويت. وبعد وقف إطلاق النار، أصدر مجلس الأمن سلسلة من القرارات كان أولها هو القرار 686 بتاريخ 3 مارس 91، وكانت جميعها تؤكد على استمرار فرض العقوبات.

ومن الناحية القانونية، فان الغاء العقوبات الاقتصادية ضد العراق، تحتاج الى إصدار قرار جديد من مجلس الأمن. ومن الناحية الواقعية، فان هذا القرار لا يمكن أن يصدر حتى إذا توفرت له أصوات الأغلبية، حيث أن أمريكا تستطيع أن تستخدم حق النقض ضد مثل هذا القرار. وبالتالي فان أمريكا تتصرف وكأن قرار فرض العقوبات على العراق هو قرار أبدي لا يمكن لأحد الغاؤه دون موافقتها. وتسعى أمريكا حاليا لتتخذ من قرار مجلس الأمن بفرض العقوبات على العراق مدخلا لفرض وصايتها على العراق، وارغامه على أن يتصرف طبقا لارادتها).

وقد جاء في تصريح للسفير العراقي لدى الأمم المتحدة بعد صدور القرار 706 مايلي «إن هذا القرار يشكل تدخلا في الشئون الداخلية للعراق، إذ أنه

يضع العراق تحت وصاية بعض أعضاء المجلس مثل الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا. وليس لنا ان نرفض هذا القرار لأنه ميت من أساسه». أما سفير الولايات المتحدة لدى الأمم المتحدة توماس بيكرينج، فقد عقب على القرار 706 قائلا «إن القرار لا يرفع العقوبات عن العراق. بل إنه في الواقع يعزز العقوبات ويمنع الحكومة العراقية من الحصول على مكاسب سياسية. ويضمن التوزيع العادل لثمن النفط المباع بجعله تحت إشراف الأمم المتحدة».

القرار 707 (التاسع عشر)

صدر هذا القرار أيضا يوم 91/8/15. وقد تمت الموافقة عليه باجماع الآراء. ويدين القرار عدم قيام العراق بالكشف عن كل ما يملك من أسلحة التدمير الشامل (النووية والكيماوية والبيولوجية). ويطالب العراق بضرورة الكشف بدون تأخير عن تلك الأسلحة، وعن الصواريخ الباليستيكية التي يزيد مداها عن 150 كيلومتر . . . وأن يتعاون مع اللجنة الخاصة للأمم المتحدة، واللجنة الدولية للطاقة النووية في تدمير هذه الأسلحة.

الاستيلاء على وثائق علمية

كان قرار الأمم المتحدة رقم 687، يتضمن تدمير أسلحة التدمير الشامل. ومع ذلك فان فريق التفتيش الذي بعثت به الأمم المتحدة الى العراق، تجاوز هذا القرار باستيلائه على وثائق تتعلق بالبحوث والوثائق والبيانات التي تتعلق بالبرنامج النووي العراقي. وعندما اعترض العراق على ذلك وطالب باسترجاع الوثائق التي تم الاستيلاء عليها، رفض فريق التفتيش ذلك، مما اضطر العراق الى احتجاز الفريق ومنع أفراده من مغادرة المبنى. كانت بغداد تصف رئيس بعثة التفتيش الأممية ديفيد كاي David Kay بأنه عميل للمخابرات الأمريكية . . . وأن الوثائق المستولى عليها تتضمن بيانات دقيقة عن العلماء العرب الذين ساهموا في البرنامج النووي العراقي . . . وأن وقوع هذه البيانات في أيدي المخابرات الأمريكية والمخابرات الاسرائيلية سوف يعرض حياتهم للخطر. ولكن أمريكا كانت تصر على ضرورة السماح للفريق بمغادرة المبنى ومعهم جميع الوثائق التي استولوا عليها . . وهددت بالتدخل العسكري اذا لم يتم تنفيذ ذلك. وفي يوم 28 سبتمبر ـ وبعد أربعة أيام من الاحتجاز ـ سمح العراق للفريق بمغادرة المبنى ومعهم كل الوثائق التي كانوا قد استولوا عليها.[8]

كان فريق الأمم المتحدة يتكون من 44 عضوا، منهم 27 أمريكيا، أما باقي أعضـاء الفـريق فكـان منهم 14 ينتمون الى بريطانيا والمانيا وكندا واستراليا ونيوزيلنـدة . . . وثـلاثـة آخـرون من مصر وسوريا والمغرب. وعندما غادر الأمريكي David Kay العراق، فانه كان يحمل معه خلاصة البحوث العربية في مجال الذرة على مدى عقدين من الزمان . . تلك البحوث التي وصفها ديفيد كاي نفسه فيما بعد بأنها رائعة . . . وأنها تتفوق على كثير من البرامج النووية الأوروبية. وكان كل ذلك يحدث دون أن يرتفع صوت عربي رسمي واحد، يدين هذه التصرفات الجائرة التي تتخذ ضد العراق. وبعد فترة صمت طويلة، أعلنت الـوكالة العربية للطاقة النووية يوم 91/10/11، معارضتها لتدمير القدرات النووية. وقالت الوكالة في بيانها أنها طلبت من الجامعة العربية اتخاذ الخطوات اللازمة للتأكد من عدم تدمير المنشآت النووية العراقية، التي تعتبر جزءا من التراث العلمي العراقي. واقترحت الوكالة أن محطات القوى النووية العراقية التي لم يلحق بها ضرر من جراء حرب الخليج، يمكن أن تسند مهمة تشغيلها إلى أي دولة عربية يكلفها مجلس الأمن بذلك. كما أوضحت الوكالة في بيانها بأن الكميات الصغيرة من اليورانيوم والبلوتونيوم التي أنتجها العراق، هي أقل مما يحتاجه صنع أسلحة نووية. وكان العراق قد نفى في بيان سابق أنه يسعى لانتـاج قنـابل نووية . . . وأن جميع أبحاثه تتركز على مجالات الطاقة والطب. [9] ولكن الولايات المتحدة لم تكن تخجل من أن تعلن عن معارضتها لأي تقدم يحرزه العرب في مجال التكنولوجيا. ففي يوم 91/10/17، أعلن David Kay أمام الكونجرس الأمريكي أن العراق قد حقق تقدما كبيرا في مجال التكنولوجيا النووية. وان تدمير منشآته النووية، وحرمانه من الوثائق والبحوث العلمية التي تم الاستيلاء عليها، لا توفر الضمانات الكافية التي تمنعه من أن يعيد بناء ما تم تدميره. . ولذلك فان ديفيد كاي يطالب بضرورة فرض رقابة دائمة على العراق في مجال البحوث العلمية !!

كان هذا التعنت الأمـريكي تجاه أي تقـدم عربي في مجال التكنـولـوجيا الحديثة، يثير سخط العلماء والمثقفين ورجل الشارع في الوطن العربي والأمة الاسلامية . . . ولكن للأسف الشديد، فان الحكومات العربية كان لها موقف آخر. ففي لقاء مع مسؤولي الصحف المصرية بعد عودته في زيارة للسعودية،

قال الرئيس المصري حسني مبارك «تم البحث في مسألة أمن الخليج من منطلق التزام الدول الست الخليجية والدول التي تساندها، بعدم التعاون مع النظام العراقي بوصفه يمثل خطرا كبيرا على المنطقة حسب ما تراه هذه الدول». **ثم استطرد قائلا «إن صدام حسين مغامر خطير أخفى عن العالم 29 مركزا نوويا. فكيف نثق به».** [10] ***وكان كل ذلك يحدث دون ان يشير أحد ـ ولو بطريقة خجولة ـ الى البرنامج النووي الاسرائيلي.*** هذا البرنامج الذي يعرف الجميع أنه ينتج أسلحة نووية . . . ويعرف الجميع أن اسرائيل ترفض رفضا باتا أن تخضع منشآتها للتفتيش بواسطة الأمم المتحدة!!

تدمير المدفع العملاق

لم يتـوقف تجاوز الأمم المتحـدة عند استيلائهم على الـوثـائق العلمية والأمنية . . . بل تعداه الى تدمير أسلحة لم يرد ذكرها في قرار مجلس الأمن الدولي 687. وفي مقدمة هذه الأسلحة المدفع العملاق. وكان العراق قد بدأ عام 1988 مشروعا طموحا أطلق عليه اسم مشروع بابل Babylon الذي كان يهدف الى بناء مدفع عملاق (سبق أن تحدثنا عنه في الفصل الأول من هذا الكتاب). وقد نجح العراق في انتاج واختبار مدفع عملاق عيار 350 ملليمتر. وكان بصدد انتاج مدفعين آخرين عيار كل منهما 1 000 ملليمتر. كان المدفع الأول يقع في جبل حمرين Hamrin على بعد 170 كيلومتر شمال بغداد . . . بينما كانت مكونات المدفعين الآخرينَ مازالت مبعثرة لم يتم تجميعها في مكان بالقرب من مدينة الاسكندرية التي تقع جنوب بغداد بحوالي 50 كيلومتر. [11]

ومع ان بعثة تفتيش الأمم المتحدة، قد تحققت من أن الغرض من بناء تلك المدافع هو وضع أقمار صناعية في الفضاء . . . وبالتالي فانه لا يمكن توصيفها بأنها أسلحة . . . إلا أن البعثة أصرت على تدميرها . . . وفي مؤتمر صحفي عقد يوم 91/10/8، أعلن دوجلاس انجلند Douglas England رئيس فريق الأمم المتحدة، أنه تم في اليوم السابق تدمير المدفع 350 ملليمتر . . وأنه تم أيضا تدمير مكونات المدفعين الآخرين عيار 1 000 ملليمتر. [12]

قرار مجلس الأمن 715 (العشرون)

صدر هذا القرار يوم 91/11/11 . وقد صدر بالاجماع . ويحرم القرار على العراق اقامة أو تصنيع الأسلحة النووية أو الكيماوية أو البيولوجية . ويعطي القرار للجان التفتيش التابعة للأمم المتحدة، الحق في إجراء التفتيش المفاجىء في أي وقت وفي أي مكان، للبحث والتأكد من أن العراق لا يقوم سرا بانتاج أي من تلك الأسلحة، أو انتاج أي من مكوناتها.

وقد علق عبد الأمير الأنباري سفير العراق لدى الأمم المتحدة على هذا القرار بسخرية ومرارة عندما قال «ان هذا القرار يعطي لرئيس بعثة الأمم المتحدة في بغداد سلطات غير محدودة . . . سلطات تجعله يتساوى مع المفوضين السياسيين High Commisioners الذين كانت تعينهم الدول الامبريالية في مستعمراتها في العهود السابقة».

(المؤلف: بموجب هذا القرار يستطيع ممثلوا الأمم المتحدة ـ الذين هم في حقيقة الأمر يمثلون أمريكا ـ انتهاك حرمة أي منزل في الليل أو في النهار، بحجة أن هناك شكوكا في أن هذا المنزل يستخدم في انتاج أو اخفاء بعض مكونات أسلحة التدمير الشامل. فهل كان هذا هو ما يريده الزعماء والفقهاء المسلمون الذين ساندوا التدخل الصليبي ضد العراق، تحت شعار كاذب وخادع هو تحرير الكويت؟ إن كانت الاجابة نعم، فقد باؤا بغضب من الله وكفى بالله حسيبا. وإن كانت الاجابة لا، فليتوبوا إلى بارئهم وليعملوا على اصلاح ما أفسدوا، عسى الله أن يغفر لهم إن الله لغفور رحيم).

الخــــاتمـــــــة

■ **من كامب ديفيد إلى مدريد :** في خلال الفترة من 17 سبتمبر 78 وحتى 30 أكتوبر 1991 ، غير الزعماء العرب مسارهم بنسبة 180 درجة. فعندما وقع السادات على اتفاقيتي كامب ديفيد بالأحرف الأولى في 17/9/1978 ، اتهمه جميع الزعماء العرب ـ أو الغالبية العظمى منهم ـ بالخيانة والتفريط. وبعد أقل من 13 سنة كان الجميع يسيرون على نفس الدرب الذي سار عليه السادات. وكانت المحطة الأولى إلى كامب ديفيد الثانية هي مدريد، التي اجتمع فيها الزعماء العرب مع إسرائيل تحت المظلة الأمريكية. وأقول تحت المظلة الأمريكية لأن مشاركة الاتحاد السوفيتي هي مشاركة شكلية، بعد أن فقد صفة الدولة العظمى. ***والشيء الذي يثير التعجب حقاً، هو أن الذين يقودون المسيرة إلى كامب ديفيد الثانية هم نفس الأشخاص الذين كانوا يقودون المسيرة ضد كامب ديفيد الأولى***. لو أن هذا التغيير المذهل في المسار قد حدث نتيجة تحول ديموقراطي، لقلنا هذه هي إرادة الشعب العربي . . . ولو أنه حدث نتيجة انقلاب عسكري أسقط القيادة السياسية التي كانت تتصدى لكامب ديفيد الأولى، لقلنا دكتاتورية وطنية أُستبدلت بدكتاتورية موالية للامبريالية والصهيونية. ولكن لم يحدث لا هذا ولا ذاك. بل نفس الزعماء ونفس الأشخاص. وأقوالهم طوال فترة السنوات الماضية مسجلة . . . ليست في الصحف فحسب، بل وبالصوت والصورة في شتى التليفزيونات العربية والعالمية. وقد ذكرنا في هذا الكتاب بعضا مما قالوه.

■ **الصهيونية والامبريالية وجهان لعملة واحدة : وهما في تحالف مقدس ضد الاسلام والمسلمين بصفة عامة، وضد العرب بصفة خاصة . . .** لأن العرب غالبيتهم العظمى من المسلمين، ولأنهم يمثلون قلب العالم الاسلامي، وعلى أرضهم تتواجد جميع الأماكن المقدسة لجميع الأديان السماوية. والتاريخ يؤكد أنه إذا عزَّ العرب عزَّ المسلمون. وإذا ذلَّ العرب ذلَّ المسلمون. فالسيطرة على المنطقة العربية لابد وأن تؤدي إلى امتداد تلك السيطرة لتشمل باقي الشعوب الاسلامية. والامبريالية العالمية هي التي خلقت دولة اسرائيل. فعندما احتلت

بريطانيا أرض فلسطين عام 1917 ، كان عدد سكان البلاد : 000 600 مسلم، 000 75 مسيحي ، 000 60 يهودي . وفي ظل الاحتلال البريطاني ، كان سكان البلاد عام 1947 ـ عند صدور قرار التقسيم ـ هو 000 1000 مسلم، 000 650 يهودي ، 000 150 مسيحي . (المؤلف نسبة الزيادة خلال 30 سنة هي 66٪ للمسلمين، 100٪ للمسيحيين، 083 1٪ لليهود) .

ومنذ مولد الدولة اليهودية في 15 مايو 48 ، وحتى نهاية عام 1991 ، حصلت اسرائيل من الدول الصليبية على المساعدات الرئيسية التالية :

1 ـ **في المجال الاقتصادي** : حصلت اسرائيل على حوالي 200 مليار دولار (75 مليار مارك ألماني دفعتها ألمانيا كتعويضات لاسرائيل + 165 مليار دولار من أمريكا. ويشمل هذا الرقم الأخير، المساعدات الأمريكية الحكومية المباشرة والغير مباشرة، وكذلك المبالغ التي يتبرع بها الأمريكيون أشخاصا ومنظمات إلى أشخاص ومنظمات اسرائيلية . . . وذلك طبقا لدراسة قام بها الأمريكي Dutton) . هذا يعني أن القوى الصليبية بزعامة أمريكا ساهمت حتى الآن بدفع 000 50 دولار في مقابل توطين كل يهودي في الأراضي العربية .

2 ـ **في المجال السياسي** : كان حق الفيتو الذي تتمتع به أمريكا في مجلس الأمن مسخرا لخدمة اسرائيل . استخدمته 60 مرة لكي تجهض قرارات تحظى بموافقة أغلبية أعضاء المجلس، لأن هذه القرارات كانت تدين اسرائيل . . . وهددت باستخدام هذا الحق 90 مرة لكي تقنع الدول العربية ومن يؤيدونها، بأنه لا فائدة ترجى من عرض تلك القرارات للتصويت عليها بواسطة المجلس، مادامت أمريكا قد أعلنت أنها لا توافق على صيغة تلك القرارات، وأنها ستستخدم حق الفيتو في إجهاضها إذا عرضت للتصويت عليها . . . وساومت بهذا الحق من أجل استصدار قرارات ظاهرها الرحمة بالعرب والفلسطينيين، وباطنها التأييد الكامل للموقف الاسرائيلي . . . التأييد بالصمت أحياناً، والامتناع عن التصويت أحياناً، وتوجيه النقد الى اسرائيل أحياناً دون أن يتصاعد هذا النقد إلى درجة الادانة أحيانا أخرى . وفيما يلي موقف أمريكا الرسمي من القضايا العربية المعاصرة :

أ - **القدس** : في 80/6/30، صوت مجلس الأمن بأغلبية 14 صوت وامتناع أمريكا عن التصويت، على قرار يقول أن ليس من حق اسرائيل أن تغير الأوضاع Status في القدس، وأن تعتبرها عاصمة لاسرائيل . . . وكان ذلك ردا على قرار اسرائيل يوم 80/5/14 بضم القدس واعتبارها عاصمة لاسرائيل. وفي 80/8/20 صوت مجلس الأمن بأغلبية 14 صوت وامتناع أمريكا عن التصويت، على قرار يدعو جميع الدول التي لها سفارات في القدس بأن تسحب بعثاتها الدبلوماسية منها. وفي يوم 90/3/22، اتخذ مجلس الشيوخ الأمريكي قرارا يقضي باعتبار القدس الموحدة عاصمة لاسرائيل.

ب - **الأراضي المحتلة** : استخدمت الولايات المتحدة حق الفيتو بتاريخ 80/4/30، لاجهاض مشروع قرار لمجلس الأمن يدعو اسرائيل إلى الانسحاب من جميع الأراضي التي احتلتها منذ 5 يونيو 1967، واعطاء الفلسطينيين الحق في تقرير مصيرهم. ومازال هذا هو موقفها حتى اليوم. أما الجمعية العامة للأمم المتحدة - حيث لا تتمتع الولايات المتحدة بحق الفيتو - فقد أصدرت عدة قرارات تدين السياسة الاسرائيلية في الأراضي المحتلة. نذكر منها قرار الجمعية بتاريخ 75/12/15 الذي يدين إقامة المستوطنات في الأراضي المحتلة، وقد أيد القرار 102 دولة وعارضه 3 دول هي الولايات المتحدة واسرائيل ونيكاراجوا (تحت نظام الدكتاتوري السابق ساموزا). ونذكر قرار الجمعية العامة بتاريخ 29 يوليو 80 الذي يطالب اسرائيل بالانسحاب من جميع الأراضي التي احتلتها منذ 5 يونيو 1967، وقد أيد هذا القرار 112 دولة وعارضته 7 دول على رأسها الولايات المتحدة واسرائيل. ونذكر قرار الجمعية بتاريخ 20 ديسمبر 82 الذي يدعو اسرائيل الى الانسحاب من جميع الأراضي المحتلة، ويقضي بحق

الفلسطينيين في إقامة دولتهم المستقلة. وقد أيد هذا القرار 122 دولة وعارضته دولتان هما الولايات المتحدة واسرائيل. وحتى يومنا هذا مازالت سياسة الولايات المتحدة لم تتغير، تجاه هذه القضية. فهي ترفض أن يكون للفلسطينيين الحق في تقرير مصيرهم واقامة دولتهم المستقلة . . . وهي ترفض ادانة الاستيطان الاسرائيلي، مما شجع اسرائيل على الاستمرار في بناء المستوطنات. ويقدر عدد المستوطنين اليهود في الأراضي العربية التي احتلتها اسرائيل منذ عام 1967 (الضفة الغربية، قطاع غزة، الجولان، القدس الشرقية) بحوالي 200 000 . . . وأمريكا هي التي ضغطت على الاتحاد السوفيتي لكي يفتح باب الهجرة أمام اليهود السوفيت فوصل منهم إلى إسرائيل 184 000 خلال عام 1990، ويحتمل أن يصل منهم 150 000 آخرين خلال عام 1991 . . . وهي التي تقوم بتمويل هذا الاستيطان، فخصصت لهذا الغرض 820 مليون دولار عام 1991، وينتظر أن يتضاعف هذا الرقم خلال عام 1992.

جـ - **الجولان** : في 81/12/14، أصدر الكنيست الاسرائيلي قانونا يقضي بتطبيق القانون الاسرائيلي على السكان في الجولان السورية التي احتلها القوات الاسرائيلية عام 1967، وهو ما يعني ضم الجولان دون النص على ذلك. وفي 81/12/18، اتخذ مجلس الأمن قرارا بالاجماع يقضي بعدم شرعية القرار الاسرائيلي. ومع أن أمريكا لم تعارض هذا القرار ولم تمتنع عن التصويت عليه، بل صوتت لصالحه، إلا أنها لم تتخذ أي إجراء يرغم اسرائيل على الغاء قرارها. وفي 91/11/11، أصدر الكنيست قانونا جديدا يقضي بضم الجولان ضما قانونيا إلى اسرائيل. ولم يجتمع مجلس الأمن حتى الآن للرد على هذا التحدي الاسرائيلي . . . كما أن أمريكا اكتفت بالقول بأن ذلك لا يخدم مسيرة السلام في الشرق الأوسط.

د - **لبنان** : في 86/9/23، صوت مجلس الأمن بأغلبية 14 صوت وامتناع أمريكا عن التصويت، على قرار يدعو إلى انسحاب جميع القوات العسكرية التي لا توافق عليها الحكومة اللبنانية في الجنوب اللبناني.

3 - **في المجال العسكري** : وبفضل ما تقدمه أمريكا إلى إسرائيل من أحدث الأسلحة والمعدات، وما تقدمه إليها في مجال البحوث والتطورات في الصناعات الحربية، أصبحت اسرائيل التي عدد سكانها يقل عن 4 مليون يهودي، تملك ثالث أقوى وأحدث قوات برية وقوات جوية في العالم. ولا يسبقها في هذا المجال سوى الولايات المتحدة، والاتحاد السوفيتي (تفكك الاتحاد السوفيتي إلى كومنولث Commonwealth يضم جمهوريات مستقلة في أعقاب وثيقة منسك Minsk التي وقع عليها رؤساء جمهوريات روسيا، وروسيا البيضاء، وأوكرانيا مساء 8 ديسمبر 91. ومن المنتظر أن ترث جمهورية روسيا المقعد الدائم الذي كان يشغله الاتحاد السوفيتي في مجلس الأمن الدولي. وأن تبقى جمهورية روسيا ثاني قوة عسكرية في العالم لبضع سنوات قادمة. ولكن من الصعب الآن أن نتصور ما سوف يكون عليه الموقف بعد عشر سنوات . . . حيث أن موقف روسيا واحتمال انسلاخ بعض أجزاء منها، هو أيضا إحتمال لا نستطيع أن نستبعده).

■ ***الحرب من أجل اسرائيل : الهجوم الأمريكي على العراق وتدمير الآلة العسكرية والبنية الصناعية والتحتية العراقية، هو حلقة من حلقات الصراع العربي الاسرائيلي. وإن عدم مشاركة اسرائيل في الحملة العسكرية ضد العراق بطريقة علنية، لا يمكن أن ينفي مشاركتها الفعلية والسرية التي لم يكشف عنها النقاب بعد. ويكفينا حاليا ما صرح به ديك تشيني يوم 8 مارس 91 عندما قال : وإن التعاون الوثيق الذي تم بين الولايات المتحدة واسرائيل خلال تلك الحرب لم يسبق له مثيل منذ 40 عاما. وقد قدمت اسرائيل للولايات المتحدة مساعدات قيمة جدا ساعدت قوات التحالف مساعدة كبيرة، على الرغم من أن إسرائيل لم تتدخل في حرب الخليج بصورة***

مباشرة» . . . وما صرح به الجنرال شوارتزكوبف يوم 23 مايو 91 عندما قال مخاطبا شعب إسرائيل «ان الحرب التي خاضها رجالنا في منطقة الخليج كانت من أجلكم . من أجل اسرائيل . وقد عمل الرجال على تحطيم عدوكم . العدو الرئيسي لكم في المنطقة . . . لقد قدمت إسرائيل لنا خلال تلك الحرب مساعدات قيمة وهامة جدا ، وأكثر بكثير مما طلبنا منها . ولا أريد أن أكشف الآن عن تفاصيل مثيرة» .

■ ***ومن يتولهم فهو منهم : إن مشاركة بعض الأنظمة الاسلامية في الهجوم الأمريكي الغربي ضد العراق ، لا يمكن أن ينفي صفة الصليبية عن تلك الحرب .*** فقد سبق أن حدث نفس الشيء في الأندلس في القرن الخامس عشر . . . عندما اقتسم الحكام وأبناؤهم دار الاسلام واستقل كل منهم بمقاطعة ذات سيادة . . . يصادقون ويستنجدون بالممالك الصليبية في قشتالة وأرجون لينتصروا بهم على إخوانهم في الاسلام . فسقطت قلاعهم ودويلاتهم الواحدة تلو الأخرى نتيجة هذا التدخل الصليبي . وانتهى الأمر بأن ابتلع الصليبيون كل تلك الدويلات . فالحرب توصف بأنها صليبية إذا كان هدف الصليبيون هو فتنة المسلمين في دينهم . . . واستغلال ونهب ثرواتهم . . . وتفتيت وتجزئة دار الاسلام إلى دويلات ، أو العمل على استمرار وحماية هذا التفتيت . . . وإجهاض أي نجاح جزئي تحققه أي قوة إسلامية في المجال العسكري والصناعي والتكنولوجي قبل أن يصل هذا النجاح إلى مستوى التعادل مع الدول الصليبية واليهودية في تلك المجالات . . . وكل ذلك ينطبق على تلك الحرب التي شنتها أمريكا وحلفاؤها من الدول الصليبية ضد العراق . وإن انضمام بعض المسلمين أفرادا أو حكاما إلى جانب أمريكا لا يمكن أن يسقط صفة الصليبية عن تلك الحرب عملا بقوله تعالى «ومن يتولهم منكم فإنه منهم» . وقد ناقشت هذا الموضوع بالتفصيل في الفصل العاشر .

■ ***منظمة المؤتمر الاسلامي : لقد أخذ حكام المسلمين على أنفسهم موثقا أمام الله في مكة المكرمة في يوم 22 ربيع الأول 1401 هجرية (28 يناير 1981) عندما اجتمعوا في مؤتمر القمة الاسلامية الثالث في السعودية .*** ثم أكدوا التزامهم بهذا الميثاق وأضافوا إليه بنودا أخرى عند اجتماعهم في مؤتمر القمة الاسلامي الرابع في الرباط في يناير 84 ، وفي مؤتمر القمة الاسلامي الخامس

في الكويت في يناير 87، اما مؤتمر القمة الاسلامي السادس الذي عقد في العاصمة السينيغالية دكار 9 ـ 12 ديسمبر 1991، فقد جاء مخيبا لآمال المسلمين كافة. فانه لم يكتفي بالصمت تجاه التزاماته السابقة أمام الله والأمة الاسلامية. بل انه قرر أن يحذف كلمة الجهاد من شعاراته. وبذلك تكون منظمة المؤتمر الاسلامي قد تخلت عن ميثاقها وعن القرارات التي أصدرتها في مؤتمرها الثالث (ميثاق مكة 1981/1/28)... التي جاء فيها النص التالي «ينظر المؤتمر بقلق شديد إلى التطورات الأخيرة التي طرأت على مشكلة الشرق الأوسط وقضية فلسطين التي حدثت في المنطقة، وخصوصا اقدام النظام المصري على تطبيع العلاقات مع الكيان الصهيوني، واستمراره في تنفيذ مؤامرة الحكم الذاتي ... ***ويرى أن تحرير القدس وعودتها إلى السيادة العربية، وتخليص المقدسات الدينية من الاحتلال الصهيوني هو من مستلزمات الجهاد المقدس، الذي يتوجب على جميع الدول الاسلامية أن تنهض به وتسهم فيه بما هي قادرة عليه»***. فإذا تحللت الدول الاسلامية من هذا الالتزام الذي تشكلت المنظمة من أجله ـ في أعقاب إحراق المسجد الأقصى في 69/8/21 ـ فلست أرى أي سبب لوجودها ... إلا أن تكون قد تحولت إلى منظمة تعمل في خدمة الامبريالية.

كانوا في الماضي يتظاهرون بالطهارة ... كانوا يدينون الولايات المتحدة داخل المؤتمرات، ثم يخرج الكثيرون منهم بعد ذلك ليعانقوا الأمريكيين، وليتعاونوا معهم ضد إخوانهم الذين كانوا يجلسون معهم في تلك المؤتمرات ... كانوا يقررون داخل تلك المؤتمرات دعوة الدول الاسلامية الى الامتناع عن إقامة أي علاقات مباشرة أو غير مباشرة مع العدو الصهيوني ... ويطالبون الدول الاسلامية التي تقيم علاقات مع العدو الصهيوني تحت أي شكل من الأشكال أن تقوم بقطع علاقاتها فورا ودون أجل، تطبيقا لميثاق ولوائح منظمة المؤتمر الاسلامي ... بينما هم يعلمون أن تركيا ومصر تقيمان علاقات كاملة مع إسرائيل، وتعلنان بصراحة تامة أنهما لن تقوما بقطع تلك العلاقات. ومع ذلك لم تكن منظمة المؤتمر الاسلامي تتخذ أي اجراءات عقابية ضد الأنظمة التي تنهك ميثاقها ولوائحها وقراراتها !! كان ذلك هو أسلوبهم في الماضي. أما بعد المشاركة العلنية ضمن صفوف المصليبيين في قتال العراق،

فلم يعد للخجل مكان. بل ذهب بهم التحدي والغرور إلى أن يشطبوا من قاموسهم ركنا هاما من أركان الاسلام وهو الجهاد. ولم يكن إسقاط الجهاد في مؤتمر دكار سوى خطوة محسوبة ضمن مخطط كبير يرمي إلى تطبيع العلاقات بين الدول الاسلامية واسرائيل. ففي يوم 16 ديسمبر 1991 صوتت الجمعية العامة للأمم المتحدة بأغلبية 111 صوت، ومعارضة 25، وامتناع 19، وغياب 11 صوت، على إلغاء قرارها رقم 379 3 الذي كان قد صدر بتاريخ 10 نوفمبر 1975، والذي كان يعتبر أن الصهيونية شكل من أشكال العنصرية. ولم يصوت ضد هذا القرار إلا حوالي نصف عدد أعضاء الدول الأسلامية. اما النصف الباقي فكان بين مؤيد أو ممتنع عن التصويت. وحيث أن امتناع دولة اسلامية عن التصويت على هذا القرار، أو غيابها وعدم حضورها جلسة التصويت، يعتبر في حقيقة الأمر تأييدا صامتا لهذا القرار . . . فإن الحقيقة المرة هي أن حوالي نصف أعضاء منظمة المؤتمر الاسلامي، أصبحوا يطالبون بتطبيع العلاقات مع اسرائيل. والمصيبة الكبرى هي أن 7 دول عربية قد امتنعت عن التصويت على هذا القرار. وهذه الدول هي مصر، الكويت، البحرين، عمان، جيبوتي، تونس، والمغرب.

■ ***المال العربي في خدمة الصليبيين : سوف يسجل التاريخ أن الحرب الصليبية الثامنة، هي أول حرب تقوم فيها طائفة من المسلمين بتمويل الجزء الأكبر من حملة صليبية، من أجل ضرب وتدمير طائفة أخرى من المسلمين. فقد بلغت التكاليف المباشرة لهذه الحرب حوالي 100 مليار دولار، دفعت الدول الخليجية منها 75 مليار دولار (السعودية 48 مليار + الكويت 6 . 22 + 4 . 4 باقي الدول الخليجية)***. وقامت اليابان ـ وهي دول ليست صليبية ـ بدفع 13 مليار دولار. ولعلّ المانيا هي الدولة الصليبية الوحيدة التي مولت هذه الحرب بمبلغ 5 . 11 مليار دولار. أما باقي الدول الصليبية المشاركة في تلك الحرب ـ وفي مقدمتهم أمريكا وبريطانيا وفرنسا ـ فلم تتحمل خزائنهم دولارا واحدا لتمويل تلك الحرب. بل إنه من المعتقد أن بعضا من الدول الصليبية قد حققت أرباحا مباشرة، نتيجة حصولها على مساعدات مالية من الدول الخليجية تزيد عن التكاليف الفعلية التي تحملتها. وذلك بالاضافة الى الأرباح الغير مباشرة والتي تقدر بمئات الملايير من الدولارات. وتشمل الأرباح الغير مباشرة مايلي :

- تحقيق أحد الأهداف الرئيسية لهذه الحرب وهو الابقاء على السعر المنخفض للنفط. فإذا علمنا أن السعر العادل لبرميل النفط بالمقارنة إلى سعر الطاقة المولدة من مصادر أخرى يجب ألا يقل عن 40 دولار للبرميل . . . وأن الدول الصناعية تشتريه بسعر متوسط يقدر بحوالي 20 دولار للبرميل . . . فإن ذلك يعني أن الدول والشركات المشترية تستولي من دول الأوبك على حوالي 170 مليار دولار سنويا، تتحمل الدول الاسلامية منها حوالي 150 مليار دولار سنويا.

2 - إن إغراق السوق بالنفط الرخيص من دول الأوبك، سوف يؤدي حتماً إلى انخفاض السعر الذي يبيع به الاتحاد السوفيتي وغيره من الدول الأخرى المنتجة للنفط خارج عضوية دول الأوبك. وهذا بدوره سوف يضيف أرباحاً جديدة للدول الصناعية المستوردة للنفط.

3 - ان إعادة تدمير ما خربته الحرب في العراق والكويت يقدر بصفة مبدئية بحوالي 400 مليار دولار، من المنتظر أن يذهب الجزء الأكبر من هذا المبلغ إلى جيوب الشركات الأجنبية.

■ ***الشارع العربي والاسلامي : لم تكن قرارات الأنظمة العربية والاسلامية، تعبر عن نبض الشارع العربي والاسلامي. ويرجع ذلك إلى غيبة الديموقراطية، وسيطرة الحكام على أجهزة الأعلام وعلى جميع أجهزة القمع السلطوية في البلاد، وبالتالي فإن الجماهير العربية والاسلامية لم تستطيع أن تعبر عن شعورها الحقيقي تجاه تلك الحرب إلا في حدود ضيقة، وبالقدر الذي تسمح به تلك السلطات. والمصيبة الكبرى هي أن الأنظمة العربية والاسلامية التي ساندت أمريكا والدول الصليبية الأخرى في عدوانها على العراق، تدعي بأنها كانت تعبر عن الرأي العام في شعوبها. بل إن البعض منها قام بتنظيم المظاهرات التي تؤيد وجهة نظرها، وتندد بالعراق . . . وقد تم كل ذلك مع أنهم يعلمون، وتعلم معهم أمريكا، أن ذلك هو أبعد ما يكون عن الحقيقة. وإني أقول لهم وإذا كنتم حقا تصدقون ما تدعون . . . فهل تقبلون أن نحتكم إلى شعوبكم في استفتاء حر ونزيه ؟» إنني على يقين أن الجماهير العربية والاسلامية، سوف تقول لا وألف لا لكل من والى أمريكا وساندها من الحكام العرب والمسلمين. ففي عملية سبر للآراء أجريت في باكستان يوم***

19 يناير 91، ظهر أن 98 في المائة من الشعب الباكستاني يساندون ويتعاطفون مع العراق... وذلك بالرغم من أن النظام الباكستاني كان يساند العدوان الأمريكي.

■ ***الاتحاد السوفيتي: لم يشترك الاتحاد السوفيتي عسكريا في الحرب ضد العراق. ومع ذلك فإن الانتصار العسكري الذي حققته أمريكا وحلفاؤها في تلك الحرب، يرجع الفضل فيه أولا وأخيرا للاتحاد السوفيتي.*** فلو لم يتخل الاتحاد السوفيتي عن العراق، ويتخذ موقفا مؤيدا ومساندا لأمريكا لما أقدمت أمريكا على تلك الحرب أصلا... ولو غامرت أمريكا وخاضت تلك الحرب رغم مساندة الاتحاد السوفيتي للعراق لغرقت في مستنقع يفوق كثيرا مستنقع فيتنام. ولكن مساندة الاتحاد السوفيتي لأمريكا هي التي جعلت انتصار أمريكا في تلك الحرب امرا ممكنا للأسباب التالية:

1 - لولا تلك المساندة، لما استطاعت أمريكا أن تستخرج من مجلس الأمن تلك القرارات التي اتخذتها ذريعة للتدخل العسكري ضد العراق.

2 - لولا اطمئنان أمريكا لموقف للاتحاد السوفيتي، لما أقدمت على سحب نصف قواتها المتواجدة في أوروبا وأكثر من نصف احتياطيها الاستراتيجي المخصص للمسرح الأوروبي، لكي تقوم بحشدها ضد العراق... حتى لا يختل التوازن العسكري بين العملاقين في المسرح الأوروبي. ولو لم تسحب أمريكا وبريطانيا وفرنسا القوات التي حشدتها ضد العراق من المسرح الأوروبي، لما استطاعت أن توفر القوات اللازمة لتلك الحملة ضد العراق دون اللجوء إلى التبعية العامة... وهو ما كان سوف يقابل بمعارضة شديدة من الرأي العام في تلك البلاد.

3 - لو لم يتخل الاتحاد السوفيتي عن العراق، لأمدَّه بالأسلحة الحديثة في مجال الدفاع الجوي والحرب الالكترونية والمعلومات التي تحصل عليها أقمار التجسس. ولو فعل الاتحاد السوفيتي ذلك، لحرم أمريكا وحلفائها من عنصر التفوق الذي كان هو السبب الرئيسي للانتصار في تلك الحرب.

4 - لو لم يتخل الاتحاد السوفيتي عن العراق، لما استطاعت أمريكا وحلفاؤها أن تفرض حصارا مؤثرا ضد العراق.

■ الأمم المتحدة : روعي عند تشكيل الأمم المتحدة، أن تكون سلطة القرار في أيدي الدول العظمى الخمس التي انتصرت في الحرب العالمية الثانية. وكان التنافس وتناقض المصالح بين معسكرين رئيسين داخل تلك القيادة الدولية، هو نعمة كبيرة لباقي دول العالم (وصل عدد الدول الأعضاء في الأمم المتحدة إلى 166 بعد أن انضمت إلى عضويتها كل من كوريا الشمالية وكوريا الجنوبية ودول البلطيق الثلاث). وفي ظل هذا التوازن الدولي، فإن القرارات التي تصدرها الأمم المتحدة - حتى وإن لم تكن عادلة - فإنها كانت إلى حدٍّ ما متوازنة. ولكن انهيار المعسكر الشيوعي عام 1989 . . . وتراجع الاتحاد السوفيتي عن مركزه القيادي داخل ال Junta الدولية التي تتحكم في مصير العالم . . . وانفراد الولايات المتحدة بالسلطة داخل القيادة الدولية . . . جرّد هيئة الأمم المتحدة من كل فعالياتها، وحولها إلى مجرد ألعوبة في يد أمريكا. وتقلص دور الأمم المتحدة من منظمة كان يتم من خلالها التوصل إلى حلول وسطية، إلى مجرد هيئة شكلية تبصم على القرارات الأمريكية لاعطائها الصفة الدولية. والذي يثير السخرية حقا، هو أن أمريكا تدعي بأن القرارات التي تصدر من تلك الهيئة البائسة، تمثل الشرعية الدولية. مثلها في ذلك كمثل أي دكتاتور يدعي شرعية ما يصدره من قرارات ظالمة، لمجرد أن مجلس شورى أو برلمان صوري من صنعه، قد وضع خاتمة على تلك القرارات.

وفي ظل تلك الأوضاع المتردية على المستوى الدولي، استصدرت أمريكا من مجلس الأمن الدولي 19 قرارا ضد العراق في خلال عام واحد (مابين 90/8/2 وحتى 91/8/15). وهو رقم قياسي لم يحدث في تاريخ الأمم المتحدة منذ نشأتها. ولم يعرف الخجل طريقه إلى من ينادون بضرورة تطبيق تلك القرارات بصرامة على العراق، باعتبارها تمثل الشرعية الدولية . . . بينما هم يعلمون أن هناك عشرات القرارات التي أصدرتها الأمم المتحدة ضد اسرائيل مازالت غير مطبقة. ***وهذا يعني أن الشرعية الدولية هي في الحقيقة حق الطرف الأقوى في فرض مايريد على الطرف الأضعف. وقد أرادت اسرائيل أن تذكر المجتمع الدولي بهذه الحقيقة، فأعلنت يوم 1991/11/11 قرارها بضم هضبة الجولان السورية إلى اسرائيل !! ومع ذلك فلم يجتمع مجلس الأمن . . . ولم تتحرك الجيوش الصليبية ضد الدولة اليهودية لانتهاكها للقوانين الدولية.***

■ إخفاء النوايا : نجح بوش في إخفاء نواياه الحقيقية عن صدام حسين . ففي خطاب يوم 8 أغسطس 90 ، الذي أعلن فيه قراره بارسال قوات أمريكية إلى السعودية قال «اننا نطالب بانسحاب القوات العراقية الغير مشروط من الكويت، ولكننا لن نستخدم القوة لتحقيق هذا الهدف . وإن هدف قواتنا التي في المنطقة هو الدفاع عن السعودية .»[1] كان يأمل أن يصدق صدام حسين هذا الادعاء، حتى لا يقوم بالتدخل ضد القوات الأمريكية وهي في أضعف حالتها . فقد كان بوش يعلم جيدا أن الوجود الأمريكي في المنطقة في ذلك الوقت، ولمدة ثلاثة شهور أخرى، لن يكون قادرا على التصدي لأي هجوم عراقي . ولكن بعد أن أصبح لأمريكا وحلفائها القوات الكافية التي تسمح بأن تتصدى بنجاح لأي هجوم عراقي، أعلن بوش يوم 8 نوفمبر 90 عن نواياه الهجومية . وحتى عندما أعلن نواياه الهجومية، فإنه قام بتغليفها في عبارات مطاطة تخفي نواياه الحقيقية في تدمير القوات المسلحة العراقية، بل وتدمير القدرات العراقية في مجال انتاج أسلحة التدمير الشامل . فقد جاء في تصريحه يوم 8 نوفمبر مايلي «لقد أصدرت تعليماتي اليوم إلى وزير الدفاع من أجل زيادة حجم قوات درع الصحراء إلى الحد الذي يجعل قوات التحالف قادرة على شن هجوم من أجل تحقيق أهدافنا إذا ما أصبح هذا الخيار ضروريا» .[2]

ويبدو أن صدام حسين ـ رغم ماعرف عنه من مكر ودهاء ـ قد خدعته تلك التصريحات . وساهم في تأكيد هذه العملية الخداعية ما كان يسمعه صدام حسين من السياسيين الغربيين الذين كانوا يزورون بغداد لبحث مشكلة الرهائن . فقد جاء في حديث صدام حسين مع CNN يوم 28 يناير 91 مايلي «لقد قال لكم بوش أنه ذاهب لاخراج الجيش العراقي من الكويت . هل اكتشفتم اليوم أنه كذاب . إنه لم يبدأ بالهجوم على القوات العسكرية في الكويت . بل إنه بدأ بضرب الأماكن العلمية والاقتصادية في الكويت . . . كان السياسيون الغربيون الدجالون، يقولون أن الابقاء على الغربيين (يقصد الرهائن) وعدم سفرهم هو الذي سيجعل الحرب تقع . أما السماح لهم بالسفر فإنه سيجعل الحرب لن تقع . والآن وقد أصبح الموضوع ماضيا . هل كان بوش سيضرب بغداد، لوكان ال 5 000 غربي وياباني في العراق ؟» (**نصيحة من المؤلف : لا تصدق قط ما يقوله أي سياسي، إذا كان ما يقوله يتعارض مع التحليلات الاستراتيجية . فالتحليل الاستراتيجي السليم أصدق من أي سياسي**» .

■ **الأخطاء السياسية التي ارتكبها العراق** : إذا أجرينا مقارنة بين القدرات القتالية لكل من طرفي النزاع في تلك الحرب، فإن ذلك لابد وأن يقودنا إلى نتيجة واحدة، وهي حتمية انتصار دول التحالف عسكريا على العراق في نهاية المطاف. ولكن هذا النجاح لم يكن من الممكن تحقيقه لو أن واحدا أو أكثر من تلك الاحتمالات قد حدث.

1 - لو أن *الاتحاد السوفيتي* تصرف كدولة عظمى، وتصدى - سياسيا فقط - للهيمنة التي أرادت أمريكا أن تفرضها على العالم، لما استطاعت أمريكا ودول حلف الأطلسي أن تحشد كل تلك القوات ضد العراق. ولما استطاعت أن تستخلص من مجلس الأمن الدولي كل تلك القرارات التي تعطيها الشرعية الدولية في الهجوم على العراق.

2 - لو أن النظام الحاكم في *إيران* لم يقم بتغليب النزعة العنصرية على الشعارات الاسلامية التي رفعتها الثورة الاسلامية . . . وانضمت إيران إلى جانب العراق في التصدي لمن كانت تسميهم بالشياطين. لو حدث هذا الموقف من ايران - رغم ما أحدثته الحرب العراقية من جراح - لكان نقطة مضيئة في تاريخ ايران وتاريخ المسلمين. لو حدث هذا لأصبحت صفة الصليبية أكثر التصاقا بهذه الحرب من وجهة نظر الكثير من الناس . . . ولألهب هذا الموقف شعور المسلمين في جميع أنحاء العالم . . . لأنه يعتبر تجسيدا لمبادىء الاسلام . فاقتتال طائفتين من المسلمين شيء جائز. والتزام المسلم بنجدة أخيه المسلم شيء واجب.

3 - لو لم يبارك كل من *النظام المصري والنظام السوري* التدخل العسكري الأمريكي في المنطقة، لما تجرأت السعودية على طلب التدخل العسكري الأمريكي. ولو اتخذت مصر وسوريا هذا الموقف لحذت حذوهما عدة دول عربية أخرى من بين الدول العربية التي أيدت هذا التدخل . . . ولأصبح في حكم المستحيل أن تصدر القمة العربية قرارا يبيح التدخل العسكري الأمريكي كذلك الذي أصدرته قمة القاهرة في 10 أغسطس 90. ولو لم يصدر هذا القرار، لما أقدمت الولايات المتحدة على التدخل العسكري. لأن تدخلها العسكري في

هذه الحالة كان سيكون تحديا لاجماع عربي لا تستطيع أن تحمد عقباه. وحتى لو افترضنا أن السعودية والدول الخليجية أصرت على طلب التدخل العسكري الأمريكي رغم هذا الاجماع العربي، فإن الحرب ستبدو في هذه الحالة وكأنها حرب بين الامبريالية والقوى العربية الرجعية في جانب وبين القوى العربية الوطنية والقومية في الجانب الآخر . . . وهو ما كان بوش يتحاشى حدوثه، كما جاء في حديثه الذي نشرته مجلة TIME الأمريكية بتاريخ 7 يناير 1991، الصفحات 16 ـ 20. ولذلك فإن نجاح بوش في استقطاب النظام المصري والنظام السوري، وانضمامهما إلى المعسكر الأمريكي في تلك الحرب، كان مكسبا كبيرا لا يقدر بثمن. وقد كتب المحلل العسكري Jeffrey Record مقالا في مجلة TIME بتاريخ 12/11/90 في الصفحة رقم 34، يعلق فيه على تواجد مشاركة القوات الاسلامية بصفة عامة والقوات السورية بصفة خاصة، في الحرب ضد العراق، فكتب يقول «لا حاجة لنا بأن يطلقوا طلقة واحدة ضد العراق. فإن مجرد تواجدهم في السعودية جنبا إلى جنب مع القوات الأمريكية، يساوي وزنهم ذهبا».

لقد أخطأ صدام حسين في استقراء الموقف السياسي الذي ينتظر أن تتخذه الأنظمة الحاكمة في كل من الاتحاد السوفيتي وإيران ومصر وسوريا. وكان يجب عليه أن يعمل على تهيئة الموقف السياسي في تلك البلاد أو في بعضها على أقل تقدير، قبل أن يغامر بالحرب. ولكن يبدو أن صدام حسين اعتمد عند اتخاذ قرار الحرب على عاملين رئيسيين لم يتحقق أي منهما. العامل الأول هو أن الشارع العربي والاسلامي سوف يرغم الأنظمة في كافة البلاد العربية والاسلامية على الوقوف إلى جانب العراق في مواجهة أمريكا. وقد ثبت فعلا أن الغالبية العظمى من الشعوب العربية والاسلامية كانت متعاطفة مع العراق. ولكن ثبت أيضا أنها لم تكن من القوة بحيث تستطيع أن تفرض رأيها على حكامها، نظرا لغيبة الديمقراطية في الغالبية العظمى من تلك البلاد. وكان العامل الثاني الذي اعتمد عليه صدام حسين في تقديراته، هو أن الاتحاد السوفيتي، سوف يجد نفسه مضطرا الى الوقوف الى جانب العراق، لأن تأييده

لأمريكا في موقفها يتعارض مع مصالح الاتحاد السوفيتي نفسه . والحق يقال أنه يجب أن نلتمس العذر لصدام حسين لأنه تصور ذلك . فلم يكن أحد يتصور أن يذهب جورباتشوف في تأييده لموقف أمريكا إلى هذا حد. وإذا كانت أسباب الانهيار السريع للاتحاد السوفيتي الذي نشاهده اليوم، لم يكشف عنها الستار بعد . . . فمن المؤكد أن سياسة جورباتشوف إبان تلك الحرب، قد لعبت دورا هاما في التعجيل بهذا الانهيار.

أخطـــاء العـــراق العسكريـــة

■ **خيار الوقت المناسب**: بالرغم من الأخطاء السياسية التي ارتكبها العراق في تقديراته السياسية، فقد كان في استطاعة العراق أن يستخدم قدراته العسكرية بطريقة أفضل بكثير من التي تمت بها. وسوف أتعرض هنا الى الخيارات العسكرية التي كانت متاحة أمام العراق حسب أفضليتها، وطبقا للوقت المناسب لتنفيذ كل خيار. وأعني بذلك أن عدم اتخاذ العراق لخيار ما يعتبر خطأ يمكن التقليل من نتائجه باللجوء الى الخيار الذي يليه:

1 ـ **الخيار الأول**: هو القيام باحتلال السعودية و الدول الخليجية، فور احتلاله للكويت. ولم يكن هناك أي قوة عسكرية تستطيع ايقاف هذا التقدم. وطبقا لما جاء في كتاب The Commanders الصفحات 231 ـ 234، فقد عقد مؤتمر في البنتاجون صباح يوم 2 أغسطس 90 . . . وأن وزير الدفاع Cheney طلب في هذا الاجتماع من القادة العسكريين القيام بعمل عسكري ضد العراق، تلبية لطلب الرئيس الأمريكي . . . وأن الجنرال Kelly رئيس هيئة العمليات قال «ليس لدينا قوات برية في المنطقة أو بالقرب منها. وبدون تواجد فرق مدرعة في المنطقة، فاننا لا نستطيع أن نفعل شيئا لايقاف أي تقدم تقوم به قوات صدام حسين داخل الأراضي السعودية» . . . وانه نوقش خلال هذا المؤتمر احتمال قيام القوات الجوية بتدمير خطى أنابيب النفط اللذين يمران عبر السعودية وتركيا، ولكنهم استبعدوا هذا الخيار على أساس أنه يمكن اعادة اصلاح هذه الأنابيب، وعلى اساس أن السعودية وتركيا ستكونان هما الخاسرتان نتيجة هذه الهجمات. وأنه

نوقش أيضا انتهاز هذه الفرصة للقيام بتدمير المنشآت الكيماوية والنووية العراقية.[3] ولكنهم استبعدوا هذا الاقتراح على أساس أنه يعتبر تصعيدا خطيرا للموقف. وأن الجنرال Powell رئيس الأركان علق على الموقف قائلا «إن مسرح العمليات يبعد عنا 6 000 ميل. وليس لدينا اي قوات برية في المنطقة. والقصف الجوي وحده، مثله كمثل من يتبول في مهب الريح، وإنه قد يدفع صدام حسين الى احتلال السعودية، وهو ما نريد أن نتفادى وقوعه».

2 - الخيار الثاني: هو نفس الخيار الأول، على اساس أن يبدأ الهجوم العراقي ضد السعودية يوم 8 أغسطس. فقد كان في استطاعة صدام حسين أن يعتبر نزول القوات الأمريكية في السعودية مبررا كافيا لاتخاذ هذه الخطوة. ولو أنه لجأ الى الخيار الأول أو الخيار الثاني، لما استطاعت الولايات أن تحشد قواتها في المنطقة. ولأصبحت آبار البترول التي هي كل ما يهم أمريكا - رهينة في يد صدام حسين، يستطيع من خلالها المساومة للتوصل الى حل سلمي، يكون حدُّه الأدنى هو اعتراف دولي بضم الكويت الى العراق، في مقابل انسحابه من باقي الجزيرة العربية. وقد كان من الممكن، تنفيذ هذا الخيار بنجاح تام خلال شهري أغسطس وسبتمبر... مع ملاحظة أنه كلما تأخر العراق في الأخذ بهذا الخيار، كلما زاد الثمن الذي يتحتم عليه أن يدفعه لكي يحقق أهدافه من هذا الهجوم. ولكن هذا الخيار أصبح تنفيذه بالغ الصعوبة اعتبارا من شهر نوفمبر 1991، بعد أن كانت أمريكا قد أتمت حشد 4.5 فرقة، حوالي 625 طائرة قتال. وقد أدلى الجنرال شوارتزكوبف بحديث له مع وكالة CBS في نوفمبر 90 قال فيه «كان التفكير في احتمال قيام صدام حسين بهذا الخيار هو الكابوس الذي يزعجني أيما ازعاج».

3 - الخيار الثالث: توجيه ضربات جوية وصاروخية ضد القواعد الجوية والموانىء البحرية في السعودية والدول الخليجية. وحيث أن امكانيات العراق في توجيه هذه الضربات تعتبر محدودة نسبيا. وحيث أن عدم إشراك القوات البرية في هجوم متزامن على تلك الأهداف سوف يعطي

الفرصة للطرف الآخر لكي يشرب هذه الضربات الجوية والصاروخية . . فان الأخذ بهذا الخيار يجب أن يكون مقرونا باستخدام الأسلحة الكيماوية . وان استخدام الأسلحة الكيماوية في توجيه هذه الضربات ، لا يقتصر تأثيرها على ما يحدثه من خسائر بشرية ومعنوية ، بل انه يتعداها الى ما يفرضه على دول التحالف من إجراءات وقائية ، سوف تؤدي حتما الى عرقلة عملية الحشد بدرجة كبيرة . وقد جاء في تعليق لقيادة القوات البريطانية بعد الحرب مايلي «لقد كان الكابوس الذي يقض مضجعنا هو الهجوم الكيماوي . فلو أن طيارا عراقيا واحدا قصف مواقعنا في السعودية بأسلحة كيماوية ، لتغير سير الحرب بالكامل . لأن مثل هذا الهجوم كان سيؤدي الى اغلاق جميع القواعد الجوية . وقد كان العراق يملك الطائرة SU-24 التي لديها القدرة على تنفيذ هذه المهمة بكفاءة ودقة متناهية» . (*)

4 - **الخيار الرابع**: القيام بعمليات خاصة وفدائية ضد أهداف مختارة ، ترمي الى تكبيد العدو أكبر قدر ممكن من الخسائر البشرية والمادية . . . مع اعطاء أسبقية خاصة للأهداف التي تؤثر على عملية حشد القوات . ولا يقتصر ذلك على ضرب أهداف داخل السعودية والدول الخليجية ، بل يجب أن يتعداها الى اهداف في أوروبا وأمريكا . وهذا الخيار يمكن الأخذ به كخيار مستقل . ولكن من الأفضل أن يكون بالتوازي مع أي من الخيارات السابقة .

5 - **الخيار الخامس**: كان صدام حسين يريد أن يتفادى الحرب حتى آخر لحظة ممكنة . وكان اللجوء الى أي من الخيارات الأربعة السابقة ، يعتبر تصعيدا خطيرا للموقف . ولكن بحلول شهر يناير 91 ، كان كل يوم يمر من هذا الشهر يحمل إشارة ونذيرا تؤكد حتمية اندلاع الحرب في أعقاب المهلة المحددة للعراق للانسحاب من الكويت وهي 15 يناير . وكان آخر نذير هو موافقة الكونجرس الأمريكي بمجلسيه يوم 12 ، 13 يناير ، على تفويض الرئيس بوش بشن الحرب . وما دامت الحرب قد أصبحت مؤكدة ، فانه كان يجب على العراق أن يبادر بتوجيه الضربة الأولى . . . حيث أن إعطاء الفرصة لأمريكا بتوجيه الضربة الأولى ،

كان من الممكن أن يدمر 50 ـ 75 في المائة من قدرات الردع وقدرات الـدفـاع الجـوي العـراقية. وكان في استطاعة العراق أن يوجه هذه الضربة يوم 14 أو 15 يناير. وقد قمت بتقديم هذه النصيحة للعراق في الساعات الأولى من يوم 13 يناير.

■ **خطـة العمليـات**: لم يلجأ العراق الى اي من الخيارات التعرضية السابقة، ووضع خطته على أساس الدفاع ضد هجوم محتمل تقوم به قوات التحالف. ولكن الخطة الدفاعية العراقية كان يشوبها العيوب الآتية:

1 ـ **سـوء توزيـع القـوات البـرية**: نشر العراق الجزء الأكبر من قدراته القتـالية داخـل الكويت وجنوب نهر الفرات (78 ٪ من الدبابات، 84 ٪ من المدافع). ونشر القوات بهذه الصورة، لا يتناسب مع طبيعة العدو وطبيعة الأرض. فبالاضافة الى الأعباء الادارية الضخمة التي يتـطلبها إمداد أكثر من نصف مليون جندي عراقي، في ظل تفوق جوي معادي، فان هذا التوزيع وصلاحية الأرض تشجع على تطويق هذه القوات. وكان من الأفضل ألا يخصص العراق أكثر من 20 ٪ من قدراتـه. وقـد ذكـرت في كتاب الحرب الصليبية الثامنة الجزء الأول صفحة رقم 85، بأنني اتصور بأن العراق لن يخصص سوى 1 000 دبابة للدفاع الكويت، وهو ما يعادل 18 ٪ من عدد الدبابات العراقية.

2 ـ **عـدم استخـدام الأسلحـة الكيمـاويـة**: ما دام العراق قد قبل بألا يكـون البادي بتوجيه الضربة الأولى، فقد كان يجب عليه ان يفتتح المعركة الدفاعية باستخدام الأسلحة الكيماوية. ولست أدري على اي أساس كان يتوقع العراق أن يتصدى لعدو يتفوق عليه في كل شيء دون أن يستخدم أسلحته الكيماوية !!

■ **إدارة الحـــرب**: من النـادر جدا أن تَسيرُ الحرب طبقا للخطط الموضوعة. فالحرب مليئة بالمفاجآت وبالتالي فانه يجب أن يكون لدى القادة العسكريين القـدرة على اتخـاذ القـرارات المنـاسبة، في الوقت المناسب، وطبقا للموقف والمعلومـات المتـاحـة في ذلـك الوقت. وحيث أنه لا يوجد لدينا أي بيانات

تفصيلية عن سير العمليات في الجانب العراقي خلال الفترة ما بين 17 يناير وحتى 28 فبراير 1991، فاني سأعتمد في مناقشتي لهذا الموضوع على حقيقتين ثابتتين. الحقيقة الأولى هي الخسائر التي أوقعها الجانب العراقي في قوات دول التحالف. والحقيقة الثانية هي القرار العراقي بالانسحاب من الكويت مساء يوم 25 فبراير 1991.

1 - في يوم 19 يناير أعلنت قيادة دول التحالف أن قواتها الجوية قامت منذ بدء العمليات بتنفيذ 6 000 طلعة، وأنها خسرت 10 طائرات. في حين أن البيان العراقي الذي صدر في نفس اليوم كان يقول أن الدفاع الجوي أسقط 142 طائرة معادية. لم نكن نعرف يوم 19 يناير الرقم الصحيح لعدد الطلعات الأمريكية، أو الرقم الصحيح لعدد الطائرات التي أسقطتها وسائل الدفاع الجوي العراقي... حتى نستطيع أن نقيم الموقف تقييما صحيحا. ولكننا نعرف اليوم بعد ان وضعت الحرب أوزارها أن البيان الأمريكي كان أكثر صحة. حيث أن اجمالي عدد الطائرات التي اسقطتها وسائل الدفاع الجوي العراقي حتى نهاية فبراير 91، هو 38 طائرة، 5 هيليكوبتر. ولكن من المؤكد أن صدام حسين كان يعرف يوم 19 يناير أن وحدات دفاعه الجوي لم تسقط سوى 10 طائرات فقط من بين 6 000 طلعة معادية كحد أقصى إذا احتسبت طلعات المعاونة، أو 3 000 طلعة كحد أدنى إذا استبعدت طلعات المعاونة. وهو ما يعني ان الدفاع الجوي قد فقد الكثير من فعاليته. [٥] فلو أن صدام حسين اتخذ قرارا في هذا اليوم بسحب قواته من الكويت قبل أن ينهار الدفاع الجوي انهيارا تاما.. لكان قراره سليما بالنسبة لهذا الوقت ... لأن هذا القرار يتيح للقوات العراقية أن تنسحب خلال فترة معقولة، وتحت حماية الحد الأدنى من الدفاع الجوي، وبدون ضغط بري على مؤخرتها أثناء انسحابها.

2 - أما قرار صدام حسين يوم 25 فبراير، بانسحاب القوات العراقية من الكويت، وفي خلال 24 ساعة، فانه كان قرارا خاطئا، وغير مبرر. فالعدو لديه السيادة الجوية. وتقوم قواته البرية بالضغط على القوات المنسحبة. وليس لدى القوات العراقية وسائل النقل الكافية. ولا توجد

الطرق التي تستطيع أن تتحمل كثافة هذه التحركات. وإلى أن يعلن العراق عن خسائره الحقيقية نتيجة هذا الانسحاب، فاني أعتقد أن القوات العراقية لا بد وان تكون قد خسرت حوالي 85 ٪ على الأقل من أسلحتها ومعداتها الثقيلة أثناء هذا الانسحاب. قد يقول البعض ممن يدافعون عن صحة هذا القرار، ان صدام حسين كان يهدف الى تخليص قواته من عملية التطويق. ولكننا نرد عليهم بالقول أن من يخشى أن تطوق قواته، فلا يصح له أن ينشرها في الكويت بالشكل الذي نشرت به، وأنه كان يجب عليه ان يسحبها قبل ذلك بوقت طويل قبل ان تتأزم الظروف الى هذا الحد. وعموما فالذي يؤكد صحة أو خطأ هذا القرار بشكل قاطع هو أن تشكل لجنة لتقصي الحقائق تكون مهمتها الاجابة على سلسلة من الأسئلة التي يجب أن تتضمن الاجابة على الأسئلة التالية:

- يقول العدو أن خسائره البشرية في الحرب البرية هي 147 قتيل فما هو عدد الخسائر المحتملة بين صفوف العدو، لو لم يصدر الأمر بالانسحاب وتمسكت القوات بمواقعها الدفاعية.

- ماهو الوقت الذي كان في استطاعة القوات العراقية أن تتمسك فيه بمواقعها، قبل أن تضطر في النهاية الى التسليم بعد نفاذ ما لديها من ذخيرة ومياه ومواد غذائية. هذا مع العلم بأن التسليم في هذه الحالة سيسبقه قطعا تدمير السلاح والمعدات حتى لا تقع في يد العدو وهي صالحة.

- ماهو حجم الأسلحة والمعدات التي وقعت في يد العدو أثناء تنفيذها لقرار الانسحاب.

■ **التاريخ مدرسة لأولي الألباب**: لقد تعرض العراق لهجمة صليبية شرسة شاركت فيها 30 دولة بطريقة مباشرة، بينما شاركت عشرات الدول الأخرى بطريقة غير مباشرة. ولم يتصور أحد ان العراق يستطيع أن يتغلب على هذا التجمع الكبير. ولكن الخلاف بين المحللين العسكريين، كان يدور حول نقطتين رئيسيتين هما: ماهو حجم الخسائر البشرية التي سوف يوقعها العراق في

صفوف الأعداء. وماهو الوقت الذي يستطيع أن يصمد فيه. ولو أن العراق أوقع في صفوف أعدائه 20 000 قتيل، لكان ذلك هو أعظم انتصار يمكن أن نتوقعه منه. ورغم كل الظروف السياسية والعسكرية الغير مواتية، فقد كان في استطاعة العراق أن يحقق ذلك، لو لم يرتكب تلك السلسلة من الأخطاء التراكمية التي ذكرتها سابقا. وكان السبب الرئيسي لتلك الأخطاء، هو تغليب الجانب السياسي على الجانب الاستراتيجي والعسكري في إدارة الحرب. ***ونتيجة لذلك، ارتكب صدام حسين أخطاء عسكرية كثيرة، حققت أمريكا بسببها انتصارا كبيرا دون ان تدفع الثمن المناسب لهذا الانتصار. وأهم هذه الأخطاء هو عدم التدخل ضد عمليات الحشد . . . ونشر القوات العراقية في الكويت بطريقة خاطئة. . وعدم استخدام الأسلحة الكيماوية . . . واتخاذ القرار بسحب القوات العراقية من الكويت في الوقت الغير مناسب. ولو لم ترتكب هذه الأخطاء التراكمية، لكانت نتيجة هذه الحرب أفضل بكثير من النتائج التي حدثت فعلا. ولكن رغم كل تلك الأخطاء، فان ذلك لا يمكن أن يقلل بأي شكل من الأشكال الشجاعة الفائقة التي أظهرها صدام حسين، عندما اتخذ قراره بالتصدي لهذه الهجمة الصليبية. ولكني أردت أن أوضح الأخطاء التي أرتكبت، حتى يتعلمها الأبناء والأحفاد. . وحتى يستفيد منها الجيل سعيد الحظ الذي سيحرر القدس تنفيذا لما وعدنا الله به في قوله تعالى «وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا»[٥].***

صدق الله العظيم.

الملاحق والوثائق والمراجع

جدول رقم 1

الحشود البرية الامريكية في السعودية

	دبابة رئيسية	دبابة خفيفة	عربة قتال مدرعة	مدفعية			طائرات هيليكوبتر
				203 ملم 155 ملم	105 ملم مجرور	MLRS	
الفيلق الثامن عشر							
مدفعية الفيلق						27	
اللواء الثالث فرسان م	130		110	24			80
الفرقة 24 مشاة ميكانيكي	290		275	84		9	130
الفرقة 101	-		-	-	72	-	400
الفرقة 82	-	65	-	-	72	-	700
اجمالي فق 18	**420**	**65**	**485**	**108**	**144**	**36**	**710**
الفيلق السابع							
مدفعية الفيلق	-		-	-		27	
اللواء الثاني فرسان م	130		110	24			80
الفرقة الأولى المدرعة	350		220	84		9	130
الفرقة الثالثة المدرعة	350		220	84		9	130
الفرقة الأولى مشاة	290		275	84		9	130
الفرقة الأولى فرسان	130		110	24		-	160
اللواء 11 طيران الجيش	-		-	-		-	130
اجمالي فق 7	**1250**		**935**	**300**	**-**	**54**	**760**
قوات المارينز							
الفرقة الاولى مارينز	180		400	132	72		156
الفرقة الثانية مارينز	180		400	132	72		156
اجمالي المارينز	**360**		**800**	**264**	**144**	**-**	**312**
اجمالي القوات الامريكية	**2 030**	**65**	**2 220**	**672**	**288**	**117**	**1 782**

ملحوظة :

طائرات الهيليوكوبتر منها 456 مسلحة بالصواريخ المضادة للدبابات، والباقي وقدره 1326 مخصصة للنقل وطلعات المعاونة والخدمات العمومية.

جدول رقم 2

قوات حلف الأطلسي عدا أمريكا

الدولة	إجمالي	قوات برية + مارينز					دفاع جوي					طائرات	قطع
	أفراد	أفراد	دبابات	عربات مدرعة	قطع مدفعية	هليكوبتر مسلحة	باتريوت	هوك	رولاند	أصناف أخرى	اجمالي	قتال	بحرية
تركيا	170 000	135 000	950	850	570	-				30	30	230	2
بريطانيا	40 000	25 000	200	244	136	42						72	16
فرنسا	14 000	10 000	40	272	24	120						39	18
إيطاليا	2 500											14	10
ألمانيا	1 600							9	8		17	18	5
بلجيكا	1 500											18	6
كندا	1 500											18	3
هولندا	1 500						16	12			28		3
إسبانيا	600												4
الدنمارك	150												1
النرويج	150												1
اليونان	150												1
البرتغال	150												1
اجمالي حلف الاطلسي	**233 800**	**170 000**	**1 190**	**1 366**	**730**	**162**	**16**	**21**	**8**	**30**	**75**	**409**	**71**
الأرجنتين	1 000												2
استراليا	600												3
إجمالي	**235 400**	**170 000**	**1 190**	**1 366**	**730**	**162**	**16**	**21**	**8**	**30**	**75**	**409**	**76**

جدول رقم 3

القوات المشاركة من الدول الاسلامية

الدولة	القوة	أسلحة برية: دبابة	أسلحة برية: عربة مدرعة	أسلحة برية: قطعة مدفعية	طائرات قتال: هجوم ارضي	طائرات قتال: مقاتلة	طائرات قتال: اجمالي	هيليوكوبتر مسلحة	هيليوكوبتر نقل	قطعة بحرية صغيرة
مصر	35 000	450	600	144						
سوريا	15 000	270	300	72						
المغرب	1 700	-	-	-						
دول عربية غير خليجية	**51 700**	**720**	**900**	**214**	**-**	**-**	**-**	**-**	**-**	**-**
البحرين	6 000	50	141	22	12	12	24	12	-	6
الكويت	7 000					15			-	
عمان	29 500	39	38	75	57	-	57	-	26	4
قطر	6 000	24	200	6	6	12	18	20	4	3
الأمارات العربية	51 500	131	836	155	52	39	91	19	31	6
العربية السعودية	100 000	800	1 870	489	128	61	189	-	55	25
دول التعاون الخليجي	**200 000**	**1 044**	**3 085**	**747**	**255**	**139**	**394**	**51**	**116**	**44**
باكستان	11 000	-	10	48						
بنجلاديش	2 000	-	-	-						
السنغال	500	-	-	-						
النيجر	480	-	-	-						
سيراليون	200	-	-	-						
دول اسلامية غير عربية	**14 180**	**-**	**10**	**48**	**-**	**-**	**-**	**-**	**-**	**-**
اجمالي الدول الاسلامية	**265 880**	**1 764**	**3 995**	**1 009**	**255**	**139**	**394**	**51**	**116**	**44**

ملحوظة

فقدت الكويت كل قواتها المسلحة أثناء الغزو العراقي لها يوم 2 أغسطس. وفي خلال الفترة ما بين أغسطس 90، يناير 91 استطاعت الحكومة الكويتية في المهجر (في السعودية) أن تنشىء قوات تقدر بحوالي 7 000 رجل.

جدول رقم 4

اجمـالي قـوات دول التحـالف المحتشـدة ضـد العـراق

الدولة	عدد الدول	عدد القوات المسلحة	أسلحة ومعدات برية					طائرة قتال	الدفاع الجوي				سفينة حربية
			دبابة	عربة مدرعة	قطعة مدفعية	هيل مسلحة	هيل للنقل		باتربوت	هوك + رولاند	هيركيلوز + رابير	اجمالي	
أمريكا	1	527 700	2 030	2 285	1 077	456	1 326	1 125	90	46	-	136	100
باقي دول حلف الأطلسي	13	233 800	1 190	1 366	730	162	-	409	16	29	30	75	71
دول خارج حلف الأطلسي وضمن التحالف ضد العراق	2	1 600	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	5
الأنظمة الاسلامية ضمن التحالف	14	265 880	1 764	3 995	1 009	51	116	394	-	-	-	-	44
الاحتياطي الاستراتيجي لدول التحالف (اسرائيل)	1	645 000	4 288	6 300	1 395	40	41	655	48	204		252	26
إجمالي الحلف المضاد للعراق	**31**	**1 673 980**	**9 272**	**13 946**	**4 211**	**709**	**1 483**	**2 583**	**154**	**279**	**30**	**463**	**246**
إجمالي الحلف بدون اسرائيل وبدون تركيا	**29**	**858 980**	**4 034**	**6 796**	**2 246**	**669**	**1 442**	**1 656**	**138**	**250**	**-**	**181**	**220**

جدول رقم 5

القدرات الاقتصادية والبشرية لدول التحالف والعراق

مسلسل	الدولة	القوة البشرية بالمليون	الدخل القومي مليار دولار	متوسط دخل الفرد بالدولار
1	امريكا	249	5 198	20 875
2	بريطانيا	57	839	14 719
3	فرنسا	56	958	16 807
4	ايطاليا	57	858	15 053
5	المانيا	77	1 360	17 662
6	بلجيكا	10	155	15 500
7	كندا	27	543	20 111
8	هولندا	15	222	14 800
9	اسبانيا	40	373	09 325
10	الدنمارك	5	105	21 000
11	النرويج	4	93	23 250
12	اليونان	10	55	5 500
13	البرتغال	11	42	3 818
14	تركيا	56	79	1 411
اجمالي حلف الاطلسي		**674**	**10 880**	**16 142**
15	استراليا	17	283	16 747
16	الارجنتين	33	58	1 757

تابع الجدول رقم 5

مسلسل	الدولة	القوة البشرية بالمليون	الدخل القومي مليار دولار	متوسط دخل الفرد بالدولار
17	مصر	55.0	102.0	1 854
18	سوريا	12.0	20.0	1 666
19	المغرب	25.0	23.0	920
20	البحرين	0.3	3.9	13 000
21	الكويت	0.9	23.1	25 667
22	عُمان	1.4	8.4	6 000
23	قطر	0.1	5.4	54 000
24	الامارات العربية	0.9	26.0	28 889
25	السعودية	8.4	78.5	9 345
26	باكستان	112.0	35.0	312
27	بنجلاديش	133.0	20.0	150
28	السنغال	8.0	4.4	550
29	النيجر	2.1	7.5	3 571
30	سيراليون	0.9	4.1	4 556
اجمالي الدول الاسلامية		**360.0**	**361.3**	**1004**
31	**اسرائيل**	**4.6**	**40.0**	**8 696**
اجمالي دول التحالف		**1088.6**	**11 622.3**	**10 676**
العراق		**19.4**	**58**	**3 222**
نسبة تفوق دول التحالف		**1:56**	**1:200**	**—**

ملاحظات:

1 ـ البيانات عن المانيا تمثل ألمانيا الموحدة

2 ـ نتيجة غيبة الديموقراطية في الدول العربية والاسلامية، فان القوة البشرية في تلك الدول لا تعبر عن مدى التأييد الشعبي لقرارات الأنظمة بالحرب ضد العراق.

جدول رقم 6

القوات البرية المحتشدة في الخليج والعراق

البيان	قوات التحالف				القوات العراقية		
	امريكا	باقي حلف الاطلسي	الدول الاسلامية	اجمالي	الكويت وجنوب العراق	باقي العراق	اجمالي
فرد	350 000	35 000	235 880	**620 880**	**540 000**	415 000	955 000
دبابة	2 030	240	1 764	**4 034**	**4 280**	1 220	5 500
عربة مدرعة	2 285	516	3 995	**6 796**	**2 870**	7 230	10 100
قطعة مدفعية	1 077	160	1 009	**2 246**	**3 110**	590	3 700
هيليوكوبتر مسلحة	456	162	51	**669**	**-**	159	159
هيليوكوبتر للنقل	1 326	-	116	**1 442**	**-**	330	330

ملحوظة

تقدير حجم القوات العراقية المحتشدة في الكويت وجنوب العراق (أي جنوب نهر الفرات) المذكورة في هذا الجدول هو بناء على ما جاء في وسائل الرصد والاعلام الامريكي. اما الجانب العراقي فلم يكن يذكر أعداد الأسلحة والمعدات الرئيسية. ولكنه في احدى المناسبات ذكر أنه حشد 500 000 فرد. وفي يوم 11 يناير 91، ذكر صدام حسين أمام المؤتمر الاسلامي الشعبي المنعقد في بغداد «العراق نشر أمام أوكار الغدر والخيانة 60 فرقة، مقابل 14 فرقة لقوات التحالف». وهذا يعني أن ارقام الأسلحة العراقية المذكورة في هذا الجدول هي أقرب ما يكون الى الحقيقة.

جدول رقم 7

تــواريخ تجــزئة الوطــن العربــي

القطـر	تاريخ الاحتلال الصليبي	تاريخ الاستقلال	الدولة المحتلة
مـصر	1882/9/13	1922/2/28	بريطانيا
سوريا	1920	1946	فرنسـا
لبنـان	1920	1946	فرنسـا
العراق	1918	1932/10/3	بريطانيا
الأردن	1920	1946	بريطانيا
السودان	1899	1956/1/1	بريطانيا
السعودية	—	1920	—
الكويت	1899	1961/6/19	بريطانيا
الامارات العربية	1899	1971/12/2	بريطانيا
البحريـن	1880	1971/8/15	بريطانيا
قطـر	1899	1971/9/3	بريطانيا
عـمـان	1891	1971	بريطانيا
اليمن (الشطر الشمالي)	-	1920	-
(الشطر الجنوبي)	1839	1967/11/30	بريطانيا
الصومال	1884 ـ 1889	1960/7/1	ايطاليا + بريطانيا
جيبوتي	1881	1977/6/27	فرنسا
ليبيا	1912	1951/12/24	ايطاليا
تونس	1881	1956/3/20	فرنسا
الجزائر	1830	1962/7/5	فرنسا
المغرب	1912 ـ 1927	1956	فرنسا + اسبانيا
موريتانيا	1906	1960/11/28	فرنسا

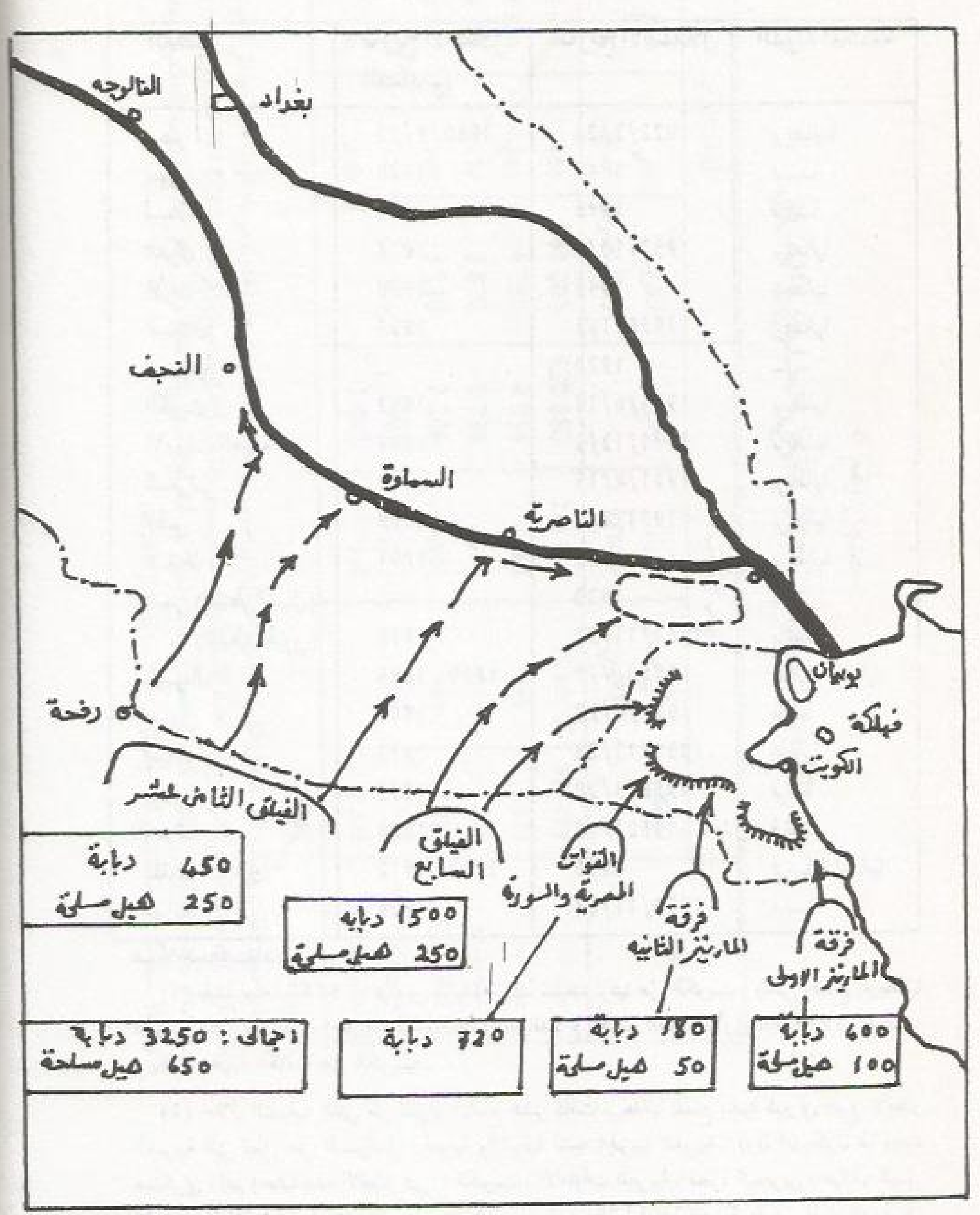
مـلاحـظـات

(1) طبقا لمعاهدة 1899 ، فإن بريطانيا اعترفت بسيادة تركيا على الكويت. ولكن أصبح لبريطانيا الحق في مباشرة الشئون الخارجية للكويت. وعند اندلاع الحرب العالمية الأولى عام 1914 ، فرضت بريطانيا الحماية الكاملة على الكويت.

(2) خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر كانت بريطانيا تتمتع بنفوذ كبير في جميع الأقطار العربية التي تطل على السواحل الجنوبية والشرقية لشبه الجزيرة العربية، دون أن يكون لها وجود عسكري دائم (حاليا هذه الأقطار هي : الكويت، الامارات العربية، قطر، البحرين، عمان، اليمن الجنوبي سابقا). وبقيت هذه السيطرة الى أن سحبت بريطانيا قواتها العسكرية من تلك الدول في النصف الثاني من القرن العشرين طبقا للتواريخ المحددة في هذا الجدول.

الخطة الهجومية

لدول التحالف 24 فبراير 1991



مقياس الرسم : 1 سم = 50 كيلومتر

خطة الهجوم البرى لدول التحالف

كما تصورها الفريق سعد الدين الشاذلى فى سبتمبر ٩٠

كتاب الحرب الصليبية الثامنة الجزء الأول

الفالوجة

بغداد

النجف

الناصرية

البصرة

رفحة

الكويت

0 100 200 300 400 500 KM.

الهوامـــــــش

الفصل الاول: القوات العراقية

(1) الخيار العسكري العربي للفريق الشاذلي ص 74 .

(2) الخيار العسكري العربي ص 71، 72، تذكر أيها القارىء هذ الموقف من ميتران، لأننا سنحتاج الى مقارنته بموقفه من شعب العراق في الفصول 8، 9، 10 .

(3) مجلة TIME بتاريخ 22 يوليو 91، صفحتي 30، 31

(4) الخيار العسكري العربي، صفحة 64

(5) صحيفة النهار اللبنانية 1982/10/26

(6) وكالات الانباء العالمية، صحيفة هيرالد تربيون 1987/5/14

(7) Janes Defence Weekly الصادرة بتاريخ 2 مارس 1991، ص 301

(8) الصاروخ السوفيتي Scud-B مداه 300 كيلومتر ويحمل رأسا حربيا وزنها 985 كيلوجرام، ودائرة الخطأ قطرها 900 متر.

(9) العدد 73 من مجلة الجبهة الذي صدر بتاريخ مايو 1988، ص 21، ص 22. والعدد 80 من مجلة الجبهة الذي صدر بتاريخ يوليو 1989، ص 10. والعدد 85 من مجلة الجبهة الذي صدر بتاريخ مايو 1990 صفحة 14 .

(10) JDW الصادرة بتاريخ 15 ديسمبر 90 صفحة 1212 .

(11) بدأ الألمان محاولة انتاج المدفع العملاق خلال الحرب العالمية الاولى، عندما انتجوا مدفعا عيار 420 ملليمتر، ويصل مداه الى 15 كيلومتر، وسمي حينئذ مدفع بيرتا الكبير Big Bertha . ثم صنعوا بعد ذلك مدفعا آخر عيار 220 ملليمتر يصل مداه الى 125 كيلومتر، وسمي حينئذ مدفع القيصر ولهلم Kaiser Wilhelm Geschütz ، واستخدموا هذا المدفع في ضرب باريس عام 1918 . وفي خلال الحرب العالمية الثانية صنعوا مدفعا آخر عيار 800 ملليمتر، أطلقوا عليه اسم مدفع السكة الحديد Kanone Eisenbahn . وهذا المدفع يزن 1350 طن، ويطلق قذيفة وزنها 4800 كيلوجرام الى مسافة 47 كيلومتر. وأقصى معدل للاطلاق هو قذيفة واحدة كل 15 دقيقة. وعمر الماسورة هو 300 طلقة. وقد استخدم الألمان هذا المدفع في ضرب القوات السوفيتية المحاصرة في مدينة سباستبول Sevastopol عام 1942 . ثم جاء بعد ذلك المشروع الامريكي لانتاج المدفع HARP الذي استخدم في الستينات لوضع قذيفة في الفضاء ولكنه لم يستخدم قط كمدفع أرضي.

(12) JDW بتاريخ 90/4/28 صفحة 771

(13) فينانشال تايمز 90/4/21

(14) رويتر، هيرالد تريبون 90/5/16

(15) وكالات الأنباء، صحيفة الشعب (الجزائرية) 91/7/21

(16) الخيار العسكري العربي للفريق الشاذلي ص 241 ـ 243

(17) حرب اكتوبر للفريق الشاذلي، ص 94

(18) Janes Defence Weekly ، الصادرة بتاريخ 13 مايو 1989 ، ص 836 . هذا وقد قام العراق فيما بعد بتغيير اسم هذه الطائرة من بغداد ـ 1 الى عدنان ـ 1 ، تخليدا لذكرى وزير الدفاع العراقي الفريق أول عدنان خير الله الذي قتل في حادث تحطم طائرة هيليوكوبتر كان يستقلها يوم 5 مايو 1989 .

(19) مجلة الجبهة رقم 80 الصادر في يوليو 89، ص 11 .

(20) نشرت نيويورك تايمز يوم 89/3/29 أن العراق وافق على دفع 3 . 27 مليون دولار لعائلة ضحايا الهجوم العراقي على المدمرة Stark . كما قالت ان البنتاجون انفق 9 . 82 مليون دولار لاصلاح المدمرة .

(21) JDW بتاريخ 89/7/8، ص 13

(22) JDW بتاريخ 89/5/20، ص 926

(23) ميناء البصرة الشهير في التاريخ العربي الاسلامي ، هو اليوم مجرد ميناء نهري على شط العرب ويبعد عن مدخل الخليج بحوالي 100 كيلومتر. ويرجع ذلك الى مساحة الأرض التي يقوم طمي نهري دجلة والفرات بردمها واقتطاعها سنويا من مساحة الخليج المائية عبر آلاف السنين . وان معاهدة الجزائر 1975 التي يعترف فيها العراق بأن يكون الخط الملاحي داخل شط العرب هو الحدود الفاصلة بين العراق وايران ، قد أضعف كثيرا من أهمية البصرة كميناء عراقي رئيسي .

(24) JDW بتاريخ 89/5/13، ص 836، 837 . JDW بتاريخ 89/5/20، ص 926، 927 .

(25) لا يوجد في الخدمة في أي بلد في العالم في الوقت الحالي مدفع ذاتي الحركة ذو مدى يصل الى مدى مدفع الفاو.

(26) الآية رقم 60 من سورة الانفال 8 .

(27) كتاب الخيار العسكري العربي ص 38 .

(28) قالت مجلة Janes Defence Weekly في 17 نوفمبر 90 صفحة 979، أن مصر سوف تستلم في ديسمبر 1990 ، عدد 2 طائرة VH-60A (Black Hawk) مجهزة بصالونات لخدمة VIP . وبذلك سيصبح لديها 6 طائرات هيليوكوبتر VIP .

(29) الخيار العسكري العربي ص 38، 39 .

(30) لمعرفة تفاصيل الانفاق سنويا من سنة 1974 حتى 1989 ، يرجى الرجوع الى كتاب الحرب الصليبية الثامنة الجزء الاول، ص 72 .

(31) هذه هي الاثمان الرسمية التي تباع بها هذه الاصناف الى الولايات المتحدة واسرائيل ودول اوروبا الغربية . أما اذا بيع البعض منها الى دول العالم الثالث بصفة عامة، أو الى الدول الغنية منها بصفة خاصة فان هذه الأرقام يضاف اليها 50 ـ 100٪، واحيانا اكثر من ذلك .

(32) JDW في 10 نوفمبر 1990 صفحة 922

(33) JDW في 91/4/6 صفحة 526

(34) الخيار العسكري العربي ص 167 ـ 171

(35) مجلة الجبهة العدد رقم 3 في يونيو 81، ورقم 17 في يناير 83، رقم 55 في يونيو 86، رقم 57 في أغسطس 86، ورقم 62 في فبراير 87، رقم 68 في سبتمبر 87، رقم 77 في يناير 89، رقم 80 في يوليو 89، رقم 83 في يناير 90، رقم 87 في سبتمبر 90 .

(36) JDW في 26 مايو 1990 ، صفحة رقم 990 .

(37) الخيار العسكري العربي، ص 281

(38) New York Times Service ، هيرالد تريبون 87/10/26، مجلة الجبهة العدد 71 الصادر في يناير 1988، ص 20

الفصل الثاني: قوات دول التحالف

(1) سحبت أمريكا الوحدات التالية من قواتها في ألمانيا (JDW في 17/11/90، صفحة 974) قيادة الفيلق السابع من Stuttgart ، الفرقة الأولى المدرعة من Ansbach ، الفرقة الثالية المدرعة من Frankfurt ، الآلاي الثاني فرسان من Nurenberg ، لواء مدرع ووحدات أخرى من Garlstedt .

(2) تمتلك أمريكا 5677 طائرة قتال تكتيكية موزعة على الأفرع الرئيسية للقوات المسلحة كما يلي (3620 في القوات الجوية، 1554 في البحرية، 503 في المارينز) ومن مجموع ما تملكه أمريكا من طائرات القتال التكتيكية حشدت 1101 في منطقة الخليج ، وهو ما يعادل 19.4٪ .

(3) تمتلك أمريكا 301 قاذفة إستراتيجية ثقيلة (95 طائرة B-1B ، 95 طائرة B-52 H ، 111 طائرة B-52 G) . ومن بين الطائرات B-52 G ، خصصت أمريكا 24 منها للقيام بقصف الأهداف العراقية، من قواعد لها في كل من بريطانيا، واسبانيا، وجزيرة دييجو جارسيا في المحيط الهندي . وهي بذلك تكون قد شغلت حوالي 22٪ منها ضد العراق. وتمتلك أمريكا علاوة على ذلك 24 قاذفة استراتيجية خفيفة (FB-111 A) ، استخدمتها جميعها ضد العراق. وبذلك تكون أمريكا قد استخدمت 16٪ من اجمالي قدراتها الاستراتيجية ضد العراق.

(4) ان استنزاف الجبهة الأوروبية لم يقتصر على الجانب الأمريكي فحسب. بل امتد ليشمل جميع دول حلف الأطلسي التي شاركت في ارسال قوات برية أو جوية أو بحرية الى منطقة الخليج . ولعل أوضح مثل لذلك هو موقف بريطانيا التي سحبت الفرقة الأولى المدرعة التي كانت تمثل العمود الفقري لمساهمتها ضمن قوات حلف الأطلسي. وكذلك الحال بالنسبة لهولندا التي ساهمت بـ 75٪ مما لديها من صواريخ باتريوت، 50٪ مما لديها من صواريخ HAWK . فمن بين 4 بطارية Patriot تملكها أرسلت 2 منها إلى تركيا. وأرسلت واحدة إلى إسرائيل. ومن بين 8 بطارية HAWK تملكها، أرسلت 4 منها الى تركيا (بطارية الباتريوت بها 8 قاذف، بطارية الهوك بها 6 قاذف).

(5) The Secret Wars of the CIA للكاتب الصحفي Bob Woodward صفحة 221، وكما جاء في مجلة الجبهة العدد رقم 72، بتاريخ مارس 88، ص 11 .

(6) مذكرات Lehman ، صحيفة Guardian بتاريخ 4/1/89 .

(7) The Secret Wars of the CIA ، للكاتب الصحفي Bob Woodward ، ص 222 ، ومجلة الجبهة رقم 72 بتاريخ مارس 88، ص 13 .

(8) نفس الكتاب السابق ص 30 ، ونفس مجلة الجبهة السابقة، ص 13 .

(9) New York Times ، هيرالد تريبون 12/9/83 ، مجلة الجبهة العدد 26 بتاريخ نوفمبر 83 ، ص 3

(10) مجلة المستقبل 29 سبتمبر 1987

(11) مجلة الجبهة العدد 26 بتاريخ نوفمبر 83 صفحة رقم 3

(12) الواشنطن بوست، الهيرالد تريبون 25/4/1987

(13) مجلة الجبهة العدد 41 بتاريخ مارس 85 ص 15 ، مجلة الجبهة العدد 54 بتاريخ مايو 86 ص 15 ، ومجلة الجبهة العدد 55 بتاريخ يونيو 86 الصفحات 6 ـ 9 .

(14) New York Times ، هيرالد تريبون 6/8/1986 ، مجلة الجبهة العدد 58 بتاريخ أكتوبر 86 ص 16 .

(15) صحيفة الشرق الأوسط في 18/4/86 . (المؤلف : في ربيع عام 91، اكتشفت فرنسا أن الصور التي سيلتقطها HELIOS ستكون بالغة الدقة وذات فوائد عسكرية . وبالتالي فإنها

قررت الا يكون توزيع الصور على أساس تجاري . وتسعى فرنسا حاليا أن يكون نظام HELIOS هو نواة لنظام أقمار عسكرية تكون في خدمة المجموعة الأوروبية حتى تستطيع أن تستغني أوروبا جزئيا عن اعتمادها على أمريكا في هذا المجال) .

(16) JDW ، الصادرة في 1991/3/9 صفحة 330

(17) The Secret Wars of the CIA صفحة 196

(18) JDW الصادرة في 23 فبراير 91 صفحة 255 ، JDW الصادرة في 91/3/9 صفحة 326 ، 327 ، مجلة TIME بتاريخ 91/3/11 ص 21 ـ 23 .

(19) الاسم الكودي للهيليوكوبتر AH - 64 هو أباتشي Apache ، وللطائرة AH - IS هو كوبرا Cobra ، وللطائرة UH - 60 ، هو الصقر الأسود Black Hawk .

(20) دبابة وزنها وهي كاملة الحمولة 16 طن ، الطاقم 4 ، مسلحة بمدفع 75 ملليمتر . وفي عام 1984 ، جهز بعضها بالمدفع 105 ملليمتر .

(21) JDW الصادرة في 5 يناير 1991 ، صفحة رقم 11 ، الصادرة في 2 فبراير 91 ص 147 ، ويشمل هذا الرقم 1101 طائرة قتال تكتيكية + 24 طائرة قتال استراتيجية خفيفة طراز F-111 A .

(22) JDW الصادرة في 16 فبراير 1991 ، صفحة رقم 206 .

(23) يرافق عادة كل حاملة طائرات وكل بارجة حربية 7 قطع بحرية كخط أول وتشمل هذه القطع 2 كروزر Cruiser ، 2 مدمرة Destroyer ، 1 فرقاطة Frigate ، سفينة امداد بالوقود ، سفينة إمداد بالذخيرة .

(24) JDW الصادرة بتاريخ 5 يناير 1991 ، ص 11 ، الصادرة في 2 فبراير 1991 ، ص 147 .

(25) كتيبة الباتريوت ، تتكون من 8 منصة اطلاق تعمل كوحدة نيران . أي أن كل كتيبة يكون لديها رادار واحد للانذار ، رادار واحد للتوجيه . ويمكن تدريب الأفراد على الاستخدام خلال 38 أسبوع .

(26) JDW الصادرة بتاريخ 91/8/31 ، ص 370 .

(27) JDW الصادرة بتاريخ 5 يناير 91 ، ص 5 ، الصادرة بتاريخ 12 يناير 91 ، ص 43 ، الصادرة في 19 يناير 91 ، ص 72 ، الصادرة بتاريخ 9 فبراير 91 ص 172 ، الصادرة في 16 فبراير 19 ص 208 .

(28) JDW الصادرة في 90/12/1 صفحة 1075 .

(29) JDW الصادرة في 91/3/16 صفحة رقم 367 .

(30) JDW الصادرة في 22 ديسمبر 90 صفحة 1261 ، صحيفة المساء (الجزائرية) يوم 27 فبراير 91 نقلا عن وكالة أنباء رويتر .

(31) استراليا ليست من دول العالم الثالث . وجميع دول أمريكا اللاتينية بما في ذلك الأرجنتين مصنفة على أساس أنها من دول العالم الثالث . ولكن الأرجنتين هي الدولة الوحيدة من بين دول العالم الثالث التي لم يمتزج الجنس الأبيض الذي هاجر إليها من أوروبا مع الأجناس الأخرى . وبالتالي بقي الجنس الأبيض الأوروبي هو الجنس الغالب في الأرجنتين . تماما كما هو الحال بالنسبة لأستراليا . ونتيجة لذلك بقي الانتماء الحضاري والفكري والعاطفي في هاتين الدولتين مرتبطا بالحضارة الأوروبية . ولذلك فليس بمستغرب أن تسارع هاتان الدولتان بارسال قواتها لمساندة أمريكا وأوروبا في ضرب العراق .

(32) جاء في الجزء الأول من كتاب الحرب الصليبية الثامنة ، في الصفحة رقم 7 والصفحة رقم 80 أن دولة ساحل العاج ساهمت بارسال قوات الى الخليج ، ونحن نأسف لهذا الخطأ . حيث أن هذه الدولة كانت عضوا في مجلس الأمن ووافقت على كل القرارات التي أصدرها المجلس ضد العراق . ولكنها لم تشارك بارسال قوات الى منطقة الخليج .

(33) الآية رقم 51 من السورة رقم 5 المائدة.
(34) جاء ذلك في مقال بتوقيع المحلل العسكري Jeffrey Record ، في مقال نشر في مجلة TIME الأمريكية الصادرة في 12 نوفمبر 1990، صفحة رقم 34.
(35) كان ذلك قبل أن يولد هيرتزل بعشرين عاما. فقد ولد هيرتزل في 20 مايو 1860. وهو الذي قاد الحركة الصهيونية من أجل إقامة الدولة اليهودية في فلسطين في أواخر القرن التاسع عشر (الخيار العسكري العربي الصفحات 16 ـ 20).
(36) الخيار العسكري العربي صفحة 34.
(37) كان عدد اليهود في فلسطين عام 1845 هو 12000، بينما كان عدد السكان الاجمالي هو 350 000. وفي عام 1880 ارتفع عددهم الى 25 000 من اجمالي 500 000 من السكان. وطبقا للاحصاء الرسمي الذي قامت به بريطانيا في 31 ديسمبر 1922 فقد كان عدد اليهود 83 000 من اجمالي السكان 757 000 (The Case of Israel / جارودي / صفحة 35، صفحة 38).
(38) وكالة أنباء رويتر
(39) الخيار العسكري العربي، الفصل السابع والثامن، الصفحات من 105 ـ 145.
(40) مجلة الجبهة العدد 28 الصادر في يناير 1984، ص 3.
(41) مجلة الجبهة العدد 56 الصادر في يونيو 1986 صفحة 7.

الفصل الثالث: مواصفات الأسلحة الامريكية والغربية

(1) هيرالد تريبيون في 81/9/1، نيوزويك في 81/9/7، كتاب الخيار العسكري العربي ص 168 ـ 171، مجلة الجبهة العدد 57 الصادر في أغسطس 86 صفحة 3، مجلة الجبهة العدد رقم 62 الصادر في فبراير 87 صفحة 7
(2) JDW الصادرة في 19 يناير 91 صفحة رقم 69، JDW الصادرة في 30 مارس 1991 صفحة رقم 446.
(3) JDW الصادرة في 91/4/6 صفحة رقم 544
(4) الميل البحري nautical mile = عقدة Knot = 6080 قدم = 18 . 1853 متر
(5) JDW الصادرة في 26 يناير 1991، ص 104
(6) استخدمت القوات الجوية الأمريكية هذه الطائرة، وهذا الأسلوب في ضرب ملجأ العامرية لوقاية المدنيين في بغداد ليلة 13/12 فبراير 91، والذي أودى بحياة حوالي 800 نفس غالبيتهم العظمى من النساء والأطفال
(7) يعتقد أن الصاروخ Have Nap ، يتم توجيهه بنفس الأسلوب الذي يتم به توجيه الصاروخ AGM - 84 E ، الذي يسمى SLAM . فالصاروخ يقوم بتوجيه نفسه نحو الهدف إلى أن يصبح الهدف في مدى الرؤية البصرية . . . وحينئذ ينقل الصاروخ صورة بالأشعة تحت الحمراء الى الطائرة الأم. وهنا يقوم المدفعجي بالتصويب نحو الهدف فيندفع اليها الصاروخ (JWD الصادرة في 16 فبراير 91 صفحة 206)
(8) JDW الصادرة في 2 مارس 91 صفحة 287
(9) JDW الصادرة في 16 مارس 91 صفحة 367
(10) JDW الصادرة في 2 مارس 91 صفحة رقم 286، JDW الصادرة في 6 أبريل 91 صفحة رقم 551

(11) JDW الصادرة في 22 يونيو 91، صفحة رقم 1156
(12) JDW ، الصادرة بتاريخ 5 يناير 1991 ص 10، JDW الصادرة بتاريخ 30 مارس 91 صفحة رقم 500
(13) JDW الصادرة في 26 يناير 1991، ص 106
(14) الميل البحري nautical mile يساوي 6080 قدم، ويساوي 18 . 1853 متر
(15) JDW الصادرة بتاريخ 26 يناير 1991 ص 101، والصادرة بتاريخ 2 فبراير 1991 ص 137، والصادرة في 16 مارس 91 ص 392
(16) JDW الصادرة في 8 يونيو 1991، صفحة رقم 953
(17) إسرائيل لديها هذه القنابل، وهي تقوم باسقاطها بواسطة الطائرات F - 15 ، الطائرات F - 16 .
(18) JDW الصادرة في 9 فبراير 1991، ص 178
(19) JDW الصادرة بتاريخ 23 فبراير 1991، ص 247
(20) JDW الصادرة في 9 فبراير 91 صفحة 178
(21) الخيار العسكري العربي ص 394، 395
(22) كانت أقمار الانذار المبكر Early Warning Satellites تصب معلوماتها في المحطة الأرضية الأمريكية في نارونجار Narrungar . وتقوم هذه بارسالها الى الصواريخ باتريوت عبر أقمار الاتصال. ويتم كل ذلك بطريقة أوتوماتيكية في خلال جزء من الثانية.
(23) JDW الصادرة في 2 فبراير 91 ص 134
(24) JDW الصادرة في 12 يناير 91 ص 64، الصادرة في 26 يناير ص 103، والصادرة في 16 فبراير ص 208
(25) JDW الصادرة في 2 فبراير 1991 صفحة 147، JDW الصادرة في 6 أبريل 91 صفحة 551
(26) قبل أغسطس 90، كانت الدول الخليجية تملك 511 هاوتزر 155 ملليمتر (البحرين 14، الكويت 36، عمان 24، قطر 6، السعودية 411، الامارات العربية 20). ومع ذلك فلا يوجد عند أي منها قذيفة واحدة من هذا النوع.
(27) يلاحظ ذلك بشكل واضح في الطائرة F - 16 ، F - 15 التي لدى كل من مصر والسعودية وإسرائيل
(28) مجلة TIME الصادرة بتاريخ 28 يناير 91 صفحة 23
(29) طائرات F - 16 الاسرائيلية تستخدم هذا الجهاز. اما الطائرات المصرية من نفس النوع فلا تملك هذا الجهاز.

الفصل الرابع: مقارنة القدرات

(1) نشر هذا المقال في مجلة الجبهة العدد 57 الذي صدر بتاريخ اغسطس 86 صفحة 8؛ وفي كتاب L'Option Militaire Arabe في الصفحات 251 ـ 254.
(2) الغرض من ضرب هذا المثل هو التأكيد مرة أخرى بان السلاح الأمريكي لا يمكن ان يستخدم بواسطة الدول التي تشتريه الا اذا كان ذلك في خدمة المصالح الامريكية. . . وحتى بالنسبة للأنظمة العربية الصديقة لأمريكا وللغرب، فان أمريكا لا يمكن أن تزودها بسلاح يكون في مستوى السلاح الاسرائيلي من جميع الوجوه.

(3) هذه هي الورقة التي تلعب بها أمريكا والدول الغربية عندما تقوم بامداد الدول العربية والاسلامية الصديقة لها بالأسلحة. فانها قد تبيع للدول العربية والاسلامية بعض الأسلحة الحديثة... ولكن بعد أن تجردها من المعدات الالكترونية التي تستخدمها الأسلحة المثيلة في الدول الغربية وفي اسرائيل. والأسباب معروفة طبعا.

(4) السيطرة الجوية تعني القدرة على اختراق الدفاع الجوي للخصم بواسطة طائرات التفوق الجوي والطائرات القاذفة المقاتلة الحديثة وقصف الأهداف الأرضية، دون مقاومة كبيرة من وسائل الدفاع الجوي المعادي سواء من ناحية الطائرات المقاتلة أو الصواريخ أو المدافع المضادة للطائرات. أما السيادة الجوية، فانها تتحقق عندما يتحقق التدمير الشامل لوسائل الدفاع الجوي من طائرات وصواريخ ومدافع، ويصبح في مقدور من يملكها أن ينتهك أجواء خصمه في أي وقت وفي أي مكان، دون أي اعتراض أو مقاومة اطلاقا.

(5) صحيفة المساء الجزائرية 90/9/14

(6) صحيفة المساء الجزائرية 90/9/23

(7) عن وكالة رويتر للانباء في 91/1/2

(8) مجلة TIME الامريكية الصادرة بتاريخ 90/12/10 صفحة رقم 31

(9) مجلة TIME الامريكية الصادرة بتاريخ 91/2/11 صفحة رقم 19

(10) ذكرت في الجزء الأول الذي صدر بتاريخ 20 اكتوبر 90، في الصفحة رقم 83 أنه من المنتظر أن تقوم قوات التحالف بحركة تطويق واسعة عبر الحدود العراقية السعودية. وانه لذلك لا يجوز أن يحشد في الكويت اكثر من 1000 دبابة، وأن يعتمد العراق بشكل اكثر على المدافع المضادة للدبابات في الدفاع عن المواقع الدفاعية في الكويت.

(11) في حديث له مع شبكة التليفزيون الامريكية CNN يوم 91/1/30 قال صدام حسين لأول مرة أن صواريخ الحسين تستطيع حمل رؤوس ذرية، وكيهاوية، وبيولوجية.

(12) مجلة TIME الامريكية الصادرة بتاريخ 90/12/10 صفحة 41

(13) الشعب الجزائرية بتاريخ 12 فبراير 91 نقلا عن وكالات الانباء

(14) JDW الصادرة في 90/12/8 صفحة 1139

(15) JDW الصادرة في 90/11/3 صفحة 879، JDW الصادرة في 91/1/19 صفحة 70

(16) صحيفة الشعب الجزائرية في 8 فبراير 91

(17) هيرالد تربيون في 1990/4/3

(18) مجلة TIME الامريكية بتاريخ 91/2/25 صفحة 41

(19) JDW الصادرة في 90/10/6 صفحة 614

(20) مجلة TIME الامريكية بتاريخ 90/12/10 صفحة 39، JDW الصادرة في 91/1/12 صفحة 44

(21) مجلة TIME الصادرة بتاريخ 90/12/10 صفحة 50

(22) نشرت صحيفة لوس انجلوس الامريكية بتاريخ 90/10/5، بأن العراق يمتلك قنبلة تعادل في قوة تدميرها القنبلة النووية.

(23) صحيفة الشعب الجزائرية بتاريخ 90/9/21 نقلا عن وكالة بترا الأردنية

(24) JDW الصادرة في 90/10/6 صفحة 627

(25) الشعب الجزائرية بتاريخ 90/11/26، نقلا عن رويتر ووكالة الانباء الجزائرية

(26) JDW الصادرة في 29 سبتمبر 1990 صفحة 559

الفصل الخامس: الموقف الامريكي

(1) كتاب الحرب الصليبية الثامنة، الجزء الأول، الصفحات 11 ـ 29 .
(2) نفس المرجع السابق، الصفحات 60 ـ 64 .
(3) في عام 2030 سينضب البترول من جميع دول العالم ـ اذا لم تظهر اكتشافات جديدة ـ الا من دول خمس هي : السعودية، الامارات العربية، الكويت، العراق، ايران.
(4) الدول العربية الاثنى عشر هي الدول العربية التي وافقت في مؤتمر القمة العربية الذي عقد في القاهرة في 10 أغسطس على التدخل العسكري الأمريكي في المنطقة، وامكانية مشاركة الدول العربية في هذا التدخل بارسال قوات عسكرية الى دول الخليج . وهذه الدول هي : السعودية، دولة الامارات العربية، الكويت، قطر، البحرين، عمان، مصر، سوريا، المغرب، الصومال، جيبوتي، لبنان.
(5) كتاب الحرب الصليبية الثامنة الجزء الاول، صفحة 90 .
(6) JDW الصادرة في 27 اكتوبر 1990، صفحة 839 .
(7) JDW الصادرة في 3 نوفمبر 1990، صفحة 888 (حاملات الطائرات Kennedy, Saratoga, Independence) .
(8) JDW الصادرة في 13/4/91، صفحة رقم 586 .
(9) كتاب الحرب الصليبية الثامنة الجزء الاول، صفحة 76، 77 .
(10) مجلة نيوزويك الأمريكية الصادرة بتاريخ اول اكتوبر 1990، صفحة 11 .
(11) مجلة المنتدى الأردنية، عدد ديسمبر 90، الصفحة رقم 6 .
(12) JDW الصادرة بتاريخ 17 نوفمبر 90، الصفحة رقم 975 .
(13) JDW الصادرة بتاريخ 17 نوفمبر 90، الصفحة رقم 974 .
(14) JDW الصادرة بتاريخ 11 مايو 90، الصفحة رقم 787 .
(15) صحيفة الرأي الأردنية الصادرة في 19 نوفمبر 90، نقلا عن رويتر.
(16) كانت جميع شبكات التليفزيون في العالم تنقل الخطاب على الهواء.
(17) نص القرار في الفصل الحادي عشر الخاص بقرارات الأمم المتحدة.
(18) صحيفة الشرق الأوسط، 23 ديسمبر 1990 .
(19) كتاب الحرب الصليبية الثامنة الجزء الاول، صفحة 63 .
(20) مجلة TIME الصادرة بتاريخ 10 ديسمبر 90، صفحة 40، 41 .
(21) صحيفة المجاهد الجزائرية الطبعة الفرنسية في 1/12/90، نقلا عن وكالات الانباء العالمية. كتاب The Commanders ، ص 332 .
(22) مجلة TIME الصادرة بتاريخ 24 ديسمبر 90، صفحة 21 .
(23) بدأت الولايات المتحدة تتورط في هذه الحرب اعتبارا من ربيع عام 1965 . وبنهاية عام 1965 كان لها في فيتنام 180 000 . ولكن هذا الرقم أخذ يتزايد حتى وصل الى 550 000 في نهاية 1969 . واستمرت الحرب حتى ربيع 1975 . ففي 6 مارس 1975، شن الشيوعيون الفيتناميون هجومهم. وفي 29 ابريل كانت قواتهم تقصف مطار عاصمة فيتنام الجنوبية في سايجون، بينما كانت آخر القوات الأمريكية تنسحب على عجل. وفي يوم 30/4/75 احتلت القوات الشيوعية سايجون. وتم توحيد فيتنام الجنوبية والشمالية.
(24) صحيفة الدستور الأردنية الصادرة في 14 ديسمبر 1990 .
(25) مجلة TIME بتاريخ 21 يناير 91، صفحة 24، 25 .

(26) تحاشي السناتور ان يذكر اعمال القهر التي تمارسها السلطات الاسرائيلية ضد الفلسطينيين في الأراضي المحتلة وضد المدنيين في جنوب لبنان. ولكنه على اي حال كان اكثر صراحة من غيره.

(27) مجلة TIME بتاريخ 4 مارس 91، صفحة 68.

(28) صحيفة التايمز اللندنية بتاريخ 31/12/85.

(29) مجلة الجبهة العدد 54 بتاريخ مايو 86، صفحة رقم 24.

(30) مجلة الايكونوميست البريطانية في 21 مايو 88 ص 58. مجلة الجبهة العدد 74 بتاريخ يوليو 88، ص 91.

(31) كتاب VEIL، الكاتب Bob Woodward، صفحة 402. مجلة الجبهة العدد 70 بتاريخ نوفمبر 87، صفحة رقم 23.

(32) مجلة نيوزويك الأمريكية الصادرة بتاريخ 15 فبراير 88 صفحة 22. مجلة الجبهة العدد 73 الصادر بتاريخ مايو 1988، صفحة رقم 2.

(33) مجلة TIME الصادرة في 17/12/90، صفحة رقم 19.

(34) مجلة TIME الصادرة في 17/12/90، صفحة 19.

(35) مجلة TIME الصادرة بتاريخ 17/12/90، صفحة 16.

(36) مجلة TIME بتاريخ 21 يناير 91، صفحة رقم 20.

(37) مجلة TIME بتاريخ 21 يناير 91، صفحة رقم 21.

(38) نشر فيما بعد ان طارق عزيز قال لبيكر: «حلفاؤكم العرب سوف يهجروكم - فهم لن يقبلوا بان يقتلوا اخوانهم من العرب. سيتعثر هجومكم وستجدون انفسكم وحدكم في الصحراء. وأنتم لا تعرفون الصحراء. ولا تعرفون ركوب الخيل والجمال». عن Strategic Survey 90 ـ 91، صفحة رقم 59.

(39) صحيفة الرأي الأردنية بتاريخ 14/1/91. نقلا عن رويتر.

(40) مجلة TIME بتاريخ 7 يناير 1991، صفحة رقم 16.

(41) أرسلت في اعقاب ذلك كل من مصر وسوريا والمغرب قوات عسكرية الى السعودية والى بعض الدول الخليجية. وان كان يعتقد ان بعضا من هذه القوات قد ارسل قبل ذلك.

الفصل السادس: الموقف العربي أثناء الازمة

(1) بعد هزيمة تركيا في الحرب العالمية الأولى، ألغيت الخلافة الاسلامية رسميا في 3 مارس 1924 ثم ألغي العمل بالشريعة الاسلامية في أبريل 1924.

(2) جاء ذلك في المحاضرة التي ألقاها مؤلف هذا الكتاب في نادي الصحفيين بالجزائر في 26/12/1990.

(3) الخيار العسكري العربي صفحة رقم 26.

(4) مجلة الجبهة العدد 57 الذي صدر بتاريخ أغسطس 86 صفحة رقم 8؛ كتاب L'option Militaire Arabe الصفحات 251 ـ 254.

(5) الحرب الصليبية الثامنة الجزء الأول الصفحات 15 ـ 29، الصفحات 40 ـ 47.

(6) صحيفة الأهرام 14/5/90؛ مجلة الجبهة العدد 86 الصادر في يوليو 1990 صفحة رقم 21.

(7) يعتمد هيكل فيما نشر على الوثائق التي حصل عليها من مصادرها الرسمية في كل من واشنطن ولندن والقاهرة، والتي قام بنشر صورها في كتاب الانفجار وفي صحيفة الأهرام التي قامت بنشر الكتاب على حلقات.
(8) مجلة الجبهة العدد 87 الصادر في سبتمبر 1990 صفحة رقم 7، 8.
(9) قال السيد ماتوتس مفوض المجموعة الأوروبية أمام البرلمان الأوروبي يوم 13 مارس 91، أن تكلفة إعادة إعمار العراق والكويت ضخمة جدا وتقدر ما بين 200 ـ 400 مليار دولار على مدى العشر سنوات القادمة. ولا يدخل ضمن هذا المبلغ طبعا ما أنفقته السعودية والدول الخليجية لتمويل هذه الحرب.
(10) مجلة TIME الصادرة بتاريخ 7 يناير 1991، صفحة 61.
(11) مجلة TIME الصادرة بتاريخ 7 يناير 1991، صفحة رقم 18.
(12) Salinger، في كتابه الملف السري لحرب الخليج ص 163.
(13) نفس المرجع السابق، ص 166.
(14) اتخذ هذا القرار مجلس الجامعة الذي حضره وزراء خارجية الدول العربية الذي تصادف وجودهم في القاهرة لحضور اجتماع منظمة المؤتمر الاسلامي. وفي هذا المؤتمر قرر المجلس ادانة العراق. وصوت ضد القرار كل من الأردن، السودان، اليمن، منظمة التحرير الفلسطينية وامتنعت ليبيا عن التصويت.
(15) مجلة TIME الصادرة في 7 يناير 1991 صفحة رقم 18.
(16) الملف السري لحرب الخليج، تأليف Salinger، صفحة 149.
(17) صحيفة الأهالي (المصرية) 15 أغسطس 90.
(18) الحرب الصليبية الثامنة الجزء الأول، صفحة رقم 63، صفحة رقم 231.
(19) الحرب الصليبية الثامنة الجزء الأول صفحة رقم 71، 72.
(20) رويتر؛ صحيفة الرأي الأردنية بتاريخ 90/11/20؛ مجلة TIME بتاريخ 90/11/19؛ JDW الصادرة في 19 يناير ص 83.
(21) صحيفة الواشنطن بوست 7 نوفمبر 90؛ صحيفة الدستور الأردنية 8 نوفمبر 90.
(22) مجلة JDW الصادرة في 17 فبراير 1991، صفحة رقم 207.
(23) مجلة TIME الأمريكية الصادرة في 11 مارس 91، صفحة 40.
(24) رويتر (تصريح ديفيد ميلور كبير أمناء الخزانة في بريطانيا) بتاريخ 91/4/18.
(25) رويتر، الأهرام 6 ديسمبر 90.
(26) وكالة تاس ووكالات الأنباء العالمية يوم 90/11/28.
(27) وكالة الأنباء الفرنسية 29 مارس 91، المساء الجزائرية 30 مارس 91.
(28) مجلة TIME الأمريكية الصادرة في 5 أغسطس 91، ص 9.
(29) مجلة TIME الأمريكية الصادرة في 11 مارس 91 (نقلا عن وثائق ميزانية الدفاع الأمريكية لحرب الخليج.
(30) *المجاهد الجزائرية باللغة الفرنسية بتاريخ 91/7/19.*
(31) تاريخ الكويت السياسي تأليف حسين خلف الشيخ خزعل، الجزء الثاني صفحة رقم 161.
(32) تاريخ الكويت السياسي الجزء الرابع صفحة رقم 12 (الشيخ سالم المبارك الصباح هذا هو جد فرع السالم الذي ينتمي اليه ولي عهد الكويت الحالي الشيخ سعد العبد الله السالم الصباح).
(33) تاريخ الكويت السياسي الجزء الرابع صفحة رقم 38.
(34) تاريخ الكويت السياسي الجزء الخامس صفحة 21 (الشيخ أحمد جابر المبارك الصباح هذا، هو جد فرع احمد الذي ينتمي إليه حاكم الكويت الحالي الشيخ جابر أحمد الصباح).
(35) الحرب الصليبية الثامنة الجزء الأول صفحة 33 ـ 36.

(36) الحرب الصليبية الثامنة الجزء الأول الصفحات 15 ـ 21، 40 ـ 44 .
(37) تم نشر صورة فوتوغرافية للوثيقة في صحيفة الشعب الجزائرية بتاريخ 15 يناير 1991 .
(38) الصفحة رقم 64 من كتاب Salinger (الملف السري لحرب الخليج) .
(39) الصفحة رقم 84 من كتاب Salinger (الملف السري لحرب الخليج) .
(40) الصفحة رقم 90 من كتاب Salinger (لملف السري لحرب الخليج) .
(41) الحرب الصليبية الثامنة ـ الجزء الأول الصفحات 15 ـ 21، الصفحات 36 ـ 44 .
(42) الحرب الصليبية الثامنة ـ الجزء الأول الصفحة رقم 46، 47 .
(43) مقال للمستر John K. Cooley ، في مجلة Survival عدد مارس / أبريل 91، صفحة رقم 128 .
(44) كتاب الملف السري لحرب الخليج للمؤلف Salinger صفحة رقم 74 .
(45) مقال John K. Cooley في مجلة Survival عدد مارس / أبريل، الصفحة رقم 130، نقلا عن محادثات خاصة مع : Pierre Salinger .
(46) الحرب الصليبية الثامنة الجزء الأول، صفحة رقم 62، 195، 196 .
(47) كتاب الملف السري لحرب الخليج تأليف Salinger ، صفحة رقم 88 .
(48) الحرب الصليبية الثامنة الجزء الأول صفحة 38 .
(49) مجلة TIME بتاريخ 11/3/91 صفحة رقم 47 .
(50) الحرب الصليبية الثامنة الجزء الأول صفحة 73، 74 .
(51) وكالة الأنباء الفرنسية 29/3/1991 .
(52) مجلة TIME الأمريكية بتاريخ 11/3/91 صفحة رقم 40 .
(53) رويتر 11 فبراير 91، JDW 16/2/91 .
(54) رويتر 24 يناير 1991، صحيفة المساء الجزائرية 25/1/91 . (55) وكالات الأنباء 25 فبراير 1991 .
(56) رويتر 30 نوفمبر 1990، وذكر الرقم على أساس أنه من الدول الخليجية دون اعطاء تفصيلات .
(57) رويتر 15 يوليو 91، الشعب الجزائرية 16/7/91 .
(58) وعن صحيفة الشروق نشرت صحيفة الشعب الجزائرية يوم 27/8/90 ما جاء في محضر هذه الجلسة .
(59) وصل الملك حسين الى واشنطن يوم 14/8، ولم يقابله بوش إلا يوم 16/8 .
(60) الملك حسين هو عميد الملوك والرؤساء العرب من حيث مدة حكمه، اذ تولى الملك في 2 مايو 1953 .
(61) كتاب الملف السري لحرب الخليج للمؤلف Salinger صفحة رقم 67 .
(62) يقول Salinger في الصفحة رقم 79 من كتابه، أن رئيس الوزراء مضر بدران أطلع النواب الأردنيين في جلسة مغلقة يوم أول أغسطس على حقيقة الموقف. وقد قال أحد من حضروا هذا الاجتماع في وقت لاحق أن مضر بدران كان يتكلم وكأنه يعلم أن الحرب ستندلع بعد بضع ساعات. ثم يستطرد Salinger فيقول أن الاسرائيليين علموا من مصدر أردني بعد ظهر ذلك اليوم بأن الحرب وشيكة، وأنهم قاموا بابلاغ هذه المعلومات فورا إلى وكالة المخابرات الأمريكية CIA .
(63) كتاب الملف السري لحرب الخليج، تأليف Salinger صفحة رقم 102 .
(64) في مساء يوم 43 أغسطس، أعلن العراق بأنه سيسحب قواته من الكويت. وأن الانسحاب سيبدأ إعتبارا من صباح يوم 5 أغسطس .
(65) الملف السري لحرب الخليج، تأليف Salinger صفحة رقم 113 .

(66) كانت القوات البريطانية المشاركة حتى ذلك التاريخ هي 2 سرب طائرات، 7 قطع بحرية، ولم تكن تشارك بأي قوات برية.

(67) صحيفة الدستور الأردنية يوم 9 نوفمبر 1990.

(68) لم تستكمل القوات الأمريكية والبريطانية والفرنسية حشدها في المناطق المخصصة لكي تنطلق منها في هجومها البري الا حوالي منتصف فبراير 91. بل ان بعض التشكيلات كان ينقصها بعض المعدات والتجهيزات التي لم تصلها إلا قبل بدء الهجوم البري يوم 24 فبراير بأيام قليلة. وقد كان ذلك أحد الأسباب التي أدت إلى أن الهجوم البري بدأ بعد الهجوم الجوي بـ 38 يوما.

(69) John Cooley في مجلة Survival عدد مارس / ابريل صفحة رقم 132.

(70) صحيفة الشروق التونسية 90/8/25، نقلا عن محضر لقاء رسمي بين الملك حسين وكبار رجال الاعلام الأردنيين.

(71) صحيفة الدستور الأردنية 90/11/9.

(72) صحيفة الشرق الأوسط السعودية 90/11/13، صحيفة المجاهد الجزائرية (باللغة الفرنسية) يوم 90/11/21.

(73) صحيفة المجاهد الجزائرية (باللغة الفرنسية) يوم 90/11/21.

(74) صحيفة الرأي الأردنية يوم 90/11/22.

(75) صحيفة الوفد المصرية بتاريخ 12 يناير 91.

(76) الملف السري لحرب الخليج للمؤلف Salinger، صفحات 35 ـ 38.

(77) مقال للمستر Cooley في مجلة Survival عدد مارس / أبريل، صفحة رقم 128.

(78) يؤيد Salinger رواية صدام حسين كما جاء في كتابه صفحة 47.

(79) الملف السري لحرب الخليج، Salinger، صفحة رقم 7.

(80) محضر هذه الجلسة نشر بالكامل في كتاب الملف السري لحرب الخليج للمؤلف Salinger، الصفحات 47 ـ 62.

(81) هذه الجملة الأخيرة تحمل في طياتها التهديد بالقيام بأعمال فدائية داخل الولايات المتحدة.

(82) من هذا الحديث يتضح تماما ان العراق لم يسقط أبدا الخيار العسكري كما يدعي حسني مبارك. ولا شك أن أمريكا قد قامت بنقل هذا الحديث الى أصدقائها في الدول الخليجية.

(83) صحيفة الشرق الأوسط السعودية في 86/9/15، مجلة الجبهة العدد 59 الصادر بتاريخ نوفمبر 86 صفحة رقم 2.

(84) نص الرسالة والحوار، ورد في كتاب الملف السري لحرب الخليج، للمؤلف Salinger الصفحات 138 ـ 148. ويقول Salinger في الصفحة رقم 150 أن الرسالة وصلت الى البيت الأبيض في نفس اليوم وقبل أن يتخذ مجلس الأمن القرار 661، الذي يفرض المقاطعة التجارية والمالية والعسكرية على العراق.

(85) للتفاصيل انظر الحرب الصليبية الثامنة الجزء الأول الصفحات 58 ـ 63.

(86) الحرب الصليبية الثامنة الجزء الأول صفحة رقم 94، صفحة 176.

(87) الحرب الصليبية الثامنة الجزء الأول صفحة رقم 183، 184.

(88) كتاب الملف السري لحرب الخليج للمؤلف Salinger صفحة رقم 169.

(89) نشرت ذلك صحيفة نيويورك تايمز بتاريخ 90/11/24، تحت عنوان أشرطة الحولي، وعنها نقلت صحيفة الرأي الأردنية بتاريخ 90/11/30.

(90) مجلة الجبهة العدد رقم 80، يوليو 89، الصفحات 17 ـ 29.

(91) مجلة الجبهة العدد رقم 83، يناير 90، الصفحات 16 ـ 20.

(92) استغرقت اجراءات التحول الديموقراطي في ألمانيا الشرقية حوالي عام، قبل أن يتم إعلان الوحدة الألمانية رسميا في 3 أكتوبر 1990.

(93) في 25 فبراير ۹۱، اجتمع وزراء خارجية دول حلف وارسو في بودباست، وقرروا حل جميع التنظيمات والمؤسسات العسكرية التابعة للحزب مع توقف جميع نشاطه العسكري اعتبارا من 31 مارس. وبقي الحلف بعد ذلك كمنظمة سياسية إلى ان اجتمع قادة تلك الدول في براغ في أول يوليو 91، ووقعوا على شهادة وفاة الحلف وانهاء جميع المنظمات المنبثقة منه. وبذلك ينتهي الحلف نهائيا بعد حياة دامت 36 سنة.

(94) JDW الصادرة في 90/2/24، صفحة 327.

(95) كتاب الملف السري لحرب الخليج تأليف Salinger صفحة رقم 182.

(96) الحرب الصليبية الثامنة الجزء الأول صفحة رقم 177.

(97) الحرب الصليبية الثامنة الجزء الأول، الصفحات 311، 312.

(98) كتاب الملف السري لحرب الخليج، تأليف Salinger، صفحة رقم 196.

(99) صحيفة مايو (المصرية) نقلا عن مسؤولين مصريين. ونقلت عنها صحيفة الشعب (الجزائرية) يوم 91/2/13.

(100) جاء ذلك في حديث للجنرال شوارتز كوبف في المؤتمر الصحفي المنعقد بالرياض يوم 91/2/24.

(101) صحيفة الرأي (الأردنية) في 29 نوفمبر 1990.

(102) صحيفة الشعب (الجزائرية) في 3 يناير 1991، صحيفة Horizon (الجزائرية) 91/1/4.

(103) صحيفة المساء (الجزائرية) يوم 10/23 نقلا عن الصحيفة اليمنية.

(104) وصل عدد اليمنيين بنهاية شهر نوفمبر 90، حوالي مليون طبقا للاحصاءات اليمنية. حوالي 000 800 طبقا لبيان منظمة الأمم المتحدة للاغاثة من الكوارث.

(105) صحيفة الشعب الجزائرية في 18 ديسمبر 90.

(106) صحيفة الشعب (الجزائرية) في 23 ديسمبر 90.

(107) كتاب الملف السري لحرب الخليج، للمؤلف Salinger صفحة رقم 209.

(108) كتاب الحرب الصليبية الثامنة الجزء الأول صفحة رقم 321.

(109) JDW في 29 ديسمبر 1990، صفحة رقم 559.

(110) جاء ذلك على لسان Dennis Heeley أحد زعماء حزب العمال البريطاني في برنامج تليفزيوني على محطة SKY ONE، في برنامج Now Sir Robin.

الفصل السابع: الموقف العربي قبل اندلاع الازمة

(1) مجلة الجبهة العدد رقم 89، الصادر في مايو 8، الصفحات 3 ـ 18.

(2) عاد سيكوتوري الى الرباط يوم 31 يناير حيث سلم موافقة مصر إلى ملك المغرب بصفته رئيس مؤتمر القمة الاسلامية الرابعة. وفي 26 مارس من نفس العام توفي سيكوتوري أثناء اجراء عملية جراحية له في أمريكا. وبعد 3 أيام من دفنه، وعلى وجه التحديد يوم 84/4/3، وقع انقلاب عسكري بقيادة رئيس اركان الجيش العقيد لانسانا كونتي. وتم القبض على جميع رموز النظام في الحكومة والحزب الواحد، الذي كان يتحكم في البلاد طيلة 26 عاما. واتضح أثناء محاكمة رموز النظام ان فترة حكم سيكوتوري، كانت من أكثر الأنظمة فاشية. وان نظام حكمه القاسي قد دفع 1.5 مليون غيني (حوالي ربع سكان البلاد) الى أن يعيشوا في المنفى خارج بلادهم. وفي عام 1983، قدرت منظمة العفو الدولية أن 2900 غيني اختفوا دون أن يعرف أحد لهم أثرا. والسؤال الذي يفرض نفسه هو كم من بين رؤساء الدول الاسلامية الأعضاء في منظمة المؤتمر الاسلامي هم صورة طبق الأصل من أحد سيكوتوري، ولكن لن يعرف أحد فظائع حكمهم طوال بقائهم أو بقاء أنظمتهم في السلطة.

(3) مجلة الجبهة العدد 62 الصادر في فبراير 1987، الصفحات 3 ـ 6.
(4) مجلة الجبهة العدد 47 بتاريخ أكتوبر 1985، صفحة رقم 2.
(5) مجلة الجبهة العدد 37 بتاريخ نوفمبر 1984، صفحة رقم 2.
(6) مجلة الجبهة العدد 71 الصادر في يناير 1988، الصفحات 3 ـ 12. مجلة الجبهة العدد 78 الصادر في مارس 89، صفحة رقم 2.
(7) مجلة الجبهة العدد رقم 75 الصادر في سبتمبر 1988، الصفحات 3 ـ 8.
(8) قرارات المجلس الوطني الفلسطيني في دورته التاسعة عشرة، التي عقدت في الجزائر مابين 13 ـ 15 نوفمبر 88، يمكن الرجوع اليها في مجلة الجبهة العدد 77 الصادر في يناير 89، الصفحات 17 ـ 22.
(9) المشروع الفلسطيني للسلام الذي تقدم به ياسر عرفات أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في جنيف في 13 ديسمبر 1988، والتعليق عليه، يمكن الرجوع اليه في مجلة الجبهة العدد 78 الصادر في مارس 1989، الصفحات 3 ـ 7.
(10) التجمعات العربية الاقليمية يمكن الرجوع إليها في مجلة الجبهة العدد رقم 79 الصادر في مايو 1989، الصفحات 3 ـ 18.
(11) صحيفة الفجر الجديد (الليبية) في 1982/9/2.
(12) صحيفة الفجر الجديد (الليبية) في 1983/2/2.
(13) تحرشت طائرات الأسطول السادس الأمريكي بالطائرات الليبية فوق خليج سرت يوم 83/6/29، ولم يحدث اشتباك.
(14) صحيفة الفجر الجديد (الليبية)، في 83/3/29.
(15) صحيفة النهار (اللبنانية)، في 85/1/3.
(16) صحيفة الأنوار (اللبنانية)، في 85/2/25.
(17) صحيفة الفجر الجديد (الليبية)، في 85/6/12.
(18) صحيفة الزحف الأخضر (الليبية)، في 85/7/8.
(19) صحيفة السفير (اللبنانية)، في 1986/3/4.
(20) صحيفة الفجر الجديد (الليبية)، في 1986/9/2.
(21) مجلة التضامن 87/4/4.
(22) صحيفة الزحف الأخضر (الليبية)، في 23 نوفمبر 1987.
(23) صحيفة الشعب (الجزائرية)، في 1988/3/29.
(24) صحيفة الشرق الأوسط (السعودية)، في 88/11/26.
(25) مجلة الجبهة العدد 80 الصادر في يوليو 89، الصفحة رقم 2.
(26) صحيفة الشرق الأوسط السعودية، 82/7/28.
(27) رويتر. صحيفة الشعب، 82/12/30.
(28) صحيفة النهار الدولية، 83/1/22.
(29) صحيفة الشرق الأوسط (السعودية)، في 1983/5/12.
(30) صحيفة النهار (اللبنانية)، 83/6/27.
(31) مجلة المصور (المصرية)، في 83/10/21.
(32) مجلة الحوادث، في 84/12/14.
(33) تفاصيل هذه الاتفاقية ومادار حولها من جدل ذكرت بالتفصيل في مجلة الجبهة العدد 42 بتاريخ ابريل 85، ص 7 ـ 9.
(34) كانت سوريا بما في ذلك اقليم الاسكندرونة جزءاً من الامبراطورية العثمانية، حتى نهاية الحرب العالمية الأولى. ولكن تركيا عندما انسحبت وتنازلت عن جميع الأراضي العربية التي

كانت تحتلها، فإنها لم تتنازل عن اقليم الاسكندرونة. ويبقى هذا الاقليم مثار خلاف بين تركيا من جانب وبين فرنسا ـ التي كانت تحتل سوريا بعد الحرب ـ من الجانب الآخر. ثم أجري استفتاء في عام 1939، تحت اشراف عصبة الأمم. واختار سكان الاقليم البقاء ضمن تركيا. وكان اجمالي عدد سكان الاقليم حينئذ حوالي 000 350 نسمة. ولكن سوريا مازالت تطعن في صحة هذا الاستفتاء. فقد كان على سكان الاقليم المسلمين أن يختاروا بين الحكم التركي المسلم، وبين الانضمام الى سوريا التي هي تحت سيطرة الحكم الفرنسي المسيحي. ولذلك فإن سوريا لا تعترف حتى الآن بهذا الضم. وجميع الخرائط السورية مازالت حتى الآن تدخل هذا الاقليم ضمن حدودها. ورغم مرور أكثر من 50 سنة على ضم الاقليم، فمازالت اللغة السائدة في الاقليم هي العربية وليست التركية. وعدد سكان الاقليم حاليا حوالي 000 900، وأكبر مدنه هي انطاكية وعدد سكانها 000 190. واعتقد ان مايقوله الأخ ياسر عرفات عن تهجير 000 200 هو رقم مبالغ فيه جدا، حيث أنه يعني تهجير حوالي ربع سكان الاقليم، وهي عملية صعبة لا يمكن أن تتم إلا بالاتفاق مع تركيا.. . كما أن مثل هذه العملية الكبيرة لا يمكن اخفاؤها عن وسائل الاعلام العالمية.

(35) مجلة الجبهة العدد 83 الصادر في يناير 89، صفحة رقم 6.

(36) مجلة الوطن العربي (باريس) في 89/4/21. ولمعرفة تفاصيل أكثر عما دار من مناقشات حول هذا الموضوع، يرجى الرجوع الى سلسلة مقالات «منظمة التحرير الفلسطينية الى اين» في مجلة الجبهة العدد 77 الصادر في يناير 89، الصفحات 17 ـ 23؛ ومجلة الجبهة العد 78 الصادر في مارس 89، الصفحات 3 ـ 7، 12 ـ 17؛ ومجلة الجبهة العدد 83 الصادر في يناير 90، الصفحات 3 ـ 10.

(37) رويتر، صحيفة Wall Street Journal الأمريكية 89/5/3. ووكالات الأنباء العالمية.

(38) مشروع مبارك والتعليق عليه، يرجع إليه في مجلة الجبهة العدد 83 الصادر في يناير 1990، صفحتي 11، 12.

(39) مجلة الجبهة الاعداد 77، 78، 83، التي صدرت في يناير 89، مارس 89، يناير 90... تحت سلسلة مقالات «منظمة التحرير الفلسطينية إلى أين».

(40) يلاحظ ان اجمالي خسائر الفلسطينيين خلال 25 عاما من الكفاح المسلح ضد الاحتلال الاسرائيلي، (الشهداء والمقعدون 240 14). يعادل 1٪ من خسائر الجزائريين في 7 سنوات من الكفاح المسلح ضد الاحتلال الفرنسي.

(41) كان المفاوضون الاسرائيليون والمفاوضون اللبنانيون، قد وقعوا بالأحرف الأولى على معاهدة (هي أقرب إلى أن تكون معاهدة حماية، وليست معاهدة صلح)، في 17 مايو 83. وكانت مصر تؤيد المعاهدة، بينما كانت سوريا تعارضها، وانتهى الأمر باسقاطها، وعدم التوقيع النهائي عليها. (التفاصيل في مجلة الجبهة العدد 22 الصادر بتاريخ يونيو 83، صفحات 3، 4، 8).

(42) صحيفة الأنوار (اللبنانية)، 84/7/19.

(43) صحيفة الأنوار (اللبنانية)، 85/5/5.

(44) صحيفة السفير (اللبنانية)، 85/12/3.

(45) صحيفة الشرق الأوسط (السعودية). في 87/2/2. مجلة الجبهة العدد 63 بتاريخ مارس 87، صفحة رقم 2.

(46) رواية محمد جاسم الصقر، تثير الجدل مرة أخرى حول مصداقية ما يقوله حسني مبارك.

(47) صحيفة الأهرام (المصرية)، في 82/6/29.

(48) صحيفة النهار (اللبنانية)، في 82/11/8.

(49) تفاصيل مشروع ريجان في كتاب الخيار العسكري العربي، وهو مشروع بالغ السوء، يحرم الفلسطينيين من كل الثوابت التي قاتلوا من أجلها، الصفحات 291 ـ 295.
(50) هيرالد تريبون، 82/11/26.
(51) صحيفة الأنوار (اللبنانية)، في 83/1/30.
(52) صحيفة الشرق الأوسط (السعودية)، 83/3/5.
(53) وكالة أنباء اسوشيتيد برس، 83/4/14، الأهرام 83/4/14.
(54) *هيرالد تربيون، في 1984/3/12.*
(55) صحيفة الأنوار (اللبنانية)، في 1984/5/4.
(56) صحيفة الجمهورية (المصرية) في 1984/9/15، صحيفة الأنوار (اللبنانية)، في 84/9/15.
(57) هيرالد تربيون يومي 85/2/26، 85/2/27.
(58) صحيفة الشرق الأوسط (السعودية)، في 85/2/27.
(59) كتاب VEIL للكاتب Bob Woodward، الصفحات 411، 414، 419، 420، 432، 435، 436، 442، 443، 444... مجلة الجبهة العدد 73، الصادر في مايو 88، الصفحات 12 ـ 14.
(60) صحيفة أخبار اليوم (المصرية)، في 86/4/19.
(61) مجلة المستقبل (باريس)، 29 سبتمبر 1987.
(62) خدمة الواشنطن بوست، صحيفة الهيرالد تربيون، 22 يناير 1988.
(63) صحيفة الجارديان البريطانية، 27 سبتمبر 1988.
(64) صحيفة الشرق الأوسط (السعودية)، 1988/12/22.
(65) صحيفة الأهرام (المصرية)، في 1989/10/3.

الفصل الثامن: موقف باقي الدول

(1) فرنسا انسحبت من الحلف عام 1966، لأنها رفضت أن توضع قواتها تحت القيادة المركزية للحلف (وهي قيادة أمريكية) ولكن هذا الانسحاب هو فقط من ناحية الشكل. ولكنها تساهم وتشارك في استراتيجية الحلف.
(2) مجلة TIME الامريكية الصادرة في 25 فبراير 1991، صفحتي 52، 53.
(3) لوكسمبورج عضو في NATO، عضو في EEC. ولكن كل قواتها المسلحة عبارة عن كتيبة مشاة خفيفة قوامها 800 ضابط وجندي. أما ايسلندا فهي عضو في NATO وليست عضو في EEC وليس لديها اي قوات مسلحة. وفائدة هاتين الدولتين لحلف الأطلسي هو استخدام أراضيها بواسطة دول الحلف. ففي ايسلندا توجد قاعدة بحرية وقاعدة جوية امريكية تضم 18 طائرة F-15. وفي لوكسمبورج توجد قاعدة جوية بها 18 طائرة AWACS أمريكية تحمل علامات لوكسمبورج.
(4) جميع وكالات الانباء وشبكات التليفزيون العالمية يوم 1991/2/10.
(5) رويتر 1991/2/11، رويتر 91/4/19.
(6) تقرير المستر King وزير الدفاع البريطاني امام مجلس العموم، كما جاء في JDW الصادرة في 4 مايو 91 صفحة رقم 740.

(7) مجلة نيوزويك الامريكية التي صدرت في 1990/10/29، وعنها صحيفة الشعب الجزائرية يوم 1990/10/30.

(8) القصة الكاملة لتدمير المفاعل الذري العراقي، يرجى الرجوع اليها في كتاب الخيار العسكري العربي، الصفحات 69 ـ 76.

(9) مشكلة الزعماء العرب هي انهم لا يقرأون احداث الماضي ولا يستفيدون من أخطائهم وأخطاء من سبقوهم.

(10) رويتر، صحيفة الشعب الجزائرية 28 مايو 91

(11) وكالة الأنباء الفرنسية 91/6/20. وفي 91/12/4 ذكرت وكالة الأنباء الفرنسية أن لجنة الدفاع في البرلمان الفرنسي أعلنت أن تكاليف اشتراك فرنسا في الحرب هي 5 . 4 مليار فرنك فرنسي، وأن المساعدات المالية التي حصلت عليها فرنسا من الكويت والسعودية وألمانيا واليابان بلغت 5 . 10 مليار فرنك فرنسي. وهذا يعني ان أرباح فرنسا المباشرة من تلك الحرب هي 6 مليار فرنك فرنسي.

(12) الدستور التركي يعطي سلطات كبيرة لرئيس الدولة، وبالتالي فانه يقوم بتفريغ الديموقراطية من مضمونها. فمن يختلف في الرأي مع رئيس الجمهورية ليس أمامه سوى الاستقالة أو ان يقوم الرئيس بعزله من منصبه. وقد ظهر ذلك بوضوح تام خلال أزمة الخليج. ففي خلال شهر اكتوبر 90، استقال وزير الدفاع صفا جيري Sefa Geray، فعين الرئيس التركي ابن اخته حسني دوجان خلفا له. وفي فبراير 91، عزل الرئيس حسني دوجان وعين محمد ياسر خلفا له. فاذا أضفنا الى ذلك استقالة وزير الخارجية في اكتوبر 90، واستقالة رئيس الاركان في ديسمبر 90، فان ذلك يوضح السلطات الواسعة التي كفلها الدستور التركي لرئيس الجمهورية. وقد علق احد السياسيين الاتراك على ذلك قائلا «ان أوزال يتمتع بسلطات لم يتمتع بها اي سلطان عثماني سابق».

(13) جاء ذلك في تصريح لكبير أمناء الخزينة البريطانية ديفيد ميلر يوم 91/4/19.

(14) مجلة TIME الامريكية بتاريخ 91/5/6، صفحة رقم 28

(15) مجلة الايكونوميست (البريطانية) الصادرة في 1988/8/6، صفحة رقم 41، ويلاحظ ان Zeef Schiff هذا هو أول من كشف مذبحة صبرا وشاتيلا عام 1982، وهو أيضا مؤلف كتاب حرب اسرائيل في لبنان 1984.

(16) رويتر 6 مارس 1991، وكالة الانباء الفرنسية 29 مارس 1991، مصادر اخرى متعددة.

(17) JDW الصادرة في 2 مارس 1991، صفحة رقم 285؛ JDW الصادرة في 91/4/6 صفحة رقم 519

(18) صحيفة الدستور الاردنية في 10 مارس 1991.

(19) إذاعة ملتقطة من اسرائيل الساعة 00 16 يوم 23 مايو 1991.

(20) مجلة TIME الامريكية بتاريخ 91/5/6، صفحة رقم 28.

(21) بلغت مبيعات الصين من السلاح لدول العالم الثالث عام 1987 مبلغ 700 4 مليون دولار. ولكنه انخفض الى 100 1 مليون دولار عام 1989. ويرجع ذلك اساسا الى توقف الحرب العراقية الايرانية التي كانت احد الاسباب الرئيسية لازدهار صناعة السلاح في الصين.

(22) مجلة الجبهة العدد 80 الصادر بتاريخ يوليو 89، صفحة رقم 22.

(23) مجلة الجبهة العدد 80 الصادر بتاريخ يوليو 89، الصفحات 17 ـ 29؛ مجلة الجبهة العدد 83 الصادر بتاريخ يناير 90، صفحات 16 ـ 20؛ مجلة الجبهة العدد 84 الصادر بتاريخ ابريل 90، صفحات 3 ـ 8.

(24) مجلة الجبهة العدد 87 الصادر في سبتمبر 1990، صفحات 21 ـ 23.
(25) مجلة الجبهة العدد 80 الصادر في يوليو 89، صفحات 2 ـ 5؛ مجلة الجبهة العدد 83 الصادر في يناير 90 الصفحات 3 ـ 10.
(26) بعد حوالي ساعة من انتهاء المقابلة مع بوش، ابلغ مندوب البيت الأبيض بريماكوف بانه يمكنه ان يسافر دون انتظار رد الرئيس.
(27) مجلة TIME الامريكية بتاريخ 91/3/4، صفحة رقم 38
(28) مجلة TIME الامريكية بتاريخ 91/3/11، صفحة رقم 48
(29) JDW الصادرة في 25 مايو 91، ص 861، ص 871.
(30) مجلة TIME الامريكية الصادرة في 3 يونيو 1991، صفحة رقم 37
(31) صحيفة الشعب (الجزائرية) في 91/6/15، صحيفة الشعب الجزائرية 91/8/29.
(32) كتاب الملف السري لحرب الخليج، Salinger، صفحة رقم 82.
(33) مجلة TIME الامريكية في 91/6/17، صفحات 12 ـ 14.
(34) الحرب الصليبية الثامنة الجزء الأول، صفحة رقم 45، 46.
(35) الاتحاد السوفيتي يستهلك 5.8 مليون برميل يوميا، ويصدر باقي انتاجه وقدره 3 مليون برميل يوميا. وعموما فاي ارتفاع في سعر البترول في السوق العالمي فانه يعني اضافة الى الدخل القومي سواء بالنسبة لما يستهلكه السوق المحلي او بالنسبة لما يتم تصديره.
(36) كتاب الحرب الصليبية الثامنة الجزء الاول، صفحة رقم 99
(37) آية الله الخميني هو قائد الثورة الاسلامية الايرانية وملهمها. فبعد فترة من الاضرابات والمظاهرات استمرت ثلاثة اشهر، اضطر الشاه محمد رضا بهلوي أن يغادر البلاد هو وعائلته يوم 15 يناير 79. وفي اول فبراير 79، عاد آية الله الخميني من منفاه الى طهران. وكان الشاه قد نفاه الى خارج البلاد في نهاية عام 1963. وقد قضى النصف الاول من عام 1964 في تركيا، ثم تركها الى العراق حيث بقي بها حتى سبتمبر 1978. وفي اكتوبر 1978 ومع بداية حركة الاضراب والعصيان المدني التي كان يقوم بها اتباعه في طهران بتشجيع منه، طلب الشاه من العراق ابعاد الخميني من العراق. وكانت العلاقات بين طهران وبغداد طيبة منذ توقيع اتفاقية الجزائر في 6 مارس 1975 التي بموجبها تم الاتفاق على حل المشاكل بين الدولتين.. فاستجاب العراق لطلب الشاه. ورحل الخميني الى فرنسا في اكتوبر 1978 بعد ان رفضت الكويت قبوله. وبقي الخميني في فرنسا الى ان عاد الى طهران في اول فبراير 1979، بعد نجاح الثورة في ايران. وبعد اجراء استفتاء، أعلن يوم 1979/4/1 قيام الجمهورية الايرانية الاسلامية. وقد توفي الخميني في 3 يونيو 1989. ولكن ما زالت وصيته وأقواله هي الدستور الذي لا يجرؤ زعيم سياسي أو ديني في ايران ان ينادي علنا بخطئها أو ضرورة الخروج عليها. وقد أذيعت الوصية يوم 89/6/5، ونقلتها جميع وسائل الاعلام المحلية والأجنبية.
(38) وكالات الانباء العالمية، صحيفة الأنوار (اللبنانية) 84/9/9.
(39) وكالة أنباء أسوشيتيد برس، هيرالد تريبون 1986/11/6
(40) هيرالد تريبون 1987/8/3
(41) هيرالد تريبون في 11 سبتمبر 1987
(42) صحيفة الجارديان (البريطانية) في 88/4/12
(43) صحيفة هيرالد تريبون 89/5/6، 89/5/8
(44) انتخب رفسنجاني رئيسا للجمهورية في 28 يوليو 1989، خلفا لآية الله علي خامنئي الذي أصبح مرشد الثورة وامامها بعد وفاة الامام الخميني.
(45) مجلة الجبهة العدد 75 الصادر بتاريخ سبتمبر 88 الصفحات رقم 19 ـ 22، مجلة الجبهة العدد 76 الصادر بتاريخ نوفمبر 88 الصفحات 16 ـ 20، مجلة الجبهة العدد 77 الصادر بتاريخ يناير 89 الصفحات 8 ـ 16

(46) وكالات الانباء، صحيفة المساء (الجزائرية) في 7 يناير 1991. وفي حديث له مع مجلة دير شبيجل الالمانية، ونشرته صحيفة كيهان العربي في 30 مارس 91، اكد رفسنجاني بان خسائر ايران المباشرة في الحرب تقدر بـ 600 مليار دولار، وان خسائرها الغير مباشرة تقدر بـ 300 مليار دولار.

(47) حديث الرئيس رفسنجاني مع مجلة دير شبيجل، والذي نشر في مجلة كيهان العربي في 30 مارس 1991

(48) مجلة الجبهة العدد 86، الصادر بتاريخ يوليو 90، صفحة رقم 2

(49) انظر مجلة الجبهة العدد 74 الصادر في يوليو 88، صفحة رقم 2، صفحة رقم 18؛ مجلة الجبهة العدد 77 الصادر في يناير 89، صفحة رقم 24.

(50) وكالة الانباء الجزائرية، صحيفة الشعب (الجزائرية) 16/11/90، وكالة الانباء الجزائرية، صحيفة الشعب الجزائرية 15/8/91 نقلا عن حجة الاسلام علي اكبر أبو ترابي.

(51) كلمة الشيطان الاكبر هي نص ما جاء في الصحيفة المذكورة.

(52) الرقم الأقرب الى الصحة هو حوالي 000 5 ضحية (انظر تعليقنا في مجلة الجبهة العدد 73 الصادر في مايو 88 صفحة رقم 22).

(53) صحيفة فيناتشال تايمز (البريطانية) بتاريخ 29/9/90

(54) صحيفة الدستور الاردنية بتاريخ 30/9/1990

(55) صحيفة الشعب الجزائرية 19/10/1990، نقلا عن لوموند الفرنسية

(56) صحيفة الرأي الأردنية 6/12/1990

(57) وكالات الأنباء، عنها صحيفة الشعب الجزائرية 1 يناير 1991

(58) رويتر، وكالة الأنباء الفرنسية، صحيفة المساء (الجزائرية) 28 يناير 1991.

(59) عدد ونوعية الطائرات طبقا لبيان وزير الخارجية العراقي في 13/4/91 هي: 24 طائرة ميراج F-1، 24 طراز SU-24، 40 طائرة SU-22، 4 طائرة SU-20، 7 طائرة SU-25، 12 طائرة MIG-23، 4 طائرة MIG-29 . . . ومن الطائرات المدنية الطائرات: 2 طائرة بوينج 747، 1 طائرة بوينج 707، 3 طائرة بوينج 737، 5 طائرة ايربوس 310، 1 ايربوس 300، 15 طائرة اليوشن IL-76، 2 طائرة مستير فالكون 20، 3 طائرة فالكون 50، 1 طائرة لوكهيد جتستار. ويقدر ثمن هذه الطائرات بحوالي 000 3 مليون دولار. (JDW الصادرة في 27 ابريل 91، صفحة رقم 684)

(60) من مقال للشيخ القرضاوي نشر في صحيفة الشعب الجزائرية في 17/6/91

(61) صحيفة كيهان العربي (الايرانية) في 8 حزيران (يونيو) 1991

(62) صحيفة كيهان العربي الصادرة في 8 حزيران (يونيو) 91

(63) صحيفة كيهان العربي، في 30 مارس 91.

الفصل التاسع: العمليات الحربية

(1) أمريكا مازالت تفرض حالة الحصار على العراق حتى تاريخ دفع هذا الكتاب إلى المطبعة بالرغم من مرور ثمانية أشهر على وقف اطلاق النار.

(2) صحيفة الشعب الجزائرية 26 ديسمبر 1990.

(3) في البيان الصحفي الذي أصدرته السفارة الأمريكية في الجزائر بتوقيع السفير كريستوفر روس يوم 4/1/91، اعترف السفير بأن جندي مارينز واحد أطلق رصاصة في الهواء، وأن آخرين قذفوا عددا من قنابل الدخان، بعد أن تعرضوا للدفع من طرف السيدات لمنعهم من أداء مهمتهم. وأنه لم تصب أي سيدة بإصابة تستدعي العلاج في المستشفيات.

(4) مجلة TIME الأمريكية الصادرة في 3 يونيو 1991، صفحة رقم 36 . مجلة TIME الأمريكية الصادرة في 10 يونيو 1991، صفحة 36 .

(5) J D W الصادرة في 1991/4/6، صفحة رقم 529 . مصادر اعلامية أخرى.

(6) الدفاع الجوي الفعال يجب أن يكون لديه القدرة على تدمير واسقاط 5 في المائة على الأقل من الطائرات والأهداف الجوية التي تخترق المجال الجوي للدولة . فإذا قلت قدرته عن ذلك، فإن ذلك يعني أنه قد بدأ يتآكل وأنه قد بدأ مرحلة الانهيار الكامل.

(7) مجلة J D W الصادرة في 1991/4/6، صفحة رقم 529 . ولم يصدر عن الجانب العراقي - حتى تاريخ تحرير هذا الكتاب - أي بيانات عن خسائره في الأفراد أو المعدات خلال تلك الحرب.

(8) هذا التقسيم هو تطبيق دقيق لأصول العلم العسكري . وهو ما يطلق عليه أحيانا الحرب طبقا لما جاء في الكتب Running the War by the Book .

(9) يعتقد أن 115 طائرة عراقية قد نجحت في الهروب إلى إيران.

(10) كانت طائرات التحالف تطير على ارتفاعات 000 20 قدم فما فوق (000 6 متر) لكي تتلافى نيران المدفعية والرشاشات المضادة للطائرات، وصواريخ سام الخفيفة الحركة التي من الصعب تحديد أماكنها بدقة حتى يمكن تلافيها.

(11) أعلن وزير خارجية العراق السيد أحمد حسين الخضير في 1991/4/13، أن بلاده نقلت إلى إيران خلال حرب الخليج، 148 طائرة من بينها 115 طائرة عسكرية، 33 طائرة مدنية .

(12) J D W الصادرة في 91/4/6 صفحة رقم 550، 551 .

(13) J D W الصـادرة في 20 أبريل 91، صفحة رقم 631 . J D W الصادرة في 8 يونيو 91 صفحة رقم 953 .

(14) J D W الصادرة في 2 فبراير 91 صفحة 133 . J D W الصادرة في 91/4/6 صفحة 551 .

(15) J D W الصادرة في 91/4/6، صفحة رقم 538 .

(16) هذه هي المـرة الأولى في تاريخ الـولايات المتحـدة التي يؤسر فيهـا جنـدي امـرأة هي Melissa Rathbun - Nealy . وقد أثار ذلك ردود فعل ومناقشات غاضبة داخل المجتمع الأمريكي، على أساس أنه لا يجوز السماح للنساء بالتواجد في الخطوط الأمامية.

(17) المؤتمر الصحفي اليومي لقيادة دول التحالف يوم 31 يناير 91 . مجلة TIME الصادرة في 11 فبراير 91 صفحة رقم 12 . J D W الصادرة بتاريخ 9 فبراير 91 صفحة 169 .

(18) مجلة TIME الأمريكية الصادرة في 11 فبراير 91، صفحة رقم 16 .

(19) J D W الصادرة في 16 فبراير 91 صفحة رقم 206، 207 .

(20) تم تأجيل هذا التاريخ فيما بعد إلى 24 فبراير بناء على طلب الجنرال شوارتزكوبف لاستكمال بعض التحضيرات (TIME الصادرة في 11 مارس 91 صفحة رقم 30).

(21) كانت كل تلك القوات مكلفة بالهجوم على قوات محرومة تماما من أي دفاع جوي . . . قوات عراقية تعرضت للقصف الجوي والبحري والمدفعي طيلة 38 يوم . وإن صحت التقارير الأمريكية، فإن هذه القوات تكون قد فقدت 40 ٪ من معداتها نتيجة هذا القصف . وذلك طبقـا لما قاله الأدميرال Oconner مدير المخابرات الحربية في المؤتمر الصحفي الذي عقده البنتاجون يوم 23 فبراير . وهذا يعني أن المعدات الرئيسية التي كانت مازالت في أيدي القوات العراقية في الجبهة عندما بدأ الهجوم البري هي : 568 2 دبابة، 866 1 مدفع، 722 1 عربة مدرعة.

(22) مجلة TIME الأمـريكية الصادرة في 4 مارس 11 مارس J D W الصادرة في 91/3/9 صفحة 326، 327 .

(23) ثبت فعلا فيما بعد أن جزيرة فيلكة لم تسقط في أيدي الحلفاء . بل إنها لم تتعرض قط لأي هجـوم . وكـان الاعـلان عن سقوطهـا بواسطة الاعلام الغربي يدخل في إطار التضليل الاعلامي والحرب النفسية.

(24) ثبت فيما بعد أن الفرقة الفرنسية تحركت من مدينة رفحة في السعودية الساعة 1800 يوم 23 ، وأنها في صباح يوم 24 كانت قد توغلت 80 كيلومتر داخل الأراضي العراقية ، وقبل آخر ضوء يوم 24 كانت قد احتلت سلمان التي تقع على مسافة 150 كيلومتر داخل الحدود العراقية ، والتي تبعد عن مدينة السماوة على نهر الفرات بحوالي 100 كيلومتر.

(25) J D W الصادرة في 30 مارس 91 صفحة رقم 463 .

(26) تحمل السوفيت خلال تلك الحرب ، 000 15 قتيل ، 000 40 جريح . وبلغت التكاليف المالية للحرب التي امتدت 9 سنوات 45 مليار دولار ، في حين أن اجمالي ما تحملته أمريكا من مساعدات للثوار الأفغان طوال تلك المدة هو 2 مليار دولار ، ولم تتحمل أي خسائر بشرية .

(27) Survival مارس / ابريل 91 ، صفحة رقم 128 (John K.Cooley) .

(28) J D W الصادرة في 4 مايو 1991 صفحة رقم 738 .

(29) J D W في 91/4/27 صفحة 677 ، رويتر 91/4/19 ، الشعب الأردنية 91/4/20 .

(30) في يوم 24 فبراير ، تم نقل لواء من الفرقة 101 ، اقتحام جوي في حوالي 460 طائرة هيليوكوبتر إلى منطقة تقع شمال الحدود السعودية بحوالي 113 كيلومتر ، وتقع شرق مطار سلمان العراقي . وقد استخدمت هذه المنطقة التي اطلق عليها اسم كودي (Cobra) كقاعدة انطلقت منها قوات الفرقة 101 في عملية اقتحام جوي لمنطقة الناصرية يوم 27 فبراير 91 . وقد نقل في هذه العملية لواء من الفرقة في 300 طائرة هيليوكوبتر (J D W الصادرة في 9 مارس 91 صفحة رقم 326) .

(31) J D W الصادرة في 91/4/6 صفحة رقم 544 .

(32) وكالات الأنباء العالمية ، صحيفة الشعب (الجزائرية) في 91/6/16 .

(33) الاسم الدارج لهذه الذخائر هو القنابل الذكية Smart Bombs .

(34) J D W الصادرة في 91/4/6 صفحة رقم 550 ، 551 .

(35) Strategic Survey 1990 - 91 ، صفحة رقم 81 .

(36) New York Times Service ، صحيفة هيرالد تريبون الدولية 87/10/26 . مجلة الجبهة العدد 71 ، الصادر في يناير 1988 صفحة رقم 20 .

(37) J D W الصادرة في 10 نوفمبر 1990 ، صفحة 922 .

(38) J D W الصادرة في 1991/4/6 صفحة رقم 526 . J D W الصادرة في 4 مايو 1991 صفحة رقم 724 .

(39) J D W الصادرة في 1991/6/29 صفحة رقم 1161 .

(40) وكالات الأنباء ، الشعب (الجزائرية) في 16 يونيو 1991 .

(41) أعلنت القيادة الأمريكية أن خسائرها في الحوادث حتى 90/12/31 ، كانت 98 قتيل أمريكي (J D W الصادرة في 91/1/12 صفحة رقم 43) .

(42) مجلة TIME (الأمريكية) الصادرة في 17 يونيو 1991 ، صفحة رقم 26 . مجلة TIME الصادرة بتاريخ 91/8/26 ، صفحة رقم 34 . J D W الصادرة بتاريخ 91/8/24 . وتؤكد جميعها نقلا عن المصادر الأمريكية أن عدد القتلى الأمريكيين في هذه الحرب هو (110 قتلى في العمليات نتيجة أعمال العدو + 38 قتلى في العمليات نتيجة إطلاق النيران بواسطة وحدات أمريكية على وحدات أمريكية أخرى بطريق الخطأ + 241 نتيجة حوادث أثناء التدريب أو حوادث عادية = 389) .

(43) في خطاب أرسله وزير الخارجية العراقي طارق عزيز إلى الأمين العام للأمم المتحدة ، ذكر طارق عزيز أن خسائر العراق نتيجة القصف الجوي مابين 17 ـ 21 تزيد عن 400 قتيل بين المدنيين . وفي 3 فبراير ذكرت صحيفة بغداد أن خسائر المدنيين وصلت إلى 000 50 بين قتيل وجريح . وفي 14 فبراير صرح السفير العراقي في اليابان بأن أكثر من 000 7 من المدنيين قد لقوا حتفهم . . . في حين أن الأرقام التي نشرتها الحكومة العراقية في ذلك التاريخ كانت تقول أن عدد القتلى هو 1237 فقط (1147 من المدنيين ، 90 من العسكريين) . ولم يصدر عن

العراق بعد ذلك أي أرقام رسمية عن خسائره البشرية أو خسائره في المعدات. كما وأن الأمريكان أنفسهم تحاشوا ذكر الخسائر البشرية التي تحملها العراق حتى لا يظهروا بمظهر السفاحين الذين أسرفوا في القتل بأكثر مما يتطلبه تحقيق هدفهم المعلن. وإن ماذكرته هنا حول ما تحمله العراق من خسائر بشرية هو مجرد افتراض بنيته على أساس ماتم تدميره من منشآت ومعدات. . . وعلى أساس الخسائر المحتملة أثناء انسحاب القوات العراقية من الكويت تحت سيادة جوية من طرف دول التحالف. وهو تقدير أتحمل وحدي مسؤوليته.

(44) مجلة TIME الصادرة في 11 مارس 91، صفحة رقم 30، 31.

(45) مجلة TIME الأمريكية الصادرة في 11 مارس 1991، صفحة رقم 31، 32.

(46) كانت القوات الأمريكية تحصل من السعودية مجانا على المياه والوقود والكهرباء. وحيث أن احتياجات القوات من المياه والوقود يمثل عادة ثلثي الاحتياجات اليومية في الجيوش الميكانيكية الحديثة، فإن ذلك يعني أن متوسط الاحتياجات للجندي طبقا للنمط الأمريكي الاستهلاكي يكون حوالي 33 كيلوجرام في اليوم. ولكن من الأرقام الاجمالية المعلنة، فإننا نستطيع أن نستنتج أن متوسط الاستهلاك الاداري الأمريكي في هذا الحرب ـ عدا المياه والوقود ـ كان 50 كيلوجرام للفرد الواحد في اليوم. . أي بزيادة تعادل حوالي 50 ٪ من النمط الأمريكي العادي. وقد توصلت إلى هذا الرقم على أساس مايلي:

2.5	مليون طن نقل الأفراد والمعدات
3.0	مليون طن للمطالب الادارية للوحدات على أساس 50 كيلوجرام يوميا، لقوة يتزايد عددها بمعدل 700 2 فرد يوميا.
1.0	مليون طن، احتياطات استراتيجية كانت فوق أرض سعودية عند وقف إطلاق النار
6.5	**مليون طن، إجمالي ما تم نقله إلى مسرح العمليات**

وكانت تحصل من السعودية على 000 90 طن من الوقود والمياه يوميا وبيانها كما يلي:

30 000	طن من الوقود بمعدل متوسط 100 لتر لكل مركبة، 3 طن لكل طائرة أو هيليوكوبتر، 100 طن لكل سفينة. هذا مع العلم بأن اجمالي استهلاك قوات دول التحالف كان حوالي 000 40 طن من الوقود يوميا.
60 000	طن من المياه (بمعدل متوسط 100 لتر لكل فرد، 50 لتر لكل معدة كبيرة ومتوسطة.

وهذا يعني أن السعودية كانت توفر للقوات الأمريكية وقوات دول التحالف حوالي ثلثي متطلبات النقل الاستراتيجي إلى مسرح العلميات. كما يعني أن متوسط احتياجات الجندي الأمريكي في هذه الحملة قد قفز إلى حوالي 200 كليوجرام يوميا.

(47) لقد عالجت هذا الموضوع بالتفصيل في كتاباتي السابقة (مجلة الجبهة العدد 69 بتاريخ أكتوبر 87، تحت عنوان لمن يكون الولاء الصفحات 3 ـ 6. مجلة الجبهة العدد 74 بتاريخ يوليو 88، تحت عنوان أسرار الدولة وأسرار الحكومة، الصفحات 10 ـ 13. مجلة الجبهة العدد 77 بتاريخ يناير 89، تحت عنوان أطالب بالغاء منصب القائد العام للقوات المسلحة، الصفحات 3 ـ 7).

(48) قدرت الخسائر فيها بعد بـ 800 قتيل غالبيتهم العظمى من النساء والأطفال. . . حيث أن جميع الرجال القادرين على حمل السلاح كانوا ينخرطون ضمن صفوف القوات المسلحة أو الجيش الشعبي أو يقومون بأعمال أخرى تتعلق بالمجهود الحربي.

(49) خسرت أمريكا خلال الحرب الكورية 629 33 قتيل، وخلال حرب فيتنام 000 58 قتيل.

(50) مجلة TIME، الصادرة بتاريخ 91/8/26 صفحة رقم 34. J D W الصادرة بتاريخ 91/8/24 صفحة رقم 302.

الفصل العاشر: دور الاعلام في الحرب

(1) الآية رقم 92 من السورة رقم 21 (الأنبياء).

(2) الآية رقم 36 من السورة رقم 9 (التوبة).

(3) الآية رقم 8، 9 من السورة رقم 60 (الممتحنة).

(4) الآية رقم 51 من السورة رقم 5 (المائدة).

(5) الآية رقم 120 من السورة رقم 2 (البقرة).

(6) كان من بين حكام الفاطميين الحاكم بأمر الله (996 ـ 1021)، الذي قتل الكثير من أهل السنة ومن المسيحيين. وهدم كنيسة Church of the Holy Sepulchre في القدس، مما عجل بالحملة الصليبية الأولى. وقد ادعى الحاكم بأمره الألوهية. وانبثق من اتباعه المذهب الدرزي.

(7) Encyclopedia، VOL - 9، صفحة رقم 931.

(8) نور الدين هو ابن السنجق التركي الذي حرر Edessa من الصليبيين عام 1044.

(9) عثمان هو الجد الأكبر والمؤسس لأسرة العثمانيين. أسس دولته في الأناضول عام 1300 بما اقتطعه من أملاك الدولة البيزنطية. ثم أخذ هو وخلفاؤه يعملون على نشر الدين الاسلامي في أوروبا. ووصلت قمة توسعات الامبراطورية العثمانية في أوروبا عام 1526 باحتلالهم هنغاريا، وتوقفهم على أبواب فينا Vienna عاصمة النمسا عام 1529.

(10) بدأ عصر الثورة الصناعية The Industrial Revolution من منتصف القرن الثامن عشر وحتى الحرب العالمية الأولى. وهي نفس الفترة التي تم فيها استعمار جميع البلاد الاسلامية في القارتين الأفريقية والأسيوية.

(11) الخيار العسكري العربي الفصل الأول الصفحات 15 ـ 32.

(12) إجمالي الهجرة اليهودية إلى اسرائيل عام 1990 هو 000 200، من بينهم 000 184 من الاتحاد السوفيتي. وهو رقم قياسي جديد بعد أن كان الرقم السابق لاجمالي المهاجرين هو 320 51 مهاجر في عام 1979.

(13) من خطاب وزير الخارجية العراقي إلى الأمين العام للأمم المتحدة في 1991/10/7.

(14) جميع المصادر العسكرية والاعلامية بما في ذلك المصادر الأمريكية، تؤكد امتلاك اسرائيل لحوالي 200 سلاح نووي، وحوالي 200 صاروخ منها حوالي 100 ذات رؤوس حربية نووية. وأنها تمتلك ترسانة كبيرة من الأسلحة الكيماوية (مجلة الجبهة العدد 80 الصادر بتاريخ يوليو 89، صفحات 6 ـ 16).

(15) الآية رقم 7 من السورة رقم 3 (آل عمران).

(16) عندما كانت هذه الحملة تتجمع في زارا، على البحر الادرياتيكي، استعدادا لغزو مصر. . . كان Alexius المطالب بعرش الامبراطورية البيزنطية يجول أوروبا طلبا للمساعدة في استعادة العرش. واتصل بزعماء الحملة الصليبية في زارا طالبا منهم مساعدته في ذلك. فأبحرت الحملة ودخلت القسطنطينية ونصبت Alexius امبراطورا في صيف 1203. ولكن، سرعان ما قتل Alexius، فتدخلت القوات الصليبية واستولت على السلطة في 13 ابريل 1204.

(17) كتاب الحرب الصليبية الثامنة الجزء الأول، الصفحات 161 ـ 163.

(18) الآية رقم 28 من السورة رقم 3 (آل عمران).

(19) في ظلال القرآن، الجزء الأول، صفحة رقم 386.

(20) مجلة اخر ساعة (المصرية) 19 سبتمبر 1990.

(21) مجلة آخر ساعة (المصرية) في 19 سبتمبر 90.

(22) صحيفة الأهالي (المصرية) في 2 يناير 1991.

(23) الآية 44 من السورة رقم 5 (المائدة).

(24) الآية 41، 42 من السورة رقم 2 (البقرة).
(25) الآية 7 من السورة رقم 59 (الحشر).
(26) هيرالد تريبيون في 88/11/19.
(27) فينانشال تايمز في 89/1/19.
(28) JDW في 89/9/30 صفحة رقم 634، مجلة الجبهة العدد 83 الصادر في يناير 90 صفحة رقم 22.
(29) JDW في 89/9/30 صفحة رقم 630، مجلة الجبهة العدد 83 الصادر في يناير 90 صفحة رقم 21.
(30) صحيفة ديلي اكسبريس (البريطانية) في 90/3/30.
(31) مجلة الجبهة العدد 86 الصادر بتاريخ يوليو 90 صفحة رقم 20.
(32) كتاب الحرب الصليبية الثامنة الجزء الأول، الفصل الأول والثاني والثالث، الصفحات من 11 حتى 109.
(33) مجلة TIME الامريكية الصادرة في 7 يناير 91 صفحة رقم 16.
(34) JDW، الصادرة في 8 ديسمبر 1990 صفحة رقم 1139.
(35) مجلة الرأي الأردنية في 27 نوفمبر 1990.
(36) صحيفة الشرق الأوسط (السعودية) في 5 يناير 91، نقلا عن Christian Science Monitor.
(37) JDW الصادرة في 23 فبراير 91 صفحة رقم 262.
(38) كتاب الحرب الصليبية الثامنة الجزء الأول صفحة رقم 194.
(39) مجلة الجبهة العدد 80 الصادر في يوليو 1989 صفحة رقم 11.
(40) صحيفة الأهرام 90/2/25، فينانشال تايمز 90/2/26.
(41) في حديث له مع صحيفة Wall Street Journal (الأمريكية) يوم 90/6/28.
(42) صحيفة الدستور الاردنية يوم 90/11/18. وقد تأكد هذا الخبر بعد نهاية الحرب. فقد ثبت أن العراق قد نجح في صنع أكبر مدفع في العالم (طوله 52.5 متر وقطر ماسورته 350 ملليمتر)، وأنه كان ما يزال بصدد انتاج مدفع آخر أكثر ضخامة قطر ماسورته 1000 ملليمتر.
(43) صحيفة الرأي (الأردنية) في 90/12/28.
(44) النص الكامل للحديث في صحيفة الدستور الأردنية 31 يناير 1991.
(45) الحرب الصليبية الثامنة الجزء الأول، الفصل الرابع والخامس والسادس.
(46) JDW الصادرة في 2 فبراير 91 صفحة رقم 160.
(47) نفس المصدر السابق.
(48) مجلة الجبهة العدد رقم 87 الصادر بتاريخ سبتمبر 90 صفحة 16. مجلة الجبهة العدد 88 الصادر بتاريخ اكتوبر 90. كتاب الحرب الصليبية الثامنة الجزء الأول ص 83. صحيفة Soir d'Algerie بتاريخ 1991/1/14.
(49) صحيفة الأحرار (المصرية) بتاريخ 21 يناير 1991.
(50) الآية 16 من السورة رقم 13 (الرعد).
(51) الآية 9 من السورة رقم 39 (الزمر).
(52) الآية 11 من السورة رقم 58 (المجادلة).
(53) رواه الترمذي وآخرون.
(54) رواه ابن حنبل.
(55) رواه مسلم وآخرون.
(56) الآية 7، 8 من السورة رقم 30 (الروم).
(57) صحيفة المساء (الجزائرية) في 3 يونيو 1991.

الفصل الحادي عشر: قرارات الأمم المتحدة

(1) يتكون مجلس الأمن الدولي من 15 عضوا. خمس دول ذات عضوية دائمة هي الولايات المتحدة، الاتحاد السوفيتي، بريطانيا، فرنسا، الصين. أما العشرة أعضاء فيتم انتخابهم على أساس اقليمي، وبحيث تكون العضوية مؤقتة وتتغير كل سنتين. وما بين 1/1/90 ـ 31/12/90، كانت الدول العشر الأعضاء المؤقتون هي: كندا، كوبا، كولومبيا، رومانيا، فنلندا، ساحل العاج، الزائير، اثيوبيا، ماليزيا، اليمن. وقرارات مجلس الأمن يجب أن يوافق عليها ثلثي الأعضاء، ويشرط أن يكون من بينها الدول الخمس الدائمة العضوية في المجلس (وهو ما يعبر عنه حق الرفض، أو الفيتو).

(2) نقلا عن صحيفة الدستور الاردنية بتاريخ 20 يناير 1991.

(3) في 31 ديسمبر 1990، انتهت عضوية الدول التالية في مجلس الأمن (كندا، كولومبيا، فنلندا، اثيوبيا، ماليزيا) وحل محلهم اعتبارا من 1/1/91 الدول التالية (الاكوادور، النمسا، بلجيكا، زيمبابوي، الهند) وبذلك تصبح الدول العشر التي تحمل العضوية المؤقتة لمجلس الأمن حتى نهاية عام 1991 هي (كوبا، الاكوادور، رومانيا، بلجيكا، النمسا، ساحل العاج، زيمبابوي، اليمن، ماليزيا، الهند).

(4) أسلحة التدمير الشامل تعبير عسكري يشمل الأسلحة النووية، والكيماوية، والبيولوجية. ولكن عدم التحديد يجعل الباب مفتوحا لاضافة أي سلاح تقليدي له قوة تدمير كبيرة.

(5) حاول الاتحاد السوفيتي في أثناء المناقشات التي سبقت اتخاذ القرار، أن يكون الحظر بالنسبة للصواريخ التي يزيد مداها عن 320 كيلومتر. ولكنه تراجع عن ذلك أمام إصرار كل من أمريكا وبريطانيا وفرنسا. (المؤلف: الاتحاد السوفيتي يحصد اليوم نتائج موقفه المتخاذل ابان هذه الحرب).

(6) يتولى قيادة قوة المراقبة الدولية الجنرال (النمساوي) Gunther Greindl. والدول المشاركة في تلك القوة هي (أمريكا، الاتحاد السوفيتي، بريطانيا، فرنسا، الصين، الأرجنتين، النمسا، بنجلاديش، كندا، شيلي، الدنمارك، فيجي، فنلندا، غانا، اليونان، المجر، الهند، اندونيسيا، إيرلندا، إيطاليا، كينيا، ماليزيا، نيجيريا، النرويج، باكستان، بولندا، رومانيا، السنغال، سنغافورة، السويد، تايلاند، تركيا، أوروجواي، فنزويلا).

(7) في حديث أدلى به وزير التجارة العراقي الدكتور مهدي صالح، لصحيفة الشعب الجزائرية ونشرته بتاريخ 20/4/91، قال الوزير أن التقديرات الأولية لحجم الخسائر تقدر بحوالي 200 مليار دولار.

(8) مجلة TIME (الأمريكية) في 7 اكتوبر 1991 صفحة 38. صحيفة الشعب الجزائرية في 28، 29 سبتمبر 1991.

(9) صحيفة المساء (الجزائرية) 13/10/1991.

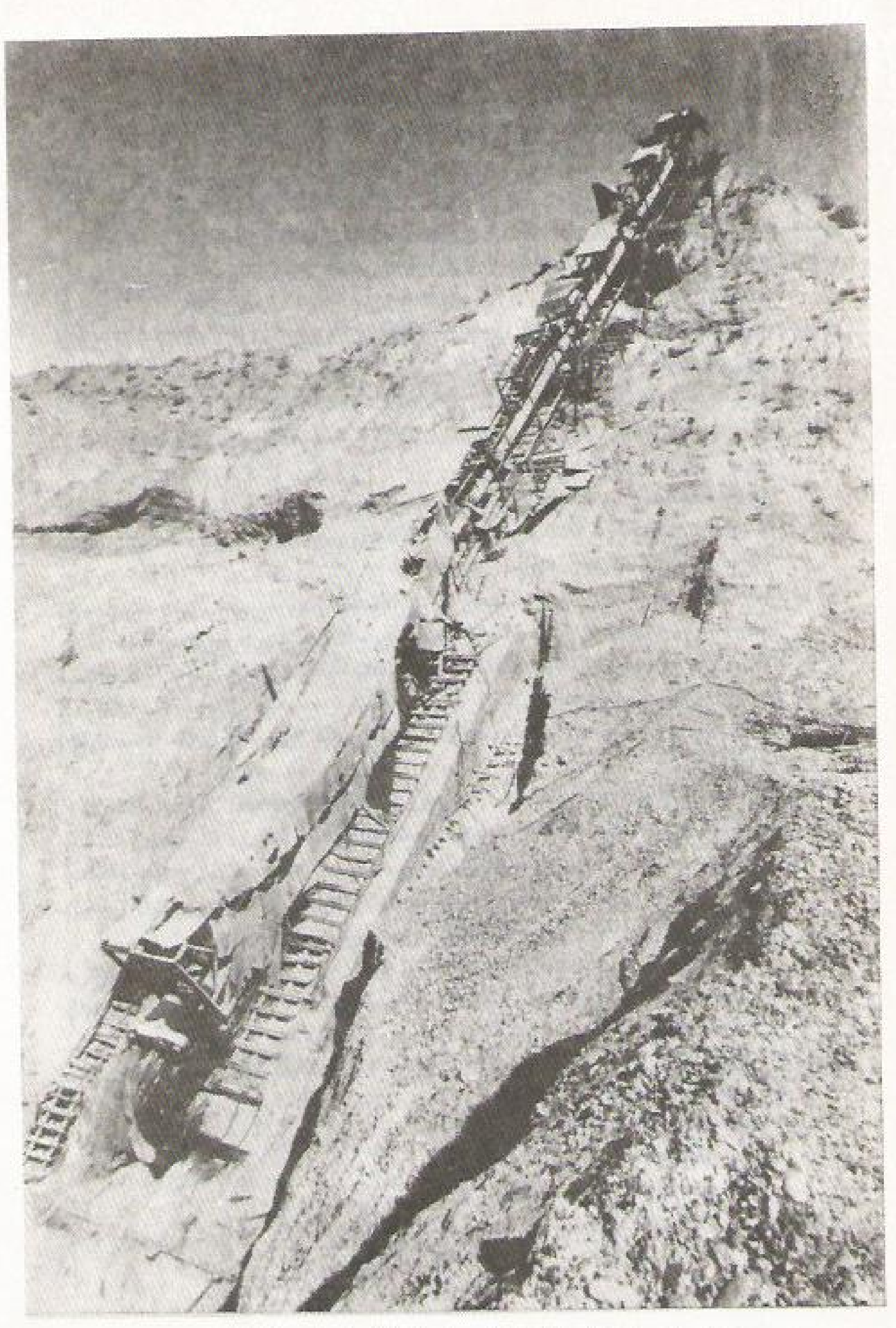
(10) صحيفة الشعب (الجزائرية) 5/10/1991.

(11) JDW في 14/9/91 صفحة 458، 559.

(12) رويتر، وكالات الانباء، صحيفة الشعب الجزائرية 9/10/91.

الخاتمـــــة

(1) كتاب The Commanders للمؤلف Bob Woodward صفحة رقم 277 .
(2) نفس المصدر السابق صفحة رقم 323 .
(3) لاحظ أيها القارىء كيف تريد أن تتخذ أمريكا من احتلال العراق للكويت مبررا لتحقيق هدف أمريكي استراتيجي ، وهو عدم حصول أي بلد عربي أو اسلامي على أسلحة التدمير الشامل ، حتى تصبح اسرائيل هي وحدها التي تملك تلك الأسلحة في منطقة الشرق الأوسط .
(4) J D W الصادرة في 4 مايو 1991 صفحة رقم 37 .
(5) إذا لم يسقط الدفاع الجوي 5٪ من الطائرات المغيرة ، فإن ذلك يعني أنه أضعف من أن يتصدى لهجمات العدو الجوية . . . وان العدو في طريقه للحصول على السيطرة الجوية .
(6) الآية رقم 7 من السورة رقم 17 الاســراء .



صورة للمدفع العراقي العملاق عيار 350 ملليمتر، قبل تدميره



صدام حسين يظهر على التليفزيون يوم 90/5/8، ومعه جهازان متشابهان لتفجير القنابل النووية، أحدهما صناعة أمريكية والآخر صناعة عراقية.



قنابل غاز عراقية بعد تدميرها بواسطة لجنة من الأمم المتحدة في سبتمبر 1991.

مكونات المدفع العراقي العملاق عيار 1000 ملليمتر قبل تدميرها.

↑ أجزاء متعددة من ماسورة المدفع قبل تجميعها

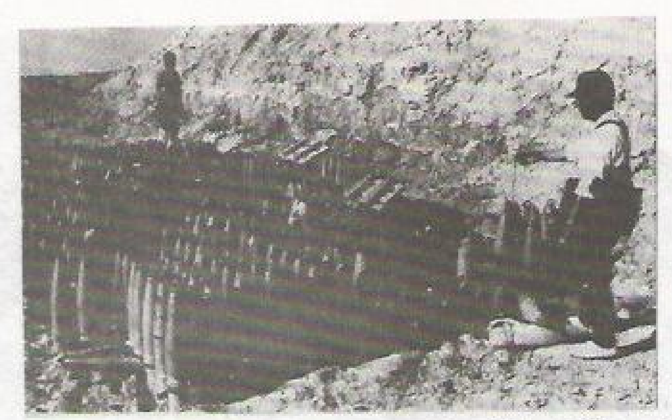


← جزء من ماسورة المدفع يجلس بداخلها أحد أفراد الأمم المتحدة، بينما يقف آخر بجانبها لكي يظهر ضخامة هذا المدفع.

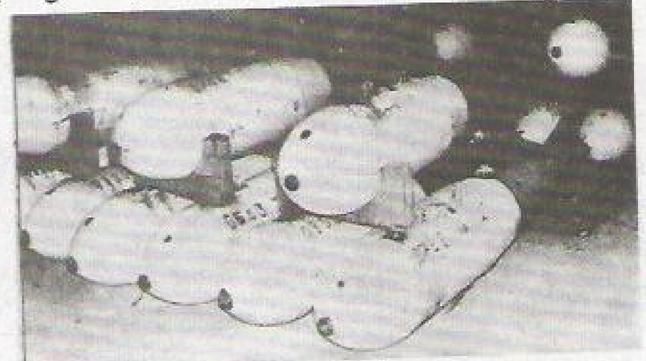
بعون الله سنثأر لك في يوم ما



هذه الصورة نشرت في مجلة TIME الأمريكية التي صدرت بتاريخ 1991/12/30 . وكما يقول Kenneth Jarecke الذي التقط الصورة، فهي لجندي عراقي احترق في عربته بالقرب من مدينة الناصرية . وتعلق مجلة تايم على الصورة بقولها «جاء في القرآن في السورة رقم 3 الآية رقم 185 كل نفس ذائقة الموت» . ورغم بشاعة الصورة، فعلى المسلمين في كل مكان أن يحتفظوا بها وأن يتوارثوها، حتى تبقى في ذاكرة الأجيال شاهدا على ما فعل الصليبيون الجدد بأشقائهم وأبنائهم، وبابائهم، وأجدادهم . . . إلى أن تحرر دار الاسلام من كافة أشكال النفوذ الصليبي الصهيوني . . . وإلى أن يستعيد المسلمون عزهم ومجدهم بفضل من اللـه وتوفيقه .



دانات مدفعية عراقية عيار 155 ملليمتر معبأة بغاز الخردل، قبل تدميرها.



قنابل عراقية مملوءة بغاز الأعصاب قبل تدميرها.



قنابل عراقية مملوءة بغاز الخردل قبل تدميرها.



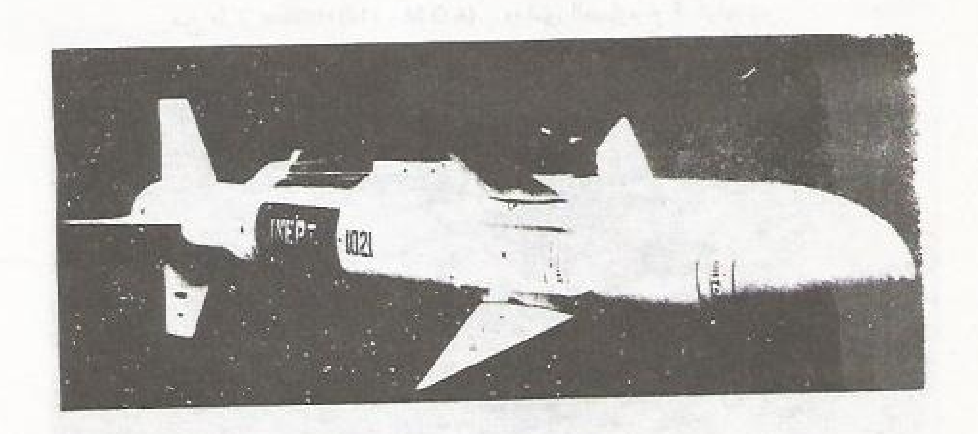
طائرة هيليوكوبتر أمريكية طراز U H - 60 A . واسمها الشائع هو الصقر الأسود Black Hawk وتحمل 16 صاروخ مضاد للدبابات من طراز Hellfire (A G M - 114) . ومدى الصاروخ 8 كيلومتر



طائرة سوفيتية الصنع طراز Mi - 24 واسمها الشائع هو هند Hind . وتحمل الطائرة 8 صاروخ مضاد للدبابات طراز AT - 6 ، مداه 5 كيلومتر



طائرة هيليوكوبتر بريطانية طراز Lynx ، تحمل صواريخ مضادة للسفن طراز Sea Skua



صورة عن قرب للصاروخ المضاد للسفن Sea Skua ، ومداه 18 كيلومتر

الفهـــــــــرس

الفصل الأول : القوات العراقية

الفصل الثاني : قوات دول التحالف

الفصل الثالث : الأسلحة الأمريكية والغربية

الفصل الرابع : مقارنة القدرات

الفصل الخامس : الموقف الأمريكي 129

الفصل السادس : الموقف العربي أثناء الأزمة

الفصل السابع : الموقف العربي قبل اندلاع الازمة

الفصل الثامن : موقف باقي دول العالم

الفصل التاسع : العمليات الحربية

الفصل العاشر : دور الاعلام في الحرب

الفصل الحادي عشر : قرارات الامم المتحدة

الخـــــاتمة

الملاحق والوثائق والمراجع

إضافة أخيرة

في عام 1984 ، صدر كتاب الخيار العسكري العربي للفريق سعد الدين الشاذلي. وقد خصص المؤلف الفصل الخامس من ذلك الكتاب لمناقشة البرنامج النووي الاسرائيلي . . . والذي جاء فيه أن المفاعل النووي الاسرائيلي في ديمونة قوته 24 ميجاوات . . . وأن طاقته في انتاج البلوتونيوم تسمح بانتاج 2 قنبلة نووية كل ثلاث سنوات، على أساس افتراض أن قوة القنبلة تعادل قوة قنبلة هيروشيما . . . وأن إسرائيل حصلت على 200 طن من اليورانيوم من بلجيكا عام 1977 . ثم تعرض المؤلف بعد ذلك في عدة مناسبات أخرى الى البرامج الاسرائيلية في انتاج أسلحة التدمير الشامل . وكان آخرها هو ما نشره في مجلة الجبهة العدد رقم 80 بتاريخ يوليو 89 ، والذي تصور فيه أن إسرائيل تمتلك في ذلك الوقت 115 رأسا نوويا .

وفي ديسمبر 1991 ، صدر كتاب The Samson Option للكاتب الامريكي اليهودي Seymour Hersh الذي خصص الكتاب بأكمله للبرنامج النووي الاسرائيلي وعلاقة أمريكا وفرنسا بهذا البرنامج . وقد جاء في هذا الكتاب أن مفاعل ديمونة قوته ثلاثة أمثال ما أعلن عنه . . . وأن طاقته في انتاج البلوتونيوم تسمح بانتاج 4 قنبلة نووية سنويا . . . وأنه بدأ الانتاج اعتبارا من أوائل عام 1968 . . . وأن إسرائيل تملك اليوم 200 رأس نووي من بينها حوالي 108 رأس تكتيكي تطلق بواسطة المدفعية . . . وأن أمريكا كانت على علم تام بجميع مراحل تطور هذا البرنامج الاسرائيلي . . . وأن أمريكا وفرنسا والوكالة الأوروبية للذرة Euroatom كانت على علم بعملية سرقة ال 200 طن من اليورانيوم التي قام بتنفيذها الموساد عام 1977 . (الصفحات 45، 79، 179، 180، 276) .

فاذا نظرنا الى الموقف الأمريكي الأوروبي تجاه البرنامج النووي الاسرائيلي، كما جاء في كتاب خيار شمشون، وقارنا بينه وبين موقفهم تجاه البرنامج النووي العراقي أو تجاه أي برنامج نووي لأي دولة إسلامية . . . فانه يتضح لنا بشكل قاطع وجود تحالف مقدس بين اسرائيل وبين هؤلاء الصليبيون الجدد . فهل ما زال هناك مسلم عاقل يشك في أن الحرب التي تزعمتها أمريكا ضد العراق كانت حربا صليبية ؟

المؤلف

يناير 1992

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا

لنهتدي لولا أن هدانا الله.

صدق الله العظيم

هذا الكتاب

من منّا لا يعرف الجنرال سعد الدين الشاذلي... انه قائد العبور... وبطل حرب أكتوبر... وفي هذا الكتاب يتناول الفريق سعد الدين العدوان الأمريكي الأوربي الإسرائيلي على العراق. وفي هذا الكتاب يجد القارئ معطيات ميدانية ومعلومات أولية لم تنشر من قبل...

- «يجب تدمير الآلة الصناعية العسكرية العراقية، لارغام صدام حسين على الإستسلام، وليس مجرد الانسحاب من الكويت كما تنص قرارات الأمم المتحدة».

الرئيس الفرنسي ميتيران 91/1/20

- «أحد أهدافنا في تلك الحرب، هو ضرورة التدمير الكامل لكافة القدرات الاستراتيجية العراقية. وقد دمرنا حتى الآن جزءا هاما منها».

وزير الدفاع الأمريكي ديك تشيني91/12/17

- «ان بريطانيا تطالب بضرورة تدمير جميع أسلحة التدمير الشامل والصواريخ البالستيكية التي يملكهاالعراق».

رئيس الوزراء البريطاني جون ميجور 91/2/28

- « ان الحرب التي خاضها رجالنا في منطقة الخليج كانت من أجل اسرائيل. وقد عمل الرجال على تحطيم العدو الرئيسي لكم في المنطقة».

الجنرال شوارتز كوبف في حديث للاذاعة الاسرائيلية 91/5/23

سعر ب ع: 250 دينار - دار الحكمة- الجزائر 41 شارع محمد بوشنافة بلكور -الجزائر